جامعةُ عدنَ

نيابةُ الدِّراساتِ العليا والبحثِ العلميّ

كليّةَ الآداب

قسمُ اللُّغةِ العربيّةِ وآدابِها

لُغَاتُ العَرَبِ وأثَرُهَا في اضْطِرَابِ القَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ

أُطْروحةٌ عِلْميَّةٌ تقدَّمَ بها الطَّالبُ:

سالم مبارك سعيد الفلق

إلى قسمِ اللُّغةِ العربيَّةِ وآدابِها، في كليَّةِ الآدابِ، جامعةِ عدنَ

وهيَ جزءٌ منَ استكمالِ درجةِ الدُّكتوراه في الدِّراساتِ اللُّغويَّةِ

تخصُّصِ: نحوٍ وصرْفٍ ولغة

إشرافُ:

د. خالد صالح محمَّد العزّانيّ

أستاذِ النَّحْوِ والصَّرْفِ المُشارِكِ في قسمِ اللُّغةِ العربيَّةِ وآدابِها

كليَّةِ الآدابِ، جامعةِ عدنَ

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

أَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الأُطْروحة الموسومة بـ**(لغات العرب وأثرها في اضطراب القاعدة النحوية)**، الَّتي تقدَّم بها الطَّالب: **سالم مبارك سعيد الفلق**، قد أُنْجِزَتْ بإشرافي في مراحلها المختلفة، في قسمِ اللغةِ العربيةِ وآدابها، في كليَّة الآداب، بجامعة عدن، وأرشِّحها للمناقشة.

المشرف العلميّ:

أ. مشارك د. خالد صالح محمّد العزَّانيّ

التَّوقيع:.....

التَّاريخ: / ١٠ / ٢٠١٨م.

بِناءً على توصية المشرف العلميّ، تُرشّح الأُطْروحة للمناقشة.

رئيس قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها:

أ. مشارك د. خالد صالح محمَّد العزَّانيّ

التَّوقيع:.....

التَّاريخ: / ١٠ / ٢٠١٨م.

نائب العميد للدِّراسات العليا والبحث العلمي:

أ. مشارك د. خالد صالح محمَّد العزَّانيّ

التَّوقيع:.....

التَّاريخ: /١٠ / ٢٠١٨م.

قرار لجنة المناقشة

بِناءً على قرار مجلس الدِّراسات العليا رقم ( )؛ بشأن تشكيل لجنة المناقشة للأُطْروحة الموسومة بـ**(لُغَاتُ العَرَبِ وأثرُهَا في اضْطِرابِ القَاعِدَةِ النَّحْويّة)**، الَّتي تقدَّم بها الطَّالب: **سالم مبارك سعيد الفلق**، نُقِرُّ نحنُ – رئيسَ لجنةِ المناقشة وعضويها–أنَّنا اطَّلعنا على الأُطْروحة المشار إليها، وقد ناقشنا الطَّالب في محتوياتها، وفي ما له علاقة بها، بتاريخ: /٤/٢٠١٩م، ووجدناها جديرة بالقبول؛ لنيل درجة الدُّكتوراه في اللُّغة العربيَّة وآدابها، بتقدير عام ( ).

رئيس لجنة المناقشة وعضواها:

الاسم:	**الصفة:**	**التوقيع:**
١. أ. د. عبدالله أحمد مكياش	رئيسًا ومناقشًا داخليًّا (جامعة عدن)	.....
٢. أ. مشارك د. عبدالله محمد سعيد عبدالله	عضوًا ومناقشًا خارجيًّا (جامعة تعز)	.....
٣. أ. مشارك د. خالد صالح محمد العزاني	عضوًا ومشرفًا علميًا (جامعة عدن)	.....

الإِهداءُ

إلى والدَيَّ الكريمَينِ لِمَا بَذلاه مِن جهدٍ في تربيتي، ولِمَا أسْدَيَاهُ لي مِن نصْحٍ في مواصلتي لطلبِ العلم.

إلى زوجتي الغَالِيَة وأولادي الذين تَحَمَّلوا معي جُزْءًا مِن مَشَاقِّ هذا البَحْثِ ومتاعِبِهِ.

إلى إخْوَتِيْ وأخَوَاتِي وكلِّ مَنْ أحْسَنَ إليَّ.

الباحث.

شُكْرٌ

لله الحمدُ والشكرُ على نِعَمِهِ وفَضْلِهِ، وأثني بالشكرِ لأستاذي ومشرفي على هذه الرسالة، الأستاذِ المشارِكِ الدّكتورِ خالدِ بن صالحِ العزَّانِيّ.

والشكرُ موصولٌ لأعضاءِ لجنةِ المناقشةِ لقبولهم مناقشةَ هذه الرسالةِ المتواضعةِ، ولقِسْمِ اللغةِ العربيةِ رئيسًا وأعضاءً، وأشكر الأهلَ، والزُّملاءَ والإخوةَ جميعًا، ومَن أسْدَى لي النصحَ، وحثَّ وشجّع، ودعا لي بالتوفيق والخير؛ إذ كانوا لي نِعْم العون والسَّند بعد توفيق الله تعالى ومنّه.

المحتويات

المحتويات

المَوضُــوعَــات	الصفحة
صفحة العنوان.....	أ
الآية.....	ب
إقرار المشرف	ج
قرار لجنة المناقشة	د
الإهداء	هـ
شكر	و
المحتويات	ز
المقدمـة	١ – ٥
تمهيد: اللغة واللهجة	٦– ١٧
١. تعريف اللغة	٧
٢. تعريف اللهجة.....	١١
٣. العلاقة بين اللغة واللهجة	١٣
٤. هل تشكّل اللهجات خطرًا على الفصحى؟.....	١٥
الفصل الأول: لغات العرب، التعدّد، والتوحّد، والتقعيد، والاضطراب	١٨–١١٦
المبحث الأول: لغات العرب	١٩– ٤٩
المطلب الأول: العرب والسليقة، ونشوء اللحن	١٩
أولًا: العرب والسليقة	١٩
ثانيًا: نشوء اللحن	٢٣
١. اللحن: لغةً واصطلاحًا.....	٢٣
٢. ظهور اللحن	٢٤
أولًا: اللحن في العصر الجاهلي	٢٤
ثانيًا: اللحن في عصر صدر الإسلام.....	٢٥
ثالثًا: اللحن في العصر الأموي	٢٦
رابعً: اللحن في العصر العباسي	٢٨
المطلب الثاني: تعدّد اللغات أسبابه وصوره.....	٣٢
أولًا: أسباب تعدّد اللغات واختلافها	٣٣

ثانيًا: صور من اختلاف لغات العرب..... ٤٣
المطلب الثالث: نشأة العربية المشتركة (الفصحى) ٤٦
آراء العلماء في اللغة المشتركة ٤٧
المبحث الثاني: جمع اللغة ..... ٥٠ –٧١
المطلب الأول: منهج النحاة في استقاء اللغة ٥٠
أولًا: رحلات النحاة إلى البادية ٥١
ثانيًا: رحلات الأعراب إلى الحواضر ٥٤
ثالثًا: المثقفون ٥٥
المطلب الثاني: التحديد الزماني والمكاني ٥٦
المطلب الثالث: الاستقراء الناقص ٦٣
المطلب الرابع: دراسة اللهجات بين القدماء والمحدثين ٦٧
المبحث الثالث: القاعدة النحوية والتقعيد ٧٢– ٩٢
المطلب الأول: القاعدة النحوية: تعريفها، ووظيفتها، وشروطها..... ٧٢
أولًا: تعريف القاعدة النحوية، في اللغة والاصطلاح ٧٢
ثانيًا: وظيفة القواعد النحوية ٧٥
ثالثًا: شروط القاعدة النحوية ٧٥
١. الاختصار ٧٥
٢. العموم والاطّراد ٧٦
٣. الضبط ٧٧
٤. التماسك ٧٧
المطلب الثاني: نشأة القاعدة وتطورها ٧٩
مقدمة: الانتقال من مرحلة السليقة والمشافهة إلى مرحلة التقعيد ٧٩
أولًا: ما قبل سيبويه (معلومات وملاحظات قابلة للتوسع والزيادة)..... ٧٩
ثانيًا: سيبويه ومنهجه (التقنين والتقعيد)..... ٨٢
ثالثًا: المذهب البصري والمذهب الكوفي ٨٤
سبب الخلاف المنهجي بين المذهبين..... ٨٧
رابعًا : ما بعد سيبويه (مرحلة البسط والتوسع)..... ٨٨
المطلب الثالث: خصائص القاعدة النحوية وسماتها ٩١
١. الموضوعيّة..... ٩١
٢. الشمول ٩١

٣. التماسك ٩١
٤. الاقتصاد ٩٢
المبحث الرابع: القاعدة النحوية والاضطراب ٩٣-١١٦
المطلب الأول: أثر القراءات في القاعدة النحوية ٩٣
١. قراءات تولدت عنها قاعدة نحوية أو شاركت في بناء هذه القاعدة. ٩٣
٢. قراءات أيدت بها قاعدة نحوية. ٩٤
٣. قراءات ردت بها قاعدة نحوية ٩٥
المطلب الثاني: انتقادات القاعدة النحوية ٩٦
أولًا: المنهج المعكوس ٩٦
ثانيًا: مفهوم الكثرة ٩٦
ثالثًا: الاستقراء الناقص ٩٧
رابعًا: الخلط بين اللغة واللهجات. ٩٨
خامسًا: عدم التفريق بين مستويات اللغة..... ٩٩
سادسًا: الاقتصار على اللغة الأدبية. ٩٩
المطلب الثالث: الاضطراب مفهومه وأسباب ١٠١
أولًا: مفهوم الاضطراب ١٠١
ثانيًا: أسباب الاضطراب ١٠٢
١. عدم تجانس البيئة اللغوية. ١٠٢
٢. عدم تجانس المادة اللغوية. ١٠٢
٣. عدم مراعاة الزمن. ١٠٣
٤. المفاضلة بين اللغات. ١٠٣
٥. الضرورة الشعرية ١٠٦
المطلب الرابع: تعصب النحاة للقاعدة النحوية ١١٢
أمثلة على تعصّبهم للقاعدة النحوية ١١٤
الفصل الثاني : باب الاسم ١١٧-٢٦٢
المبحث الأول: الإعراب والبناء. ١١٩
المسألة (١): الضمائر ١١٩
المسألة (٢): ضمير الفصل ١٣٨
المسألة (٣): الأسماء الموصولة ١٤٣
المسألة (٤): ذو الطائية ١٥٤

المسألة (٥): (أي) الموصولة ١٦٤
المسألة (٦): (أمس) بين الإعراب والبناء ١٧٠
المسألة (٧): (حيث) بين الإعراب والبناء ١٧٦
المسألة (٨): صيغة (فَعَالِ)علما لمؤنث..... ١٨٢
المبحث الثاني : تَغَيُّر علامات الإعراب..... ١٨٨
المسألة (١): (سنين) وبابه ١٨٨
المسألة (٢): الأسماء الستة ١٩٤
المسألة (٣): المثنى بالألف مطلقًا..... ١٩٨
المسألة (٤): (أمس) بين الصرف والمنع ٢٠٥
المسألة (٥): صرف (سنين) وبابه ٢٠٩
المسألة (٦): ما سمّي به من جمع المؤنث السالم ٢١٣
المسألة (٧): ما لحقته الألف من الأسماء (تترى) ٢١٦
المبحث الثالث : الجملة الاسمية ونواسخها ٢١٩
المسألة (١): الإخبار عن النكرة بالمعرفة ٢١٩
المسألة (٢): إهمال الأفعال الناقصة لغة لا تحتمل التأويل ٢٢٩
المسألة (٣): ليس الطيب إلا المسك ٢٣٤
المسألة (٤): (ما) و (لا) المشبهتان بليس ٢٣٩
المسألة (٥): حذف خبر (لا) النافية للجنس ٢٥٢
المسألة (٦): نصب الجزأين بـ (إن) وأخواتها ٢٥٧
الفصل الثالث: باب الفعل ٢٦٣-٣٣٣
المبحث الأول: الإعراب والبناء ٢٦٤
المسألة (١): حذف علامة الرفع لغير عامل ٢٦٤
المسألة (٢): الجزم بـ(كيف) غير مسموع ٢٧٣
المسألة (٣): هَلُمَّ ٢٧٥
المسألة (٤): هيهات ٢٨٠
المبحث الثاني: التعدي واللزوم ٢٨٧
المسألة (١): إجراء القول مجرى الظن لغة ٢٨٧
المسألة (٢): أفعال تكون لازمة ومتعدية ٢٩٢
المبحث الثالث: مكملات الجملة الفعلية. ٣٠١
المسألة (١): (قبل وبعد) – الظرف المقطوع عن الإضافة ٣٠١

المسألة (٢): (لدن) بين الإعراب والبناء ٣٠٥
المسألة (٣): الاستثناء المنقطع..... ٣٠٩
المسألة (٤): نصب غير إذا جاءت بمعنى إلا مطلقًا ٣١٣
المسألة (٥): الحال معرفة ومصدرًا وعددًا ٣١٦
المسألة (٦): المصدر الدال على الدعاء أو الثناء، والمعرف بـ(أل)، والواقع بعد (أمّا) ٣٢٤
المسألة (٧): تمييز (كم) الخبرية ٣٣٠
الفصل الرابع: الحرف والضرورة الشعرية ٣٣٤-٣٧٥
المبحث الأول : وظائف الحروف..... ٣٣٥
المسألة (١): (مذ، منذ) بين الاسمية والحرفية..... ٣٣٥
المبحث الثاني: الضرورة الشعرية ولغات العرب ٣٣٩
المسألة (١): الجزم بـ (لن) ٣٤٠
المسألة (٢): الجزم بـ (إذا) ٣٤٣
المسألة (٣): الجزم بـ(أنْ) الناصبة لغة ٣٤٦
المسألة (٤): النصب بـ (لم) ٣٤٩
المسألة (٥): إجراء المعتل المجزوم مجرى الصحيح ٣٥٢
المسألة (٦): حذف ضمير الفاعل الواو أوالياء والاجتزاء بالحركة ٣٥٦
المسألة (٧): صرف الممنوع مطلقًا لغة ٣٦١
المسألة (٨): الجر على الجوار ٣٦٥
الفصل الخامس: التراكيب النحوية ٣٧٦-٤١٠
المسألة (١): الفعل (عسى) واتصال الضمائر به ٣٧٧
المسألة (٢): لغة "أكلوني البراغيث" ٣٨٢
المسألة (٣): عطف الظاهر على الضمير المجرور ٣٨٩
المسألة (٤): الفصل بين المتضايفين بغير الجار والمجرور أو الظرف ٣٩٩
المسألة (٥): إعمال اسم الفاعل المضاف النصب في المضاف إليه ٤٠٨
الخاتمة ٤١١
ثبت المراجع والمصادر ٤١٦
الملخص باللغة العربية..... ٤٤٣
الملخص باللغة الانجليزية ٤٤٥

المقدمة

إنَّ النحوَ العربيَّ، وجَمْعَ اللُّغةِ أو تقعيدَها أو محاولاتِ التَّوفيقِ بينَ القَاعِدَةِ النَّحويَّةِ والتَّطبيقِ، كُلَّ ذلك عملٌ بشريٌّ وجُهْدٌ قدْ يعتريه القُصورُ، وهو قابلٌ للنَّقدِ والتَّقويمِ. وحسْبُنا أنْ نحسنَ الظنَّ بواضعيهِ، وأنَّ نيَّتَهم كانت حسنةٌ في ضبْطِ لغةِ القرآنِ، الدِّفاعِ عَنْها، وصوْنها من الانحرافِ والخلل، ووضْعِ منهجٍ ومعيارٍ يستفيدُ منه الخلَفُ في ترسُّمِ خطى السلفِ، وخلْقِ مقاربةٍ لِنطْقِ هذه اللغة الرفيعة، والتكلّم بها بصورة صحيحة.

إنَّ دراسةَ الاختلافاتِ بين لغاتِ القبائلِ تساعدُ في فهْمِ حركيةِ اللغةِ في ماضيها، وما يمْكنُ أنْ تكونَ عليه في حاضِرها، وما ستؤولُ إليه في مستقبلِها، وهي محاولةٌ لوضْعِ الحلولِ والمعالَجاتِ لما جَدّ في نسيجِها الحيَويّ، أو معيارٌ لظاهرةٍ يَثْبُتُ حضورُها في المستقبل.

يقلّلُ ابنُ جني مِن شأن الاختلافات النحوية بقوله : "هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته محتقر غير محتفل به عليه وإنما هو في شيء من الفروع يسير. فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعن به"[1]، وكلامُهُ صحيحٌ مِن جِهَة أن الاختلافات النحوية في الأصول نزرة قليلة، ولكنها ليست قليلة ولا نزرة في الفروع، ولو كانت كذلك لما أشار إليها المفسرون والنحاة الذين ألفوا في القراءات والتفسير وإعراب القرآن ومعانيه بهذا القدر. ولهذا كان سببُ اختياري لهذا الموضوع هو سبْر غور هذه الاختلافات، وإقامة الحجج والبراهين عليها، والآثار المترتبة بينها والقاعدة النحوية.

ومع وضوح هذه الاختلافات ووجودها في جانب الفروع، فقد كانت هذه الدراسة من أجل الوقوف على تاريخ التقعيد النحوي، فتتكشف لنا بذلك مسائلُ غامضة في تاريخ النحو العربي، تَسُدُّ الطريق على كل مَن يخطّئ النصوصَ مِنْ غير اللجوء إلى لغات العرب؛ لأن الناطق على لغة من لغات العرب مصيبٌ غيرُ مخطئ وإنْ قلّ.

وسنوضّحُ في هذه الرسالة مدى فقْدِ صناعة النحاة لمبدأ اطراد القوانين فيها، ونقْض بعضها بعضًا، واصطدام القاعدة مع ما أسّسَتْ عليه الأصولُ، وعدم المصالحةِ بين القواعد والأصول مِن ناحيةٍ، وبين هاتين الأخيرتين واستعمال النحاةِ اللغةَ المعترفَ بها بأنَّها مصدر

[1] الخصائص ١ / ٢٤٥.

الاحتجاج، وأنه لا قياس معها إنْ صحَّ أنَّها لغة تنتمي للبيئة المقرَّرِ الأخذُ عنها زمانًا ومكانًا، من ناحيةٍ أخرى. فقد قرَّرَ أبو علي الفارسي في ردّهِ على تلميذه ابن جني، أنَّ أولِي الأمْرِ من اللغويين يَمُرّون على النحو العربي وهُمْ عمّا فيه مِن غريب التقعيد – عن عَمْدٍ – معرضون[٢].

وبالجملة فإن الكتب والدراسات السابقة التي أُلِّفَتْ في اللهجات العربية[٣] كانت تقتصر على الإشارة إلى اختلافاتٍ نحوية في قضايا مشهورة في كتب النحو، وتكتفي بتوصيف الظاهرة النحويةِ، ولا تخوض في الاختلافات النحوية بين لغات القبائل ومقارنتها بالقاعدة النحوية كرسالة "لَهْجَات القبائل العربية وأثرها في الدرس النحوي"، التي تقدمت بها الطالبة: فدوى محمد حسان، إلى كلية التربية عدن للحصول على درجة الماجستير. وكان بعض هذه الدراسات اتخذ طابع العموم في درسه لغات العرب، مثل: "في اللَهْجَات العربية" للدكتور إبْرَاهِيم أنيس، و"اللَهْجَات العربية في التراث" للدكتور أحمد علم الدين الجندي، و"اللَهْجَات العربية نشأة وتطورًا" للدكتور عبد الغفار حامد هلال. وبعض الدراسات اكتفت بدراسة لغة قبيلة واحدة، مثل: "لُغَة قُرَيْش" لمختار الغوث، و" لَهْجَة قبيلة أسَد" لعلي ناصر غالب، و"لَهْجَة تَمِيْم وأثرها في العربية الموحدة" للدكتور غالب فاضل المطلبي، و"لَهْجَة قبيلة كنانة، دراسة لُغَوِيّة" للدكتوره ميساء صائب. وبعض الدراسات اتخذت من القرآن وقراءاته، وكذا كتب التفسير والمعاني مجالًا لها، منها: "اللَهْجَات العربية في القراءات القرآنية" للدكتور عبده الراجحي، و"القراءات واللَهْجَات" للدكتور عبد الوهاب حمودة، و"اللَهْجَات العربية القديمة في كتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط دراسة وصفية تحليلية" للباحث: علي عبدالرحمن موسى العجارمة، و"اللَهْجَات العربية في كتب إعراب القرآن حتى نِهَايَة القرن الخامس الهجري" للباحث: منذر إبْرَاهِيم حسين، و"اللَهْجَات العربية في معاني القرآن للفراء" للدكتور صبحي عبد الحميد عبد الكريم، "لَهْجَات القبائل العربية وأثرها في توجيه التفسير" للباحث: عبد الناصر النخعي.

---

[٢] ينظر : كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي ص/ ١٧٨ طبعة سنة: ١٩٨٠م – دار الرشيد للنشر – العراق.

[٣] ينظر للاستزادة : اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي ، اللهجات العربية في روايات غريب الحديث والأثر د. أحمد الفخراني ، لغة تميم د. ضاحي عبد الباقي، العربية ولهجاتها د. عبد الرحمن أيوب، معالم اللهجات العربية د.عبد الحميد أبو سكين ، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني د. حسام النعيمي... وغيرها.

ومن الدراسات التي درَسَتْ مجالَ القاعدة النحوية والتقعيد، واستعنْتُ بها في رسالتي، منها على سبيل المثال لا الحصر: "القَاعِدَة النَّحْويّة دراسة نقدية تحليلية" للدكتور أحمد عبد العظيم، و"قرينة السياق ودورها في التَقْعِيْد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سِيْبَوَيْهِ" للباحث: إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، و"السماع وأهميته في التَقْعِيْد عند سِيْبَوَيْهِ" للباحث: محمد علي يونس رباع، و"المسوغات النَّحْويّة بين القَاعِدَة والاستعمال" للباحث: نواف مسلم الهوانية، و"التَقْعِيْد النحوي بين السماع والقياس" للباحث: محمود شرف الدين، و"مقولة الوجوب بين التَقْعِيْد والاستعمال" للباحث: صلاح الدين يحي.

وهذا لا يعني استيفاء كلِّ لغاتِ العرب وشموليتها، فلا نَعْلَمُ أحدًا مِن البشر – غير الأنبياء– استوعب لغات العرب، ولذا سيكون مسلكي في هذه الرسالة أنْ أعْرُضَ بعض ما وقَعَ لي مِن مسائلَ تَمُسّ استقرار القاعدة النحوية؛ فتؤدي إلى زعزعتها واضطرابها.

واقتضى مسارُ البحث أنْ يعتمدَ الباحثُ منهجًا وصفيًا مع تحليلٍ في أثناء عرْضِ المسائل، بالتزامن مع منهجٍ معياري مِن خلال عقْدِ موازنةٍ بين القاعدة النحوية وما يقف بإزائها من مسائل تنازعها هذا التقعيد.

وقد أقامَ الباحثُ رسالته هذه على خمسةِ فصولٍ، تسبقُها مقدَّمةٌ، ويَلِيْها تمهيدٌ، وتقْفُوْها خاتمةٌ. كشَفَ الفصلُ الأولُ– وهو الجزء النظري– الذي يَحْمِلُ عنوان (لغَاتُ العَرَبِ: التَّعَدُدُ و والتَّوَحُّدُ، والتقْعِيْدُ والاضطراب) العلاقةَ بين العربِ ولغتهم العربيةِ، وكيف خَدَموا هذه اللغةِ مِن منظورِ الدرسِ النَّحوي. ويشمُلُ هذا البابُ خمسةَ مباحثَ. المبحثُ الأوّل(لغَاتُ العَرَبِ)، وفيه ثلاثةُ مطالبَ: الأوّلُ عن (العربِ والسلِيْقَة، ونشوء اللحْنِ)، وعالَجَ المطلبُ الثاني (تَعَدّد اللغاتِ، أسبابَه وصوَرَه)، وتكلّمَ المطلبُ الثالثُ في (نشأةِ العربيةِ والمشتركةِ). و يأتي المبحثُ الثاني حاملًا قضيّة(جَمْعِ اللغةِ)، ويحْوِي أربعةَ مطالبَ: أوّلُها يتحَدّثُ عن (مَنْهجِ النّحاةِ في استقاءِ اللغةِ)، والثاني في (التَّحْديدِ الزماني والمكاني)، والمطلبُ الثالثُ في موضوع (الاسْتقراءِ الناقص)، وخصّصتُ المطلبَ الرابع لقضيّةِ (دراسة اللهجاتِ بين القدماءِ والمحدثين). وأفْردتُ المبحثَ الثالثَ للحديثِ عن (القاعدة النحويّةِ والتّقْعِيْدِ)، وشملَ هذا المبحثُ بعدَ توطئةٍ قصيرةٍ، ثلاثةَ مطالبَ: الأوّلُ في (تعريفِ القاعدةِ النحويّةِ: تعريفها، ووظيْفتِها، وشروطها)، وعالجَ المطلبُ الثاني (نشْأةِ القاعدةِ النحويّة وتطورَها)، وتخصّصَ المطلبُ الثالثُ في (خصائصِ القاعدةِ النحويّةِ وسماتها)، وأمّا (اضطرابُ القاعدةِ النحويّةِ) فكان مِن نَصِيبِ المَبْحَثِ الرابعِ، وفيه أربعةُ

مطالبَ: الأولُ عن (أثَرِ القراءاتِ في القاعدة النحويةِ) وعَرَضَ المطلبُ الثاني (انتقاداتِ القاعدةِ النحويةِ)، وكَشَفَ المطلبُ الثالثُ (مفهومَ اضطرابِ القاعدةِ النحويةِ وأسبابَ)، ليختم المطلبُ الرابع هذا المبحثَ بأمثلةٍ لِـ (تعصُّبِ النحاةِ للقاعدةِ النحويةِ).

ثُمَّ يأتيْ الجزء الثاني وهو عملٌ تطبيقِيٌّ لعنوان الرسالة، ليكْشِفَ الاضطرابَ في القواعدِ والقصورَ في التَّقْعِيْدِ، ونسْتَدِلُّ في تحْلِيلِنا للمسَائلِ بلغاتِ العرَبِ التي هي مَصْدرُ التَّقْعِيْدِ لديْهم. ولمْ يكُنْ غَرَضُنا من هذا الباب استقصاءَ مظاهرِ الاضطرابِ، ولا حَصْرَ اللغاتِ التي زعْزَعَتْ القاعدةَ النحويّةَ وعَمِلَتْ على عدم استقرارها؛ فإن حَصْرَ اللغاتِ أمرٌ يفوقُ مقدرة الباحثِ، ولا أعْلَمُ أحدًا أحاطَ بلغاتِ العربِ كلِّها. ولكنْ يكفي الباحث أنْ يُبَرْهِنَ على وجود اضطرابٍ في التَّقْعِيْدِ والقاعدةِ النحويين، باعتبار أنهما جُهْدٌ بشريٌّ يعتريهِ القصورُ، وهو عُرْضَةٌ للنقدِ والانتقادِ. والكمالُ لله وحده.

واحتوى هذا القسمُ ثمانيَ وأربعين مسألةً، انتَظَمَتْ في أربعةِ فصول: أولها وهو الثاني من الرسالة في (باب الاسم) وفيه ثلاثةُ مباحثَ، المَبْحَثُ الأولُ عن (الإعراب والبناء) ضمَّ ثماني مسائل، و المَبْحَثُ الثاني في (تغيُّرِ علاماتِ الإعرابِ) بسبعِ مسائلَ، وجاء المَبْحَثُ الثالثُ عن (الجملةِ الاسميّةِ ونواسخها) في ستِّ مسائل. والفصلُ الثالثُ هو (باب الفعل) ويحوي ثلاثةَ مباحث: الأول في (الإعراب والبناء) بأربع مسائل، والمبحث الثاني في (التعدّي واللزوم) ضَمَّ مسألتين فقط، وشَمَلَ المَبْحَثُ الثالثُ الذي تَحَدَّثَ عن (مكمّلاتِ الجملة الفعلية) سبعَ مسائلَ. ثم يأتي الفصلُ الرابعُ عن (الحرفِ والضرورةِ الشعريةِ) ويضمُّ تسعَ مسائلَ في مبحثين: الأولُ (وظائف الحروف) بمسألة واحدة، والمَبْحَثُ الثاني أفردْتُهُ للحديثِ عن مسائلَ أحيلت على الضرورةِ الشعريّة وهي لغاتٌ، وأخيرًا الفصلُ الخامس لبعض التراكيب النحوية وضمَّ خمس مسائل.

ولا أدَّعي الإحاطَةَ والشّمُولَ في ما يقتضيهِ الموضوعُ، فربَّما فاتَتنِيْ أشياءٌ هنا أوهناك، ولكنِّيْ حاولْتُ واجتهَدْتُ – والكمال لله وحده – فإن كان في هذه الدراسة مِن قُصُورٌ – وإنه لواقع – فإنِّي أرجُو أنْ يكونَ غَيْرَ مُخِلّ بمنهجيتها وأهدافِها، وإنْ كانَ فيها ما يُحْمَدُ، فهو ممَّا أعانَ الله عليهِ، ثم أسْتاذِي الدكتور خالدُ بنُ صالح العزاني الذي تابَعَ هذا العملَ، ولمْ يبْخَلْ بتقديم النصْحِ، والمساعدةِ، والمشورةِ، والملاحظةِ، فلَهُ الشُّكْرُ– بعد الله– بِمِقْدارِ مَا فيها مِن صَوَابٍ، وبِمِقدارِ مَا جُنّبَتْ مِن مَزالقَ كانَتْ واقِعَةً لولا مُتَابَعَتَهُ وتَوجِيْهِهِ. فجَزَاهُ الله خيْرَ الجَزَاءِ، وجَعَلَ ذلك العمَلَ في ميزانِ حسناتهِ.

وَأَسْأَلُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذِهِ اَلدِّرَاسَةِ صاحبَها، ومَنْ شَاءَ من عبادِه، واللهُ مِنْ وَرَاءِ اَلْقَصْدِ وَهُو يَهْدِي اَلسَّبِيْلَ.

كتبها: سالم مبارك سعيد الفلق

التمهيد

اللُغَة واللَهْجَة

تعريف اللُغَة

(اللُغَة) فُعْلة من (لَغَى يَلْغَى)، يقال: لَغَوْت، أي: تكلَّمتُ، وأصلُها لُغْوَةٌ ككُرَة وقُلَة وثُبَة مأخوذةً مِن الجذرِ الثُلاثي (ل، غ، و)، يقال: لغا يلْغُو لغًا: إذا تكلمَ بكلامٍ غيرِ مفهوم، والجَمْع لُغَاتٌ ولُغُون كثُبَاتٍ وثُبُون[1] . وقيلَ مِن (لَغِيَ يَلْغَى) كرَضِيَ إذا هَذَىْ وتكلّمَ، قال الشاعر[2]: [من الرجز]

ورُبّ أسْرابٍ حَجِيجٍ كُظّمِ ... عن اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ

و(اللَّغْوُ): الكلامُ الباطلُ، قال تَعَالَىْ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[3] وقال تَعَالَىْ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[4] وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾[5] وقال تَعَالَىْ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[6]. وفي الحديث: ((إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الجَمْعةِ: أَنْصِتْ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ))[7]، أي: تكلَّم.

وزعَمَ الدكتور عبدالغفار هلال[8] أنّ كَلِمَة (اللُغَة) لم تَعْرِفْ طريقَها إلى الظُهُور بينَ مفرداتِ العَرَبِيَّة إلّا بَعدَ انتهاءِ القرنِ الثانيْ الهِجْريّ عندما أُطْلِقتْ على ما جَمَعَهُ الرُّواةُ مِن البادِيَة بعد فُشُوّ اللحْنِ، في حِيْنِ أنَّ الحديثَ الشريفَ اسْتَعملَ كَلِمَة (اللُغَة)، فقَدْ جاء في مُسْنَدِ الإمام أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ بِسَنَدِهِ عن أبي هُريرةَ، قال رسولُ الله ﷺ: ((ما بَعَثَ الله نبيًّا إلا بلُغَة قومِه))[9]،

---

[1] ينظر: الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني ٣٤/١، الطبعة الرابعة د.ت، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[2] للعجاج في المقاصد النَّحْويّة في شرح شَوَاهِد شروح الألفية بدر الدين محمود بن أحمد العيني(ت:٨٥٥هـ) تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر٣/١٤٣٣ الطبعة الأولى:١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة – جُمْهُورية مصر العَرَبِيَّة.

[3] المؤمنون/٣

[4] الفرقان من الآية/٧٢

[5] النبأ/٣٥

[6] القصص من الآية/٥٥

[7] صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ١٣/٢(ح:٩٣٤) الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

[8] ينظر اللَهْجَات العَرَبِيَّة نشأة وتطورًا د. عبد الغفار حامد هلال ص:٢٤ الطبعة الثانية:١٤١٤هـ/١٩٩٣م، مكتبة وهبة.

[9] ينظر: مسند أحمد أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ٣٢٣/٣٥(ح:٢١٤١٠)، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، وجامع الأحاديث للسيوطي برقم ١٨٧٤٤، وقال الهيثمي: رجاله كلهم ثقات، وصححه الألباني في الصحيحة رقم: ٣٥٦١

فكَلِمَة لُغَة اُسْتُعْمِلتْ في الحديثِ الشريفِ، وكَثُرَ استعمالُها وشاعَ بين العرب، حتى غَلَبَتْ كَلِمَة (لسان) التي تستعملُها اللُغَات السّاميّة .

فلم تكنْ لفظة (لُغَة) مِن كلماتِ القُرْآن التي نوقِشَتْ وبُحِثَ في أصلها، ولكنْ أيضًا لم يَرِدْ لها ذِكرٌ في كُتُبِ المُعَرّبات؛ لأنّها في نظرهم عربية النّجَارِ، وقد استعملتها المُعْجَماتُ قال صاحبُ العين: ((اللُغَة واللُغَات: اختلاف الكلام في معنى واحدٍ، ولَغَا يَلْغُو لَغْوًا يَعْني اختلاطَ الكلام في الباطلِ، وقول اللهِ عَزّ وجَلّ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ أيْ: بالباطلِ))[1]، قال ابنُ دُريد[2] (ت:٣٢١هـ): ((واللُغَة معروفةٌ وجمعُها لُغَات ولُغُونُ ولُغِين ولُغَىً))[3] وقال الأزهري: اللُغَة مِن لَغَا إذا تَكَلّمَ، وأوردَ قولَ الأصْمَعِي: إذا أردْتَ أنْ تنتفعَ بالأعْرَاب فاسْتَلْغِهِمْ: أيْ اسْمَعْ لُغَاتِهم[4]، واللّغَى: الصوتُ بلُغَة أهلِ الحِجَاز كما في كتاب الجيْم[5]، واللّغَى صوتُ الطائرِ في البُكُورِ، وقد جاء في بعض المَعاجم العَرَبِيَّة أنّ مِن معاني اللُغَة (اللّحْن) وسَيَأتي[6] بَعْدَ قليلٍ قولُ أبي مَهْدِيّةِ: ليس هذا مِن لحْنِي ولا مِن لَحْن قومِي، أيْ: مِن نحْوِي ومذهبي الذي أمِيْلُ إليهِ وأتكلّمُ به يعني لغته ولَسَنَهُ، وقد رُوِيَ أنّ القُرْآن نَزَلَ بلحن قُرَيْش، أيْ بلغتِهم، ومنه قولُهم ((تعَلّمُوا

---

[1] كتاب العين الخَلِيْل بن أحمد الفراهيدي ٤٤٩/٨ باب الغين واللام والواو (لغو) تحقيق د. مهدي المخزومي و إبْرَاهِيم السامرائي دار ومكتبة الهلال.

[2] **ابن دريد:** أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عمان من قحطان، من أئمة اللُغَة والأدب. كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ولد في البصرة سنة ٢٢٣هـ، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاما، وعاد إلى البصرة. ثم رحل إلى فارس، فقلده (آل ميكال) ديوان فارس، ومدحهم بقصيدته (المقصورة الدريدية) ثم رجع إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارا، فأقام إلى أن توفي سنة ٣٢١هـ. من كتبه (الاشتقاق) و(المقصور والممدود) و(الجمهرة)و (المجتنى) و(الملاحن) و(تقويم اللسان) و(السحاب والغيث) و(صفة السرج واللجام) و(الأمالي) و(اللُغَات) و(أدب الكاتب) و(زوار العرب وغيرها. وجاء في خزانة الأدب للبغدادي ٤٩٠/١ – ٤٩١ ((كان مواظبا على شرب الخمر، قال ابن شاهين: كنا ندخل عليه فنستحيي مما نرى عنده من العيدان والشراب المصفى)). وفي مراتب النَّحْوِيِّيْنَ: ((ما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر ابن دريد)). [الأعلام للزركلي]

[3] جمهرة اللُغَة أبو بكر محمد الحسن بن دريد الأزدي تحقيق: رمزي منير البعلبكي ٤١/٢(غله) الطبعة الأولى: ١٩٨٧م، دار العلم للملايين – بيروت.

[4] تهذيب اللُغَة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب ١٠١/٣(لغا)، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

[5] ينظر: الجيم أبو عمرو اسحاق بن مرار الشيباني تحقيق: إبْرَاهِيم الأبياري ١٩٤/٣باب اللام، عام النشر:١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية– القاهرة.

[6] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الأول: المبحث الأول: المطلب الأول: العرب والسليقة واللحن

الفرائضَ والسّنّةَ واللّحْنَ كما تتعلمون القُرْآن))[1]. وإضَافَة اللُّغَة إلى كَلِمَة العَرَبِيَّة أوْرَدَهُ الخَلِيْل بنُ أحمدَ[2] في مُعْجَمِه قال: ((... وذلك أسلوبُ اللُّغَة العَرَبِيَّة))[3].

تعريف علماء العرب للُغَة

وأمّا اصْطِلاحًا فقدِ اختلفَ العلماءُ في تعريفِهم للُغَة ومفهومِها، وليس ثَمّةَ اتفاقٌ على مفهومٍ محددٍ لها؛ ويَرْجِعُ سببُ كثرةِ التعريفاتِ وتَعددّها إلى ارتباطِ اللُّغَة بكثير مِن العلوم، فانتقاءُ تعريفٍ لها ليس بالعمليةِ اليسيرةِ، ونستعرضُ بعضَ التعريفاتِ الشائعَةِ لها عند القدماء والمحدثين من علماء العرَبِ. فمن تعريفات القدماء:

١. عَرّفَها ابنُ جنّي[4](ت:٣٩٥هـ) بأنها ((أصواتٌ يُعَبّرُ بها كلُّ قوم عن أغراضِهم))[5] .
٢. قال ابنُ الحاجب(ت:٦٤٦هـ): حَدُّ اللُّغَة كلُّ لفْظٍ وُضِعَ لمعنى[6].
٣. قال الأَسْنَويّ[7](ت:٧٧٢هـ): ((اللُّغَات عبارةٌ عن الألفاظ الموضوعةِ للمعانِي))[8].
٤. عَرّفها ابنُ خلدون[9](ت:٨٠٨هـ) فقال: ((عبارة المُتَكَلّم عن مقصُودِه. وتلك العبارةُ فِعْلٌ لِسَانيّ ناشِئٌ عن القصْدِ بإفادةِ الكلام فلابدّ أنْ تصيرَ مَلَكَةً مُتَقَرّرَة في العُضْو الفاعل لها وهو اللّسانُ وهو في كُلّ أمّةٍ بحَسَبِ اصْطِلاحاتهم))[1].

---

[1] أساس البلاغة محمود بن عمر للزمخشري تحقيق.محمد باسل عيون السود ١٦٤/٢(لحن)، ط ١٤١٩/١هـ – ١٩٩٨م – دار الكتب العلمية – بيروت.

[2] **الخَلِيْل بن احمد:** هو الخَلِيْل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري، ولد سنة ١٠٠ هـ، شيخ سيبويه، وأول من ألف العروض، توفي سنة ١٧٠هـ له (العين) و(العروض) و(النقط والشكل) وغيرها.

[3] كتاب العين ٣٨١/٣(فكه).

[4] **ابن جني:** أبو الفتح عثمان بن جني الأزدي بالولاء، مولده في الموصل وانتقل إلى بغداد ولازم أبا علي الفارسي طويلًا وبرع في اللغة والنحو، عاصر المتنبي وجمع شعره وشرحه، واشتهرت مؤلفاته ومن أبرزها(الخصائص) و(المحتسب) و(اللمع) و(وسر صناعة الإعْرَاب) و(المنصف) وغيرها.

[5] الخصائص ٣٤/١.

[6] ينظر: المَزْهَر في علوم اللُّغَة وأنواعها جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُوطِي تحقيق: فؤاد علي منصور ص:١٢ الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية – بيروت.

[7] **الإسنوي:** أبو محمد جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ: فقيه أصولي، من علماء العَرَبِيَّة. ولد بإسنا ٧٠٤هـ، وقدم القاهرة سنة ٧٢١ هـ فانتهت إليه رياسة الشافعية. من كتبه: (نِهَايَة السول شرح منهاج الأصول) و (التمهيد) توفي سنة ٧٧٢هـ.

[8] نِهَايَة السول في شرح منهاج الأصول عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي ص:٧٨، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الكتب العلمية – بيروت.

[9] **ابن خلدون:** ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس.كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية.اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم

ومن تعريفات المحدثين :

٥. عَرّفَها الدكتور صُبْحي الصالح[٢] فقال: ((التعريفُ الجامِعُ للُغَة أنّها نظامٌ مِن الرموز المُتَوَاطَإِ عليها يتفاهمُ بها جماعةٌ مِن الناس ينتمون إلى مجتمع خاصّ، يُسْهِمون في حضارة، فهي لا تختصُّ بإقليمٍ ولا بأناسٍ معينين، وإنما تكونُ لمجتمع بأَسْرِه))[٣].

٦. عَرّفها الدكتور تمّامُ حسّان[٤] بأنّها ((منظَمَةٌ عُرْفيّة للرمز إلى نشاطِ المجتمَع، وهذه المنظمة تشتملُ على عَدَدٍ مِن الأنظمةِ – وقد سمّيْناها مِن قبْلُ بالأجهزة– يتألّفُ كلُّ واحدٍ منها مِن مجموعةٍ مِن "المعاني" تقف بإزائها مجموعةٌ مِن الوحدات التنظيْمِيّة أو "المباني" المُعَبّرةِ عن هذه المعاني، ثم مِن طائفةٍ مِن "العلاقات" التي تَربِطُ ربْطًا إيجابيًّا،

والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) وهي تعد من أصول علم الاجتماع،ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) و (شفاء السائل لتهذيب المسائل)، توفي سنة ٨٠٨هـ.

[١] مقدمة ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي تحقيق: خليل شحادة ٧٥٣/١ الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار الفكر – بيروت.

[٢] **صبحي الصالح:** هو صبحي إبراهيم الصالح، ولد في طرابلس في لبنان سنة ١٩٢٦م .دراسته الثانوية المدنية والشرعية في دار التربية في طرابلس وفي السنة الأولى من دراسته الشرعية سنة ١٩٣٨م رغب في ارتداء الزي الديني وبدأ يخطب أيام الجمعة في المساجد ولم يكد يبلغ الثانية عشرة من عمره.جمع بين الثقافتين الشرعية والمدنية منذ انتسابه إلى كلية أصول الدين في الأزهر الشريف سنة ١٩٤٣م،قدم إلى باريس سنة ١٩٥٠م ونال شهادة دكتوراه الدولة في الآداب سنة ١٩٥٤م،أمضى في التدريس الجامعي اثنين وثلاثين عاماً،حاضر بصفة أستاذاً زائراً في كثير من الجامعات العربية منها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض والكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين في الجامعة التونسية وسمي مشرفاً على رسائل الدكتوراه في الدراسات الحضارية واللغوية والإسلامية في جامعة ليون الثالثة بفرنسة وفي جامعة باريس الثانية،انتسب إلى العديد من المجامع والأكاديميات : فهو عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وعضو أكاديمية المملكة المغربية ، وعضو المجمع العلمي العراقي في بغداد ، وعضو لجنة الاشراف العليا على الموسوعة العربية الكبرى.استشهد في لبنان عام (١٤٠٧/ ١٩٨٦م)

[٣] اللَهْجَات العَرَبِيَّة في معاني القُرْآن للفراء د. صبحي الصالح ص:٢٧ الطبعة الأولى: ١٩٨٦م، دار الطباعة المحمدية – القاهرة.

[٤] **تمام حسان:** عالم لغوي، ولد بقرية الكرنك بمحافظة قنا بصعيد مصر (٢٧ يناير ١٩١٨م)، صاحب كتاب (اللُغَة العَرَبِيَّة معناها ومبناها) الذي وضع فيه نظرية خالفت أفكار النحوي الكبير سِيْبَوَيْهِ. يعد تمام أول من استنبط موازين التنغيم وقواعد النبر في اللُغَة العَرَبِيَّة، وقد أنجز ذلك في أثناء عمله في الماجستير (عن لَهْجَة الكرنك) والدكتوراه (عن اللَهْجَة العدنية) وشرحه في كتابه "مناهج البحث في اللُغَة" عام ١٩٥٥م. عميد كلية دار العلوم الأسبق وأستاذ علم اللُغَة الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في اللُغَة العَرَبِيَّة والآداب العام ١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٦م. أسس الجَمْعية اللُغَوِيّة المصرية عام ١٩٧٢م، وانتخب عضوًا بمجمع اللُغَة العَرَبِيَّة عام ١٩٨٠م، من مؤلفاته: (مناهج البحث في اللُغَة)، و(اللُغَة العَرَبِيَّة بين المعيارية والوصفية)، و(البيان في روائع القُرْآن)، و(الخُلَاصَةُ النَّحْوِيّة) وغيرها.

والفروق "القِيَم الخلافيّة" التي تَرْبِط سلبيًّا – بإيْجاد المقابِلات ذاتِ الفائدة– بين أفرادِ كلٍّ مِن مجموعةِ المعاني أو مجموعةِ المباني))[1] .

٧. عَرّفها الدكتور أنيس فريحة بأنّها((ظاهرةٌ بسيكولوجية[كذا] اجتماعية ثقافية مكتسَبَة، لا صِفَة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألّفُ مِن مجموعةِ رموزٍ صوتيةٍ لُغَوِيّة اكْتَسَبَتْ عن طريق الاختبار معانيَ مقرّرَةً في الذهْن))[2].

٨. عَرّفها الدكتور محمودُ السّعْرانُ بأنّها الأصواتُ التي يُحْدِثُها جهازُ النّطْق الإنسانيّ والتي تُدركُها الأُذُنُ، هذه الأصواتُ التي تؤلّف بطرائقَ اصْطِلاحيّةٍ في كلمَاتٍ ذاتِ دلالاتٍ اصْطِلاحيّة[3].

٩. عَرّفَها الدكتور عبدُ الوهّابِ حمودة بأنّها((الألفاظُ التي تدلُّ على المعاني، من أسماءٍ وأفعالٍ وحروفٍ، ويُرَادُ بها النحوُ، وهو طريق تأليفِ الكلماتِ وإعرابِها للدّلالةِ على المقصودِ، وكذا يُرَادُ بها كلُّ ما يتعلّقُ باشتقاق الكلماتِ وتوليدِها، وبِنْيَةِ الكلماتِ ونَسْجِها))[4].

١٠. وقيل: ظاهرةٌ اجتماعيّةٌ تُسْتَخدَمُ لتحقيقِ التّفاهُم بين الناسِ[5].

١١. ويُعَرّفُها علمَاءُ النفس بأنّها: استعمالُ رموزٍ صوتيّةٍ منظّمَةٍ للتعبير عن الأفكارِ ونقْلِها مِن شخصٍ إلى آخَر[6].

ويذهب علمَاءُ اللُّغَوِيّاتِ إلى تعريفِ اللُّغَة بأنّها: «مجموعة اللَّهْجَات التي تنتمي إلى بيئةٍ معَيّنة» . وهناك تعريفاتٌ أخرى لعلمَاءَ غربيين ذَكَرَهم الأستاذ جون ليونز في كتابه (اللُّغَة وعلم اللُّغَة)[7]، ليس هاهنا مجالُ تفصِيلِها وتحْلِيْلِها.

تعريف اللَّهْجَة

ذَكَرَتِ المَعَاجمُ العَرَبِيَّة بعضَ المعاني اللُّغَوِيّة للجِذْرِ(لَهَجَ)، ففي المقاييس[8] أنّ اللّامَ والهَاءَ والجيمَ أصْلٌ صحيحٌ يدلُّ على المثابَرةِ على الشيء وملازمَتِه، أو يدلُّ على اختلاطٍ في الأمْرِ،

---

[1] اللُّغَة العَرَبِيَّة معناها ومبناها د. تمام حسان عمر ص:٣٤ الطبعة الخامسة: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، عالم الكتب.

[2] اللَّهْجَات وأسلوب دراستها د. أنيس فريحة ص:٣٧ الطبعة الأولى:١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الجيل – بيروت.

[3] ينظر: علم اللُّغَة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران ص:٦٣ د.ط، د.ت دار النهضة العَرَبِيَّة– بيروت.

[4] القراءات واللَّهْجَات د. عبد الوهاب حمودة ص:٥، الطبعة الأولى: ١٩٤٨م، مكتبة النهضة – القاهرة.

[5] سيكولوجية اللُّغَة والمرض العقلي د/جمعة سيد يوسف ص: ٥١ سلسلة عالم المعرفة العدد ١٤٥/يناير/١٩٩٠م

[6] ينظر: اللَّهْجَات العَرَبِيَّة عبد الغفار هلال ص:٣١

[7] ينظر: اللُّغَة وعلم اللُّغَة جون ليونز ص:٤– ١٠ الطبعة الأولى: د.ت، دار النهضة.

[8] ينظر: مقاييس اللُّغَة أحمد ابن فارس تحقيق. عبد السلام هارون ٢١٤/٥ (باب اللام فصل الهاء) – ط/١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – دار الفكر – بيروت.

وفي الصّحَاح: اللّهْجُ الوُلُوْعُ بالشيء[1]، ولَهَجَ فلانٌ بالشيء: إذا كَلِفَ به، لَهَجَ الفَصِيْلُ ثَدْيَ أمِّهِ: إذا رَضَعَها فهو لَهُوجٌ[2]، ولَهْوَجَ اللحمَ وتَلَهْوَجَه: إذا طَبَخَهُ ولم يُنْضِجُهُ .

وجاء في مُعْجَم مقاييس اللُّغَة[3]: إنّ اللَّهْجَة هي اللسَانُ بما ينطقُ به مِن الكلام، وسُمّيَتْ لَهْجَة لأنّ كُلًّا يَلْهَجُ بلغتِهِ وكلامِه . وفي أسَاسِ البَلاغةِ[4]: أنّ اللَّهْجَة مرادِفَة للّحْنِ. والمتصَفّحُ للموروث اللُّغَوِيّ لا يكادُ يَظْفَرُ بتعريفٍ لمصْطلَح (اللَّهْجَة)، وربّما عَثر على بعضِ الآراءِ التي تَضَعُ كَلِمَة (اللَّهْجَة) مرادِفة لكَلِمَة (اللُّغَة) كما هو معروفٌ عن أبي عمرِو بنِ العَلاءِ[5]، شيخ الرّواةِ عندما قال: ((أَتّبِعُ الأغْلبيّةَ وأُسَمّيْ مَا خَالَفَنِي لُغَات))[6]. وكثيرًا ما نقرأ في مصنّفاتِهم اللُّغَوِيّة عباراتٍ مِثْلَ: هذه لُغَة رديئة، وهذه لُغَة فلان، وهذه لُغَة قَبِيْلَة كذا، وهذه لُغَة..

ويذهبُ علماءُ اللُّغَوِيّاتِ إلى تعريفِ اللَّهْجَة بأنّها: ((مجموعةٌ مِن الصّفاتِ اللُّغَوِيّة، تنتمي إلى بيئةٍ خاصّةٍ، ويشتركُ في هذه الصّفاتِ جميعُ أفرادِ هذه البيئة))[7].

وعَرّفها الدكتور عبدُ الوهّاب حمودة بأنّها((أسلوبُ أداءِ الكَلِمَة إلى السامع مِن مِثْلِ إمالةِ الفَتحَةِ والألِفِ أو تفخيمِها، ومِثْلِ تسْهيلِ الهَمْزةِ أو تحقيقِها، فهي محصورةٌ في نفْسِ الألفاظِ وصوت الكلمات، وكلّ ما يتعلقُ بالأصواتِ وطبيعتها وكَيْفِيّة أدائها))[8].

ويُعَرّفُها الدكتور عبدُ الغفّار هلالٍ بأنّها ((طريقةٌ معينةٌ في الاستعمال اللُّغَوِيّ توجدُ في بيئةٍ خاصّةٍ مِن بيئاتِ اللُّغَة الواحدة))[9] .

---

[1] ينظر: تاج اللُّغَة وصحاح العَرَبِيَّة ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق. احمد عبد الغفور عطار ٣٣٩/١ (باب الجيم فصل اللام) – ط ١٤٠٧/٤هـ – ١٩٨٧م – دار العلم للملايين – بيروت.

[2] ينظر: أساس البلاغة محمود بن عمر للزمخشري تحقيق.محمد باسل عيون السود ١٨٢/٢ (كتاب اللام) – ط ١٤١٩/١هـ – ١٩٩٨م – دار الكتب العلمية – بيروت.

[3] مقاييس اللُّغَة ٢١٥/٥

[4] ينظر: أساس البلاغة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري جار الله تحقيق: محمد باسل عيون السود ٢: ١٦٤، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

[5] **أبو عمر بن العلاء:** أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار المازني، أحد القراء السبعة المشهورين، كان إمام البصرة في القراءات والنحو واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين توفي سنة ١٥٤هـ.

[6] طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُّغَوِيّين أبو بكر محمد بن الحسين بن مذحج الزبيدي(ت:٣٧٩هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم ص:٣٩، الطبعة الثانية: د.ت، دار المعارف.

[7] في اللَّهْجَات العَرَبِيَّة د. إبْرَاهِيم أنيس ص:١٥ طبعة:٢٠٠٣م، مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة.

[8] القراءات واللَّهْجَات د. عبد الوهاب حمودة ص:٤.

[9] اللَّهْجَات العَرَبِيَّة عبد الغفار هلال ص: ٣٣.

العلاقة بين اللُغَة واللَهْجَة

لم تكنِ العلاقةُ بين اللُغَة واللَهْجَة واضحةً في أذهَانِ اللُغَويّين العربِ ؛ لذلك نجِدُ بعضَهم يَخْلُطُ بينهما، ويَعُدّ اللَهْجَات العَرَبِيَّة كلَّها لُغَات مختلفةً، وكلّها حُجّة[1]. وأَطْلَقَ تْشِيم رابِين على هذا التخليطِ (فَوضَى الاشتراكِ اللفظِي لكَلِمَة لُغَة)[2]، مستدلًا بقَوْلِ أبِي عمْرو بنِ العَلاءِ السابق. واللُغَة تشتملُ عادةً على عِدّةِ لَهْجَات، لكلٍّ منها ما يميّزُها، وجميعُ هذه اللَهْجَات تشتركُ في مجموعةٍ مِن الصّفاتِ اللُغَوِيّة، والعاداتِ الكلاميّةِ التي تُؤلّفُ لُغَة مستقلةً عن غيرها مِن اللُغَات، وهو ما يشيرُ إليهِ عددٌ مِن التعاريفِ السابقةِ للُغَة.

إنّ البحثَ في اللَهْجَات أَخَذَ يشقُّ مسارهُ منذ بداياتِ القرن التاسعِ عَشَر الميلاديّ على يد الباحثين اللُغَوِيّين الغربيين أمثال "فرانز بوب" و"ديز" و"فالين" و"لاندبرج"، وأصبح يشكّلُ أحد مباحثِ علْم اللُغَة العام. أمّا بدايتُهُ في الدرس اللُغَوِيّ العربيّ الحديث فإنّها تعودُ إلى مَطْلَع الأربعينيّات مِن هذا القرن على يد اللسانيين الوصفيين، وخاصّة جيْلُ الرُوّاد الذين ابْتُعِثُوا للدراسةِ في الجامعاتِ الغربية، ومِن هؤلاءِ إبراهيمُ أنيسٍ، وتمّامُ حسّان وغيرُهم ممّن أَسْهَمَ في هذا العلم. وصَحَبَ هذه الدّراساتِ اللهجية نُضْجُ التصّورِ لمفهوم اللَهْجَة ممّا أعانَ على وضْعِ تعريفٍ ناضِج لها، فتُعَرّفُ اللَهْجَة بأنّها: ((مجموعة مِن الصّفات اللُغَوِيّة التي تنتمي إلى بيئةٍ خاصّة، ويشتركُ أفرادُ هذه البيئةِ في هذه الصّفات))[3].

وبالنظر في تعريفَي اللُغَة واللَهْجَة نَجِدُ أنّ اللُغَة أعَمُّ مِن اللَهْجَة، وأنّ بينهما ـ كما يقولون ـ عمومًا وخصوصًا مِن كلّ وجْهٍ، كما نستطيع أنْ نَلْحَظَ بأنّ أيّة لُغَة لابُدّ لهَا مِن أنْ تكونَ مشتمِلةً على جُمْلَة مِن اللَهْجَات لقَبَائِل شَتّى ومختلفة[4]، ولَئنْ أُطْلِقَ على لَهْجَة قَبِيْلَة واحدةٍ مِن القَبَائِل وصْفُ «اللُغَة»، فلا يعدو ذلك أنْ يكونَ مَجازًا في واقع الأمر. ويمكنُنا أيضًا أنْ نَلْحَظَ وجودَ مرونةٍ وَسَعَةٍ في اللُغَة لا نجدُ شبيْهًا لها في اللَهْجَة، إذ بينما تتّسِع اللُغَة لتستوعبَ جُمْلَة مِن اللَهْجَات وطرائق التعبير لمختلفِ القَبَائِل نجد أنّ اللَهْجَة لا تعترفُ إلا بطريقةٍ واحدةٍ في

---

١ ينظر: الخصائص ١٢/٢، وفصول في فقه اللُغَة العَرَبِيَّة د. رمضان عبد التواب ص: ٧٣ الطبعة السادسة:١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، مكتبة الخانجي.

٢ ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة القديمة في غرب الجزيرة العَرَبِيَّة تشيم رابين ترجمة: د. عبد الكريم مجاهد ص:٤٦ الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م، المؤسسة العَرَبِيَّة للدراسات والنشر – بيروت.

٣ في اللَهْجَات العَرَبِيَّة إبْرَاهِيم أنيس ص:١٥، و فصول في فقه اللُغَة العَرَبِيَّة رمضان عبد التواب ص: ٧٢، واللُغَة لفندريس ص:٢١٣.

٤ ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة إبْرَاهِيم أنيس ص: ١٥

التعبير، وأيّة طريقةٍ تحِيْدُ عنها سواء في التعبير أو في التركيب أو في التأليف، فإنّها تُعْتَبَرُ خروجًا على المألوفِ، وابتعادًا عن الجادّةِ، مما يَعْنِي تميّز اللَهْجَات بالمحافظةِ وعدم الانفتاح، وما ذلك إلّا لأنّها تتميزُ بكونِها أسلوبًا لأداء الكَلِمَة وتوصيل المعنى إلى السامع، ولهذا فلا غَرْوَ أنْ يَسْهُلُ على أصحابِ اللَهْجَات معرفة الغرباءِ والدخلاء على ساحتهم، وليس كذلك الحالُ في اللُغَات التي يتميز العقلاء مِن أربابها بالانفتاح على سائر اللَهْجَات، وبتقبُّل شتى القَبَائِل بلَهْجَاتهم إضَافَة إلى ابتعادهم عن التفاضل بين اللَهْجَات.

والاختلافُ في اللَهْجَات يَرْجِعُ إلى مجموعةِ خصائصَ في طبيعةِ الصفاتِ الصوتيّةِ تتمثلُ في الآتي[1]:

١. اختلافٍ في المخرج .
٢. اختلافٍ في وضْعِ أعضاءِ النطق.
٣. مقياسِ بُعْدِ أصوات اللين.
٤. مقياسِ النغمةِ الموسيقيةِ .
٥. اختلافً في قوانينِ التفاعُلِ بين الأصوات.

ومهما يكنْ مِن شيءٍ فإنّه يَصْعُبُ علينا وضْعَ خَطّ فاصِلٍ بين اللُغَة واللَهْجَة[2]، لكنْ متى بَرَزَتْ تلك الصفاتُ واتّضَحتْ للسامعين؟ أمْكَنَ القولُ أنّ هناك لَهْجَة نشأتْ وتميّزتْ . وليس هناك رابطٌ بين اللَهْجَة الواحدةِ بوصْفِها كتلة واحدة وبين سَعَة بيئتِها وانتشارِها؛ إذ مِن المشاهد أنَّ الاتصالَ بين أبناءِ مجموعتين يتكلمون لغتين مشتركتين رسميتين ذواتي أصل واحدٍ كالإيطاليّةِ والإسبانيةِ يكونُ أسهلَ منه بين أبناءِ لهجتين تنتسبان إلى لُغَة رسميةٍ واحدة[3]؛ لأنّ اللُغَة كانتْ يومًا لَهْجَة مِن لَهْجَات كثيرةٍ للُغَة أمٍّ، ثم حدثَتْ عواملُ سنذكرُها

---

[1] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة ص: ١٦، و اللَهْجَات العَرَبِيَّة عبد الغفار هلال ص:٣٥، ولَهْجَة تَمِيْم وأثرها في العَرَبِيَّة الموحدة د. غالب فاضل المطلبي ص:٣٠- ٣١ طبعة: ١٩٧٨م، منشورات وزارة الثقافة والفنون- الجُمْهُورية العراقية، سلسلة دراسات (١٥٥).

[2] هناك اتجاه في الدرس الحديث يرى أنه لا وجود للَهْجَات في اللُغَة الواحدة بناء على أن المكان واحد لا يمكن تجزئته من هؤلاء: بول ميرو، وجاستين باري، وجوهان شميدت صاحب نظرية الأمواج. فالظواهر اللُغَوِيّة متداخلة كالأمواج يتعذر الفَصْل بينها أو بيان حدودها. وعلى هذا المذهب فإطلاق قدمائنا كَلِمَة(اللُغَة) على اللَهْجَات فيه شيء من الصواب. فالسُّيُوطِي في الهَمْع لم يذكر مصطلح اللَهْجَة أو اللَهْجَات، وإنما ذكر مصطلح (اللُغَات) وهي مرادفة للَهْجَات في اللسان العربي.

[3] ينظر: أسس علم اللُغَة ماريو باي ترجمة: أحمد مختار عمر ص:٢١١، الطبعة الثانية: ١٩٨٣م، عالم الكتب – القاهرة.

لاحقًا[1] أدّتْ إلى مَوْتِ الأمِّ وانتشار بناتِها في بقاع الأرضِ مكونةً لُغَة لها خصائصها ومميزاتها[2] .

فكَلِمَة (اللُغَة) لم تُسْتَعْمَلْ في مُحْكَم التنزيلِ وإنّما اسْتُعْمِلَتْ كَلِمَة (لسان) إذ وَرَدَتْ خمسَ عشْرةَ مرةً مفردة، منها ثلاثُ مرّاتٍ نَصّتْ فيها على ذِكْرِ اللسَان منعوتًا بأنّه عربيٌّ، قال تَعَالَىْ: ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[3] وقال: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾[4] وقال أيضا ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[5]، أمّا كَلِمَة اللسان جَمْعًا فقد وَرَدَتْ عشْرَ مراتٍ في القُرْآن . وهي كَلِمَة مشتركةُ اللفظِ والمعنى في مُعظم اللُغَات الساميّة[6]. ويبدو أنّ لُغَة القُرْآن الكريم ليستْ لغة قبيلةٍ واحدة، بل أُنْزِلَ بلسانِ جميع العربِ، واستخدم لفظة (لسان) بدلًا مِن (لُغَة) للتأكيْدِ أنّ لغتَه ليست لغة قبيلة واحدة مِن قبائل العرب، بلْ هي لسانُ جميعِ العربِ. وقد قال تَعَالَىْ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[7]، ولم يقلْ قرشِيًا، وهذا يدلّ أنّه منزّلٌ بجميع لسان العرب، وليس لأحَدٍ أنْ يقولَ أرادَ قُرَيْشا مِنَ العربِ دُونَ غيرها[8] . وبُنَاءً على هذا يمكنُنا أنْ نقرّرَ أنّ للقرآن الكريم لُغَة وليس لَهْجَة، ويمكن تعريف تلك اللُغَة بأنّها: مجموعُ لَهْجَات القَبَائِل التي اشتهرتْ بالفَصَاحَة والبيانِ، واستخدم القُرْآن ألفاظها وأساليبَها وقوانينَها تبيينًا وتفصِيلًا وتأسِيسًا.

هل تُشَكِّلُ اللَهْجَات خطَرًا على الفُصْحَىْ

إنّ استمرارَ اللَهْجَات لا يشكّلُ أيَّ خطرٍ على الفُصْحَىْ التي عاشت كلَّ هذه القرون بما فيها عصور الضَّعف اللُغَوِيّ والأدبي، فقدْ ظلَّ هناك تَعَايشٌ بين المستويين في المجتمع الواحدِ، وإنْ أخذَتِ اللُغَة العَرَبِيَّة المُتَكَلِمَة بالابتعادِ عن الشّكلِ النموذجي الذي قعَّدَهُ النحويون تأسيسًا على لُغَة القُرْآن الكريم والشِّعْر الجاهلي.

لا يوجَدُ دليلٌ على صِحّة ما قيل وما يُقالُ مِن أنّ اللَهْجَات العَرَبِيَّة نشأتْ بعد أنْ فَسَدَ اللسانُ العربيُّ بدُخُوْل الأعاجم إلى الإسلام، بلْ هناك أدلّة تثبتُ عكسَ هذا الرأي، وترى أنَّ

---

[1] ينظر من هذه الرسالة: الفَصْل الأول، المبحث الأول، المطلب الثاني: تعدد اللُغَات أسبابه وصوره .

[2] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة إبْرَاهِيم أنيس ص:٢٠- ٢١

[3] النحل من الآية/١٠٣

[4] مريم من الآية/٩٧، و الدخان من الآية/٥٨

[5] الشعراء/١٩٥

[6] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة إبْرَاهِيم أنيس ص:١٥

[7] الزخرف من الآية/٣

[8] ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسين علي بن خلف ابن بطال(ت:٤٤٩) تحقيق: ياسر بن إبْرَاهِيم ٢١٩/١٠ الطبعة الثانية:١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض.

الازدواجَ اللُغَوِيّ «فصحى + لَهْجَة» قديمٌ، وأنَّ اللَهْجَات العَرَبِيَّة المعاصرة منحدِرة مِن طَوْرٍ أقْدَمَ للُغَة العَرَبِيَّة، وأنّ الاختلافَ بين اللَهْجَات العَرَبِيَّة الآن هو استمرارٌ للاختلافات اللهجية القديمة.

إنّ وجودَ لَهْجَات عربيةٍ ربّما لم يتوافرْ في لُغَة أخرى، يقول السعيد محمد بدوي في دراسة له عام ١٩٩٦م: إن وجود مستويين لُغَوِيّين في متناول المبدع العربي يتيح له لو أراد نوعًا من الغنى التعبيري لا يوجد بذات العمق لدى زميله في بعض اللُغَات، ولكن أحادية النظرة التي يتعامل بها الناقد العربي مع قَضِيّة اللُغَة تقف حجر عثرة أمام دراسة القَضِيّة من منظورها الفني[١].

إنّ و جودَ لَهْجَات عربيةٍ قديمةٍ إلى جانبِ الفُصْحَىْ يشكّلُ عاملَ ثراءٍ وتنوعٍ، ويرجح وجودُ إبداع شعري ونثري كثير وسيلتُه اللَهْجَة المحلية لكنّه لم يصلْ إلينا لأنّ التدوينَ اقتصَرَ على الأدب المكتوب بالفُصْحَىْ باعتبارها اللُغَة النموذجية للإبداع، وظل الإبداع باللَهْجَة إبداعًا شفويًا وإذا ما دُوّنَ منه شيءٌ فإنه لا يحتفظُ بشكله اللهجِي الأساسي بل يتحول أثناء التدوين إلى شكلٍ يقتربُ كثيرًا مِن أشكالِ اللُغَة العَرَبِيَّة الأدبيةِ.

ينبغي – في رأي الباحث الشخصي – أنْ نتعاملَ مع ازدواجيّةِ اللُغَة بأُفُقٍ مفتوحٍ وعقليّةٍ مرنة، وألّا ننْصَرفَ عن الإبداع باللَهْجَة لمجرّدِ أنّه كَتَبَ بهذه الأداة اللُغَوِيّة، مثلما أنّه لا يَصِحُّ أنْ نَحْكمَ على قصيدةٍ بأنّها جيدة فقط لأنّها كُتِبَتْ بالفُصْحَىْ . إنّ ديوانَ الشّعر العربي الفصيح مليْءٌ بقصائدَ رديئةٍ لم تَشْفَعْ لها فَصَاحَة الأداةِ، فالشّاعريّة والإبداعُ لا يتحققان بمجرد اختيار مستوى لُغَوِيّ محدّدٍ . فهناك شعراءُ كبارٌ في المجتمع اللهجي لو أتيحِ لهم لنافسوا شعراء الفُصْحَىْ كالمحضار والقومندان، وغيرهما . ففي بعض النصوص اللهجية إبداعٌ لا يمكنُ إغفاله، وأن الاحتفاء بهذا الإبداع لن يؤثر في مكانة اللُغَة الفُصْحَىْ في عصر العلم والتنوير[٢].

إنَّ البحث في اللَهْجَات يُعَدُّ من مباحث علم اللُغَة العام، وتعود بداياته إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وان الدراسات اللهجية في الدرس اللُغَوِيّ الحديث تعود إلى بداية الاربعينات على يد اللسانين الوصفيين كما بيّنا، وإن مَنْهَج دراسة اللَهْجَات القديمة قد انسحب على اللَهْجَات الحديثة بأدبها العامي من خلال البحوث والدراسات الأكاديمية في الجامعات العَرَبِيَّة التي

---

١ ينظر: مجلة الجزيرة الالكترونية في معرض ردّ الدكتور عبدالله المعيقل على ما استنكره عليه الدكتور عبدالله سليم الرشيد في موضوع له كتبه في مجلة الثقافة العدد الثاني ١٤٢٤/٢/٥هـ .
http://www.al-jazirah.com/culture/12052003/madak58.htm

٢ ينظر: دراسات في تاريخ اللُغَة العربي د. حمزة قبلان المزني ص:١٣٤ الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، دار الفيصل الثقافية- الرياض.

تخصص أقساما علمية ذات مناهج معروفة مدروسة فيما يعرف باللسانيات والصوتيات لدراسة اللَهْجَات الحديثة وعمدتها الادب العامي .

فمن الواضح أن القُرْآن الكريم هو الذي حفظ اللُغَة العَرَبِيَّة، فقد كانت هناك عدة لَهْجَات عربية في الجزيرة العَرَبِيَّة قبل نزول القُرْآن الكريم، وكان يمكن أن تتطور كل لَهْجَة لتكون لُغَة مستقلة بالتالي كان يمكن أن تنشأ عدة لُغَات عربية في الجزيرة العَرَبِيَّة نتيجة وجود اللَهْجَات المختلفة للقَبَائِل، لكن القُرْآن الكريم عندما كتب بلسان قُرَيْش، جعل الديمومة والهيمنة لهذه اللَهْجَة على غيرها من اللَهْجَات مما أنشأ لُغَة عربية واحدة وقضى على إمكانية نشوء عدة لُغَات عربية .

الفصل الأول...

لُغَات العَرَبِ:

التَّعَدُّدُ والتَّوَحُّدُ

والتَقْعِيْد والاضطراب

المبحث الأول: لغات العرب

المطلب الأول: العرب والسّليقة، ونشوء اللحن

أولًا: العرب والسليقة

السّلْيقة: الطبيعة، والرَّجُل السليقيّ: الذي يكون مِن أَهل السّليقة، وهو الذي يتكلم بأَصلِ طبيعته (ولغته) ويقرأُ القُرْآن كذلك، بلا تتبع للقراء فيما نقلوه من القراءات[1]، قال الشاعر[2]:[من الطويل]

وَلَسْتُ بنحْوِيٍّ يَلُوكُ لسَانَهُ ... ولَكِنْ سَلِيقِيٌّ أقول فأعرب

قواعِدُ اللُّغَة وقوانينُها تجريْ على لسان المُتَكَلّم المستمع دُوْن أنْ يعيَها في الغالبِ وَعْيًا لازمًا؛ لأنّهُ اكتسبَها مِن ضِمْن اكتسابه للغته. فالمُتَكَلّم يرفع الكلام وينصُبُ، ويقدّمُ ويؤخّر، ويُظْهِرُ ويُضْمِرُ، ويَحذِف ويُقدّر، دَوْن أنْ يكونَ عارفا بالنحو الذي أنشأهُ النُّحَاة، ودُوْن أنْ تكونَ له معرفة بالقراءةِ والكتابةِ أصْلًا . وهو يقولُ شعْرًا موزونًا مقفّى دُوْن سابق معرفةٍ له بالبُحُورِ الشّعْرِيّة، ولا التفعيلاتِ ولا ما يَطْرَأ عليها مِن زِحَافات وعِلَل . وهو ينظم كلامه وفْقَ معاييرَ اللُّغَة فيأتي بالكلام الفصيح والبليغ، ويبين دون أن يعرف للإعراب ولا للإضمار معنى، ولا للحركاتِ والسَكناتِ ولا للإدغام أو الإعلال أو غيرها. فالعربيّ يتكلّم على سَجِيّته، وعالم النحو يتتبّعُ الكلام، ويَرْصُدُ الظاهرة اللُّغَوِيّة ويستنبِطُ القَاعِدَة، ويصُوغُها وفْق السياقات التي تطبّق فيها، والشروط الملازمة لها.

ومَن يقفْ على قوةِ طبْع العربِ وسلامةِ سلائقهم على الرغم مِن عدم معرفتِهم بقوانين النحو والتصريفِ يُدرِكْ أهميّةَ احتفالِهم بكلامِهم، وموقِفَ كلِّ قَبِيْلَة منهم تجاهَ مسألةٍ مِن مسائل القول، لأنَّ الواحدَ منهم وإنْ لا يَعْلمْ حقيقةَ أمرها بالصَّنْعَة ((فإنَّه يّجِدُه بالقوة))[3] ولذلك قال ابنُ جنّي: ((وإنَّما مكّنْتُ القولَ في هذا الموضوع ليَقْوِيَ في نفسِك قوة حِسُّ هؤلاء القوم، وأنَّهم

---

[1] ينظر: شرح شافية ابن الحاجب نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، تحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد ٢٨/٢، د.ط ،عام النشر: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، دار الكتب العلمية– بيروت.

[2] غير منسوب في المقاصد النَّحْوِيّة ٥٤٣/٤، ولسان العرب ١٦١/١٠(سلق)، وشرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري(ت:٩٠٥هـ) ٥٩٥/٢ الطبعة الأولى:١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان.

[3] الخصائص ٢٧٨/٢

يلاحظون بالمِنَّةِ والطِبَاع ما لا نلاحظه نحن عن طوْل المباحثةِ والسَّمَاع))[1] . ونَبّهَ الجرجاني[2] أنَّ ابنَ اللُغَة مع تمثّلِهِ لقواعدِها ربّما لا يستطيعُ تعليلَ الخطأ الحاصِل فيها، رغم إدراكِه له، وقد مثّل لذلك بالأَعْرَابيّ الذي قالَ حين سمِعَ المؤذّنَ يقول: أشهدُ أنّ محمدًا رسولَ الله، بالنصب، قال مُنْكِرًا: صَنَعَ ماذا؟ لأنَّ الأَعْرَابيَّ أَدْرَكَ اختلال التركيبِ مع عدم اكتمالِ البناءِ الصحيح للجُمْلَة .

علماءُ اللُغَة يرْوونَ لنا كثيرًا مِن الرواياتِ تُبيّنُ أنَّ العربيَّ لا يستطيعُ أنْ يتزحزحَ عن لغتِهِ ممّا لا يتفقُ مع الواقع اللُغَوِيّ ولا الوظيفةِ العضُويّةِ لجهاز النطْق، فلا نستطيعُ أنْ نتصوَّرَ أنَّ لُغَة هذا العربيَّ تخلو تمامًا مِن حرفٍ ما بحَيْثُ يصْعُبُ عليه نُطْقَهُ مع التلقين والتمرين، ولعلَّهم يبالغون في ما يرْوون[3] . فهذه القَضِيّة يتحملُ معظم تبعتَها الرواةُ، ولا يَسْلَمُ العلماءُ من بعض هذه التَّبِعَةِ ؛ فالمرويَّاتُ حين جُمِعتْ مِن أفواهِ أصحابِها لم يعنَ رواتُها بِعَزْوِ كلِّ أثَرٍ إلى قبيلته، فتكاثرتِ اللُغَات، و لم يَسْعَ النُّحَاة إلى إفرادِ لُغَة كلِّ قَبِيْلَة بقواعدَ خاصةٍ، ولو فعلوا لكُفُوا ذلك التعارضَ بين النصوص التي تنتمي إلى قَبَائِل مختلفةٍ والقواعد التي بَنَوْها، تلك القواعدُ التي وُضِعَتْ على الأكثر مِن كلام العربِ جُمْلَة دون تمييزٍ بين لُغَات كلِّ قَبِيْلَة على انفراد[4] .

ونحن نسوقُ جُمْلَة مِن المَرْويّات التي تدلُّنا على معرفتِهم للإعرابِ وتأمّلِهم مواقعَ الكلمات، وإنْ كانوا لا يعرفون مصطلحاتِ النحو ولا العلل ولا العوامل النَّحْويّة:

١. روَى ابنُ جنّي في خصائصِه قال: ((سألتُ يومًا أبا عبدِ الله محمدَ بنَ العَسّافِ العُقَيْلِي التَمِيْمي فقلتُ له: كيف تقولُ: ضربتُ أخوك؟ فقال: أقولُ: ضربتُ أخاك. فأدَرْتَه على الرفع فأَبَى، وقال: لا أقولُ: أخوك أبدًا. قلتُ: فكيف تقولُ ضربَنِيْ أخوك فرفعَ. فقلت: ألسْتَ زعمتَ أنَّكَ لا تقولُ: أخوك أبدًا، فقال: أيشٍ هذا! اختلفَتْ جهتا الكلام))[5].
٢. إهمالُ (ليس) في لُغَة تَمِيْم في القولِ المشْهُوْر: ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ[6]، ((حَدّثَنا أبو محمد قال: جاء عيسى بنُ عمرَ[7] الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء إلى أبي عمرو

---

[1] المرجع السابق ٢/٢٧٩

[2] ينظر: دلائل الإعجاز أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت:٤١٧هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر ١/٤١٩، الطبعة الثالثة:١٤١٣هـ- ١٩٩٢م – مطبعة المدني بالقاهرة – مطبعة المدني بجدة.

[3] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة للراجحي ص: ٦٣

[4] ينظر: مسائل الخلاف النَّحْويّة في ضوء الاعتراض على الدليل النقلي ص: ١١٠

[5] الخصائص ١/٧٧

[6] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني: المبحث الثالث: المَسْأَلَة (٣): ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ

[7] **عيسى بن عمر** الثقفي، عالم بالعَرَبِيَّة والنحو والغريب، من القراء المشهورين، أخذ عن ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو بن العلاء، وروى عن الحسن البصري، و رؤبة، أخذ عنه يونس والخَلِيْل. قيل أنه كان يدوّن كل ما يسمعه من العرب، توفي سنة ١٤٩هـ، له (الإكمال) و (الجامع) وكلاهما في النحو.

فقال: يا ابا عمرو، ما شيءٌ بلغني أنك تجيزه؟ قال: وما هو، قال: بلغني أنك تجيز ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ بالرفع، قال: فقال أبو عمرو: نمْتَ يا أبا عمر، وأدلَجَ الناسُ! ليس في الأرضِ حِجَازيٌّ إلا وهو يَنْصُبُ وليس في الأرضِ تَمِيْميٌّ إلا وهو يرفعُ . قال أبو محمد: ثم قال أبو عمرو: تعال يا يحيى وتعال أنت يا خَلَفُ – لخلف الأحمر– اذهبا إلى أبي المهديّ فلقِنَاه الرفعَ، فإنَّه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع التَمِيْمي فلقِنَاه النَّصْبَ فإنه لا ينصب، قال: فذهبتُ أنا وخلَفٌ فأتينا أبا المهديّ، فإذا هو يصلّيْ – وكان به عارِضٌ وإذا هو يقول في الصلاة: اخسأنَانِ عني، قال: ثم قضَى صلاته وانفتل إلينا، فقال: ماخطبُكما؟ قلنا: جئنا نسألُك عن شيءٍ مِن كلام العرب، فقال: هاتيا، فقال له خلف: تقول: ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ؟ فقال: أتأمرانِني بالكذبِ على كَبْرةِ السّنِّ! فأين الجاديُّ! وأين كذا وكذا! فقال له خلَفٌ: ليس الشرابُ إلا العسلُ. قال: فما تصنعُ سودانُ هَجْرٍ؟ ما بعُمَانَ شرابٌ إلا هذا التمر.

قال أبو محمد: فلما رأيتُ ذلك منه قلتُ له: ليس ملاكُ الأمر إلا طاعَةُ الله، والعملُ بها، فرفعتُ، فقال: هذا كلامٌ لا دخْلَ فيه، ثم قال: ليس ملاكُ الأمر إلا طاعةَ الله والعملَ بها، فنصب، قال أبو محمد: فقلت له: ليس ملاكُ الأمر إلا طاعة الله والعملُ بها، فرفعت. فقال: ليس هذا مِن لحْنِي ولا لَحْن قومي، قال: فكتبنا منه ما سمعنا. قال: فقال: ألا أُنْشِدكما أبياتًا قلتُها حين سَمِعْتُ تراطُنَ هذه الأعاجم حولي؟ قلنا: بلى، فأنشَدَنا:[من الطويل]

يقولون لي: "شَنْبِذْ"، ولستُ مُشَنْبِذًا ... طَوَالَ اللَّيَالِي أو يزولَ ثَبِيرُ

ولا قائلا "زُوذا" لأُعجِل صاحبِي ... وَ"بِسْتَان" في صدري عليّ كبيرُ

ولا تاركًا لَحْنِي لأُحْسِنَ لحنَهم ... ولو دارَ صَرْفُ الدَّهْرِ حَيْثُ يدورُ

قال: فكتبنا هذه الأبياتِ، ثم أتينا المنتجع، فأتينا رجلًا يَعقلُ، فقال له خلَف: ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ. قال: فرفع. قال: فلقّنَّاه النصْبَ وجهِدْنا به في ذلك فلم ينصبُ، وأبَى إلا الرفعَ . قال: فأتينا أبا عمرو فأعلمْنَاه، وعنده عيسى بنُ عمرَ لم يَبْرَحْ. قال: فأخْرَجَ عيسى بنُ عمر خاتَمَه مِن يده، فقال: لك الخاتَمُ، بهذا واللهِ فُقْتَ النّاسَ[1].

٣. ويَنْقلُ ابنُ جني[2] عن أبي حاتم السجستاني(ت:٢٥٠هـ) قوله: قرأ عَلَيّ أعرابيٌّ بالحَرَم (طيبى لهم وحسن مآب) فقلت: طُوبَى، فقال: طِيبى، فأعَدْتُ فقلت: طُوبَى فقال: طِيبي، فلما طال عَلَيَّ قلت: طوطو، قال: "طِي طِي"، ويُعَلّقُ ابنُ جني، قائلًا: أفلا ترى هذا الإعْرَابيَّ وأنت

---

[1] ينظر: طبقات اللُغَوِيّين والنَّحْوِيِّيْنَ أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي(ت:٣٧٩هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم ص: ٤٣ – ٤٤ الطبعة الثانية د.ت، دار المعارف.

[2] ينظر: الخصائص ٧٦/١

تعتبرُه كَزًّا، لا دَمِثًا ولا طَيّعًا، كيف نبا طبْعُه عن ثُقْل الواو إلى الياء، فلم يؤثّرْ فيه التلقينُ ولا ثنَى طبْعَه التماسَ الخفة هزٌّ ولا تمرينٌ[1] .

٤. ومِن ذلك أيضًا ما رواه الفَرّاء[2] من قولِ ذي الرُّمّة[3]:[من البسيط]

تُرِيْكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرَ مُقْرفةٍ ... مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلاَنَدَبُ

فقد خفَض الشاعرُ (غيرِ) على الجِوارِ[4] إتباعًا للمجرور قبلِها، وكان عليه أنْ ينصُبَ (غير) لأنّها صفة لـ(سُنَّة) المنصوبةِ على المفعول به. فقال الفَرّاء: ((قلت لأبي ثَرْوان – وقد أنشدني هذا البيت بخفضٍ: كيفَ تقول: تُرِيك سُنَّة وجه غيرَ مقرفة؟ قال: تريك سنّةَ وجْهٍ غَيْرَ مقرفة. قلت له: فأنشِدْ، فخَفَضَ (غير) فأعدْتُ القولَ عليه فقال: الذي تقولُ أنت أجودُ مما أقولُ أنا، وكان إنشادُهُ على الخفْضِ))[5].

٥. ومنه أيضًا ما أنشده أبو الجرّاح العُقيليّ للفرّاء[6]:[من البسيط]

يا صَاحِ بَلِّغ ذَوِى الزوجاتِ كُلِهم ... أنْ ليس وصْلٌ إذا انْحلّتْ عُرَا الذَنَبِ

فخفَضَ الشاعر(كلّ) على الجِوارِ[7]، وحقُها النصْبُ، قَالَ الفَرّاء أنشدنيهُ أَبُو الْجَرّاحِ بخفْضِ (كلّ) فَقلتُ لَهُ: هَلاَّ قلتَ (كلَّهم) يَعْنِي بِالنّصْبِ فَقَالَ: هذا خيرٌ مِن الَّذِي قلتُه أَنا، ثمَّ استنشدتهُ إِيَّاه فأنشدنيهُ بالخفض[8].

---

[1] المرجع السابق ٧٧/١.

[2] **الفراء:** أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، سمي بالفراء لأنه يفري الكلام، ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ، إمام الكُوْفِيّيْنَ وأعلمهم باللغة والنحو وفنون الأدب، أخذ النحو عن الكسائي، وعليه اعتمد، كان متديّنًا ورعًا، أكثر مقامه ببغداد كان مؤدب ابني الخليفة المأمون، توفي سنة ٢٠٧هـ. له (معاني القُرْآن)، و(اللغات) و(النوادر) و(المقصور والممدود) وغيرها.

[3] ديوان ذي الرمة ٢٩/١، بنصب (غير)، وينظر: معاني القُرْآن للفراء ٧٤/٢.

[4] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع: المبحث الثاني: المَسْألَة (٨): الجر على الجِوار.

[5] معاني القُرْآن للفراء ٧٤/٢.

[6] نسبه البغدادي لأبي الغريب الإعْرَابي في الخزانة ٩٣/٥، وبلا نسبة في معاني الفَرّاء ٧٥/٢، وإعراب القُرْآن للنحاس ٢٣٠/٢، ومغني اللبيب ص:٨٩٥(ش/١١٦٠)، وهَمْع الهَوَامِعِ في شرح جمع الجوامع تحقيق: عبد الحميد هنداوي٥٥/٢، د.ط، د.ت المكتبة الوقفية– مصر.

[7] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع: المبحث الثاني: المَسْألَة (٨): الجر على الجِوار.

[8] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب عبد الله بن يوسف بن أحمد أبو محمد، جمال الدين، ابن هِشَامٍ (ت: ٧٦١هـ) تحقيق: د. مازن المبارك/محمد علي حمد الله ص:٨٩٥ (ش/١١٦٠) الطبعة السادسة: ١٩٨٥، دار الفكر/دمشق.

فهذا الإعْرَابيُّ نَقَلَ إنشادَ البيتِ كما حَفِظَهُ وسَمِعَهُ، وبلّغَهُ وهو يعْلَمُ أنّه غيرُ مُطَابِق للغته التي دَرَجَ عليها، ففي هذا عَقَدَ ابنُ جني بابًا أسماه (باب في العربي الفصيح ينتقل لسانه)، قال: إنْ انتقلَ مِن لغته إلى لُغَة أخرى مثلِها فَصِيْحَة، وجَبَ أنْ يؤخذَ بلغته التي انتقل إليها كما يؤخذُ بها قَبْلَ انتقالِ لسانه إليها . وإنْ كانتِ اللُّغَة التي انتقلَ لسانُه إليها فأسَدةً لم يؤخذْ بها ويؤخذُ بالأولى[1] .

وبهذا يتبين أو العربي الأول لم يكن يعرف القواعد ولكنه يلتزمها سليقةً .

ثانيًا: نشوء اللحن

١. اللحن لُغَة واصْطِلاحًا

ورَدَ اللحنُ في اللُّغَة بمعانٍ عِدّة:

١. العُدُولُ بالكلام عن الصواب يقول أبو البقاء الكفويّ[2]: ((واللحنُ يعرفه ذوو الألباب، ومنه قيل للمخطئ لاحِنٌ، لأنّه يعدلُ بالكلام عن الصواب))[3] قال تَعَالَىْ: ﴿ولَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ القول﴾[4].
٢. الذكاءُ والفطنة: ومنه قولُ الرسول ﷺ: ((وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ))[5]، ومنه قولُ عمر بنِ عبدِ العزيز: (عَجِبْتُ لِمن لاحَنَ الناسَ كيف لا يعرفُ جوامعَ الكلم)، أي فاطَنَهم .
٣. التظرُّفُ في الحديث: يُخْلَطُ بالكلام الأجنبي، فقد رَوَى ابنُ دريد أنّه ((قيل لمعاوية: إنَّ عبدَ الله بنَ زيادٍ يَلْحَنُ في كلامه، فقال: أوليس بظريفٍ أنّ ابنَ أخي يتكلّمُ بالفارسيّةِ))[1].

---

[1] ينظر: الخصائص ١٤/٢

[2] **أبو البقاء الكفوي:** هو أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ولد سنة ١٠٢٨هـ في(كفا)، تفقه على مذهب أبي حنيفة، استدعي للآستانة وعين قاضيًا فيها، ثم عاد إلى (كفا) وعين قاضيًا في القدس وبها توفي سنة ١٠٩٤هـ - ١٦٨٤م. له (الكليات) و(شرح بردة البوصيري)

[3] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللُّغَوِيّة أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي المحقق. عدنان درويش، ومحمد المصري ص: ٧٩٧ مؤسسة الرسالة – بيروت.

[4] محمد من الآية/٣٠

[5] ينظر: صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر ١٨٠/٣، ٢٥،٦٩/٩ [ح:٧١٦٨،٦٩٦٧،٢٦٨٠] الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، وسنن ابن ماجة تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي ٧٧٧/٢ [ح:٢٣١٨،٢٣١٧] د.ت، دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة، والمُعْجَم الكبير سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني تحقيق. حمدي عبد المجيد السلفي ٢٣/ ٣٨٢،٣٤٥،٣٤٣ [ح: ٩٠٦،٨٠٣،٧٩٨] الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م – مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٤. التَوْرِيَة: باستخدام معنى قريبٍ وإرادةِ معنى بعيدٍ، وعلى هذا المعنى ألّفَ ابنُ دُريد (ت:٣٢١هـ) كتابه (المَلاحِن) قال مالكُ بنُ أسماءَ بنِ خارجة الفزاري:[من الخفيف]

وحديثٍ أَلَذُّهُ هو ممَّا ... يَنْعَتُ الناعتون يوزَن وَزْنًا

منطَقٌ رائعٌ وتَلْحَنُ أحيا ... نًا وخيرُ الحديثِ ما كان لَحْنًا

٥. اللُغَة: ومنه قولُ أبي مهدية: ((ليس هذا من لَحْنِي ولا لَحْنَ قومي))[٢]، ومنه قول الشاعر[٣]:[من الطويل]

ولا تاركًا لَحْنِي لأُحْسِنَ لحنَهم ... ولو دارَ صَرْفُ الدهر حَيْثُ يدوْرُ

٦. التطْرِيْبُ والإيقاع . وهذا لا يحتاج إلى شرح .

وأما اصْطِلاحا فيعرفه الدكتور محمد عيد بأنّه ((خروجُ الكلام الفصيحِ عن مَجْرى الصِّحَّةِ في بنْيَة الكلام أو تركيبه أو إعرابه، بفِعْلِ الاستعمال الذي يَشِيْعُ أولًا بين العامةِ مِن الناسِ ويتسرّبُ بعد ذلك إلى لُغَة الخاصَةِ))[٤] .

٢. ظُهُور اللحن

أولًا: اللحن في العصر الجاهلي:

ومِن أمثلةِ اللحْنِ في الجاهلية قولُ طرفةَ بنِ العبد وهو صغير:[من الرجز]

يَالَكِ مِن قُبّرةٍ بِمَعْمَرِ ... خَلَا لكِ الجوُّ فَبِيْضي واصْفُرِي

ونَقّرِي ما شِئْتِ أنْ تُنَقّرِي ... قد رُفِعَ الفَخُ فماذا تحذري

واللحن هنا في قوله (تحذري) مكان (تحذرين)، ومنه قول النابغة الذبياني:[من الطويل]

فَبِتّ كأنّي ساوَرَتْنِي ضئيلةٌ ... مِن الرُّقْشِ في أنيابِها السمُّ ناقعُ

---

[١] الملاحن أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي تحقيق. عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، ص: ٩٢٣، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

[٢] طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُغَوِيّين الزبيدي ص: ٤٣ .

[٣] ينظر: الخصائص ٢٣٩/١، وطبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُغَوِيّين ص: ٤٤.

[٤] في اللُغَة و دراستها د. محمد عيد ص: ٦٥ ط١٩٧٤/١م – دار عالم الكتب – بيروت.

قال النُّحَاة: كانَ حقَه أنْ يقولَ (ناقعاُ)؛ لأنّ النكرةَ لا تَصِفُ المعْرِفةَ،وقد أجازه سِيْبَوَيْهِ[1] حَيْثُ ذَكَرَ أنّ المرءَ بالخيار في إلغاءِ الجارّ والمجرور أو إعمالِها عملَ الخبر في مثل: عبدُ الله فيها قائمًا، أو عبدُ الله فيها قائمٌ .

كان المقياس الصوابيُّ لدى الشاعر الجاهلي أو الخطيب هو المَلَكَةُ اللُغَوِيّة التي تُكْتَسَبُ بالتعلم كما يقولُ ابنُ خلدون: ((المُتَكَلّم مِن العرب ... يَسمعُ كلامَ أهلِ جيلِهِ وأساليبَهم في مخاطباتِهم وكَيْفِيّة تعبيرهم عن مقاصِدِهم ... فيَلْقَنُها كذلك، ثم لا يزالُ سماعُهم لذلك يتجدّدُ ... واستعمالُه يتكررُ إلى أنْ يَصِيْرَ مَلَكَةً وصفةً راسخةً ويكونُ كأحدهم))[2] .

ثانيًا: اللحن في عصر صدر الإسلام

لمّا جاءَ الإسلامُ وانتشر خارج الجزيرة العَرَبِيَّة، دخلَ الناسُ في دين الله أفواجًا وانْضَمّ تحت لواءِ العروبةِ والإسلام شعوبٌ تعدّدَتْ لُغَاتهم وأذواقُهم، واضطروا إلى إتقان العَرَبِيَّة لأسبابٍ فرَضَتْها طبيعةُ المجتمع الجديدِ . واضطرّ العربُ للاختلاطِ بهم، وزاد اتصالُهم بالأعاجم في سائر الأمصار، وتبادلوا معهم التجارة والمنافعَ؛ فأخذ الفسادُ يدُبُّ في تلك السليقةِ العَرَبِيَّة، وظَهَرَ اللحنُ بين بعض العرب –علاوة على الدُّخَلاء مِن الأعاجم– وساعَدَ على ذلك أنَّ اللُغَة العَرَبِيَّة لُغَة مُعْرَبَة، سَرْعانَ ما يَتَسَرّبُ إليها اللحنُ والفسادُ.

ورُوِيَ[3] عن الرسول ﷺ – وقد سَمِعَ رجلاً يَلْحَنُ في حضْرَتِه – قولُهُ: ((أرْشِدُوا أخاكم فإنّه قد ضَلّ))، ورُوِيَ أنَّ الشاعرَ سُحَيْمَ بنَ عبد بَنِيْ الحسحاس أنْشَدَ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ قصيدته التي يقول أولها:[من الطويل]

عُمَيْرَةَ وَدّعْ إنْ تجهّزْتَ غاديًا ... كفى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيًا

فقال له عمرُ: لو قدَّمْتَ الإسلامَ على الشّيبِ لأجزتك، فقال له: ما سَعُرْتُ، يريد ما شَعُرْتُ، جعل الشينَ سينًا[4]. ومَرّ عمرُ بنُ الخطاب على نفَرٍ يتمرّنون على رمْي السّهام فوجدهم لا يحسنون، فأنّبَهم، فقالوا: إنّا قومٌ متعلمين، فأفزعَهُ ذلك وقال: واللهِ لَخَطَؤُكم في كلامِكم أشدُّ مِن خطئكم في

---

[1] **سيبويه** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام النَّحْوِيِّيْنَ، تلميذ الخَلِيْل، شيخ الأخْفَش الأوسط، له (الكتاب) توفي سنة ١٨٠هـ .

[2] مقدمة ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت:٨٠٨هـ) تحقيق: خليل شحاته ٧٥٠/١ الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م – دار الفكر ب بيروت.

[3] ينظر: الخصائص ١٠/٢

[4] ينظر: البيان والتبيين أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٧٩/١ طبعة ١٤٢٣هـ – دار ومكتبة الهلال – بيروت

رمْيِكم، سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((رَحِمَ اللهُ امْرًا أصْلَحَ مِن لسانه))[1]. ورُوي أنَّ كاتبًا لأبي موسى الأشعريّ – وكانَ واليًا لعُمَرَ على البصرة– كَتَبَ رسالة على لسانِ أبي موسى إلى عمر: مِن أبو موسى الأشعريّ إلى....، فلمّا اطّلَعَ عمرُ عليها كَتَبَ إلى أبي موسى: أنْ قَنّعْ كاتِبَك سَوطًا[2]. واستفحَلَ اللحْنُ بين الأعاجم فقد رُوِيَ أنَّ الصحابيَّ الجليلَ صُهَيْبَ بنَ سنان كان يَرتَضِخُ لَكْنَةً رومية[3]، وروي مِن حديثِ عليّ ﷺ مع الأَعْرَابي[4] الذي أقرأه المقْرِئ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[5]، بكسْر لام"رسوله"، فقال الأَعْرَابيُّ: أوَ قد بَرِئ اللهُ مِن رسولِه! فإنْ يكنِ اللهُ بَرِئَ مِن رسوله فأنا أبْرَأ منه[6] . الأمر الذي دفع بالإمام علي بنِ أبي طالبٍ أنْ يطلُبَ مِن أبي الأسود الدؤلي[7] أنْ يضعَ في اللُّغَة ما يُصْلِحُ به ألسنة الأعاجم، ولِعَظيم أمرِ اللحْنِ في نفوس الفصحاء أرّخُوا لأول لحْنٍ شَاعَ في الحاضرة والبادِيَة[8]، فقد قيل[9] إنَّ أولَ لحنٍ سُمِعَ بالبادِيَة "هذه عصاتي"، وأوّلُ لحنٍ سُمِعَ بالعراق "حيِّ على الفلاح" .

ثالثًا: اللحن في العصر الأموي

في القرن الأوّل الهجري أصبحَ اللحنُ قَضِيّة خطرة في الاستعمال اللُغَوِيّ، ويُرْوَى أنَّ أبا الأسْودِ سَمِعَ قارئًا يقرأ قوله تَعَالَىْ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجرّ لام (رسوله)، فقال: معاذَ اللهِ أنْ يَبْرَأ اللهُ مِن رسوله، فكانتْ هذه الحادثة وغيرُها حافزًا له على وضْعِ علاماتٍ تساعدُ على النطق الصحيح، فوَضَعَ نقْطَة فوق الحرفِ المفتوح، ونقْطَة أسفلَه إنْ كان مكسورًا، ونقْطَة بين أجزائه إنْ كان مضمومًا، ونقطتين إنْ كان منونًا .

---

[1] ينظر: الإيضاح في علل النحو أبو القاسم الزجاجي تحقيق الدكتور. مازن المبارك ص:٩٦، الطبعة الثالثة:١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار النفائس – بيروت.

[2] ينظر: الخصائص ١٠/٢

[3] ينظر: البيان والتبيين ٧٩/١

٤ في تفسير القرطبي ٢٤/١، وفي البحر ٣٦٧/٥، أن هذه القصة كانت مع عمر ﷺ، والخصائص ١٠/٢، وفي ابن خلكان في ترجمة أبي الأسود. وفي فهرست ابن النديم في صدر المقالة الثانية أن القصة مع أبي الأسود نفسه.

[5] التوبة من الآية/٣.

[6] ينظر الخصائص ١٠/٢، وينظر: الجامع لأحكام القُرْآن = تفسير القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبْرَاهِيم أطفيش ٢٤/١، ط ١٣٨٤/٢هـ – ١٩٦٤م – دار الكتب المصرية – القاهرة.

[7] **أبو الأسود الدؤلي:** هو ظالم بن عمرو الدؤلي البصري، من التابعين ومن فقهائهم ومحدثيهم، روى عن عمر بن الخطاب وعلي وابن عباس رضي الله عنهم، وكان كثير التشيع لعلي كرم الله وجهه، كان ذكيًا حاضر البديهة، حكيمًا في أقواله. توفي سنة ٦٩هـ بالطاعون.

[8] ينظر: الخلاف بين النَّحْوِيِّيْنَ، دراسة – تحليل– تقويم د. السيد رزق الطويل ص:١٥، طبعة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، المكتبة الفيصلية.

[9] ينظر: البيان والتبيين ١٥١/٢

وقد تَسَرّبَ اللحْنُ إلى العربِ أنفسِهم، حُكيَ أنَّ ابنة لأبي الأسود قالت له ذات يوم: يابَهْ ما أشَدُ الحرِّ، فقال لها: الرمْضَاءُ في الهاجرة يابُنَيّة، فقالتْ له: لم أسألك عن هذا، وإنما تَعَجّبْتُ مِن شدةِ الحرّ، فقال لها: فقولي إذًا: ما أشدَ الحرَ، ثم قال: إنَّا لله،فَسَدَتْ ألسنة أولادِنا . وفي الروايةِ اختلافات[1] . ولم يسْلَمْ الأَشرافُ منْهُ كما حصَلَ لهند بنتِ أسماءَ بنِ خارجة حين لحَنَتْ في حضرةِ الحَجَّاج، فقال لها: أتَلْحَنين وأنتِ شريفةٌ في بيتِ قيسٍ؟ فقالتْ: أمَا سَمِعْتُ قولَ أخي مالكٍ لامرأته الأنصارية؟ قال: ماهو؟ قالت:[من الخفيف]

مَنْطِقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحيانًا ... وخيرُ الحَدِيْثِ مَا كان لحنًا

فقال الحَجَّاجُ: إنّما عَنَى أخوك اللحْنَ في القول إذا كنَّى المتحدثُ عمَّا يريد، ولم يَعْنِ اللحْنَ في العَرَبِيَّة، فأصْلِحِي لسانَك .

ومَن عاش مِن شعراء هذا العصر بين البصرة والكوفة أخذَتِ العَرَبِيَّة على ألسنتِهم تتأثّرُ باللُغَات الأجنبية . حكى الزَّجَّاجيُ[2] أنَّ أبا الأسْود الدؤلي، لمّا سَمِع كلامَ المولدين بالبصرة مِن أبناءِ العرب، أنْكَرَ ما يأتون به مِن اللحْنِ لمشاهدتِهم الحاضرة وأبناءِ العَجَم . وهَمَّ أبو الأسْود أنْ يَضَعَ كتابًا يَجْمعُ فيه أصولَ العَرَبِيَّة، فمنَعَه مِن ذلك زيادٌ، وقال: لا نؤمنُ أنْ يتّكلَ الناسُ عليه ويتركوا اللُغَة وأخْذَ الفَصَاحَة مِن أفواه العرب، إلى أنْ فَشَا اللحنُ وكَثُرَ وقبُحَ، فأمَرَهُ أنْ يفعلَ ما كان نهاهُ عنه[3] .

ويتّسِعُ هذا التأثّرُ لدى الشعراءِ الموالي، والعبيد الأرقّاء ؛ بسبب ما كانوا يَرتَضِخُون مِن لَكَنَاتِ لغتهم الأمّ وما كانوا يستعيرونه أحيانًا مِن ألفاظِ تلك اللُغَة أو إبدالِهم الحُرُوْف التي لم يتعودوا سماعَها في لُغَاتهم إلى حروفٍ ألِفُوها، كإبدالِ العينِ همزةً في قول زيادٍ النَبَطي لغلامه: دَأوْتُكَ تَصْنأ، أيْ: دعوتك تصنع، ومِثْلُ النطْقِ بالحاء هاءً في قول مولى زياد: أهْدَى لنا هِمَارَ وَهْشٍ، أيْ: حمار وحش[4] .

---

[1] ينظر: الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص: ٨٩.

[2] المرجع السابق ص: ٨٩.

الزجاجي: هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي البغدادي دارًا ونشأةً، والنهاوندي أصلًا ومولدًا. كان إمامًا في علم النحو، وصنف فيه كتاب " الجمل الكبرى " وهو كتاب نافعٌ لولا طوله بكثرة الأمثلة. أخذ النحو عن محمد بن العباس اليزيدي، و أبي بكرٍ بن دريدٍ، وأبي بكرٍ بن الأنباري. وصحب أبا إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج فنسب إليه، وعرف به، وسكن دمشق وانتفع به الناس وتخرجوا عليه، وتوفي في رجبٍ سنة سبعٍ وقيل سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ، وقيل في شهر رمضان سنة أربعين والأول أصح بدمشق، وقيل بطبرية رحمه الله.

[3] ينظر: الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص: ٨٩.

[4] ينظر: البيان والتبيين ٨٠/١

وكان بعض الشعراء مِن العرب مثل الطرمّاح لا يرى بأسًا في أنْ يُعَرّبَ بعضَ ألفاظِ النَبَطِ الآراميين أو بعضَ الألفاظِ الفارسيّةِ، وأخَذ هو وغيرُه مِن الشعراء المتحضّرين؛ بحُكْم نشأتِهم في الحاضرة، وبُعْدِهم عن ينابيع اللُغَة الحقيقية يبعدون عن السليقةِ العَرَبِيَّة[1] .

رابعًا: اللحن في العصر العباسي

استمرَّ ضَعْفُ السليقةِ اللُغَوِيّة بصورةٍ أوْسَعَ مما كان عليه في العصر الأموي ؛ لسببٍ بسيطٍ هو أنَّ كثيرًا من الشعراء كانوا أجانبَ؛ فكان فيهم النبَطيُّ مثلَ أبي العتاهيَةِ، والسِّنديّ مثل هارون مولى الأزْدِ وأبي عطاء. أمّا الفُرْسُ فكان منهم بَشَّار بنُ بُرْدٍ، وأبَانُ بنُ عبد الحميد، وسَلْمُ الخاسر، ومروانُ بنُ أبي حفصة، وأبو يعقوب الخريمي، ومَسْلَمُ بنُ الوليد وغيرهم .
ولعل أكثرَ شيءٍ استرعى نَظَرَ الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) في عصره هو اللكناتُ وما كانتْ تسبّبُه مِن لثغاتٍ، فقد أفاضَ في وصفِها أوائلَ كتابه (البيان والتبيين)، وذكَرَ أنَّ هناك مَن يُبْدِلُ الراءَ غينًا،واللامَ ياءً، والزايَ والثاءً، والشينَ سينًا،والعينَ همزةً،والقافَ كافًا،والذلَ دالًا،والجيمَ زايًا أو ذالً[2] .

ورغم أن هذه اللثغات ليست لحنًا، وإنما عيوب خَلْقيَّة في النطق، فهي مؤشرٌ على انحراف اللسان العربي، وظهور جيلٍ جديدٍ يستعصي عليه نطق بعض الحروف.

قال الأصْمَعِي: خاصَمَ عيسى بنُ عمرَ النحوي الثقفي(ت/١٤٩هـ) رجلًا إلى بلالِ ابنِ أبي بُرْدَة، فجعل عيسى يتتبّعُ الإعْرَاب، وجعل الرجلُ ينظرُ إليه، فقال له بلالٌ: لأنْ يذهبُ بعضُ حقّ هذا أحبَّ إليك مِن تَرْكِ الإعْرَاب، فلا تتشاغلْ به واقْصِدْ لحُجّتِكَ[3].

ومِن الروايات التي جَعَلتْ مِن سِيْبَوَيْهِ نحويًا ما رواه الزبيديُّ في طبقات النَّحْوِيِّيْنَ[4] قصته مع حمّادِ بنِ سَلَمَة(ت:١٦٧هـ) الذي استملاه قولَ الرسول ﷺ: ((ليس مِن أصحابي إلّا مَن لو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبا الدرداء))، فقال سِيْبَوَيْهِ: ليس أبو الدرداء، فصاح به حمّادُ لحَنْتَ يا سِيْبَوَيْهِ، ليس هذا حَيْثُ ذهبْتَ، وإنّما هو استثناءٌ، فقال سِيْبَوَيْهِ: لا جَرْمَ، واللهِ لأطْلُبَنّ علْمًا لا تلحّنُنِي معه ثم مضى ولزم الخَلِيْل فبرع[5] .

---

[1] ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ١٢٠/١
[2] ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ١٢١/١
[3] ينظر: البيان والتبيين ١٥٠/٢
[4] ينظر: طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُغَوِيّين ص: ٦٦.
[5] ينظر: مغني اللبيب ٣٨٧/١، و طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُغَوِيّين ص: ٦٦.

ورُوِي أنَّ الفَرّاء لحَنَ في حضْرةِ الرشيْد، فقال له: أتَلْحَنُ يا يحيى، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ طِباعَ أهل البدوِ الإعْرَاب، وطباعُ أهلِ الحضْرِ اللحنُ، فإذا حفِظْتُ أو كتَبْتُ لم ألْحَنْ، وإذا رجَعْتُ إلى الطّبْعِ لَحَنْتُ، فاستحسنَ الرشيدُ كلامَهُ .

وفي هذا العصر بَدَأَ النشاطُ اللُغَوِيّ، فنُظّمَتِ الرِحْلاتُ إلى البادِيَة لجمْع اللُغَة مِن أفواه البدو، وأُهْمِلتْ لُغَة الحضْرِ بعد أنْ شاع فيها اللحنُ لاختلاطِهم بالأعاجم على ما سيأتي لاحقًا[1]، وقد شَجّعَ على ذلك الأمراءُ والخلفاءُ، فقد قال الرشيدُ يومًا لبَنِيْه: ما ضَرّ أحدَكم لو تعلّمَ مِن العَرَبِيَّة ما يُصْلِحُ لسانَه، أيَسُرّ أحدَكم أنْ يكونَ لسانُه كلسانِ عبدِه أو أمَتِهِ .

وقد اختلف النُّحَاة في الأخْذِ عن القَبَائِل التي يعتبرونها موطنَ الفَصَاحَة ما بين متشدّدٍ في الأخْذِ، ومتساهلٍ يرْوِي عن الصبيان مِن أيِّ قَبِيْلَة كانوا . فالاتجاه الأولُ عرف به البصريون الذين لا يقيسون إلا على المشْهُوْر الشائع، والاتجاه الثاني عرف به الكوفيون الذين لو سمعوا بيتًا واحدًا قاسوا عليه وبوّبوا له، لأنّهم يرون أنَّ كلَ ما قِيْس على كلام العرب فهو صواب . فهذا الزَبيديُّ يُخَطّئ بَنِيْ أسَد في قولِهم (سكرانة) بدل (سكرى) وابنُ هِشَامٍ[2] يعتبرها لُغَة ؛ لأنها تُنْسَبُ لقَبِيْلَة معينةٍ . ويبدو أنَّ الزبيدي يأخذ بالأفْصَح كالأصْمَعِي، وابن هِشَامٍ يجيز أيَّ لُغَة مِن لُغَات العرب، معتمدًا على قولِ ابنِ جنّي: ((النّاطِقُ على قِياسِ لُغَة مِن لُغَات العربِ مصيبٌ غيرُ مخطِئ، وإنْ كانَ غيرُ ما جاء به خيرًا منه))[3] .

نشطتْ حركةُ التأليفِ اللُغَوِيّ بعْدَ كتاب (العين) للخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديّ، وكتاب سِيْبَوَيْهِ، وكانتِ الغاية التي تتوخّاها هذه المؤلفاتُ واحدة، وهي الاستدلالِ بالشَوَاهِد الشّعْرِيّة والنثريةِ والحِكَمِ والأمثالِ وغيرِها . فألّفَ الكِسَائي[4](ت:١٨٩هـ) "ما تلْحَنُ فيه العامّة" فكان هذا الكتابُ مِن بواكيرِ حركة تنقيةِ اللُغَة .

---

[1] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الأول، المبحث الثاني، المطلب الأول: مَنْهَج النُّحَاة في استقاء اللغة.

[2] **ابن هِشَامٍ:** جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هِشَامٍ الأنصاري المصري، ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨هـ وبها توفي سنة ٧٦١هـ، أخذ عن شيوخ عصره كابن جماعة، وتاج الدين الفاكهاني، كان شافعيًا قبل أن يتحول الى المذهب الحنبلي، كانت منزلته العلمية كبيرة حتى سماه معاصره السبكي (نحوي هذا العصر) وبلغ الإعجاب به حدًا جعل ابن خلدون يعده أنحى من سيبويه، خلف مصنفات كثيرة (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) و(أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك) و(شذور الذهب في معرفة كلام العرب) و(قطر الندى وبل الصدى) و(الإعْرَاب عن قواعد الإعْرَاب) وغيرها من المصنفات التي لا تزال مخطوطة.

[3] الخصائص ١٤/٢.

[4] **الكسائي:** علي بن حمزة الكسائي، إمام الكُوْفِيّيْنَ، أحد القراء، عالم بالنحو، مؤدب الرشيد وابنيه الأمين والمأمون، له المناظرة المعروفة بالزنبورية، وقرأ عليه خلق بغداد ,توفي سنة ١٨٠هـ .

قَوِيَتْ مقاومة اللحْنِ كثيرًا في هذا العصرِ، وكَثُرَ المؤلفون في هذا الباب، فألّفَ الفَرّاء (٢٠٧هـ) "ما تَلْحَنُ فيه العامّة"، وألف أبو عبيدة معمر بن المُثَنَّى[١] (ت:٢١١هـ) " ما يَلْحَنُ فيه العامّة "، وابنُ السّكّيْتِ (ت:٢٤٤هـ) " إصْلاح المنطق"، والمازني[٢] (ت:٢٤٩هـ) " ما يَلْحَنُ فيه العامّة "، وأبو حاتم السّجِسْتاني[٣] "لحْنَ العامّة"، وألّفَ الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) كتابه "البيان والتبيين" أفْرَدَ في الجزء الثاني منه بابًا عن اللحْنِ، كما تحدّثَ عن أصحاب التقعير والتشديق والتمطيط، ثم تلاه ابنُ قتيبة[٤] (ت:٢٧٦هـ) فألف "أدَبَ الكاتب"، وأبو حنيفة الدينوري (ت:٢٨٠هـ) في "لحْنَ العامّةِ"، وألّفَ أبو العباس ثعلب[٥] (ت:٢٩١هـ) كتابه " ما يَلْحَنُ فيه العامّة " ويعرف هذا الكتاب بالفصيح .

ولا نكادُ نصِلُ إلى العصْرِ العَبَّاسي الثاني حتى توقفَتْ رحلاتُ الجَمْع اللُغَوِيّ، وكَثُرَ في نِهَايَة هذا العصرِ الانتقادُ والطعْنُ في كفاياتِ العاملين في حقلِ اللُغَة، فوُصِفُوا بالجهلِ تارة وبالتعدّيْ على عِلْمِ غيرهم تارة أخرى، حتى قيل: النحوُ أولّه نَعْيٌ وآخرُه بَغْيٌ، وصار التكلّمُ بالإعْرَاب عيبًا، والنطقُ بالكلامِ الفصيحِ عيبًا . وطَغَى اللحْنُ أكثرَ مِن ذي قبلِ على العامّة والخاصّة، وانتشرَ في أهلِ البادِيَة ما أصَابَ أهلُ الحضْرِ مِن اضْطِرَاب الألسنةِ وضَعْفِ الملَكَةِ

---

[١] **أبو عبيدة:** هو أبو عبيدة معمر بن المُثَنَّى التيمي بالولاء، البصري، ولد سنة ١١٠هـ، عالم بالشعر والغريب والأخبار والأنساب، أخذ عن يونس وأبي عمر، وأخذ عنه أبو عبيد وأبو حاتم والمازني، توفي بالبصرة سنة ٢٠٩ هـ، ويبدو أنه كان شعوبيًا يبغض العرب، له نحو مائتا مؤلف منها (مجاز القُرْآن) و(نقائض جرير والفَرَزْدَق) و(مقاتل الفرسان) و(أخبار قضاة البصرة) وغيرها.

[٢] **المازني:** أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب بن بقيّة المازني، من مازن شيبان، أحد أئمة النحو المتقدمين من أهل البصرة، ووفاته فيها سنة ٢٤٩هـ. روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد، وروى عنه المُبَرِّد و اليزيدي وجماعة، كان إمامًا في العَرَبِيَّة متسع الرواية. له (ما تلحن فيه العامة) و(كتاب اللألف واللام) و(التصريف) وهو أشهرها شرحه ابن جني في (المنصف).

[٣] **أبو حاتم السجستاني:** هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، ممن سكن البصرة، كان إمامًا في علوم القُرْآن واللغة والشعر، قرأ كتاب سيبويه على الأخْفَش مرتين، وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، توفي ستة ٢٥٠هـ. له (إعراب القُرْآن) و(لحن العامة) و(القراءات) وغيرها.

[٤] **ابن قتيبة:** عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزيل بغداد، كان رأسًا في العَرَبِيَّة واللغة والأخبار وأيام العرب، حدث عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، وعنه ابن دُرُسْتَوَيْهِ، توفي سنة ٢٧٦هـ له (تأويل مشكل القُرْآن) و(معاني القُرْآن) و(خلق الانسان) و(دلائل النبوة) وغيرها

[٥] **ثعلب:** أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني بالولاء(ثعلب)، ولد سنة ٢٠٠هـ، وابتدأ النظر في العَرَبِيَّة واللغة والشعر، فحفظ كتب الفراء، ولازم ابن الأعْرَابي، وسمع من غيره، كان ثقة متقنًا ضيق النفقة، توفي سنة ٢٩١هـ. له (المجالس) و(الفصيح) و(معاني القُرْآن) و(معاني الشعر) وغيرها.

اللُغَوِيّة، حتى قال ابنُ جنّي يصفُ عصره ((وفي وقتنا هذا لا نكاد نرى بدويًّا فصيحًا. وإنْ نحن آنسْنا منه فَصَاحَة في كلامه لم نكدْ نعدمُ ما يفسد ذلك ويقدحُ فيه وينالُ ويغُضّ منه))[1].

ومِن المحققِ أنَّ جُمْهُور الشعراءِ في هذا العصر كانتْ تنقُصُهُ تلك السليقة ممّا هَيَّأ لظُهُور اللحْنِ والخروج أحيانًا على القياس الصَّرْفي. وكانَ علماءُ اللُغَة لهم بالمرصاد؛ فكلمّا انحرفوا دَلّوْهُمْ على انحرافِهم، ويفيضُ كتابُ الموشّح للمرزبانيّ في أَخْذِ هؤلاءِ العلماءِ عليهم، وكانوا يَرْهَبُونهم رهبة شديدة، حتى كان فريقٌ منهم يعْرُضُ عليهم أشعارَه قبل إذاعتِها .

[1] الخصائص ٢/٧.

المطلب الثاني: تعدّد اللُغَات أسبابه وصوره

تميّزتْ شِبْهُ جزيرةِ العَرَبِ باشتمالِها على مناطقَ جغرافيةٍ مختلفةٍ تتوسّطُهَا الصحراءُ، وقد ساعدتْ طبيعةُ الأرضِ العَرَبِيَّة على احتفاظِ الحياةِ الاجتماعيةِ العَرَبِيَّة بسماتٍ قبليةٍ في كثيرٍ من جوانبِها بالرغمِ مِن وجودِ نمطِ حياةِ الاستقرارِ التي عَرِفَتْ الاشتغالَ بالزراعةِ والعمرانِ في الجنوبِ (اليمن) وفي المناطقِ الساحليةِ أو القريبةِ مِن الساحلِ التي عَرفتِ الحياةَ المدنيةَ والاشتغالَ بالتجارةِ . ولم تكنِ المجتمَعَاتُ العَرَبِيَّة ذاتَ درجةٍ واحدةٍ من التطورِ الاجتماعيّ، بل كانتْ متفاوتةً نتيجة عواملَ مختلفةٍ. وقدِ انعكسَ ذلك التفاوتُ في درجاتِ التطورِ الاجتماعي على الوضعِ اللُغَوِيّ للعربيةِ. فكانتِ اللُغَة العَرَبِيَّة – والحالة هذه – بدرجاتٍ متباينةٍ من التطورِ حَسَبَ القَبَائِلِ والمناطق .

لكنْ متى كانتِ الفصحى؟ وما هذه اللُغَات التي كانتْ تعيشُ معها قبل الإسلام؟ عِلْمُ ذلك عند الله. يرى بعض المؤرخين أنّ أولَ مَن تَكَلّمَ بالعَرَبِيَّة هو يَعْرُبُ بنُ قحطانَ. ويرى آخرون أنَّ إسماعيلَ هو أولُ مَن نطقَ بها[1]، وفي الدّرسِ الحديثِ يقالُ إنّ العَرَبِيَّة تنحدرُ مِن اللُغَة الآراميّةِ، وهي التي تَكَلّمَ بها آرامُ بنُ سام بنِ نوحٍ عليه السلام . وعلماءُ الأنثربولوجيا وعلماءُ اللُغَوِيّاتِ حديثًا يصنّفون كلَّ اللغات العربيات، ويعودون بها إلى لُغَة (أم) أطلقوا عليها (اللُغَة السّاميّة)[2] وأولُ مَن أَطْلَقَ هذه التسميةَ هو العالِمُ النمساويّ شولتزر عام ١٧٨١م[3]، وواضحٌ أنها تسميةٌ عنصريةٌ اقتبسها مِن نصٍّ مِن نصوصِ التوراة المكتوبةِ بأيدي الأحبار(العهد القديم)[4] في ظِلِّ تقسيمٍ وهْمِيٍّ للأجناسِ البشريةِ مستَمَدّ مِن أبناءِ نوحٍ وهم: سام وحام و يافث .

---

[1] ينظر: التنبيه والإشراف أبو الحسن علي بن الحسين المَسْعُوْدِي(ت:٣٤٦هـ) تصحيح: عبدالله إسماعيل الصاوي ص: ٨٠ د.ط، د.ت، دار الصاوي – القاهرة

٢ (الساميّ، والساميّة، والساميّون): يطلق على التجمعات والكيانات البشرية التي تواجدت في فلسطين، وغور الأردن، وجنوب العراق،وشبه الجزيرة العَرَبِيَّة، باعتبار أن كل هذه المناطق تشكل وحدة جغرافية واحدة، وقد استحالت لُغَة وألسنة هذه الأقوام إلى اللُغَة العَرَبِيَّة،واللُغَة العبرية،واللُغَة السريانية. والسامية أيضا: مصطلح يطلق على كل الشعوب والأمم والقَبَائِل قديما وحديثا التي تنتسب إلى سام بن نوح مرورا بالعصور الوسطى، وأن التوراة أول من أشار بالنص إلى ذلك التقسيم كما سبق وأسلفنا.

[3] ينظر: فقه اللُغَات السامية كارك بروكلمان ترجمه عن الألمانية: د. رمضان عبد التواب ص:٩ طبعة: ١٩٧٧، منشورات جامعة الرياض، و تاريخ اللُغَات السامية اسرائيل ولفنسون(أبو ذؤيب) ص: ٢ طبعة:١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، مطبعة الاعتماد – مصر.

[4] ينظر: (الإصحاح: ١٠ سفر التكوين).

وقيل أن لفظ "العربية" ورد تسميةُ منذ منتصفِ القرنِ التاسعِ قبل الميلاد، في نصٍ مِن نصوص شِلْمُنَاصّر الثالثِ الآشوري[١]. والأقوامُ الذين تكلموا العَرَبِيَّة كثيرون، منهم العربُ البائدة: وهم قَبَائِل طَسَم، وجديس، والعماليق، وأهل الحجر، وعاد وثمود قوم هود وصالح عليهما السلام وغيرهم[٢] . وهؤلاء لم يصلْ لنا شيءٌ مِن أخبارهم لا مِن قريبٍ ولا مِن بعيدٍ . وهناك العربُ العاربَةُ: وهم القحطانيون ومَن ينحدرُ منهم . وأخيرًا العربُ المُسْتَعْرِبَةُ وهم أبناءُ إسماعيلَ العدنانيون .

إنّ العَرَبِيَّة الآن من أقدمُ اللُغَات التي لا زالتْ تتمتعُ بخصائصِها مِن ألفاظٍ وتراكيبَ وصَرْفٍ ونحوٍ وأدبٍ وخيال، مع الاستطاعةِ في التعبير عن مداركِ العِلْم المختلفة[٣]، لكنّنَا لا نملكُ عن تاريخِ هذه اللُغَة نصوصًا تُوْقِفُنَا على طفولتِها وتَطَوّرِ حياتها الأولى، يقول المستشرق أرنست رينان: ((مِن أغرَبِ المدهِشاتِ أنْ تَثْبُتَ تلك اللُغَة القويةُ، وتصل إلى درجةِ الكمالِ عند أمةٍ مِن الرُّحَّلِ، تلك اللُغَة التي فاقتْ أخواتَها بكثرةِ مفرداتِها ودقّةِ معانيها وحُسْنِ نظام مبانيها))[٤]، بل لعلّنا نظنّ أنّ هذا الماضي القديمَ للغتنا العَرَبِيَّة قد أصبحَ في ذمّةِ التاريخ ولا سبيلَ لنا الآن إلى أنْ نستردَ منه شيئًا ذا بال .

أولًا: أسباب تعدد اللُغَات واختلافها

مِن المقررِ في قوانينِ اللُغَات أنه متى انتشرتْ اللُغَة في مساحةٍ واسعةٍ مِن الأرضِ وتكلّمَ بها طوائفُ مختلفةٌ مِن الناس استحال عليها الاحتفاظُ بوحدتِها الأولى أمدًا طويلًا، فلا تلبثُ أنْ تتشعبَ إلى عدة لَهْجَات[٥]، ولم تفلتِ اللُغَة العَرَبِيَّة مِن هذا المصيرِ، فمنذ أنْ اتسعَ انتشارُها أخذتْ تتشعبُ إلى لَهْجَات يختلفُ بعضُها عن بعضٍ في مظاهرِ الصوتِ والقواعدِ والدلالةِ

---

[١] ينظر: مهد الإنسان العربي نظرية تحتاج إلى تأصيل د/محمود عبد الحميد أحمد ص:١١٥ مجلة العربي العدد/٤٧٢/مارس ١٩٩٨م

[٢] ينظر: التنبيه والإشراف للمَسْعُوْدِي ١/٧٠.

[٣] ينظر: القياس في اللُغَة العَرَبِيَّة محمد الخضر حسين ص: ١٨

[٤] تاريخ اللُغَات السامية ص: ١٧٦

[٥] ينظر: في علم اللُغَة د. غازي طليمات ص: ٥٨، الطبعة الثانية: ٢٠٠٠م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر – دمشق

والمفرداتِ[1]. وأخذتِ المسافة تتّسعُ بين اللُغَات – خاصة في العصر الحديث – فالمُقِلّ مِن العلماءِ ذَكَرَ أنّ البشرَ يستخدمون (٢٥٠٠) لُغَة، والمُكْثِرُ ذَكَرَ أنهم يستخدمون (٣٥٠٠) لُغَة[2] .

إنّ تَعَدّدَ اللُغَات آيةٌ مِن آياتِ اللهِ، وتَعَدّدُها وانقسامُها أمرٌ واقعٌ لا محالة، وحَسْبُكَ دليلًا قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[3]. ويكفي هذا دليلًا لأولئك الذين يحاولون علاجَ تعدّدِ اللُغَات بإنشاءِ لُغَة عالميةٍ (اسبرانتو Esperanto) يتحدثُ بها الناسُ جميعًا ؛ لأنّ هذه اللُغَة لا تلبثُ بعدَ تداولِها زمنًا أنْ تَخْضَعَ لقوانينِ اللُغَات الطبيعيةِ مِن التعدّدِ والانقسام[4] .

أرجَعَ الدكتورُ إبراهيمُ أنيس[5] وغيرُه[6] سببَ تكوّنِ اللَهْجَات في العالَمِ لأحدِ سببين أو لهما معًا: الانعزالِ بين بيئاتِ الشَّعْبِ الواحدِ، و الصراعِ اللُغَوِيّ نتيجة غزوٍ، أو هجراتٍ. وجَعَلَهَا الدكتور أنيسُ فُرَيْحَة ثلاثة[7]: المغايرةَ الفرديّةَ، واتسّاعَ الرُّقعةِ الجغرافيّةِ، والاحتكاكِ بلُغَة أُخْرى . في حينِ يأخذ الباحث بما يراه الدكتور عبدُ الغفّار هلال[8] والدكتورُ علي عبدُ الواحدِ وافي[9] مع اختلافٍ معهما في العَدَدِ، أنّ الأمرَ يعودُ لتَضَافرِ مجموعةِ عوامل مِن أهمّها ما يأتي:

١. العامل الجغرافي:

تتمتّعُ اللُغَة بإيقاعٍ في النطقِ يعكسُ نمطَ البيئيةِ الجغرافيّةِ للمجتمعِ مِن حَيْثُ لُطْفِ الحياةِ أو قسوتِها، وتتطبّعُ موسيقاها بأسلوبِ الحياة، فكلما كانتِ الحياةُ شقيةً ترتدي هندامَ القسوةِ ينعكسُ ذلك في طريقةِ المحادثةِ وأسلوبِ الإلقاءِ والتعبيرِ، وكذلك الحالُ عندما ترتدي الحياةُ الرِّقةَ والهدوءَ، فإنك تجدُ طريقةَ التلفّظِ هي الأخرى تأخذُ تلك السّجيّةَ .

---

[1] ينظر: فقه اللُغَة د. علي عبد الواحد وافي ص:٨٦، ١٠٤ الطبعة الثالثة: ٢٠٠٤م، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، وفي علم اللُغَة طليمات ص:٥٨.

[2] ينظر: في علم اللُغَة طليمات ص:٥٨.

[3] الروم/٢٢.

[4] ينظر: علم اللُغَة علي عبد الواحد وافي ص: ١٧٨.

[5] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة د. إبْرَاهِيم أنيس ص:٢٠.

[6] ينظر: القراءات وأثرها في علوم العَرَبِيَّة د. محمد محمد محمد سالم محيسن(ت:١٤٢٢هـ) ص:٨٠، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، مكتبة الكليات الأزهرية– القاهرة.

[7] ينظر: اللَهْجَات وأسلوب دراستها أنيس فريحة ص:٨٦

[8] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة د. عبد الغفار هلال ص:٣٦ وما بعدها.

[9] ينظر: علم اللُغَة د. علي عبد الواحد وافي ص: ١٧٥– ١٧٦

فالبيئةُ الجغرافيةُ في شِبْهِ الجزيرةِ العَرَبِيَّة ممتدةً على نحوٍ واسعٍ، تختلفُ الطبيعةُ فيها فيتّصِلُ بعضُها وينفصلُ بعضُها الآخرُ، ففيها التّهَائمُ والنُجُودُ والمسايلُ والوديانُ، وفيها المناطقُ الصحراويةُ التي يعيشُ فيها البدو، وفيها مناطقُ الاستقرارِ والتحضرِ حَيْثُ يوجد شيءٌ مِن زراعةٍ أو نصيبٌ مِن تجارة[١] . فينشأ عن ذلك انعزالُ مجموعةٍ مِن الناسِ عن مجموعةٍ أخرى، فيؤدّي ذلك مع الزمنِ إلى وجودِ لَهْجَة تختلفُ عن لَهْجَة ثانية تنتمي إلى اللُغَة نفسِها . فالذين يعيشون في بيئةٍ زراعيةٍ مستقرةٍ يتكلمون لَهْجَة غيرَ التي يتكلمُها الذين يعيشون في بيئةٍ صحراويةٍ بادِيَة[٢]، وهَلُمَّ جَرًّا، فلا يَخْفَى أنّ هذه الفروقَ الطبيعيةَ تؤدّي عاجلًا أو آجلًا إلى فروقٍ وفواصلَ في اللُغَات، وأنّ خصائصَ اللَهْجَات تتفقُ مع الموقعِ الجغرافيِّ الذي تنشأ في ظلِّه[٣]، وإذا كانتِ البيئةُ تؤثّرُ على سكانِها جسميًّا وخلقيًّا ونفسيًّا، فإنها تؤثرُ كذلك على أعضاءِ النطقِ وطريقةِ الكلام[٤] .

٢. العامل الاجتماعي:

يتمثّلُ في ما بينَ السكّانِ مِن فروقٍ في النُظُمِ الاجتماعيّةِ والأعراقِ والتقاليدِ والعاداتِ ؛ لأنّ المجتمَعَ الإنسانيَّ بطبقاتِهِ المختلفةِ يؤثّرُ في وجودِ اللَهْجَات، فالطبقةُ الأرستقراطيةُ مثلًا تتّخِذُ لَهْجَة غيرَ لَهْجَة الطبقةِ الوسطى أو الطبقاتِ الدنيا مِن المجتمَعِ، ويلتحقُ بذلك أيضًا ما نلاحظُهُ مِن اختلافاتٍ لهجيّةٍ بين الطبقاتِ المَهَنِيّةِ، إذ تنشأ لَهْجَات تجاريةٌ وأخرى صناعيّةٌ وثالثة زراعيّة وهكذا[٥] . وعن هذه الأسبابِ ينشأ ما يُسَمِّيْهُ العالِمُ الفرنسيُّ جوزيف فندريس[٦] بالعاميّاتِ الخاصةِ les argots، وهو يقرّرُ أنّه يوجدُ مِن العامياتِ الخاصّةِ بقدْرِ ما يوجدُ مِن المِهَنِ المتعدّدةِ والمختلفةِ، والعاميّةُ الخاصةُ تتميزُ بتنوعِها الذي لا يُحَدُّ، وأنّها في تغيرٍ دائمٍ تبعًا للظروفِ والأمكنةِ، فكلُّ جماعةٍ خاصةٍ وكلُّ هيئةٍ مِن أربابِ المِهَنِ لها عامّيَتُها الخاصةُ[٧]، فمِن الواضحِ أنَّ الاختلافَ في هذه الأمورِ يترددُ صداهُ في أداةِ التعبير.

---

[١] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. عبده الراجحي ص: ٣٩ طبعة: ١٩٩٦م، دار المعرفة الجامعية.

[٢] المرجع السابق ص: ٣٧

[٣] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة تشيم رابين ص:٣٦.

[٤] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة عبد الغفار هلال ص:٤١

[٥] اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. عبده الراجحي ص: ٣٨

[٦] **فندريس:** باحث وعلّامة لُغَوِيّ فرنسي (١٣ يناير ١٨٧٥ – ٣٠ يناير ١٩٦٠). شغل منصب عميد كلية الآداب بجامعة باريس، كما كان عضوًا بالمعهد الفرنسي ورئيس الجَمْعية اللُغَوِيّة الأسبق بباريس. يعتبر كتابه "اللُغَة" بمثابة دراسة مرجعية متخصصة في البحث اللُغَوِيّ.

[٧] ينظر: اللُغَة ج. فندريس تعريب: عبد الحميد الدواخلي، وأحمد القصاص ص:٣١٥– ٣١٦ د.ت، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية.

فليس للانعزالِ الجغرافيِّ وَحْدَهُ كلُّ الأثرِ في تكوّنِ اللُّغَات، بل يجبُ أنْ يُضَمَ إليه الانعزالُ الاجتماعيُّ، واختلافُ الظروفِ الاجتماعيةِ بين البيئاتِ المنعزلةِ . فمِن بين هذه البيئاتِ المنعزلةِ ما تَتّخذُ فيه العلاقةُ بين الأفرادِ شكلًا خاصًا ونظامًا مميزًا[1]. فمجتمعُ الرعي يختلفُ عن مجتمعِ الزراعةِ، وظروفُ الرّعيانِ ومواشيْهم: مواسمُ تزاوجِها، وأوقاتُ حَلْبِها وولادتِها، وما يفيدُها مِن العُشْبِ والكَلَأ أو ما يضرُّها . تختلفُ عن علاقةِ المزارعِ بأرضِهِ: ما يُصْلِحُ هذه الأرضَ مِن الأسمدةِ، ومواسم المطر والجفاف، ومواسم الزرع والحصاد، وآلات الفلاحة وغيرها – ومجتمعُ التجارةِ والكسْبِ، غيرُ مجتمعِ الحروبِ والفرسانِ [كالصعاليكِ +قطّاع الطُرُق]، فظروفُ التجّار: أنواعُ السِّلَعِ والبضائع، لأيّةِ جهةٍ تعودُ هذه البِضَاعةُ، كَيْفِيّة الترويج للبِضَاعةِ، احترافُ الرِّبْحِ وتَجَنّبِ الغشّ، طريقة المساومة في البيع والشراءِ . تختلفُ عن مجتمع الفرسان ورجال الحرب: الولاء بين الجندي والقائد، والتعامل مع الأسلحة، الدماء، والفتك، قطاع الطرق، طائفة الصعاليك، والكر والفرّ وغير ذلك ..

فتلك الظروفُ الاجتماعيةُ وغيرُها لا تكادُ تقعُ تحت الحَصْرِ، وهي التي تساعدُ العاملَ الجغرافيَ بطريقٍ أو بآخرَ في تكوّنِ اللُّغَات وتعدّدِ اللَهْجَات .

٣. العامل التاريخي:

اليمنُ أهلُ حضارةٍ قديمةٍ، وهو مجتمعٌ تنشطُ فيه حركةُ العمرانِ فتكثرَ الأقاليمُ والمناطقُ وتتعددَ فيها المدنُ والقرى، قال تَعَالَىْ: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[2] ومتى انتشرتِ اللُّغَة في مناطقَ واسعةٍ مِن الأرضِ لا تلبثْ أنْ تنشعبَ إلى لَهْجَات[3]، وتسلكُ كلُّ لَهْجَة مِن هذه اللَهْجَات في سبيلِ تطورِّها مَنْهَجا يختلفُ عن مَنْهَج غيرِها، فيتسعُ تَبَعًا لذلك نطاقُ لغتِها، ولا تنفكُّ مسافةُ الخَلَفِ تتّسعُ بينها وبين أخواتِها حتى تصبحَ لُغَة متميزةً مستقلةً، فهناك اللُّغَة السبئيّةُ والمعينيّةُ والقتبانيّةُ والحِمْيَريّة والأوسانيّة وغيرُها، ووضْعُ الألفاظِ عندهم يختلفُ عن غيرِهم، وقديمًا قيل: ما لسانُ حِمْيَرَ وأقاصِي اليمن بلسانِنا. وقال أبو عمرو بنُ العلاء: ليستْ لُغَة حِمْيَر بلغتنا ولا عربيتهم بعربيتنا .

ومجتمعُ نجْدٍ أكثرُهم أهلُ بداوةٍ وتَرْحال، فوضْعُ الألفاظِ أكثرُهُ سيكونُ مِن البيئةِ المحيطةِ، وتسُوْقُ لنا الكتبُ أنّ زيدَ بنَ عبد الله بن دارِم وَفَدَ عَلَى بعضِ ملوكِ حِمْيَر فألْفاه فِي مُتَصَيَّد لَهُ عَلَى جبل مُشْرِفٍ، فسلّمَ عَلَيْهِ وانتسبَ له، فقال لَهُ الملكُ: ثَبْ [أي: اجلس]،

---

[1] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة إبْرَاهِيم أنيس ص:٢١

[2] سبأ من الآية/١٩

[3] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة إبْرَاهِيم أنيس ص:٢٠.

وظنَّ الرَّجُلُ أنّه أمرَه بالوثوبِ مِن الجبلِ فقال: لِيَعْلمَ المَلِكُ أنّي سامعٌ مطيعٌ، ثُمَّ وَثَبَ مِن الجبل فَهَلَكَ، فتعجَّبَ المَلِكُ، وسألَ: ما شأنُه؟ فقالوا له: إن ثَبْ في لغته تعني (اقفِزْ) فقال: أما أنه ليست عندنا عربية: من دخل ظَفار حَمّر. أي: من دَخل ظفار فليتعلم الحميرية[1].

٤. عامل التنقل (الرحلات + الهجرات):

الكثرةُ السّاحقةُ مِن سكانِ الجزيرةِ ينتجعون الكلاءَ ويرتادون مواقعَ الغيثِ لمواشيهم وإبلِهم، أو يعتاشون على الحروبِ والسّلْبِ والغاراتِ، أو على التجارةِ البريّةِ التي تجوبُ الصحراءَ، فالقوافلُ تجوبُ الجزيرة ويتنقلون في مختلفِ بقاعِها، مِن الشام شمالًا إلى أقاصي اليمن جَنُوبًا، ومِن أشهَرِ رحلاتِهم الموسميّةِ رحلتا الشتاءِ والصيفِ. يقول الدكتور عمر فرّوخ: ((منذ أواسطِ القرن السادس للميلادِ بدأ مجرى التاريخ في بلادِ العرب يتحولُ مِن نَجْدٍ إلى الحِجَاز فاكتسبَ الحِجَاز بذلك مكانةً اقتصاديةً تجاريةً، فمِن العوامل التي أدّتْ إلى ذلك تحوّلُ طريق التجارة من البَرّ إلى البحرِ الأحمرِ))[2] . وكان للمواصلات التجارية في جزيرة العرب طريقان[3]، أحدهما: شرقيٌّ يصل عمانَ بالعراقِ وينقلُ بضائعَ اليمن والهندِ وفارسٍ بَرًّا ثم يجوز غرب العراق إلى البادِيَة حتى ينتهيَ به المطافُ في أسواق الشام، يمر التجارُ فيه على أسواقِ اليمنِ والعراقِ وتدمرَ وسورية، ويبيعون في كلِّ قُطْرٍ ما لا يكون فيه، ويأخذون منه إلى غيره ما يروج فيه. والطريق الآخر– وهو الأهم – غربيٌّ يصل اليمن بالشام، مجتازًا بلادَ اليمنِ والحِجَاز، ناقلًا أيضًا بضائع اليمنِ والحبشةِ والهندِ إلى الشام وبضائعَ الشام إلى اليمن حَيْثُ تُصَدّرُ إلى الحبشة، وإلى الهند عَبْرَ البحر.

ومنذ عصورٍ سحيقةٍ حدثتْ في هذه الجزيرةِ هجراتٌ بشريةٌ حدثتنا عنها كتبُ التاريخِ والأنسابِ . هاجر أهلُ اليمنِ إلى وسطِ الجزيرةِ وشرقيّها وشماليّها، وهاجرَ مَن هاجرَ مِن أهلِ الحِجَاز إلى اليمن، واستمرتِ الهجراتُ في العصورِ الإسلاميةِ مع موجاتِ الفتح والجهادِ حتى العصرِ الحديثِ[4] . فإذا جاورتْ قَبِيْلَة ما قَبِيْلَة أخرى في إحدى الفترات الزمنية، فإنّ تلك المجاورةَ قد تؤدّي إلى بعضِ التغيرّ اللهجيّ في لَهْجَة كلتا القبيلتين، أو إحداهما على الأقل، وساعد هذا العاملُ لُغَة الشمالِ أن تفرضَ سيطرتَها على لُغَة الجنوبِ من خلال ما يأتي:

أ. هجرةِ قَبَائِل الجنوبِ إلى شمالِ الجزيرةِ بسبب كارثة سدّ مأرب.

---

[1] ينظر: الصاحبي في فقه اللُغَة ومسائلها وسنن العرب في كلامها أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ص:٢٧– ٢٨ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م – مطبعة محمد علي بيضون.

[2] تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية د. عمر فروخ ص:٤٥، طبعة: ١٩٧٠م، دار العلم للملايين – بيروت.

[3] ينظر: أسواق العرب في الجاهلية د. سعيد الأفغاني ص:١٦ د.ط، د.ت، د.د.

[4] اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. عبده الراجحي ص: ٣٩

ب. اختلاطِ أهلِ الجنوبِ بأهلِ الشمالِ وتقاربِ لغتهم بُغْيَة التفاهُمِ والانسجام.
ج. ارتياد أهلِ الجنوبِ مناطقَ الجزيرةِ الشماليةِ بُغْيَة التجارة.
د. انهيارِ دولةِ الجنوبِ وتَغْلِب اللُغَة العدنانيةِ على القحطانية.

فإذا كان التفاوتُ اللُغَوِيّ واضحًا وجليًّا بين لغتين منتميتين لأرومةٍ واحدةٍ، فكيف هو الحالُ لتفرعاتها اللهجيّة؟! يقول الجاحظ: العربُ كلُّهم شيءٌ واحدٌ، لأنّ الدارَ والجزيرة واحدةٌ، والأخلاقُ والشِّيَمُ واحدةٌ، واللُغَة واحدةٌ، وبينهم مِن التّصاهرِ والتشابكِ، والاتفاقِ في الأخلاقِ وفي الأعراقِ، فهم في ذلك بذلك شيءٌ واحدٌ في الطبيعةِ واللُغَة، والهمّةِ والشمائلِ[1] .

٥. **عامل الجوار والاحتكاك:**

إنّ المجتمعاتِ كالكائناتِ الحيّةِ لا تقفُ حياتُها عند نقطةٍ واحدةٍ وإنما تعكفُ على الاستمراريّةِ، وخِلالَ سيرِها في الفتراتِ الزمنيةِ المختلفةِ تكتسبُ عباراتٍ مركبةً كثيرةً تنتجُ عن اختلاطِها بالشعوبِ أو اللُغَات مِن باب التجارةِ أو التبادلِ الحضاريّ أو الثقافيّ أو حتى عن طريقِ الاحتلالِ أو السيطرةِ العسكرية.

يؤثّرُ احتكاكُ الشعوبِ وتعايشُها معًا على اللُغَات التي تتكلمُها، فتتسربَ الكلماتُ مِن لُغَة إلى أخرى، ويتناسبُ حجمُ ما يتسربُ مِن لُغَة إلى غيرها مِن اللُغَات تناسُبًا طرديًّا مع تأثيرِ الشَّعْبِ الذي يتكلمُ تلك اللُغَة على غيره من الشعوبِ التي تتعايشُ معه[2] .

في كلِّ مرةٍ تتعايشُ فيها لغتان أو أكثرُ في جماعةٍ بشريةٍ يتوجّبُ على أفرادِ الجماعةِ البشريةِ أنْ يبحثوا عن سبيلٍ لإدارةِ الخلافِ اللُغَوِيّ في علاقاتِهم . وتشكّلُ السوقُ نقطة لقاءٍ أخرى يقدّمُ لنا النشاطُ الاقتصاديّ صورة جيّدة عن الحلولِ التي تعتمدُها الممارسةُ الاجتماعيّة لانتشارِ اللُغَة في أوضاع التعدّدِ اللُغَوِيّ . وترينا الأسواقُ كيف يتواصلُ الناسُ في مواجهة العوائق اللُغَوِيّة للتواصل[3] .

أنشأ العربُ أسواقا لهم يتبايعون فيها تلبيةً لضروراتٍ اقتضتْها معيشتُهم وطبيعة توزّعِهم في أراضيهم، منها ما كان يقتصرُ على ما يجاورُهُ مِن القرى والقَبَائِل كسوقِ هَجْرٍ وحَجْر اليمامةِ

---

[1] ينظر: البيان والتبيين ١٩٥/٣.

[2] ينظر: اللُغَة العَرَبِيَّة أصل اللُغَات كلها عبد الرحمن أحمد البوريني ص:٦٢، الطبعة الأولى:١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الحسن للنشر والتوزيع- عمان.

[3] ينظر: حرب اللُغَات والسياسات اللُغَوِيّة لويس جان كالفي ترجمة: د. حسن حمزة ص:١٧٩، الطبعة الأول: ٢٠٠٨م، إعداد المنظمة العَرَبِيَّة للترجمة- بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.

والشحْر وغيرها، ومنها ما كان عامًّا تَفِدُ إليهِ الناسُ مِن أطرافِ الجزيرةِ كلّها كعكاظ. وتتميز بعضُ الأسواقِ التي على فُرَضِ البحر أو التي لها موقعٌ استراتيجيٌّ كعدنَ وصنعاءَ وعُمَانَ بوجودِ الأجانبِ وتأثّرِ أصحابِها باختلاطِهم بهؤلاء، وما يستتبعُ ذلك مِن تغييرٍ في العاداتِ والتقاليد .

وإذا اقتربَ مَوْسمُ الحجِّ وأهلّتْ عليهم الأشهرُ الحرمُ تعُودُ القَبَائِل إلى أمِّها (أم القرى) كما يعود الطفلُ الرضيعُ، فتنشطَ الأسواقُ، وتُعْتَبَرُ سوقُ (عكاظ) مِن أعظَمِ أسواقِهم، اتّخِذَتْ سوقًا بعد عام الفيلِ بخمْسِ عشْرة سنةً حوالى ٥٤٠م، ثم بقيتْ في الإسلام إلى أن نهبها الخوارجُ، فكانت تَحْضُره قَبَائِل العربِ كلُّها، يتقربون لأصنامِهم الجاثمةِ حول الكعبةِ ، ويجتمعون فيه ويمتارون ويتناشدون ويتبايعون ويعتقون فهو متوجّهُهُم الأكبرُ. وكان رسولُ الله ﷺ يقصدها أولَ دعوتِه، ويَعْرُضُ نفسَه على القَبَائِل في هذه المواسم. كان أعظمُ ما يجعلُ العربَ في الجاهليةِ يقصدون تلك الأسواقَ أنَّ مواسمَ بعضِها كعُكَاظٍ ومِجَنّة وذي المَجَاز تقع في أيام حَجِّهم، وهي أعْمِرُ أسواقِ العرب بمختلفِ القَبَائِل يأتونها مِن كلّ أَوْبٍ ومعهم خيراتُ بلادِهم، نظرًا لشيوع الأمْنِ تعظيمًا للأشهر الحرم، وتلك ميزةٌ لا تتمتّعُ بها بلدةٌ غيرَ مكةٍ ولا قومٌ غيرَ قُرَيْش، وقد امتنَّ الله عليهم بذلك فقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1]،وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[2] .. واشتهرَتْ إلى جانبه أسواقٌ أخرى كسوقِ (دَوْمَة الجَنْدَل) بالبحرين، وسوق(صَحَار) بعُمَان، وهَجْر بحضرموت، والجَنَد باليمن، وكانت بعضُ الأسواقِ تقعُ في سلطان دولة أجنبية كسوق (المُشَقَّر) الذي تحَكّمَ كسرى بأهله وتجارته[3].

وفي العهدِ الإسلاميّ استغنتْ كلُّ مدينةٍ بأسواقِها الدائمةِ عن أسواق المواسم، وكفى الله العربَ مؤونة الترحالِ بين أسواق الجزيرة، بما فتح عليهم وسهّل مِن تجاراتٍ تأتيهم إلى مدنِهم، بحَيْثُ يجدون في كلّ بلدٍ عروضَ كثيرٍ مِن البلدان. وعَدَلَ الذين يعانون التجارة منهم عن أسفار البوادي إلى أسفار البحار. فتضاءلتْ الأسواقُ الجاهليةُ بتضاؤلِ آثار البداوةِ مِن حياةِ العرب، وامّحَتْ أسواقُ الجاهليةِ قبل انقضاء القرن الثاني للهجرة ورسَخَتْ أقدامُ التجارةِ في المدن والثغور[4]. ظَهَرَ في البَصْرةِ سوق (المِرْبَد) الذي كان في مبدإ أمْرِه سوقًا للإبل، ثم صار متجَرًا يأتي إليه الناسُ مِن كلّ فَجٍّ للبيع والشراء، ثم انقلبَ سوقًا للشّعْر والأدبِ، والمناظرةِ بين العلماء . وفي الكوفة ظهر سوق "الكِناسَة" الذي يقابل "المِرْبَد" في البَصْرة. ولكنْ لم يكنْ لها ما كان للمِرْبدِ من أثَرٍ بعيد في اللُغَة . فلم يكنِ العربُ منعزلين انعزالًا كاملًا، بل كان بينهم هذا اللقاءُ ثم هذا

---

[1] القصص من الآية/٥٧.

[2] العنكبوت من الآية/٦٧

[3] ينظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام سعيد الأفغاني ص:١٩٥.

[4] ينظر: أسواق العرب سعيد الأفغاني ص:٣٩٣.

التفاعلُ وما ينتج عنه من معرفةِ بعضِهم لَهْجَات بعضٍ، يقول ابنُ جني ((وذلك لأنّ العرب وإنْ كانوا كثيرًا منتشرين وخلقًا عظيمًا في أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين، فإنّهم بتجاورِهم وتلاقيْهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته كما يراعي ذلك من مهم أمره))[1] .

تجاورتْ لَهْجَات مع لَهْجَات ولُغَات مع لُغَات أخرى، فلَهْجَات القَبَائِل العَرَبِيَّة التي كانت تنزلُ بادِيَة الشام أو العراق مثلًا كانت تجاورُ لُغَات كالآراميّةِ والعَرَبِيَّة، والاحتكاكُ معها أدّى إلى ظُهُور ظواهر لهجيّةٍ في اللُغَة العَرَبِيَّة[2]، مثل هذا الاحتكاكِ أو الصراع اللُغَوِيّ يُعَدُّ مِن أهم الأسباب التي تؤدّي إلى نشأة اللَهْجَات[3] .

يقرّرُ فندريسُ أنّ ((تطور اللُغَة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعَدّ أمرًا مثاليًّا لا يكاد يتحقق في أيةِ لُغَة، بل على العكس مِن ذلك فإنّ الأثر الذي يقع على لُغَة ما مِن لُغَات مجاورة لها، كثيرًا ما يلعب دورًا هامًا في التطور اللُغَوِيّ))[4] . وفي التاريخ شَوَاهِد كثيرةٌ على أَثَرِ الصراع اللُغَوِيّ[5]، فحينما فتح العربُ جهاتٍ متعددةَ اللُغَات استطاعتْ اللُغَة العَرَبِيَّة أنْ تَصْرَعَ تلك اللُغَات في مهدِها، فتَغْلِبتْ على (الآرامية) في العراق والشام، وعلى (القبطية) في مصر، وعلى (البربرية) في بلاد المغرب، وعلى (الفارسية) في بعض بقاع مملكة فارس القديمة[6] .

فاللَهْجَات التي يحتكّ بعضُها ببعضٍ تتأثّرُ كلُّ لَهْجَة منها بالأخرى، منتصرةً كانتْ أو غير منتصرة، لأنّ قوانينَ اللُغَة تقرّرُ((أنّ اللُغَة المنتصرة لا تخرجُ سليمة مِن صراعِها، بل إن طولَ احتكاكِها باللُغَات الأخرى، وشدّة كفاحِها معها وما تبديه بعضُ اللُغَات المقهورةِ مِن مقاومة ... كلُّ ذلك يتركُ في اللُغَة الغالبةِ آثارًا كثيرة مِن اللُغَات المغلوبةِ في نواحي الأصوات والقواعدِ والأساليب، وينقلُ إليها كثيرًا مِن مفرداتِها، فاللُغَة الغالبة تَعْمَدُ عادة إلى خصمِها المقهور، فتمتصّ منه ما تحتاجُ إليه، وتَسْلُبُهُ ما يعوزُها قبل أنْ تجهزَ عليه))[7] .

---

[1] الخصائص ١٧/٢ – ١٨.

[2] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. عبده الراجحي ص: ٣٩

[3] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة د. أنيس ص: ٢٠

[4] اللُغَة جوزيف فندريس تعريب: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ص:٣٤٨، طبعة:١٩٥٠م، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية.

[5] اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. عبده الراجحي ص: ٣٨

[6] ينظر: القراءات وأثرها في علوم العَرَبِيَّة د. محمد محيسن ص:٨١.

[7] فقه اللُغَة د. علي عبد الواحد وافي ص: ٩١ .

إنّ اللُغَات يأخذ بعضُها مِن بعضٍ، فالظروفُ التي تطرأ في حياة الأمم تحتّمُ الاتصالَ والاحتكاك[١]، ومِن الحقائق العامةِ أنّه وُجِدَتْ في الماضي لُغَات معينةٌ كانتْ يومًا ما هامة ومنتشرة ثم اختفتْ مِن الوجودِ نهائيًا وبادَتْ معالمُها، وهناك بالمقابل لُغَات أخرى أظهرتْ قوة جبارة في التوسّع والامتصاصِ واستمالةِ أعدادٍ هائلةٍ مِن المُتَكَلّمين الذين لم يسبق لهم استعمالها[٢].

٦. العامل الفسيولوجي والنفسي:

مِن المقررِ أنّ أعضاءَ النطق تختلفُ في بنيتها واستعدادِها ومَنْهَج تطورها تبعًا لاختلاف الشعوبِ، وتنوع الخواصِ الطبيعيةِ المزود بها كلَّ شعبٍ، والتي تنتقلُ بطريق الوراثةِ مِن السَلَفِ إلى الخلف، فلم يكنْ مناصٌ أنْ تختلفَ أصواتُ اللَهْجَات العَرَبِيَّة بعضها عن بعضٍ[٣]، ومِن الحقائقِ المقررةِ أنّ اللُغَة إذا ((كانتْ واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها، ومِن المسلّم به أنّه لا يتكلمُ شخصان بصورةٍ واحدةٍ لا تفترق))[٤] .

ولا يخفى أن أعضاء النطق في الإنسان في تطوّرٍ طبيعيٍّ مطّردٍ في استعدادِها ونهج أدائها لوظائفها، واختلافُ الأفرادِ في النطق يؤدّي مع مرور الزمنِ إلى تطوير اللَهْجَة أو إلى نشأةِ لَهْجَات أخرى، بل إن سابيير يذهبُ إلى أنّ اللَهْجَات تنشأ من (الميل العام إلى الاختلاف الفردي في الكلام). ويمكنُ أنْ يلتحقَ بهذا أيضًا ما يسمّى "بخطأ الأطفال" و"القياس الخاطئ"، فنحن نلحظ مثلًا أنَّ بعضَ الأطفالِ يقولُ "أَحْمِرَة وأَخْضِرَة" في مُؤَنّث "أحمر وأخضر"، فإذا عاش هؤلاءِ الأطفالُ في معزلٍ عمَن يقوّمُ لهم ألسنتَهم كأنْ يكونُ آباؤهم مشغولين في الغزو أو في طلب الرزق، أصبحت هذه الأخطاء بعد فترة من الزمن عاداتٍ لهجية، ولعلّ ما يمكن أنْ نضعه في هذا المجال ما رُوِيَ مِن أنَّ لَهْجَة تَمِيْم في بناء اسم المفعول من الأجوف على مفعول فيقولون "مبيوع ومديون" قياسًا على الفعل الصحيح .

وكلُّ تطوّرٍ يَحْدُثُ في أعضاءِ النطق يتبعه تطوّرٌ في أصولِ الكلماتِ، حَيْثُ يسعى الفردُ إلى إيثار الخفّةِ في النطق، وتقليل الجهد العضلي في أثناء الكلام، فتنحرف الأصوات عن الحالة التي كانت عليها إلى صورةٍ أخرى تتلاءمُ مع الحالةِ الجديدة، وقد حدثتْ هناك كثيرٌ مِن التغيراتِ

---

[١] ينظر: اللُغَة العَرَبِيَّة أصل اللُغَات كلها ص:٦٥

[٢] ينظر: أسس علم اللُغَة ماريو ماي ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر ص: ٧٢ الطبعة الثامنة:١٤١٩هـ/١٩٩٨م، عالم الكتب.

[٣] ينظر: فقه اللُغَة د. علي عبد الواحد وافي ص:١٠٦.

[٤] اللُغَة فندريس ص: ٢٩٥.

والتحولاتِ الصوتيةِ لبعض الأصواتِ العَرَبِيَّة، فأصواتُ الجيمُ والثاءُ والقافُ أصبحتْ مِن الأصواتِ الثقيلةِ في كثيرٍ مِن البلدانِ العَرَبِيَّة، وأصبح نطقُها على الوجهِ الصحيح يتطلّبُ مجهودًا عضليًّا وتلقينًا صحيحًا، فأخذتْ تتحولُ تدريجيًّا إلى أصواتٍ أخرى، ففقدتِ الجيمُ تعطيشَها، وانتقلَ الثاءُ إلى مخرج التاءِ لتقارب مخرجيهما، والقافُ تحوّلتْ إلى همزةٍ و إلى جيمٍ غيرِ معطشةٍ[1] .

[1] ينظر: فقه اللُغَة علي عبد الواحد ص:١٠٦- ١٠٧

ثانيًا: صور من اختلاف لُغَات العرب

أفرد ابنُ جنّي(ت:٣٩٢هـ) في كتابه (الخصائص) بابًا في (اختلاف اللُغَات وكلها حجة)[١]، و عوَّلَ عليه السَّيُوطِي في موضعين من كتابه (الاقتراح) أولُهما في كتاب السَّمَاع[٢]، والآخَرُ في الكتابِ السادس، المَسْأَلَة الثانية[٣]، والمراد باللُغَات لُغَات القَبَائِل المأخوذ عنها والمعتدّ بفصاحتها.

وبوّبَ ابنُ فارسٍ[٤](ت:٣٩٥هـ) مبحثًا في اختلاف لُغَات العرب ذاكرًا عددًا مِن الوجوه التي تختلفُ مِن لُغَة إلى أخرى[٥]:

- اختلاف في المعنى، أيْ إنّهم يستعملون كلماتٍ مختلفة للدلالة على معنى واحدٍ . أو يستعملون كَلِمَة واحدة للدلالة على معانٍ مختلفةٍ .
- اختلاف في الحركات، فبعض القَبَائِل كقُرَيْش تفتَحُ حرف المضارعةِ فتقول :(نَستعين) بفتح النون، وبعضها كأسَد تقول :(نِستعين) بكسر النون .
- اختلاف في التذكير والتأنيث، فبعضُهم يقول :هذه النخلُ، وهذه البقرُ، وبعضُهم يقول : هذا النخلُ وهذا البقرُ.
- اختلاف في كثرة المترادفات، فقَبِيْلَة تضع اسمًا لشيءٍ، وقَبِيْلَة أخرى تضعُ لذاتِ الشيء اسما آخر، ولهذا كثرت المترادفات كثرة غريبة، حتى قالوا مثلا :إن للعسل ثمانين اسمًا، وللسيفِ خمسين اسمًا،وقد ألّفَ صاحبُ القاموس كتابًا أسماه (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف)[٦] .
- اختلاف فِي الحركة والسكون مثل قولهم: (معَكم/ معْكم) وأنشد الفَرّاء:[من الوافر]

ومَنْ يتَّقْ فإنّ الله معْهُ *** ورزق الله مؤتابٌ وغادِ

- اختلاف فِي إبدال الحُرُوْف نحو: (أولئك/ أولالك) أنشد الفَرّاء:[من الطويل]

أُولالِك قومي لَمْ يكونوا أُشابَةً *** وهل يعِظُّ الضِّلّيلَ إلا أُولالكا

---

[١] ينظر: الخصائص ١٢/٢.

[٢] ينظر: الاقتراح في أصول النحو جلال الدين السَّيُوطِي حققه وشرحه: د. محمود فجال ص: ١١١، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، دار القلم – دمشق.

[٣] ينظر: الاقتراح ص/٣٨٦

[٤] **ابن فارس:** أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أقام مدة بقزوين، وأقام مدة في همذان، قرأ عليه بديع الزمان الهمذاني، والصاحب بن عباد، وانتقل إلى الري و بها توفي سنة ٣٩٥هـ. له (معجم مقاييس اللغة) و(الصاحبي) و(جامع التأويل) و(الفيروز).

[٥] ينظر: الصاحبي ص: ٢٥ – ٢٨

[٦] ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللُغَوِيّين والنُّحَاة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُوطِي تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم ٢٧٤/١ د.ت، د.ط _ المكتبة العصرية ت لبنان، صيدا.

ومنها قولهم: "أنّ زيدًا" و"عَنّ زيدًا"

- اختلاف فِي الهمْزِ والتليين نحو: (مستهزءون/ مستهزُوْن).
- اختلاف فِي التقديم والتأخير نحو: (صاعقة/ صاقعة).
- اختلاف فِي الحذفِ والإثباتِ نحو: (استحيَيْت: استحْيت)و(صدَدْت:أَصْدَدْت).
- اختلاف فِي الحرف الصحيح يبدلُ حرفًا معتلا نحو: (أما زيدٌ/ أيْما زيدٌ).
- اختلاف فِي الإمالة والتفخيم فِي مثل: قضى ورمى، فبعضهم يفخم وبعضهم يُميل.
- اختلاف فِي الحرف الساكن يستقبله مثله، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم، فيقولون: اشترَوُا الضلالة واشترَوِا الضلالة.
- اختلاف فِي الإدغام نحو: (مهتدون/ مُهَدُّون).
- اختلاف فِي الإعْرَاب نحو: (مَا زيدٌ قائمًا/ مَا زيدٌ قائم) و(إنّ هذين/ إنّ هذان) وهذا الوجه هو الذي تدور حوله هذه الأطروحة .
- اختلاف فِي صورة الجَمْع نحو: (أسرى/ أُسارى).
- اختلاف فِي التحقيق والاختلاس نحو: (يأمُرُكم/ يامُرْكم) .
- اختلاف فِي الوقف عَلَى هاء التأنيث مثل (هَذِهِ أُمَّهْ/ هَذِهِ أمَّتْ).
- اختلاف فِي الزّيادة نحو: (أَنْظُرُ/ أَنظورُ).
- اختلاف التضادِّ، وذلك قول حِمْيَر للقائم (ثبْ) أي اقعد أو اجلس، وفي لُغَة أخرى بمعنى اقفز .

ويمكنُ إرجاعُ هذه الوجوهِ والصور إلى أربعةِ مستوياتٍ هي:

١. المستوى الصوتي: وهو الأكثر والأشْهَرُ في التنوع اللهجيِّ، واختلاف اللُغَات . فيندرجُ تحته: إبدالُ الحركاتِ أو الحُرُوْف، والإتباع، ومَطْل الحركات أو قصرها، والهمْز أو التسهيل، والإدغام وفكّه، والتفخيم والإمالة، والمُمَاثلة والمغايرة .... الخ .
٢. المستوى الصَّرْفي: وهو الذي يعالجُ الصِّيَغَ والأبنية الصَّرْفية، ويندرجُ تحته: القلبُ المكاني، والإعلالُ والإبدالُ، والتصغير وغير ذلك .
٣. المستوى الدلالي: يعني الاختلاف في استعمال اللفظ لمعنى دون آخر كالتضاد، والمشترك اللفظي، والمتباين، والمترادف، يقول سِيْبَوَيْهِ: ((اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ...))[١] .

[١] الكتاب ٢٤/١.

المستوى النحوي: ويمثّلُهُ اختلافُ لُغَات العربِ وأثره في اضْطِرَاب القَاعِدَة النَّحْويّة مما سوف تعالجه هذه الأطروحة . ونرى ابنَ جنّي يُقَلّلُ مِن شأنِ الاختلافاتِ النَّحْويّة بقوله: ((هذا القدْرُ مِن الخلافِ لقلّتِهِ ونزارته مُحْتَقَرٌ غيرُ مُحْتَفَلٌ به ولا مَعِيْجٌ عليه وإنّما هو في شيءٍ مِن الفروع يسير. فأمّا الأصولُ وما عليه العامة والجُمْهُور فلا خلافَ فيه ولا مذهبَ للطاعنِ به))[1]، وكلامُه صحيحٌ مِن جهةِ أنَّ الأصول لا خلاف فيها، ولكنّها ليستْ قليلة ولا نزرة في الفروع؛ ولو كانتْ كذلك لما أشارَ إليها المفسرون والنُّحَاة الذين أَلِفُوا في القراءات والتفسير وإعراب القُرْآن ومعانيه بهذا القدْر الذي سيتضحُ في بحثنا ورسالتنا[2] .

[1] الخصائص ١/٢٤٥.

[2] ينظر: لُغَات القَبَائِل في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه ص: ٣٥.

المطلب الثالث: نشأة العَرَبِيَّة المشتركة (الفُصْحَىٰ)

لا تختلفُ اللُّغَة العَرَبِيَّة في أسبابِ تكوينها عن تلك الأسبابِ العامّة في نشأةِ اللُّغَات حَيْثُ تميلُ اللُّغَات في حياتها إلى اتجاهين متضادين:

الأول: الانقسام والتشعّب . والآخر: التوحّدُ، وهو الذي يهمُّنا هنا، فعندما تتهيأ الظروفُ لإحدى اللَهْجَات فتتَغْلِب على أخواتِها في بيئةٍ لُغَوِيّة معينةٍ، ويكونُ التوحيدُ اللُّغَوِيّ في العادة تلبية لحاجاتٍ اجتماعيةٍ عندما يتجه الأفرادُ إلى تعزيز التفاهم وتوثيق الروابط فيما بينهم .

وممّا يلحَظُهُ اللُّغَوِيّون أنَّ نشأة اللُّغَة المشتركةِ عمليةٌ تدريجيةٌ لا تتمُّ في جيْلٍ أو جيلين وإنّما تتطلّبُ زمنًا طويلًا وظروفًا اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، وهي تعتمدُ دائمًا على الاتصال والاختلاطِ والاشتراكِ في الحياة، وقد ينشأُ ذلك كلّهُ عن حربٍ تؤدّي إلى اختلاطِ أناسٍ مِن لَهْجَات مختلفةٍ، أو قد يكون ناتجًا عن عَقْدِ الأسواق العامةِ التي يفدُ إليها الناسُ مِن بيئاتٍ لُغَوِيّة مختلفةٍ لقضاءِ حاجاتِهم ومصالحِهم[1]، أو قد يكون ناتجًا عن إقامةِ مناساباتٍ دينيةٍ يجتمعُ فيها سكانٌ ينتمون إلى أماكنَ مختلفةٍ، فيكون ثمرة هذه اللقاءات المتكررة مع الزمن إذابة الفروق اللهجيّةِ بطريقةٍ لا شعوريةٍ مِن المُتَكَلّمين والإسهامُ بِدَوْرٍ فعّالٍ في توحيد اللُّغَة.

وتتّخذُ اللُّغَة المشتركة في بدْءِ نشأتِها مرْكزًا مُعَينًا يتاحُ له مِن النفوذِ السياسي والحضاري ما لا يتاحُ لغيره، فتتطلّعُ إليه المناطقُ الأخرى وتُسَلّمُ له زمامَ القيادةِ ويَنْزَحُ إليه الناسُ فيؤثّرُون في لَهْجَة أهلهِ ويتأثّرُون بها. ثم تتبلْوَرُ عملية الاتصال في نِهَايَة الأمر إلى صورةٍ مِن الكلام أساسُها اللَهْجَة المحليّة الأصليّة وقد امتزجَتْ بعناصرَ أخرى مِن مختَلَفِ اللَهْجَات الأخرى بحَيْثُ يتكونُ مِن هذا كلّه مزيجٌ منسجمٌ يقبَلُهُ الجميعُ ويُقْبِلُون عليه وهو ما نسمّيْه باللُّغَة المشترَكة[2] . واللَهْجَة التي يُتاحُ لها التفوّقُ على أخواتِها في أمّةٍ مِن الأمَم تصبحُ عاجلًا أو آجلًا اللُّغَة الرسميّة للدولةِ أيْ اللُّغَة القوميّة أو اللُّغَة الفُصْحَىٰ .

وتتّصِفُ اللُّغَة المشترَكةُ بمعالمَ خاصةٍ تميّزُها عن شقيقاتِها اللَهْجَات الأخرى، أهمُّ تلك الخصائصِ المميزةِ للُّغَة المشتركة يمْكِنُ حصْرُها في صفتين:

---

[1] ينظر من هذه الرسالة: الفَصْل الأول– المبحث الثاني: تعدد اللُّغَات أسبابه وصوره

[2] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة وعلاقتها باللُّغَة العَرَبِيَّة الفُصْحَىٰ: دراسة لُغَوِيّة محمد شفيع الدين ص:٨٣ بحث مدرج ضمن (مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتا غونغ) المجلد الرابع، ديسمبر ٢٠٠٧م.

الأولى: أنَّها مستوى لُغَوِيّ أرقى مِن لَهْجَات الخطابِ في غالبِ الأحوال أيْ إنَّها فوق مستوى العامّة فلا يصْطَنِعُونها في شؤون حياتِهم اليوميةِ، وهم يتخذونها مقياسًا لحُسْنِ القولِ وإجادةِ الكلام.

الثانية: أنَّ اللُغَة المشتركة و إنْ تأسّسَتْ في بدْءِ نشأتِها على لَهْجَة معينةٍ والتمَسَتْ بعضَ صفات اللَهْجَات الأخرى وهَضَمَتْهُ، إلا أنّها قد فقدَتْ مع الزمن كلَّ المنابع التي استمَدَّتْ منها عناصرَها، وأصبحَ لها كِيَانٌ مستقلٌ، فلم تعُدْ تنتسبُ إلى بيئةٍ محليةٍ بعينِها بل يشْعُرُ كلٌ مِن السامع والمُتَكَلّم أنَّها أصبحَتْ مُلْكَ الجميع لا يدّعِيْها قومٌ لأنفسِهم، وهي لذلك تكتَسِبُ الاحترام مِن الناس جميعًا .

ونعودُ لِمَا بدأنا الحديثَ عنه فنتساءل: كيف نشأتِ اللُغَة العَرَبِيَّة المشتركة؟ أمِنْ كلِّ اللَهْجَات العَرَبِيَّة أَمْ مِن لَهْجَة واحدةٍ تحققتْ لها السيادةُ على غيرها مِن اللَهْجَات؟ وإنْ كان هناك لَهْجَة تَغلَّبَتْ على أخواتها، فما هذه اللَهْجَة؟

آراء العلماء في اللُغَة المشتركة

ذهب القدامى إلى أنَّ العَرَبِيَّة المشترَكة هي لُغَة قُرَيْش، ذلك أنَّ قُرَيْشًا في نظرهم أفْصَح العربِ وأصفاهم لُغَة؛ لأنهم كانوا يسكنون جِوارَ البيتِ العتيق فمنَحَهُم هذا الجِوارُ سُلْطَة روحيّة وأدبيّة، وكانتِ الوفودُ تأتيهم مِن مختلف القَبَائِل العَرَبِيَّة فيختارون مِن ألسنتِها ما يوافقُ طباعَهم. وعلى رأسِهم ابنُ فارسٍ الذي قالَ عبارته الشهيرة: ((أجمَعَ علماؤنا بكلام العرب ... أنَّ قُرَيْشًا أفْصَح العربِ ألسنة وأصفاهُم لُغَة))[1] . وقد تَبِعَ فريقٌ مِن المحدثين علماءَ العَرَبِيَّة القدامى منهم مصطفى صادقُ الرافعي[2]، والدكتور علي عبد الواحد وافي، والدكتور حسن عون[3]، والدكتور إبراهيم أنيس[4]، والدكتور شوقي ضيف[5] وغيرهم .

إنَّ تأثرَ لَهْجَة قُرَيْش بغيرها مِن لَهْجَات القَبَائِل نتيجة الاتصالِ المستمرِّ أمْرٌ مسلّمٌ به في الدراساتِ اللُغَوِيّة الحديثةِ، حَيْثُ إنَّ احتكاكَ اللَهْجَات بعضها ببعضٍ يقرّبُ الشقة فيما بينها ويذيبُ الفوارقَ اللهجيّة، ويؤدي في النِهَايَة إلى أنْ تتَغْلِب إحدى هذه اللَهْجَات على شقيقاتِها متى أتيحَتْ لها الظروفُ، لكنّنا في الوقتِ نفسهِ لا نستطيعُ أنْ نوافقَ القدماءَ على اندفاعِهم في كلمتهم

---

[1] الصاحبي ابن فارس ص:٢٨

[2] ينظر: تاريخ آداب العرب للرافعي ٦٣/١ وما بعدها

[3] ينظر: اللُغَة والنحو دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة د. حسن عون ص:٤٣- ٤٤ الطبعة الأول: ١٩٥٢م، مطبعة رويال خلف محكمة الاسكندرية.

[4] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة د. إبْرَاهِيم أنيس ص:٣٧

[5] ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص:١١٧، ص:١٣٢ د.ط، د.ت دار المعارف.

بأنَّ لَهْجَة قُرَيْش أفْصَح اللَهْجَات العَرَبِيَّة ؛ إذ أنَّ المفاضلة بين اللَهْجَات لا يتفقُ مع وجهةِ النظر اللُغَوِيّة الحديثةِ، وأنَّ هذه النظرة إلى علاقةِ لَهْجَة قُرَيْش باللُغَة العَرَبِيَّة ترجِعُ إلى أسبابٍ دينيةٍ وسياسيةٍ أكثرَ مِن رجوعِها إلى أسبابٍ لُغَوِيّة[1] . .

إنَّ هذه اللُغَات وإنْ قامت في بدءِ نشأتِها على أساس لَهْجَة سادتْ غيرَها لأسبابٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وثقافيةٍ، إلا أنَّها تصبح مع الزمن ملْكًا للجميع، ويَنْسى الناسُ جذورَها الأولى، ولا تعودُ تذكّرُنا عند سماعها بمنطقةٍ معينةٍ أو بيئةٍ محليةٍ واحدة. وهكذا فإنَّ اللُغَة العَرَبِيَّة المشترَكة وإنْ قامتْ في بدايةِ نشأتها على أساس لَهْجَة قُرَيْش إلا أنَّها أخذَتْ على مرِّ السِنِيْن خصائصَ لُغَوِيّة مِن قَبَائِل عربيةٍ مختلفةٍ نتيجة اتصالِ قُرَيْش بهذه القَبَائِل في مناسباتٍ عديدة، فلم تعُدْ اللُغَة المشترَكة لَهْجَة قُرَيْش وحدها بلْ هي مزيجٌ منسجمٌ مِن لهجة قريش واللَهْجَات العَرَبِيَّة. على سبيل المثال لَهْجَة تَمِيْم تُحَقِقُ الهمزَ ولَهْجَة قُرَيْش تسهّلُها، وقد أخذتِ العَرَبِيَّة المشترَكة تحقيقَ الهمْزِ مِن تَمِيْم، وأصبح الخاصّة مِن العرب مهما اختلفتْ قَبَائِلهم يلتزمون تحقيقَ الهمْزِ في أدبِهم مِن شعرٍ أو خطابةٍ أو نثرٍ حتى القَبَائِل الحِجَازِيَّة.

وبناءً عليهِ يرى الباحثُ أنَّ الفريقَ الآخرَ وهم المحدثون أقربُ إلى وجهةِ النظر اللُغَوِيّة، فقد ذهبَ هؤلاء إلى أنَّ العَرَبِيَّة المشترَكة انتقاء واختيار مِن اللَهْجَات العَرَبِيَّة. وهي وإنْ قامتْ في مرحلةِ تكوينِها على أساسِ لَهْجَة قُرَيْش إلا أنَّها استمدّتْ كثيرًا مِن خصائصِها مِن اللَهْجَات العَرَبِيَّة المختلفةِ، واستمرتْ تنمو وتزدهر إلى أنْ تكوّنَ إطارُها العامُ وأصبح لها كِيانٌ مستقلٌ يعيش إلى جانبِ اللَهْجَات المختلفةِ، ومِن هؤلاء المستشرقُ الألمانيُّ نُولْدِكَه Noeldeke، والإيطاليُّ جُويدِي Guidu[2] والمستشرقُ الفرنسيُّ بْلاشْيير Blachere[3]، وتابَعَهم الدكتور إبراهيم أنيس[4]، والدكتور داؤد عبده[5]، والدكتور علم الدين الجندي[6]، واتخذ الدكتور عبده الراجحي موقفًا يتفق في بعض جوانبه مع ما تقدّمَ ويختلفُ عنه في جوانبَ أخرى.

---

[1] ينظر: لهمة تَمِيْم غالب المطلبي ص:٣٥

[2] ينظر: تاريخ الأدب العربي– العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص:١٣١

[3] ينظر: العَرَبِيَّة تطور وتاريخ، دراسة تاريخية لنشأة العَرَبِيَّة والخط وانتشارهما د. كريم زكي حسام الدين ص:٣٤ د ط، دت، دد

[4] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة د. إبْرَاهِيم أنيس ص:١٣٣

[5] ينظر: أبحاث في اللُغَة العَرَبِيَّة د. داءود عبده ص:٨٠ الطبعة الأولى: ١٩٧٣م، مكتبة لبنان – بيروت.

[6] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في التراث الجندي ٣٢٣/١

أمّا المستشرقُ كارُلو نالينو فينسُبُ اللُغَة المشتركة إلى إحدى اللَهْجَات النجديّةِ، وتهذّبَتْ في زمنِ مملكةِ كنْدة، حَيْثُ جَمَعَ ملوكُ كندة القَبَائِل تحت لواءِ حكمٍ واحدٍ قبْل منتصفِ القرنِ الخامسِ الميلاديِّ، وصارتْ اللُغَة الأدبيةُ السائدةُ بين العرب[١].

ونجِدُ رأيًا رابعًا يمثلُهُ المستشرقُ لانْدْبِرْج Landberg وفوللّرز Vollers ومارسِيْه Marcais ينصُّ على أنَّ هذه اللُغَة المشتركة لم تكن لَهْجَة أو لُغَة الكلام أو الحديث اليومي للقَبَائِل، وإنما هي لَهْجَة أعرابِ نجدٍ واليمامةِ وقد أدخلَ فيها الشعراءُ تغيراتٍ كثيرة[٢]، ويقارنُها مارسيه باللُغَة اليونانيةِ الهوميريةِ المصنوعةِ[٣] . ويقتربُ المستشرقُ الألماني كارلْ بروكلْمَان مِن هذا الرأي، فقد ذهبَ إلى أنَّ الفُصْحَىْ، لم تكن لُغَة جارية في الاستعمال، بل هي لُغَة فنية فوق اللَهْجَات، وإن غذّتْها جميعُ اللَهْجَات[٤] . ويؤيد تشيم رابين هذا الرأي بقوله: ((هذه الفرضية هي أن اللُغَة العَرَبِيَّة الفُصْحَىْ قد قامت على واحدة من اللَهْجَات النجدية، أو على عدة لَهْجَات منها، ولربما كان ذلك على أحد أشكالها القديمة . فنجد كانت منطقة يلتقي عليها عرب شرق الجزيرة وغربها ويختلطون))[٥] .

والرأيُ الذي يطمئن إليه الباحثُ أنَّ اللُغَة المشتركة انتقاء واختيار مِن اللَهْجَات العَرَبِيَّة، وهو أمْرٌ تشهَدُ به النصوصُ اللُغَوِيّة، وهذا هو الجانبُ الأهمُّ في هذه القَضِيّة؛ لأنَّه جانبٌ حيّ وعملِيّ، وسوف يتضِحُ مِن خلالِ ما تعْرُضُهُ هذه الرسالة مِن مسائلَ ومباحث .

---

[١] ينظر: العصر الجاهلي شوقي ضيف ص:١٣١.

[٢] المرجع السابق ص:١٣١

[٣] ينظر: العَرَبِيَّة تطور وتاريخ كريم زكي ص:٣٦

[٤] ينظر: تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ٤٢/١، طبعة دار المعارف.

[٥] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة تشيم رابين ص:٣٨

المبحث الثاني: جمْع اللغةِ

المطلب الأول: مَنْهَج النُّحَاة في استقاء اللغة

مِن المُجْمَع عليهِ أنَّ عِلمَ النحو وليدُ استقراءِ كلام العربِ، شِعره ونثْره، واعْتُمِدَ في هذا الاستقراءِ على مصدرين أساسيّين هما: السَّمَاع والرّوايَة، فالسَّمَاع ما يَرْوِيْهِ العالِمُ بعد سَمَاعِه بنفسه، أمَّا ما يَرْوِيْهِ عن عالِمٍ آخَرَ، أو جِيْلٍ سابقٍ أو عن مُصَنَّفٍ أو كتابٍ فهو رواية. والفرق بينهما يتحدّدُ في عَدَدِ الفواصلِ بين مصْدرِ المادّة اللُّغَوِيّة ودارسِها، فإنْ كانتْ هناك فواصلُ كانتْ رواية، وإنْ كان الدارسُ نفسُه هو الذي تلقى المادة مِن مصدرِها فتُعَدُّ مِن قَبِيْل السَّمَاع، أيْ إنَّ السَّمَاع هو الأخْذُ المباشرُ للمادةِ اللُّغَوِيّة عن الناطقين بها دُوْن واسطةٍ[1]. والرّوايَة أقدَمُ مِن السَّمَاع ؛ لأنَّ الرّوايَة تذهبُ إلى العصر الجاهلي، أمّا السَّمَاع فلم يظهرْ إلا بعْدَ جَمْعِ المادةِ اللُّغَوِيّة وقد حدّدَه بعضُهم بعشرينات القرن الثاني الهجري تقريبًا[2] .

فالسَّمَاع طريقٌ مُهِمٌّ اعتَمَدَ عليه اللُّغَوِيّون والنُّحَاة القدامى – مِن البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيّيْنَ– وجعلوه أساسًا استندوا إليه في تَقْعِيْد القواعدِ ؛ ((فليس كلُّ العربِ يعرفون اللُّغَة كلَّها، غريبَها وواضحَها، ومستعْمَلَها وشاذها، بلْ هُمْ في ذلك طبقاتٌ يتفاضلون فيها))[3]. نَقلَ السَّيُوطِي عن أبي زيدِ الأنصاري[4](ت:٢١٥هـ) قوله: ما أقولُ: قالتِ العربُ إلا إذا سَمِعْتُه مِن عَجُزِ هَوَازِن . وفي رواية أخرى: إلا إذا سَمِعْتُه مِن هؤلاء: بكرِ بنِ هوزان، وبَنِيْ كلاب، وبَنِيْ هلال، أو مِن عالية السّافلةِ، أو من سافلة العالية، وإلا لم أقلْ: قالتِ العرب[5].. وقد احترمَ أبو حيان الأندلسي[6](ت:٧٥٤هـ) مَنْهَج الكُوْفِيّيْنَ القائمَ على السَّمَاع ((فكم حُكْمٍ ثبَتَ بنقلِ الكُوْفِيّيْنَ مِن كلام

---

[1] ينظر: أصول التفكير النحوي د. علي أبو المكارم ص:٣٣ – ط١/٢٠٠٦م – دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة، وينظر: المسوغات النَّحْويّة بين القَاعِدَة والاستعمال ص/٤ رسالة مقدمة من الباحث. نواف مسلم عودة الهوانية لنيل درجة الدكتوراه في جامعة مؤتة عام ٢٠١٠م.

[2] ينظر: أصول التفكير النحوي ص:٣٣

[3] الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص: ٩٢.

[4] **أبو زيد:** سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أبو زيد، ولد سنة ١١٩هـ، أحد أئمة اللغة والأدب، من أهل البصرة ووفاته بها سنة ٢١٥هـ. قال ابن الأنباري: كان سيبويه إذا قال:سمعت الثقة عنى أبا زيد. له (النوادر)و (خلق الإنسان) و(لغات القُرْآن) و(اللبأ واللبن) .

[5] ينظر: الاقتراح ص: ١٦٠.

[6] **أبو حيّان الأندلسي:** محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، أثير الدين الأندلسي الغرناطي، نحويّ عصره ولغويّه ومفسّره ومحدّثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه. ولد سنة ٦٥٤هـ. وأخذ القراءات عن أبي جَعْفَر بن الطباع، والعَرَبِيَّة عن أبي الحسن الأبذي وجماعة، وسمع الحديث بالأندلس وأفريقيا والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو خمسين وأربعمائة

العرب لم ينقله البصريون))[1] وعابَ في عباراتِهِ كثرة مخالفاتِ البَصْرِيِيْنَ لهذا المَنْهَج الذي اتّخَذوه طريقًا لاستقاء اللغة، ثم خالَفوا ما أجمَعوا عليه، فقال: ((لو عمِلوا بالسَّمَاع ما اختلفوا))[2]، وقال: ((ينبغي أنْ يُرْجَعَ عند الاختلافِ إلى السَّمَاع))[3]، وقال: ((القياسُ يقتضي المنعَ، لكنَّه جاء به السَّمَاع، فقُبِلَ))[4] لأنَّ الأسلوبَ إذا ثبَتَ أنّه لُغَة مِن لُغَات العرب فلا تأويلَ فيه[5] .وكما قيل: إذا سَلِمَ الدليلُ فلا توجد لمخالفته سبيلُ[6] .

ولا يخْلُو كتابٌ يدْرسُ تاريخ النحو العربي مِن الحديثِ عن نشأةِ النحو ومناهج النُّحَاة في استقاء كلام العربِ، نثره وشعره، لبناءِ قواعدِ النحو والصَّرْف على أساسه. وقد ذكرنا في المبحث السابق أنَّ النُّحَاة وضَعوا شروطًا مُسْبَقة لنوعِ وطبيعةِ اللُغَة التي سيعتمدونها أصلًا لبناء قواعد النحو والصَّرْف، وثَبَتَ مدى حرصِهم على أنْ تكونَ هذه اللُغَات خالصة صافية مِن كلِّ شائبةٍ وعيبٍ لُغَوِيّ، لذا اعتمدوا على مشافهةِ الأعْرَاب، والرحلةِ إليهم حَيْثُ يقيمون في بواديهم النائيةِ، أو الحواضر التي نزحوا إليها. وبذلوا في تَتَبّعِ النصوص المختلفةِ المتنوعةِ جهدًا مضْنيًا، وتحمَّلوا كثيرًا مِن مشاقِّ السفر والرحلةِ، وخشونةِ العيش. وقد حدّدَ الدكتور الراجحي مَنْهَج النُّحَاة في استقاء اللغة في طريقين[7]:

أولهما: رحلات النُّحَاة إلى البادِيَة:

بعْد أنْ تمَّ للُغَوِيّين تَحْديدُ الظروف التي رأوا أنَّ الفَصَاحَة واقعةٌ فيهِ لا مَحالة، والتي تمَثّلُ باعتبارَيْ الزّمَان والمكان، اندفعوا سائحين في البوادي، باذلين مِن الجهد ما يستأهلون معه كلَّ تقديرٍ وتوقيرٍ، فَرَحلَ عيسى بنُ عمرَ الثقفي (ت:١٥٠هـ) وأبو عمرو بنُ العَلاء(ت:١٥٤هـ) والخَلِيْل بنُ احمدَ (ت:١٧٥هـ)، وعلي بنُ حمزة الكِسَائي (ت:١٨٩هـ)، والنضرُ بنُ شميل المازني

شيخ، من تصانيفه: (البحر المحيط في التفسير)، و(مختصره النهر)،و(التذييل والتكميل في شرح التسهيل)،و(ارتشاف الضَّرَب)، توفي سنة ٧٤٥هـ.

[1] البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل ٥٠٠/٣، الطبعة: ١٤٢٠ هـ/دار الفكر – بيروت.

[2] ارتشاف الضرب من لسان العرب أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد مراجعة: رمضان عبد التواب ١٢٩٧/٣، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م . مكتبة الخانجي– القاهرة.

[3] التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي تحقيق: د. حسن هنداوي ١١٣/٥ الطبعة الأولى: د.ت، دار القلم – دمشق.

[4] المرجع السابق ١٥٧/٥.

[5] ينظر: البحر المحيط ٩٦/٨.

[6] التذييل والتكميل ٢٤٣/٤.

[7] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. عبده الراجحي ص: ٦١– ٦٢، أصول التفكير النحوي ص:٢٧

(ت:٢٠٣هـ) وأبو عمرو الشيباني (ت:٢١٠هـ)، وأبو عبيدة معمرُ بنُ المُثَنَّى (ت٢١١/هـ)، وأبو زيد الأنصاري، وعبدُ الملك بنُ قريب الأصْمَعِي، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٣هـ)، وغيرُ هؤلاءِ . وراحوا مع الإعْرَاب يختلطون ويسمعون ويكتبون سوى ما يحفظون مِن كلامهم .

فالكِسَائي أقام بالبادِيَة حتى صار كواحدٍ منهم، حكى الأنْبَاري[١] (ت:٥٧٧هـ) أن الكِسَائي ((خرج إلى البَصرة فلقي الخَلِيْل بنَ أحمد، وجلس في حلقته، فقال رجلٌ مِن الإعْرَاب: تركْتَ أسَدًا وتَمِيْمًا وعندهما الفَصَاحَة، وجئتَ إلى البَصرة! وقال للخليل بنِ أحمدَ: مِن أين علمُك؟ فقال: مِن بوادي الحِجَاز ونجْدٍ وتهامة، فخرج الكِسَائي، وأنفذ خمسَ عشرة قِنْيِنْة حِبْرٍ في الكتابة عن العرب سوى ما حَفظ))[٢]، كما حكى أبو حيان[٣] رواية الكِسَائي عن قبيلتي بَنِيْ يَرْبُوْع وطُهَيَّة[٤]، ونقل النحَّاسُ[٥] عنه روايته عن قَبِيْلَة قَيْسٍ وكِنَانَة وبَنِيْ تَمِيْم وأسَد[٦]، وحكى عنه صَرْفَ مالا يَنْصَرِف مطلقًا لُغَة لبعضِ العرب[٧]. والذي يطّلِعُ على نصوص الكِسَائي يجِدْ أغلبَها يدُوْرُ حول سَمَاعِهِ عن العرب، وقد توسّع في السَّمَاع عن العرب إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ ملتمسًا منه القياسَ خاصة إذا اتفقَ ذلك مع بعض آي الذِكْرِ الحكيم وقراءاته[٨]، ومِن الإعْرَاب الذين سَمِعَ منهم أبو الدينار، وأبو حزام العُكَلِيّ، كما كان دقيقًا في سَمَاعِه فهو يبنيهِ على استقراءٍ واعٍ ودقيقٍ[٩] .

والفَرّاء روى عن قَبِيْلَة طَيِّئ قولَهم: (الفضل ذو فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله بَه)[١٠] وروى عن قَبَائِل أسَد وتَمِيْم وعامر بن صعصعة إعرابهم لفظة (سِنِيْن)[١١]. وتدل كثرة ما رواه عن العرب وقَبَائِلهم أنه كانت له رحلة واسعة إلى الجزيرة، إذ يكثر في كتابه (معانى القُرْآن)

---

[١] **الانباري:** أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري ولد سنة٥١٣هـ، ونشأ ببغداد فدرس الفقه بالمدرسة النظامية، واخذ النحو عن ابن الشجري، واللغة عن الجواليقي، ثم تصدر للإقراء، توفي ببغداد سنة ٥٧٧هـ، له(أسرار العَرَبِيَّة) و(الإنصاف في مسائل الخلاف) و(البيان في غريب إعراب القُرْآن) وغيرها.

[٢] نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنْبَاري تحقيق: إبْرَاهِيم السامرائي ص:٥٩، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن.

[٣] ارتشاف الضرب ١٤٤٨/٣ .

[٤] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الأول، المَسْأَلَة(٧): "حَيْثُ" بين الإعْرَاب والبناء.

[٥] ينظر: إعراب القُرْآن أبو جَعْفَر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحَّاس وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبْرَاهِيم ٤٦/١، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٦] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الأول، المَسْأَلَة(٧): "حَيْثُ" بين الإعْرَاب والبناء.

[٧] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المَسْأَلَة(٧): صرف الممنوع مطلقًا لُغَة.

[٨] ينظر: المدارس النَّحْويّة د. شوقي ضيف ص:٢١٥ الطبعة السابعة د.ت، دار المعارف.

[٩] ينظر: معاني القُرْآن المنسوب للكسائي أعاد بناءه وقدّم له: د. عيسى شحاته عيسى ص:٢٢– ٢٣، تاريخ النشر: ١٩٩٨م، دار الباء للطباعة والنشر والتوزيع –مصر.

[١٠] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الأول، المَسْأَلَة(٤): ذو الطائية بين الإعْرَاب والبناء.

[١١] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثاني، المَسْأَلَة(١): إعراب سنين وبابه.

أن يقول « سَمِعْتُ العربَ تقولُ » أو « أنشدني بعض بنى أسَد » أو «بعض بنى كلاب » أو « بعض رَبِيْعَة » و « بعض بنى عامر » أو« بعض بنى حنيفة» إلى غير ذلك مِن قَبَائِل كثيرة وأيضًا أكثر من الرّوايَة عن المفضّلِ الضَبّي[١] .

أبو جَعْفَر النحَّاس[٢] حكى "إهمال الفعل الناقص" لُغَة لقَبَائِل عبس وأسَد وقيس[٣] .ويقول أبو عمرو بنُ العلاء "إنَّ اللُغَة الفَصِيْحَة أخِذَتْ مِن سكان البراري ومِن أشَدِّهم توحّشًا وجفاءً وأبعدهم إذْعانًا وانقيادًا، قَيْسٍ وتَمِيْم وأسَدٍ وتقدّمَتْ رواية أبي عمرو[٤] عن بَنِيْ تَمِيْم إهمالهم "ليس" مع "إلا" حَمْلًا على "ما" في القول المشْهُوْر (ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ)[٥] .. وكان الواحدُ منهم يفرحُ بالعثور على ظاهرةٍ لُغَوِيّة فرَحَهُ بزوالِ مصيبةٍ، فيما حُكِيَ عن أبي عمرو بن العلاء، وكان قد هرَبَ إلى الصحراء مع أبيه خوفًا مِن الحجاج، وبينما هو في الصحراء يومًا رأى أعرابيًا يقول لآخرَ ألا أبَشّرَكَ؟ قال: بلى، قال: مات الحجاج، فأنشده[٦]:

رُبمَا تَكْرَهُ النفوسُ مِنَ الأَمـ ... ـر لَهُ فَرْجَة كَحَلِّ العِقَالِ

بفتح الفاء، ونحن نقول فُرْجَة[٧] بضمها وهو خطأ، وتطلب ذلك زمانا في استعمالاتهم فلم أجده " .

وقد سَمع ابنُ جني مِن عرب عُقيل، ونقَلَ عمَّنْ يثق بعربيتهِ منهم في المحتسب وغيره، فتراه يقول: سَمِعْتُ عامة عُقيلٍ تقولُ ذلك[٨]، أو رأيتُ كثيرًا مِن عُقيل لا أحصيهم[٩]، أو سَمِعْتُ غلامًا حدثًا مِن عُقيلٍ ومعه سيف في يده[١٠] وهكذا. ويبدو أنَّ سبب اختصاصِهِ بَنِيْ عُقيلٍ بالأخذِ

---

[١] ينظر: المدارس النَّحْوِيّة ص:٢١٤

[٢] **النحاس:** أبو جَعْفَر احمد بن محمد النحاس المصري، رحل إلى بغداد، وأخذ عن الأخْفَش الأصغر والمُبَرِّد و نفطويه والزجاج، ثم عاد إلى مصر، فانتفع به التلاميذ توفي سنة ٣٣٨ هـ، له (إعراب القُرْآن) و(معاني القُرْآن) و(المقنع في اختلاف البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ) وغيرها.

[٣] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثالث، المَسْأَلَة(٢): إهمال الفعل الناقص لُغَة لا تحتمل التأويل.

[٤] ينظر من هذه الرسالة: الفَصْل الأول، المبحث الأول، المطلب الأول: العرب والسليقة ونشوء اللحن

[٥] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثالث، المَسْأَلَة(٣): ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ.

[٦] لأمية بن أبي الصلت في المقاصد النَّحْوِيّة ٤٥٠/١، وشرح الشَوَاهِد الشّعْرِيّة ٢١٩/٢، ولحنيف بن عمير اليشكري في (الحماسة البصرية) لأبي الحسن علي بن أبي الفرج البصري(ت:٦٥٩هـ) تحقيق: مختار الدين أحمد ٧٧/٢ د.ط، د.ت، عالم الكتب – بيروت.

[٧] قال البغدادي في الخزانة ١٠٨/٦: الفرجة بالفتح في الأمر وبالضم في الحائط ونحوه.

[٨] ينظر: المحتسب ٨٤/١.

[٩] المرجع السابق ١٦٧/١.

[١٠] المرجع السابق ٢١٠/١.

والرّوايَةِ أنَّهم كانوا بالكوفةِ والبلاد الفراتية والجزيرة والموصل، هاجروا إليها بعدما غُلِبُوا على مساكنهم في البحرين.

وقال أبو زيدٍ الأنصاريّ بعد رحلاتهِ في بوادي الجزيرة: ((لسْتُ أقولُ: قالتِ العربُ إلا إذا سَمِعْتُه مِن هؤلاء: بكر بن هَوَازِن، وبَنِيْ كلاب، وبَنِيْ هلال، أو من عالية السافلة أو سافلة العالية وإلا لم أقلْ: قالت العرب))[1] .

فقد كان لهم مَنْهَج في رفْضِ اللُغَة أو قبولِها وضَّحَه فيما بعْدُ أحمدُ بنُ فارسٍ (ت:٣٩٥هـ)، بقوله إنَّ اللُغَة ((تؤخَذُ سَمَاعًا مِن الرواةِ الثقاتِ ذوي الصِّدقِ والأمانةِ ويُتّقى المَظْنُونُ))[2]، وهذا المَنْهَجُ لا يختلف عن مَنْهَج أهْلِ الحديثِ مِن حَيْثُ الدقةِ إلا أنَّ الفَرْقَ بينهما كون مَنْهَج أهْلِ الحديث انصرفَ إلى الأحكام الناشئة مِن الأحاديث، أما مَنْهَجُ علمَاءِ العَرَبِيَّة فقد اهتمَّ بأداءِ الألفاظ كما هي وكما قيلتْ مِن قائليها .

ثانيهما: رحلات الأَعْرَاب إلى الحواضر

كان مِن أعراب البادِيَة مَن يفِدُ مع قَبَائِلهم إلى المدن الكبرى في العراق، فيَخْتَطّون لأنفسهم في ضواحيها مناطقَ يسكنون فيها، مِن هؤلاء بنو عُقَيْل[3]، وبعض بطون قَيْس عَيْلان[4]، ومِن الإعْرَاب مَن كان ينقطعُ عن قومه فيرحلَ إلى المدن الكبرى ليقيْمَ فيها ويستقرَّ، أو لينتَجِعَ لقومه مِن أسواقِ المِرْبَد والكِناسَة وغيرهما، ثم يعود لقومِهِ بالبادِيَةِ، ولكنَّه يظلُّ محافظًا على لغته التي مَرِنَ عليها . فمَن يدرُسُ الكتابَ ويسْبِرُ غوْرَه، يجِدْ أَنّهُ يعتمِدُ في تَقْعِيْده وتوجيهه النَّحْوِيِّيْنَ على السَّمَاع أولًا، وتكراره لكَلِمَة (سَمِعْنا) وتصريفاتها دليلٌ على ذلك، وبلَغَ عددُ المواضع التي ذكر فيها «سَمَاعَه» -كما أحصى أحد الباحثين[5] - أكثْرَ مِن مِئتَين وست وأربعين مَرَّة (٢٤٦مرَة) .

---

[1] المَزْهَر للسَّيُوطِي ١١٨/١.

[2] الصاحبي في فقه اللُغَة ابن فارس ص:٣٤.

[3] ينظر: الأغاني ١٣٦/٣، معجم البلدان مادة البصرة.

[4] ينظر: ضحى الإسلام ٢٩٨/١.

[5] ينظر: قرينة السياق ودورها في التقْعِيْد النحوي والتوجيه الإعْرَابي في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص:٧٥ رسالة تقدم بها الطالب: إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، إلى قسم اللُغَة العَرَبِيَّة كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، بجامعة عين شمس، للحصول على درجة الدكتوراه في اللُغَة العَرَبِيَّة، عام النشر ٢٠١٦م.

وقد ذكَرَ ابنُ النديم في (الفهرست)[1] عَدَدًا مِن أسماءِ الأعْرَاب الذين نزلوا الحواضرَ وسَمِعَ عنهم العلماءُ، أضف إليهم ما بذلَهُ الدكتور ضاحي عبد الباقي[2] من جهد في سَرْدِهِ عددًا مِن أعراب بَنِيْ تَمِيْم الذين سكنوا البصرة والكوفة ثم بغداد .

بل إنَّنا نحسُّ أحيانًا أنّه قد كان هناك أعرابٌ يقفون على باب الخلفاء والأمراء ينتظرون أن يُسْألوا في شيءٍ مِن اللُّغَة لقاءَ أجْرٍ، كأبي فَقْعَسٍ وأبي دثار وأبي الجراح وأبي ثروان، وهؤلاء الأربعة هم الذين حُكّمُوا في المناظرة المشْهُوْرة بين سِيْبَوَيْهِ و الكِسَائي في الحكاية المشْهُوْرة (بالمَسْألَة الزنبورية)[3].

ثالثًا: المثقفون

ذكره طريقًا ثالثًا في أخْذِ اللُّغَة الدكتورُ عليٌّ أبو المكارم[4]، وقَصَدَ بهم الذين ثقّفُوا أنفسَهم بحفظ القُرْآن، ودراسةِ مروياتِ الشعْرِ واللُّغَة ومأثورها وتراثها وما يتصلُ بها، فلم يكنْ لهم اتصالٌ مباشرٌ بالبادِيَـة، ويمثّلُ هؤلاءِ المثقفين جريرٌ والفَرَزْدَق و الاخطلُ وكُثيّرٌ والأحْوَصُ و الكُمَيْتُ ورؤبة والعَجّاجُ وعمرُ بنُ أبي رَبِيْعَة وغيرهم . وهذه الطبقة اختلف النُّحَاة واللُّغَوِيّين في الاستشهاد بشعرهم مما سنذكره في مبحث الشَوَاهِد النَّحْويّة .

---

[1] ينظر: الفهرست أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادي المعروف بابن النديم تحقيق: إبْرَاهِيم رمضان ص:٦٦- ٧٢، الطبعة الثانية: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار المعرفة – بيروت.

[2] ينظر: لُغَة تَمِيْم دراسة تاريخية وصفية د. ضاحي عبد الباقي ص:٥٩- ٦١، طبعة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، منشورات مجمع اللُّغَة العَرَبِيَّة – لجنة اللَهْجَات.

[3] ينظر: الأشباه والنظائر في النحو جلال الدين السَّيُوطِي تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم ١٥/٣ – ١٦ الطبعة الأولى:١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ومجالس العلماء ١٠/٨، والإنصاف ٤١٢/٢ – ٤١٣، والأمالي الشجرية ١٢٩/١ ومعجم الأدباء ١٨٥/١٣ – ١٨٨.

[4] ينظر: أصول التفكير النحوي علي أبو المكارم ص: ٢٩

المطلب الثاني: التحديد الزّمَاني والمكاني

تَعَامَلَ النُّحَاة مع لُغَة العرب وفي أذهانهم نصٌّ لُغَوِيّ على درجةٍ عاليةٍ مِن الإحكام في بنائه وأسلوبه، وهو القُرْآن الكريم، النَصُّ المعجز بكل ما تحْمِلُهُ الكَلِمَة مِن معنى. لذا كان مِن شروطهم أنْ تكونَ اللُغَة التي ستضبط نَصَّ القُرْآن الكريم على درجةٍ عاليةٍ مِن الإحكام في البناءِ والأسلوب أيضًا، فبحَثَ النُّحَاةُ عن عرب أقحَاحٍ مازالوا بعيدين ومنعزلين في بيئاتهم الجغرافية؛ ليضْمَنُوا عدم اختلاطِهم بغيرهم، وليطمئنوا أنَّ سليقتهم ما زالتْ سليمة مِن كلِّ عيبٍ ولحْنٍ.

كان هذا مَنْهَجُ أكثر البَصْرِيِيْنَ؛ فقَصَروا السَّمَاع على قَبَائِل بعينها وأهملوا أكثر القَبَائِل بحُجَّةِ أنَّها مجاورةٌ لغيرِ العرب. وما اتخذوه مِن الحِيْطَةِ حِيَال القَبَائِل والأمكنة اتخذوه حِيَال الأزمنة والعصور، أما الزّمَانُ فلم يأخذوا إلا عن عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة إلى فصحاء الحضْرِ، وإلى نِهَايَة القرن الرابع الهجري بالنسبة إلى فصحاء البادِيَةِ، وأجْمَعُوا على أنَّ آخرَ مَن يُحْتَجّ بشعره هو إبراهيم بن هرمة[1] الذي خَتَمَ الأصْمَعِيُّ به الشعْرَ[2]، وسَمُّوا هذه العصور (عصر الاحتجاج).

إن النُّحَاة واللُّغَوِيّين قد استمروا يأخذون عن أعراب البادِيَة طوال هذه المرحلة، على حين أنَّهم توقفوا بعد فترةٍ عن الأخذِ مِن فصحاء الحواضر، ويعود ذلك إلى أنَّهم أحَسُّوا فيهم نوعًا من التأثر بلَهْجَات المدن التي يعيشون فيها . ولعلَّ مَرَدَّ الأمر كله هو الوثوق مِن سلامةِ لُغَة المحتجِّ به وعدم تطرُّقِ الفسادِ إليها، وهذا هو الضابط في التصنيف الزّمَاني و المكاني[3].

فليستِ القَبَائِل على درجةٍ واحدةٍ من حَيْثُ قيمةِ الاستشهادِ بأقوالهم، والقياسُ على نطقهم، فقد اعتَمَدَ النُّحَاةُ واللُّغَوِيّون في أخْذِ اللُغَة على القَبَائِل الساكنةِ في بوادي وسْطِ جزيرة العرب، فلم يأخذوا مِن سكانِ الحضْرِ، ولا مِن سكانِ أطرافِ الجزيرة العَرَبِيَّة، بحُجَّة أنَّهم اختلطوا بغيرهم مِن الأمم الأخرى؛ فضَعُفتْ لغتُهم وفَسَدَتْ ألسنتُهم، فكان الذين عنهم نُقِلتِ اللُغَة العَرَبِيَّة، وبِهِم اُقْتُدِيَ، وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيُّ مِن بين قَبَائِل العرب هم: قَيْسٌ وتَمِيْم وأسَدٌ، ثم هُذَيْلٌ وبعض كِنَانَة وبعض الطّائيّيْنَ[4].

---

[1] **ابن هرمة:** إبْرَاهِيم بن هرمة الكناني القرشي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وآخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم توفي سنة ١٧٦هـ. [الأعلام للزركلي ٥٠/١ ، والخزانة ٤٢٥/١]

[2] ينظر: الاقتراح ص:٥٩.

[3] ينظر: من تاريخ النحو العربي سعيد محمد بن أحمد الأفغاني ص:٢٤ د.ط، د.ت، مكتبة الفلاح.

[4] ينظر: المَزْهَر ١٦٧/١

لذلك سنكتفي بذِكْرِ التحْديدِ المكانيّ للقَبَائِل التي لا يُحْتَجّ بكلامِها مع ذِكْرِ بعضها، ولعلَّ أقدَمَ نَصّ يتحدثُ فيه صاحبُه عن التحديدِ المكاني، هو ذلك النَصُّ المنسوبُ إلى أبي نَصْرٍ الفارابي (ت:٣٣٩هـ)، وهذا النَصُّ، في حقيقةِ الأمر نصَّان: أحدهُماهو ما أورده السَّيُوطِي في (المَزْهَر) و(الاقتراح) نَقْلًا عن الفارابي في كتابه المسمّى (بالألفاظ والحُرُوْف)، وهو الشائعُ الذي يأخُذُ به الباحثون. والآخر هو النَصُّ الواردُ في كتاب (الحُرُوْف) للفارابي، حيث يقول: ((...وكان الذي تولّى ذلك مِن بين أمصارهم أهلُ الكوفة والبصرة مِن أرض العراق، وتعلّمُوا لغتَهم والفصيحَ منها مِن سكانِ البراري منهم دون أهل الحضْرِ، ثم مِن سكان البراري مَن كانَ في أوسَطِ بلادهم ومِن أشدّهم توحُّشًا وجفاءً، وأبعدِهم إذعانًا وانقيادًا. وهم قَيْسٌ وتَمِيْم وأسَدٌ وطَيّء ثم هُذَيْلٌ فإنَّ هؤلاء هم مُعْظم مَن نُقلَ عنه لسانُ العرب، والباقون، فلم يؤخذْ عنهم شيءٌ لأنَّهم كانوا في أطرافِ بلادهم مخالطين لغيرهم مِن الأمم مطبوعين على سرعةِ انقيادِ ألسنتهم لألفاظِ سائرِ الأمَمِ المطْبَقَةِ بهم مِن الحبشةِ والهندِ والفرْسِ والسريانيين وأهلِ الشام وأهلِ مصر))[1].

أما نصّ السَّيُوطِي فيقول: ((وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمّى (الألفاظ والحُرُوْف): كانت قُرَيْش أجوَدَ العرب انتقاءً للأفْصَح مِن الألفاظ، وأسْهَلِها على اللسان عند النطق، وأحسَنِها مسموعًا، وأبْيَنِها إبانة عمّا في النفْسِ، والذين عنهم نُقِلتِ اللُغَة العَرَبِيَّة وبهم اقتُدِيَ، وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربي مِن بين قَبَائِل العربِ هم: قَيْسٌ وتَمِيْمٌ وأسَدٌ، فإنَّ هؤلاءِ هم الذين عنهم أكثر ما أُخِذَ ومعْظَمُه، وعليهم اتُّكِلَ في الغريب وفي الإعْرَاب والتصريف، ثم هُذَيْلٌ وبعض كِنَانَة، وبعض الطّائيّيْنَ، ولم يؤخذْ عن غيرهم مِن سائر قَبَائِلهم، وبالجُمْلَة لم يؤخذْ عن حضريّ قَطُّ، ولا عن سكانِ البراري ممَّن كانَ يسْكُنُ أطرافَ بلادِهم المجاورة لسائر الأمم الذين حوْلَهم، فإنَّه لم يؤخذْ لا مِن لَخَمٍ، ولا مِن جُذَام؛ لمجاورتهم أهْلَ مصر والقبْط، ولا من قُضَاعَة وغسَّانَ وإيادٍ؛ لمجاورتهم أهلَ الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تَغْلِب واليمن؛ فإنَّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا مِن بكْرٍ؛ لمجاورتهم للقِبْطِ والفرْسِ، ولا مِن عبد القَيْسِ وأزْدَ عُمَان؛ لأنَّهم كانوا بالبحرين مخالطين للهنْدِ والفُرْسِ، ولا مِن أهلِ اليمن؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا مِن بَنِيْ حنيفة وسكانِ اليَمَامَةِ، ولا مِن ثقيْفٍ وأهلِ الطائف؛ لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا مِن حاضرة الحِجَاز؛ لأنَّ الذين نقلوا اللُغَة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لُغَة العرب قد خالطوا غيرهم مِن الأمَمِ وفسدَتْ ألسِنَتُهم))[2].

وعلى الرغم مما دارَ حولَ هذا النَصّ السيوطي من شكوكٍ ونقْدٍ، فهو النَصُّ الأكثرُ دورانًا في كتب النحو، ولسنا هنا بصدد تحقيق القول بين النصّين، أو أنَّ السَّيُوطِي قد اعتمدَ كتابًا آخر

[1] كتاب الحُرُوْف أبو نصر الفارابي تحقيق: محسن مهدي ص:١٤٧ الطبعة الثانية: ١٩٩٠م، دار المشرق.

[2] الاقتراح في النحو للسيوطي ص:٤٧– ٤٨، والمَزْهَر للسيوطي ١/١٦٧– ١٦٨.

للفارابي غير هذا الكتاب، أو أنَّ خلْطًا قد وقَعَ في تسْمِيةِ الكتاب، فهذا كتابُ (الحُرُوْف) وهناك كتابٌ آخَر وَسَمَهُ الفارابي بـ (الألفاظ)، وهو كتابٌ صغيرٌ في المنطق، حقّقَه الدكتور محسن مهدي محقق كتاب (الحُرُوْف) أيضًا[1].

وفي مجال اختيار بيئات الفَصَاحَة التي عَنْوَنَ لها ابنُ جني بقوله: (باب تَرْكِ الأخذ عن أهلِ المَدَر كما أُخِذَ عن أهل الوبر)[2]. نجدُ أنَّ الواقعَ اللُّغَوِيّ غير ذلك، فربّما فسَدَتْ لُغَة بعض العرب مِن البدو، وفَصُحتْ لُغَةُ غيرهم مِن الحضْرِ؛ حَيْثُ لمّحَ ابنُ جنّي إلى أنَّ الفسادَ في زمنه وعهْدِه طالَ أهلَ البادِيَةِ فقال: ((وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا؛ لأنَّا لا نكادُ نرى بدويًّا فصيحًا))[3]. ولعل هذا ما يفسّرُ لنا استشهادِ البَصْرِيِيْنَ بكلام غير تلك القَبَائِل التي حدّدُوها، وكذلك توسّعَ الكُوْفِيّيْنَ في الاستشهادِ بلُغَاتِ قَبَائِل عديدةٍ لم يحتجُّ بها البصريون .

وكان رائدُ علْمِ الاجتماع العلّامة ابنُ خلدون(ت:٨٠٨هـ) ممَّنْ ساهموا في وضْعِ مقياسِ الفَصَاحَة في لُغَاتِ العرب حَيْثُ قال: ((كانتْ لُغَة قُرَيْشٍ أفْصَح اللُّغَاتِ العَرَبِيَّة وأصرحها؛ لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم مَن اكتنفَهُم مِن ثقيفٍ وهُذَيْلٍ وخُزَاعَة وبَنِيْ كِنَانَة وغطفان وبَنِيْ سَعْدٍ وبَنِيْ تَمِيْم، وأمّا مَنْ بَعُدَ عنهم مِن رَبِيْعَة ولَخْمٍ وجُذَامٍ وغسَّان وإيادٍ وقُضَاعَة وعرب اليمن المجاورين لأمَم الفرْسِ والرُوْم والحبشة، فلم تكنْ لغتُهم تامة المَلَكَةِ بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبةِ بُعْدِهم مِن قُرَيْشٍ كان الاحتجاج بلُغَاتِهم في الصِّحة والفَسَاد عند أهلِ الصناعة العَرَبِيَّة))[4].

إنَّ عملَ اللُّغَوِيّين والنُّحَاةِ هذا فيه ثغراتٌ وقصورٌ كبيرٌ وهو ما جعلهم لا يتقيَّدُون فيما اشترطوه بالزّمَانِ والمكان في مواضعَ كثيرةٍ، إحساسًا منهم بأنَّ ما جمعوه مِن نصوصِ تلك القَبَائِل لايمَثّلُ لُغَة العرب على أتمِّ وجهٍ؛ أوقعَهم هذا الشرْطُ بالاضْطِرَاب والتناقضِ في عملِهم وهم يجمعون نصوص اللُّغَة وشَوَاهِدها. وذكر الدكتور علي أبو المكارم[5] أنَّهم أخذوا عن الحضر ممَّنْ ظلوا بمعْزِلٍ عن الاختلاطِ بالأعاجم فسَلِمَتْ لغتُهم، وصَحَّتْ سليقتُهم بما حفظوا مِن قرآنٍ، وما رَوَوا

---

[1] ينظر: كتاب الحُرُوْف أبو نصر الفارابي تحقيق: محسن مهدي، مقدمة المحقق ص:٢٩ وما بعدها.

[2] ينظر: الخصائص ٧/٢

[3] المرجع السابق ٧/٢

[4] مقدمة ابن خلدون ٧٦٥/١ .

[5] ينظر: أصول التفكير النحوي علي أبو المكارم ص:٢٩ – ٣٠.

مِن شعْرٍ ونثرٍ كالفَرَزْدَق وجرير ورُؤْبَة وعمر بن أبي رَبِيْعَة وبَشَّار، مع أنه مولى لم يذق عيشه البدو ولم يبرح الحاضرة إلاّ قليلا[١].

ومِن مقولاتِهم المتناقضةِ أيضًا ما تزْوِيه المصادرُ العَرَبِيَّة عن الشعراء الذين خُتِمَ بهم الشِّعْرُ. فقد كان أبو عبيدة يقول: افتُتِحَ الشعْرُ بامْرىء القيس وخُتِمَ بابنِ هَرْمة[٢] . ومِن ذلك ما يرْوِيْه الجاحظُ عن الأصْمَعِي أنَّه قال: ((خُتِمَ الشعْرُ بالرَّمّاح))[٣]، وحكى السَّيُوطِي: ((قال أبو عمرو بنُ العلاء: خُتِمَ الشعْرُ بذي الرُّمَّةِ، والرَجَزُ بِرُؤْبة العجاج))[٤]. وقول أبي الفرج: وحدثني أبو داوودَ أنَّ بَنِيْ ذبيان تزعم أن الرماح بن ميادة كان آخر الشعراء[٥]. كما روي أن الأصْمَعِي قال: إنَّ بَشَّارا خاتمة الشعراء، واللهِ لولا أنَّ أيامَه تأخرتْ لفضلتُهُ على كثيرٍ منهم[٦]. ويُرْوَى عن الأصْمَعِي أنَّه لمّا عاد إلى البصرة مِن بغداد وسُئِلَ عن مروانَ بنِ أبي حفصة: وَجَدَ أهل بغدادٍ قد ختموا به الشعراء، وبَشَّار أحقُّ أنْ يختموا به مِن مروانَ، فقيل له: ولِمَ؟ فقال: وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بَشَّار لايقولُ شعرًا حتى يصْلِحَه له بَشَّار ويقوّمُه[٧]. ويرْوَى عنه أيضًا أنَّه كان يقول: ختم الشعراء بابن هِرْمَة والحكم الخضري، وابن ميادة، وطفيل الكناني ومسكين العذري[٨]. فهذه الروايات متعددة يُخْتَمُ الشعْرُ فيها بشعراءَ مختلفين مِن غير ذِكْرٍ لأسبابٍ موضوعية غير انطباعية.ومن الباحثين من يرى أن هذا يدلّ على سعة في الأمر عند المتقدمين، ولم ينظروا إليه نظرة تقييد وتعنّت، ومداره على القناعة الشخصيّة والاجتهاد المحض[٩].

وخَيْرُ دليلٍ يُثبتُ عدمَ تمسُّكِهم بما اشترطوه، بل تَنَاقُضَ عملِهم وموقفِهم تجاه ما اشترطوه هو إجماعُهم أنَّ قُرَيْشًا أفْصَحُ العرب[١٠]، وأنَّ لُغَة قُرَيْشٍ أفْصَحُ اللُّغَاتِ العَرَبِيَّة وأصْرَحُها، حَدَّ تعبير ابن خلدون[١١] . فلو كان مقياسُ الفَصَاحَةِ هو الانعزالُ في كَبِدِ الصحراء وعدم الاتصَال بالأجانبِ

---

[١] مدرسة الكوفة ومَنْهَجها في دراسة اللُّغَة والنحو د. مهدي المخزومي ص:٥٦ الطبعة الثانية: ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، مطبعة البابي الحلبي.

[٢] ينظر: المَزْهَر للسيوطي ٤١١/٢

[٣] البيان والتبيين ٢٢٧/٣.

[٤] المَزْهَر ٤١٠/٢

[٥] ينظر: الأغاني ٢٦٩/٢

[٦] المرجع السابق ١٤٣/٣

[٧] نفسه ١٤٨/٣.

[٨] نفسه ٣٨٣/٤.

[٩] ينظر: عاملا المكانِ والزّمانِ في الشّواهدِ الشّعريّةِ النّحْويّةِ بينَ التّنظيرِ والاستعمالِ اللُّغَوِيِّ، ص:٩٤، بحث للدكتور: خالد صالح محمد عوض العزاني، مدرج ضمن مجلة جامعة عدن الإلكترونية، العدد٤- يناير- ٢٠١٥م.

[١٠] ينظر: الصاحبي في فقه اللُّغَة ابن فارس ص:٢٨.

[١١] ينظر: مقدمة ابن خلدون ٧٦٥/١.

لكانت لُغَة قُرَيْشٍ أبعْدَ اللُغَاتِ عن الفَصَاحَة[1]. ولعلَّ هذا ما جعل الفارابيُّ يهملُ لُغَة قُرَيْشٍ فلم يذْكُرْها مع القَبَائِل؛ لأنَّه ثبَتَ عنده أنَّ قُرَيْشًا كانت كثيرةَ الاختلاطِ بالقَبَائِل، وبالأقوام الأخرى، ولاسيَّما في مواسم الحج والتجارة، وقد ذَكَرَ الدكتور علي عبد الواحد وافي[2] أنَّ انتشارَ لَهْجَة قُرَيْشٍ ونهضتها يرجع إلى كثرةِ احتكاكِها بالقَبَائِل العَرَبِيَّة ولَهْجَاتِها المختلفةِ بفعْلِ عواملَ دينيةٍ واقتصاديةٍ وسياسيةٍ.

إنّ مَن يَدْرُسُ كتابَ سِيْبَوَيْهِ يجدُ أنّه قد بَنَى الكتابَ بمَنْهَجيةٍ لم تكنْ في نِيّة بانيْهِ أنْ يعتمدَ في التَقْعِيْدِ قَبِيْلَة أو قَبَائِل معينة ؛ فهو أولًا لم يتقَيّدْ بالقَبَائِل الستِّ المذكورة سابقًا، بلْ ذَكَرَ إلى جانبها قَبَائِل أخرى كبني سليم، وبني سعد، وكعب وغني، وبكر بن وائل [3]. وثانيًا ليس بين أيدينا أي نصّ يشير إلى لُغَة معينة اعتمدها الخَلِيْل وتلميذه سِيْبَوَيْهِ مَنْهَجًا لتَقْعِيْد القواعد النَّحْويّة، ولعل ما أصبح يتوارثه الباحثون والطلاب من أنّ النحو قام على لُغَات القَبَائِل الست: أسَد وتَمِيْم وقيس وهُذَيْل وبعض كِنَانَة وبعض الطّائيّيْنَ، وهو ضرب من الوهم العلمي مرده إلى نصي الفارابي والسَّيُوطِي المتقدمين[4] . فسِيْبَوَيْهِ لم يفضل لُغَة على لُغَة، فضلًا أن يكون قد اعتمد عددًا محددًا ومعينًا من اللُغَات، بل ذكر لُغَات لقَبَائِل خارج معيار الأخذ السابق[5].

بالإضَافَة إلى ما ذكرنا نذكر أيضًا العبارات التي تشير للعمومية في الكتاب نحو (سمعنا بعضهم يقول)[6] (سمعنا من يقول)[7] وهذه صِيْغَة لا تشير من قريب أو بعيد إلى أيّ من القَبَائِل التي أشار إليها الفارابي أو السَّيُوطِي.أو قوله (سمعنا من العرب)[8] (بعض العرب)[9] غفلًا من أي حكم بالموثوقية عنهم .

أمَّا الكوفيون فقد كانوا يوثقون كل العرب على السواء ويعدون كل ما جاء عنهم حجة فيعتدون بأقوالهم ويؤسسون عليها نحوهم وقواعدهم[10]، فاعتمدوا على القَبَائِل التي اعتمد عليها

---

[1] ينظر: مدرسة الكوفة للمخزومي ص:٥٦.

[2] ينظر: فقه اللُغَة د. علي عبد الواحد ص:٩١- ٩٦.

[3] ينظر: الكتاب ٥٣٥/٣، ١٩٧/٤، ١٨٢/٤، ٥٣٤/٣، ٢٢٦/١،.

[4] ينظر: عاملا المكانِ والزّمانِ، ص:٨٨، والقَبَائِل الست والتَقْعِيْد النحوي د. خليل أحمد عمايرة ص:١٤ بحث غير موثق مدرج على شبكة النت.

[5] ينظر: الكتاب ١٧٧/١، ٣٤٨/١، ٤٠/٣، ١٧٧/١، ٣١٣/١، ٣٠٦/١، ١٧٨/١

[6] ينظر: الكتاب ٣٤٣/٣.

[7] ينظر: الكتاب ٥٧٩/٣

[8] ينظر: الكتاب ٩٥/٣، ٢٦٨/٣.

[9] ينظر: الكتاب ٣٢٦/١.

[10] ينظر: فصول في فقه اللُغَة د. رمضان عبد التواب ص:١٠٧

البصريون واعتمدوا أيضًا على لُغَات أخرى لقَبَائِل جاورت الحضر أو خالطتهم كأعراب سواد الكوفة من تَمِيْم وأسَد، وأعراب سواد بغداد من أعراب الحطميّة، الذين ترفع البصريون عن الأخذ عنهم ورفضوا الاستشهاد بهم[١] وكانوا يسمونها لُغَات شاذة، وقد لعِبَ الأخذُ عنهم دورًا بارزًا في توسيع شُقّةِ الخلاف بين البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيّيْنَ، وخيْرُ دليلٍ على ذلك الاحتجاج بقولِهم في (المَسْأَلَة الزنبورية) عندما استَشْهَدَ الكِسَائي بأعراب الحُطَمِيّة، وهم ممَّن لا يُقِرُّ البصريون الاحتجاجَ بلغتهم.

إن مضمون هذا المَنْهَج المعياري السابق ليس له وجود حقيقي لا في كتاب سِيْبَوَيْهِ ولا عند الخَلِيْل . والمقعِّد الأول مهما اتسعت قَاعِدَة الاستقرار عنده فلن يتمكن من جمع اللُغَة كلّها وإن كانت صغيرة، فكيف إن كانت اللُغَة هي العَرَبِيَّة المعروفة باتساعها وتعدد لَهْجَات المتحدثين بها . فكيف إذا علمنا الفرق الزمني بين الخَلِيْل بن أحمد (ت:١٧٠هـ) صاحب الفكرة الرئيسية في التَقْعِيْد النحوي، وبين أنّ الفارابي (ت:٣٢٩هـ) صاحب المعيار الذي تأثر به الدارسون من القرن الرابع إلى يومنا هذا، وبين السَّيُوطِي (ت:٩١١هـ) .. فلم يبق بعضهم الفَصَاحَة محصورةً في أقوال أهل البيئات المحددة زمانيًا ومكانيًا بفترةً تقدم ذكرها، بل تعدى إلى جعل بعض المتأخرين حُجةً كغيره ممن سبقوه، حكى السَّيُوطِي مقولة الإمام احمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ): ((كلام الشافعي في اللُغَة حُجةٌ))[٢] لسلامة نشأته وتقلبه في البيئات العَرَبِيَّة السليمة[٣] . ولم يكن هذا رأي ابن حنبل وحده، بل تعدَّدت أقوال العلماء التي تدل على الاحتجاج بلُغَة الشافعي(ت:٢٠٤هـ)، ومنها قول عبد الملك بن هِشَامٍ صاحب كتاب السيرة النبوية: ((الشافعي بصير باللُغَة يؤخذ عنه، ولسانه لُغَة فاكتبوه))[٤]، وقول الأصْمَعِي: ((صححت اشعار البدويين على شاب من قُرَيْش يقال له محمد بن إدريس))[٥]، وقول أبي منصور الأزهري: "والشافعي فصيح حجة في اللُغَة"[٦]. ومعنى هذه الأقوال أن ما جاء في مصنفات الإمام الشافعي من عبارات شذَّت عن القواعد العَرَبِيَّة المعروفة لا يمكن حملها على الخطأ، وإنما تُجعل عباراته شاهدًا لما استعملت فيه كما تُعدُّ وجهًا

[١] ينظر: الشاهد وأصول النحو في كتاب سِيْبَوَيْهِ د. خديجة الحديثي ص:٨١، طبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م – مطبوعات جامعة الكويت رقم/٣٧.

[٢] ينظر: الاقتراح ص:٤٨

[٣] ينظر: من تاريخ النحو سعيد الأفغاني ص:٢٥.

[٤] ينظر: تهذيب التهذيب ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني(ت:٨٥٢هـ) ٣٠/٩ الطبعة الأولى: ١٣٢٦هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية– الهند.

[٥] ينظر: تهذيب التهذيب ٣٠/٩

[٦] ينظر للاستزادة: مقدمة محقق الرسالة الشيخ أحمد محمد شاكر ص:١٣– ١٤

من وجوه سعة العَرَبِيَّة. وقد أحسن المحقق الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر حين صنع في نِهَايَة (الرسالة)[1] فهرسًا لأقوال الشافعي التي خالفت المعهود من قواعد العَرَبِيَّة.

فلم يكن نص الفارابي إذن دقيقًا في توصيفه؛ لأنَّ فكرته عن القبائل جاءت بناء على اجتهاد خاطئ بالجملة لا بالخصوص، وعن استقراء ناقص لأقوال العلماء صراحة، أو الواقع اللغوي الذي يُثبت خطأ ما توصّلَ إليه[2]، فينبغي التحفّظ عند الاستدلال به في الكشف عن مَنْهَج العلماء العرب القدماء في تدوينهم للُغَة وتَقْعِيْدهم لها.

[1] ينظر: الرسالة أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي(ت:٢٠٤هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى: ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م – مكتبة الحلبي– مصر.

[2] ينظر: عاملا المكانِ والزّمانِ في الشّواهدِ الشّعريّةِ، ص:٨٨ .

المطلب الثالث: الاستقراء الناقص

يقول السَّيُوطِي :((وقال الفارابي في أول كتابه المسمى (الألفاظ والحُرُوْف): كانت قُرَيْش أجود العرب انتقاء للأفْصَح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس والذي عنهم نقلت العَرَبِيَّة وبهم أُقتدي وعنهم أُخذ لسان العَرَبِيَّة من بين قَبَائِل العرب وهم: قيس وتَمِيْم وأسَد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه وعليهم أُتكل في الغريب وفي الإعْرَاب والتصريف ثم هُذَيْل وبعض كِنَانَة وبعض الطّائِيّيْنَ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قَبَائِلهم، وبالجُمْلَة فإنّه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم فإنّه لم يؤخذ عن لخم ولا عن جُذَام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا عن قضاعه وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بغير العَرَبِيَّة، ولا عن تَغْلِب واليمن فإنّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا عن بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا عن أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا عن بَنِيْ حنيفة وسكان اليمامة، ولا عن ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا عن حاضرة الحِجَاز لأن الذين نقلوا اللُغَة صاد فوهم حين ابتدأوا ينقلون لُغَة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم والذي نقل اللُغَة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيرها علمًا وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط عن أهل أمصار العرب))[1] .

إذا عدنا إلى القَبَائِل المُبعدة من الاحتجاج فإن إحصاءها امرٌ صعب، لأن علماء العَرَبِيَّة ساروا مقتصرين في الأخذ على ستّ قَبَائِل – كما تقدم[2] – تاركين ماعداها من باقي القَبَائِل التي تجاوز الثلاثين قَبِيْلَة[3]، لهذا أدرك النُّحَاة في ما عالجوه من مسائل نظريًا وتطبيقيًا أن استقراءهم ناقص، وأنهم أمام أنحاء متعددة وليس نحوًا واحدًا، وقرروا إحالته إلى الضَرُورَة الشّعْرِيّة، والتجاوزات التي تقع شعرًا ولا تقع نثرًا، وما عباراتهم مثل: لُغَة شاذة، لُغَة رديئة، لُغَة قوم من العرب، لُغَة قبيحة، لُغَة ضعيفة .. الخ، إلا دليل على ذلك[4] . أو لجؤوا إلى تغيير رواية الشاهد ليستقيم مع القَاعِدَة التي وضعوها أو يصرفوه عن وجه فلا يصلح للاحتجاج به، أو عدّوا ما خالف القَاعِدَة من الشاذ الذي يسمع ولا يقاس عليه . وهذا يظهر أن جمع اللُغَة لم يتصف

---

[1] الاقتراح في أصول النحو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السَّيُوطِي (ت: ٩١١هـ) ص: ٤٧ – ٤٨ – ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية – راجعه وقدم له: علاء الدين عطية – الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م الناشر: دار البيروتي، دمشق.

[2] ينظر من هذه الرسالة: التحديد المكاني

[3] ينظر: اللُغَة والنحو بين القديم والحديث د. عباس حسن ص:٦٩، الطبعة الثانية:١٩٦٦م، دار المعارف، القاهرة.

[4] القَاعِدَة النَّحْوِيّة دراسة نقدية تحليلية د. أحمد عبد العظيم عبد الغني ص: ٣٥ طبعة: ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م – دار الثقافة.

بالشمول، وأن الاستقصاء ناقص غير مستوف لكل قَبَائِل العرب وسكان البراري أي أعراب البادِيَة..

ولو نظرنا إلى هذا النص لوجدنا أن الفارابي قد مدح لُغَة قُرَيْش وتحدث عن مميزاتها ولكنه لم يوردها ضمن القَبَائِل الست، وقد وضع البصريون مقياسا للفَصَاحَة، وهو الانعزال وعدم الاختلاط وهذا المقياس لا ينطبق على لُغَة قُرَيْش التي أجمعوا على أنها أفْصَح لُغَات العرب[1] وقد ناقشنا ذلك في مبحث سابق[2] .

إن الفرد سواء أكان شاعرًا أم حافظا للنثر والشعر عرضة للتأثر بلسان المجتمع الذي يدخله فيتعامل معه أو يعيش فيه، فقد بوّب ابن جني (باب اللُغَوِيّ الفصيح ينتقل لسانه)[3]. والأمر الطبيعي أن يتبع الفرد الجماعة في لسانه وسلوكه، وليس الجماعة تتبع الفرد في سلوكها ولسانها، فكيف يقبلون لُغَة عربي دخل البصرة وعاش فيها، وترفض لُغَة قَبِيْلَة بأسرها لأنها سكنت أطراف الجزيرة، وقد تكون تأثرت بلسان غيرها من الأمم المجاورة. وعلى هذا الأساس أخرجت أكثر من عشر قَبَائِل عربية من دائرة الاحتجاج بحجة مجاورتها لغير العرب، وكان أبو عمرو بن العلاء حريصًا على عدم الأخذ عن هؤلاء الإعْرَاب القادمين إلى حواضر العراق أما جُمْهُور النُّحَاة فقد أباحوا الأخذ .

إن أكبر نقد يوجه إلى مَنْهَج النَّحْوِيِّيْنَ، هو أنهم بنوا قواعدهم وصاغوا أحكامهم على استقراء ناقص، ثم حكموا تلك القواعد والأحكام بأصح الأقوال وأوثقها، وكان المَنْهَج السليم يقتضي أن يصحح النُّحَاة قواعدهم، لتستوعب كل ما ثبتت صحته من العَرَبِيَّة، ولو فعلوا ذلك لكانت قواعدهم أشد إحكامًا. فلُغَة القُرْآن التي تعتبر اللُغَة العَرَبِيَّة النموذجية الفُصْحَىْ لم يتم استقراؤها استقراءً تامًا، وقدَّمت عليها لُغَة قَبَائِل البدو.

ومن البدهي أن لُغَات القَبَائِل الست التي اعتمد عليها النُّحَاة، لا تحوي جميع لُغَات القَبَائِل الأخرى وخصائصها من أساليب وتراكيب وتصرف في استخدام اللُغَة. ومما لا شك فيه أن اللُغَة العَرَبِيَّة أوسع مما جمعه الرواة في عصر التدوين، وما ضاع من اللُغَة وأساليبها أكثر بكثير مما دون، ومن هنا جاءت بعض الأحكام النَّحْوِيّة قاصرةً؛ لأن النَّحْوِيِّيْنَ ندت منهم شَوَاهِد كثيرة وأساليب عديدة، فصاغوا أحكامهم بناءً على استقراء ناقص، ولو وسعوا دائرة الاحتجاج، لتغيرت

[1] ينظر: في أدلة النحو د. عفاف محمد حسنين ص: ١٩ الطبعة الأولى:١٩٩٦م، المكتبة الأكاديمية – القاهرة.

[2] ينظر من هذه الرسالة: عدم التمسك بقيد الزّمَان والمكان، ومبحث هل قُرَيْش أفْصَح العرب؟

[3] ينظر: الخصائص ١٤/٢، ٣٨٤/١

بعض تلك الأحكام والقواعد، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة سنكشف بعضها في ثنايا هذه الرسالة .

إن وقوف نحاتنا على لُغَات العرب لم يكن وقوف المتخصص، وإنما محاولة لخلق أرضية لُغَوِيّة فصحى تحفظ القُرْآن الكريم، فلعلهم معذورون ؛ إذ كانوا معنيين بالتَقْعِيْد للمستوى اللُغَوِيّ الذي نزل به القُرْآن، ولم يكن همّهم درس اللُغَة في ذاتها ومن أجل ذاتها، ورغم هذا وذاك استطاعوا أن يصفوا كثير من الظواهر اللهجية بملامح وصفية بارزة تتصف بها تلك اللَهْجَة عن غيرها، ويروي الجاحظ أن أول من لقب اللَهْجَات بألقابها المميزة هو رجل من (جَرْم) كان يجلس في مجلس معاوية بن أبي سفيان[1].

فقد كان العلماء العرب الأوائل يتعاملون إذن مع كَمٍّ هائل من المادة اللُغَوِيّة التي بدأوا في وضع قواعد اللُغَة العَرَبِيَّة اعتمادًا عليها. كما شَعَر العلماء العرب بضخم هذه المادة اللُغَوِيّة، وعبروا عن هذا الشعور. فمن ذلك ما يقوله الإمام الشافعي: ((ولسان العرب: أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي))[2]. وما يرويه أبو عمرو بن العلاء من أن أحدهم قال لعيسى بن عمر: ((أخبرني عن هذا الذي وضعت، يدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. قال: قلت: فما ينفع كتابك))[3].

وما يرويه ابن نوفل قال: ((سَمِعْتُ أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله، فقال: لا. فقلت: فكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لُغَات))[4]. وقول أبي عمرو بن العلاء ايضا: "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا القليل".

فتبين هذه النصوص جميعًا أن العلماء العرب الأوائل لم يحيطوا بكل ما قالته العرب أوّلا، ولم يستطيعوا أن يدخلوا كل ما رووه عن العرب تحت القواعد التي استخلصوها، ثانيا: لذلك نجد أنهم كانوا يريدون في فترة التأسيس إنجاز مهمة ملحَّة وهي تَقْعِيْد اللُغَة. ومن هنا لم ينتظروا حتى يجمعوا كل ما قالته العرب ولم يحاولوا كذلك التعقيد لكل ما رووه. وهذا الموقف تمليه طبيعة

---

[1] ((وقال معاوية يوما: من أنصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانيّة الفرات، وتيامنوا عن عنعنة تَمِيْم وتياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قُضَاعَة ولا طمطمانية حمير. قال: من هم؟ قال: قُرَيْش قال: ممن أنت؟ قال: من جرم. قال: إجلس.))، ينظر: البيان والتبيين ٣/١٤٥ -١٤٦.

[2] الرسالة للشافعي ص:٤٢

[3] طبقات اللُغَوِيّين والنَّحْوِيِّيْنَ للزبيدي ص:٤٥

[4] طبقات اللُغَوِيّين والنَّحْوِيِّيْنَ للزبيدي ص: ٣٩

اللُغَة أية لُغَة، إذ انه لا يستطاع الإحاطة بما يقوله الناس فعلا. فالقول السائد بأن العرب أحاطوا بلغتهم وجمعوها من مصادر محدودة ليس صحيحًا، إذن.

المطلب الرابع: دراسة اللَهْجَات بين القدماء والمحدثين

أولاً: عند القدماء

من المعروف أن العرب كانوا أمة متفرقة إلي قَبَائِل، وأن هذه القَبَائِل قد انتشرت في أنحاء الجزيرة العَرَبِيَّة، وكان لكل قَبِيْلَة استقلالها وكيانها الخاص، فأدى ذلك إلي انعزالها، وكان سببًا من أسباب نشأة اللَهْجَات العَرَبِيَّة القديمة.

ذكرنا[1] أن الفرق بين اللُغَة واللَهْجَة هو ما بين الخاص والعام أو ما بين الأصل والفرع، وأن القدماء لم يستعملوا مصطلح (اللَهْجَة) على النحو الذي نعرفه، وإنما بمعنى (اللُغَة) أو (اللغية) ؛ ولعل ذلك راجع لاهتمامهم بالفروق اللهجية التي دخلت الفُصْحَىْ ولم يكن يَنْصَبُّ في دراسة لَهْجَات القَبَائِل دراسة كاملة[2]، وإنما انصَبَّ على اللُغَة المشتركة (الفُصْحَىْ)، ولم يكترثوا بأمر اللَهْجَات على خطورته[3]، فالدرس اللهجي عندهم لم يكن من الدروس المركزية، فكل ما ورد ذكره في ثنايا كتب اللُغَة والأدب والتاريخ عن اللَهْجَات يمكن وصفه بالهامشي[4]، وفي أحسن الأحوال نجدهم يذكرون شيئًا من اللَهْجَات لا اللَهْجَات نفسها، وهم في تناولهم للَهْجَات غير حريصين على التمسك بالطريقة التي يطمح العلماء المعاصرون إليها وهي إسناد كل لَهْجَة إلى قبيلتها بصورة دقيقة[5]، فلم ينسبوا- غالبا- كل لَهْجَة إلى قبيلتها أوبيئتها، بل كانوا يعزون اللَهْجَة أحيانا، ويكتفون بقولهم: إنها لُغَة لبعض العرب. وبالتالي فإن تدوين اللَهْجَات على أنها أصل من أصول فقه اللُغَة، فهذا لم يتنبه له أحد فيما نعلم؛ لأن أكبر غرضهم من جمع اللُغَة وتدوينها يرجع إلى علوم القُرْآن والحديث، ولغتهما قرشية؛ وهذه حضرية مهذبة، والتحضر شيء ثابت فكأنها في حكم المدونة[6].

ولا نعرف كتابا واحدًا تخصص في دراسة اللَهْجَات العَرَبِيَّة القديمة، ولكن كتب الطبقات والتاريخ تذكر أن هناك نوعًا من الكتب أطلقوا عليها كتب اللُغَات، نذكر منها:

---

[1] ينظر: من هذه الرسالة ص:١٣

[2] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية عبده الراجحي ص:٥٠

[3] ينظر: العَرَبِيَّة دراسات في اللُغَة واللَهْجَات والأساليب يوهان فك ترجمة: د. رمضان عبد التواب ص:٩(تعليق المستشرق شيبتالر على الكتاب) طبعة:١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، مكتبة الخانجي – مصر.

[4] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة تشيم رابين ص:٤٠

[5] ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني د. حسام سعيد النعيمي ص:٧٣ طبعة: ١٩٨٠م، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجُمْهُورية العراقية، سلسلة دراسات (٢٣٤).

[6] ينظر: تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي ٨٦/١ د.ط، د.ت، دار الكتاب العربي.

- كتاب (اللُّغَات) [1] ليونس بن حبيب[2] (ت:١٨٣هـ).
- كتاب (اللُّغَات) للفراء[3] (ت:٢٠٧هـ).
- كتاب (اللُّغَات) لأبي عبيدة[4] (ت:٢١٠هـ).
- كتاب (اللُّغَات) للأصمعي[5] (ت:٢١٣هـ).
- كتاب (اللُّغَات) لأبي زيد[6] (ت:٢١٥هـ).
- كتاب (اللُّغَات) لابن دريد[7] (ت:٣٢١هـ).
- كتاب (السبب في حصر اللُّغَات) لحسبن بن مهذب المصري[8] (ت:٦٥٠هـ).
- كتاب (اللُّغَات) لأبي عمرو الشيباني[9]

ونحن لا نعرف شيئًا عن هذه الكتب ولم يصلنا منها كتاب واحد لسوء الحظ[10]، وواضح أن هذه الكتب كانت نوعًا من المعاجم، وأن مؤلفيها لم يكونوا يهتمون – إلا في القليل – بعزو اللَهْجَات إلى أصحابها .. وتذكر كتب التراجم أيضًا أنهم ألفوا كتبا لمعرفة اللُّغَات في القُرْآن منها

- لُغَات القُرْآن للفراء[11]
- لُغَات القُرْآن للأصمعي[12]
- لُغَات القُرْآن لأبي زيد[13]

---

[1] ينظر: الفهرست أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق البغدادي المعروف بابن النديم(ت:٤٣٨هـ) تحقيق: إبْرَاهِيم رمضان ص:٦٤، الطبعة الثانية: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار المعرفة – بيروت.

[2] **يونس** بن حبيب: من متقدمي النحاة أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي تلميذ أبي عمرو، و الأَخْفَش الأكبر، مولده في جُبّل قرية على دجلة، بين بغداد و واسط،سمع العرب وسمع منه الكسائي والفراء وغيرهما، وكانت له حلقة بالبصرة ينتابها أهل العلم وفصحاء الإعْرَاب والبادية، جمع النوادر واللغة والأمثال، ونقل السيوطي في المزهر عن نوادره، توفي سنه ١٨٢ هـ.

[3] ينظر: الفهرست ص: ٩٢

[4] ينظر: الفهرست ص: ٧٧

[5] ينظر: الفهرست ص: ٧٩

[6] ينظر: الفهرست ص: ٧٨

[7] ينظر: الفهرست ص: ٨٦

[8] ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللُغَوِيّين والنُّحَاة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُوطِي تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم ١/٥٤٠(م/١١٢٨)، د.ط، د.ت، المكتبة العصرية، لبنان – صيدا.

[9] ينظر: الفهرست ص: ٩٣

[10] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القرنية الراجحي ص:٥١

[11] ينظر: الفهرست ص: ٥٤

[12] ينظر: الفهرست ص: ٥٤

[13] ينظر: الفهرست ص:٥٤

ولا نملك اليوم من هذا التراث إلا رسالة معزوة إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ) باسم (لُغَات القَبَائِل في القُرْآن الكريم)، ورسالة منسوبة إلى عبد الله بن الحسين بن حسنون باسم (اللُغَات في القُرْآن)، وفي هاتين الرسالتين المتشابهتين كثيرًا لا نجد إلا ألفاظًا مبهمة تذكر وتوضع أمامها اسم القَبِيْلَة التي تتكلم بهذه اللفظة أو تلك[١] .

تعتبر المعاجم – بطبيعة مادتها – مصادر مهمة للَهْجَات، ولكن كثيرًا منها لم يهتم بعزوها إلى قَبَائِلها، فصاحب اللسان مثلا لا يكاد يذكر إلا قليلًا جدًا من لَهْجَات القَبَائِل، بل إنه يكتفي بقوله "لُغَة فيه" أو" عند بعض العرب، والمُعْجَمان اللذان نعتبرهما مصدرين هامين للَهْجَات وبخاصة لَهْجَات اليمن هما:

١. الجمهرة لابن دريد، إذ تنتشر فيه ثلاث وعشرون لَهْجَة أكثرها من اليمن .والغريب أنه لم يذكر من لَهْجَات قبيلته الأزد إلا سبع عشرة مادة .
٢. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري، وهو أهم مصدر لدراسة اللَهْجَات اليمنية . إذ لا تكاد تخلو صفحة فيه من لَهْجَة يمنية .

وهناك أيضًا هذه المعاجم الخاصة التي كانت تجمع مادة لُغَوِيّة في موضوع واحد مثل ما نجد في كتاب "النخل والكرم"[٢] للأصمعي، وفي كتاب المطر لأبي زيد[٣]، وفي "كتاب الرحل والمنزل" لأبي عبيد[٤] .

ومن المعاجم الخاصة أيضًا ما جاء في "المشترك" و"المترادف" و"الأضداد" فالمشترك كما يرون إنما يجيء على لغتين متباينتين[٥] .. وهم يرون أن المترادف إنما يكون من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويختفي الواضعان[٦] . وهم يعللون الأضداد باختلاف اللَهْجَات[٧] ...

---

[١] ينظر: لَهْجَات القَبَائِل العَرَبِيَّة وأثرها في توجيه التفسير ص:٨٨ رسالة تقدم بها الباحث: عبد الناصر النخعي إلى مجلس كلية التربية بجامعة عدن للحصول على درجة الدكتوراه في اللُغَة العَرَبِيَّة عام

[٢] ينظر: البلُغَة في شذور اللُغَة ص: ٦٥ – ٦٨ نشر أوغست هفنر، ولويس شيخو، الطبعة الأولى ١٩٠٨م، بيروت.

[٣] ينظر: البلُغَة في شذور اللُغَة ص: ١١٢

[٤] ينظر: البلُغَة في شذور اللُغَة ص: ١٢٨

[٥] ينظر: المَزْهَر ٣٠٣/١

[٦] ينظر: المَزْهَر ٣١٩/١

[٧] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية للراجحي ص:٥٥.

أما النُّحَاة الذين اهتموا باللَهْجَات اهتمامًا كبيرًا فهم أولئك النُّحَاة المتأخرون مثل ابن مالك[1] (ت:٦٧٢هـ) وشراح ألفيته، والرضي الاستراباذي[2]، والسَّيُوطِي . ولم يكن لهم سوى جمع ما ورد في كتب القدماء من إشارات إلى اللَهْجَات من غير أن يبينوا أهمية دراستها[3] .

ثانيًا: عند المعاصرين

بدأت دراسة اللَهْجَات العَرَبِيَّة في العصر الحديث على أيدي المستشرقين[4] الذين قدموا إلي العالم العربي للبحث في أحواله وثقافته منذ القرن التاسع عشر وكانت في معظمها أعمالا متواضعة تقوم على جمع المادة ودراستها بطريقة تقليدية، لكنها لم تلبث أن تطورت واشتد عودها بفضل تقدم الدراسات اللُغَوِيّة المعاصرة في الغرب واستفادتها من المخترعات الحديثة كاستخدام الأجهزة المختلفة والمختبرات في ميدان البحث اللُغَوِيّ. وفي دائرة المعارف الإسلامية وصف شامل لجهودهم في هذا الحقل .

واهتم كثير من الباحثين العرب المحدثين بدراسة اللَهْجَات العَرَبِيَّة في أنحاء العالم العربي، وأسهمت الجامعات العَرَبِيَّة بدورها في هذا الاهتمام لدى اللُغَوِيّين العرب المحدثين بتأليف الكتب في اللَهْجَات العَرَبِيَّة قديما وحديثا. كما قامت المجامع اللُغَوِيّة العَرَبِيَّة في كل من القاهرة ودمشق و بغداد بتشجيع الأبحاث و الدراسات في هذا المجال، حتى أن مجمع اللُغَة العَرَبِيَّة في القاهرة خصص إحدى لجانه لدراسة اللَهْجَات .

وينطلق هؤلاء العلماء في اهتمامهم بدراسة اللَهْجَات العَرَبِيَّة الحديثة من اعتقادهم بأن ذلك يؤدي إلي فهم طبيعة اللُغَة ومراحل نشوئها وتطورها وبيان تاريخها[5]. ويعتقد المحدثون أيضا بأن دراسة اللَهْجَات العَرَبِيَّة الحديثة والتعرف على خصائصها المشتركة يساعد على تقريب المسافة فيما بينها، وتضييق الفجوة بينها وبين اللُغَة الفُصْحَىْ .

---

[1] **ابن مالك:** جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني الشافعي نزيل دمشق، جالس ابن يعيش وتلميذه ابن عمرون بحلب، كان إمامًا في القراءات، برع في النحو والتصريف، توفي سنة ٦٧٢ هـ، له (الألفية في النحو) و(الموصل في نظم المفصل) و(تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) و(الكافية الشافية) و(لامية الأفعال) وغيرها.

[2] **الاستراباذي:** رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، عالم بالعَرَبِيَّة، له شرح على الكافية، وعلى الشافية لابن الحاجب، أكب الناس على كتابه(شرح الكافية) واعتمده الشيوخ في مصنفاتهم ودروسهم، ولقبوه بنجم الأئمة، توفي سنة ٦٨٦هـ.

[3] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم غالب المطلبي ص:٣٧

[4] ينظر: دراسات في لَهْجَات شرقي الجزيرة العَرَبِيَّة ب. م. جونسون ترجمة: د. أحمد الضبيب ص:١٢ طبعة: ١٩٧٥م، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود– الرياض.

[5] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم غالب المطلبي ص:٣٢.

وقد نشطت دراسة لَهْجَات القَبَائِل في التراث العربي في عصرنا الحديث لمعرفة الخواص اللهجية لكل قَبِيْلَة، ولمعرفة مدى إسهامها في تكوين العَرَبِيَّة الموحدة، ومن الذين درسوا لَهْجَات القَبَائِل في التراث العربي الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (في اللَهْجَات العَرَبِيَّة) والدكتور عبد الغفار هلال في (اللَهْجَات العَرَبِيَّة نشأة وتطورًا) والدكتور أحمد علم الدين الجندي (اللَهْجَات العَرَبِيَّة التراث)، والدكتور عبده الراجحي (اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية)، الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي في كتابه (الإمالة في القراءات واللَهْجَات العَرَبِيَّة)، والدكتور غالب فاضل المطلبي (لَهْجَة تَمِيْم)، والدكتور إبراهيم بركات في (الجُمْلَة الشرطية عند الهذليين)، إلى غير ذلك من البحوث والمقالات.

المبحث الثالث: القاعدة النحوية والتقعيد

المطلب الأول: تعريف القَاعِدَة النَّحْويّة، ووظيفتها، وشروطها

أولًا: تعريف القَاعِدَة النَّحْويّة

يجري بناء القَاعِدَة في اللُّغَة على الاستعمال، وهي لا تهمّ النحو وحده، وإنما تتعلّق بالمستويات اللُّغَوِيّة جميعها النَّحْويّة والصَّرْفيّة والصوتيّة والمُعْجَميّة والدلاليّة أيضا. وهذا الجريان للُّغَة على الاستعمال يرجع في الحقيقة إلى ضبط القَاعِدَة وصياغتها . وصياغة القَاعِدَة في النحو أو اللُّغَة إنجاز كبير توخّى أصحابه لبلوغه مَنْهَجا وتصوّرا جعلهم يضبطون المفاهيم والمصطلحات أوّلا ليهتمّوا بعد ذلك بجمع معطيات اللُّغَة ولمّ شتاتها، وتدوين بعض ظواهرها، ثم الالتجاء إلى الملاحظة والوصف، ثمّ التعليل والتفسير، ثمّ مناقشة الأصول والفروع، ومناقشة القواعد وشبه القواعد، والنظر في المطّرد وغير المطّرد[1].

القَاعِدَة لُغَة: أصل الأسّ، وجمعها "قواعد، وقاعدات" وهي أساطين البناء وأعمدته وأسسه[2]، فقَاعِدَة كل شيء أساسه، وقعَّد القَاعِدَة: وضعها، نحو: قعَّد قَاعِدَة التِّمثال[3] . ومن ذلك قواعد البيت، قال تَعَالَىٰ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾[4] وقال تَعَالَىٰ ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[5] وللقَاعِدَة معان كثيرة تعود إلى معنى الاستقرار والثبات والرسوخ[6]، لكن المعنى العام لها هو الأساس والأصل الذي ينبَنِيْ عليه غيره كبناء الجدران على الأساس[7]، وهي في الأمور الحسية إلا أنها استعملت في الأمور المعنوية، ومن ذلك قواعد العلوم ..

---

[1] ينظر: الأصول: دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو– فقه اللغة– البلاغة د. تمام حسان ص: ٢١، طبعة:١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، عالم الفكر.

[2] ينظر: لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور(ت:٧١١هـ) ٣٦١/٣ (ق ع د)،الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ، دار صادر – بيروت.

[3] ينظر: معجم اللُّغَة العَرَبِيَّة المعاصرة د. أحمد مختار عمر(ت:١٤٢٤هـ) ١٨٤١/٣، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، عالم الكتب.

[4] البقرة من الآية/١٢٧.

[5] النحل من الآية/٢٦.

[6] ينظر: تاج اللُّغَة وصحاح العَرَبِيَّة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ٥٢٥/٢، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ/١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت، ومعجم مقاييس اللُّغَة أحمد بن فارس تحقيق: عبد السلام هارون ١٠٨/٥ (ق ع د)، عام النشر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت.

[7] ينظر: مقولة الوجوب بين التَّقْعِيْد والاستعمال ص:٣٨، رسالة تقدم بها الطالب: صلاح الدين يحي، إلى كلية الآداب واللُّغَات، بجامعة محمد خيضر – بسكرة – بالجزائر، لنيل درجة الماجستير في اللُّغَة العَرَبِيَّة، سنة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

و(التَقْعِيْد) مصدر قَعَّد يُقَعِّدُ تَقْعِيْدًا، جاء في معجم اللُغَة العَرَبِيَّة المعاصرة: ((قَعَّد اللُغَة ونحوها: وضع لها قواعد يُعْمَل بموجبه))[1]، فهو مصدر يدل على عملية إنشاء القَاعِدَة وتركيبها وصياغة عناصرها[2] . فتَقْعِيْد القواعد ما هو إلا فحص للمادة اللُغَوِيّة تم جمعها، ومحاولة تصنيفها، واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها[3] . ويقوم التَقْعِيْد بالتعميم الذي يخرج بنا من الواقعة أو الواقعات المفردة إلى القانون الذي ينطبق على ما لا يحصى من النماذج والوقائع[4].

واصْطِلاحًا: بمعنى الضابط[5]، وعرّفها التفتازاني (ت:٧٩٢هـ) بقوله ((حكم كليّ ينطبق على جميع جزئياته ليتعرف على أحكامها منه، وقد جرى هذا الاصْطِلاح في جميع العلوم، فإن لكل علم قواعد، فهناك قواعد أصولية وقانونية ونحوية وغيرها))[6]، ثم اختصره الجرجاني[7] فقال: ((قَضِيّة كليّة منطبقة على جميع جزئياتها))[8] . فالقَاعِدَة عند الجميع أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته[9]. وقواعد اللُغَة: قواعد تهدف إلى وضع معايير للاستعمال الصحيح للُغَة وتمييز الاستعمالات غير الصحيحة[10]، والقَاعِدَة النَّحْوِيّة قَاعِدَة كلية، والقَاعِدَة الكلية يكون معناها حكمًا كليًا ينطبق على جزئيات كثيرة، كَقَوْلِ النُّحَاة "الفاعل مَرْفُوع/ المفعول منصوب"، وقول الأصوليين "الأمر للوجوب" . فمثل هذه القَاعِدَة سواء في النحو أو أصول الفقه أو ما سواهما من العلوم قَاعِدَة تنطبق على جميع الجزئيات بحَيْثُ لا يندّ عنها فرع من الفروع، وإذا كان هناك شاذ خرج

---

[1] معجم اللُغَة العَرَبِيَّة المعاصرة أحمد مختار عمر ١٨٤١/٣

[2] ينظر: القواعد الفقهية يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين ص:١٥ الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، مكتبة الرشد – الرياض.

[3] ينظر: البحث اللُغَوِيّ عند العرب د. أحمد مختار عمر ص:٨١، الطبعة الثامنة: ٢٠٠٣م – عالم الكتب.

[4] ينظر: قرينة السياق ودورها في التَقْعِيْد النحوي والتوجيه الإعْرَابي في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص:٥٣ رسالة تقدم بها الطالب: إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، إلى قسم اللُغَة العَرَبِيَّة كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، بجامعة عين شمس، للحصول على درجة الدكتوراه في اللُغَة العَرَبِيَّة، عام النشر ٢٠١٦م.

[5] ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت:٧٧٠هـ) ٥١٠/٢ (ق ع د) د.ت،د.ط، المكتبة العلمية– بيروت

[6] التلويح إلى كشف حقائق التوضيح سعد الدين التفتازاني ٥٢/١، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، دار الأرقم – بيروت.

[7] **الجرجاني:** علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف، من كبار العلماء بالعَرَبِيَّة، ولد في تاكو (قرب استراباد) سنة ٧٤٠هـ ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فر الجرجاني إلى سمرقند، ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي سنة ٨١٦هـ. له نحو خمسين مصنفا منها «التعريفات»، و«الحواشي على المطول للتفتازاني»، و«رسالة في فن أصول الحديث»، و «حاشية على الكشاف» وغيرها.[الأعلام للزركلي]

[8] معجم التعريفات علي بن محمد الشريف الجرجاني ص:١٧١ الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الكتب العلمية – بيروت

[9] ينظر: المصباح المنير ٥١٠/٢.

[10] ينظر: معجم اللُغَة العَرَبِيَّة المعاصرة أحمد مختار عمر ١٨٤١/٣

عن نطاق القَاعِدَة، فالشاذ أو النادر لا حكم له ولا ينقض القَاعِدَة . وقد ذكر الدكتور أحمد مختار عمر[١] في كتابه القيّم (معجم اللُغَة العَرَبِيَّة المعاصرة)[٢] أكثر من عشرة تعاريف للقَاعِدَة ما بين اصْطِلاحي وسياقي، لكن المهم لنا هو التعريف النحوي؛ فالنُّحَاة قد بنوا علم النحو على قواعد بنيت من مصادر الاحتجاج اللُغَوِيّة الفَصِيْحَة .

والذي يظهر أن القَاعِدَة أكثرية لا كلية؛ لأنها تعبير عن شيء لاحظه الباحث، وكان عليه أن يصفه بعبارة مختصرة بقدر الإمكان، ويرى السَّيُوطِي أن القَاعِدَة تجمع فروعًا من أبواب شتى[٣]، وهي ((وصف لسلوك معين في تركيب اللُغَة))[٤]. وقواعد النحو العربي قانون لُغَوِيّ، وهذا القانون دستور عربي عام، وهو انتاج جماعي مشترك بين القادرين على الاستقراء والاستنتاج، ثم التقنين والتَقْعِيْد، فالأصل في كل علم أن يكون جمعًا لجهود متقاربة مجتمعة على أصل واحد وهدف واحد بعينه، فإذا كانت البصرة سباقةً إلى تقنين العَرَبِيَّة فإن للكوفة فضل الإكمال والإتمام في كثير من الأحكام[٥].

وقد قسّم علماء العَرَبِيَّة قواعد النحو إلى قياسيّة يصح القياس عليها لكثرة شَوَاهِدها عندهم. وإلى سماعيّة، أو قليلة، أو شاذة، أو ضَرُورَة، ولا يصحّ القياس عليها لندرة شَوَاهِدها عندهم. وتتابع المؤلفون على هذا التقسيم إلى العصر الحديث. وهذا التقسيم صحيح عند العلماء الأقدمين؛ لأن حكمهم قام على استقراء النصوص التي وصلت إليهم. ولكن ظهر فيما بعد أن استقراء هؤلاء كان ناقصا، وأن هناك شَوَاهِد لم يطلعوا عليها، فلماذا لم يخرج الشاذ إلى دائرة الكثير الذي يباح الأخذ به وإن كان لا يصل إلى منزلة القياسيّ؟[٦].

---

[١] **أحمد مختار عمر**: ولد عام ١٩٣٣م فحفظ القُرْآن صغيرا، ثم التحق بالأزهر، ثم دار العلوم، وقد حصل على الليسانس منها بتقدير امتياز سنة ١٩٥٨م، وحصل على الماجستير من كلية دار العلوم بامتياز ١٩٦٣م حول تحقيقه وإخراجه ديوان الأدب للفارابي، ثم الدكتوراه في علم اللُغَة من جامعة كمبريدج ببريطانيا ١٩٦٧م. فجمع بين التراث والمعاصرة من أوسع أبوابهما. ترك تراثا كبيرا يضم ما ينيف عن ثلاثين كتابا، ما بين التحقيق والتأليف والترجمة،من أهم كتبه: «في علم الدلالة» و «اللُغَة واللون»، و «اللُغَة والنوع» و «صناعة المُعْجَم العربي»، و«معجم الصواب اللُغَوِيّ»، و«معجم ألفاظ الحضارة في القُرْآن الكريم». و «صناعة المُعْجَم الحديث» و «النحو الأساسي»، و«التدريبات اللُغَوِيّة والقواعد النَّحْوِيّة» و«أخطاء اللُغَة العَرَبِيَّة المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين» وغيرها. توفي رحمه الله في الرابع من أبريل ٢٠٠٣م.

[٢] ينظر: معجم اللُغَة العَرَبِيَّة المعاصرة أحمد مختار عمر ١٨٤١/٣

[٣] ينظر: الأشباه والنظائر في النحو ١١/١.

[٤] التَقْعِيْد النحوي بين السَّمَاع والقياس ص:١٩، رسالة تقدم بها الباحث: محمود شرف الدين، إلى دار العلوم بالقاهرة للحصول على درجة الدكتوراه، سنة: ١٩٦٨م.

[٥] ينظر: سِيْبَوَيْهِ جامع النحو، لفوزي مَسْعُوْدٍ ص:٢٥.

[٦] ينظر: شرح الشَّوَاهِد الشّعْرِيّة في أمات الكتب النَّحْوِيّة محمد بن محمد حسن شُرَّاب ٢٢/١- ٢٣، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

ثانيًا: وظيفة القواعد النَّحْويّة

تعلم القواعد النَّحْويّة يعين على فهم نصوص القُرْآن الكريم والحديث الشريف، وبتعلّم قواعد النحو نكون قد تعلّمنا أكثر علوم القُرْآن والسنة ؛ لأن تعلّم النحو ليس غاية لذاته بل وسيلة لغايات أخرى، فوظيفة النحو بيان ضبط النصوص، وغايته غرس القدرة على فهم الأساليب والتمكن منها والتعبير عنها .

إن وظيفة القواعد النَّحْويّة هي دراسة الجُمْلَة العَرَبِيَّة ضمن أنساق التراكيب اللُغَوِيّة في المستويات اللُغَوِيّة، فمعرفة تركيب الجُمْلَة والعلاقات المترابطة فيها يتطلّب إلمامًا بالأصوات والمعاجم والأصول اللُغَوِيّة، وهذا يستدعي بالضَرُورَة معرفة مباني الجُمْلَة ومعانيها ودلالاتها، أي دراسة المستوى الصوتي والصَّرْفي والدلالي . فاللُغَة كما هو ثابت علميًا مستوى صوتي لا يتداخل فيه صوت مع صوت إلا في ظل قانون يدرسه علم الأصوات، ومستوى بنيوي لا تتضارب فيه صِيْغَة مع أخرى، وله نظمه الدقيقة التي فصّلها علم الصَّرْف، ولها مستوى تركيبي لا تختلف فيه قَاعِدَة مع الأخرى بل تتسق جميها لأداء وظائف الجُمْلَة كما يحددها علم النحو[1] . فكل خطوة نخطوها في تَقْعِيْد هذه القواعد والتقنين لها يجب أن تشمل ما فوق المستوى أو ما دونه قديمًا وحديثًا، وليست كما قال بعض النَّحْوِيِّيْنَ إن وظيفة القَاعِدَة هي الوقوف عند ظاهرة الإعْرَاب والبناء مُنْفَصِلة عن غيرها .

ثالثًا: شروط القَاعِدَة النَّحْويّة

وظيفة القَاعِدَة النَّحْويّة أنها تختزل الصفات المشتركة بين أقسام المادة اللُغَوِيّة، وتقنّن العلاقات بينها، وهي محصلة نهائية لمراحل الاستقراء، وقانون يلمّ شتات الظواهر النَّحْويّة ضمن المادة المدروسة . ولهذا ينبغي أن تتوافر للقَاعِدَة النَّحْويّة شروطٌ ذكرها الدكتور تمام حسّان[2]، يمكن اختصارها في ما يأتي:

١. **الاختصار:**

يتطلب هذا الشرط أن يعتمد التَقْعِيْد على تصنيف شامل، يحدد المادة اللُغَوِيّة، ويحدد الوظائف النَّحْويّة، ووجد المعاصرون هذه الخاصية من أهم خصائص القواعد . ففي المراحل الأولى للتَقْعِيْد النحوي كانت القَاعِدَة النَّحْويّة أقل اختصارًا، وعدم محدودية، لكنها كانت أكثر

[1] ينظر: تعليم النحو العربي عرض وتحليل د. علي أبو المكارم ص:١٥ طبعة: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، مؤسسة المختار– القاهرة.

[2] ينظر: الأصول تمام حسان ص: ٥٧– ٦٠.

وصفية . وكان المصطلح النحوي أقل ضبطًا، إذ يتميز بالطول، والغموض أحيانًا، قال ابن كيسان[1](ت:٢٩٩هـ): (ووجدنا ألفاظه [يعني كتاب سِيْبَوَيْهِ] تحتاج إلى إيضاح، لأنه ألف في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ). مثال على اختصار القَاعِدَة: نجد القَاعِدَة التي صاغها المتأخرون تقول: (يَجُوزُ دُخُوْل الفاءِ في خبرِ الاسمِ المَوْصُوْل) نحو: الذي يأتي فله درهم . نجد الفَرّاء(ت:٢٠٧هـ) حين صاغها قال: ((أدخَلَتِ العرَبُ الفاءَ في الخبرِ، لأنَّها وَقَعَتْ على الَّذِي، والَّذِي حرفٌ يُوصَلُ، فالعَرَبُ تُدخِلُ الفاءَ في كلِّ خبرٍ كانَ اسمُهُ ممَّا يُوصَلُ، مثل: مَنْ والَّذِي والقاؤُها صوابٌ))[2]. وواضح أن عبارة المتأخرين أكثر اختصارًا فهي تعتمد على ضبط أدق للمصطلح، كما إنها أكثر معيارية ؛ لأنها تتحدث عن الجواز وهو ما خلت منه عبارة الفَرّاء.

٢. العموم والاطراد:

أن تكون القَاعِدَة عامة ؛ لأن العموم يؤدي إلى الاطراد وهذا يهون على الذهن تمثل الأصل العام تمثلًا يُرْجَعُ إليه في التطبيق والاستعمال . فينطلق الدارس من الاستعمال كونه نموذجا أو نماذج حيّة من اللُغَة المدروسة التي لا بدّ أن تشتمل على عيّنات دالّة ممثّلة لكلّ الظواهر المشابهة في المَسْأَلَة الواحدة، وما ينتظم منها وما لا ينتظم للخلوص إلى قانون واحد موحّد، فتخضع لها جزئيات المادة العلمية، من غير أن يكون النحويّ مجبرا على العودة إلى كلّ الظواهر المتعلقة بمسألة ما. وانطلاق النحويّ من الجزئيات مرهون باختبار هذه القَاعِدَة أو تلك على الكليّات. ولا سبيل إلى ذلك ما لم تخضع القواعد إلى وسائل الضبط المعينة على تحقيق ذلك، ومن هنا يأتي اختبار القَاعِدَة والتثبّت من صحّتها ومدى سلامتها مما هو معلوم في أصول النحو: كالعلّة، وشروط العلة، ومسالك العلة، والطرد وعكسه، ودوران العلة مع المعلول، وغير ذلك وإلا اضطرّ النحويّ أو النُحَاة لمزيد ضبط القَاعِدَة وحسن صياغتها. مثال على اطراد القَاعِدَة في نصب جمع المُؤَنّث السَّالِم حَيْثُ صاغها المتأخرون كالتالي: (كلَّ جمعٍ مُؤَنّث سالمٍ يُنصَبُ بِالكسرةِ نيابة عنِ الفَتحةِ) مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ لَهُم جنَّاتٍ﴾[3] ونقارن بما أورده الأَخْفَش[4] في تفسير حَيْثُ قال ((جُرَّتْ، وقد وَقَعَتْ علَيها "أنَّ"، لأنَّ كُلَّ جَماعةٍ فِي آخرِها تاءٌ زائِدة تَذهَبُ في

---

[1] **ابن كيسان:** هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان، أخذ النحو عن المُبَرِّد وثعلب معًا في بغداد، ألف (اختلاف نحو الكُوْفِيّيْنَ والبَصْرِيِيْنَ)، وآراء النحاة متضاربة فيه، فهو عند ابن الأنباري خلط ولم يضبط، وعند الفارسي من الشيخين(المُبَرِّد وثعلب) توفي سنة ٢٩٩هـ.

[2] ينظر: معاني القُرْآن أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفَرّاء تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي ١٥٥/٣– الطبعة الأولى د.ت، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

[3] البقرة من الآية/٢٥.

[4] **الأَخْفَش الأوسط:** سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، أصله من بلخ، قرأ النحو على سيبويه، وكان أسن منه وروى كتابه وصار بعده إمام أهل البصرة، روى عنه أبو حاتم السجستاني، دخل بغداد وأقام بها توفي سنة ٢١٥هـ.

الوَاحِدِ أو فِي تَصغِيرِهِ فَنَصبُها جرٌّ. ألا تَرَى أنَّكَ تَقُولُ: جنَّةٌ فتذهَبُ التاء، وقالَ تَعَالَىْ: ﴿خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ﴾[1] والسَّماواتُ جرٌّ، والأرضُ نصبٌ؛ لأنَّ التاءَ زائدة، ألا تَرَى أنَّكَ تَقُولُ سماء))[2] . فنلمس حرص الأخْفَش على إفهام القارئ القَاعِدَة النَّحْويّة من خلال التعليل والحجّة، ومن خلال الإكثار من الأمثلة والشَوَاهِد، ومن خلال الاسترسال في توصيف الظاهرة النَّحْويّة كما هو في عرف نحاة اليوم بالمَنْهَج الوصفي والتحليلي، وهو الحالُ في أكثرِ النُّصُوصِ الَّتِي تَنتمِي إلى هذِهِ الفترةِ.

٣. **الضبط:**

ونعني بِهِ الموضُوعيَّةَ في التوثيق ووضعِ الشَوَاهِد، فتكون معيارًا لقبول النصوص وردّها، وأساسًا لتصويب نتائج الاستقراء . وله مظهران في القَاعِدَة النَّحْويّة:

الأول: المرجعية: أي إنهم كانوا يردّون قواعدهم إلى ما تقوله العرب، ويوثقون كل قَاعِدَة بالشَوَاهِد والأمثلة، وهو ما يعرف بالاحتجاج من خلال إقامة الدليل والبرهان، وهو ما يشبه تحقيق الفرض في التجارب العلمية .

الثاني: القياس: هو جُمْلَة القواعد الأصلية التي وضعها النحويون لضبط مَنْهَجهم، وهو حمل غير المنقول على المنقول، كحمل رفع نائب الفاعل على الفاعل لعلة الإسناد، وهذا يتيح إنشاء عدد لا نهائي من الجمل كما يقول التحويليون .

مثال ضبط قَاعِدَة الشرط الجازم عند المحدثينَ تقول: (أدواتُ الشرطِ الجازمة تجزمُ فعلينِ، الأوّل فِعلُ الشرطِ، والثاني جوابُ الشرطِ. فالأوّلُ سببٌ لحصولِ الثاني . ولا يكونُ جوابُ الشرطِ الجازمِ إلا بِفعلٍ أو اقترانٍ بِالفاءِ) وقد ضبط سِيْبَوَيْهِ هذه القَاعِدَة بقوله: ((اعلَمْ أنَّ حروفَ الجزاءِ تجزمُ الأفعالَ ويَنجَزِمُ الجَوابُ بِما قبلَهُ، وزَعَمَ الخَلِيْل أنَّكَ إذا قُلْتَ: إنْ تأتِنِي آتِكَ، فـ (آتِكَ) انجزَمتْ بـ (إنْ) تأتِني، كما تَنجَزِمُ إذا كانَتْ جوابًا للأمرِ حينَ قُلْتَ: ائْتِنِي آتِكَ....واعلم أنَّه لا يكونُ جوابُ الجزاءِ إلا بِفعلٍ أو بالفاءِ))[3]. فهذه القَاعِدَة وهذا ما يُدعَى الضَّبطَ للظاهرةِ المدروسةِ.

٤. **التماسك:**

---

[1] الأنعام من الآية/١.

[2] معاني القُرْآن أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي المعروف بالأخْفَش الأوسط تحقيق: هدى محمود قراعة ٥٧/١، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ/١٩٩٠م، مكتبة الخانجي – القاهرة.

[3] الكتاب ٦٣/٣.

فالقواعد نظام تتشابك فيه العلاقات العضوية، حتى يصير بهذا التشابك بناءً واحدًا يصعب نفي شيء منه أو إضَافَة آخر إلا بدليل، فهو يتسم بالتماسك وعدم التناقض، فلو كان متناقضًا لما صلح للتطبيق، وهو بهذا يتيح لهم ربط الفروع بالأصول وعدم الخروج عليها، فلا تتشتت الظاهرة وتختلف في بعض الحالات بسبب ظُهُور شروط جديدة في كل مرّة، أوبسبب اختلاف اللُغَات التي ترجع إلى تطبيقاتها. يقول ابن خلدون[1](ت:٨٠٨هـ): ((فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أن الفاعل مَرْفُوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مَرْفُوع ... فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو))[2] .

فاستنباط القَاعِدَة وتماسكها ليس أمرا يسيرا، وهو ليس بحاجة إلى مَنْهَج في الوصف والتحليل فحسب، وإنّما هو بحاجة إلى خلفيّة نظريّة أو معرفيّة ليجيء العمل على منوال واحد وفق نظرة كليّة غير قاصرة، ينبَنِيْ على إثرها نحو منظّم قائم على أنساق متماسكة، لا يتخللها اضْطِرَاب ولا تناقض، وإنما يكون منسجما داخل تصوّرات مفترضة مسبقة. تسعى في مجملها إلى أن تمثّل النحو الذي يمتلكه الفرد بالفطرة أو السجيّة أفضل تمثيل .

وهذا لا شكّ يدعونا بجدّ إلى تعميق الدراسة في مسائل اللُغَة العَرَبِيَّة في عمومها، ومزيد ضبط وبلورة القواعد النَّحْويّة في مجملها، ولعلّ هذا قد لا يتحقّق إلّا بالتوسّل بمناهج لُغَوِيّة حديثة وإضفاء رؤى جديدة، لأنّ البقاء في المَنْهَج القديم على أهميّته قد لا يخلق إلّا اجترارا لا فائدة منه[3].

---

[1] **ابن خلدون:** ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشبيلي، فيلسوف ومؤرخ وعالم اجتماع وبحاثة، ولد ونشأ بتونس سنة ٧٣٢هـ، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والاندلس، ثم توجه إلى مصر فولي فيها قضاء المالكية، وتوفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨هـ.

[2] مقدمة ابن خلدون ٧٥٤/١.

[3] من مقال للدكتور الأستاذ عبد الحميد النوري عبد الواحد عضو مجمع اللُغَة العَرَبِيَّة ضمن شبكة الأنترنت..

المطلب الثاني: نشأة القَاعِدَة وتطورها

مقدمة: الانتقال من مرحلة السليقة والمشافهة إلى مرحلة التَقْعِيْد

لم تدم مرحلة المعرفة القائمة على السليقة والمشافهة طويلًا إذ جدّ في الحياة الاسلامية مبكرًا ما دعا إلى شيء من التدوين والتثبيت، وهو (اللحن)، لاسيما في قراءة كتاب الله الباعث الرئيس لظُهُور بوادر التدوين والتأليف في النحو العربي، هذا ما تنص عليه الكثير من روايات الكتب القديمة[١] وتؤكده الدراسات الحديثة[٢] .

وتحقيقًا لاستنباط ضوابط وقوانين تنظّم طرق التعبير والنطق باللُغَة، كان على علماء اللُغَة أن يفكروا في وضع علوم العَرَبِيَّة عامة والنحو خاصة، وكان لا بد من القيام باستقراء مادة اللُغَة ودراستها، فشرع علماء اللُغَة في جمع كلماتها وشَوَاهِدها الشّعْرِيّة والنثرية من أفواه العرب الفصحاء، يذهبون إلى البوادي ويستمعون إلى من يفد إلى البصرة والكوفة، ويدونون كل ما يسمعون إلى أن توافر لديهم حشد هائل من مفردات اللُغَة وتراكيبها وأساليبها . وقد أخذ هؤلاء العلماء على عاتقهم حمْل لواء النحو للأجيال المتعاقبة وظلوا يعملون في دأب حتى استوى النحو على سوقه .

أولًا: ما قبل سِيْبَوَيْهِ (معلومات وملاحظات قابلة للتوسع والزيادة)

في ما يشبه الإجماع يرى كثير من الباحثين أن (اللحن) هو الباعث الأول على استنباط القواعد وتدوينها[٣]، ويرى آخرون أن الروايات التي رافقت نشأته هي من جُمْلَة الأساطير التي نسجها وأشاع أمرها القصّاص ورواة الغرائب واللطائف والنكت في دنيا الناس، وهي أخبار غير علمية[٤] . لكنهم اختلفوا واضطرب اختيارهم في البادئ بوضع أسسه ولبناته الأولى[٥] . قال السيرافي[٦]: ((اختلف الناس في أول من رسم النحو فقال قائلون أبو الأسود الدؤلي وقال آخرون

---

[١] ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبو البركات الأنْبَاري ص:١٨ – ٢١

[٢] ينظر: من تاريخ النحو سعيد الأفغاني ص: ٢٦، والأصول تمام حسان ص: ٢١.

[٣] ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النُحَاة الشيخ: محمد الطنطاوي ص:١٦، الطبعة الثنية: د.ت، دار المعارف، ومن تاريخ النحو سعيد الأفغاني ص:٨،.

[٤] ينظر: قراءة في مصادر التَقْعِيْد النحوي ص: ٨ .

[٥] ينظر: أبحاث في العَرَبِيَّة الفُصْحَىٰ د. غانم قدوري الحمد ص:١٤، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م دار عمار– الأردن، والخلاف بين النَّحْوِيِّيْنَ السيد رزق الطويل ص:١٤.

[٦] **السيرافي:** أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان مولده في سيراف، وكان أبوه مجوسيًا فأسلم، أخذ الفقه والكلام عن الصيمري،، وقدم بغداد فأخذ اللغة والنحو عن ابن دريد، وكان يسمى إمام المسلمين وشيخ الاسلام، حنفي المذهب، توفي سنة٣٦٨هـ. أشهر آثاره شرحه لكتاب سيبويه، و أخبار النَّحْوِيِّيْنَ البَصْرِيِيْنَ .

نصر بن عاصم الدؤلي ويقال الليثي وقال آخرون عبد الرحمن بن هرمز وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي))[1] . لكن كتب القدماء تكشف وتبين لنا أن نقط أبي الأسود الدؤلي(ت:٦٩هـ) للمصحف الشريف يمكن أو يمثل المرحلة الأولى لظُهُور التدوين في الدرس النحوي، لما يمثله هذا النقط من إدراك قائم على معرفة حركات الكلمات ومنها حركات أواخرها ومدى تأثرها بموقع الكَلِمَة في الجُمْلَة، فكانت محاولة أبي الأسود ((هي البداية التي لا جدال حولها للنحو))[2] تمثّلت في ضبط الكلمات، ووضع بعض المعايير للرفع والنصب والخفض والجزم[3]،

وقد حمل الأمانة من بعده تلاميذه ومنهم: نصر بن عاصم الليثي[4] (ت:٨٩هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز[5](ت:١١٧هـ)، ويحيى بن يعمر[6](ت:١٢٩هـ) . حَيْثُ أكمل هؤلاء التلاميذ ما بدأه أستاذهم في مجال وضع بعض الأبواب النَّحْويّة، فكان نصر بن عاصم أول من سبب النحو وفتق فيه القياس؛ حتى نسب بعضهم إليه أول وضعه. وعبد الرحمن بن هرمز، أول من نقل النحو إلى المدينة وتكلم فيه. وأبرزهم في هذا المجال يحيى بن يعمر[7] الذي بسط النحو وعين بعض أبوابه . وكان أظهر عمل هؤلاء أن أثاروا بعض مسائل مختلفة من النحو حول آيات من القُرْآن الكريم، وأبيات من الشعر العربي، ويجدر بالذكر أن تلاميذ أبي الأسود لم يخلفوا كتبًا في النحو، فلم ترد أية إشارة حول مَنْهَجهم في التأليف النحوي، وهذا يعني أنهم كانوا يعتمدون المشافهة في نقل الآراء .

ويقول الأستاذ محمد الطنطاوي عن جهود أعلام هذه الطبقة: ويغلب على الظن أن ما تكون من نحو هذه الطبقة كان شبه الرواية للمسموع، فلم تنبت بينهم فكرة القياس، ولم ينهض ما حدث في عهدهم من أخطاء إلى ‘حداث ثغرة خلاف بينهم لقرب عهد القوم بسلامة السليقة[8] .

---

[1] أخبار النَّحْوِيِّيْنَ البَصْرِيِيْنَ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي ص:١١، طبعة: ١٣٧٣هـ/١٩٦٦، مصطفى البابي الحلبي.

[2] الأصول د. تمام حسان ص: ٢٣

[3] ينظر: طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُغَوِيّين ص: ١١.

[4] **نصر بن عاصم:** كان فقيها عالما بالعَرَبِيَّة، فصيحا، وقرأ القُرْآن على أبي الأسود، مات سنة ٨٩م أيام الوليد بن عبد الملك [نزهة الألباء/٨]

[5] **عبد الرحمن بن هرمز:** يعرف بأبي داؤود الأعرج، كان مولى لمحمد بن رَبِيْعَة بن الحارث بن عبد المطلب، كان أحد القراء عالمًا بالعَرَبِيَّة والأنساب، توفي بالاسكندرية سنة ١١٧هـ في أيام هِشَامٍ بن عبد الملك. [نزهة الألباء/١٠].

[6] **يحيى بن يعمر:** رجل من بني عدوان بن قيس، كان عالما بالعَرَبِيَّة والحديث، لقي عبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة، وكان فصيحًا [نزهة الألباء/١٠].

[7] ينظر: أخبار النَّحْوِيِّيْنَ البَصْرِيِيْنَ السيرافي ص: ١٨.

[8] ينظر: نشأة النحو الطنطاوي ص:٢٨.

وتذكر مصادر تاريخ النحو أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي[1] (ت:١١٧هـ) أول من مدّ القياس وشرح العلل، وقد حذا حذوه في الأخذ بمَنْهَج التعليل[2] عيسى بنُ عمر الثقفي (ت:١٤٩هـ) ويعدّ أبرز تلاميذ الحضرمي[3] وقد تتلمذ عليه الخَلِيْل بن أحمد، وقد جمع ما أثاره أسلافه من المسائل المتفرقة .

ويرى بعض الدارسين[4] أن عيسى أفاد – كأستاذه– من مناهج الفقه في عصره، وأن أهم مظهر لهذا المَنْهَج العقلي عنده محاولة تفسير الظواهر الإعْرَابية وربطها بالمعنى . وقيل إنه ألف كتابين سمى أحدهما (الإكمال) والآخر (الجامع)، وقد قال فيهما الخَلِيْل:

بَطَلَ النَّحْوُ جَمِيْعًا كُلَّهُ ... غَيْرَ مَا أَحْدَثَ عِيْسَى بْنُ عُمَرْ

ذَاكَ إكْمَالٌ وَهَذا جَامِعٌ ... فَهُمَا للنَّـاسِ شَمْسٌ وقمَـرْ

ويقال: إن الجامع هو كتاب سِيْبَوَيْهِ، أضيف إليه كثير مما تلقاه عن الخَلِيْل بن أحمد وبعض أساتذته وعلماء عصره.

ومن أعلام النحو الذين أثّروا في مسيرة الدرس النحوي أبو عمرو بن العلاء(ت:١٥٤هـ) وقد تلمذ للحضرمي أيضًا، لكنه كان أكثر درايةً من أستاذه بكلام العرب ولُغَاتها وغريبها[5] .

وأخذ النحو عن أبي عمرو يونسُ بنُ حبيبٍ الضبّيّ[6]، وقد كانت له مذاهبُ وأقيسةٌ تفرّد بها، وذكر الزبيدي ما يُفهِم منه تبنّي يونس لمَنْهَج السَّمَاع في التَقْعِيْد النحوي بقوله ((لم يكن عند يونس علمٌ إلا ما رآه بعينهِ))[7]، من ذلك أنه أجاز ورود الحال معرفةً مستندًا إلى قول بعض العرب: مررت بهم الجمّاءَ الغفير، وقولهم: وأرسلها العراك[8] . فالسَّمَاع أول ما اعتمده النُّحَاة في جمع المادة اللُغَوِيّة واستقرائها، وكان هذا المسموع مرويًّا على ألسنة فصحاء موثوق بعربيتهم. وقيل ليونس: إن سِيْبَوَيْهِ أَلَّف كِتابًا من أَلْفِ ورقة في علم الخَلِيْل، فقال يونس: ومتى سمع

---

[1] **الحضرمي:** عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، من أوائل من وضع النحو. مات سنة ١١٧هـ. [طبقات القراء ص:١٠٠]

[2] ينظر: إنباه الرواة على أنباه النُّحَاة جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت:٦٤٦هـ) ٣٤٣/٣ الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ – المكتبة العصرية – بيروت

[3] ينظر: المفصل في تاريخ النحو محمد خير الحلواني ١٦٦/١

[4] ينظر: المفصل في تاريخ النحو محمد خير الحلواني ١٦٦/١

[5] ينظر: أخبار النَّحْوِيِّيْنَ البَصْرِيِيْنَ للسيرافي ص: ٢١

[6] ينظر: مراتب النَّحْوِيِّيْنَ ص: ٤٤

[7] طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُغَوِيّين ص: ٥١ – ٥٢

[8] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثالث، المبحث الثالث، المَسْأَلَة(٥): ورود الحال معرفة ومصدرًا وعددًا.

سِيْبَوَيْهِ من الخَلِيْل هذا كله؟ جيؤوني بكتابه. فلما نظر في كتابه ورأى ما حكى، قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخَلِيْل فيما حكاه، كما صدق فيما حَكى عنِّي[1] .

ثم جاء الخَلِيْل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، فعكف على دراسة هذا العلم، وأخذ يخترع ويستنبط الأصول من الفروع، وكان له الفضل الأول في إرساء قواعده ومسائله، ولم يؤلف في ذلك كتابا، وإنما أوحى بعلمه ونتائج بحوثه إلى تلميذه سِيْبَوَيْهِ (ت:١٨٠هـ)، فجمع ذلك وضم إليه كثيرًا من أقوال علماء عصره، ومن سبقهم، وما سمعه بنفسه عن العرب، ورتبه وبوّبه وبسطه على النحو الذي نعرفه الآن، وألف فيه كتابه المعروف، وقد حاز هذا الكتاب ثقة العلماء بعده، وتناولوه بالشرح والإيضاح، وأصبح لفظ (الكتاب) إذا أطلق لا يَنْصَرِف إلا إلى كتاب سِيْبَوَيْهِ. والواقع أن ما ألف بعده مبني عليه ومستمد منه، ولا يزال المرجع في كثير من مسائل النحو إلى الآن .

وكل هؤلاء بصريون . وقد ظهر في زمنهم بالكوفة كثير من علمائها، منهم: معاذ الهراء[2] أستاذ الكِسَائي، إمام الكُوْفِيِّيْنَ في النحو واللُّغَة. والرؤاسي[3] أستاذ الفَرّاء، وهو أول من ألف في النحو من الكُوْفِيِّيْنَ، وكتابه يسمى "الفيصل".

ثانيًا: سِيْبَوَيْهِ ومَنْهَجه (التقنين والتَقْعِيْد)

إذا نظرنا إلى ما وصل إليه الدرس النحوي في كتاب سِيْبَوَيْهِ أي بعد مرور ما يقارب قرن ونصف من الزّمَان على ظُهُور عمل أبي الأسود في نقط المصحف، وقارنّا العملين، فسنكتشف أن خصيصة التراكم الأفقي قد تمثّلت في النحو العربي تمثلًا واضحًا لا لبس فيه ؛ ذلك أن سِيْبَوَيْهِ لا يصوّر في كتابه رأيَه فحسب بل آراء شيوخه أيضًا الذين أثبت علمهم في كتابه، وهم رواد هذا العلم وأصحابه، وهذا يعني توافر خصّيصة من خصائص التفكير العلمي في هذا الدرس اللُّغَوِيّ العريق[4].

وكتاب سِيْبَوَيْهِ في نظر الباحث لم يوضع أساسًا لإعراب القُرْآن أو استجلاء معانيه، كما فعل الأَخْفَش والفَرّاء والزَّجَّاج والنحَّاس وغيرهم، وإنما وُضِعَ لجمع شتات اللُّغَة وتسجيل ظواهرها

---

[1] ينظر: طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُّغَوِيّين ص: ٥٢

[2] **الهراء:** قيل له ذلك لأنه كان يبيع الثياب الهروية ت:١٨٧هـ، وعنه أخذ الكسائي.

[3] **الرؤاسي:** أبو جَعْفَر محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي النيلي، لقب بالرؤاسي لعظم رأسه، أخذ عن عيسى بن عمر و أبي عمرو بن العلاء، وعنه أخذ الكسائي والفراء، كان كثير الترحال والسفر لا يحب الاستقرار في مكان، توفي سنة، له (الفيصل) و(الوقف والابتداء) و(معاني القُرْآن).

[4] ينظر: الأصول د. تمام حسان ص: ١٣، واللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ للراجحي ص: ٦٠.

النَّحْويّة والصَّرْفية والصوتية، وإذا كان القُرْآن من أهم شَوَاهِد سِيْبَوَيْهِ فإنه لم يقصد إليه بالمدارسة لذاته[1] .

إن مرتكزات التَقْعِيْد النحوي وطرائقه تختلف عما هي عليه في التَقْعِيْد اللُغَوِيّ ؛ فأسلوب سِيْبَوَيْهِ في التَقْعِيْد النحوي تحليلي تقنيني، لا يقف فيه عند نقل المسموع، بل يتجاوزه إلى تحليله وتقويمه وتوجيه مسالك استخدامه ؛ فقد كان على دراية بما عليه لُغَات العرب من فَصَاحَة وكثرة وضعف وقلّة واطراد وجودة وقبح ورداءة، فجاءت عباراته عند توصيف اللُغَات في غاية الدقة، نحو قوله: ((ليس بالكثير))[2]، و((وُجْيةٌ ضعيف))[3] و((هذا كلام قبيح ضعيف، فاعرف قبحه))[4] أو قبيح ضعيف[5]، و((هذا كلام خبيث يوضع في غير موضعه))[6] ونحو هذا . وهو يصف بعض اللُغَات بأنها مطّردة[7]، وبعضها كثيرة جيدة[8]، أو جيدة فقط[9]، ووصف بعض اللُغَات بالقلّة[10]، أو قال إنها لُغَة رديئة[11] أو رديئة جدًا[12] .

وأسلوبه في التَقْعِيْد وصفي استقصائي، يعمد فيه إلى تقرير الأطر العامة، ثم يأخذ في استقصاء ما يفارقها، وقلما تجاوز النقل وإظهار خصائصه إلى التقويم، فهو ينهج نهجًا واحدًا في مجمل هذا القسم ؛ فيكتفي في كثير من الأحيان بذكر اللُغَة دون تعيين أصحابها قائلا: (العرب تكلم بهذا)[13] أو (قوم من العرب يقولون) أو (وناس من العرب) أو (لأكثر العرب)[14]. أو ينعتهم بعبارات الفَصَاحَة والموثوقية نحو: من فصحاء العرب[15]، أو من العرب الفصحاء[1]، أو ممن

---

[1] ينظر: الأحكام النَّحْويّة والقراءات القُرْآنية: جمعًا وتحقيقًا ودراسة من سورة الفاتحة إلى غاية سورة الكهف، ص: ٤ أ، رسالة مقدمة من الطالب: علي محمد النوري، إلى جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

[2] الكتاب ٣٥٧/٢

[3] الكتاب ١٠٦/٤

[4] الكتاب ١٢٤/٢

[5] ينظر: الكتاب ٢٨٩/١،

[6] الكتاب ١١٤/٢

[7] ينظر: الكتاب ٤٢٢/٤

[8] ينظر: الكتاب ٢٠٥/٢

[9] ينظر: الكتاب ٢٠٥/٢

[10] ينظر: الكتاب ٢٩٢/١، ٢٨/٢، ٤٠، ١٨١/٤

[11] ينظر: الكتاب ٣١/٢، ٢٩٩/٣،

[12] ينظر: الكتاب ١٩٧/٤

[13] الكتاب ٣٥٧/٢

[14] ينظر: الكتاب ١٢٧/٤

[15] ينظر: الكتاب ١٥٧/٣، ٢٣٨، ٥٠٥

يوثق به من العرب[٢]، أو لمن ترتضى عربيته[٣]، أو لناس يوثق بعربيتهم[٤] .. أو يذكر أصحاب اللُغَة صراحةً لتعرف منزلتها في الفَصَاحَة، ومعظم لُغَاته تكاد تنحصر في هاتين الوحدتين الكبيرتين: الحِجَاز وتَمِيْم[٥]. بل كثيرًا ما يقرن اللُغَة الحِجَازِيَّة بالجودة كأن يقول: ((والبيان في كل هذا عربي جيد حِجَازي)) . وقد وردت عنده لُغَات أخرى كأسَد، وفزارة، وطَيِّئ، وبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، ورَبِيْعَة، وقيس، وهُذَيْل، وبنو العنبر ..

هذا التمايز يوضح الفرق بين غايات الدرس اللُغَوِيّ وغايات الدرس النحوي ؛ فالأول يهدف إلى إكساب الفرد صيغًا مفردة، والصيغ المفردة قلما يؤثر بعضها في بعض . أما الثاني فليس هدفه أن يكسب الفرد تركيبًا مفردًا، بل يهدف إلى إكسابه الأنساق العامة لهذه التراكيب، ليولد بعد ذلك ما شاء من التراكيب المتماثلة تَقْعِيْديًا المختلفة في ألفاظها ومعانيها كما يقول التحويليون .

وهذا يفسر التساهل في القياس اللُغَوِيّ والتشدد في القياس النحوي، فالأول منهما يسهل الإبقاء على ما يخرج على نظائره وليس هناك كبير لبسٍ في استخدامه ؛ لأنه لا يؤثر في ما يقابله . أما الخارج على النظائر في التَقْعِيْد النحوي، فإن الإبقاء عليه يقود إلى الاضْطِرَاب ؛ لأن أثره يتجاوزه إلى غيره، ولذلك فقد دخل الشذوذ إلى القياس النحوي عند سِيْبَوَيْهِ بأثر من القياس اللُغَوِيّ، فالتراكيب الشاذة تختزن كما تختزن الألفاظ المفردة ولا يمتد تأثيرها إلى غيرها[٦] .

وقد أثبت الدكتور حسن خميس الملخ كيف أن هذا الدرس قد تمثّلت فيه مناحي التفكير العلمي وأسسه وطرائقه، وقد كان كتابه هذا مساحة واسعة للبرهنة على قيام الدرس النحوي العربي على أسس علمية ومَنْهَجية رصينة[٧].

ثالثًا: المذهب البصري والمذهب الكوفي[١]:

---

[١] ينظر: الكتاب ١ ٢١٩، ٣/٢٨٥، ٤/٤٧٨

[٢] ينظر: الكتاب ١/٥٣، ٢٣٠، ٣٠٩، ٣١٩، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤٢٣، ٢/٩٢، ١١٠، ١١١، ٢٤٤، ٣٤٥، ٣/٩٨، ١٣٧، ٢٩٤، ٤٥٦، ٥٤٩، ٦١٨، ٤/١٢١، ١٣٩، ١٩٨، ٢١٦، ٤٦٥.

[٣] ينظر: الكتاب ١/١٨٢، ٤/٤٧١

[٤] ينظر: الكتاب ٤/١٢٨

[٥] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ للراجحي ص:٥٨

[٦] ينظر: السَّمَاع وأهميته في التَقْعِيْد النحوي رسالة تقدم بها الطالب/محمد علي يونس ربّاع للحصول على درجة الماجستير من جامعة اليرموك سنة ١٩٩٢م.المقدمة ص: ز، هـ.

[٧] ينظر: التفكير العلمي في النحو د. حسن خميس الملخ الطبعة الأولى. ٢٠٠٢م – دار الشروق – عمان – الأردن.

كان العراق أسبق البلدان العَرَبِيَّة إلى تدوين النحو والصَّرْف، وقد كانوا بحاجة إلى العناية بهذا العلم لكثرة الأعاجم النازلين فيها، لتستقيم لغتهم بخلاف العرب، وقد أنشئت مدينة البصرة سنة ١٤هـ[٢] في الجنوب الغربي من العراق قريبًا من بادِيَة "نجد"، و أنشئت مدينة الكوفة في الشمال منه سنة ١٧هـ بعيدة عن البادِيَة، وكلاهما في زمن الخليفة عمر بن الخطاب.

كان بين البلدين تعصب قبلي انقلب بعد إلى تعصب سياسي، ثم علمي. ولقرب البصرة من بادِيَة نجد كان النحويون يقصدونها لتلقي الشعر من أفواه الإعْرَاب، فساعدهم ذلك على وضع قواعد النحو وتحديد رسومها. فضلًا عن وجود سوق "المِرْبَد" الذي كان في مبدأ أمره سوقًا للإبل، ثم صار متجرا يأتي إليه الناس من كل فج للبيع والشراء، ثم انقلب سوقا للشعر والأدب، والمناظرة بين العلماء .

هاجر إلى البصرة كثير من العلماء ليتعلموا النحو وينقلوه إلى بلدانهم فانتشر بذلك المذهب البصري، وشجع عليه خلفاء بَنِيْ أمية. وتكون للبصرة أولية العناية بالنحو واللُّغَة وتدوينها، ووضع قواعد النحو والتأسيس لهما، وقد سبقت غيرها بنحو قرن من الزّمَان. ويعتبر سِيْبَوَيْهِ وكتابه على رأس المذهب البصري. ومن أشهر النَّحْوِيِّيْنَ البَصْرِيِيْنَ أيضًا: الأخْفَش، ويونس بن

---

[١] ينظر: ضياء السالك إلى اوضح المسالك محمد بن عبد العزيز النجار ١/١٣- ١٦، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

[٢] معجم البلدان شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ٢/٣٦٠ ، ط٢: ١٩٩٥م، دار صادر، لبنان، بيروت.

حبيب، واليزيدي[1]، والجرمي[2]، والمازني، والمُبَرِّد[3]، والزَّجَّاج، وابن السّرَّاْج[4]، وابن دُرُسْتَوَيْهِ[5]، والفارسي[6]، والسيرافي وغيرهم. ويقسم العلماء نحاة البَصْرِيِيْنَ إلى عشر طبقات[7].

ولبعد الكوفة عن البادِيَة قل نزوح الإعْرَاب، وفيها سوق "الكِناسَة" الذي يقابل "المِرْبَد" في البصرة. ولكن لم يكن لها ما كان للمربد من أثر بعيد في اللُغَة. وقد اتخذ الكوفيون لهم مذهبًا خاصا يضاهي المذهب البصري وينافسه، واختلفوا معهم في كثير من المسائل؛ لأن بعض القواعد التي قعدها البصريون جاءت نتيجة استقراء ناقص؛ فقد كان الكوفيون أكثر رواية للشعر من البَصْرِيِيْنَ ؛ لأنها أرض القراء، والقراءة تعتمد الرواية والسند . وعلى رأس المذهب الكوفي: أبو جَعْفَر الرؤاسي، وتلميذاه الكِسَائي والفَرّاء، واشتهر من علمائهم: هِشَامٍ بن معاوية الضرير[8]، وابن السكيت، وابن الإعْرَابي، والطوال، وابن سعدان، وثعلب، وابن كيسان، والأنْبَاري، ونفطويه وغيرهم ... وينقسم نحاة الكوفة إلى ست طبقات.

احتدم الجدال بين المذهبين وكانت مناقشات، وخلافات، ومنازعات ومناظرات، ابتدأت هادئة بين الخَلِيْل من البَصْرِيِيْنَ، والرؤاسي من الكُوْفِيِّيْنَ، ثم اشتدت بين سِيْبَوَيْهِ والكِسَائي وأتباعهما. وقد كان لهذه العصبية العلمية التي دعمتها العصبية السياسية أثرٌ عظيم في خدمة

---

[1] **اليزيدي:**أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد، ولد سنة ٢٢٨هـ من كبار علماء العَرَبِيَّة والأدب ببغداد، وهو حفيد(يحيى بن المبارك)، استدعاه في آخر عمره المقتدر العباسي لتعليم أولاده فلزمهم مدة له (الأمالي) و(مناقب بني العباس) و(كتاب الخيل) و(مختصر النحو) و(شرح ديوان قطبة بن أوس الحادرة) توفي سنة ٣١٠هـ

[2] **الجرمي:** أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي بالولاء، أخذ عن الأصمعي و الأخْفَش، وألف مختصراً لكتاب سيبويه سماه (الفرخ)، وله مختصر يعرف باسمه (مختصر الجرمي) توفي سنة ٢٢٥هـ .

[3] **المُبَرِّد:** هو أبو العباس محمد بن يزيد، من أئمة نحويي البصرة، انتقل إلى بغداد، توفي سنة ٢٨٦هـ. له(المقتضب) و(الكامل في اللغة والأدب) وغيرهما.

[4] **ابن السّرَّاْج:** هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل، أديب لغوي من أهل بغداد، أخذ عن أبي العباس المُبَرِّد وغيره، وأخذ عنه الزجاجي والفارسي و السيرافي والرماني، ألف في النحو واللغة والقراءات، ومن أشهر كتبه (الأصول) ويقال: كان النحو مجنونًا حتى عقله ابن السّرَّاْج بأصوله، كان عارفًا بالموسيقى، ومات شابًا سنة ٣١٦هـ، وله(شرح كتاب سيبويه) و(الموجز في النحو) و(العروض) .

[5] **ابن دُرُسْتَوَيْهِ:** أبو محمد عبد الله بن جَعْفَر بن دُرُسْتَوَيْهِ الفارسي الفسوي، قدم من مدينة فسا إلى بغداد واستوطنها، أخذ عن المُبَرِّد وابن قتيبة، و بها توفي سنة ٣٤٧هـ له (الإرشاد في النحو) و(المقصور والممدود) و(أخبار النَّحْوِيِّيْنَ) و(غريب الحديث) وغيرها.

[6] **أبو علي الفارسي:** الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي، علم من أعلام النَّحْوِيِّيْنَ، أخذ عن ابن السّرَّاْج وغيره، وأشهر تلاميذه أبو الفتح ابن جني، ألف(الإيضاح) و(الحجة) و(التذكرة) وغيرها. توفي سنة ٣٧٧هـ.

[7] ينظر: طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُغَوِيّين أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي(ت:٣٧٩هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم ص:١٩– ١٢١ الطبعة الثانية د.ت، دار المعارف.

[8] **هِشَامٍ:** هو هِشَامٍ بن معاوية الضرير الكوفي، صحب الكسائي وأخذ عنه النحو، له مقالة في النحو تعزى إليه، وله مختصر في النحو، والحدود والقياس توفي سنة ٢٠٩هـ.

العلم. واستمر الخلاف إلى أواخر القرن الثالث الهجري بوفاة المُبَرِّد (ت:٢٨٥هـ) وخصمه ثعلب (٢٩١هـ)، ثم خفت حدة النزاع والجدل .

سبب الخلاف المَنْهَجي بين المذهبين:

وضع البصريون قواعد النحو مستنبطة من الجزئيات التي تتبعوها في أكثر القَبَائِل المشْهُوْرة، ورأوا التزام هذه القواعد ووجوب السير عليها، على الرغم من تعدد القَبَائِل واختلافها اختلافًا بينًا في اللُّغَات واللَهْجَات. وتمشيًا مع قواعدهم أخذوا يؤولون كل ما خرج عن هذه القواعد ولو كان مرويًا عن الموثوق بعربيتهم وبسلامة لغتهم، ويتكلفون في التخريج والتأويل ليوافق القَاعِدَة النَّحْويّة، مع إنه لُغَة لبعض العرب، وإذا أعجزهم التأويل رموه بالشذوذ وأنه مسموع يحفظ ولا يقاس عليه، أو وضعوه في سلّة الضَرُورَة الشّعْرِيّة[١]، وأحيانًا يخطّئون بعض العرب ما رُوي عنهم إذا جاء في أقوالهم ما يخالف قواعدهم[٢]. وقد يلجؤون إلى تغيير رواية الشاهد لينسجم مع قواعدهم أو يخرجوه من دائرة الاستشهاد به .وقد نشأ عن ذلك إهدارهم لكثير من الاستعمالات العَرَبِيَّة في بعض القَبَائِل، وأحيانًا يصطنعون أبياتًا من الشعر للتدليل على آرائهم، وتمشيًا مع قواعدهم، وكان الهدف من وراء ذلك هو تنظيم اللُّغَة وتَقْعِيْدها وتقنينها،ولو بإهدار بعضها، والتضحية ببعض أجزائها، فهي أضرار جانبية لا يلتفت إليها .

احترم الكوفيون جميع ما ورد عن العرب، وأجازوا استعماله ولو خالف القواعد التي وضعها البصريون، وقد احتجوا بالشاهد الواحد، وبالشاهد المَجْهُوْل، وربما جعلوا من هذه الشَوَاهِد الفردية والشاذة أساسًا لقواعد أخرى[٣]. فقد كان الكِسَائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضَرُورَة، فيجعله أصلًا ويقيس عليه. لذا كان الكوفيون أكثر توسعًا في رواية الشعر من البَصْرِيِيْنَ؛ بسبب كثرة القراء القراءات فيها ؛ لذا كانوا يستنبطون بعض قواعدهم بالقياس النظري من غير حاجة إلى شاهد. أما البصريون فكانوا فلا يلتفتون لكل مسموع ولا يقيسون على الشاذ، ولهذا كان قياسهم أقوى وأصح من الكُوْفِيِيْنَ. ومن هنا نشأ خلاف بين المَنْهَجين في كثير من المسائل النَّحْويّة. يمكن تمثّل أسبابه في:

أ- تشدد البَصْرِيِيْنَ في قبول رواية الشعر، فلا يعترفون إلا ببعض القَبَائِل الموثوق بشعرها، وهي القَبَائِل البَدَوِيَّة التي لم تختلط بغيرها من الأمم من قيس وأسَد، وهُذَيْل، وكِنَانَة، وبعض الطّائِيّيْنَ.. وتتميز هذه القَبَائِل بالتعمق في التبدي، والالتصاق بحياة البادِيَة، وهم أهل شيح وقيصوم وحرشة ضباب، بل أكلة يرابيع.

---

[١] أنشأ الباحث في هذه الرسالة مبحثًا في الضرورة الشعرية مدعّمًا بجُمْلَة من المسائل النحوية، ليؤكد أن ما جاء في هذه المسائل النحوية وغيرها هو في الأغلب لغات صحيحة فصيحة منقولة عن العرب، عرفها من عرف وجهلها من جهل.

[٢] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المَسْأَلَة(٨): الجر على الجوار.

[٣] ينظر: الاقتراح ص:١٥٧.

ب- يعتدّ البصريون بمذهبهم ويثقون بروايتهم، ويخطئون ما عداها من الروايات؛ لهذا كانوا أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ والكُوْفِيِّيْنَ أوسع رواية[1].

ج- ما يخالف قواعدهم يؤولونه حتى يخضع للقَاعِدَة، أو يروونه برواية أخرى، أو يحيلوه على الضَرُورَة، وإذا أعجزهم التأويل حكموا بشذوذه .

د- كان البصريون يتحرجون من الرواية عن علماء الكوفة؛ لاتصالهم بالخلفاء في بغداد وتزاحمهم على أبوابهم . أما الكوفيون فكانوا يأخذون عن البَصْرِيِّيْنَ؛ لثقتهم فيما يروونه.

هـ- لا شك أن البَصْرِيِّيْنَ أوثق رواية من الكُوْفِيِّيْنَ؛ لما ذكرنا أن الإعْرَاب كانوا يرِدُونَ على البصرة أكثر من الكوفة لقرب الأولى من باديتهم .

و- نضج النحو في البصرة قبل الكوفة بنحو مائة عام. وهذا لا يحول دون صواب رأي الكُوْفِيِّيْنَ في كثير من المسائل.

تشجيع الخلفاء والأمراء من بَنِيْ العباس كان له أكبر الأثر في الإقبال على تدوين هذا العلم، ووضع أصوله وقواعده. ويعتبر ما وضعه الخَلِيْل بن أحمد وما دونه سِيْبَوَيْهِ في كتابه، ثم أكمله النُّحَاة في ذلك العصر أساسًا لكل ما وصل إلينا في النحو والصَّرْف. وما تلا ذلك في العصور التالية إنما هو شرح وتفصيل وتنظيم وتكميل لهذا التراث العظيم[2].

رابعًا: ما بعد سِيْبَوَيْهِ .. (مرحلة البسط والتوسع)

لقيت المَنْهَجية البصريَّة في التَقْعِيْد قبولًا لدى جماعة من النُّحَاة، ولكنها بالمقابل حظيت بجُمْلَة من الانتقادات المَنْهَجيَّة والعلميَّة عند كثيرٍ من العلماء المحقِّقين- شأنها في ذلك شأن كل المناهج البشرية التي تخضع للاختبار والتجريد – يمكن حصرها في ثلاثة أمور[3]:

١. الاستقراء الناقص الجليِّ لمصادر التَقْعِيْد، سواء على مستوى المصدر الأصلي وهو لُغَة قَبَائِل البدو، أو على مستوى المصدر الثانوي وهو بعض قراءات القُرْآن المتواترة؛ إذْ فات المدرسة جُمْلَة من لَهْجَات قَبَائِل البدو، كما فاتها عدد من القراءات المتواترة والآحاد.

٢. اعتماد المدرسة تصنيفًا معكوسًا لمصادر التَقْعِيْد، فقد قدَّمت في الاحتجاج القَبَائِل البَدَوِيَّة على قراءات القُرْآن المتواترة. والعكس صحيح، وذلك لأنَّه لا خلاف بين العلماء في كون لُغَة القُرْآن أفْصَح اللُغَات بلاغة وبيانًا.

٣. إبعاد المدرسةِ الحديثَ النبوي من دائرة الاحتجاج والاستشهاد .

---

[1] ينظر: الاقتراح ص:١٥٦.

[2] ينظر: العَرَبِيَّة والوظائف النَّحْوِيّة د. ممدوح الرمالي ص: ١٧ ط ١/١٩٩٦م – دار المعرفة الجامعية – مصر.

[3] ينظر من هذه الرسالة: مبحث: انتقادات القَاعِدَة

فهذه الأمور المَنْهَجية مجتمعة – خصوصًا الأولين منها– قد عجَّلت بميلاد مدرسة أخرى حاولت أن تتجاوز ما وقع فيه المَنْهَج البصري، وهي مدرسة الكوفة، حَيْثُ وسّعتْ المصدر الأصلي، واعتمدت في التَقْعِيْد على لُغَة عرب البدو حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وعلى لُغَة عرب الأرياف أكلة الشواريز وباعة الكواميخ. ونقلت المصدر الثانوي من الدائرة الضيقة، فاعتمدت جلَّ القراءات القُرْآنية المتواترة – إن لم يكن كلها– في التَقْعِيْد، وتبرأت من أي قيد لشاهد من شعر جاهليٍّ أو كلام بدويٍّ لصحة الاحتجاج به في إثبات صحة قَاعِدَة نحويَّة.

نعم نجحت المدرسة الكوفية في تصحيح الخللين المَنْهَجيين الأولين بعض الشيء، لكنها ظلت متأثرة بترسبات المدرسة البصريَّة، فكان لها بعض المواقف الشبيهة بمواقف البَصْرِيِيْنَ من بعض القراءات المتواترة، والسبب يعود إلى كون الكوفيَّة في واقعها مدرسة منبثقة من رحم البصريَّة . فكثيرٌ مِن نحاة الكوفة قَفَوا أثَرَ البَصْرِيِيْنَ في إبعاد الحديث النبوي مِن دائرة الاحتجاج والاستشهاد .

ثم انتقل مقر الخلافة إلى الأندلس، فتنشأ على ربوع تلك البلاد حركة تَقْعِيْد نحويَّة تدعو إلى ضَرُورَة إعادة تَقْعِيْد القواعد في ضوء توجيهات وأساليب القُرْآن الكريم بقراءاته المتواترة والآحاد، وفي ضوء أساليب الحديث النبوي الشريف، إضَافَة إلى كلام العرب بدويهم وريفيهم، ويمكن للمرء أن يتلمس هذا التوجُّه الجديد عند النحويِّ الثائر ابن مضاء القرطبي[1]، و ابن مالك الذي تجاوز تجاهَلَ نحاة للحديث النبوي مصدرًا للتَقْعِيْد، فاتخذ مَنْهَجية ترى في الحديث النبوي مصدرًا خصبًا للتَقْعِيْد، الأمر الذي جعل أبا حيَّان الأندلسي يتهمه بالابتداع ومخالفة العرف السائد لدى جبابرة النحو وأساطينه، فقال متذمِّرًا: ((.. قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكليَّة في لسان العرب، وما رأيت أحدًا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره.. والمصنِّف قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر متعقبًا بزعمه على النَّحْوِيِّيْنَ، وما أمعن النظر في ذلك، ولا صحب من له التمييز..)) .

وفي مصر نشأت حركة تَقْعِيْد نحويَّة حاولت التخلص من الخلل المَنْهَجيّ لدى القدماء بزعامة النحوي ابن هِشَامٍ الذي قيل إنه كان أعلم بالنحو من سِيْبَوَيْهِ. وقد تشابهت حركتا التَقْعِيْد النحوي الأندلسية والمصرية إلى أبعد الحدود، مع فارقٍ بسيط بينهما من ناحية الأسلوب، فأسلوب أكثر نحاة المدرسة الأندلسية في كثير من الأحيان يتّسم بالهجوم والانتقاد الشديد اللاذع، أما نحاة

[1] **ابن مضاء:** احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء الجياني القرطبي، ولد سنة ٥١٣هـ بقرطبة، وأخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه وسمع عليه وعلى غيره ما لا يحصى من الكتب العَرَبِيَّة والأدبية، كانت له عناية باللغة وآراء مخالفة لأهلها، توفي سنة ٥٩٢ هـ. له(المشرق في النحو) و(الرد على النحاة) و(تنزيه القُرْآن عما لا يليق بالبيان).

المدرسة المصرية كابن هِشَامٍ وغيره، فهم ينتهجون الأسلوب الهادئ الفعال في عرض آرائهم والردود على الآخرين . فالفرق الجوهريَّ بين الحركتين التَقْعِيْديتين يمكن في تميّز الحركة الأندلسيَّة بالحرارة وروح التميّز ونقد ما بناه البصريون حول القياس وتوسعاتهم في التأويلات والتخريجات[1]، وأما حركة التَقْعِيْد المصريَّة فقد كانت تتسم بروح المراجعة الهادئة الفعَّالة المؤثِّرة.

ورغم كل تلك المحاولات الصريحة تارة والخفيَّة أحيانًا في الحدّ من سطوة المَنْهَجية البصريَّة عن ساحة التَقْعِيْد النحوي، فإنّها لا تزال . إلى يومنا هذا . مَنْهَجية متبعة في الدراسات النَّحْويّة، وتعتمد الكتب النَّحْويّة الحديثة عليها في تعلم النحو. فدعوات ابن مضاء واجتهادات ابن مالك وابن هِشَامٍ وغيرهم، ومحاولات التيسير التي قادها المحدثون والمعاصرون كلها قد ذهبت أدراج الرياح .

[1] قاد ابن مضاء القرطبي (ت:٥٩٢هـ) حملة شعواء على نحاة المشرق وخاصة البَصْرِيِيْنَ، وألف جُمْلَة من الكتب للرد على نحاة المشرق، ومن كتبه «المشرق في النحو، والرد على النَّحْوِيِّيْنَ، وتنزيه القُرْآن عما لا يليق بالبيان..» ولعل أهم حملة عني برفع لوائها هي دعوته إلى إلغاء نظرية العامل التي يقوم عليها النحو منذ عهد الخَلِيْل، وإلغاء القياس واعتماد السَّمَاع بدلًا منه، وكثيرًا ما ضاق ذرعًا بتأويلات النُّحَاة وتخريجاتهم للآيات القُرْآنية. لمزيدٍ من الإحاطة ينظر كتابه: «الرد على النُّحَاة» بتحقيق شوقي ضيف (طبعة دار الفكر العربي).

المطلب الثالث: خصائص القَاعِدَة النَّحْويّة وسماتها

بذل النحويون ما استطاعوا من جهدٍ لصياغة القَاعِدَة النَّحْويّة وضبط قوانينها على نحو من الدقة والانضباط؛ ليتكلم المُتَكَلّم بلُغَة نقية من التعمية وخالية من الغموض، وأمست هذه القوانين والضوابط هي العاصمة من الزلل، المعوضة عن السليقة[1] .

وقد شهد ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) – برغم عدائه الشديد للنحاة – شهد لهم بقوله: ((وإني قد رأيت النَّحْوِيِّيْنَ، قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أموا))[2] .

ويؤكد الدكتور تمام حسان[3] أن علم النحو وقواعده من العلوم المضبوطة، وأنه ما سمي صناعة إلا لذلك . وخصائص أصول الصناعة أو العلم يجب أن يتحقق في: الموضوعية، والشمول، والتماسك، والاقتصاد[4]...

١. الموضوعية: تتحقق بالاستقراء الناقص؛ ذلك أنهم بنوا النحو على المسموع، وهو من اللُغَة الأدبية، لا لُغَة الكلام والتخاطب، حسب مَنْهَج محدد ذي اختيارات زمانية ومكانية واجتماعية. فتلزمهم الموضوعية على ضبط نتائج الاستقراء، وتوثيق اطراد تلك النتائج في الظاهرة موضوع الاستقراء .
٢. الشمول: والمقصود به أن تكون القَاعِدَة عامةً لا كليةً، أي: أن تنطبق القَاعِدَة على جمهرة مفرداتها، وليس من المحتم أن تشملها جميعًا فلا يشذ عنها شيء[5]. وعنصره الأول الحتمية، وهو القياس عند النُّحَاة الذي يعني أن نتائج النحو المستمدّة من المنقول يتحتم انطباقها على غير المنقول، وهو الذي لم يتناوله الاستقراء (إذا كان في معناه) استغناء عنه بالمنقول، وبهذا لا يبقى من لُغَة العرب ما لا يخضع لقواعد النحو، ولا يطعن في هذا ما شذ . ويقتضي – كذلك – ما يطلق عليه "تجريد الثوابت" .
٣. التماسك: ويتلخص في أمرين: عدم التناقض أو الإبهام، والتصنيف . فالنحو نظام محكم وبنية جامعة لا يستطاع نفي شيء منها ولا إضَافَة شيء إليها، وبهذا لا يمكن أن يتسم بالتناقض. وأما التصنيف فهو ظاهر في جميع التقسيمات النَّحْويّة الشاملة للكلم، وما نراه من

---

[1] ينظر: دراسات في فقه اللُغَة د. صبحي الصالح ص:١١٨، طبعة: ٢٠٠٤هـ – دار العلم للملايين، بيروت.

[2] الرد على النُّحَاة ابن مضاء الأندلسي، تحقيق: شوقي ضيف ص:٨٠ الطبعة الثالثة د.ت – دار المعارف، القاهرة.

[3] ينظر: الأصول تمام حسان ص:٥٧.

[4] ينظر: الأصول، لتمام حسان ص:٦٠ – ٦٤، والقَاعِدَة النَّحْويّة دراسة نقدية تحليلية د. أحمد عبدالعظيم عبد الغني ص:٩–١٠، الطبعة:١٤١٠هـ/١٩٩٠م – دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

[5] ينظر: اللُغَة بين المعيارية والوصفية د. تمام حسان ص:١٦٣، والتَقْعِيْد النحوي، لمحمود شرف الدين ص:١٩

تصنيفات في أبوابه النَّحْويّة بناءً على العلاقات الوفاقية الجامعة لكل صنف، والخلافية المفرقة بين الأصناف المختلفة، وهذه العلاقات بنوعيها هي التي تحكم تماسك النحو باعتباره صناعةً مضبوطةً.

٤. الاقتصاد: وله مظهران، الأول: اعتبار الأصناف لا الأفراد، أي: الاستغناء بالكلام على الأصناف عن الكلام على المفردات ؛ فالأصناف (كالفعل الماضي، والمبتدأ، والفاعل مثلًا) هي الثابتة والمفردات (أي التمثيل اللُّغَوِيّ لتلك المقولات أو المواقع) هي المتغيرة، فهذا اقتصاد . والمظهر الثاني: هو التَقْعِيْد، وهو بدوره استغناء بالكلام في الحكم الشامل – وهو القَاعِدَة – عن الكلام في أحكام المفردات كل منها على حده. ضَرُورَة أن المفردات لا تقع تحت الحصر فإثباتها عن طريق النقل محال كما قرر المحققون من النُّحَاة قديمًا[1]، وأصحاب الصيحة التحويلية من المعاصرين .

فهذه العناصر الأربعة موجودة في النحو العربي، وهي سبب تكامل هذا العلم واكتماله . نلمحها في كل قَاعِدَة، وكل أصل، وخلال كل باب . وهي التي تُحْكِمُ القَاعِدَة النَّحْويّة، وتجعل التفاهم بها ممكنًا وواقعًا، وتتجاوز حدود الأبواب إلى الربط بين الشيء ونظيره ليدرك المرء أن النُّحَاة كأنما كانوا يفترضون أن كل قَاعِدَة بمعزل في جزئيتها عن بقية الباب الذي تنتمي إليه، بله الأبواب الأخرى في تصنيفاتهم التي توحي غرابتها بغير ذلك.

وقد أعان وضع القاعدة النَّحْويّة على تعليم اللُّغَة العَرَبِيَّة ونشرها والحفاظ عليها ردحًا من الزّمَان ولا تزال. وقامت بدورها خير قيام . لكن مهما بلغت القواعد النَّحْويّة من مرتبة نحو الكمال فهي قواعد وضعها البشر، لذا فقد يعتريها القصور أو النقص، وهي في الوقت نفسه قابلة للتطوير والترقية والتمحيص، والحذف والإضَافَة والتعديل... الخ، فهي ليست نصوصًا قرآنيةً.

[1] ينظر: لمع الأدلة في أصول النحو أبو البركات كمال الدين بن محمد الأنْبَاري تحقيق: سعيد الأفغاني ص: ٩٨ – ١٠٠، الطبعة الثانية: ١٣٩١هـ ن ١٩٧١م، دار الفكر – بيروت.

المبحث الرابع: القاعدة النحوية والاضطراب

المطلب الأول: أثَرُ القراءات في القَاعِدَة النَّحْويّة

اتخذت القراءات في تأثيرها على القَاعِدَة النَّحْويّة مظاهر منها:

أولا:- قراءات تولدت عنها قَاعِدَة نحوية أو شاركت في بناء هذه القَاعِدَة:

١. قَاعِدَة نصب المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء حملاً له علي التمني[١]، أخذت هذه القَاعِدَة من قراءة عاصم[٢] في رواية حفص[٣] في قوله تعالي ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾[٤] بنصب (فأطّلعَ)[٥] .

٢. قَاعِدَة جواز الرفع والنصب والجزم في المضارع المعطوف الواقع بعد شرط جازم[٦]، كما في قوله تعالي ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[٧] فقد قرأ عاصم وابن عامر[٨] (فيغفرُ) بالرفع، وقرأ باقي السبعة بالجزم[٩]، وقرأ ابن عباس والأعرج بالنصب[١٠] .

٣. قَاعِدَة جواز رفع ونصب المضارع الواقع بعد " أنْ " المسبوقة بفعل من أفعال الرجحان . أخذت هذه القَاعِدَة من قراءة أبي عمرو وحمزة[١١] والكِسَائي في قولة تعالي: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[١] برفع (تكون)[٢] .

---

[١] ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك أبو محمد، جمال الدين عبد الله بن يوسف، ابن هِشَامٍ الأنصاري تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ١٩١/٤، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

[٢] **عاصم:** عاصم بن ابي النجود بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء أبو بكر، أحد القراء السبعة، تابعي من أهل الكوفة، ووفاته فيها سنة ١٢٧هـ، كان ثقة في القراءات، وله اشتغال بالحديث .

[٣] **حفص:** هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء، قارئ الكوفة، تلقى القراءات عن عاصم، نزل بغداد ثم جاور بمكة، وهو قارئ أهل المشرق، توفي سنة ١٨٠هـ .

[٤] غافر من الآيتين/٣٦- ٣٧

[٥] ينظر: السبعة في القراءات أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التَمِيْمي البغدادي(ت:٣٢٤هـ) تحقيق: شوقي ضيف ص: ٥٧٠ الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ – دار المعارف – مصر.

[٦] ينظر: الكتاب ٩٠/٣.

[٧] البقرة من الآية/٢٨٤

[٨] **ابن عامر:** أبو عمران عبد الله بن عامر بن زيد اليحصبي، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، وأقام فيها، وهو مقرئ الشاميين حتى توفي سنة ١١٨ هـ.

[٩] ينظر: السبعة في القراءات ابن مجاهد ص:١٩٥

[١٠] ينظر: البحر المحيط ٧٥٢/٢.

[١١] **حمزة بن حبيب:** حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الزيات، ولد سنة ٨٠هـ، أحد القراء السبعة، كان عالمًا بالقراءات، مات بحلوان سنة ١٥٦هـ، أخذ القراءة عن سليمان بن مهران الأَعْمَش، وأخذ عنه القراءة والعَرَبِيَّة إمام الكوفة

٤. قَاعِدَة جواز العطف على الضَمِيْر المجرور دون إعادة الجار[٣]، فقد منع البصريون ذلك وأجازه الكوفيون والأخْفَش ويونس وتبعهم ابن مالك[٤]، وقد اعتمدوا في بناء هذه القَاعِدَة على قراءة حمزة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ﴾[٥] بجر الأرحام[٦].

ثانيا: قراءات أُيِّدَتْ بها قَاعِدَةٌ نحوية:

١. جواز رفع ونصب الاسم المفرد المعرف بأل و المعطوف على المنادى المضموم، نحو: يا مُحَمَّدُ والغلامَ[٧]. مثل هذا المعطوف يجوز فيه الرفع عطفًا على لفظ محمد، ويجوز فيه النصب مراعاة للمحل، وقد أيد وجه النصب بقراءة الجُمْهُور[٨] في قوله تَعَالَىْ:﴿ يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[٩]،وجه الرفع بقراءة الأعرج وأبى يحيى ويعقوب[١٠] وابن أبى عبلة (الطيرُ) بالرفع[١١].
٢. قَاعِدَة صرف الممنوع لإرادة التناسب، فقد أُيِّدَتْ هذه القَاعِدَة بقراءة نافع[١٢] والكِسَائي[١٣]: ﴿إنا أعتْدْنَا للكَافِرِينَ سَلاسِلًا وأَغْلالًا وسَعِيرًا﴾[١٤] فقد صرف كَلِمَة (سلاسل) ونوّنَتْ لمناسبة ما بعدها وهى كَلِمَة (أغلالًا)[١].

الكِسَائي، قال الإمام أبو حنيفة الثوري في حقه غلب حمزة الناس على القراءة والفرائض، وما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر [وفيات الأعيان ١٦٧/١].

[١] المائدة من الآية/٧١.

[٢] ينظر: السبعة في القراءات ابن مجاهد ص:٢٤٧.

[٣] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الخامس، المَسْأَلَة(٣): عطف الظاهر على الضَمِيْر المجرور.

[٤] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس:١٩٧/١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ٤/٢ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – دار الكتب العلمية – بيروت.

٥ النساء من الآية/١.

٦ ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص: ٢٢٦، والحجة للقراء السبعة أبو على الحسن بن أحمد الفارسي تحقيق د. بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني ١٢١/٣، الطبعة الثانية:١٤١٣هـ/١٩٩٣م – دار المأمون للتراث – بيروت.

[٧] ينظر: الكتاب ١٨٧/٢.

[٨] ينظر: البحر المحيط ٥٢٥/٨

[٩] سبأ من الآية/١٠

[١٠] **يعقوب:** يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري، ولد بالبصرة سنة ١١٧هـ، أحد القراء العشرة، كان إمام البصرة و مقرؤها و بها توفي سنة ٢٠٥هـ، له (وجوه القراءات) و(الجامع).

[١١] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٢٩/٣، والبحر المحيط ٥٢٥/٨.

[١٢] **نافع:** نافع بن عبد الرحمن بن ابن نعيم الليثي بالولاء المدني، أحد القراء السبعة، اشتهر بالمدينة وأقرأ الناس بها وبها توفي سنة ١٦٩هـ، كان أسود حسن الخلق، أصله من أصبهان، إليه انتهت رياسة القراءة بالمدينة.

[١٣] ينظر: السبعة في القراءات ابن مجاهد ص:٦٦٣، والتبصرة في القراءات ص: ٣٦٦.

[١٤] الإنسان من الآية/٤.

٣. قَاعِدَة جواز إتيان (مع) اسمًا، فقد استدل سِيْبَوَيْهِ على ذلك بحكايته عن العرب: ذهب مِنْ مَعَهُ[٢] وبتنوينها نحو: ذهبا معًا[٣] . وقد أيدت هذه القَاعِدَة بقراءة يحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾[٤] بتنوين ذكر وكسر ميم (مِنْ)[٥] .

٤. قَاعِدَة جواز إنابة غير المفعول به مع وجود المفعول، وقد ذهب إلى هذا المذهب الكوفيون ووافقهم الأَخْفَش[٦] وقد أيدت هذه القَاعِدَة بقراءة أبى جَعْفَر ﴿لِيُجْزى قَوما بمَا كانُوا يكْسِبُون﴾[٧] بنصب قوما وإنابة الجار والمجرور" بما" عن الفاعل مع وجود المفعول به[٨] .

ثالثا: قراءات رُدّتْ بها قَاعِدَةٌ نحوية:

قَاعِدَة بناء (حَيْثُ) على الضم وعدم إعرابها فقد نقضت هذه القَاعِدَة بجواز إعرابها اعتمادًا على قراءة من قرأ ﴿سنَستدْرجُهُم من حَيْثُ لَا يعلمُونَ ﴾[٩] بكسر الثاء من (حَيْثُ)[١٠] .

---

[١] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المَسْأَلَة(٧): صرف الممنوع مطلقًا لُغَة.

[٢] ينظر: الكتاب ٤٢٠/١

[٣] ينظر: الكتاب ٢٨٧/٣

[٤] الأنبياء من الآية/٢٤

[٥] ينظر: المحتسب ٦١/٢.

[٦] ينظر: شرح مفصل الزمخشري أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش قدم له: د. أميل بديع يعقوب، ٧٥/٧، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار الكتب العلمية – بيروت ٧٥/٧، وشرح التسهيل محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي تحقيق د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون ٥٩/٢، الطبعة الأولى – ١٤٧١٠هـ – ١٩٩٠م . هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، والهَمْع ٥٨٦/١

[٧] الجاثية من الآية/١٤

[٨] ينظر: البحر المحيط ٤١٧/٩– ٤١٨

[٩] سورة الأعراف من الآية/١٨٢

[١٠] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الأول، المَسْأَلَة (٧): حَيْثُ بين الإعْرَاب والبناء

المطلب الثاني: انتقادات القَاعِدَة النَّحْويّة

تعرضتِ القواعدُ النَّحْويّة ومَنْهَجُ جمْعِ مادتها وتَقْعِيْدها وتقنينها لكثيرٍ من الانتقادات والتعديلات والملاحظات[1]. ومن الانتقادات الموجهة ما نلخصه باختصار في النقاط الآتية:

أولًا: المَنْهَج المعكوس:

اعتمدوا تصنيفًا معكوسًا لمصادر التَقْعِيْد، فقد قدَّموا في الاحتجاج القَبَائِل البَدَوِيَّة على قراءات القُرْآن المتواترة. والعكس صحيح؛ لأنَّه لا خلاف بين العلماء في كون لُغَة القُرْآن أفْصَح اللُغَات بلاغة وبيانًا. واقتصر مَنْهَج السَّمَاع لديهم على تحديد قَبَائِل معينة هي التي يحتج بلُغَاتها، واستبعاد بقية القَبَائِل، وهو ما يتنافى مع النهج السليم في دراسة اللُغَة واستخلاص قواعدها وأحكامها ؛ لأن ذلك الصنيع يحرم النحوي مادةً لُغَوِيّة وفيرةً.

أن هذا التحديد الزّمَاني والمكاني لمصادر السَّمَاع، جعل أحكامه جزئيةً غير شمولية. قال أحد العلماء لعيسى بن عمر: أخبرني عن هذا الذى وضعته في كتابك؛ يدخل فيه كلام العرب كلّه؟ قال: لا، قلت: فمن تكلم خلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به تراه مخطئا؟ قال: لا، قلت: فما ينفع كتابك![2]

ويقودنا هذا الحوار إلى الاستنتاجات الآتية:

١. أن ما جاء في عصر الاحتجاج مخالفًا لقواعد النُّحَاة التي انتهوا إليها لا يصح وصفه بالخطأ .
٢. أن النُّحَاة قد اعتمدوا على بعض العَرَبِيَّة، وحكّموا ما وصلوا إليه مؤسسًا على بعض العَرَبِيَّة في بقية العَرَبِيَّة في عصر الاحتجاج، وفيما وراء ما أطلق عليه عصر الاحتجاج .
٣. أن النحو العربي لا يصف كل اللُغَة بل بعضها .
٤. أن ما لا يصفه النحو من لُغَات عصر الاحتجاج صحيح فصيح يقاس عليه .

ثانيًا: **مفهوم الكثرة:**

اعتمد النُّحَاة على كثرة الاستعمال عند وضع القَاعِدَة النَّحْويّة، لكنهم ((لم يوضحوا مرادهم بالكثرة... أهي الكثرة العددية بين أفراد القَبِيْلَة الواحدة؟ أم القَبَائِل جمعاء؟ أهي الكثرة النسبية

[1] ينظر: القَاعِدَة النَّحْويّة، لأحمد عبدالعظيم المقدمة.
[2] ينظر: إنباه الرواة القفطي ٢/٣٧٥ .

القائمة على الاستقراء التام والعد واستخراج النسب؟ فإذا كان الأول فما حدها؟ أهي ثلاثة أم خمسة أم عشرة أم ماذا؟ وإذا كانت الثانية فكم نسبة الكثير؟!))[1].

ثالثًا: الاستقراء الناقص:

برغم ما أنفقوا من جهد ووقت ومال، وما تحملوا من عناء ومشقة، فإن القواعد التي أصلوها لم تصدر عن استقصاء تام للُغَة العرب واستقراء لأساليبها وتراكيبها، بل جاءت نتيجة استقراء ناقص؛ لأنه من المحال استيعاب جميع ما ورد عن العرب، ولأن القَبَائِل العَرَبِيَّة لم تكن في مستوى واحد من الفَصَاحَة ولا من السلامة من اللحن، ولأنهم اعتمدوا على قليل مما سمعوه من أقوال العرب النثرية والشّعْرِيّة .وأكد بعض الباحثين[2] أن النُّحَاة لم يعتمدوا في وضع القَاعِدَة على الاستقراء وحده بل اعتمدوا على القياس الذي كانت له مكانة كبيرة لديهم . وأما المحقِّق الشيخ سعيد الأفغاني[3] فقد وصف هذا الاضْطِرَاب المَنْهَجي هازئًا عندما قال: ((يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب، فيجمعون نتفًا نثرية وشعرية من هذه القَبِيْلَة ومن تلك، ومن أعرابي في الشمال إلى امرأة في الجنوب، ومن شعر لا يعرف قائله إلى جُمْلَة غير منسوبة، يجمعون هذا إلى أقوال معروفة مشْهُوْرة، ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل إليهم بهذا الاستقراء الناقص الذي لا يستند إلى خطَّة محكمة في الجَمْع))[4]. ست قَبَائِل فقط من بين قَبَائِل العرب التي لا تكاد تحصى لكثرتها هي عمدة النُّحَاة في استقاء اللغة وسماعها! فكيف لا نلمح بعض الشَوَاهِد القليلة أو النادرة أو الشاذة أو القبيحة أو غيرها من مصطلحات الطعن؟ فما الذي يمنع أن ما وصل للنحوي من الشَوَاهِد التي تمّ عدّها قليلة حكمًا على ما بين يديه، قد يكون غالبًا وكثيرًا لو كان جمع لُغَة طيء وكِنَانَة شاملا لجميع قَبَائِلها . فعدم الشمول وعدم الاستقصاء في جمع اللُغَة سبب رئيس في ظُهُور مصطلحات الطعن. ليتضح بعد ذلك أن جمع اللُغَة لم يكن

---

[1] ينظر: البحث اللُغَوِيّ عند العرب، لأحمد مختار عمر ص:١٢٨.

[2] ينظر: الضَرُورَة الشّعْرِيّة د. محمد حماسة عبداللطيف ص:٨٧-٨٨ الطبعة الأولى: ١٩٧٩م،مكتبة دار العلوم، القاهرة.

[3] **سعيد الأفغاني:** سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني كاتب عربي اشتهر بالنحو وفقيه ظاهري، ولد عام ١٩٠٩م بمدينة دمشق جاء والده لسوريا مهاجرا من كشمير وتزوج من دمشقية، تيتم وهو صغير وتعلم في مدارس دمشق ثم انتسب لمدرسة الأدب العليا وتخرج منها فعين في سلك التعليم. انتدب للتدريس في المعهد العالي للمعلمين فكلية الآداب لاحقا، ثم أصبح رئيسًا لقسم اللُغَة العَرَبِيَّة فيها ثم أصبح عميدا لها انتخب عضوًا في مجمع اللُغَة العَرَبِيَّة في القاهرة و مجمع اللُغَة العَرَبِيَّة في بغداد. بعد إحالته على التقاعد انكب على المطالعة والكتابة حتى آخر عمره حَيْثُ توفى سنة ١٩٩٧م وهو في مكة المكرمة ودفن بها. من مؤلفاته: "الموجز في قواعد اللُغَة العَرَبِيَّة" و"نظرات في اللُغَة عند ابن حزم" و"أسواق العرب في الجاهلية والإسلام" و "في أصول النحو" و"الإسلام والمرأة" و "من تاريخ النحو".

[4] في أصول النحو سعيد الأفغاني ص:٣١ طبعة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، المكتب الإسلامي- بيروت.

شاملا لجميع قَبَائِل العرب أو أغلب قَبَائِل العرب، بل هو ناتج عن استقراء ناقص كما أشرنا لذلك في مبحث سابق .

رابعًا: الخلط بين اللُّغَة واللَّهْجَات

أقحم النُّحَاة اللَّهْجَات العَرَبِيَّة القديمة بصفاتها وخصائصها المتباينة مع اللُّغَة المشتركة، فلم يَقتصروا على مصدر واحد وهو اللُّغَة المشتركة النموذجية الأدبية كما كان الواجب بل حاولوا تَقْعِيْد القواعد من عدة مصادر[1]. فلم يكن الفرق بين اللُّغَة المشتركة واللَّهْجَات واضحًا في أذهان اللُّغَوِيّين وضوحًا تامًا؛ لذلك سعى البصريون للأخذ من قَبَائِل معينة وهدفهم هو الوصول إلى تَقْعِيْد اللُّغَة الأدبية وتقنينها[2]، ولكن مشكلة هنا ظهرت كان عليهم أن يجدوا لها حلًا: بيئات متعددة تتحدثُ لهجاتٍ مختلفة كلُّها حجّة، ولكلِّ واحدةٍ ضَرْبٌ مِن القياسِ يؤخذُ به ويُخْلدُ إلى مثله، وليس لك أنْ تردّ واحدةً بصاحبتها؛ لأنَّها ليست أحقَ بذلك من رسيلتها[3]، وكان من نتائج هذا الخلط ومشكلاته أن أدى إلى اضْطِرَاب القواعد النَّحْويّة بسبب تصادم الأقيسة، ومن هنا جاء الخلط والاضْطِرَاب[4] ؛ فعمدوا إلى تصنيف هذه اللُّغَات فقالوا: لُغَة راجحة، ولُغَة مرجوحة، ولُغَة رديئة، ولُغَة مرذولة، ولُغَة قبيحة، ولُغَة يحتج بها في نفسها ولا يقاس عليها. ويعد سِيْبَوَيْهِ من أوائل النُّحَاة الذين قبلوا روايات متعددة عن رواة ثقات ؛ لذلك وجد في كتابه أبيات متعددة الرواية، وهذا ما دفع بعض القدماء والمتأخرين للأخذ عليه، بل تغليطه – أحيانًا – وتخطئته . وأرى أن تخطئته ضرب من المجازفة لا سيما أن الروايات التي ذكرها، ما هي إلا أمثلة استعمالية حية مثّلت واقعًا لُغَوِيّا صحيحًا لا افتراضيًا .

لسنا أمام نحو واحد، بل أنحاء كثيرة، يراد لها أن تصب في نحو واحد، يصفها جميعها، ويضبطها جميعها، ويحكم على ما خالف قواعده وضوابطه بعدم الصحة والبعد عن العَرَبِيَّة . ولم يكن بدّ أمام النُّحَاة إلا الانتقاء مما اعترفوا أنه لا تفاضل فيما بينه في الاحتجاج به، فهداهم تفكيرهم عبارات الاستهجان والاستحسان وغير ذلك من المصطلحات التي ورثوها الدرس النحوي.

---

[1] ينظر: من أسرار اللُّغَة د. إبْرَاهِيم أنيس ص:٣٩ الطبعة الرابعة:١٩٦٦م، مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة، وينظر: الضَرُورَة الشّعْرِيّة، لحماسة عبد اللطيف ص:٨٦.

[2] ينظر: فصول في فقه اللُّغَة د. رمضان عبد التواب ص:١٠٧

[3] ينظر: الخصائص ١٢/٢.

[4] ينظر: فصول في فقه اللُّغَة د. رمضان عبد التواب ص:١٠٧، والمثال النحوي المصنوع في العَرَبِيَّة دراسة تحليلية تقويمية ص:٢٧٣ رسالة تقدم بها الباحث: كريم عبد الحسين الربيعي، إلى كلية التربية(ابن رشد)، جامعة بغداد للحصول على درجة الدكتوراه سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

خامسًا: عدم التفريق بين مستويات اللُغَة

وقع العلماء الذين رحلوا إلى البادِيَة، ليسمعوا ويدونوا في الخلط بين المستويات اللُغَوِيّة المختلفة التي كانوا يأخذون عنها، فقد اعتبروا كل ما يسمعونه (عربيةً)، ونسوا شيئًا مهمًا وخطير الأثر، وهو أن ما يسمعونه ينتمي إلى مستويات متعددة، على الرغم من إدراكهم لوجود ظواهر صوتية تنتمي إلى اللَهْجَات القبلية، فإنهم لم يقفوا كثيرًا عند تأثير اللَهْجَات في الظواهر التركيبية أو المُعْجَمية للُغَة، كما لم يدرسوا الخصائص التركيبية والمُعْجَمية للَهْجَات ذاتها بل نظروا إلى اللُغَة بمستوياتها المختلفة ولَهْجَاتها المتنوعة نظرةً واحدةً. وكان ينبغي التفرقة الحاسمة فيها بين المستويين: مستوى اللُغَة الفُصْحَىْ، ثم مستوى اللَهْجَات[1]. لا بد أن نفرّق بين نحو يصف مستوى لُغَوِيًّا بعينه تنطبق قوانينه على أفراد ذلك المستوى موضوع الدراسة، وبين نحو يصف مستويات متباينة، يقرّ بتباينها، ويعترف بحجيتها جميعها، ولكنه لا يقبلها جميعها .

سادسًا: الاقتصار على اللُغَة الأدبية

أخذ الوصفيون على نحاتنا القدامى اقتصارهم على اللُغَة الأدبية، وتحييدهم لُغَة التخاطب اليومي، واعتمادهم على الشعر كثيرًا في استنباط القواعد، مع أن للشعر لغته الخاصة به، يقول الدكتور عبده الراجحي: ((وقد أشرنا إلى أن الوصفيين يقررون أن هناك مستويات مختلفة من الكلام، وأن لكل مستوى نظامه وقوانينه، وأن الشعر على وجه الخصوص له نظامه الذي يختلف عن نظام غيره من مستويات اللُغَة الأدبية... وقصر الدرس النحوي على هذا المستوى أفضى بهم إلى وضع قواعد العَرَبِيَّة على أساس من النصوص المختارة، مما أبعدهم عن الاستعمال الشائع في اللُغَة، ولم يكن مناص، من أن يواجهوا نصوصًا من هذا المستوى الأدبي، تخالف ما وضعوه من قواعد، فاضطروا إلى اللجوء إلى الضَرُورَة أو الشاذ، بل إلى وضع نصوص تسند هذه الأحكام))[2].

لكنَّ الإنصافَ يقتضي منا أنْ نعْذُرَ نحاتنا الأوائلَ فيما انتهجوه من اقتصارهم على اللُغَةِ الأدبيةِ؛ لأنَّ الغاية من نشوءِ النحو هي خدمة القُرْآن الكريم، والقُرْآنُ نَزَلَ بلُغَةٍ أدبيةٍ رفيعة، فلا سبيل إلى فهْمِهِ وتحليلِ أساليبه وتراكيبه إلّا في ضوء الأساليب الأدبية الرفيعة عند العرب، وهذا في ظني ما دعاهم إلى الاعتماد على لُغَة الشعر؛ كونها أرقى مستويات الأدب، واتخاذها مصدرًا لقواعدهم وأحكامهم. وقد عبر عن ذلك الدكتور تمام حسان أفضل تعبير فقال: ((فماذا

---

[1] ينظر: في أصول التفكير النحوي علي أبو المكارم ص:٢٦- ٢٧، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، منشورات الجامعة الليبية- كلية التربية.

[2] النحو العربي والدرس الحديث د. عبده الراجحي ص:٤٨- ٤٩، طبعة: ١٩٧٩م، دار النهضة العَرَبِيَّة، بيروت.

عسانا أن يكون موقفنا من النُّحَاة في ضوء هذه الملابسات؟ أنلومهم لأنهم خالفوا مقاييس وطرقًا مَنْهَجيةً لم يكن لها وجود في زمانهم، أم نرى ما رأوه من ضَرُورَة الأخذ بهذه اللُغَة الأدبية؟ إن النُّحَاة العرب لم يتصدوا لهذه المهمة الجليلة إلا لخدمة القُرْآن، فلولا عنايتهم بالمحافظة على النص القُرْآني من أن تتسرب إليه ظاهرة اللحن، ما فكروا في ذلك الزّمَان بعينه، والمكان بعينه في إنشاء النحو، والقُرْآن نص أنزل باللُغَة الأدبية، وليس بلُغَة التخاطب العادية، فكان على من يود المحافظة على القُرْآن، أن يدرس اللُغَة التي أنزل بها))[1]. بل ذهب إلى أبعد من ذلك، وهو أنه لم يكن بوسع النُّحَاة أن ينتهجوا غير هذا المَنْهَج، ولو انتهجوا غيره لكان خيانةً منهم لهدفهم الذي سعوا إليه فقال: ((ولو أن النُّحَاة استخرجوا النحو من لُغَة التخاطب لما وصلوا إلى ما يريدون، ولكان ذلك منهم خيانةً للغاية التي سعوا إليها، وإجهاضًا للغرض النبيل الذي عملوا من أجله))[2].

ورغم ما أثير من انتقادات لمَنْهَج النُّحَاة في التَقْعِيْد، وما ذكرنا من مآخذ وانتقادات، فلم يضعف شأنه ولم يتشوّه جماله كما يظن بعض الباحثين[3]، بل بقيت ومازالت قواعده قويةً شامخةً لم يستطع عالم أن يلغيها، أو يمدنا ببديل مناسب صالح يحل محلها ويقوم بدورها، وفي هذا الشأن يقول المستشرق الألماني (يوهان فك): ((ولقد تكفلت القواعد التي وضعها النُّحَاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب؛ بعرض الفُصْحَىْ وتطويرها في جميع مظاهرها من ناحية الأصوات والصيغ، وتركيب الجمل ومعاني المفردات على صورة شاملة، حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد))[4].

---

[1] الأصول تمام حسان ص:١٠٣-١٠٤.

[2] الأصول تمام حسان ص:١٠٤.

[3] ينظر: اللُغَة والنحو بين القديم والحديث د. عباس حسن ص:٧١، الطبعة الثانية:١٩٦٦م، دار المعارف، القاهرة.

[4] العَرَبِيَّة يوهان فك ترجمة: عبد الحليم النجار ص:٢، طبعة:١٩٥١م، دار الكتاب العربي- القاهرة.

المطلب الثالث: اضْطِرَاب القَاعِدَة النَّحْويّة، مفهومه وأسبابه

أولًا: الاضطراب في اللغة:

"الاضطراب" على وزن "افتعال" مصدرٌ للفعل "اضطرب"، حيث أُبْدلتْ التاءُ طاءً بعد ضاد ساكنة[1]، ويجوز إدغامهما إدغام متقاربين على أن يجعل الطاء ضادًا فيقال: اضطراب واضّرَابُ، وشذ العكس[2] . قال القائل[3]: [من الرجز]

إِنِّي إِذا مَا الْقَوْم كَانُوا أنجيه ... واضْطَرَبَ الْقَوْمُ اضْطِرَابَ الأرشِيَهْ

وشدّ فوق بعضهم بالأرْوِيَهْ ... هُنَاكَ أوصيني وَلَا توصي بيه

وهو حركة وعدم استقرار، فهو نقيض الثبات والاستقرار، وفي رأي الباحث أنه خلاف "الزعزعة" التي تتضمّنُ الرغبة في الهدم والانهيار، في حين يتضمن الاضطراب نيّة العودة إلى السكون والثبات والاستقرار، وكلاهما اضطرابٌ وتحرّكٌ[4] . وأنشد ذو الرمة[5]: [من الطويل]

ورَكْبٍ سَرَوا حَتّىْ كأنَّ اضْطِرَابَهم ... على شُعَبِ المِيْسِ اضطرابَ الغدائرِ

كقول الشّاعر[6]:[من المتقارب]

كَهَزِّ الرُّدَيْنِيِّ تَحْتَ الْعَجَاجِ ... جَرَى فِي الأَنَابِيْبِ ثُمَّ اضْطَرَبْ

وقد فرّق أبو هلال العسكري(ت:٣٥٩هـ) بين الاضطراب والحركة ((أَن الِاضْطِرَاب حركات مُتَوَالِيَة فِي جِهَتَيْنِ مختلفتين ... وَلَا يكون إلا مكروها فِي مَا هُوَ حَقِيقَة فِيهِ أَو غير حَقِيقَة أَلا ترى

---

[1] ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١٨٢/٤

[2] ينظر: إيجاز التعريف في علم التصريف جمال الدين أبو عبدالله محمد بن مالك الطائي الجياني تحقيق. محمد المهدي عبد الحي عمار سالم ١٨٤/١، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، عمادة البحث العلمي ببالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

[3] نسب لسحيم بن وثيل اليربوعي في اللسان مادة (نجا)، وغير منسوب في كتاب الأفعال للمعافري القرطبي المعروف بابن الحداد ٦١/٣(ش/٢٦٨٥)، ومغني اللبيب ٧٦٢/١(ش/٩٩٨)، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٩١٤/٣.

[4] ينظر: الكتاب ١٤/٤

[5] ديوان ذي الرمة ص:١٦٧٩، وجمهرة اللغة ٦٣٣/١.

[6] لأبي داءود حارثة بن العجاج الإيادي في ديوانه ص:٢٩٢، وشرح التسهيل لابن مالك ٣٥٥/٣، ومغني اللبيب ١٦٠/١(ش/١٨٦)، وأوضح المسالك ٣٢٧/٣، والمقاصد النّحويّة ١٦٢٠/٤(ش/٨٦١)، والهمع ١٩٥/٣(ش/١٦٠٦)، و شرح الأَشْمُونِي على ألفية ابن مالك أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأَشْمُونِي، ٣٦٥/٢(ش/٨٢١)، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨مـ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

أَنه يُقَال اضْطَرَبَتْ السَّفِينَة، واضطرب حَال زيد، واضطرب الثَّوْب، وكل ذَلِك مَكْرُوه وَلَيْسَت الْحَرَكَة كَذَلِك))[1] .

مراد الباحث بالاضطراب في العنوان هو عدم الاستقرار، وعدم الثبات، ويدخل في ذلك التغيّر والتنوع بسبب تعدد الآراء واختلافها . فلا ننوي بهذه الكلمة أبدًا زعزعة الثوابت ، ولا ندعو إلى نبْذ القواعد التي طالما بقيتْ راسخةً على مدى هذه القرون، ولا نقصد أيًا من تداعيات الدلالة للمعاني السلبية لكلمة "اضطراب" .

ثانيًا: أسباب الاضطراب

اضْطِرَاب القَاعِدَة في النحو العربيّ وإن أرجعناه في الكثير من الحالات إلى عدم استيعاب وفهم معالجة القَاعِدَة في حدّ ذاتها فهو لا يتعلق باللُغَة، وإنما هو يتعلق بالقدرة على صياغة القَاعِدَة واستيعاب الظاهرة اللُغَوِيّة في حدّ ذاتها، أو لوجود خلل ما في المَنْهَج أو التصوّرات النظريّة، ولعل هذا في نظر الباحث يرجع للأسباب الآتية:

١. عدم تجانس البيئة اللُغَوِيّة:

خلَطُوا بين اللهجاتِ المتعددة، وعَمَدُوا إلى مساواةِ لهجاتِ العربِ بكلّ أشكالِها وتنوعاتِها مع اللُغَة الموحدة، عَدُّوْها جميعًا من اللُغَة الفُصْحَىْ، وجعلوها تقف على قدم المساوة في الحُجِيّة والاحتجاج، وصحة النطق بأية لُغَة تحت قَاعِدَة ((الناطق على قياس لُغَة من لُغَات العرب مصيب غير مخطئ))[2]. كان ينبغي للعلماء ألّا يخْلُطُوا بين اللهجات لكنَّهم لم يتنبهوا لهذا التحرز المهم وانعكس أثرُ ذلك على القَاعِدَة النَّحْوِيّة . بلْ انعكسَ تأثيرُ ذلك على دراسة النحو العربيّ بشكلٍ عام؛ فاستُخْدِمَ في مجالاتِ النزاع وتعَدّدِ الآراءِ للمسائل بهدفِ تقويةِ رأيٍ أو استضعاف آخر[3] .

٢. عدم تجانس المادة اللُغَوِيّة:

اختلط الغث بالسمين والبخس بالثمين، وأدى ذلك إلى تصادم الأقيسة ؛ ولم تسلم قَاعِدَة واحدة من التناقض بسبب التزامهم هذا المَنْهَج، فقد لاحظوا أن اللُغَة الشائعة مألوفة عند الناطقين وتجري على ألسنتهم، في حين أن اللَهْجَات المحلية الأخرى هي على نقيض قوانين اللُغَة المثلى

---

[1] الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري حققه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم ١٤٧/١ د.ت، د.ط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

[2] الخصائص ١٤/٢.

[3] يرى الباحثُ أنْ استضعاف رأي سِيْبَوَيْهِ في (المَسْأَلَة الزنبورية) مثلًا، يعود لهذا السبب.

. وقد تجلى هذا التصادم والتعارض في القواعد في كثرة الوجوه التي تروى للظاهرة الواحدة أو في الموضوع النحويّ الواحد. فإذا كان الشائع أن (لعل) تنصب الاسم وترفع الثاني فإن لُغَة عقيل تختار الجر، وربما وجدنا بعض العرب يختار لها أن تنصب الاسمين، ونرى (لم) الأولى أن تجزم الفعل بعدها، ولكنها أهملت في بعض اللُغَات حملًا لها على "ما" غير العَامِلَة فجاء الفعل بعدها مَرْفُوعا، وربما أجازوا أن تكون أيضًا ناصبة للفعل بعدها جريا على لُغَة أخرى .وإذا كان الحكم العام للأداة (لن) النصب للفعل المضارع فقد شاعت في بعض اللُغَات كونها جازمة ومثلها (أنْ) في لُغَة بَنِيْ صباح .

٣. عدم مراعاة الزمن:

لم يحدد النُّحَاة بيئة واحدة معينة صالحة للدراسة ولم يحصروا ذلك في زمن معين، بل شمل مساحات واسعة من القَبَائِل العَرَبِيَّة التي تتخالف نطوقها وحقبة زمنية ممتدة في ثلاثة قرون، وهي حقبة طويلة لا يمكن أن يُطْمأن فيها إلى اللُغَة من حَيْثُ بقاؤها على حالة واحدة ساكنة، بل تعرض لها أنماط من التغيير، فقد أدى تناول اللُغَة في هذه المساحة الزمنية الواسعة إلى أن تكون المادة اللُغَوِيّة غير متجانسة . وكان المَنْهَج السليم يقضي بأن يقصر النُّحَاة دراستهم للُغَة على عصر محدد يضمن فيه استقرار اللُغَة ومحافظتها على خصائصها بحَيْثُ لا تحدث في أثنائه تغيرات ذات أهمية))[١] .

((فلو أن الرواة وقفوا في استنباط قواعدهم عند اللُغَة الأدبية التي جاءتهم موحدة وممثلة في الآداب الجاهلية والقُرْآن الكريم لجنبوا أنفسهم الكثير من المهاترات والجدل حول ما يجوز وما لا يجوز، ولكنهم حاولوا إقحام تلك الصفات المحلية للَهْجَات العَرَبِيَّة فبدت لنا القواعد اللُغَوِيّة مضطربة متعددة الوجوه))[٢] .

٤. المفاضلة بين اللُغَات:

أكدت الدراسات اللُغَوِيّة الحديثة عدم وجود لُغَات بدائية[٣]، وأنه ليس هناك لُغَة رديئة وأخرى جيدة، وإذا كان تركيب العامية في النحو والصرف يختلف عنه في الفُصْحَىْ، فليس معنى هذا أن العامية لُغَة رديئة أو قبيحة أو شاذة، هي خطأ بالنسبة إلى معيار الفُصْحَىْ وقانونها وليس بالنسبة إلى ما يقوله الناس[٤] . لاحظ نحاتنا أن اللُغَة الشائعة هي مألوفة عند الناطقين

---

[١] مناهج البحث اللُغَوِيّ بين التراث والمعاصرة د. نعمة رحيم العزاويّ ص:١٣٦.

[٢] في اللَهْجَات العَرَبِيَّة د. إبْرَاهِيم أنيس ص: ٤٨.

[٣] ينظر: اللُغَة وعلم اللُغَة جون ليونز ص:٤٣، الطبعة الأولى د.ت، دار النهضة العَرَبِيَّة.

[٤] ينظر: نحو عربية ميسرة د. أنيس فريحة ص:٧٥ طبعة: ١٩٥٥م، دار الثقافة. بيروت.

وتجري على ألسنتهم في حين أن اللُغَات الأخرى هي على نقيض قوانين اللُغَة المثلى، وقد تصادمت معها أحيانًا، فبدأ النحويون يُظهرون نزعة استهجان وتضعيف إزاء هذه اللُغَات[١]، فنجد سِيْبَوَيْهِ وغيره من النُّحَاة يذكر تراكيب وافقت لُغَات العرب ثم يرفضها، بعبارات: هذا جائز، وذاك قبيح، وهذا ضعيف أو رديء، وغيره محال أو غير مستقيم وهكذا . أو يطلق عليها في حين آخر حكمًا من أحكام الاستحسان كالجودة والكثرة ونحوهما[٢] . وهذا ما جعل بعض علماء اللُغَة يبوِّبون في مؤلَّفاتهم أبوابًا في الحديث في الضعيف والمنكر والرديء والمذموم من اللُغَات[٣]،فيجعلون ((الضعيف ما انحطَّ عن درجة الفصيح، والمنكر أضعف منه وأقلّ استعمالًا))[٤]، ويجعلون الرديء والمذموم ((أقبح اللُغَات وأنزلها درجة))[٥] . ويرجع كثير من الباحثين[٦] سبب ذلك إلى تبجيلهم لُغَة قُرَيْش واحترامها عدّها هي المعيار للفَصَاحَة القبول ؛ فما قرُب منها فهو فصيح، وما بعُد عنها فهو قبيح رديء، ويتبيّن تفضيل سِيْبَوَيْهِ لُغَة أهل الحِجَاز (لُغَة قُرَيْش) على غيرها من قوله:((والحِجَازِيَّة هي اللُغَة الأولى القُدْمَى))[٧].

إن دارس اللُغَة إذا أقحم نفسه في استقراء اللُغَة وأدخل عبارات الاستحسان والاستهجان على مَنْهَجه الوصفي وتعلّق بآرائه الشخصية وإحساسه وغلّب ذلك على عمله، فعمله هذا لا علاقة له بوصف اللُغَة، وهو مرفوض من وجهة النظر الحديثة فليس من عمل الباحث أن يفاضل بين اللُغَات أو اللَهْجَات، وليس من عمله أيضًا أن يصف مسلك اللُغَة بالجودة أو الرداءة ؛ إذ عليه أن يصف خصائص هذا النظام فقط، سواء منه ما كان مطردا أم ما خالف هذا الاطراد[٨] ؛ لأن كل لُغَة أو لَهْجَة هي في حقيقتها نظام اجتماعي يحقق الصلة بين الناطقين به، هي سلوك وعادة نطقية فليس من الصحيح أن نزدريها أو نعيبها أو نهزأ بمن يسلك على وفق نظامها .

---

[١] ينظر: المثال النحوي المصنوع في العَرَبِيَّة دراسة تحليلية تقويمية ص:٢٧٤ رسالة تقدم بها الباحث: كريم عبد الحسين الربيعي، إلى كلية التربية(ابن رشد)، جامعة بغداد للحصول على درجة الدكتوراه سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

[٢] ينظر: الكتاب ١٥٦/١، ١٥٨، ١٩٤، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٠٥/٢، ٣٤٩، ٣٦٥، ٣٩٣/٣، ٤٣٢/٤.

[٣] ينظر: المَزْهَر في علوم اللُغَة العَرَبِيَّة ٢١٤/١-٢٢٦، والبلْغَة في أصول اللُغَة أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القنَّوجي(ت:١٣٠٧هـ) تحقيق: سهاد حمدان السامرائي ص:٩٣، ٩٩ د.ط، د.ت، تحقيق رسالة جامعية، جامعة تكريت، بإشراف الدكتور أحمد خطاب العمر.

[٤] البلْغَة في أصول اللُغَة ص:٣٣.

[٥] البلْغَة في أصول اللُغَة ص:٩٩.

[٦] ينظر: فصول في فقه العَرَبِيَّة ص:٧٥، والعَرَبِيَّة، دراسات في اللُغَة واللَهْجَات والأساليب يوهان فك ص:٦٠، والشاهد وأصول النحو في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ١٩٢-١٩٣.

[٧] الكتاب ٢٧٨/٣، وينظر: ١١١/٥٣٣،٤/٣، ٤٣٧، ٤٧٣، ٤٨٢.

[٨] ينظر: المستوى اللُغَوِيّ للفصحى واللَهْجَات وللنثر والشعر ص:٩٦.

علم اللُغَة الحديث لا يميّز بين لُغَات بدائية وأخرى متطورة، فجميعها تعكس واقعا اجتماعيا وحضاريا يكوّن خصائصها وجوانبها المتعددة، وما كان ليحصل هذا الاضْطِرَاب لو أنهم احترموا (السَّمَاع) الذي اعتمدوا عليه ((ومن احترامه تحري المسموع منه، فلا يدرس فيه كلام الذين فسدت لغتهم من أعراب الحطميَّة وأشياخ قُطْرُبل، ومن احترامه ألا نساوي بين القليل والنادر والأكثر والشائع، فنغمط حق هذا الأخير، وأنّ حشْرَنا فيه الضعيف والشاذ والخطأ مما يقع فيه أعراب السواد ... خفرٌ لذمته ونقضٌ لعهده))[1] .

ويرى الباحث أن معالجة أي قصور في التَقْعِيْد النحوي أو خلل في المَنْهَجية ينبغي أن يتمّ على مستوى الأصول والمصادر التي أنتجت تلك القَاعِدَة وولّدتها، ثم قنّنتها وقعدت لها، ويكون ذلك عن طريق الاستغناء عن التصنيف التقليدي لبعض مصادر التَقْعِيْد النحوي التقليدية، واستبدالها بمصادر تَقْعِيْد مستمدّة من المصدر الأول الملزم للتَقْعِيْد وهو القُرْآن الكريم بجميع قراءاته المتواترة والآحاد . بحَيْثُ يتم التفاضل بين مصادر التَقْعِيْد على أساس مستوى قوة الفَصَاحَة وتمكنها، وأن يكون مصدر التَقْعِيْد النحويّ الأول والأصيل هو اللُغَة القُرْآنية الفُصْحَىْ التي لا تدانيها أية لُغَة في الفَصَاحَة والبيان والبلاغة، وتحدّت فصحاء العرب وبلغاءهم بدوييهم وريفييهم على أن يأتوا بسورة أو آية فعجزوا عن قبول التحدي .

الواقع التاريخي يؤكد على وجود القواعد القُرْآنية قبل ميلاد نحاة البصرة والكوفة أجمعين، فكل ما ورد وصح أنه قُرِئ به وجب الاحتجاج به في العَرَبِيَّة، ووجب تقديمه على غيره من مصادر التَقْعِيْد النحوي سواء أكان متواترًا، أو آحادًا، أم شاذًا. وما دام القوم يرون الاحتجاج بالأشعار التي لا تعرف أعيان قائليها، بل لا سند صحيحًا يقطع بكونها أشعارًا منسوبة إلى أكلة اليرابيع أو أكلة الشواريز، فالقراءات التي تعرف أعيان أصحابها وعدالتهم سواءٌ أكانت متواترة أم آحادًا أولى بالاحتجاج.

الرسول ﷺ أفْصَح من نطق بالضاد، ولا يمكن قياس فصاحته على فَصَاحَة أحدٍ من العرب سواءٌ أكانوا بدوًا أم حضرًا، ويكاد يكون الإنسان الوحيد الذي لم يسجَّل عليه لحنٌ قطٌ، ولم يمازج لغته ضعفٌ أو وهنٌ أبدًا، فقد أوتي جوامع الكلم، ورزق بيانًا كان له عونًا في الإقناع والتبليغ والتأثير، كما زاده الوحي الإلهي فَصَاحَة وبيانًا يبهر بهما السامعين ويؤثر في المخاطبين . ومقتضى ذلك أن تكون لُغَة المصطفى ﷺ أهمَّ مصدرٍ بعد لُغَة القُرْآن الكريم، وأولى في التَقْعِيْد والتأصيل النَّحْوِيِّيْنَ؛ لأن الفَصَاحَة التي تتوافر فيها لا تتوافر في لُغَة أيِّ بدويٍّ سواء أكان من آكلة اليرابيع أم من آكلة الشواريز. والمنطق والعقل يحكمان بضَرُورَة اتخاذه أصلًا للتَقْعِيْد

[1] من تاريخ النحو د. سعيد الأفغاني ص:٧٤، دار الفكر – بيروت.

والتأصيل، بل المَنْهَج العلميَّ يلزم بضَرُورَة الاحتجاج به على الاحتجاج بشعر جاهليٍّ مغمورٍ، أو بنثر بدويّ مدمن على أكل اليرابيع أو شرب الشواريز؛ لأن لغته ﷺ أفْصَح من لُغَة أولئك البدو حرشة الضباب، أو أولئك الريفيين باعة الكواميخ .

إن تحقيق هذا الامر لا يعني إعادة تَقْعِيْد للقواعد، ولا إعادة تدوين لها، وإنما يستلزم القيام بعملية مراجعة وتصفية لأمهات كتب النحو، بحَيْثُ يتم الاستغناء عن القواعد النَّحْويّة المخالفة للأسلوب القُرْآني مخالفة صريحة أو خفية . ونقصد القواعد المخالفة لأسلوبه مخالفة صريحة تلك القواعد التي تلغي القراءات المتواترة وتعتدي على قداستها، بتخطئة القراء حينًا أو بوصف القراءة بالخطأ أو القبح أو الشذوذ حينًا آخر[1]. وأما القواعد المخالفة لأسلوبه مخالفة خفية فهي القواعد النَّحْويّة التي تم وضعها قبل استقراء القراءات القُرْآنية، فتم التَقْعِيْد لتلك القواعد ورسموا قانونها العام، ثم اعتبروا أي شاهد خارج عن هذه الدائرة لحنًا أو خطًا أو غير ذلك. إن تطبيق هذه المراجعة وتحقيقها يقتضي أولًا تجاوز كثير من تأويلات النُّحَاة وتخريجاتهم المتكلفة واعتبار ما ورد في القُرْآن الكريم من لُغَة أو أسلوب قَاعِدَة جديدة تضاف إلى القواعد الموجودة فيزيد النحو توسعًا وتيسيرًا. ويتجنب من جهة ثانية إخضاع الأسلوب القُرْآني للقَاعِدَة النَّحْويّة المصطنعة. كما أن ذلك سيكون استمرارًا لتجديد حركة التَقْعِيْد التي ما كان ينبغي لها أن تتوقف في أي عصر من العصور، إن كنّا نسعى لتيسير النحو وتجديده ونموه[2] .

إن تصحيح المنطلق التَقْعِيْدي يمكن ان يتم أيضًا عن طريق الاستفادة من بعض الكتابات المعاصرة في النحو القُرْآني الذي لا يزال يعاني ضعفًا في الاستجابة والتقبل خوفًا من مخالفة القديم الموروث، ولعل كتابات الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة[3]، وخاصة كتابه القيّم «دراسات لأسلوب القُرْآن الكريم»، وكتابات الدكتور عبد الستار الجواري في (النحو القُرْآني) وغيرها ستعين على ذلك.

٥. الضرورة الشعرية

الشعر كلام موزون مقفّى محصور في عدد التفاعيل، والحركات، والسكنات، يستلزم بناؤه على هذه الصورة المقيَّدة بالوزن والقافية أن يلجأ قائله – أحيانًا – إلى الخروج عن

---

[1] ينظر في هذه الرسالة: الفصل الخامس، المَسْألَة (٣): عطف الظاهر على الضَمِيْر المجرور، والمَسْألَة (٤): الفَصْل بين المتضايفين، والفصل الرابع، المَسْألَة (٧): صرف الممنوع مطلقًا لُغَة.

[2] ينظر: قراءة في مصادر التقْعِيْد النحوي ص:١٤– ١٦

[3] **محمد عبد الخالق عضيمة**، تعلم بالأزهر، وتخرج في كلية اللغة العَرَبِيَّة، ودرّس فيها، ودرّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنوات عديدة، توفي سنة ١٤٠٤هـ، له (دراسات لأسلوب القُرْآن) و(المغني في التصريف) وغيرها.

ضوابط القواعد الكلّيّة للُغَة وارتكاب ما ليس منها؛ فهو مضطرٌ ان يسلك من السبل كل شاقٍ، بسبب ذلك قال الفَرَزْدَق لعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمي، بعد أن ضاق من اعتراضه عليه:((علينا أن نقول، وعليكم أن تتأولوا)). وقال أبو العتاهية: أنا أكبر من العروض.

أجمع أهل العَرَبِيَّة على أنه يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره من أهل الكلام المنثور، من رفع مجرور أو نصبه، أو نصب مَرْفُوع أو خفضه، وذلك حسبما تقتضيه صناعة القافية ووزنها، أو حذف مالا يستحق الحذف، وما إلى ذلك من إعادة المحذوف، وتضعيف الحُرُوْف[1]، ولكن النُّحَاة اختلفوا في تأويل هذه التغييرات في الجُمْلَة العَرَبِيَّة، فدخلت بسبب ذلك ضمن الخلاف النحوي؛ إذ كل طرف لا يتردد في إلقاء جُمْلَة مما احتج به الطرف الآخر في بحر الضَرُورَة[2] .

التأليف في الضرورة الشعرية

قسم علماء النحو و البلاغة الضرورات إلى مستحسنة، ومستقبحة، وقبيحة، واختلفوا فيما جاز للشعراء ارتكابه منها وما امتنع[3] . لم يذكر سِيْبَوَيْهِ لفظة (ضَرُورَة) في كتابه إلا أن له فضل التبكير في الكتابة عنها، فقد عقد بابًا في كتابه بعنوان (باب وجوه القوافي في الإنشاد)[4] تحدث فيه عما يجوز في الشعر والنثر، وما يجوز في الشعر دون النثر، وبابا آخر عنوانه (ما رخمت الشعراء في غير النداء اضطرارًا)[5] . وبدأ في بداية كتابه بباب عنوانه (هذا باب ما يحتمل الشّعر) قال فيه: ((اعلم أنه يجوز في الشّعر ما لا يجوز في الكلام ...))[6] وعلّق السيرافي على ذلك بقوله: إن سِيْبَوَيْهِ ذكر في هذا الباب جُمْلَة من ضرورات الشعر ولم يتقصّه بالتفصيل والتقسيم .

بوّب ابن السّرَّاْج (ت:٣١٦هـ) في أصوله (باب ضَرُورَة الشاعر) وعدّها سبعة أنواع، فقال: ((ضرورات الشعر أن يضطر الوزن إلى حذف، أو زيادة، أو تقديم أو تأخير في غير موضعه، وإبدال حرف، أو تغيير إعراب عن وجهه على التأويل، أو تأنيث مذكر على

---

[1] ينظر: العقد الفريد ٢٠١/٦.

[2] ينظر: في الضَرُورَة الشّعْرِيّة د. خليل بنيان الحسون ص: ٧، والضَرُورَة الشّعْرِيّة دراسة نقدية لُغَوِيّة د.عبد الوهاب العدواني ص: ١٩١.

[3] ينظر: الشاهد وأصول النحو في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ١٠١

[4] الكتاب ٢٠٤/٤

[5] الكتاب ٢٦٩/٢

[6] الكتاب ٢٦/١

التأويل))[1]. وهذا النص يمكن عدُّه الأساس التاريخي الأول لحركة التأليف والكتابة المَنْهَجية عن الضَرُورَة ؛ فقد سبق إلى تثبيت مبادئ التصنيف في الضرائر الشّعْرِيّة . ثم جاء أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨هـ) وعدّ منها تسعة أنواع، فزاد النقصان وتذكير المؤنث[2]. وتابعه على تقسيمه التساعي الأعلم الشّنْتَمَرِي في النكت[3]. كما تطرّق إليها ابن جني في خصائصه[4] ، وأبو حيان في كتابه الارتشاف[5]. ومن علماء البلاغة ابن رشيق(ت:٤٦٣هـ) في العمدة، حيث عقد بابًا سمّاه (الرخص في الشعر)[6]. ومن العروضيين المحدثين الدكتور عبد الوهاب العدواني في كتابه (الضَرُورَة الشّعْرِيّة. دراسة نقدية لُغَوِيّة)، والدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في (الضَرُورَة الشّعْرِيّة في النحو العربي)، والدكتور خليل بنيان الحسون في كتابه (في الضَرُورَة الشّعْرِيّة). ويعدّ كتاب (ما يجوز للشاعر في الضَرُورَة) لأبي جَعْفَر القزاز[7] أول كتاب يصل إلينا بعنوان مستقلٍ عن الضَرُورَة الشّعْرِيّة .

مفهوم الضَرُورَة لدى النَّحْوِيِّيْنَ

لم يصرّح سِيْبَوَيْهِ بتعريف محدد للضَرُورَة، ولكن من خلال بعض النصوص حدّد العلماء رأيه في "الضَرُورَة" . فهي عنده مشروطةً بالاضطرار المُلحِّ الذي لا مناصَ منه، فإن كان لها أصلٌ في الكلام ولم تُستعمل فيه، عدَّها جائزةً في الشعر غيرَ جائزةٍ في غيره، وإن لم يكن لها أصلٌ، واضطرَّ إليها الشاعر اضطرارًا، جوّزها في الشعر وقبّحها في غيره، فإن كان للشاعر عنها مندوحةٌ، ثم أوردها فهي قبيحةٌ في الشعر، وفي النثر أيضًا، إذ لا مُسوِّغَ لمجيئها[8] .

وقد نُسب هذا الاتجاه – في فهم الضَرُورَة – إلى ابن مالك وشُهر به، صرَّح بهذا في شرح التسهيل[9] وشرح الكافية الشافية[1]، حتى إن كثيرًا ممن خالف هذا المَنْهَج وجّه نقده إلى

---

[1] الأصول في النحو أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السّرّاج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ٤٣٥/٣، د.ط، د.ت، مؤسسة الرسالة – لبنان، بيروت ٤٣٥/٣

[2] ينظر: شرح السيرافي ١٨٩/١

[3] ينظر: النكت الأعلم الشّنْتَمَرِي ٢٠٥/١.

[4] الخصائص ٣٢٥/١

[5] ارتشاف الضرب ٢٣٧٧/٥

[6] العمدة في محاسن الشعر وآدابه أبو على الحسن بن رشيق القيرواني(ت:٤٦٣هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ٢٦٩/٢، الطبعة الخامسة: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، دار الجيل.

[7] **القزاز**: محمد بن جَعْفَر التَمِيْمي القزاز القيرواني. ولد بالقيروان وتوفي بها سنة ٤١٢هـ، له كتاب "الجامع".

[8] ينظر: ظاهرة القبح في كتاب سِيْبَوَيْهِ د. البحبح ص: ٥٨

[9] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ١٤٩/١

ابن مالك وحده، ولم يتعرّض لسِيْبَوَيْهِ. ولم يجد هذا المذهب له كثرة من الأنصار على الرغم من أن أشهر الذين قالوا به هما سِيْبَوَيْهِ وابن مالك . بل تعرّض رأي هذين الإمامين لنقد شديد من المتأخرين كأبي حيان، وابن هِشَامٍ[٢]، والشاطبي[٣](ت:٧٦٠هـ)، والشيخ خالد الأزهري (ت:٩٠٥هـ)، وعبد القادر البغدادي[٤](ت:١٠٩٣هـ). وقد حاول بعض المحدثين[٥] الاعتذار لابن مالك بأنه كان يعمل ثقافته، وفكره حين بيّن رأيه في الضَرُورَة الشّعْرِيّة، باعتبار أنَّ لَهْجَات العرب المتباينة، وأن لَهْجَة قَبِيْلَة معينة قد تكون ضَرُورَة عند غيرهم.

أما الجُمْهُور فلم يشترطوا في الضَرُورَة أن يضطر الشاعر إلى ذلك في شعره، بل جوّزوا له في الشعر ما لم يجز في الكلام، ففيه فسحة وعذر، حتى قيل: اعلم أن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس، وإن لم يرد به استعمال . هذا قول جُمْهُور النُّحَاة كابن جني[٦]، والأعلم الشّنْتَمَرِي (ت:٤٧٦هـ)، والرضي[٧]، وأبو حيان، وابن هِشَامٍ[٨]، والبغدادي، والشيخ محمد الأزهري المعروف بـ "الأمير" (ت:١٢٣٢هـ) .

ويرى أبو الحسن الأخْفَش (ت:٢١٥هـ) أن الشاعر يجوز له في كلامه وشعره ما لا يجوز لغيره في كلامه؛ لأن لسانه قد اعتاد الضرائر، وهذا الرأي يبيح للشاعر في كلامه المعتاد ما لا يباح لغيره إلا في الاضطرار؛ لاعتياد لسانه الضرائر على حدٍّ تعبيره.

ولا يعترف ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) بشيء اسمه ضَرُورَة شعرية،بل يُسَمّى باسمه الحقيقي وهو الغلط أو الخطأ، ولا داعي للتكلف واصطناع الحيل للتخريج، فقال: ((وما جعل الله

---

[١] ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ٣٠٠/١

[٢] ينظر: تخليص الشَوَاهِد وتلخيص الفوائد ابن هِشَامٍ ص:٨٢،.

[٣] **الشاطبي:** القاسم بن فيرة أبو محمد بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير المقرئ، صاحب منظومة (حرز الأماني و وجه التهاني) في القراءات، و هي في ١١٧٣ بيتا، كان عالمًا بكتاب الله قراءة و تفسيرًا و بحديث الرسول – صلى الله عليه و سلم – توفي سنة ٥٩٠ هـ

[٤] **البغدادي:** عبد القادر بن عمر البغدادي المصري، عارف بالأدب والعَرَبِيَّة والتركية والفارسية، ولد ببغداد سنة ١٠٣٠هـ ثم رحل إلى دمشق حتى نزل القاهرة و بها توفي سنة ١٠٩٣هـ له مصنفات كثيرة تدل على سعة اطلاعه منها (خزانة الأدب) و(شرح أبيات مغني اللبيب) و(شرح قصيدة بانت سعاد) وغيرها.

٥ ينظر: الضَرُورَة الشّعْرِيّة في النحو العربي د. محمد حماسة عبد اللطيف ص:١٤١.

[٦] ينظر: الخصائص ٣٣٣/١.

[٧] ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لُغَة العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ٣٣/١ الطبعة الرابعة: ١٩٩٧م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

[٨] ينظر: تخليص الشَوَاهِد ص:٨٢

الشعراء معصومين يُوَقُّون الخطأ والغلط، فما صحَّ من شعرهم فمقبول، وما أبته العَرَبِيَّة، وأصولها فمردود))[1] وقد ألف مصنفًا لهذا الغرض سمَّاه (ذمُّ الخطأ في الشعر).

ويبدو للباحث أن ما ذهب إليه جُمْهُور النُّحَاة هو الصواب، أما ما ذهب إليه ابن مالك في حدّ الضَرُورَة فيحتمل أنه استفاده من علماء اللُغَة والأدب كابن طباطبا العلوي(ت:٣٢١هـ) وقدامة ابن جَعْفَر(ت:٣٣٧هـ) وابن فارس، وغيرهم [2]، ممن ذهبوا إلى أن إقامة الوزن والقافية لا تسوّغ للشعراء مفارقة الصواب من أي وجه، وأكثر الأدباء واللُغَوِيّين على ذلك، وإن كان بعضهم يرى ما يراه النُّحَاة كابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ)[3] . ومع أن جُمْهُور النُّحَاة يجوّزون ارتكاب هذه الرخص في الاضطرار والاختيار على حدّ سواء في الشعر دون النثر فهم يقدّمون ارتكاب المألوف للنفس منها على ما تقبح به الضَرُورَة إذا تعارضتا[4]، فالضَرُورَة تتفاوت حسنًا وقبحًا[5].

وربما تجنى النُّحَاة على الشعر حينما جعلوا له لُغَة خاصة يقتصر عليها، تُميّزه عن النثر، قال السبكي[6]: إن كل ضَرُورَة ارتكبها شاعر تخرج الكَلِمَة عن فصاحتها[7]. ولهذا يرى الباحثُ أن كل ضَرُورَة يرتكبها الشاعر تهبط بفصاحة الشاهد الشعري، تخرجه عن القول المألوف وتبعده عن واقع اللُغَة، وتعدّ سببًا من الاضطراب في التقعيد النحوي.

من أجل ذلك وقف قسم من القدماء موقفًا متشددًا تجاه الشعر، فجعلوا تلك الضرائر أخطاءً عابوها على الشعراء ودعوا إلى منعهم من ارتكابها تحت ذريعة الضَرُورَة. منهم قدامة بن جَعْفَر[8]. وأبو هلال العسكريّ (ت:٣٩٥هـ)[1]، وأحمد بن فارس الذي قال جملته المشْهُوْرة:

---

[1] الصاحبي في فقه اللُغَة ابن فارس ص:٢١٣

[2] ينظر: النقد اللُغَوِيّ عند العرب حتى نِهَايَة القرن السابع الهجري د. نعمة رحيم العزاوي، ص:١٦٢- ١٦٤، طبعة: ١٩٧٨م – منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجُمْهُورية العراقية، سلسلة دراسات (١٣٤).

[3] ينظر: الشعر والشعراء ابن قتيبة ا ٦٥/١.

[4] ينظر الخصائص ٢١٢/١.

[5] ينظر: الاقتراح ص:٣٣.

[6] **السبكي:** عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي نسبة إلى سُبك من قرى محافظة المنوفية بمصر. فقيه شافعي أصولي مؤرخ وهو شقيق بهاء السبكي. يلقب بقاضي القضاة تاج الدين. ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ، وأخذ العلم عن علمائها. ثم رحل إلى دمشق مع والده، أفتى ولم يتجاوز عمره ثماني عشرة سنة، له مؤلفات كثيرة منها: شرح مختصر ابن الحاجب، شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه المسمى الإبهاج شرح المنهاج، القواعد المشتملة على الأشباه والنظائر، طبقات الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى، توفي بدمشق سنة ٧٧٢هـ.

[7] ينظر: المَزْهَر ١٥٠/١

[8] ينظر: نقد الشعر أبو الفرج قدامة بن جَعْفَر بن زياد ص:٣، الطبعة الأولى:١٣٠٢هـ، مطبعة الجوائب – قسطسطينة.

((وَمَا جعل الله الشعراء معصومين يُوَقَّوْن الخطأ والغلط، فما صحَّ من شعرهم فمقبول، وَمَا أَبَتْهُ العَرَبِيَّة وأصولها فَمَرْدُودُ))[٢].

لذا يرى الباحث أنه ليس من المنطق ما ذهب اليه بعض الدارسين من أن الضَرُورَة هي ما ليس للشاعر عنه مندوحة؛ بل نرى أن الشاعر خاصة اذا كان من المتقدمين لايمكن أن يكون عاجزا أمام لُغَة قد تمَكَّنَ مِن سَبْرِ اغوارها، وأيضًا ليس من المعقول ولا المقبولِ أن يُسْمَحَ للشعراء بالخروج عن القواعد النَّحْويّة كيفما اتفق. إذن ما المعيار الذي تمنح في حدوده هذه الحرية؟ ومن هم الشعراء المخوّل لهم اكتساب هذه الحرية؟ وهل كل مَنْ تشاعر أو ادعى الشعر يسمح له باكتساب رخصة الضَرُورَة الشّعْرِيّة؟ من أجل هذا وغيره أضفنا هذا المبحث لنؤكد من خلاله أن ما عُدّ من ضرورات الشعر هو لُغَة من اللُغَات التي نطق بها العرب، وإن كانت لُغَة قليلة أو نادرة أو شاذة، لكنها تبقى في النِهَايَة لُغَة صحيحة وليست ضَرُورَة اعتباطية ..

[١] ينظر: الصناعتين أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبْرَاهِيم ص:١٦٢ عام النشر:١٤١٩هـ، المكتبة العصرية- بيروت.

[٢] الصاحبي في فقه اللُغَة ص:٢١٣

المطلب الرابع: التعصب للقَاعِدَة النَّحْويّة

إن ضخامة الجهد لا يعني بالضَرُورَة صواب محصوله، وإن شهرة النُّحَاة لا تفرض بالضَرُورَة اتباعهم . فلا نقبل الرأي لقدمه، ونردّ غيره لحداثته، نوسّع له لشهرة قائله، ونصمّ آذاننا لعدم ذيوعه، نجلُّهُ لأنه رأي من أطلق عليهم "جُمْهُور النُّحَاة"، ونضرب به عرض الحائط لأنه غير مرضيّ عنه من هؤلاء .

ها هم رواة السنّة وأصول الفقه وأصحاب المذاهب توّجوا اجتهاداتهم بمقولتهم الخالدة: إن رأيهم صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرهم خطأ يحتمل الصواب، ويقول ابن قتيبة: ((ولا نظرت إلى المتقدّم بعين الجلالة لتقدمه، ولا إلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلًا حظه، ووفرت عليه حقه))[1].

والمُبَرِّد يقول في إحدى قضايا الضَمِيْر من أنه ((ليس لقدم العهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطى لكل ما يستحقه))[2]، ويقرر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) الأمر نفسه في ما ينقله عنه ابن جني قائلًا: ((وقد قال عثمان بن بحر الجاحظ[3]: ما على الناس شيء أضرّ من قولهم: ما ترك الأول للآخر شيئًا))[4]. وعلى الرغم من أن مثل هذا لم يكن شائعًا بين النُّحَاة، وخاصة المُبَرِّد[5] .

والسَّيُوطِي (ت:٩١١هـ) ينقل في كتابيه (الإتقان)[6] و (الاقتراح)[7] عن أبي حيان قوله ((ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكُوْفِيّيْنَ من كلام العرب

---

[1] الشعر والشعراء أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت:٢٧٦هـ) ٦٤/١ عام النشر: ١٤٢٣هـ – دار الحديث – القاهرة.

[2] الكامل أبو العباس محمد بن يزيد المُبَرِّد تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم ٢٨/١، الطبعة الثالثة: ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، دار الفكر العربي – القاهرة.

[3] **الجاحظ:** أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالجاحظ. من كبار أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. ولد في البصرة سنة ١٦٣هـ، أصابه الفالج في آخر عمره، فكان مشوه الخلقة. مات سنة ٢٥٥هـ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له مؤلفات كثيرة منها: «الحيوان»، و «البيان والتبيين» و «سحر البيان» و «البخلاء» و «المحاسن والأضداد » و «الأصنام» و «كتاب المعلمين» وغيرها [الأعلام للزركلي]

[4] الخصائص/١٩١/١.

[5] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الخامس، المَسْأَلَة(٣): عطف الظاهر على الضَمِيْر المجرور.

[6] ينظر: الإتقان في علوم القُرْآن جلال الدين عبد الرحمن بن أبي لكر السَّيُوطِي تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم ٣٨٤/٢، طبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[7] ينظر: الاقتراح ص:١٥٦.

لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البَصْرِيِيْنَ لم ينقله الكوفيون، بل نتبع الدليل))[1] . فالحق أحق أن يتبع، ولا مبالاة بمن منع[2] .

وهاهو ابن جني ينقل عن المازني[3](ت:٢٤٩هـ) قوله ((وإذا قال العالم قولًا متقدمًا فللمتعلم الاقتداء به، والانتصار له، والاحتجاج لخلافه، إن وجد إلى ذلك سبيلًا))[4] بل ابن جني نفسه يقرر في هذا المجال ما يلي ((اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص. والمقيس على النصوص فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه. وذلك أنه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ كما جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: (أمتي لا تجتمع على ضلالة)[5] وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللُغَة، فكل من فرق له عن علة صحيحة وطريق نهجة كان خليل نفسه، وأبا عمرو فكره..))[6] .

قال أحد العلماء لعيسى بن عمر: أخبرني عن هذا الذى وضعته في كتابك؛ يدخل فيه كلام العرب كلّه؟ قال: لا، قلت: فمن تكلم خلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به تراه مخطئا؟ قال: لا، قلت: فما ينفع كتابك![7]، تستخلص من هذه المحادثة الأمور الآتية:

- شيوع القَاعِدَة لا يعني مُطَابِقتها لسلوك اللُغَة .
- شهرة المذهب لا تعني صوابه من جهة، ولا خطأ ما عداه من جهة أخرى .
- إجماع قدماء النُّحَاة على شروط بعينها أو قَاعِدَة بعينها، أو تعريف بعينه، لا يُلزم الأخذ به، ولا يمتنع الخروج عنه ؛ فقد قرروا أن النحو علم يستنبط من اللُغَة، فمن ظهر له

---

[1] البحر المحيط ٣/٥٠٠.

[2] ينظر: التذييل والتكميل ٤/١٥٤.

[3] **المازني:** أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب بن بقيّة المازني، من مازن شيبان، أحد أئمة النحو المتقدمين من أهل البصرة، ووفاته فيها سنة ٢٤٩هـ. روى عن أبي عبيدة والأصْمَعِي وأبي زيد، وروى عنه المُبَرِّد و اليزيدي وجماعة، كان إمامًا في العَرَبِيَّة متسع الرواية. له (ما تلحن فيه العامة) و(كتاب اللألف واللام) و(التصريف) وهو أشهرها شرحه ابن جني في (المنصف)

[4] الخصائص ١/١٩٢.

[5] روي هذا الحديث بعدة طرق، وفي بعضها: "لا تجتمع أمتي على خطأ"، ويستدل بهذا الأصوليون على حجية الإجماع. وفي أسانيده بعض المقال، غير أنه قيل: إن معناه روى من طرق عدة بلغت مبلغ التواتر المعنوي، فصار كجود حاتم وشجاعة عنترة، وانظر شرح ابن السبكي لمنهاج البيضاوي في مبحث الإجماع.

[6] الخصائص ١/١٩٠.

[7] ينظر: إنباه الرواة للقفطي ٢/٣٧٥ .

غير ما انتهوا إليه وتبيّن له دليله، كان خليل نفسه وأبا عمرو فكرته[1]، كما أكده حوار عيسى بن عمر، وما نقل عن ابن جني والمُبَرِّد .

ينبغي أن نفرق بين الحقائق اللُّغَوِيّة وبين تصورات النُّحَاة الذهنية عن اللُّغَة ؛ لأن النُّحَاة افترضوا أصولًا ذهنية لا سبيل إلى البرهنة اللُّغَوِيّة على صحتها، ليس ذلك فحسب، بل نزّل النُّحَاة أصولهم المفترضة منزلة الحقائق البدهية المسلمة فأقاموا عليها بناء الهيكل النحوي، وصنّفوا ذلك الهيكل أبوابًا ومقولات على هدْي من معايير تلك الأصول الذهنية[2]، واستمدوا من تلك الأصول مقاييس قبول النصوص وردّها، وأسس تصويبها وتخطئتها[3]، لا يمنعهم صحة رواية النصوص، أو كثرة استعمالها، أو شيوعها على ألسنة جمهرة من قَبَائِل ما أطلقوا عليه "عصر الاحتجاج"، بل لا يردهم عن تطبيق سلطان القواعد قداسة النصوص وتبوؤها الدرجات العُلى من الصحة اللُّغَوِيّة، والجمال الفني .

إذا كان النُّحَاة يقعدون لنصوص القُرْآن، فما تفسير مواقفهم من نصوص القُرْآن وقراءاته التي قرروا أنه ((محيط بجميع اللُّغَات الفَصِيْحَة))[4] . كيف تستقيم صحّة هذا الزعم مع وصفهم القراءة القُرْآنية – رغم كونها سبعية – بأنها قراءة منكرة أو مردودة، أومرذولة، أورديئة، أو معيبة، أو قبيحة أو خبيثة!

كيف تستقيم صحة ذلك وقد وصفوا القراء من أمثال: أبي عمرو بن العلاء، وحمزة، وابن عامر، وابن كثير[5]، ونافع وشيخه أبا جَعْفَر، وحفص، وعاصم، ومجاهد، والكِسَائي، وخلف وغيرهم – وصفوهم باللحن، والسهو، والغلط، والظن، والوهم، وعدم فهم العَرَبِيَّة، والجهل، وضعف الرواية، وضعف الأمانة؟!

---

[1] ينظر: الخصائص ١/١٩٠– ١٩١.

[2] استخدم النُّحَاة أوصافًا تتعلق بالنشأة والطبقة الاجتماعية مما لا يتأتى في اللُّغَة، كوصفهم الاسم والفاعل والمبتدأ، بالشرف والأولية والأصل، وجعل الفعل فرعًا عنه أو ثانيًا. وأقاموا القواعد على أساس تلك التصورات الذهنية، وجعلوها تمثل محور نظريتهم، وجوهر عملهم، وأساس قواعدهم وتعليلاتهم

[3] ينظر: كشف المشكل في النحو علي بن سليمان الحيدرة اليمني ١/٢٣٠ طبعة ١٩٨٤م – بغداد، والمسائل المشكلة أبو علي الفارسي تحقيق: صلاح الدين السنكاوي ص: ٥٤٤ طبعة ١٩٨٣م – بغداد، والأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ١/٣٢٢.

[4] الكامل المُبَرِّد ٣/٧٣.

[5] **ابن كثير:** أبو معبد عبد الله بن كثير بن عبد المطلب الداري، ولد بمكة سنة ٤٥هـ، وكانت حرفته العطارة، فارسي الأصل، إمام أهل مكة في القراءة، وأحد القراء السبعة، أخذ عن عبد الله بن الزبير وأبي أيوب الأنصاري وأنس بن مالك وغيرهم،، توفي سنة ١٢٠هـ.

ومن أعلام النُّحَاة الذين خاضوا في هذا الزلق: سِيْبَوَيْهِ، والمُبَرِّد، وأبو علي الفارسي، وابن جني، والمازني، والفَرّاء، والزَّجَّاج، والزَّجَّاجي، والرضي، والنحَّاس، وابن جرير، وابن عطية[1]، وابن قتيبة، وأبو عبيد، والأصْمَعِي .

ثم خلف من بعدهم جيل من النُّحَاة عزلوا أنفسهم عن مصدر التَقْعِيْد، وراحوا يدورون في فلك القدماء ويتعصبون لهم، لا يستطيعون الخروج من تحت عباءاتهم إيمانًا بكمال جهودهم، فتوقف الدرس النحوي في مرحلة من مراحل حياته الطويلة عن قبول دراسة الجديد من الظواهر اللُغَوِيّة ولاسيما تلك التي تتضمنها القراءات القُرْآنية المخالفة لقواعد النُّحَاة وأقيستهم . ومنعهم تعصبهم من الرجوع إلى اللُغَة لاختبار تلك الآراء ومعرفة وجه الحق في البناء النحوي. بل يحكّم مستويات منها في غيرها، مصطفيًا تلك المستويات على أسس غير مطردة، ويطبقها بطريقة تنتهي به إلى ردّ ما هو ثابت، ومنع ما هو جائز في اللُغَة، وصنع ما لم يرد، وإجازة ما هو ممنوع على حد تعبير أبي علي الفارسي[2]، وإدخال ما لا مدخل له في هذه الصناعة، والتصرف في ما ورد بالتغيير والتحريف حفاظًا على بقاء سلطان القَاعِدَة، وخدمة لسريان ما أقيمت عليه من تصورات وأصول . فهناك لُغَات حكم عليها النُّحَاة بالشذوذ، والضعف، والرداءة، وقرّروا عدم القياس عليها، ثم امتطوها دوابّ تحقق مأربهم، وجموحهم في الرأي، وتطرفهم في الدفاع عن قواعدهم[3] . وكان عليهم أمام مقولة (ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) ألا يردوا على العرب شيئًا ثبت أن قالوه .

أمثلة على التعصب عند النُّحَاة

مما سبق نلاحظ أن كثيرا من النَّحْوِيِّيْنَ قال الحق بلسانه ودونه في كتبه ومؤلفاته، ثم هو بعدئذ يخالفه في كثير من المسائل النَّحْويّة التي تعرض له . فكثير من النَّحْوِيِّيْنَ فيهم عصبية وعناد، يقول الدكتور محمد حسن شراب[4]: ((ما رأيت فئة تتعصب لرئيسها تعصّب البَصْرِيِيْنَ لسِيْبَوَيْهِ، فإنّهم نزّهوا سِيْبَوَيْهِ وكتابه عن كل نقيصة أو عيب أو سهو، ولم يعترفوا بقول القائل: «كفى المرء

---

[1] **ابن عطية:** عبد الحق غالب بن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي المالكي، من علماء التفسير واللغة والنحو، ولي القضاء بمدينة المرية ورحل إلى المشرق، توفي سنة ٥٤١ هـ، له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) و(برنامج ضمنه مرويات وأسماء شيوخه).

[2] ينظر: المسائل المشكلة ص: ٣٦٥، ٣٨٥، والخصائص ١٠/٢ – ١٧، والحلل في إصلاح الخلل ص: ٧٣، والأشباه والنظائر في النحو ٨٠/٣.

[3] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الخامس، المَسْأَلَة (٢): لُغَة أكلوني البراغيث،

[4] **محمد حسن شراب:** ولد في خان يونس من قضاء غزة سنة ١٩٣٨ م، وتابع دراسته في الأزهر عام (١٩٥٣ . ١٩٥٦) وتخرج في كلية الآداب عام ١٩٦٣م، أتم ماجستير دراسات إسلامية ١٩٨٠م، احترف الكتابة عام ١٩٨٠م فصدر له حتى عام ٢٠٠٦م أكثر من ثلاثين كتابا في تراجم المدن والرجال واللُغَة والنحو والتاريخ.

نبلا أن تعدّ معايبه»[1] ولذلك فإنهم قد التمسوا له الأعذار لتكون روايته حجة: فقالوا: إنه سمع من العرب الذين يستشهد بقولهم))[2] ولم يؤثر عن سِيْبَوَيْهِ أنه رحل لبادِيَة من بوادي العرب .

ثم قارن ذلك بما بقول السهيلي[3] في "نتائج الفكر": ((ولولا الوحشةُ من مخالفة الإمام (أبي بشر) لنصرتُ قول الأَخْفَش نصرًا مؤزرًا، وجلوت مذهبه في منصة التحقيق مفسرًا! ولكن النفس إلى نصرة سِيْبَوَيْهِ أميل، والله الموفق للصواب، واليه المآب))[4] فهو يعلم أن الحق مع الأَخْفَش في قوله ورأيه، ولكن هوى نفس السهيلي وتعصّبه منعاه أن يفارق سِيْبَوَيْهِ فيستوحش !.

ابن جني الذي أقرّ أن النحو علم مستنبط من كلام العرب، ومنتزع من استقراء هذه اللُغَة، فمن ظهرت له علة صحيحة أو دليل واضح أو برهان قوي جاز له أن يستقل بفكره ويكون خليل نفسه، وأبا عمرو فكره[5]، نجده يقول بعد هذا الاعتراف: ((.. لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها وتقدم نظرها))[6] . وهذا تناقض واضح بين أن يقول ما يراه صوابًا، ثم يتعصب للجماعة ويخالف الحق في ما قال وما رأى.

تحامل النحويون على الكُوْفِيّيْنَ كثيرًا حتى وصل أثر العصبية إلى العصر الحديث؛ فلا يكاد يعرف المتعلمون في المدارس والجامعات إلا المذهب البصريّ في النحو. وصنع الأَنْبَاري كتابه «الإنصاف في مسائل الخلاف بين النَّحْوِيِّيْنَ البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيّيْنَ» والأَنْبَاري بصري الميل ؛ فلم يكن منصفا فيما زعم أنه الإنصاف بل تعصب على الكُوْفِيّيْنَ في أكثر المسائل، وحرّم على الكُوْفِيّيْنَ ما أباحه للبصريين .

---

[1] هذا عجز بيت لبَشَّار بن برد، وصدره: ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها..

[2] ينظر: شرح الشَوَاهِد الشّعْرِيّة محمد حسن شُرَّاب ٤٧/١.

[3] **السهيلي:** هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي الأندلسي المالكي الضرير، ولد سنة ٥٠٨هـ وقرأ القراءات وتعلم النحو، ونما خبر نبوغه إلى مراكش فطلبه واليها فقدم عليه، وأحسن إليه، وبها توفي سنة ٥٨١هـ. له (نتائج الفكر) و(الروض الأنف) وغيرها.

[4] نتائج الفكر للسهيلي ص: ١٨٥.

[5] ينظر: الخصائص ١٩٠/١.

[6] الخصائص ١٩١/١.

الفصل الثاني:

باب الاسم

مدخل..

يتضح لنا من القسم النظري السابق أن علماء اللُغَة عندما اهتموا بها ووضعوا القواعد النَّحْويّة والمقاييس والأحكام أخذوا يدعمونها بشَوَاهِد ونصوص من لُغَات القَبَائِل على كثرتها واختلافها. ونظرة فاحصة لأي كتاب نحوي تقف بنا على ظاهرة واضحة في كتب النحو وهي العناية بلُغَات القَبَائِل العَرَبِيَّة في تقوية الأحكام واستخلاص القواعد والاعتماد عليها في الاستنتاج والاستنباط . وبيان اختلاف التوجيهات عند النُّحَاة يوقفنا على اختلاف مَنْهَج كل نحوي، فبعضهم يكثر في مصنفاته ذكر الخلافات الناجمة عن اختلاف اللُغَات والقراءات فنجد أوجه التأويل والتخريج تتعدد .

وسنبدأ هذا القسم التطبيقي بالحديث عن (الظاهرة اللهجية النَّحْويّة)، وسنحاول أن نذكر أشهر المسائل النَّحْويّة التي تعددت فيها لُغَات القَبَائِل مدعومةً بالشَوَاهِد الشّعْرِيّة والنثرية وبالقراءات القُرْآنية، التي بلغت من الكثرة والاختلاف حدًا كاد يزعزع القَاعِدَة النَّحْويّة ويجعلها مضطربة وغير مستقرة . ولا نخوض في قضايا التأويل النحوي والتعليل ومعرفة الأسباب التي جعلت هذه القَبِيْلَة تنطق بهذه اللُغَة والأخرى بتلك اللُغَة إلا قليلًا حتى لا ندخل في المَنْهَج التاريخي والمقارن، فضلًا عن الأسباب الاجتماعية والعوامل الجغرافية، وقد ألمحنا لها في حديثنا النظري. ومقصود الباحث بـ (الظاهرة اللهجية النَّحْويّة) ما اختلفت فيه القَبَائِل العَرَبِيَّة من لَهْجَات تؤثر في تركيب الجُمْلَة أو في حركة الحرف الأخير للكَلِمَة من إعراب وبناء؛ ويدخل في إطار ذلك ظواهر يرى بعض العلماء أنها صرفية . ولا مخالفة لرأيهم . لكن الباحث رأى أفضلية إدراجها في إطار الظواهر النَّحْويّة؛ لأنها تمس التركيب من جانب ما، مثل ظواهر الضَّمَائِر والمَوْصُوْلات وأسماء الإشارة، من حَيْثُ الحذف وتنوع حركة البناء، وغير ذلك.وكل من تكلم بلُغَة من اللُغَات مصيب غير مخطئ واللُغَات لا ينبغي أن تؤول . وسيضم هذا القسم أربعة فصول هي:

الفَصْل الثاني: باب الاسم

الفَصْل الثالث: باب الفعل

الفَصْل الرابع: الحرف والضَرُورَة الشّعْرِيّة

الفَصْل الخامس: مسائل في التراكيب النَّحْويّة

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْألَة (١): الضَّمَائِر

سينحَصِرُ حديثنا عن الظواهرِ اللهْجِيّةِ في الضَّمَائِر في أربعِ ظواهرَ: أولاها حركةُ هاءِ الغَيْبِ بين الضمِّ والكسْرِ والإسْكانِ. والثانية حركةُ الواوِ والياءِ في (هو/هي) بين الفتحِ والإسكانِ، والثالثة حركة كافِ الخطابِ في المُثَنَّى والجَمْع بين الضمِّ والكسْرِ، والرابعة تنوُّعُ حركةِ ميم الجَمْع المُتَّصِلةِ بالضَمِيْر.

الضَمِيْر لُغَة واصْطِلاحًا:

ضَمَرَ يضْمُرُ ضُمُورًا فهو ضامرٌ، وضَمُرَ بالضمِّ لُغَة فيه، أيْ: ضَعُفَ وهَزُلَ، وأضْمَرْتُ الشيءَ إضمارًا: أخفيتهُ وسَتَرْتُه فهو مضْمَرٌ[١] . فَعِيْلٌ بمعنى مُفْعَل . والضَمِيْر هو العنبُ الذابلُ، والسّرُ، وما داخلُ الخاطر[٢] .

فكلُّ المعاني المُعْجَمية لمادة (ض م ر) تدُوْرُ حوْلَ الهُزالِ، ولُحُوقِ البَطنِ، ولُطْفِ الشيءِ وخَفَائه . ويرى الصَّبَّانُ[٣] أنَّ الضَمِيْر مِن الضُمُور، وهو الهُزَالُ، والمُضْمَر مِن الإضْمَارِ، وهو الإخفاءُ والسّتْرُ . فإطلاقُ الأولُ على كثيرِ الحُرُوْف كنَحْنُ، والثاني على البارزِ، هو مِن باب التغليب[٤] والتوسع[٥] .

وفي الاصْطِلاح: ما دلَّ على مُتَكَلّم أو مخاطَبٍ أو غائبٍ مِن الألفاظِ . والتعبيرُ بالضَمِيْر اصْطِلاح بصريٌ، والكوفيون يسمُّونَه الكناية أو المكنَّى[٦] .

---

[١] ينظر: العين للخليل ٤١/٧، الصحاح للجوهري ٧٢٢/٢، ولسان العرب ٢٦٠٢/٤، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٧٦/٢ كلها مادة (ضمر).

[٢] ينظر: الصحاح ٧٢٢/٢، واللسان ٢٦٠٢/٤، والقاموس المحيط ٧٦/٢.

[٣] **الصبان:** أبو العرفان محمد بن علي الشافعي، ولد بمصر وحفظ القُرْآن والمتن، وبرع وصنف في مختلف العلوم، من أشهر تصانيفه حاشيته على شرح الأشْمُونِي على ألفية ابن مالك، توفي وصُلّي عليه بالجامع الأزهر في مشهد حافل سنة ١٢٠٦هـ. [ينظر: تاريخ الجبرتي ٣٣٨/٢، ٣٤٩، ونشأة النحو للطنطاوي ص: ٢٣٥، ٢٤٠]

[٤] ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشْمُونِي أبو العرفان محمد بن علي الصبان ١٦٢/١ الطبعة الأولى:١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية- بيروت.

[٥] ينظر: التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد ٩٧/١.

[٦] ينظر: ارتشاف الضرب لأبي حيان ٤٦٢/١.

وينقسمُ إلى بارزٍ ومستَتِرٍ، فالبارزُ ما له صورةٌ في اللفْظِ نحو: هو أكرمَكَ، والمستترُ ما ليس له صورةٌ في اللفظِ بلْ يُنْوَىْ كفاعِلِ (قُمْ) . وينقسمُ البارزُ إلى مُتَّصِل ومُنْفَصِل، فالمُتَّصِلُ ما لا يُفْتَتَحُ النُّطْقُ به ولا يَقَعُ بعْدَ إلّا، كياءِ غُلامي، وكافِ أكرمكَ . والمُنْفَصِلُ ما يُفْتَتَحُ النُّطْقُ. كما ينقسمُ المُنْفَصِلُ إلى ما يخْتَصُّ بالرفع، وما يخْتَصُّ بالنصْبِ، وما هو مشتَرَكٌ فيهما، مما هو مفصَّلٌ في كتُبِ النحو التعليمي . ونحن هنا سنناقش اللُغَاتِ التي وردتْ عن العربِ في أشْهَرِ الضَّمَائِرِ المُنْفَصِلةِ والمُتَّصِلةِ .

أولًا: الضَّمَائِر المُنْفَصِلة

١. أنا:

ضَمِيْرُ مُتَكَلّم للمفردِ، يرى البصريون أنَّ أصْلَهُ الهمزةُ والنونُ، والألفُ أُتِيَ بها في الوقفِ لبيان الحركة، قال سِيْبَوَيْهِ: ((ولا يكونُ في الوقفِ في (أنا) إلا بالألفِ))[١]، فهو عندهم ثنائيٌ مبنيٌّ على الفتْحِ، وعند الكُوْفِيّيْنَ ثلاثيٌ مبني على السكون[٢] .

وفي هذا الضَمِيْرِ لُغَاتٌ عِدّةٌ، أفْصَحُها لُغَة أهلِ الحِجَاز، وهي إثباتُ ألِفِهِ وقْفًا وحذفُها وصْلًا[٣] ؛ لأنَّهم يرونها زِيْدَتْ في الوقفِ للسَّكْتِ كالهاءِ، فيقولون: أنَ حضرْتُ . وأكثرُ القرّاءِ عليها إلا أنَّ أبا جَعْفَر ونافعًا أثبتاها في الوصلِ والوقْفِ إذا تلَتْها همزةٌ مفتوحةٌ أو مضمومةٌ .

وتوافقهم تَمِيْمٌ في الوقفِ وتخالفُهم في الوصْلِ[٤] حَيْثُ تُظْهِرُ الألفَ في الحالتين، وعليها جاءتْ قراءةُ نافعٍ[٥] ((قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ))[٦] بإثباتِ الألفِ وقفًا ووصْلًا . وحكى النحَّاسُ[٧] وأبو

---

[١] الكتاب ٤/ ١٦٤

[٢] ينظر: شرح ابن يعيش ٩٣/٣، ٩٤، وشرح الأشْمُونِي ١١٤/١

[٣] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٤٦/٢، والخزانة ٤٩٢/٤.

[٤] ينظر: شرح التسهيل ١٤١/١، وشرح الرضي على الكافية ٤١٧/٢، وحاشية الصبان على الأشْمُونِي ١٠٠/١.

[٥] **نافع**: هو أبو رُوَيْم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة، وهو أحد القراء السبعة، توفي سنة ٢٦٩هـ. (ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ٨٩/١، غاية النِهَايَة في طبقات القرّاء شمس الدين أبو الخير محمد بن أحمد بن يوسف ابن الجزري، عني بنشره لأول مرة ج. برجشتراسر ٣٣٠/٢، ٣٤، عام النشر: ١٣٥١هـ، مكتبة ابن تيمية)

[٦] سورة البقرة من الآية/٢٥٨، وتنظر القراءة في: الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ص: ٣٨١، والنشر لابن الجزري ص: ٩٧.

[٧] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٤٦/٢.

حيان[1] عن الفَرّاء أنَّ مِن رَبِيْعَة وقيسٍ مَن يَنطِقُ بهذه اللَهْجَةِ، وأورد شاهدًا على ذلك قولَ أبي النجم:

أنا أبو النجم إذا قلّ العذر

والبصريون يحْكُمُون على إثباتِ الألفِ في الوصْلِ بالضَّعْفِ والشذوذ، ويقْصُرونه على الضَرُورَة الشّعْرِيّة وعلى حالةِ الوقْفِ[2] .

وذكَرَ الرضي[3] أنَّ بعض طَيِّئ يقفون على هذا الضَمِيْرِ بالهاء مكان الألف[4]، فيقولون: أنَهْ[5]، كَقَوْلِ حاتم الطائي: هكذا فَصْدِيْ أَنَهْ . وقول القائل[6]:[من الرجز]

إنْ كنتُ أدري فعلَيَّ بدنَهْ

مِن كثرةِ التخليطِ فِيَّ مَن أَنَهْ

وتَنْطقُها قَبِيْلَة قُضَاعَة (آنَ) بمَدّ الهمزةِ الأولى وحذْفِ الألفِ على زِنَةِ "عَانَ"، ذكرها أبو حيان وابنُ عَقِيلٍ[7] نقلًا عن الفَرّاء[8]، والنحَّاس[9] نقلًا عن الكِسَائي .

وذَكَرَ بعضُ العلماءِ أنَّ مِن العرب مَن يبيّنُ فتحة النون بهاءِ السَّكْتِ إذا وقَفَ فيقول: أنَهْ[1]، ونسبَها الفَرّاء إلى عليا تَمِيْمٍ وسُفلى قَيْسٍ، وقال: هي لُغَة جيدة[2] .

---

[1] ينظر: التذييل و التكميل ١٦٩/٢

[2] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه أبو إسحاق إبْرَاهِيم بن السري الزَّجَّاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ٢٨٧/٣، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، عالم الكتب – بيروت، و الأصول لابن السّرَّاْج ٤٥٤/٣، و المنصف لابن جني ص: ٣٩، وشرح ابن يعيش ٩٤/٣، وشرح جمل الزَّجَّاجي ابن عصفور ٥٧١/٢.

[3] **الرضي:** هو نجم الملة والدين محمد بن الحسن الاستراباذي، هجر بلاد المشرق وأقام بالمدينة المنورة، شرح كافية ابن الحاجب وشافيته، توفي سنة ٦٨٨هـ (ينظر: بغية الوعاة للسيوطي ٥٦٧/١)

[4] ينظر: شرح الشافية ٢٩٤/٢

[5] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٦١/١، شرح الأشْمُونِي ٥١/١

[6] بلا نسبة في خزانة الأدب ٢٤١/٥(ش/٣٧٧)، والمعجم المفصل في شَوَاهِد العَرَبِيَّة ٢٣٠/١٢، وشرح ابن يعيش ٣٠٥/٢(ش/٤٤٩)

[7] **ابن عقيل:** بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي، ولد بالقاهرة سنة ٦٩٤هـ، ينتهي نسبه الى عقيل بن أبي طالب، كان عالمًا بالنحو والعَرَبِيَّة من أئمة النحاة، توفي سنة ٧٦٩هـ، قيل عنه: ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل، كان كريمًا كثير العطاء لتلاميذه، له (الجامع النفيس) و(مختصر الشرح الكبير) و(التفسير) وصل به إلى آخر سورة آل عمران.

[8] ينظر: التذييل والتكميل ١٩٦/٢، والمساعد في تسهيل الفوائد على كتاب التسهيل لابن مالك ابن عقيل ١٩٨/١، تحقيق د. محمد كامل بركات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – كلية اللُغَة العَرَبِيَّة – جامعة أم القرى.

[9] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٤٦/٢.

ومِن العرب مَن يُبْدِلُ الهمزةَ هاءً فيقال: هَنَا فَعَلْتُ ذلك، أيْ: أنا فعَلْتُ ذلك، وقد حَكَمَ ابنُ مالكٍ (ت:٦٧٢هـ) على هذه اللَهْجَةِ بالكثرة بحُجّةِ أنَّ الهاءَ يُبْدَلُ مِن الهمزة كثيرًا في العَرَبِيَّة[٣] .

ونَقَلَ النحَّاسُ عن الأخْفَش أنَّ مِن العرب مَن ينطُقُهُ بفتْحِ الهمزةِ وسكونِ النونِ في الوقفِ[٤] وزاد ابنُ يعيشٍ(ت:٦٤٣هـ) والوصْلِ[٥]، فيقال: (أنْ فعلْتُ) كـ (عَنْ)، وهي لَهْجَةٌ شديدةُ الضَّعْفِ عند الزَّجَّاج[٦]، رديئةٌ عند الأزهري[٧]، قليلةٌ عند ابنِ منظورٍ[٨]. وعلى هذا تكون اللُغَاتُ الواردةُ في ضَمِيْرِ المُتَكَلّم (أنا) ستّ لُغَاتٍ[٩] .

٢. أنت:

ضَمِيْرٌ مُنْفَصِلٌ للمفردِ المذكرِ المخاطَبِ، وهو لدى البَصْرِيِيْنَ "أنَ" والتاءُ حرْفُ خطابٍ[١٠]، ومذهبُ الفرّاء أنَّ (أنت) بجملتِهِ ضَمِيْرٌ، وذهَبَ ابنُ كيسان إلى أنَّ الضَمِيْرَ التاء فقط وكُثِّرَتْ بأنْ، وقد ورد أنَّ الحميريين يقلبون التاءَ كافًا ففي (أنت) يقولون (أنْكَ) .

٣. هو و هي:

ومِن ضمائرِ الرفعِ المُنْفَصِلةِ (هو) للغائبِ المذكَّرِ، و(هي) للغائبةِ المُؤَنّثةِ. ذهب البصريون إلى أنَّ الاسم هو مجموع الحرفين معًا، والكوفيون إلى أنَّ الاسمَ منهما الهاءُ وحْدَها، والواوُ والياءُ مزيدتان للإشباعِ والتكثيرِ. وفي هذين الضَمِيْرين ثلاثُ لُغَاتٍ مشْهُوْرة:

---

[١] ينظر: معاني النحو للفراء ١١٤/٢، و علل النحو للوراق ص: ٤١١، وشرح الرضي على الشافية ٢٩٤/٢

[٢] ينظر: معاني النحو للفراء ١٤٤/٢

[٣] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ١٤٢/١، والتذييل والتكميل ١٩٦/٢، والمساعد لابن عقيل ٩٨/١

[٤] ينظر: معاني القُرْآن للنحاس ٤٦/٢

[٥] ينظر: شرح ابن يعيش ٩٤/٣

[٦] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٢٨٧/٣

[٧] ينظر: معاني القراءات أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ص: ٨٤، ٢٦٧ الطبعة الأولى:١٤١٢هـ/١٩٩١م، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود.

[٨] ينظر: لسان العرب ١٦٠/١ (أنن).

[٩] ينظر: اختلاف اللَهْجَات العَرَبِيَّة على المستويين النحوي والصَّرْفي بين ابن عقيل والسلسيلي د. احمد عيد عبد الفتاح حسن ص: ٣١.

[١٠] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت:٧٤٩هـ) شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان ٢٦٦/١، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م – دار الفكر العربي.

الأولى: إثباتُ الواوِ والياءِ محرَّكتين بالفتح مخفَّفتين، فيقال: هُوَ، وهُيَ، كَقَوْلِه تَعَالَىٰ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[1] . ويرى الكِسَائي أنَّهما في هذه اللُّغَةِ مخفَّفَان مِن اللُّغَةِ الواردةِ بالتَّشْديدِ[2] ؛ إذِ الأصلُ أنْ يكونا على ثلاثةِ أحرفٍ، مثل: أنت، وارتضاه ابنُ مالك[3] . وهذه اللُّغَةُ هي أفْصَحُ اللُّغَاتِ وأكثرُها شيوعًا وانتشارًا في الاستعمال العربي .

الثانية: إسْكانُ الواوِ والياءِ، فيقال (هُوْ، وهِيْ)، وتُعْزَى لقَيْسٍ وأسَدٍ[4] وتَمِيْمٍ[5]، ومنه قول الشاعر[6]: [من الكامل]

أدعوْتَهُ بِاللَّهِ ثمَّ قتلْتَهُ ... لَو هُوْ دعَاكَ بِذِمَّةٍ لم يغدر

وكَقَوْلِ الشاعر[7]:[من الطويل]

وَركْضُكَ لَوْلاَ هُوْ لَقِيتَ الَّذِي لَقَوا ... فأَصْبَحْتَ قَدْ جَاوَزْتَ قَوْمًا أَعادِيَا

وقول الآخر[8]:[من الخفيف]

إنَّ سلمى هِيَ التي لو تراءَتْ ... حَبَّذا هِيْ مِن خُلَّةٍ لو تُخَالُ

وهذه اللُّغَةُ رديئةٌ عند الزَّجَّاجِ غيرُ جائزةٍ في الكلام فقال: ((وقد روى الإسكانَ بعضُ النَّحْوِيِّيْنَ، وهو ردئ))[9] . والحقَّ أنَّها لُغَةٌ فَصِيْحَة ذكَرَها كبارُ النُّحَاةِ كالكِسَائيّ والفَرّاءِ وابنِ مالكٍ والرضيّ وأبي حيانٍ والسَّيُوطِي[10]، ولها عددٌ مِن الشَوَاهِد الشّعْرِيّة تؤكدها .

الثالثة: تشديدُ الواوِ والياء فيقال: (هُوَّ، هِيَّ)، وكانت تكتب في نقوش اليمن القديم بواوين، وهي إلى الآن في لهجة جنوب غرب تعز: الوازعيّة، وموزع، والمخا، وذباب، وباب المندب، وربما يمتد استعمالها على الساحل شمالاً وشرقًا، فينطقونها وكأنهم ينطقون واوًا أو ياءً مشدَّدة– هُوْوَ،

---

[1] المدثر من الآية/٣١

[2] ينظر: لسان العرب ٤٥٩٥/٦ (ها)، ص: ٤٧٤٣ (هيا).

[3] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ١٤٣/١

[4] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ١٤٢/١، وشرح الرضي على الكافية ٤١٩/٢، والتذييل والتكميل ٢٠٢/٢.

[5] ينظر: لسان العرب ٣٧٦/١٥ (ها)

[6] لمتمم بن نويرة في خزانة الأدب ٢٧/٢

[7] نسبه ابن منظور في اللسان للشاعر عبيد (؟) ٤٧٦/١٥(ها)، وبلا نسبة في الهَمْع ٢٤١/١.

[8] بلا نسبة في الهَمْع ٢٤٢/١، والمعجم المفصل في شواهد العَرَبِيَّة ٣٥٨/١.

[9] معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٥٧/١

[10] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٢٤١/١

هِيْيَ. وهذه عند الكِسَائي هي أصْلُ اللُّغَاتِ الواردةِ في هذين الضَمِيْرين ؛ كونها وردَتْ على الأصْلِ الثلاثيِّ، ونَسَبَها لهَمْدّان[1]. ومِن شَوَاهِدِ هذه اللُّغَةِ قولُ الشاعر[2]:[من الطويل]

وإنَّ لِسَانِي شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بها ... وَهُوَّ عَلَى مَن صَبَّهُ اللهُ عَلْقَمُ

وقول الآخر[3]:[من الوافر]

تخاطَفُهُ الحُتُوفُ فهُوَّ جَوْنٌ ... كِنازُ اللَّحْمِ، فائِلُهُ رَدِيدُ

وعلى تشْدِيْدِ الياءِ قول الشاعر[4]:[من البسيط]

والنفس مَا أُمِرَتْ بالعنْفِ آبيَةٌ ... وَهِيَّ إن أُمِرَتْ باللُّطْفِ تَأْتَمِرُ

الرابعة: حذْفُ الواوِ والياءِ منهما إذا وقعا بعد ألفٍ ساكنةٍ، فتبقى الهاءُ متحركة، حكاها الكِسَائيُّ عن بعضِ بَنِيْ أسَدٍ وقيْسٍ، فيقولون: حتاهُ فَعَلَ ذلك، وإنَّماهُ فعل ذلك[5]، ويقولون: حَتَّاهِ فعَلَتْ ذلك، وإنَّماهِ فعَلَتْ ذلك[6]، ولم أسْمَعْهم يلقون الواو والياء عند غير الألف[7] .

ومن شَوَاهِدِ حذف الواو على هذه اللُّغَةِ قول الراجز[8]:

إذاهُ سِيْمَ الْخُلْفَ آلى بقَسَمْ ... بالله لَا يَأْخُذ إلاّ مَا احتكم

وقول الآخر[9]:[من الرجز]

إذَاهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ لَمْ يَنْبِسِ

ومن شَوَاهِد حذف الياء قول الشاعر:[من البسيط]

---

[1] ينظر: التذييل والتكميل ٢٠٤/٢، ولسان العرب مادة (ها)، (هيا) ١٥/ ٣٧٦.

[2] لرجل من همدان في شرح التصريح ١٤٨/١، والمقاصد النحوية ٤١٨/١، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١٧٧/١، وتخليص الشواهد ص: ١٦٥، والجني الداني ص: ٤٧٤، وخزانة الأدب ٢٦٦/٥.

[3] لأبي خراش الهذلي في اللسان ١٧٤/٣(ردد)، وتاج العروس من جواهر القاموس أبو الفيض محمد بن محمد الملقب بمرتضى الزبيدي(ت:١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين ٩٤/٨ (ردد). د.ط، د.ت، دار الهداية

[4] غير منسوب في المقاصد النحوية ٤١٨/١،

[5] ينظر: لسان العرب ٤٥٩٥/٦ (ها)

[6] المرجع السابق ٤٧٤٣/٦ (ها)

[7] المرجع السابق ٤٥٩٦/٦ (ها)

[8] غير منسوب في الخزانة ٢٦٥/٥، ولخشاف في تاج العروس ٥٤٠/٤٠ (ها)، ولسان العرب ٤٧٦/١٥(ها).

[9] غير منسوب في لسان العرب ٤٧٦/١٥(ها).

سالَمْتُ مِن أجْلِ سَلْمَى قَوْمَها وَهُمُ ... عِدًى ولَوْلَاْهِ كَانُوْا فِي الْفَلَاْ رِمَمَا

وجاء عنهم حذف الياء من غير أن تسبق بألف ساكنة، كَقَوْلِ الراجز[1]:[من مشطور الرجز]

دارٌ لِسُعْدَى إذْهِ مِنْ هَوَاكَا

البصريون يرون الحذفَ مِن قبيلِ الضَرُورَة الشّعْرِيّةِ، ولا يُسْتَعْمَلُ عندهم في سَعَةِ الكلام[2]، والكوفيون مستقرُّون على أنَّ ذلك لُغَة واختاره السَّيُوطِي[3]، وعَدّ ابنُ جماعة هذه اللُغَةُ هي اللُغَةُ الرابعة الواردة في هذين الضَمِيْرين ؛ فقد سَمِعَها الكِسَائيُّ إمامُ الكُوْفِيّيْنَ عن العرب ومَن سَمِعَ حُجَّة على مَن لم يسْمَعْ .

وفي لُغَة غنيّ وَرَدَ هذا الضَمِيْرُ مفتوحَ الهاءِ مشَدَّدَ الواوِ (هَوّ)، فإنْ كانَ ما ذُكِرَ صحيحًا فهي تُعَدّ لُغَة خامسة غَفَلَ عنها كثيرٌ مِن النَّحْوِيِّيْنَ .

ويُسَكّنُ العربُ الهاءَ إذا سُبِقَتْ بحرفٍ مِن حروفِ العطفِ كالواو والفاء وثم[4]، أو لام الابتداء، أو جاءت بعد لام التوكيد، ووردَتْ في ذلك قراءاتٌ كثيرةٌ، فقد قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو جَعْفَر وَقَالُونُ[5]، بها قوله تَعَالَىْ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[6]، وقوله عز وجل ﴿فهُوَ وَلِيُّهُمْ ﴾[7]، وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[8] بإسكانِ الهاءِ، وبالإسكانِ قُرِئ أيضًا قوله تَعَالَىْ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[9] . وباقي القراء يحركونها.

---

[1] غير منسوب في الكتاب ٩/١، والخصائص ٨٩/١، والإنصاف ٥٥٨/٢، وشرح ابن يعيش ٣٠٩/٢، والخزانة ٥/٢، ١٣٨/٨، ٤٨٣/٩. وقبله: هل تعرف الدار على تبراكا.

[2] ينظر: الكتاب ٢٧/١، ٣١، الخصائص ٧٠/١، الإنصاف ٦٨٤/٢، وشرح ابن يعيش ٩٦/٣، والتذييل والتكميل ٢٠٢/٢.

[3] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٢٤٠/١

[4] ينظر: لسان العرب (ها) ٧/١٥، هَمْع الهَوَامِعِ ٢١٠/١

[5] ينظر: النشر في القراءات العشر شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري(ت:٨٣٣هـ) تحقيق: علي محمد الضباع(ت:١٣٨٠هـ) ٢٠٩/٢، د.ط، د.ت، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، والسبعة في القراءات ابن مجاهد ص:١٥١، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء(ت:١١١٧هـ) تحقيق: أنس مهرة ص:١٧٤ الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، لبنان، والهَمْع ٢٤٠/١، معجم القراءات د. عبد اللطيف الخطيب،٦٥٣/٤، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار سعد الدين للطباعة والنشر – دمشق

[6] الحديد من الآية/٤

[7] النحل من الآية/٦٣ .

[8] القصص من الآية/٦١

[9] العنكبوت من الآية/ ٦٤

وتُسَكَّنُ الهاءُ بعد همزةِ الاستفهام[1]، كَقَوْلِ الشاعر[2]:[من البسيط]

فَقُمْتُ للطَّيْفِ مُرْتَاعًا فَأَرَّقَنِي ... فَقُلْتُ أَهْيَ سرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلُمُ

وتُسَكَّنُ أيضًا بعد كافِ الجَرِّ كَقَوْلِ الشاعر[3]:[من الطويل]

وَقَدْ عَلِمُوا مَا هُنَّ كَهْيَ فَكَيْفَ لِي ... سُلُوٌّ وَلاَ أَنْفَكُّ صَبًّا مُتَيَّمًا

وتسْكِيْنُ الهاءِ وما فيه مِن قراءاتٍ لا يَمِتّ إلى المادة النَّحْويّةِ بكبيرِ صِلَةٍ ؛ لأنَّ الهاءَ حشوٌ والتغييرُ الذي يلْحَقُ آخرَ الكَلِمَة هو الذي يَهُمُّ الباحثَ مّما ذكر في اللُّغَاتِ السابقة .

٤. هـم:

ضَمِيْرٌ مُنْفَصِلٌ لجماعةِ الذكورِ الغائبين، يَبْنِيْهِ الحِجَازيون على السكون، والأصْلُ فيه أنَّ يَرِدَ بالواو (هُمُو) ولكنْ حُذِفتْ الواوُ لعدم اللبْسِ[4]، وقد وَرَدَ عن بعض العرب ذِكْرُ (هُمُو) في كلامهم، وهي لُغَة بَنِيْ سُلَيْم[5]، وورد مكسور الميم في لُغَة هُذَيْل[6]، كَقَوْلِ الشاعر[من الكامل]:

فَهُمُوْ بِطَانَتُهُمْ وَهُمْ وُزَرَاؤُهُمْ ... **وَهُمِ** القُضَاةُ ومِنْهُمُ الحُكّام[7]

وجَمَعَ هذا البيتُ ثلاثَ لُغَاتٍ لضَمِيْرِ الغائبين: (همْ) ساكنةُ الميمِ، و (هُمُو) بالواو، و(همِ) المكسورة الميم على لُغَة هُذَيْلٍ، أو هي الساكنة وكُسِرتْ للالتقاء الساكنين، أمّا (هُمُو) فيُحْتَمَلُ أنْ تكونَ رجوعًا إلى الحركةِ التي هي الأصلُ عند بعض العرب وهي لُغَة بَنِيْ سُليم[8] .

ثانيا: الضَّمَائِر المُتَّصِلة

١. تاء المُتَكَلّم :

---

[1] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٢١٠/١

[2] ينسب لزياد بن حمل بن سعد بن عميرة في المقاصد النحوية ١٦٢٣/٤، ولمرار العدوي في خزانة الأدب ٢٤٥/٥.

[3] غير منسوب في الهَمْع ٢٤١/١

[4] ينظر: شرح ابن يعيش ١٣١/٣

[5] المرجع السابق ١٣٢/٣

[6] المرجع نفسه

[7] المرجع نفسه

[8] المرجع نفسه

تُقْلَبُ تاءُ المُتَكَلّم كافًا عند حِمْيرٍ فيقولون في (سُؤْتُ بك ظنًا): سُؤكْ بك ظنًا[1]. وهي اليوم لغة وسط اليمن، من تعز، وإب، والضالع، وبعض يافع، ووصاب، وعتمة، وبعض من آنس، ومن ذمار وريمة وغيرهم.

٢. يــاء المُتَكَلّم

تُفْتَحُ ياءُ المُتَكَلّم عند إضَافَة جمْعِ المذكَّرِ السَّالِم إليها، لكنَّ بَنِيْ يَرْبُوْع مِن تَمِيْم[2] يكسرونها[3]، وعليها قراءة حمزة، والأَعْمَش[4]، ويحيى بن وثاب لقوله تَعَالَىْ: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾[5] قرؤوها بكسر الياء في الوصل[6] .

يقول الفَرّاء في كسر ياء المُتَكَلّم: ((وقد خفض الياء من قوله (بِمُصْرِخِيّ) الأَعْمَش ويحيى بن وثَّاب جَميعًا... ولعلها من وَهْم القراء طبقة يَحْيَى فإنه قل من سلم منهم من الوهم. ولعله ظَنَّ أن الباء فِي (بِمصرخي) خافضة للحرف كله، والياء من المُتَكَلّم خارجة من ذَلِكَ))[7] .

بهذا النصِّ يُنْكرُ الفَرّاءُ هذه القراءة، وقد ضَعّفَها الزمخشري(ت:٥٣٨هـ)[8]، وذَكَرَ البغداديُّ في خزانته[9] أنَّ حسينَ الجعفيَ سأل أبا عمرو بنِ العلاء عن كسْرِ ياء المُتَكَلّم على لُغَةِ بَنِيْ يَرْبُوْعٍ، فقال: هي جائزة .

وقد يكْسِرُ بنو يَرْبُوْعٍ ياءَ المُتَكَلّم عند إضَافَة حرفِ الجَرِّ إليها، وقد رُوِيَ شاهدًا على هذه اللُغَةِ قولُ الشاعر[10]:[من الطويل]

---

[1] ينظر: الإبدال ١٤١/٣، ولَهْجَات القبائل العربية وأثرها في الدرس النحوي، رسالة تقدمت بها الطالبة: فدوى محمد حسان، إلى كلية التربية عدن للحصول على درجة الماجستير

[2] ينظر: صفة جزيرة العرب ص: ١٤٠

[3] ينظر: شرح التصريح على التوضيح ٦٠/٢

٤ الأَعْمَش: هو سليمان بن مهران الأَعْمَش أبو محمد الأسَدي الكاهلي مولاهم الكوفي الإمام الجليل. أخذ القراءة عرضًا عن إبْرَاهِيم النخعي وزر بن حبيش وعاصم وغيرهم، وروى عنه عرضًا وسماعًا حمزة الزيات وابن أبي ليلى وجرير بن عبد الحميد وغيرهم. تُوفي سنة ١٤٨هـ. [طبقات ابن الجزري: ٣١٦/١].

[5] إبْرَاهِيم من الآية/ ٢٢.

[6] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٧٥/٢

[7] معاني القُرْآن للفراء ٧٥/٢

[8] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ٣٧٤/٢، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي- بيروت ٣٧٤/٢

[9] ينظر: خزانة الأدب ٢٥٩/٢

[10] للنابغة الذبياني في ديوانه ص:٤١، وخزانة الأدب ٣٢٤/٢، والمقاصد النحوية ١٢١٦/٣.

عَلَيِّ لعمروٍ نعْمَةٌ بعْدَ نِعْمَةٍ *** لوالدِهِ ليْسَت بذاتِ عقاربِ

حَيْثُ أضافَ حرْفَ الجرِّ (على) إلى ياءِ المُتَكَلّم المكسورة .

وقال الفَرّاءُ، سَمِعْتُ بعض العرب ينشد[1]:[من الرجز]

قَالَ لَهَا: هَل لكِ يا تا فيِّ *** قَالَتْ لَهُ: مَا أَنْتَ بالمَرْضِيّ

كما يكسر بنو يَرْبُوْع ياءَ المُتَكَلّمِ عند إضَافَة كَلِمَةٍ منتهيةٍ بألفٍ إليها، فيقولون: عَصَايِ، أيْ إنَّ بَنِيْ يَرْبُوْعَ يكسرون ياءَ المُتَكَلّمِ عندما يُضِيفون جمْعًا مذكرًا سالمًا أو حرفَ جرٍّ أو كَلِمَةٍ منتهيةٍ بألفٍ .

أمَّا هُذَيْلٌ فإنَّهم يقلِبُون الألفَ ياءً ويُدْغِمونها في ياءِ المُتَكَلّم[2]، قال طَلْحَةُ يوم الجَمَلِ حِينَ قال له عليٌّ كَرَّم الله وجْهَه: عَرِفْتَنِي بالحِجَازِ وأنْكَرْتَنِي بالعراقِ فما عدا مما بَدَا، فقال: بايَعْتُ واللجُّ على قَفَيَّ[3] . والقياسُ أنْ يقولَ: قفايَ . وقال أبو ذؤيبٍ الهُذَليُّ شاهدًا على ذلك[4]:[من الكامل]

سَبَقُوا هَوَيَّ وأعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ ... فَتُخُرِّمُوا ولِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

قال: هَوَيَّ، والقياسُ أنْ يقالَ: هوايَ، قَلَبَ الألفَ ياءً على لغتِهِ الهُذَليةِ .

ويروي قُطْرُب[5](ت:٢٠٦هـ) على هذه اللُغَة هذين البيتين[6]:[من الوافر]

يُطَوَّفُ بي عِكَبٌّ في مَعَدٍّ ... ويَطْعُنُ بالصُّمُلةِ في قَفَيا
فإن لم تَثْأراني من عِكَبٍّ ... فلا رَوَّيتُمَا أَبَدًا صَدَيَّا

فقال: قفيَّ، وصديَّ، على لُغَة هُذَيْل، والقياس أن يقال: قفاي، وصداي .

---

[1] للأغلب العجيلي في خزانة الأدب ٤٣٥/٤، وغير منسوب في المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٤٩/٢، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

[2] ينظر: شرح ابن يعيش ٢٠٥/٢

[3] المرجع نفسه ٢٠٨/٢

[4] لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٧/١، وسر صناعة الإعْرَاب ٣٣٧/٢، والمحتسب ٧٦/١، وشرح ابن يعيش ٢٠٨/٢، والمقاصد النحوية ١٣٩٢/٣(ش/٧٠٢)، وهَمْع الهَوَامِعِ ٢٥٩/٢(ش/١٢٧١).

[5] **قطرب:** أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي، لازم سيبويه، وكان يأتيه آخر الليل فإذا خرج رآه على بابه، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل، فلقب به، أخذ عن عيسى بن عمر، وكان يرى رأي المعتزلة النظامية، وكان يؤدب أولاد أبي دلف العجلي، له(المثلث) و(النوادر) و(الصفات) وغيرها. توفي سنة ٢٠٦هـ.

[6] للمنخل اليشكري في الأغاني ٨/٢١، ولسان العرب ٦٢٦/١(عكب)، ١٨٤/٤ (حرر)، وبلا نسبة في الخصائص ١٧٧/١، وجمهرة اللغة ١٣١٠/٣ وفيها برواية: يُطيف بِنَا عِكَبٌّ مُقْذَحِرٌّ.. ويَطْعُنُ بالصُّمُلّة فِي قَفِينا.

أمَّا قُضَاعَةُ فإنَّهم يقلبون ياء المُتَكَلّم جيمًا، فيقولون: راعجّ خرج معج، يريدون: راعيّ خرج معي[1]، ويُسَمّي علماءُ اللُغَة هذه الظاهرة بالعجعجة[2] .

٣. تاء المخاطب للمذكر:

يقلبها الحميريون كافًا[3] فيقولون في (إذا شئت): إذا شئك، قال الراجز[4]:[مشطور الرجز]

يَا ابنَ الزُّبَير طالَ مَا عَصَيْكا
وطــالَ مَا عَنَّيْـكَـنا إلَيْكـا
لَنَضْرِبَــنْ بسَيْفِنــا قَفَيْــكا

قال: عَصَيْكا، وعنيكا، يريد: عصيت، وعنيت، قال ابنُ جنّي بشأنِ هذه الظاهرة: ((أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في الهمس . وكان سحيم إذا أنشد شعرًا قال: أحسنك والله، يريد أحسنت))[5] .

٤. تاء المُؤَنّثة للمخاطبة

تزيْدُ رَبِيْعَةُ بعدَ تاءِ المُؤَنّثةِ للمخاطبة ياءً ففي (أنتِ ضربْتِهِ) تقول: أنْتِ ضربْتِيه[6] . ففي الخبر: "لاَ أَنْتِ (أَطْعَمْتِهَا) وَلاَ (سَقَيتِيهَا) حِينَ (حَبَسْتِيهَا)، وَلاَ أَنْتِ (أَرْسَلْتِيهَا) تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ"[7]، وخبر:" إذا (وضعتيه) فسميه محمدًا"[1] .

---

[1] ينظر: شرح التصريح على التوضيح ٣٦٧/٢

[2] ينظر: المَزْهَر ٢٢٣/١

[3] ينظر: الإبدال والمعاقبة و النظائر للزجاجي ص: ١٠٦

[4] لرجل من حمير في خزانة الأدب ٤٢٨/٤، ٤٣٠، وشرح شواهد المغني ٤٤٦/١، ولسان العرب ١٩٣/١٥ (قفو)، والمقاصد النحوية ٢١٢٧/٤(ش/١٢٧٧)، ونوادر أبي زيد ص:١٠٥، وبلا نسبة في لسان العرب ١٩٣/١٥ (قفا)، والجني الداني ص:٤٦٨، وسر صناعة الإعْرَاب أبو الفتح عثمان بن جني ٢٩٠/١، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م دار الكتب العلمية – بيروت.

[5] سر صناعة الإعْرَاب ٢٩٠/١، وينظر: خزانة الأدب ٤٢٩/٤.

[6] ينظر: شفاء العليل في علم الخَلِيْل أمين الدين المحلي ص: ٢٧٨

[7] ينظر: شرح صحيح البخاري ابن بطال، أبو الحسين علي بن خلف ابن بطال(ت:٤٤٩) تحقيق: ياسر بن إبْرَاهِيم ٣٠٥/٦، الطبعة الثانية:١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، مكتبة الرشد– السعودية، الرياض، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني(ت:٨٥٥هـ) ٢٠٩/١٢(ح:٥٦٣٢) د.ط، د.ت، دار إحياء التراث العربي– بيروت. وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري(ت:٩٢٣هـ) ٢٠٣/٤(ح:٢٣٦٥) الطبعة السابعة:١٣٢٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية – مصر.

٥. **حركة كاف الخطاب في المُثَنَّى والجَمْع بين الضم والكسر:**

المشْهُوْرُ بناءُ هذا الضَمِيْرِ على الضَّمِ مطلقًا، غيْرَ أنَّ بَنِيْ رَبِيْعَة، وهُم قومٌ مِن كَلْبٍ يَبْنُوْنَهُ على الكَسْرِ إذا كان قبْلَ الكافِ ياءٌ أو كسرةٌ، ففي (عليكُم وبكُم) يقولون: عليكِم، وبكِم . وأطلَقَ عليها علماءُ اللُغَة ظاهرة الوَكْمِ[٢] . وهي لُغَة حكاها سِيْبَوَيْهِ عن ناسٍ مِن بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وقال: إنَّها رديئة جدًا[٣] .

هاء الغائب

أ. **للمفرد المذكر:**

يقول السَّيُوطِي: هاء الغائب أصْلُهُ الضَّمُ[٤] إذا جاء بعد فتْحٍ نحو: ضربَهُ ولَهُ وعندَهُ، أو بعد ضَمٍّ نحو:أمرُهُ، أو بعد سُكُونٍ نحو: مِنْهُ و عَنْهُ . أما إذا جاء بعد كسْرٍ أو ياءٍ ساكنةٍ فيُبْنَى على الكَسْرِ نحو: مَرَّ بِهِ و عَلَيْهِ ولم يعْطِهِ . وقد جرى على هذا بنو تَمِيْمٍ وقيْسٍ وبنو سَعْدٍ[٥] . فإن فصَلَ بين الهاء والكسر ساكِنٌ قلَّ كسْرُها، ومنه قراءة ابن ذكوان: ﴿ أَرْجِئْهِ وَأَخَاهُ﴾[٦]، و كسرها في الصورتين السابقتين لُغَة غير الحِجَازِيّيْن .

أمَّا الحِجَازيون ومَن جاوَرَهم مِن فُصَحاء[٧] اليمن فلغتُهُم ضَمُّ هاءِ الغائبِ مطلقًا، فيقولون: بِهُ و عليْهُ[١] . وبها قرأ حفْصٌ عن عاصم قوله تَعَالَىْ ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾[٢] . قوله تَعَالَىْ

---

[١] ينظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري(ت:٩٢٣هـ) ٤٤٢/١ د.ت، د.ط، المكتبة التوفيقية– القاهرة.

[٢] ينظر: المَزْهَر ١٧٦/١

[٣] ينظر: الهَمْع ٢٠٥/١

[٤] ينظر: الهَمْع ٢٣٠/١

[٥] ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص: ١٢٣

[٦] الأعراف من الآية/١١١،والشعراء من الآية/٣٦.وقال الألوسي(ت:١٢٧٠هـ): "ضم الهاء وكسرها لغتان مشْهُوْرتان وقد طعن كثير في هذه القراءة، فقال الحوفي: إنها ليست بجيدة، وقال الفارسي: إن ضم الهاء مع الهمزة لا يجوز غيره، وكسرها غلط، لأن الهاء لا تكسر إلا بعد ياء ساكنة أو كسرة، ورُدّ بأن الهمزة ساكنة، والحرف الساكن حاجز غير حصين، فكأن الهاء وليت الجيم المكسورة فلذا كسرت، وأن الهمزة عرضة للتغيير كثيرا بالحذف وإبدالها ياء إذا سكنت بعد كسرة، فكأنها وليت ياء ساكنة فلذا كسرت، وذكر أبو شامة أن القراءة متواترة وما ذكر لُغَة ثابتة عن العرب". روح المعاني في تفسير القُرْآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي تحقيق: علي عبد الباري عطية ٣٢/٩، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ، دالر الكتب العلمية – بيروت.

[٧] ينظر: الحجة للقراء السبعة أبو علي الفارسي ٦٠/١.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾[3] ولم يقرأ بها من القراء الأربعة عشر سوى عاصم برواية حفص[4] . وقرأ حمزة ﴿لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾[5].

أما هَوَازِنُ فقد بَنَتْهُ على الضَّمِّ بعد حرفِ الجَرِّ فقط، فقد سُمِعَ شيخٌ منهم يقول: عليْهُ مالٌ[6].

وورَدَ أيضًا عن أهلِ الحِجَازِ أنَّهم يُلْحِقون هذا الضَمِيْرَ واوًا، سواءٌ أكانَ ما قبلَهُ مفتوحًا أم مكسورًا، فيقولون: مررْتُ بِهُو، ولدَيْهُوْ مالٌ[7] . وعلى هذه اللُغَةِ قُرِئ قوله تَعَالَىْ: ((فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ))[8] قُرِئت: بِهُوْ وبِدَارِهُو[9].

وتسكينُ هاءِ الغائبِ لُغَةٌ لأزْدِ السُّراة حكاها ابنُ جنّي[10] عن أبي الحسن . إذا جاء بعدها فتْحٌ نحو: لَهْ، واستَشْهَدَ على هذه اللُغَة بقول الشاعر[11]:[من الطويل]

فَظَلْتُ لَدَى الْبَيْتِ العَتِيقِ أَخِيْلُهُ ... ومِطْوَايَ مِشتاقَانِ **لَهْ** أرِقانِ

فأشْبَعَ الهاءَ في (أَخِيْلُهُ) على لُغَةِ الحِجَازِ، وأسْكَنَ (لَهْ) على لُغَة أزْدِ السُّراةِ. ومنه ما روي عن قُطْرُبٍ مِن قول الشاعر[12]: [من البسيط]

وأشرَبُ المَاءَ مَا بِيْ نَحْوَهُ عَطَشٌ ... إلّا لأَنَّ عُيُوْنَهْ سَيلُ وادِيْهَا

قال: (عيونَهْ) بتسكين الهاء .

---

[1] ينظر: الكتاب ١٩٥/٤، و المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المُبَرِّد تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ٣٦/١،، د.ت، د.ط، عالم الكتب – بيروت، وإعراب ثلاثين سورة ص: ٣٢، وإعراب القُرْآن للنحاس ١٧٥/١، ١٧٩، و الأصول ٣٨٠/٢، والتكملة ص: ٢٩، ومعاني القُرْآن للأخفش ٢٦/١.

[2] الكهف من الآية/٦٣

[3] الفتح من الآية/ ١٠

[4] ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص: ٣٩٥

[5] طه من الآية/١٠

[6] ينظر: لسان العرب ٧/١٥ (ها).

[7] ينظر: الكتاب ٢٩٣/٢

[8] القصص من الآية/٨١

[9] ينظر: المحتسب ٦٧/١،

[10] ينظر: الخصائص ١٢٨/١

[11] ينسب ليعلى الأحول الأزدي. ومطواي: صاحباي. وضَمِيْر أخيله، وله عائد إلى البرق في بيت قبله وهو: أرقت لبرق دونه شدران.. يمان وأهوى البرق كل يمان. وينظر: الخزانة ٢٧٥/٥.

[12] غير منسوب في خزانة الأدب ٤٥٠/٦، والخصائص ١٢٩/١، ٣٧٢، ٢٠/٢، ورصف المباني ص:١٦، وسرّ صناعة الإعْرَاب ٣٥٨/٢، ولسان العرب ٤٧٧/١٥(ها)، والمحتسب ٢٤٤/١، والهَمْع ٢٣١/١.

وينقُلُ أبو حيّانٍ عن الكِسَائي[1] أنَّ تسْكِيْنَ الهاءِ لُغَةُ عُقيلٍ وكلاب، وهي لُغَةٌ قليلةٌ قُرِئ بها قولُهُ تَعَالَىْ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[2] بتَسْكينِ الهاءِ في (لِرَبِّهْ) . وبها قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو بَكْرٍ، وَحَمْزَةُ، وَالأَعْمَش(يُؤَدِّهْ)[3] مِن قولِهِ تَعَالَىْ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾[4] .وزعم الزَّجَّاج(ت:٣١١هـ) أنَّ حِكايةَ هذه اللُّغَةِ عن أبي عمروٍ غَلَطٌ وأنْكَرَ القراءة[5]، وهو مَحْجُوجٌ بالنقْلِ الثابتِ عن اللُّغَوِيّين والنُّحَاةِ لهذه اللُّغَةِ، كما إنَّها قراءةٌ سَبْعِيَّةٌ متواترةٌ ويكفي أنَّها منقولةٌ عن إمامِ البَصْرِيِيْنَ أبي عمرو بنِ العلاء[6] . .

فالضَّمُ هو الأصْلُ والكسْرُ مُحْدَثٌ، وقد تَمَّ بتأثير الكَسْرة أو الياءِ، فهو مِن التَّمَاثلِ الكلّيّ الإتباعِي المُنْفَصِل[7] . وقد كان الفَرّاءُ يرى تَسْكينَ الهاءِ في الوصْلِ لَهْجَةً غيرَ فاشِيَةٍ تَحَدّثَ بها أعرابُ البادِيَة ؛ لأنَّه لا يُتَصَوَّرُ أنْ تكونَ هذه اللَّهْجَة لَهْجَة الحِجَازِيّيْن أو عامّة العرب ثم يأتي جُمْهُور كلامِ العربِ على خلافِها، وهي لَهْجَةٌ بَدَوِيَّة لأنَّ التسكينَ ينشأ عادة مِن إسراعِهم في نطْقِ الكلماتِ ومع ذلك هي في تمام الفَصَاحَة[8]

للمفردة المُؤَنّثة

وَرَد في (هَمْع الهَوَامِعِ) أنَّ بعضَ العربِ يحذِفون ألفَ ضَمِيْرِ الغائبةِ في حالةِ الوقفِ مع تسْكِينِ الهاء نحو: والكرامَةُ ذاتُ أكْرَمَكم الله بَهْ[9]، أيْ: بِهَا . وقد نَسَبَ ابنُ دُرَيْدٍ هذه اللُّغَة إلى طَيِّئ، وذَكَرَ أنَّ طَيِّئًا تَحْذِفُ ألفَ (هاء) المُؤَنّثة وتُسَكّنُ الهاءَ في حالةِ المفعوليّةِ فتقول في (كُنْتُ أضْرِبُهَا): كُنْتُ أضْرِبُـهْ، وإذا وقعَتْ الهاءُ بعد حرفِ جَرٍّ مبنيّ على الكَسْرِ فتحوا كَسْرَتَه، فيقولون في (بِهَا): بَهْ[10] .

---

[1] ينظر: البحر المحيط ٣/٢٢١

[2] العاديات/٦

[3] ينظر: النشر في القراءات العشر ١/٣٠٥.

[4] آل عمران من الآية/٧٥

[5] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه الزَّجَّاج ١/٤٣٢ .

[6] ينظر: البحر المحيط ٣/٢٢١.

[7] ينظر: في التطور اللُّغَوِيّ د. عبد الصبور شاهين ص: ٢٥

[8] ينظر: اللَّهْجَات العَرَبِيَّة في معاني القُرْآن للفراء ص: ٢٥٧

[9] ينظر: الهَمْع ٢/٢٠٦

[10] ينظر: جمهرة أشعار العرب أبو زيد القرشي ١/٢٣٤

وقد وردَتْ هذه اللُغَةُ في قراءَةِ محمدِ بنِ عليٍّ، وعروةِ بنِ الزُّبيرِ، لقوله عَزَّ وجَلّ: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾[1] قُرِئت ابنُهْ[2]، أيْ ابْنُهَا، وزَعَمَ الحَسَنُ أنَّ ابْنُهَا لُغَة طَيِّئ وتعْنِي ابنَ امرأته[3] . قال عامرُ بنُ جُوَيْنِ الطائيّ[4] على هذه اللُغَة:[من الطويل]

فلم أَرَ مثلَها خُبَاسَةَ واحدٍ ... ونَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أفعلَهْ

قال: أفعلَهْ، يريد: أفْعَلُهَا، أيْ إنَّهم نَقَلوا حركة الهاءِ (الفَتْحة) إلى اللام، وحذفوا حركة الإعْرَاب، وقد ذَكَرَ المَالِقِيُّ[5] أنَّ النَّصْبَ في (أفعلَهْ) على تقديرِ أنْ محذوفة[6] . وفي الإنصاف[7] جاء على هذه اللُغَة قولُ أبي عثمانَ عن أبي محمدٍ التوّزيّ عن الفَرّاء[8]:[من الوافر]

فإنِّي قد رأَيْتُ بِدارِ قَوْمي ... نَوائِبَ كُنْتُ في لَخمٍ أَخافَهْ

أي أخافها . وعزاها صاحب الإنصاف إلى قَبِيْلَة لخم[9] .

وحكي أن أحد العرب قتل رجلًا يقال له مَرْقَمَةُ وقد كلفه وآخر أنْ يبتلعا جُرْدَانَ الحمارِ، فامتنعا فَقَتَلَ مَرْقَمةَ، فقال الآخر "طَاحَ مَرْقَمَةْ" فقال له القاتلُ: "وأنت إن لم تَلْقَمَهْ" يريد: تَلقمُهَا، فحذف الألف وألقى حركة الهاء على الميم[10].

ج. للمُثَنَّى والجَمْع

المشْهُوْرُ في هاء الغِيْبَةِ المتلوَّةِ بالميم، سواءٌ أكانتْ للمُثَنَّى أم للجمْعِ، أنْ تُبْنَى على الضَّمِ وذلك إذا سُبِقَتْ بسكونٍ نحو: منْهُما ومنْهُم، أو بفتْحٍ نحو: ضربَهُما وضربَهُم، أو بضَمٍّ نحو:

---

[1] هود من الآية/٤٢

[2] ينظر: الكشاف ٢/٢٧٠

[3] ينظر: ظواهر لُغَوِيّة من المسيرة التاريخية للُغَة العَرَبِيَّة ص: ٤٩

[4] نسبه سيبويه لعامر بن جوين الطائي في الكتاب ١/٣٠٦- ٣٠٧، والمقاصد النحوية ٤/١٨٨٥(ش/١٠٨٥)، ولسان العرب ٦/٦٢(خبس)، وهو لامرئ القيس في ملحق ديوانه ص:٤٧١، ولسان العرب ٦/٦٢(خبس)،ولعامر بن الطفيل في الإنصاف ٢/٤٥٧(ش/٣٦٩).

[5] **المالقي:** أبو عمر عثمان بن محمد المالقي الأندلسي النحوي المتوفى سنة ٦٣٥هـ له (اللمع الجلالية في كيفية التحدث في علم العَرَبِيَّة).

[6] ينظر: رصف المباني ص/١١٤

[7] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٦٢

[8] غير منسوب في الإنصاف ٢/٤٦٢(ش/٣٧٢)

[9] المرجع السابق ٢/٤٦٢

[10] المرجع السابق ٢/٤٦٢

أمرُهُما وأمرُهُم . أمَّا إذا وقعَتْ بعد كسْرٍ فإنَّها تُكْسَرُ نحو: بِهِما وبِهِم، وكذلك إذا وقعَتْ بعد ياءٍ ساكنةٍ نحو: عليْهِما و عليْهِم، وداعيْهِما وداعيْهِم .

وكان أبو عمروٍ، وعاصمٍ، وابنِ عامرٍ، والكِسَائي يكْسِرون الهاء، ويُسَكّنون الميمَ، فإذا لَحِقَ الميمَ حرفٌ ساكنٌ اختلفوا: ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ يبقون على كَسْرِ الهاء، ويضُمّون الميمَ إذا لقيها ساكنٌ، مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾[1]،وقوله تَعَالَىٰ: ﴿مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ﴾[2]. وكان أبو عمرو يكْسِرُ الهاء ويكْسِرُ الميم أيضًا، وكان حمزةُ والكِسَائيُّ يضُمّانِ الهاءَ والميمَ معًا[3].

ووَرَدَ أنَّ رَبِيْعَة تكْسِرُ هذه الهاءَ مطلقًا، فيقولون في (منْهُم): منْهِم[4]، قال سِيْبَوَيْهِ: ((واعلَمْ أنَّ قومًا مِن رَبِيْعَة يقولون: منْهِم أتبعوها الكسرة، ولم يكنْ المسَكّنُ حاجزًا حصينًا عندهم، وهذه لُغَة رديئة))[5]، ونَسَبَ أبو علي[6] هذه اللُغَة إلى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وحكى عن أبي زيدٍ أنَّ رجلًا مِن بَنِيْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ قال: أخَذْتُ هذا مِنْه و منْهِما ومنْهِمِي . وربما يكون السبب في ذلك أنَّ هذه القَبِيْلَة كانت تسْكُنُ جنوبَ العراق فتأثرَتْ بالآراميةِ و العبريَّةِ[7] . وتُعْرَفُ هذه الظاهرةُ عند علماءِ العرب بالوهم[8] .

وورد أنَّ الحِجَازِيّيْن والقرشيين يضُمُّون الهاء[9] إذا وقعَتْ بعد ياءٍ ساكنةٍ أو كسرةٍ، وقد قُرِئ على هذه اللُغَة قوله تَعَالَىٰ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[10] وهي قراءة حمزة[11] في (عليهم) و (لديْهُم) و(إليْهُم) والكِسَائي مِن السبعة[12] . وحُجّتُهُم أنَّ ضَمّ الهاء هو الأصل[13] فلا اعتبار بما قبلها ولا ما بعدها .

---

[1] البقرة من الآية/٦١، آل عمران/١١٢

[2] القصص من الآية/٢٣

[3] ينظر: الحجة للقراء السبعة للفارسي ٥٨/١

[4] ينظر: معالم اللَهْجَات العَرَبِيَّة ص: ٩٣

[5] الكتاب ١٩٦/٤

[6] ينظر: الحجة في القراءات السبع ٥٨/١

[7] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في معاني القُرْآن للفراء ص/٢٥٩، واللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية ص: ١٦٦

[8] ينظر: المَزْهَر ١٧٦/١

[9] ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص: ١٥١

[10] سورة الفاتحة من الآية/ ٧

[11] ينظر: الحجة للقراء السبعة الفارسي ٥٨/١

[12] ينظر: السبعة في القراءات ابن مجاهد ص/١٠٩

[13] ينظر: الحجة للفارسي ٦٠/١

ويذْكُرُ أبو علي[1] أنَّ أهلَ الحِجَازِ وقُرَيْشًا ومَن حولَهم مِن فصحاءِ اليمن يضُمُّون الهاء ويصِلُونَها بالميم المُتَّصِلةِ بالواوِ، فيقولون في (منهم): منهُمُو . وقد قرأ ابنُ أبي إسحاقٍ[2] على هذه اللُغَة الآية الكريمة السابقة ((أَنْعَمْتَ عليْهِمُ)) .

وقد تكَرَّرَ هاءُ الغِيْبةِ في القُرْآن الكريم باختلافِ أحوالِها وتعدد لُغَاتها ؛ لذلك عَقَدَ لها العُكْبُرِيّ[3] فصْلًا خاصًّا فصّلَ فيه هذه اللُغَات مِن غير أنْ ينسبَها . وعلى كلٍّ فالتغييراتُ الصوتية والاختلافات اللهجيّة التي تصاحبُ هاء الضَمِيْرِ المُتَّصِلِ للمفرد أو المُثَنَّى أو الجَمْع، للمذكر أو المُؤَنّث . هذه الصورُ الصوتية قد أفردَ لها علماءُ القراءات والتجويد والأصوات مباحث خاصة مستقلة تغنينا عن التفصيل فيها .

٦. واو الجماعة وياء المخاطبة[4].

بعض القَبَائِل العَرَبِيَّة تُسْقِطُ الضَمِيْرَ واوَ الجَمَاعَة المُتَّصِلِ بالفعل الماضي وتكتفي بالضمة، فيقولون في: ضربوا "ضربُ"، وفي: قالوا "قالُ" . وأنشد الفَرّاء[5]:[من الوافر]

إذا مَا **شَاءُ** ضَرُّوْا مَنْ أرَادُوْا ... ولا يَألوا لَهُمْ أحَدٌ ضِرَارا

يريد: شاءُوا، وأنشد الكِسَائي: [من البسيط]

مَتَى **تقولُ** خلَتْ مِن أهْلِها الدَّارُ ... كأنَّهُم بِجَنَاحَيْ طائرٍ طاروا

يريد: تقولوا: وجاء في الخزانة[6]:[من الوافر]

فلَو أنَّ الأطِبَّا **كَانُ** عندي ... وكانَ مَعَ الأطِبَّاء الأسُاةُ

وورد في الهَمْع[7]:[مشطور الكامل]

---

[1] ينظر: الحجة للقراء السبعة الفارسي ٦٠/١، والحجة في القراءات السبع أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه(ت:٣٧٠هـ) تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم ٦٣/١، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم الطبعة الرابعة: ١٤٠١ هـ، دار الشروق – بيروت.

[2] ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ابن جني ٤٤/١

[3] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكْبُرِيّ تحقيق: محمد علي البجاوي ١١/١-١٢، د.ت د.ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

[4] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المسألة(٦):حذف ضمير الفاعل الواو أو الياء والاجتزاء بالضمة.

[5] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩٠/١.

[6] ينظر: خزانة الأدب ٣٨٥/٢

[7] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٢٢٩/١.

هَلِعٌ إذا مَا الناسُ **جَاْعُ** وأجْدَبُوا

وعزاها الفَرّاء إلى هَوَازِن وعليا قيس[1] .وأكد سِيْبَوَيْهِ أن الحذف كان عند ناس كثير من قيس وأسَد، ويظهر أنه كان في مناطق شاسعة ؛ لأن قيس كانت تتناثر ديارها بين نجد والحِجَاز[2]، ولعل هذا سببه الاجتزاء بالحركات عند النطق؛ فقد سمع سِيْبَوَيْهِ[3] منهم من ينشد:[من البسيط]

لا يُبْعِدُ الله أصْحَابًا تَرَكْتُهُمُ ... لم أدْرِ بعد غَداةِ البَيْنِ ما صنعُ

يريد: صنعوا. وقال:[من البسيط]

لو ساوَفَتْنَا بسَوْفٍ مِن تَحِيَّتِهَا ... سَوْفَ العَيُوفِ لَراحَ الركْبُ قد قَنِعُ

يريد: قنعوا. وقال:[من البسيط]

طافت بأَعْلاقِه خودٌ يمانيةٌ ... تَدْعُو العَرانِينَ مِن بكرٍ وما جَمَعُ

يريد: جمعوا وقال ابن مقبلٍ:[من الطويل]

جَزَيْتُ ابنَ أرْوَى بالمدِينة قَرضَهُ ... وقلتُ لشُفّاعِ المدينة أوْجِفُ

يريد: أوجفوا .

وكما حذفوا واو الجماعة، فكذلك حذفوا ياء المخاطبة، أنشد سِيْبَوَيْهِ لعنترة:[من الكامل]

يا دارَ عَبْلَة بالجَوَاء تَكَلَّمِ ... وعِمِيْ صباحًا دارَ عبلة واسْلَمِي

يريد: تكلمي. وقال الخرز بن لوذان:[من الكامل]

كَذَبَ العَتِيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ ... إنْ كَنْتِ سائِلَتي غَبُوقًا فاذْهَبِ

يريد: فاذهبي.

القَاعِدَةُ مستقِرَّةٌ في بابِ الضَّمَائِر وهي عُمُومُ البناءِ، وإنْ كانَ ثمَّة اختلافٌ ففي الحركةِ وكَيْفِيّة النطْقِ بها . حَيْثُ تتعَدّد اللُغَاتُ في كَيْفِيّة نُطْقِ الضَمِيْرِ، فنجِدُ أنَّ ضَمِيْرَ الغائبِ المُتَّصِلَ يَبْنِيْه الحِجَازيون على الضَّمِ مطلقًا على الأصْلِ، في حين أنَّ القَاعِدَةَ أنَّه يُبْنَى على الكَسْرِ إنْ

[1] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩١/١.

[2] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة للجندي ص: ٦٨٨.

[3] ينظر: الكتاب ٢١١/٤ – ٢١٣

تَقَدَّمَه كَسْرٌ أو ياءٌ وهي لُغَةُ تَمِيْمٍ وعليه جُمْهُورُ النُّحَاةِ، ويُبْنَى على السكونِ في لُغَةِ أَزْدِ السَّرَاةِ وعُقيلٍ . والمشْهُوْرُ في ضَمِيْرِ الغائبِ أو الغائبة المُنْفَصِلِ أنْ يُبْنَى على الفتح، وتُسَكّنُ الواوُ والياءُ في لُغَة قيْسٍ وأسَد وتَمِيْمٍ، وربَّما حُذِفتا عند بعض قيْسٍ وأسَدٍ، وتُشَدّدُ الياءُ والواوُ في لُغَةِ هَمْدان . وضَمِيْرُ جمْعِ الغائبين المُنْفَصِلُ يُبْنَى على السكونِ على اللُغَةِ المشْهُوْرةِ، وتَنْطُقُه بالواو بنو سُلَيْمٍ، ويُبْنَى على الكَسْرِ عند هُذَيْلٍ . وفي ميم الجَمْع أربَعُ لُغَاتٍ: الإسْكانُ، والضَّمُ بإشباعٍ وباختلاسٍ، والضَّمُ قبلَ همزةِ قطْعٍ، ولُغَة الإسْكانِ قبْلَ غيرها. فإنْ وَلِيَها ضَمِيْرٌ مُتَّصِلٌ فالضَّمُ أشْهَرُ وأكثرُ استعمالًا، وإنْ ورد الإسْكانُ في القراءاتِ الشاذةِ؛ لأنَّ الأصْلَ في ضَمِيْرِ الجَمْع الإشباعُ بالواو، والإسْكانُ أحسنُ إنْ لم يلِها ضَمِيْرٌ مُتَّصِلٌ تخفيفًا.

أمَّا ضَمِيْرُ المُتَكَلّم فغريْبٌ حقًا أنْ تثْبِتَ تَمِيْمٌ ألفَهُ ؛ وهي التي تميْلُ إلى الحذفِ والخفّةِ، ويحذفُها الحِجَازيون[1] . وفي كلتا الحالتين يبقى على قاعدته العامَّةِ وهي البناءُ . وأنَّ حُكْمَ البَصْرِيِيْنَ على إثباتِ الألفِ مِن ضَمِيْرِ المُتَكَلّم بالضَّعْفِ والشذوذِ فيه نَظَرٌ ؛ فقد ورَدَتْ فيه لُغَاتٌ اشتَهَرتْ بالفَصَاحَة كتَمِيْم وبعض قيس ورَبِيْعَة، وفيها قراءةٌ تدعَمُها، وتمَسُّكُ الكُوْفِيّيْنَ بهذه اللُغَةِ شاهدُ صِدْقٍ على فصاحتها، وكثرةِ شَوَاهِدِها أخرجِها من باب الضَّعْفِ والضَرُورَةِ الشّعْرِيّة .

وفي كافِ الخطابِ لغتان: لُغَة الضَّمِ وهي الأصْلُ والمشْهُوْرةُ، ولُغَةُ الكسْرِ اتّباعًا، وهي لَهْجَةٌ رديئةٌ ليس لها حظٌ مِن الاستعمالِ والشيوعِ، ولم يسَجّلْها لنا القُرْآن في قراءةٍ متواترةٍ أو شاذةٍ؛ ومِن ثَم فاللغتان لا تمثلان قاعدتين نحويتين عند النُّحَاة.

إنَّ الضَّمَائِر ذاتُ تلوّنَاتٍ صوتيةٍ وتغيُّراتٍ لَهَجيّةٍ كثيرة ؛ كونُها أكثرُ عُرْضَة في الكلام، وهي ممَّا لا يمكنُ أنْ يستغنِيَ عنه الفردُ في أثناءِ حديثِهِ ويكرّرُها بكثرةٍ في ممارسةِ الكلام اليومي . فهي مَدْعَاةٌ لكثيرٍ مِن ألوانِ التغيراتِ اللَّهَجيّة والصوتية . وهي أقربُ إلى الظواهرِ الصوتيةِ منها إلى الظواهرِ النَّحْويّة . ورغم هذه التلَوّناتِ الصوتية واللُغَات المتعدّدَة بقيت قَاعِدَةُ البناءِ ثابتةً ومستقرةً، لم تؤثرْ فيها هذه التغيراتُ المذكورةُ . وتفسيرُها جميعًا تفسيرًا صوتيًا تكشفه لنا ظاهرتا المُمَاثلةِ والمُخالفةِ بهدفِ التخفيفِ في اللسَان العربيّ .

[1] ينظر: اللَهْجَات في القُرْآن للراجحي

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْأَلَة (٢): ضَمِيْر الفَصْل

له أكثرُ مِن مصطَلَحٍ كالفَصْلِ والعِمَادِ والدَّعامَةِ والصِّفةِ، وهو يشْبِهُ الحَرْفَ، لكنَّه اسمٌ، وهو يقعُ بلفظِ المَرْفُوعِ المُنْفَصِلِ مُطَابِقًا لمَا قَبْلَهُ في الإفرادِ والتثنيَةِ والجَمْع والتذكيرِ والتأنيثِ والتكلُّمِ والخِطابِ والغَيْبَةِ . يأتي في العَرَبِيَّة للتأكيد ولا يكون له محل من الإعْرَاب، ولكنَّ هناك لُغَاتٍ تَجْعَلُ لهُ مَحَلًا مِن الإعْرَابِ .

ضَمِيْرُ الفَصْلِ هو ضَمِيْرٌ مَرْفُوعٌ يقعُ بين ركني جُمْلَة اسْمِيَّة أو ما أصله جُمْلَة اسْمِيَّة، واشتَرَطَ الجُمْهُورُ له أنْ يكونَ مَرْفُوعًا، وأنْ يكونَ الأولُ معرفةً، وأما الثاني فمعرفة أو كالمعرفة في أنَّهُ لا يقبلُ (أَلْ)، وأنْ يطابقَ ما قَبْلهُ في الجِنْسِ والعَدَدِ والرتبة . وأجاز الفَرّاءُ[١] والكِسَائيُّ[٢] دُخُوْلهُ على النكرةِ في قولِهِ تَعَالَىْ: ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾[٣] ومنَعَهُ الخَلِيْل وسِيْبَوَيْهِ[٤] وجُمْهُورُ النُّحَاةِ[٥] .

ويُسَمِّيْهُ البصريون فصلًا لأنَّه مهْمَلٌ، لا عَمَلَ له في ما بَعْدَهُ، فلا أثَرَ إعرابيًا لهُ في الجُمْلَةِ ؛ وإنَّما يؤتَى به لتبيين أنَّ ما بعْدَهُ خَبَرٌ لا نَعْتٌ نحو: زيدٌ هو الفاضلُ . ويُسَمِّيْهُ الكوفيون عِمَادًا لأنه يُعْتَمَدُ عليه معنى الكلام[٦]، ويؤدِّي وظيفة دلالية في الجُمْلَةِ هي توكيدُ المعنى ؛ ولهذا سَمَّاهُ بعض الكُوْفِيِّيْنَ دَعَامَة[٧] ؛ لأنَّه يَدْعَمُ الكلامَ أيْ يُقَوِّيْه[٨]، وبعضُ المتأخرين يُسَمِّيْهُ صِفة،، وذَكَرَ البيانيون في بَحْثِ المسْنَدِ إليه أنه يفيد الحَصْرَ والاختصاص[٩].

---

[١] ينظر: معاني الفَرّاء ١١٣/٢

[٢] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٢٢/٣ – ٢٢٣

[٣] النحل، الآية: ٩٢، وذكر الخلاف في سورة البقرة الآية/٨٥.

[٤] ينظر: الكتاب ٣٩٤/١

[٥] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٨٦/٢ ,و شرح الن يعيش ١١١/٣، وشرح التسهيل لابن مالك ١٨٦/١، ومغني اللبيب ص:٦٤٢، والجامع الصغير في النحو ص:٢٢

[٦] ينظر: مغني اللبيب ص: ٦٤٤

[٧] ينظر: الإنصاف ٧٠٦/٢ المَسْأَلَة(١٠٠)، والأصول ابن السّرَّاْج ١٢٥/٢،والتذييل والتكميل ٢٨٧/٢/،ومعاني القُرْآن للفراء ١٨٤/٢

[٨] ينظر: مغني اللبيب ص: ٦٤٥

[٩] ينظر: معترك الأقران في إعجاز القُرْآن جلال الدين السَّيُوطِي ١٤٠/١ الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

لُغَة قُرَيْشٍ تَجْعَلُ ضَمِيْرَ الفَصْلِ كالزائد، أما تَمِيْمٌ[1] فتجعله مبتدأ وما بعده خبرًا مُطْلَقًا . وقد ورد في القراءاتِ المتواترةِ مُهْمَلًا على لُغَةِ الحِجَازِ، كَقَوْلِه تَعَالَىْ: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[2] وقوله ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[3] .

ناقَشَ النُّحَاةُ المفسرون هذه المَسْأَلَةَ عند تفسيرِ قولِهِ تَعَالَىْ: ﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4] وقوله تَعَالَىْ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[5] وقوله تَعَالَىْ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[6]، وذكروا أنَّ تَمِيْمًا يُعْمِلون هذا الضَمِيْرَ في ما بعده، فيكونَ له مَحَلٌ مِن الإِعْرَابِ، إمّا على الابتداء وإمّا على الخبر، ويقوّيْ ذلك ما جاء على لُغَةِ تَمِيْمٍ في الشواذ[7] مِن قراءة ابنِ مَسْعُوْدٍ، وأبي زيد[8] قوله تَعَالَىْ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[9]، وكذلك قوله تَعَالَىْ ﴿إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾[10] قرَأ الجُمْهُورُ بنصْبِ (الحق)، وقرأ الأَعْمَش وزيدُ بنُ علي (الحقُ) بالرفع[11]، وقرأ الجُمْهُورُ: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[12] بنصب (خيرًا وأعظمَ) وقرأ عيسى بنُ عمر و أبو السَّمَّال[13] وابنَ السميفع[14] (هو خيرٌ وأعظمُ) بالرفع فيهما[15]،

---

[1] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٥٤٣/٢، والبحر المحيط ٢٤٩/٧

[2] الصافات/١١٦

[3] المائدة من الآية/ ١١٧

[4] الأنفال من الآية/٣٢

[5] الزخرف من الآية/٧٦.

[6] المزمل من الآية/٢٠

[7] ينظر: الكتاب ٣٩٣/٢، ومعاني القُرْآن للأخفش ٣٢١/٢، ومعاني الفَرّاء ٢٧١/٣، والمحرر الوجيز ٥٧/٥.

[8] ينظر: البحر المحيط ٢٧/٨

[9] الزخرف من الآية/٧٦.

[10] الأنفال من الآية/٣٢

[11] ينظر: البحر المحيط ٤٨٨/٤

[12] المزمل من الآية/٢٠

[13] **أبو السَّمَّال:** هو قنعب بن أبي قنعب أبو السَّمَّال البصري، له اختيار في القراءة، شاذ عن العامة [غاية النِهَايَة ٢٧/٢].

[14] **ابن السميفع:** هو محمد بن عبد الرحمن بن السميفع أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة [غاية النِهَايَة ١٦١/٢]

[15] ينظر: إعراب القراءات الشواذ ١٨/٢، ٦٣٧، والبحر المحيط ٣٦٧/٨، وروح المعاني ٣٥٣/١٥ .

وقوله تَعَالَىٰ ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[1] قرأ الجُمْهُورُ (الحقَّ) بالنصب وقرأ ابنُ أبي عبلة[2] بالرفع[3] .

قال سِيْبَوَيْهِ: ((وقد جعل ناسٌ كثيرٌ مِن العربِ هو وأخواتَها في هذا البابِ بمنزلة اسمٍ مبتدأ وما بعده مبني عليه، فكأنَّكَ تقول: أظنُّ زيدًا أبوه خيرٌ منه، ووجدتُ عمرًا أخوه خيرٌ منه. فمِن ذلك أنه بلَغَنَا أنَّ رؤبة كان يقول: أظنُّ زيدًا هو خيرٌ منك. وحدثنا عيسى أنَّ ناسًا كثيرًا يقرؤونها: ﴿وَمَا ظَلَمنْاهُمْ وَلَكِنْ كَانوا هُمُ الظَّالِمُونَ﴾))[4] .

حَيْثُ جاءتِ القراءاتُ السابقة موافقة للَهْجَةِ كبرى القَبَائِل العَرَبِيَّة في إعمالِ الضَمِيْرِ الذي يُطْلِقُ عليه النحويون فصْلًا، وقد نَصَّ غيرُ واحدٍ مِن النَّحْوِيِّيْنَ والمفسرين على إعْمَاله في لَهْجَةِ تَمِيْم[5]، وذكروا شَوَاهِدَ منها قولُ قيسِ بنِ ذُرَيح[6]: (من الطويل)

تَحُنّ إلى ليلَىْ وَأنْتَ تَرَكتَهَا **** وكُنْتَ عليها بالمَلَاْ أنت أَقْدَرُ

مِن النصوصِ السالفِ ذِكْرُها نرى أنَّ جَعْلَ بَنِيْ تَمِيْم الفَصْلَ عندهم مَرْفُوعًا وإلزامَهُ ذلك ملائمًا لِمَا هو معهودٌ في لغتهم مِن الرفع في كثيرٍ مِن الظواهر اللُغَوِيّةِ مِثْلِ رَفْعِ خبرِ (ما) المنصوبِ عند الحِجَاْزِيِّيْن، وإتْبَاعِ الاسم المستثنى بإلا لِمَا قَبْلَه، بينما الحِجَازيون ينصبونه على الاستثناء . فالمَيْلُ إلى الرفع مِن سِمَة لُغَةِ البدْوِ، أمَّا الرفعُ والإعْمَالُ فلُغَة جُمْهُور تَمِيْم، وقد حَكَمَ ابنُ هِشَامٍ على لُغَة تَمِيْم بالضعف[7].

ويلاحِظُ الباحثُ بعضَ الاضْطِرَاب في قَبِيْلَة تَمِيْمٍ أثناءَ استعمالهم لضَمِيْرِ الفَصْلِ، فمنهم مَن يُعْرِبُهُ الإعْرَابَ المنقولَ عنهم، ومنهم مَن يخالفُ لُغَة قومه فيجعله فصْلًا، فقد ورد في بعض أشعار التَمِيْمِيِّيْن إهمالُهُ كَقَوْلِ جرير: (من الوافر)

وَكَائِنْ بِالأباطِحِ مِنْ صَدِيْقٍ ... يَرَانِيْ لَوْ أُصِبْتُ هُوَ المُصَابَا

---

[1] سبأ/٦

[2] هو شمر بن يقضان بن المرتحل، من كبار التابعين، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة [غاية النِهَايَة ١٩/١]

[3] ينظر: البحر المحيط ٢٥٩/٧

[4] الكتاب ٣٩٣/٢

[5] ينظر: معاني القُرْآن للأخفش ٣٤٨/١، وإعراب القُرْآن للنحاس ٩٦/٢.

[6] ورواية الأغاني ٣٦٧/٨: أتبكي على لبنى ...

[7] ينظر: مغني اللبيب ٦٣٧/٢، والدر المصون ٥٣١/١٠، والهَمْع ٢٤١/١.

وفسَّرَ بعضُ الباحثين[1] أنَّ هذا تأثّرٌ بما يسمعُهُ الشاعرُ مِن لَهْجَاتٍ أخرى عند نزولِهم إلى الحاضرة، فهذا بِحُكْمِ تَجَاورِهم مع القَبَائِل التي تَجْعلُ هذا الضَمِيْرَ فصْلًا بحَيْثُ أَخَذَتْ لُغَة هذا البعضِ كما رُوِيَ طَوْرًا آخر غيرَ طوْرِ رفع هذا الضَمِيْرِ وإعْمَاله .

أكثرُ النُّحَاةِ يذهبون إلى أنه حرفٌ[2]. ثم هو ضَمِيْرٌ باقٍ على اسْمِيَّتِه[3] . فكيفَ يكونُ حرفًا مِن حَيْثُ هو ضَمِيْرٌ، واسمًا مِن حَيْثُ هو حَرْفٌ، وقد أَقْسَمَ الخَلِيْل على هذا التناقض فقال: ((والله إنه لعظيمٌ جعلهم "هو" فصلًا في المعرفة))[4] . والذي دَفَعَ البَصْرِيِيْنَ إلى القَولِ بحَرْفيتهِ هو تَحَكّمُ قواعدِهم فيه ؛ لأنّه لا يُسْتَسَاغ أنْ يُجْعلَ تابعًا ولا مستقلًا، إذْ لو كانَ له إعرابٌ فإمّا أنْ يكونَ تابعًا أو مستقلًا، وكلاهما غيرُ مستقيمٍ في نظرهم ؛ أمَّا التبعيةُ فهي باطلةٌ، لأنّه قد لا يطابقُ الأولَ في إعرابه نحو: ظننتُ زيدًا هو القائم،ولا يجوزُ أنْ يكونَ مستقلًا غيرَ تابع ؛ لأنه يَلْزَمُ أنْ يكونَ مبتدأ وهذا يخالفُ قاعدتهم .

والقائلون باسميته اختلفوا، هلْ له محلٌ مِن الإعْرَابِ أَمْ لا؟ على ثلاثةِ أقوال[5]:

الأول: أنَّهُ اسمٌ ولكنْ لا محَلَّ له مِن الإعْرَابِ ونُسِبَ القولُ للبصريين والخَلِيْل[6] .

الثاني: أنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ ما بعدَه أيْ: له موضِعٌ مِن الإعْرَابِ وهذا رأيُ الكِسَائيّ .

الثالث: أنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ ما قبله على التبعية وهو قولُ الفَرّاء [7] وتابَعَهُ ثَعْلَبٌ[8] لأنَّ الضَمِيْرَ جاء مؤكِّدًا لِمَا قبله فيجب أنْ يكونَ تابعًا لِمَا قبله فيعْرَبُ بدلًا، أوعَطْفَ بيانٍ أو توكيدًا .

يرى الباحث أنَّ في هذا الضَمِيْرِ جُمْلَة مِن الإشكالات النَّحْويّة: ما بين الاسْمِيَّةِ والحَرْفِيَّة، أو اختلافِ الإعْرَابِ، أو إشْكالِيّة المصطلحِ، أو تَعَدُّدِ الاستعمالِ اللُغَوِيّ . ولعلَّ مصطلح الفَصْلِ الذي استعمَلَهُ البصريون أقربُ إلى الوظيفةِ الشكليةِ النَّحْويّةِ، في حينِ أنَّ مصطلَحَ العِمَادِ الكوفيّ أكثرُ توفيقًا في خِدْمةِ الدلالةِ التوكيديةِ في سياق الجُمْلَةِ العَرَبِيَّة . وفي رأيي أنَّ مصطلَحَ الفَصْلِ

---

[1] ينظر: اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص:١٩٥ رسالة تقدمت بها الطالبة دينا محمد بن حمود الحارثي إلى كلية اللُغَة العَرَبِيَّة – جامعة أم القري للحصول على درجة الماجستير في اللغة والنحو والصَّرْف، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

[2] ينظر: الارتشاف ٤٨٩/١، و شرح جمل الزَّجَّاجي ابن عصفور ٦٥/٢

[3] ينظر: الارتشاف ٤٨٩/١

[4] الكتاب ٣٩٦/٢

[5] ينظر: ارتشاف الضرب ٤٩٤/١ ـ ٤٩٥

[6] ينظر: شرح الكافية للرضي ٦٦/٣

[7] ينظر: الإنصاف ٧٠٦/٢

[8] ينظر: مجالس ثعلب ص:١٣٣

لا يَصُبُّ أبدًا في سياق المعنى بل هو يتماشى مع القَاعِدَةِ النَّحْويّةِ التي كانتْ هَمّ البَصْرِيِيْنَ وشُغْلَهُم الشاغِلَ . ذلك أنَّ هذا الضَمِيْرَ له وظيفةٌ مُحَدّدةٌ في الكلام هي إعلامُ السامعَ بأنَّ ما بَعْدَه خَبَرٌ لا نَعْتٌ مع التوكيدِ والاختصاصِ، أيْ: له دورٌ دلاليٌ وموقعٌ وظيفيُ، وقد كان الكوفيون أقْرَبَ إلى وَصْفِ الحقيقةِ اللُغَوِيّةِ عندما أَطْلَقوا عليه مصطلَحَ العِمَادِ، أمَّا أهْلُ البصرة فقد راعوا فيه الجانبَ الشَّكْلِيَّ وهو فَصْلُهُ بين المبتدإ والخبر[1] .

وواضِحٌ أيْضًا أنَّ لُغَةَ الإهْمَالِ هي الأكْثرُ شُيُوعًا في العَرَبِيَّة ؛ إذْ لمْ يختلفْ فيها القرّاءُ السبعةُ، وأنَّ الذين قرؤوا بلُغَةِ الإعْمَالِ هُمْ أصحابُ القراءاتِ الشاذة . ومِن خلالِ الشَوَاهِدِ التي ذَكَرَها سِيْبَوَيْهِ وغيرُه يتبيّنُ لنا أنَّ هذه اللُغَة كانتْ واسعة الانتشار، لكنَّها لمْ تَحْظَ بالمَنْزِلةِ التي حَظِيَتْ بها لُغَةُ الإهْمالِ[2] . ولا نستطيعُ أنْ نَنْسِبَ لُغَة الإهْمالِ إلى الحِجَازِيّيْن فقط ؛ إذ يبدو أنّه كان شائعًا عند (غير) بَنِيْ تَمِيْم[3]، ولا أنْ نَنْسِبَ لُغَة الإعْمالِ إلى التَمِيْمِيِّيْن؛ إذ وَرَدَتْ لبعض شعرائهم شَوَاهِدٌ على لُغَةِ الحِجَازِيّيْن . ومهما يَكُنْ مِن شيءٍ فلُغَة الإعْمال سَمِعْتُ عن كثيرٍ مِن العرب، ونَقَلَها لنا سِيْبَوَيْهِ وقُرِئ بها العديدُ مِن الآياتِ القُرْآنيةِ .

---

[1] ينظر: الاختيارات النحوية لأبي حيان في "ارتشاف الضرب" دراسة وتحليل د/أيوب جرجيس القيسي ص:٨١، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤م، دار الإيمان–الإسكندرية، و أبحاث نحوية ولُغَوِيّة د. نادية رمضان النجار ص:٣٦ الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

[2] ينظر: لُغَات القَبَائِل في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه د. إسماعيل محمود منيزل القيام ص: ٥٧ الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م – دار الحامد.

[3] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. الراجحي ص: ١٨٤

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المسألة (٣): الأَسْمَاءالمَوْصُوْلة

المَوْصُوْلُ الاسميّ هو كلُّ اسمٍ افتقرَ إلى جُمْلَة خبريةٍ بعده توضّحُ معناه تسمّى جُمْلَة الصّلةِ، أو جارّ ومجرورٍ تامّيْنِ، أو وصفٍ صريحٍ . ويُشْتَرَطُ في جُمْلَة الصّلةِ أنْ تشتملَ على عائدٍ يعودُ على المَوْصُوْلِ .

الذي و التي:

(الذي) للمفردِ المذكّرِ عاقلًا أو غيرَ عاقلٍ، و(التي) للمفردةِ المُؤَنّثةِ أو لجمعِ غيرِ العاقلِ . وفي (الذي) أربعُ لُغَات:

الأولى: إثباتُ الياءِ ساكنةً، وهي الأصلُ[١] والأفْصَحُ[٢]، ولِشُهْرتِها لا تحتاجُ إلى دليلٍ[٣] .

الثانية: حذْفُ الياءِ للتخفيفِ اجتزاءً بالكَسْرةِ التي قبلَهَا، فقالوا: (اللذِ، واللّتِ)، قال الشاعرُ[٤]:[من الكامل]

شُغفَتْ بكَ اللّتِ تيَّمتْكَ فمثلُ ما بكَ ما بها من لوعةٍ وغرامِ

الثالثة: نفْسُ اللُغَة الثانيةِ ولكنّهم لمّا حَذَفوا الياءَ اجتزاءً بالكسرةِ أسْكَنُوا الذالَ للوقفِ فقالوا (اللذْ)، كَقَوْلِ الشاعرِ[٥]: [من الطويل]

فلم أَرَ بيتًا كانَ أحسنَ بهجةً ... من اللَّذْ لَهُ من آلِ عَزَّةَ عامرُ

الرابعة: تشديدُ الياءِ من (الذيّ) وهي لُغَة طَيِّئ، حَيْثُ ظهرتْ عليها الحركاتُ، فمِنْ تشديدِها مكسورةً، قولُ الشاعرِ[٦]:[من الوافر]

وَلَيْسَ المَالُ فاعْلَمْهُ بِمالٍ ... منَ الأَقْوامِ إلَّا لِلَّذيَّ

---

[١] ينظر: الهَمْع ٣٢٠/١

[٢] ينظر: الإنصاف ٦٧٥/٢

[٣] ينظر: شرح جمل الزَّجَّاجي ابن عصفور ١٧١/١

[٤] غير منسوب في هَمْع الهَوَامِعِ ٣٢١/١.

[٥] غير منسوب في الإنصاف ٥٥٢/٢، وهَمْع الهَوَامِعِ ٣٢٠/١.

[٦] لا يُعرفُ قائلهما ينظر: الإنصاف ٥٥٥/٢، وخزانة أدب ٥٠٤/٥، ٥٠٥، وهَمْع الهَوَامِعِ ٣٢٠/١، ويروى (ينال به العلاء ويصطفيه).

يُرِيدُ به العَلَاءَ وَيَمْتَهِنْهُ ... لأَقْرَب أَقْرَبِيه وَلِلْقَصِيَّ

ومِنْ تشديدِها مضمومةً قولُ آخرَ[1]:[من الخفيف]

أَغْضِ مَا اسْطَعْتَ فالكَرِيمُ الَّذِيّ ... يَأْلَفُ الحِلْمَ إِنْ جَفَاهُ بَذِيُّ

وظاهرُ كلام ابنِ مالكٍ أنَّهما مبنيان[2]، ولا حُجّةَ في هذه الروايةِ على البناءِ ؛ إذ يحتملان الإِعْرَابَ، وزعمَ أبو موسى الجَزْوَلِيّ[3](ت:٦١٠هـ) أنَّ الياء تجري بوجوه الإِعْرَابِ الثلاثة[4] . ونَفَى الرّضِيُّ (ت:٦٨٦هـ) إعرابَها مُشَدَّدَةً بِحُجَّةِ أنَّ التشديدَ لا يُوْجِبُ الإِعْرَابَ[5]، وقد سُمِعَ التشديدُ في (الذي) ولم يُسْمَعْ في (التي)[6]، وإنَّما قاسَهُ بعضُ النُّحَاةِ على (الذي)، ومَن تَعَرَّضَ لِحَصْرِ لغاتِ "التي" كالدَّيْنَوَرِي في "المهَذَّب"، والهَرَويّ في "الأزْهِيَة"، والجَوْهَريّ في "الصحاح"– لم يذكروا ذلك في كتبهم[7].

ورأى بعضُهم أنَّ هذه الحالاتِ المذكورةِ مِن قَبِيلِ الضَّرُوْرَاتِ الشّعْرِيّة، ورُدّ بأنَّ أئمة العَرَبِيَّة نقلوا ذلك على كوْنِها لُغَاتٍ منقولةً عن العرب جاريةً في سِعَة الكلام[8] . وسُمِعَ مِن العرب مَن يقول: (اللذيُّونَ) و (اللذيَّانِ) .

اللذان و اللتان

مُثَنَّى (الذي والتي)، وكان القياسُ أنْ يقال: (اللذِيَانِ واللتِيَانِ)، كما يقال: "القاضيان" في تثنية "القاضي" ؛ ولكنَّهم أحبُّوا أنْ يُفَرّقُوا بين تثنية المبني والمعرب . وفي نون (اللذان واللتان) ثلاثُ لُغَاتٍ:

الأولى: الإثباتُ خفيفةً مع الكسْرِ وهو الأكْثرُ، وهي لُغَة الحِجَازِ وأسَدٍ[9] وجُمْهُورِ العرب[10] .

---

[1] غير منسوب في هَمْع الهَوَامِعِ ٣٢٠/١.

[2] ينظر: التذييل والتكميل ٢١/٣

[3] **الجزولي**: هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي، لازم ابن بري فأخذ عنه النحو واللغة، وتصدر للإقراء بالمرية و الجزائر، توفي سنة ٦١٠هـ. له (المقدمة في النحو) و(شرح الإيضاح للفارسي) و(شرح قصيدة بانت سعاد) وغيرها.

[4] ينظر: الارتشاف ١٠٠٢/٢، والتذييل والتكميل ٢١/٣ – ٢٢

[5] ينظر: شرح الرضي على الكافية ١٧/٣ .

[6] ينظر: الارتشاف ١٠٠٢/٢

[7] ينظر: التذييل والتكميل ٢٢/٣

[8] ينظر: التذييل والتكميل ٢٥/٣، و ارتشاف الضرب ١٠٠٣/٢.

[9] ينظر: الارتشاف ٥٢٦/١

[10] ينظر: التصريح بمضمون التوضيح ١٠٠٣/٢

الثانية: التَّشْدِيْدُ مع الكسْرِ وهو كثيرٌ مع الألف عِوَضًا عن المحذوفِ نَصْبًا وجَرًّا، ونُسِبَ لتَمِيْم وقَيْسٍ وهُذَيْلٍ[1]، فتقول: (اللذانّ و اللتانّ)، وقُرِئ: ﴿وَاللَّذَانِّ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ ﴾[2] بالتشديد، ولا يجيز البصريون تشديدهما مع الياء، وأجازه الكوفيون وقرأ بعضهم به[3]: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْن أضلانا ﴾[4].
ومَذْهَبُ الكُوْفِيِّيْنَ هو الصَّحِيْحُ؛ لأنَّ السَّمَاع العربيَّ يؤيّدُهم ؛ فقد رُوِيَ في السَّبْعِ[5] أنَّ عبدُالله بنُ كثيرٍ كان يقرأ بتشديد النون في أحوال المُثَنَّى كلِّها في الإشارة والمَوْصُوْلِ، كما أنَّ تجويْزَ البَصْرِيِّيْنَ إحدى الحالتين ومَنْعَ الأخرى تَحَكّمٌ منهم[6] .
اللُغَة الثالثة: حَذْفُ النونِ، أجاز بنو الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ جميعًا، وبعضُ بَنِيْ رَبِيْعَة[7] حذْفَ نونِ (اللذانِ واللتان)؛ لأنَّ المَوْصُوْلَ لمَّا طالَ بالصِّلةِ والعائدِ أرادوا تقْصِيْرَه، لكونِ الصِّلة والمَوْصُوْلِ كالشيءِ الواحد[8]، قال الأخطل[9]: [الكامل]

أَبَنِيْ كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللّذَا ... قَتَلا المُلُوكَ وفَكَّكَا الأغْلَالَا

وقال آخر[10]: [من مشطور الرجز]

هُمَا اللّتَا لَو ولدت تَمِيْم

لَقِيْلَ فَخْرٌ لَهُمُ صَمِيْمُ

الذين واللذون

(الذين) اسمٌ مَوْصُوْلٌ لجماعةِ الذكورِ العقلاءِ، يَرِدُ في العَرَبِيَّة على أربع لُغَات:

---

[1] ينظر: البحر المحيط ١١٨/٧
[2] النساء من الآية/ ١٦
[3] قراءة عبد الله بن كثير المكي في الإقناع لابن الباذش ص: ٣٩١، وتقريب النشر لابن الجوزي ص: ١٠٤
[4] سورة فصلت من الآية/٣٩
[5] ينظر: السبعة في القراءات ابن مجاهد ص: ٢٢٩، وتقريب النشر ابن الجوزي ص: ١٠٤
[6] ينظر: تعليق الفرائد ١٨٧/٢
[7] ينظر: خزانة الأدب ٥٠٣/٢
[8] ينظر: شرح التصريح ١٣٢/١
[9] المفصل في صنعة الإعْرَاب محمود بن عمر الزمخشري تحقيق د. علي بو ملحم ص: ١٨٤، الطبعة الأولى ١٩٩٣م – دار الهلال – بيروت.
١٠ نسبهما العينيّ إلى الأخطل. قال البغدادي ١٤/٦: وقد فتّشت أنا ديوانه فلم أجده فيه. والله أعلم. وبلا نسبة في الأزهية ص ٣١٣، وأوضح المسالك ١٤١/١، وشرح الشَوَاهِد الكبرى ٤٢٥/١، والتصريح ١٣٢/١، والهَمْع ٤٩/١.

الأولى: هي المشْهُوْرةُ وبها نَزَلَ القُرْآن، فيكونُ على صورةٍ واحدةٍ لأنَّه مبنيٌّ ؛ فلا يتغيرُ في الرفع والنصب والجر، قال تَعَالَىْ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾[1]، ونحو قوله تَعَالَىْ ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [2] .

اللُغَة الثانية: (الذون) وإعرابُها إعرابُ جمْعِ المذكّرِ السَّالِم، بالواو رفعًا وبالياء نصبًا وجرًّا، ذَكَرَها سِيْبَوَيْهِ ولم يَعْزُها[3]، ونَقَلَها النحَّاسُ (ت:٣٣٨هـ) عن كِنَانَة[4] وفي موضْعٍ ثانٍ[5] نَسَبَها إلى هُذَيْلٍ . وإعرابُها مشْهُوْرٌ في لُغَةِ طيّء، قاله ابنُ مالكٍ[6] . قال المرادي[7] (ت:٧٤٩هـ) بلْ إعرابُها في لُغَة هُذَيْلٍ مشْهُوْرٌ[8]، وتابَعَهُ الرضي[9] وأبو حيان[10] . ونَقَلَ أبو زيدٍ(ت:٢١٥هـ) في نوادره أنَّها لُغَةُ بَنِيْ عُقَيْلٍ، يقولون: هُم اللذون[11] .قال ابنُ هِشَامٍ:هو لُغَة هُذَيْلٍ أو عُقَيلٍ[12]، وعبارتُه تُشِيْرُ للشكّ في نسبة اللُغَة، أمّا السَّيُوطِي (ت:٩١١هـ) فنَسَبَ الإعْرَابَ إلى القَبَائِل الثلاثِ فقال: ((وإعرابه لُغَة طَيِّئ وهُذَيْل وعُقيلٍ))[13] واستشهد له بقول الراجز[14]:

نَحْنُ الَّذُوْنَ صَبَّحُوا الصَبَاحا *** يَوْمَ النَّخِيْلِ غارةً مُلْحَـاحَا

ومنه قول بعضهم:[من الكامل]

---

[1] سبأ من الآية/٣٣

[2] الأنعام من الآية/٥٢

[3] ينظر: الكتاب ٤١١/١

٤ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٢١/١

٥ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٨٢/١

[6] ينظر: الارتشاف ١٠٠٤/٢

[7] **المرادي:** بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله ابن علي المرادي المغربي ثم المصري المالكي النحوي اللغوي المعروف بابن أم قاسم توفي سنة ٧٤٩هـ. له من الكتب (الجني الداني في حروف المعاني) و(شرح الاستعاذة والبسملة) و(شرح الألفية لابن مالك) و(شرح تسهيل الفوائد لابن مالك) و(شرح حرز الأماني للشاطبي) و(شرح المفصل للزمخشري). و(أم قاسم) التي ينسب إليها المرادي ليست جدته كما نبه ابن حجر، وإنما هي من بيت السلطان، تبنت المرادي فنسب إليها.

٨ ينظر: توضيح المقاصد والمسالك المرادي ٤٢٥/١

[9] ينظر: شرح الكافية الرضي ١٩/٣

[10] ينظر: البحر المحيط ١٢٦/١

١١ ينظر: النوادر في اللُغَة أبو زيد الأنصاري تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر أحمد ص: ٣١٧ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، دار الشروق.

[12] ينظر: أوضح المسالك ١٤٣/١

[13] هَمْع الهَوَامِع ٢٨٥/١

[14] نسبه أبو زيد في "نوادره: ص:٢٣٩ إلى رجل جاهلي من بني عقيل، سماه أبا حرب بن الأعلم، والرواية عنده " نحن الذين صبحوا.. "، ونسبه الصاغاني في "العباب" إلى ليلى الأخيلية، وهو في ديوانها ص: ٦١، ونسبه جماعة إلى رؤبة بن العجاج، وهو في ملحق ديوانه ص: ١٧٢.

وَبَنُوْ نُوَيْجِيَةَ الَّذُوْنَ كأنَّهُمْ *** مُعَطٌ مُخَرَّمَةٌ مِنَ الخُزَّانِ

ويبدو للباحث أنَّ مِن النُّحَاةِ مَن هو مُتَردِّدٌ في لُغَة الإعْرَابِ ؛ فلم يَعْزُها إلى قَبِيْلَة معيَّنةٍ كما فَعَلَ سِيْبَوَيْهِ[1]، وتابَعَه الزمخشري[2] وابنُ يعيشٍ[3] وابنُ عصفور(٦٦٩هـ)[4]، وممَّنْ شَكَّ في نسبتها ابنُ هِشَامٍ فأوْرَدَ عبارته بصِيْغَة التَّخْيير، فقال: ((وقد يقال بالواو رفعًا، وهو لُغَة هُذَيْلٍ أو عُقَيْلٍ))[5] وعلّقَ الشيخُ خالد[6](ت:٩٠٥هـ) عليه في التصْرِيْح فقال: ((وهي لُغَة هُذَيْل أو عقيل بالتصغير فيهما، وأو للشك))[7]، والأشْمُونِي[8](ت:٩٠٠هـ) في قوله: ((وبعضهم وهُمْ هُذَيْلٌ أو عُقَيْلٌ بالواو رفعًا))[9] وعلق الصبان (ت:١٢٠٦هـ) في حاشيته فقال: ((قوله: أو عُقَيْل كذا بالشك في التصريح أيضًا))[10] .

والتشكيك في نسبة اللُغَة لا يَنْفِيْ وجودَها إذ هو ثابتٌ بنُقُولِ العلماء والشَوَاهِد مِن كلام العرب الذين ينطقون بالإعْرَابِ وهم ليسوا بِقِلّةٍ في العدد[11]، وإنَّما معناهُ أنَّ لُغَة البناء أفْصَحُ وأشهَرُ وأكثَرُ[12]. وفيه دليلٌ على ثبوتِ قَاعِدَةِ البناء واستقرارها وعدم اضْطِرَابها . بل يقول بعض

---

[1] ينظر: الكتاب ٤١١/١

[2] ينظر: المفصل ص: ١٧٢

[3] ينظر: شرح ابن يعيش ١٤٢/٣

[4] ينظر: شرح الجمل ابن عصفور ١٧٢/١

[5] أوضح المسالك ١٤٣/١

[6] **الأزهري:** الشيخ خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأزهري المصري الشافعي ولد بمصر سنة ٨٣٨هـ، وأخذ النحو واللغة عن علمائها و بها توفي سنة ٩٠٥هـ.. له (شرح الأجرومية) و(شرح البردة) و(التصريح على التوضيح) و(المقدمة الأزهرية في علم العَرَبِيَّة) و(تمرين الطالب على صناعة الإعْرَاب) وغيرها. [ينظر: الضوء اللامع ١٧١/٣، و الأعلام ٢٧٩/٢]

[7] شرح التصريح بمضمون التوضيح ١٥٣/١

[8] **الأشْمُونِي:** هو علي بن محمد الأشْمُونِي المصري، ولد بالقاهرة سنة ٨٣٨هـ، نحوي من فقهاء الشافعية، ولي القضاء بدمياط، توفي سنة ٩٠٠ هـ، له(منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) و(الينبوع في شرح المجموع في فروع الفقه) و(منهاج الدين في شعب الإيمان).

[9] شرح الأشْمُونِي ١٨٢/١

[10] حاشية الصبان على شرح الأشْمُونِي ١٤٩/١

[11] ينظر: اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص: ٢٥٠.

[12] ينظر: شرح الجمل ابن عصفور ١٧١/١، وشرح ابن يعيش ١٤٣/٣.

النُّحَاة بالبناء مطلقًا، ويتأول ما ورد بالواو والنون على أنَّه مبنيٌّ جِيْءَ به على صورة المعرب[1]، فتبقى على الأصل وهو البناء . وتابعهم بعض المحدثين[2] .

اللُّغَة الثالثة: حَذْفُ النون، وهي لُغَةٌ عُزِيَتْ إلى بَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ و بعض رَبِيْعَة[3]، واستشهد له أبو العباس ثعلب[4](٢٩١هـ) بقول الحارثِ بنِ وعلة[5]: (من الطويل)

فإنْ ظَفَرَ القَوْمُ الذي أنْتَ فيهِمُ *** فآبُوا بِفَضْلٍ مِن سَنَاءٍ ومِنْ غُنْمِ

واستشهد له البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ) بقول الشاعر[6]:[من الطويل]

وإنَّ الذيْ حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ *** هُمُ القَوْمُ كُلَّ القَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

وفي لُغَةِ مَنْ جاء به بالواو قال الشاعر:[من البسيط]

نَحْنُ الَّذُوْ بِعُكَاظٍ طَيَّرُوا شَرَرَا ... مِنْ رُوْسِ قَوْمِكَ ضَرْبَـًا بالمَصَاقِيْلِ

علل البصريون[7] هذا الحذف أن المَوْصُوْل لما طال بالصلة والعائد أرادوا تقصيره؛ لكون الصلة والمَوْصُوْل كالشيء الواحد[8] فيصير (الذي) .

وقيل إنَّ حذْفَ النونِ ضَرُورَةٌ شعرية[1]، قال أبو حيان: وهذا مذهب فاسد ؛ لأن العلماء نقلوها لنا على أنَّها لُغَاتٍ[2]، فكيف يكون ضَرُورَة وقد ورد في القُرْآن، قال تَعَالَىْ ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي

---

[1] ينظر: حاشية الصبان على الأشْمُونِي ١٤٩/١، و حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٧٢/١

[2] ينظر: النحو الوافي د. عباس حسن ٣٤٦/١ الطبعة الخامسة عشرة،د.ت – دار المعارف، وينظر: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك بحاشيته تعليق للشيخ/محمد محي الدين عبد الحميد ١٤٤/١.

[3] ينظر: خزانة الأدب ٥٠٣/٢

[4] **ثعلب:** أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكُوْفِيِّيْنَ في النحو واللُّغَة.كان راوية للشعر، محدثا، مشْهُوْرا بالحفظ وصدق اللَّهْجَة، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد. وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة، فتوفي على الأثر. له (الفصيح) و (قواعد الشعر)، و (شرح ديوان زهير) و (شرح ديوان الأعشى) و (مجالس ثعلب) مجلدان، وسماه (المجالس) و (معاني القُرْآن) و (ما تلحن فيه العامة) و (معاني الشعر) و (الشواذ) و (إعراب القُرْآن) .

[5] ينظر: مجالس ثعلب أحمد بن يحيى ص: ٧٣

٦ ينسب للأشهب ابن زميلة في الكتاب ١٨٧/١، والحماسة البصرية ٢٦٩/١(ش/١٥٥)، والمؤتلف والمختلف للآمدي ص:٣٨، والبيان والتبيين ٢٨٠/٣، والخزانة ٢٥/٦(ش/٤٢٦). وزميلة – بالزاي وقيل الراء – أمّه، وأبوه ثور بن أبي حارثة.. غير منسوب في المغني ص: ٢٥٦، وشرح ابن يعيش ٣٩٤/٢، والهَمْع ١٩٢/١.وذكر السَّيُوطِي في شرحه شَوَاهِد المغني ٥٦٧/٢:أن أبا تمام نسبه لحريث بن مخفض في المختار من أشعار القَبَائِل.

[7] ينظر أمالي ابن الشجري أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت:٥٤٢هـ) ٥٥/٣ تحقيق د. محمود الطناحي الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/١٩٩١م، مكتبة الخانجي – القاهرة.

[8] ينظر: شرح التصريح ١٣٢/١

خَاضُوا﴾[٣] والمراد (الذين)[٤] لقوله: خاضوا[٥] . كما ورد في الفصيح أيضًا استعمالُ (الذي) مفردًا في لفْظِهِ جَمْعًا في معناهُ كما قال الأَخْفَش[٦] بشرط أمْنِ اللبْسِ، كَقَوْلِه تَعَالَىْ في المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٧]، فالضَّمَائِر العائدة على (الذي) ضمائر جَمْعٍ، وَقَرَأَ ابْنُ السَّمَيْفَعِ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ﴾ على الجَمْع، وكَقَوْلِه تَعَالَىْ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٨] بضَمِيْر الجَمْع أيضا[٩]

أيضا[٩]

اللُغَة الرابعة: حَذْفُ الألف واللام، قال أبو عمرو: سَمِعْتُ أعرابيًا يقرأ: ﴿صِرَاطَ لَّذِينَ﴾[١٠] بتخفيف اللام[١١] .

اللاءون واللائين:

المشْهُوْر عن العرب في جمع (الذي) لغتان:

إحداهما: (الذين) بالياء مطْلقًا على البناء، على اللُغَة المشْهُوْرة، وقد مَرَّ الحديثُ عنها ..

والأخرى: (الأُلَىْ) بالقَصْرِ، وهذه اللُغَة تلِيْ (الذين) في الفَصَاحَةِ، وأكْثَرُ استعماله في جَمْعِ مَنْ يعقلُ . والغالبُ استعمالُهُ لجَمْعِ المذكَّر[١٢] كَقَوْلِ الشاعر[١٣]:[من الطويل]

رأيْتُ بَنِيْ عَمِّيْ الأُلَىْ يَخْذُلُوْنَنِيْ ... على حَدَثَانِ الدَّهْرِ إذْ يَتَقَلّبُ

---

١ ينظر: التسهيل ابن مالك ص/٣٣

٢ ينظر: التذييل والتكميل ٢٥/٣

٣ التوبة/٦٩

٤ عدّها ابن مالك هنا حرفًا مصدريًا، وقدر المصدر (وخضتم كخوضهم) وهو وجه حكاه الفارسي في الشيرازيات عن يونس،، و قيل صفة مصدر محذوف والتقدير (وخضتم كالخوض الذي خاضوا). [ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ١٨٨/١)]

٥ ينظر: شرح ابن يعيش ٣٩٦/٢

٦ ينظر: البحر المحيط ١٢٥/١

٧ البقرة/١٧

٨ الزمر من الآية/٣٣

٩ ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ١٩٢/١.

١٠ الفاتحة من الآية/٧

١١ ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ١٩٠/١.

١٢ ينظر: تخليص الشَوَاهِد و تلخيص الفوائد ص: ١٣٨

١٣ لعمرو بن أسد الفقعسي في الحماسة البصرية ٧٥/١، ولبعض بني فقعس في الخزانة ٣٠/٣ برواية (رأيتُ مواليَّ الأولى..)، وغير منسوب في الهمع ٣٢٣/١(ش/٢٣٨).

وقد يستعمل لجمع المُؤَنّث كَقَوْلِه: [الطويل].

فأما الألى يَسْكُنَّ غَوْرَ تِهامةٍ ... فكلُّ فتاةٍ تَتْرُكُ الحِجْلَ أقْصَمَاْ

ويُسْتعمَلُ لمَن لا يَعْقِلُ قليلًا كَقَوْلِ الشاعر:[الطويل]

تُهَيّجُنِيْ للوَصْلِ أيَّامُنَا الألَىْ ... مَرَرْنَ علينا والزّمَانُ وَرِيْقُ

وقدِ اجتَمعَ الاستعمالانِ في قولِ أبي ذؤيبٍ الهُذَليّ[1]: [الطويل]

وتُبْلِي الأُلى يَسْتَلْئِمونَ عَلَى الأُلَىْ .... تَرَاهُنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ كالحِدَإِ القُبْلِ

وقد يُمَدُّ فيقال (الأُلَاءِ) كَقَوْلِ الشاعر[2]: [الطويل]

أبَى اللَّهُ للشُّمِّ الأُلاءِ كَأنّهمْ ... سُيُوفٌ أَجَادَ القَيْنُ يومًا صِقالَها

واستعمالُ اللائِيْنَ جَمْعًا للّذي مختصٌ بالهُذَلِيِيْن، وهُمْ فيه على مذهبين:

الأول: استعمالُها بالياءِ مُطْلقًا، فهي مَبْنِيَّة كالذين، وهو لُغَة جُمْهُور بَنِيْ هُذَيْل، لذا أطْلَقَه غيْرُ واحدٍ مِن النَّحْوِيِّيْنَ[3]، وجَعَلَهُ الدَّمَامِيني (ت:٨٢٧هـ) لُغَة الأكثر[4] .

الثاني: استعمالها بالواوِ رفعًا، وبالياءِ نَصْبًا وجَرًّا، فهي مُعْرَبة كـ (اللذون) نحو: جاءَ اللاءون فَعَلُوا، ورأيتُ اللائيْنَ فَعَلُوا، ومررْتُ باللائيْنَ فَعَلُوا . وهي لُغَةٌ لبعضِ بَنِيْ هُذَيْلٍ[5] ومنه قولُ الشاعر[6]:[من الوافر]

هُمُ الّلاءُوْنَ فَكّوْا الغِّلَّ عَنّيْ *** بِمَرْوِ الشَّاهِجَانِ وَهُمْ جَنَاحِي

---

[1] المقاصد النحوية ٤٢١/١(ش/١٢١)، والخزانة ٢٤٩/١١، وغير منسوب في الهمع ٣٢٣/١.

[2] ينسب لكثير عزة في ديوانه ص: ٨٧، والمقاصد النحوية ٤٢٥/١، وبلا نسبة في همع الهوامع ٣٢٣/١، وشرح الأشْمُونِي ١٢٩/١، وشرح التصريح ١٥٣/١.

[3] ينظر: ارتشاف الضرب ٥٦٢/١، وشرح جمل الزَّجَّاجي ابن عصفور ١٧٣/١، وشرح اللمحة البدرية ٣٢٠/١، والمساعد ١٤٤/١

[4] ينظر: تعليق الفرائد للدماميني ١٩٤/٢

[5] ينظر: التذييل والتكميل ٣٦/٣، والارتشاف ٥٢٦/١، والمساعد ١٤٤/١، وتعليق الفرائد ١٩٤/٢

[6] أورده ابن الشجري في أماليه بقوله (قال الهذلي)، قال البغدادى: ولقد راجعت أشعار الهذليين الذى جمعه السكّرىّ، فلم أجد فيه هذا البيت، فضلا عن تتمّته واسم قائله. والله أعلم. وهذا البيت مذكور في إعراب ثلاثين سورة ص ٣٠، والأزهية ص ٣١٠، وشرح الجمل ١٧٣/١، والمغنى ص ٤١٠، وشرح أبياته ٢٥٥/٦، والهَمْع ٨٣/١. ولم ينسب فى أىّ من هذه الكتب.

ونسَبَ ابنُ مالكٍ هذا المذهبَ إلى هُذَيْلٍ قاطبة، ولم يَنْسُبْ (اللائين) بالياء، وكلاهما لُغَةٌ هُذَلِيَّة، وعلى المذهبين يُقْرأ قول الشاعر[1]: [الطويل]

وإنَّا مِنَ اللّائيْنَ إنْ قَدَرُوْا عَفَوْا *** وإنْ أُتْرِبُوا جَادُوْا، وإنْ تَرِبُوا عَفُّوْا

ويجوزُ حذْفُ النُّونِ مِن (اللائينَ و اللاءونَ) قاله ابنُ الشَّجَري (ت:٥٤٢هـ) نقلًا عن الكِسَائي[2]، تقول: هم اللاءُوْ فَعَلُوا كذا، وهم اللائيْ فَعَلُوا كذا، ومنْهم مَن يقول (اللائيْ) بالياء في الأحوال الثلاث[3]، وتكون لجَمْعِ الذكورِ والإناثِ، وقرأ ابنُ مَسْعُوْدٍ: ((للائي آلوا مِنْ نِسَائِهِمْ))[4] وهو هُذَلِيٌّ . ومِن مجيْئِها للذكورِ قولُ الشاعر[5]:[من الوافر]

فَمَا آبَاؤُنَا بِأَمَنَّ مِنْهُ ... عَلَينَا اللَّائي قَدْ مَهَدُوا الحُجُورا

ومنهم مَن يَحْذِفُ الياءَ فيقولُ: هم اللاءِ فَعَلُوا، وهنّ اللاءِ فَعَلْنَ[6] .

فالقولُ بإعرابهِ مُؤيَّدٌ بنقلِ العلماءِ الثقاتِ أمثال الفَرّاء وأبي زيدٍ والكِسَائي الذينَ تَلَقَّوا اللُّغَة مشَافَهَةً، وفي ذلك حُجَّةٌ على مَن قال إنَّه لا يُعْرَبُ وأنَّ بعضَ النُّحَاةِ إنَّما قالوا بإعرابه تَمَسُّكًا بقول الشاعر:

نحن اللذون صبحوا الصباحا *** ... ...

لأنَّهُم رأوا مجيئَهُ بالواوِ كصِيْغَة جَمْع الذكورِ العُقَلاءِ فظَنّوهُ مُعْرَبًا في لُغَةِ هُذَيْلٍ وعُقَيْلٍ وكِنَانَة وطَيّء، في مَن أشرَكَهَا مع غيرها في إعرابِ الاسم المَوْصُوْلِ إذا جُمِعَ .

ويَذْهَبُ النُّحَاةُ إلى تعليلِ إعرابِ (الذينَ و اللائينَ) عند هُذَيْلٍ وغيرها، فيقول ابنُ مالكٍ: ((أمَّا هُذَيْلٌ فيشَبّهُونه بصفاتِ الذكورِ العقلاءِ فيُعْرِبُونه))[7]، وبعضُ النُّحَاةِ جَعَلَ إعرابَهُ مجيئَهُ

---

[1] غير منسوب في الهمع ٣٢٤/١

[2] ينظر: الأمالي الشجرية ٥٨/٣

[3] ينظر: الأمالي الشجرية ٥٨/٣

[4] ينظر: مختصر شواذ القراءات ابن خالويه ص/٢١

[5] ذكر ابن الشجري في أماليه ٥٨/٣، والعيني في مقاصده ٣٩٣/١(ش/١٠٢)- أن الفَرّاء نسبه لرجل من بني سليم، ولم أجده في معاني الفراء، وبلا نسبة في التصريح ١٥٤/١(ش/١٠١)، والأزهية ص:٣٠١، وأوضح المسالك ١٥١/١، وشرح ابن الناظم ص:٥٦.

[6] ينظر: الأمالي الشجرية ٥٨/٣

[7] شرح الكافية الشافية محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، جمال الدين تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي ٢٥٨/١، الطبعة الأولى: د.ت جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.

على الأصلِ، فالاسمُ المَوْصُوْلُ حقُّهُ أنْ يُوْرَدَ عليه الإعْرَابُ؛ لأنَّه المقصودُ بالكلام وجِيْءَ بالصلةِ بقصْدِ توضيحِهِ، والدليلُ ظُهُورُ الإعْرَابِ في (أيّ) المَوْصُوْلة نحو: جاءَ أيُّهم ضربتَهُ، ورأيتُ أيَّهم ضربتَه، ومررتُ بأيِّهم ضربته[1] . كما يؤيد ذلك (ذو) المَوْصُوْلة فهي تُعْربُ في لُغَة طَيِّئ[2]، كما ذكرنا أنَّ (الذي) تُشَدَّدُ ياؤه فتدلَ على إعرابه نحو: جاء الذيُّ صنَعَ معروفًا، ورأيت الذيَّ صنع المعروف، ومررتُ بالذيِّ، بضمةٍ وفتحةٍ وكسرةٍ ظاهرةٍ مع التشديدِ، فمَن أَعْرَبَ الجَمْعَ جاء به على لُغَة مَن شَدَّد ياءَ المفرد[3]، يزادُ على ذلك أنَّ التصغيرَ يَلْحَقُ الأَسْمَاءالمَوْصُوْلة، والتصغيرُ مِن تصاريفِ الأَسْمَاءالمتمكنةِ، فلمَّا أشْبَهَتْ الأَسْمَاءالمتمكنةَ ناسَبَ أنْ يَلْحَقَها التصغيرُ . فتَقْوَى بذلك الحُجّة بإعرابها، إلى جانبِ أنَّ جميعَ الرواياتِ التي نَقَلَها العلماءُ تؤكّدُ إعرابَ المَوْصُوْلِ إذا ثُنّيَ أو جُمِعَ جَمْعَ مذكرٍ سالمٍ، كما ذُكِرَ أنَّ إعرابَ المفردِ مع تشديدِ يائة لُغَة[4] .

اللاتي واللائي واللاءات

(اللاتي و اللائي) لجَمْعِ المُؤَنّثِ غالبًا تَرِدُ بالبناءِ على السُكونِ، و(اللاءات) بالإعْرَابِ كجَمْعِ المُؤَنّثِ السَّالِم. قال تَعَالَىْ ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ ﴾[5] ومن شَوَاهِدها قوله[6]:[من الطويل]

أُولِئكَ إِخْواني الَّذينَ عَرَفْتُهُمْ ... وإِخْوانُكَ اللاَّءاتُ زُيِّنَّ بالكَتَمْ[7]

إنَّ المَوْصُوْلاتِ الاسْمِيَّة المذكورة على قسمين: لُغَة تَبْنِيها، وهذا هو الأصلُ والأشْهَرُ وهو لُغَةُ القُرْآن، ولُغَة تُعْربُها، وهي لُغَةُ قليلٍ مِن العربِ، وعليها جاءتْ بعضُ الأشعارِ التي ذكرناها، ولكنْ تبْقَى القَاعِدَةُ في المَوْصُوْلاتِ مستقرةً على الأشْهَرِ والأعَمّ وهو البناء .

وفي الأَسْمَاءالمَوْصُوْلة لُغَاتٌ كثيرة، فـ"الذي والتي" إذا أريد به المفرد فهو مبني بلا خلاف، والمُثَنَّى معربٌ عند جميع العرب باتفاق، وسُمِعَ إعرابُ الجَمْعِ عند هُذَيْلٍ ومَن اتفقَ معها مِن لُغَاتِ القَبَائِل كطَيِّئ وعُقَيْلٍ وكِنَانَة في ما استشهد به النُّحَاةُ مِن أشعارٍ ثَبَتَ سماعُها عن العرب .

---

[1] ينظر: شرح ابن يعيش ١٣٩/٣، وشرح الكافية للرضي ٣٩/٢، وأوضح المسالك ١٥٢/١.

[2] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الأول، المسألة(٤): ذو الطائية.

[3] ينظر: المساعد ابن عقيل ٥٢٤/٣ .

[4] ينظر: شرح الكافية للرضي ٤٠/٢، وينظر: (بحث) أبرز خصائص لُغَات هُذَيْل د. عبد الرحمن اسماعيل ص: ٣٤ مجلة معهد اللُغَة العَرَبِيَّة – العدد الثاني ١٤٠٤هـ، من لُغَات العرب – لَهْجَة هُذَيْل عبد الجواد الطيب ص: ٤٣ رسالة دكتوراه منشورات جامعة الفاتح – ليبيا. و اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص: ٢٤٨ .

[5] الطلاق من الآية/٤

[6] غير منسوب في الهمع ٣٢٥/١، ولسان العرب ٢٤٠/١٥ (لتا)، وفيه (أخداني) بدل (إخواني).

[7] الكتم: بالتحريك مع الفتح نبات فيه حمرة، يخلط مع الحناء، فيكون اللون أسود وقد يخضب بالكتم وحده.

ويبدو أنَّ المستعمَلَ منها في الفُصْحَىْ هو اللُغَة الحِجَازِيَّة القرشية، إذ نُسِبَتْ اللُغَاتُ المخالِفةُ إلى أصحابِها، فهُذَيْلٌ تعربُ (الذين) إعرابَ جمْعِ المذكرِ السَّالِم، وتَمِيْمٌ وقَيْسٌ تشدّدانِ نون (اللذين و اللتين)، ورَبِيْعَةُ وبنو الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يحذفون نون (الذين واللذين واللتين)، إضَافَة إلى لُغَاتٍ أخرى، ولم يُنْسَبُ إلى قُرَيْشٍ مما يخالفُ الفُصْحَىْ سوى (اللاي) في (اللاتي)

أيضًا هذه الأَسْمَاءالمَوْصُوْلة يعْتَوِرُها التقصيرُ والاجتزاءُ والحذفُ حَدَّ النَّهْكِ، وكعادة البَصْرِيِيْنَ قالوا بأنَّ هذا التقصيرَ والحذفَ ضَرُورَة[1] – وهكذا كلَّما رأى البصريون شيئًا يخالفُ نُظُمَهُم وقواعدَهم حكَمُوا عليه بالضَرُورَةِ – والضَرُورَةُ مرْكَبٌ سَهْلٌ عندهم، وعلَّلوا هذا الحذفَ تخفيفًا لاستطالة المَوْصُوْلِ بالصلة[2] . أمَّا الكوفيون فالحذفُ عندهم لُغَةٌ – طالتْ الصِّلةُ أمْ لمْ تطُلْ – حكاه عنهم ابنُ الشجري[3] في أَمَالِيْهِ[4] .

[1] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في التراث د. علم الدين الجندي ص: ٦٩١

[2] ينظر: أمالي ابن الشجري ٥٥/٣

[3] **ابن الشجري:** أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسيني البغدادي، عالم بأشعار العرب وأيامها وأحوالها، أقرأ النحو سبعين سنة ببغداد، و بها توفي سنة ٥٤٢ هـ. له (الأمالي الشجرية) و(شرح التصريف الملوكي لابن جني) و(شرح اللمع لابن جني) .

[4] ينظر: أمالي ابن الشجري ٥٢/٣ – ٦٢.

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْأَلَة (٤): (ذو) الطائية بين الإعْرَاب والبناء

قال ابن هِشَامٍ معددًا المَوْصُوْلات المشتركة ((وأما (ذو) فخاصة بطيء والمشْهُوْر بناؤها وقد تُعْرَبُ كَقَوْلِه:

... . *** فحسبي من ذي عندهم ما كفانيا

فيمن رواه بالياء))[١].

"ذو" تأتي عند العرب على وجهين: أحدُهُما يُتَوصّلُ به إلى الوصفِ بأسماءِ الأجناسِ والأنواع ويُضافُ إلى الظاهرِ دون المضْمَرِ، ولا يُسْتعملُ إلا مضافًا، وهي التي تَكُونُ بمعنى (صاحِب) . والآخَرُ "ذو" الطائيّة المَوْصُوْلة التي تَعْقُبُها جُمْلَة .

تستعمل "ذو" في لُغَة طَيِّئ اسمًا مَوْصُوْلًا مشتركًا، وفيها عِدّةُ لُغَاتٍ في إعرابِها وبنائها:

الأولى: لُغَةُ البِنَاءِ والإفرادِ، أيْ إنَّها تَلْزَمُ حالةً واحدةً في الإفرادِ والتثنيةِ والجَمْعِ والتذكيرِ والتأنيثِ، وهي أشْهَرُ لُغَاتها وأقدَمُها، نحو: جاءَ ذو فَعَلَ، وذو فعَلَتْ، وذو فَعَلا، وذو فَعَلَتَا وذو فَعَلُوا، وذو فَعَلْنَ . وعَلّلَ النُّحَاةُ سببَ البناءِ بِافتقارها لِمَا تضافُ إليه مثلَ الحُرُوْف بدليلِ ملازمتها لحالةٍ واحدة[٢]، ووَجَّهَ بعضُهم سببَ البناء أنَّها بمنزلةِ الذي توصَلُ بالفعل وتوصَفُ به ولا تُجْمَعُ ولا تُثنّى ؛ لأنَّها منقولة عن "ذو" التي بمعنى "صاحِب" فضَعُفَتْ بذلك عن التصرُّفِ وأَلْزِمَتْ وجهًا واحدًا[٣] .

وشَوَاهِدُ هذه اللُغَة تزْخَرُ بها كُتُبُ النَّحْوِ وهي مِن الكثرةِ بحَيْثُ تثْبِتُ فَصَاحَة هذا الاستعمالِ رغم قلَّةِ انتشاره بين عامَّةِ العرب، فجميعُ الشَوَاهِدِ عُزِيَتْ للطائيين . ذَكَرَ ابنُ السّرَّاْج (ت:٣١٦هـ)[٤] في أصُولِه[١]، والأزهريُّ (ت:٣٧٠هـ)[٢] أنَّ "ذو" في لُغَة طَيِّئ تُسْتَعملُ بمعنى "الذي"

---

[١] أوضح المسالك ١٥٩/١.

[٢] ينظر: شرح ابن يعيش ١٤٧/٢، وشرح الرضي على الكافية ٣٩/٢

[٣] ينظر: المحتسب ١٤٢/١، والتبصرة والتذكرة ٥٢/١

[٤] **ابن السّرَّاْج:** هو أبو بكر محمد بن السري البغدادي النحوي، صاحب الكتب الممتعة في النحو، كان أحدث أصحاب المُبَرِّد سنا مع ذكاء وفطنة، قرأ كتاب سِيْبَوَيْهِ على المُبَرِّد، وقيل: ما زال النحو مجنونا، حتى عقله ابن السّرَّاْج بأصوله، أخذ عنه أبو القاسم الزَّجَّاجي، والسيرافي، والفارسي، والرماني، له: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ، ومختصر في النحو، واحتجاج القراءة، والجمل وغيرها، مات شابا سنة ٣١٦ هـ.. البلُغَة: ٢٢٢، إنباه الرواة: ١٤٥/٣، وبغية الوعاة: ١٠٩/١، ومعجم المؤلفين: ١٩/١٠، والأعلام: ٦/٧.

و"التي" وتثنيتِهما وجَمْعِهما. فيقال: رأيتُ ذو فَعَلَ، وذو فَعَلَتْ، وذو فَعَلا، وذو فَعَلَتَا وذو فَعَلُوا، وذو فَعَلْنَ . ومِن مجيئها بمعنى "الذي" قول الشاعر[٣]: [من المنسرح]

ذاكَ خَلِيْلِي ذُوْ يُوَاصِلُنِي ... يَرْمِيْ ورائِيْ بِامْسَهْمِ وَامْسَلِمَهْ

وقال حاتم الطائي[٤]: [من الوافر]

ومِنْ حَسَدٍ يَجُوْرُ عَلَيّ قَوْمِيْ ... وأيّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ يَحْسِدُوْنِي

وقول آخر[٥]: [من الطويل]

إذا أنْتَ يَمّمْتَ الرّكَابَ لقَصْدِهِم ... تَبَيّنْتَ طَعْمَ المّاءِ ذُوْ أنْتَ شَارِبُهْ

وقول قوال الطائي[٦]:[من الطويل✪]

قُوْلَاْ لهَذَا الْمَرْءِ ذُوْ جَاءَ سَاعِيًا ... هَلُمَّ فَإِنَّ المَشْرِفِيَّ الْفَرَائِضُ

ومِن مجيئها بمعنى "التي" قولُ الآخر[٧]:[من الوافر]

فإنَّ الماءَ مَاءُ أَبِيْ وَجِدِّيْ ... وبِئرِيْ ذُوْ حَفَرْتُ وذُوْ طَوَيْتُ

---

[١] ينظر: الأصول ابن السّرّاْج ٢٦٣/٢ .

[٢] **الأزهري:** محمد بن أحمد بن أزهر أبو منصور ولد سنة ٢٨٢ هـ، بهراة من مدن خراسان، وبرع في اللُّغَة توفي سنة ٣٧٠ هـ.

[٣] ينسب إلى بجير بن غنمة الطائي في الدرر ٤٤٦/١، وشرح شَوَاهِد المغني ١٥٩/١، والمقاصد النَّحْويّة ٤٦٤/١، والمؤتلف والمختلف ص/٥٩.

[٤] ديوان حائم الطائي ص: ٢٩ وفي الديوان (كرم) مكان (حسد)، والبيت استشهد به أبو حيان في البحر على جواز حذف الضَمِيْر العائد على المَوْصُوْل وقال إنه مقيس. [البحر المحيط ٤٤٧/٤]

[٥] لم أعثر على قائله.

[٦] ينظر: شرح ديوان الحماسة أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي(ت:٤٢١هـ) تحقيق: غريد الشيخ ص:٤٥٥، الطبعة الأولى:١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وله في الإنصاف ٣١٧/١(ش/٢١٤)، وخزانة الأدب ٢٨/٥، ٤١/٦.

✪ صدر البيت مكسور الوزن، حيث حذف أول الوتد المجموع من (فَعُوْلُنْ) لتصير (عُوْلُنْ) وتُقْلَبُ إلى (فَعْلُنْ)، وهي علّة من علل النقص تسمى (الخَرْمُ) ولا يدخل الخرم إلا إذا وقعت التفعيلة في بداية الشطر.

[٧] لسنان بن الفحل الطائي يخاطب عبد الرحمن بن الضحاك في شأن بئر وقع فيها نزاع بين حيين من العرب، وينظر: شرح ديوان الحماسة يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي ٢٣١/١ دار القلم – بيروت، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٥٩١، والأمالي الشجرية ٥٥/٣، وشرح التسهيل ابن مالك ٣٤/١، والإنصاف ص: ٣٨٤، والخزانة ٣٤/٦، والمقاصد النَّحْويّة ٤٣٦/١.

قال ابنُ هِشَامٍ: وزَعَمَ ابنُ عصفورٍ[1] أنَّ "ذو" خاصة بالمذكَّرِ، وأنَّ المُؤَنّثَ يختصُّ بذات، وأن البئر في البيت بمعنى: القُلَيْب[2]، ومعنى طَوَيْتُ البئرَ: بنيتُها بالحجارة. وفي تصديرِ ابنِ هِشَامٍ عبارته بـ (زعم) اعتراضٌ على قول ابنِ عصفور، ويؤيده قول الأزهري السابق .

ومِن الشَوَاهِدِ النثريةِ على هذه اللُغَةِ ما نُقِلَ عن الفَرّاء قوله: ((سَمِعْتُ أعرابيًّا يقول: بالفضْلِ ذُوْ فضَّلَكم الله بِهْ، والكرَامَة ذَاتُ أكْرَمَكم الله بِهَا))[3]، ورَوَى الميدانيُّ في مَجْمَعِ الأمْثَال[4] قولَ العرب: أتَىْ عَلَيْهِمْ ذُوْ أتَىْ، وروى أبو مسحل[5] في نوادره[6]، يقال: أتَىْ على القوم ذو أتَىْ والذي أتَىْ، وهي لُغَة طيء "ذو" معناه الموت أتى عليهم .

غيْرَ أنَّه اختُلِفَ في علامةِ البناء . فظاهرُ عبارةِ الأشْمُونِي في شرْح الألفيّةِ أنَّها مَبْنِيَّة على الضَّم قال: ((بعض طَيِّئ ألحَقَ بذُوْ تاءَ التأنيث مع بقاءِ البناء على الضّم))[7]، وصَرَّحَ الأزهريُّ بالبناءِ على السكون[8]، في حيْنِ ذَهَبَ ابنُ عَقيلٍ[9] وصاحبُ الهَمْع[10] إلى بنائها على الواو. والراجح عند المحققين بناؤها على السكون .

والثانية: ظُهُوْر صِيْغَة التأنيث (ذاتُ) مع بقاءِ لُغَةِ البناءِ والإفرادِ، أيْ: تأتي ملازمة للتاءِ حالَ التأنيثِ وتكونُ مَبْنِيَّة على الضَّم، ولا تُثَنَّىْ ولا تُجْمَعُ، فتقول: جاء ذو قامَ، وذو قامَا، وذو قاموا . وجاءتْ ذاتُ قامتْ، وذاتُ قامَتا، وذاتُ قمْنَ . وأشار ابنُ مالكٍ في ألفيتهِ إلى أنَّ "ذات" ليستْ

---

[1] **ابن عصفور**: علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الأشبيلي، أخذ عن الدباج والشلوبيني، ولازمه مدة، ثم كانت بينهما مقاطعة، جال في بلاد الأندلس، وأقبل عليه الطلبة، كان أصبر الناس على المطالعة لا يمل من ذلك توفي سنة ٦٦٩ هـ له (شرح الجمل) و(المقرب) و(الممتع في التصريف) وغيرها .

[2] ينظر: تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي ص:١٤٧، الطبعة الأولى:١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار الكتاب العربي.

[3] الأمالي الشجرية ٥٤/٣ .

[4] ينظر: مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني(ت:٥١٨هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ٦٨/١ (م/٢٤٣٥) د.ت، د.ط، دار المعرفة – بيروت.

[5] **أبو مسحل الإعْرَابي**: عبد الوهاب بن حريش الإعْرَابي أبو محمد، الملقب بـ (أبي مسحل)، من بني ربيعة، من عامر بن صعصعة: راوية غزير العلم باللغة، عارف بالنحو والقراءات. من أهل نجد. تعلم وأقام ببغداد وأكثر الأخذ عن الكسائي. واتصل بالحسن بن سهل وزير المأمون. وهو من شيوخ ثعلب. توفي نحو ٢٣٠هـ. صنف كتاب «النوادر »، وكتاب «الغريب».

[6] ينظر: النوادر لأبي مسحل ٤٦٢/٢ الطبعة الأولى: ١٩٦١م دمشق.

[7] مَنْهَج السالك إلى ألفية ابن مالك ٢٠١/١

[8] ينظر: التصريح بمضمون التوضيح ٤٤٣/١

[9] ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، حقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ١٤٣/١، الطبعة العشرون:١٤٠٠هـ = ١٩٨٠ م، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه ١٤٣/١

[10] ينظر: الهَمْع ٢٨٩/١

صِيْغَة مستقلةً، بلْ أصْلُها "ذو" بعْدَ قَلْبِ الواوِ ألفًا[1]، وهو ظاهرُ كلامِ الأشْمُونِي السابق[2] . وذكَرَ بعضُهم أنَّها صِيْغَة مستقلةٌ . ومِن ذلك رواية الفَرّاء عن بعضِهم: " الفضْلُ ذُوْ فضّلَكم الله بِهْ، والكرامَةُ ذاتُ أكْرَمَكم الله بَهْ ". أيْ: التي أكرَمَكُم الله بِها، فحُذِفَ ألفُ "بها". وحُرِّكَ الباءُ بحركةِ الهاءِ، وهو مِن لُغَة طَيِّئ أيضًا[3] .

الثالثة: الإعْرَابُ وعَدَمُ التصرّفِ (إلزامُهَا الواوُ وعَدَمُ التثنيةِ أو الجَمْعِ) . وفيها تُعْرَبُ "ذو" إعرابَ التي بمعنى (صاحب)، فقد ذَكَرَ ابنُ جني[4] نقلًا عن أبي عليٍّ أنَّ بعضَهم يُعْرِبُها ومنه قولُ بعضهم[5]: [من الطويل]

وإمَّا كِرَامٌ مُوْسِرُوْنَ أتَيْتُهُم ... فحَسْبِيْ مِنْ ذِيْ عِنْدَهُم مَا كَفَانِيَا

وذَكَرَ كَثيرٌ مِن النُّحَاةِ بِمِثْلِ مَا ذَكَرَ ابنُ جنّي مِن إعرابِها ونَسَبُوهُ إلى بعض طَيِّئ[6] . ولكنَّ بعضَهم حَكَمَ عليهِ بالشذوذ منهم ابنُ هِشَامٍ، يقول: ((على أنَّ منهم مَن يُجْرِيْها مَجْرَى التي بمعنى صاحِبٍ فيعربَها بالواو والألف والياء ... إلَّا أنَّ ذلك شاذّ))[7]، فقد سُمِعَ في كلام العربِ: لَاْ وَذُوْ بَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ[8]، فلو كانت معربة لجُرّتْ بواو القَسَمِ[9] . وأمَّا البيتُ المنسوبُ لمنظور بنِ سُحَيْمٍ الفَقْعَسي فَلَهُ رواية ثانية[10]، فقد رُوِيَ (مِن ذُوْ عِنْدَهم)[11] على أنَّها مَبْنِيَّة على سكونِ الواوِ بمعنى

---

[1] ينظر: حاشية الصبان على الأشْمُونِي ٢٢٩/١

[2] ينظر: مَنْهَج السالك إلى ألفية ابن مالك ٢٠١/١

[3] ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ٢٧٥/١.

[4] ينظر: المحتسب ١٤٢/١.

[5] لمنظور بن سحيم بن نضلة الأسَدي الفَقْعَسي: شاعر جاهلي مقلٌّ، أدرك الإسلام، وكان يسكن بالكوفة، ويعد من شعراء الحماسة. والبيت من قصيدة يهجو امرأته في ديوان الحماسة ٣٥/٢، والرواية هناك "فإما" بالفاء، ورواية ابن مالك في شرحه الكافية الشافية ٩٥/١، وشرح التسهيل ١٩٩/١، بالواو.

[6] ينظر: أوضح المسالك ابن هِشَامٍ ١٥٩/١، والجنى الداني في حروف المعاني أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المصري المالكي تحقيق د. فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل ص/٢٤٢ الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، وارتشاف الضرب ١٠٠٧/٢ .

[7] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هِشَامٍ الأنصاري تحقيق: عبد الغني الدقر ص/٥٢ د.ت، د.ط، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.

[8] هذه الكَلِمَة جاءت في حديث لأبي زيد في وصف الأسَد في مجلس عثمان بن عفان رضي الله عنه [ينظر: الأغاني ١٣٠/١٢]

[9] ينظر: شرح شذور الذهب ص/٥٢

[10] ينظر: أوضح المسالك ١٥٩/١

[11] ينظر: شرح الأشْمُونِي ١٤٢/١.

الذي . و رواية الجَرِّ عَزَاهَا الشيخ خالد الأَزْهَرِيُّ[1] إلى ابنِ جنّي في كتابِهِ المحْتَسِب[2]، وعَزَاهَا إليه وإلى ابنِ دُرُسْتَوَيْهِ ابنُ مالكٍ في شرْحِ الكافية[3]، وكذلك الدَّمَامِيْنِي في تعليقه[4] .

واستدَلَّ بعضُ الباحثين[5] مِن هذه الروايةِ أنَّ قَبِيْلَة فَقْعَسٍ قد سارتْ تِجَاهَ طَيِّئ في استعمالِ هذا الاسم المَوْصُوْلِ في لغتهم، ولكنْ لمْ يَثْبُتْ في نُقُوْلِ العلماءِ أنَّ قَبِيْلَة فَقْعَسٍ تأتيْ بهِ على هذه الصورة . والشاهِدُ إذا تَطَرَّقَ له الاحتمالُ بَطَلَ بهِ الاستدلالُ . ووجَّهَ أبو حيانٍ سبَبَ إعرابها بالحُرُوْف تشبيهًا لها بالتي بمعنى (صاحِب) في اللفظ، حتى إنَّ بعضهم حكَىْ أنَّ (ذو) هذه منقولة مِن (ذي) بمعنى (صاحِب) لاشتراكهما في التوصُّلِ إلى الوصْفِ . وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ كثرة النصوصِ الواردةِ تشيرُ إلى ثبوتِ هذه اللُغَة عند طَيِّئ أو بعضِهم[6] .

الرابعة: لُغَة الإعْرَابِ والتصَرُّفِ، فمعروفٌ أنَّ الأفْصَحَ في "ذُوْ" و "ذاتُ" الطائيتين ألاّ يُثَنَّيَانِ ولا يُجْمَعَانِ، وحَكَى ابنُ عصفور[7] أنَّ "ذُوْ" قد تؤنَثُ وتُثَنَّى وتُجْمَعُ، وأطلَقَ القولَ فيه وعَدَمَ تقييده ببعض طَيِّئ، فتقول في المذكر: "ذو قام"، وفي المُؤَنّث "ذاتُ قامت"، وفي مُثَنَّى المذكر "ذَوَا قامَا"، وفي جمع المذكر "ذَوُو قامُوا" . وأنكَرَ ثبوتَ ذلك ابنُ مالكٍ، قال السَّيُوطِيُّ في النكت: لم يذكرْ ابنُ مالكٍ في جميع كُتُبه تثنية "ذُوْ" وجَمْعَه[8]، وهو مَحْجُوجٌ بقولِ ابنِ السّرَّاْج: إنَّ تثنية "ذو" و "ذات" لا يجوز فيهما إلا الإعْرَابُ[9] .

وأمَّا جَمْعُ (ذاتُ) على (ذواتُ) فحَكَى الهَرَوي[10](ت:٤١٥هـ) في الأزهية أنَّه لا يجوزُ فيها إلا ضَمُّ التاءِ على كلِّ حالٍ[1] بالبناءِ، وهي لُغَةٌ في طَيِّئ، ونَقَلَ بهاءُ الدِّينِ الحَلَبيّ شيخُ أبي حيانٍ أنَّ

---

[1] ينظر: التصريح بمضمون التوضيح ٤٤٣/١

[2] لم أقف على هذه الرواية في المحتسب، ويغلب على الظن أن الأزهري نقل هذا القول عن ابن مالك أو الدماميني، أو وقف على نسخة من " المحتسب" غير التي بين أيدينا.

[3] ينظر: شرح الكافية الشافية ٢٧٤/١، ٢٧٥

[4] ينظر: تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني(ت:٨٢٧هـ) تحقيق: د. حمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى ٢٠٦/٢، الطبعة الأولى:١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، رسالة دكتوراه.

[5] ينظر: لُغَات العرب وأثرها في التوجيه النحوي د. عبد الفتاح الدجني ص/١١١ – ١١٢

[6] ينظر: الجنى الداني ص: ٢٤٢

[7] ينظر: المقرب ابن عصفور تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض ص: ٨٦، ٨٧ الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ -- ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

[8] ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢٣١/١

[9] ينظر: الأصول ٢٦٣/٢

[10] **الهروي:** أبو الحسن علي بن محمد الهروي، قدم مصر واستوطنها، روى عن الأزهري، كان عالمًا بالنحو، إمامًا في الأدب، جيد القياس، توفي بعد سنة ٣٧٠هـ.

بعضَهم يعربها كجَمْعِ المُؤَنّثِ السَّالِم، قال أبو حيان[٢]: وهو نَقْلٌ غَرِيْبٌ . ومن شَوَاهِدها[٣]:[من مشطور الرجز]

جَمَعْتُهَا مِنْ أَيْنُقٍ مَوَارِقٍ ... ذَوَاتُ يَنْهَضْنَ بِغَيرِ سَائِق

خُلاصَة القولِ إنَّ "ذُوْ" مَوْصُوْلة في لُغَة طَيّء مَبْنِيَّة على السُكُونِ مع إلزامِها الواو، وهذا الأصْلُ في هذه اللُغَة للاسم المَوْصُوْل، أمَّا عند غيرهم مِن القَبَائِل فـ (الذي) للمفردِ مبنيٌّ، وأمَّا المُثَنَّى والجَمْعُ فتختلف صُوْرته عن المفرد، بخلافِ ما هو كذلك عند طَيّء إذ تجعلُهُ للمفرد والمُثَنَّى والجَمْع، وهذه اللُغَة هي المشْهُوْرة، وقد أشارَ أحدُ الباحثين المستشرقين[٤] إلى أنَّ هذا الاستعمالَ عند طَيّء، وفي لُغَة اليمَن وهذا ذَكَرَتْه النُقُول عن رواة اللُغَة . وما ذُكِرَ في كُتُبِ الأنسابِ أنَّ طَيِّئًا قَبِيْلَة يمنيةٌ هاجَرَتْ مِن بلادها الأصْليَّة إلى المنطقة التي استقرتْ بها بين الجبلين، كما أنَّه ذَكَرَ أنَّ لُغَة الحِجَاز كانتْ تستعملُ "ذُوْ" لا "ذي" اسمًا مَوْصُوْلًا للمفرد، بينما الفُصْحَىْ تَسْتعملُ (الذي) . وما قاله المستشرقُ لَمْ يقمْ عليه دليلٌ، فلم يَثْبُتْ أنَّ أصْلَ (الذي) عند الحِجَاز خاصة "ذُوْ" ثم تطورت إلى (الذي) في لغتها الفُصْحَىْ التي نَزَلَ بها القُرْآن، إنما ما رُوِيَ في كُتُبِ اللُغَةِ والنَّحْوِ وما تناقلَهُ العلماءُ مِن نصوصٍ يُثبِتُ أنَّها لُغَة طَيِّئ، وحتى صِيْغَة (الذي) التي رأى أنَّها متطورة عن "ذُوْ" قالوا إنَّ لُغَة طَيِّئ أخذَتْ تُعَامِلُ المَوْصُوْلةَ عندهم مُعَامَلَة المعرَبةِ التي بمعنى (صاحِب) التي يأتي بالواو والألف والياء .

في كلْتَا الحالتينِ سَوَاءٌ أكانتْ صِيْغَةً مستقلةً أَمْ أصْليَّة ففيها دلالة على التغيير الذي طَرَأ على الأصْلِ عند طَيِّئ[٥]، وهذا يَدُلُّ على أنَّ قَبِيْلَة طَيّء حافَظَتْ على هذا الأصْلِ الذي يمثلُ مرحلة أُوْلَى ضاربة في القِدَم للاسم المَوْصُوْلِ في العَرَبِيَّة وقد ساعَدَها على ذلك شِبْهُ العُزْلة إنْ صَحَّ التعبير[٦] حَيْثُ إنَّها قَبِيْلَة بَدَوِيَّة سَكَنَتْ ما بين الجبلين بعد هِجْرتِها مِن ديارها باليمن إلى أنْ

---

[١] ينظر: كتاب الأزهية في علم الحُرُوْف علي بن محمد النحوي تحقيق: عبد المعين الملوحي ص: ٢٩٥ الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مطبوعات مجمع اللُغَة العَرَبِيَّة بدمشق.

[٢] ينظر: الارتشاف ١٠٠٨/٢، و النكت الحسان في شرح غاية الإحسان أبو حيان الأندلسي تحقيق: عبد الحسين الفتلي ص/٤٧ الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م - مؤسسة الرسالة .

[٣] لرؤبة في ملحق ديوانه ص: ١٨٠، والمقاصد النحوية ٤٠٥/١(ش/١٠٩)، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١٦٢/١، وتخليص الشواهد ص: ١٤٤، وهمع الهوامع ٣٢٦/١(ش/٢٤٨)، وتهذيب اللغة ٣٤/١٥(باب ذو وذوى مضافين إلى الأفعال).

[٤] ينظر: شاييم رابين في بحثه " اللَهْجَات العَرَبِيَّة الغربية القديمة " ترجمة عبد الرحمن أيوب ص: ٣٥٩

[٥] ينظر: "ذو" الطائية بين الإعْرَاب والبناء د. عبدالله الحسيني البركاتي ص: ٩٩، مجلة كلية اللُغَة العَرَبِيَّة، جامعة أم القرى، العدد الرابع سنة ١٤٠٧هـ. السنة الرابعة.

[٦] ينظر: اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص: ٣٠٢.

استقرت في تلك المنطقة، يضافُ إلى ذلك أنَّها كانت تَعْتدّ بفصاحتها فزادَ في محافظتها على أصْلِ لغتها . ثم بَعْدَ احتكاكها بغيرها مِن القَبَائِل المتوغّلةِ في صَحَارَى نَجْدٍ والحِجَازِ أخذَتْ لغتُها نحو التطوُّرِ فبَعْدَ أنْ كانت الصِيْغَة للمَوْصُوْلِ في جميع أحوالهِ عندها "ذُوْ"، استعملت معها (ذات) للمفرد المُؤَنّث، وعلى قول الأشْمُونِي: ((وألحق بـ "ذو" تاء التأنيث ...))[1] علّقَ الصبّانُ بقوله: ((أيْ بعد قلْبِ الواو ألفًا ومَفَادُ عبارته أنَّ (ذاتُ) ليست صِيْغَةً مستقلةً، بل أصلُها "ذُوْ" . ومفادُ عبارة غيْرِهِ كالغُزِّي أنَّها صِيْغَةٌ مستقلةٌ))[2] .

بقيَ أنْ أُشِيرَ إلى أنَّ استعمال هذه القَبِيْلَةِ لصِيْغَةِ "ذُوْ" بالواو لَعَلّه يرجع إلى أنَّها قَبِيْلَة تميل إلى الخُشُونةِ في لُغَةِ التخاطبِ، واستعمالُ الصِيْغَةِ يُمَثّلُ مَظْهرًا مِن مظاهر هذه الخُشُونة التي تُلْمسُ في مناطق البادِيَةِ ويكْثُرُ ذلك عند القَبَائِل البَدَوِيَّة التي تسْكُنُ المناطق الجبلية[3]، وقد لوحظ في كثيرٍ مِن الظواهر عند طَيِّئ وغيرها مِن القَبَائِل التي تسْكُنُ بالقرب مِن الجبال إبدالُ الياءِ واوًا مِن مثْلِ "حَيْثُ" فتقول "حَوْثُ"، ومُعَامْلَة الاسم المَوْصُوْلِ عند الجَمْعِ مُعَامْلَة جَمْعِ المذكر السَّالِم فتَنْطُقَهُ مجموعًا بالواو فتقول "اللذون" بالرفع، يقول ابنُ سِيْدَةَ[4] في المُحْكَم أنَّ العرب يقلبون الواو ياء مِن غير علةٍ، كما أنَّ بعض العرب تَقْلِبُ الياءَ واوًا[5] . فاختلافُ طبيعة البيئة وظروفها الاجتماعيةِ مِن بداوةٍ وحضارةٍ له أثرهُ في اختلافِ اللُغَات . فاللُغَة عادةٌ اجتماعيةٌ تتعرضُ لذلك، فبسبب البيئة الجديدة التي أحاطَتْ بهذه القَبِيْلَة وظروفها مِن اضطرارٍ إلى الاتصالِ بالقَبَائِل المجاورة لها والذي مما لا شكَّ فيه له تأثير[6] حَدَثَ هذا التغيير .

إن استعمال "ذُوْ" بمعنى (الذي) في لُغَة طَيِّئ عليه شَوَاهِد هي مِن الكثرة بحَيْثُ تثبت فَصَاحَة هذه اللُغَة، ولكنَّ هذا الاستعمال غيرُ منتشرٍ بين قَبَائِل العرب الأخرى، فجميعُ الشَوَاهِدِ عزيت إلى الطّائيّيْنَ . وقد حاول بعضُ المستشرقين والمحْدَثين تعميمَ استعمالها في لُغَاتٍ أخرى، باعتبارها الأصل والأقدم للمَوْصُوْلاتِ ولـ "ذُوْ" التي بمعنى (صاحِب)، مستندين إلى اللُغَاتِ

---

[1] شرح الأشْمُونِي ١٦٦/١

[2] حاشية الصبان على شرح الأشْمُونِي ١٦٦/١

[3] ينظر: اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص: ٣٠٥ – ٣٠٦.

[4] **ابن سيدة:** أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة الحافظ الضرير الأندلسي المعروف بابن سيدة اللغوي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. له من الكتب (الأنيق في شرح الحماسة) و (شرح كتاب الأخْفَش) و (شرح مشكل أبيات المتنبي) و(العويص في شرح إصلاح المنطق) و(كتاب شاذ اللغة) في خمس مجلدات و (كتاب العالم في اللغة) مائة مجلد و (كتاب العالم والمتعلم) على المسألة والجواب و (كتاب المحكم والمحيط الأعظم في اللغة) و (الوافي في علم القوافي) وغير ذلك.

[5] ينظر: المحكم ابن سِيْدَةَ ١٤٠/١، والبحر المحيط ٢٨٢/١، ١٨٤/٤

[6] ينظر: في علم اللُغَة د. عبد الصبور شاهين ص: ٢٠٣ – ٢٠٩، والمحتسب ١١٢/١

السامِيَّة القديمة، والمقارنةِ بين النقوش العَرَبِيَّةِ المختلفة، لكنَّ هذا لم يُثْبتْ أنَّها الأصلُ، وأنَّ كُتُبَ اللُغَة والنحو وما نُقِلَ عن العلماء يثبت أنَّها تخص طَيِّئ .

بعض العرب أعْرَبَ "ذُوْ" تشبيهًا للتي بمعنى (صاحِب)، ولكنَّهم قلَّةٌ حتى حَكَمَ عليه ابنُ هِشَامٍ بالشذوذ، رغم أنَّه منقولٌ عن أبي عليٍّ وابن جنّي وعددٍ مِن النُّحَاة . ربَّما أرادَ أنْ تَبْقَى "ذُوْ" حصريًا على لُغَة طَيِّئ، وتكوْنُ التي بمعنى (صاحِب) لغيرهم . ولعلَّ مِن المستحسن تَرْكَ "ذُوْ" بلَهْجَاتها المختلفة لغرابتها في عصرنا وعدم الحاجة الحافزة لاستعمالها[1]، وحسبنا أن نذكرها هاهنا لندركها حين تتردد في النصوص القديمة .

وخلاصة القول في هذه المَسْأَلَة، أنَّ طَيِّئًا تنقسم في "ذُوْ" المَوْصُوْلةِ على أربعِ فِرَقٍ:

الأولى: تُوَحّدُ "ذُوْ" دائمًا، وتبنيها على الضّمّ .

الثانية: تُوَحّدُ "ذُوْ" دائمًا وتعربُها إعرابَ "ذي" بمعنى (صاحِب) .

الثالثة: تجعلُ "ذُوْ" للمفرد المذكر ومثناهُ ومجموعه، و(ذاتُ) للمفرد المُؤَنّث ومثناه ومجموعه .

الرابعة: تُصَرّفُ "ذُوْ" على حسب الإفراد والتثنية والجَمْع، والتذكير والتأنيث.

والفرقة الأولى تمَثّلُ الظاهرة في صورتِها القديمة بدليل ما في العِبْريّة[2] والنقوشِ العَرَبِيَّةِ القديمة[3]. وما عند غير هذه الفرقةِ مِن تطور لَعِبَ فيه القياسُ اللُغَوِيّ دورًا كبيرًا،

وموضعُ الاضْطِرَاب في هذه المَسْأَلَةِ هو ما استقرَّ عند أسلافنا النُّحَاةِ وما ذكروه في كتبهم مستشهدين به على أنَّ "ذُوْ" الطائية تُسْتَخْدَمُ عندهم اسمًا موصلًا فقط، حَيْثُ اتضحَ للباحثِ أنَّ هذه القَبِيْلَة استَعْمَلتْ بالتزامُنِ مَعَهُ الاسمَ المَوْصُوْل الدالّ على المفردِ المذكر (الذي)، وأنَّ هناك كثيرًا مِن الشَوَاهِدِ التي تنتمي لفترةٍ زمنيةٍ واحدةٍ تؤكِّدُ استعمالَ هذين الحرفين معًا، وهو دليلٌ على أنَّ الشاعرَ الطائيَّ استخدم "ذُوْ" الطائية، واستخدمَ أيضًا الأصْلَ الذي عليه جُمْهُورُ العرب (الذي) . أولًا: مِن هذه الشَوَاهِدِ بيتٌ لسِنانِ بنِ الفحلِ الطائيِّ صاحِبِ البيت الشهير: (وبئري ذو

---

[1] ينظر: النحو الوافي د. عباس حسن ٣٥٨/١.

[2] ينظر سفر إشعيا ٢٤/٤٢ وانظر أمثلة أخرى في المزامير ١٢/١٣٢، ٤/١٤٢، ٨/١٤٣ وغير ذلك. نقلًا عن [بحوث ومقالات في اللُغَة، د. رمضان عبد التواب، ص:٨٩، الطبعة الثالثة:١٤١٥هـ/١٩٩٥م، مكتبة الخانجي بالقاهرة].

[3] ورد هذا في نقش عربي قديم، هو "نقش النِّمارة " الذي اكتشفه المستشرق (رينيه دِيسُّو) في مدفن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨ بعد الميلاد، ففي السطر الأول من هذا النقش، نقرأ الجُمْلَة التالية: " تِي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التّج "، وهي تعني:" هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذي حاز التاج. ينظر: فصول في فقه اللُغَة د. رمضان عبد التواب

حفرت وذو طويت) المستشْهَدِ به على "ذُوْ" الطائية عند معاشرِ النُّحَاةِ في إحدى قصائده يقول:[من الكامل]

ومَوْلاكَ (الذِيْ) قَتَلَ ابنَ سَلْمَى ... عَلَانِيَةً شُرَحْبِيْلَ بْنَ نَعْلِ

وقول معدان الطائي[1]:[من الطويل]

فأمَّا (الذيْ) يُحْصِيْهُمُ فَمُكثِّرٌ *** وأمَّا (الذِيْ) يُطْرِيْهُمُ فمُقلِّلُ

ويقول عمرو بنُ الغَوْث بنِ طَيِّئ:[من الكامل]

يَا طَيُّ أخْبِرْنِيْ وَلسْتُ بِكَاذِبٍ ... وأخُوْكَ صَادِقُكَ)الذِيْ) لَاْ يَكْذِبُ

ويقول أدهمُ بنُ أبي الزعراء:[من الكامل]

مِنَّا (الذِيْ) حَكَمَ الحُكُوْمَ فَوَافَقَتْ ... فِي الجَاهِلِيَّةِ سُنَّةَ الإسْلَامِ

ويقول الجَرَنْفَشُ بنُ عَبْدَة:[من الطويل]

أقلَّ انعِقَادًا صَدْرُهُ دُوْنَ مَالِهِ ... عَلَيَّ وآتِيْ (للّذِيْ(أنَا طَالِبُ

ويقول جروة بن يزيد الطائي:[من الوافر]

لِأنّيْ أطْلُبُ الْأَمْرَ (الذِيْ) لا ... يُنَالُ بغَيْرِ ضَرْبٍ للرِّقَابِ

ويقول الأعْوَرُ النبهاني – حُرَيْثُ بنُ عَنَّابٍ–:[من البسيط]

يَاوَيْحَ كُلُّ مُحِبٍّ كيف أرْحَمُهُ ... لأنَّنِيْ عَارِفٌ صِدْقَ (الذِيْ) يَصِفُ

ويقول عروةُ بنُ زيدِ الخيلِ الطائيّ:[من الوافر]

يُحَاوِلُنِيْ مُعَاوِيَةُ بنُ حَرْبٍ ... وَلَيْسَ إلَى (الذِيْ) يَهْوَىْ سَبِيْلُ

ويقول آخر:[من البسيط]

مَا إنْ رَأيْنَا أمِيْرًا بالعِرَاقِ مَضَىْ ... مِثْلَ المُثَنَّى (الذِيْ) مِن آلِ شَيْبَانَا

ويقول عُوَيْجُ بنُ ضُرَيْس الطائي:[من الرجز]

[1] ينظر: شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام د. وفاء فهمي السنديوني ٦٠٢/٢ الطبعة الأولى ١٩٨٣م – دار العلوم للطباعة و النشر.

أنا "عُوَيْجٌ" ومَعِي سيفُ الهُلُبْ *** أنا (الذي) أشْجَعُ مِن "مَعْدِيْ كَرِبْ"

ويقول غالب بن الحُرّ الطائي:[من الطويل]

قِفُوا أيُّها الرُّكْبَانُ حتَّى تَبَيَّنُوا *** ويَأتيْكُمُ الأمْرُ (الذي) ليس يُدْفَعُ

ويقول مَسْعُوْد بنُ كبيرٍ الجَرْمي الطائي: [مشطور الرجز]

إنَّ (الذِيْ) بَاعَكَ خَبٌّ ضَبُّ

وفي أمَالِيْ اليزيدي[1] لشاعرٍ مَجْهُوْلٍ مِن شعراءِ طَيِّئ بيتٌ يقول فيه:[من المتقارب]

فَجَاءَ (الذِيْ) مَا لَهُ حِيْلَةٌ ... ولابُدَّ مِنْ رَدّ مَا يُسْلَفُ

وقد استخدم الشاعر الطائِيّ في نفْسِ القصيدةِ (ذو الطائية) فجَمَعَ بين الاسم المَوْصُوْلِ المفرد (الذي) وبين (ذو الطائية) في قصيدةٍ واحدةٍ، فيقول على الرَّوِيّ السابق مِن القصيدة :

فنفسِيْ الفداءُ لهُ مُلْحِدًا *** أقامَ بهِ (ذو) صِبَا مُتْرَفُ

ثانيًا: استعمالُ الاسم المَوْصُوْلِ الدالِّ على المُؤَنّثِ (التي) بَدَلًا عن (ذو الطائية) يقول عامرُ بنُ جُوَيْنِ الطائي:[من الطويل]

أبِيْتُ (التِيْ) تَهْوَىْ وأعْطَيْتُكَ (التِيْ) ... تَسُوْفُ إلَيْكَ المَوْتَ أخْرُجُ أكْهَبَا

ويقول في القصيدة نفسِها:[من الطويل]

فَأغْضِ عَلَىْ غَيْظٍ ولَاْ تَرْمِ (التي) ... تُحَكّمُ فِيْكَ "الزّاعِبِيَّ" المُحَرَّبَا

ويقول دَعَامَةُ بنُ المُسَيّبِ:[من الكامل]

قِسْ كُلَّ أمْرِكَ قَبْلَ جَهْرِكَ (بالتي) ... فَأتَتْ ولمَّا تَسْتَطِعْ إمْسَاكَهَا

ثالثًا: استعمالُ الاسم المَوْصُوْلِ الدالِّ على الجَمْعِ (الذين) بدلًا عن (ذو الطائية) يقول حُرَيْثُ الطائي :[من الوافر]

وَمَاْ لِيْ وَ(الذيْنَ) حِذَى مقرِّي ... سِوَىْ أنِّيْ لِسَوْءَتِهَا أصِيْحُ

[1] ينظر: الأمالي أبو عبد الله محمد بن العباس بن المبارك اليزيدى ص: ٥٢ الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٣٨م – مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن – الهند.

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْأَلَة (٥): (أيّ) المَوْصُوْلة بين الإعْرَابِ والبناء

ترد (أيّ) في العَرَبِيَّةِ على عدَّة صور[١]:

١. شَرْطِيَّة: نحو: أيَّ كتابٍ تقرأْ تستفدْ، قال تَعَالَىْ: ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءالْحُسْنَى﴾[٢] .
٢. اسْتِفْهَامِيَّة: نحو قوله تَعَالَىْ:﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِين ﴾[٣] .
٣. تعجبية: نحو: أيُّ رجلٍ زيدٌ !
٤. أنْ تكون دالةً على معنى الكَمَالِ في الصِّفة نحو: كان واللهِ رجلًا أيَّ رجُلٍ،أيْ: كامل الرجولة .
٥. أنْ تكون مَوْصُوْلةً، خلافًا لثعلَبٍ فقد زَعَمَ أنَّها لا تكونُ إلّا استفهامًا أو جزاءً، وهو مَحْجُوج بثبوتِ ذلك في لسان العرب[٤] وبنَقْلِ الثقاتِ مِن النَّحْوِيِّيْنَ . ولـ"أيّ" المَوْصُوْلةِ أربَعُ صورٍ[٥] تُعْرَبُ في ثلاثٍ وتُبْنَىْ في واحِدةٍ:

الأولى: أنْ تُضَافَ ويُذْكَرَ صَدْرُ صِلَتِهَا نحو: يعجبني أيُّهم هو قائم .
الثانية: ألَّا تُضَافَ ويُذْكَرَ صَدْرُ صِلَتِهَا نحو: يعجبني أيٌّ هو قائم .
الثالثة: ألَّا تُضَافَ ولا يُذْكَرَ صَدْرُ صِلَتِهَا نحو: يعجبني أيٌّ قائم .

ففي هذه الحالاتِ تكونُ معربة بالحركاتِ الثلاثِ، قال العُكْبُرِيّ (ت: ٦١٦هـ) بالاتفاق[٦] وقال ابنُ مالكٍ بلا خلافٍ[٧] ونَظَمَ في ألفِيَّتِه:

(أيٌّ) كـ (مَا) وأعْرِبتْ مَا لَمْ تُضَفْ ... وصَدْرُ وَصْلِها ضَمِيْرٌ انْحَذَفْ

والرابعة: أنْ تُضَافَ ويُحْذَفَ صَدْرُ الصِّلةِ، نحو: يعجبني أيُّهم قائم، وأوْجَبَ سِيْبَوَيْهِ هاهنا البناءَ وتابَعَهُ عددٌ مِن البَصْرِيِيْنَ ؛ لشِدَّةِ افتقارها إلى المَحذوفِ، واستشهدوا بقوله تَعَالَىْ: ﴿ثم لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾[١]، و بقول الشاعر[٢]: (من المتقارب)

---

[١] ينظر: الصاحبي ص:١٠٠، والأزهية في علم الحُرُوْف الهروي ص/١٠٦-١١٠، ومغني اللبيب ص:١٠٧، و معجم النحو د.عبد الغني الدقر ص:٧٨ الطبعة الرابعة: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة.

[٢] الإسراء من الآية/١١٠

[٣] النمل من الآية/٣٨

[٤] ينظر: ارتشاف الضرب ١٠١١/٢

[٥] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٣٤٩/١

[٦] ينظر: اللباب ١٢٣/٢

[٧] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٣٥٠/١

إذَا مَا لَقِيْتَ بَنِيْ مَالكٍ ... فَسَلِّمْ عَلَىْ أيّهِمْ أفْضَلُ

وقد أشْكَلَتْ الآيةُ السابقةُ في الإعْرَابِ[٣]؛ لأنَّ القراءَ كلَّهم يقرءون (أيُّهم) بالرفع[٤] إلّا هارون القارئ[٥](ت:١٧٠هـ) فإنَّ سِيْبَوَيْهِ حَكَى عنه النَّصْب[٦] . و مذهبُ سِيْبَوَيْهِ وبعضِ البَصْرِيِيْنَ بناؤها على الضَّم إذا أضِيْفتْ وكان صَدْرُ صِلَتِها ضَمِيْرًا محذوفًا وفي تخريْجِ قراءةِ الرفْعِ ثلاثةُ أقوالٍ:

الأول: قولُ الخَلِيْلِ حكاهُ عنه سِيْبَوَيْهِ: معربة وهي مبتدأ، وأشَدُّ خبَرُهُ وهو رفْعٌ على الحكاية تقديره: لنَنْزِعَنَّ الذين يقالُ فيهم: أيُّهم أشدُّ على الرحمن عتيًا .

الثاني: قولُ يونس (ت:١٨٢هـ) إنَّ (أيّ) اسْتِفْهَامِيَّة مبتدأ، و (أشَدُّ) خَبَرُه، كَقَوْلِ الخَلِيْلِ، إلّا أنَّ الفعل (لنَنْزِعَنَّ) معلّقٌ عن العملِ فيها، فهي في محلِّ نصبٍ .

الثالث: قولُ سِيْبَوَيْهِ إنّها مَبْنِيَّة على الضّمّ ؛ لأنَّها خالفَتْ أخواتِها في الحذْفِ وهو سُقُوطُ صَدْرِ الصلة والتقدير (أيُّهُم هو أشَدُّ).

وقد قُرِئتْ الآية أيضًا بالنصبِ في قراءةِ معاذِ بنِ مسلمٍ الهَرّاء (ت:١٨٧هـ) أستاذ الفَرّاء، وطَلْحَة بنِ مُصَرّفٍ وهارون القارئ[٧]، وزائدة عن الأَعْمَش وهي من الشواذ[٨] .

فإعرابُ (أيٌّ) مطلقًا إذًا هو مَذْهَبُ الخَلِيْلِ ويونسٍ والكُوْفِيِّيْنَ، تُنْظَرُ أدلتُهُم في كُتُبِ النَّحْو[٩]، النَّحْو[٩]، وكما قُرِئتْ الآية السابقة بالنصبِ، قُرِئ الشاهدُ بالنصبِ كذلك .

---

[١] مريم من الآية/٦٩

[٢] البيت لغسان بن وعلة في المقاصد النَّحْويّة ١/ ٤٠٠، والخزانة ٦١/٦، وغير منسوب في الانصاف ٥٨٧/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٠٨/١، ومغني اللبيب ص: ١٠٨.

[٣] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٦/٣ ـ ١٨.

[٤] ينظر: معاني القُرْآن واعرابه للزجاج ٣٣٩/٣، واعراب القُرْآن للنحاس ١٧/٣ ونسبها ابن خالويه في مختصره لمعاذ بن مسلم شيخ الفَرّاء، وطلحة بن مصرف. ينظر ص: ٨٦، والدّر المصون ٦٢٤/٧.

[٥] **هارون القارئ:** أبو عبد الله هارون بن موسى الأزدي العتكي بالولاء، الأعور، عالم بالقراءات والعَرَبِيَّة، من أهل البصرة، كان يهوديًا فأسلم، وقرأ القُرْآن، وحفظ النحو، وحدّث، وكان أول من تتبع وجوه القراءات والشاذ منها، صنف (الوجوه والنظائر في القُرْآن) وكان قدريًا معتزليًا، توفي سنة ١٧٠هـ.

[٦] ينظر: الكتاب ٣٩٩/٢.

[٧] ينظر: مشكل إعراب القُرْآن أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق: د. حاتم الضامن ٤٥٨/٢، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، والكشاف ٣٤/٣، و البحر المحيط ٢٨٨/٧

[٨] ينظر: ينظر مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص: ٨٦ والبحر المحيط ٢٨٨/٧.

[٩] ينظر: الكتاب ٣٩٨/٢، والإنصاف ٥٨٣/٢، وشرح ابن يعيش ٣٣١/٤.

أجمَعَ النحويون على أنَّهُ إذا ذُكِرَ العائدُ مع "أيٌّ" فهي معْرَبة، وأمَّا إذا حُذِفَ العائدُ مِن الصلة فقد دَارَتْ رَحَىْ الحَرْبِ بين البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ[1]، بل اختلف فيها البصريون أنفُسُهم[2] فضلًا عن اختلافهم مع الكُوْفِيِّيْنَ مِن جهةٍ أخرى، ولكُلٍّ أدلتُهُ وشَوَاهِدُه .

وموضوعُ المَسْألةِ هو اللُغَة التي استندَ إليها الكوفيون، وهي إعرابُ "أيٌّ" مطلقًا . فقد ذَكَرَ غيْرُ عالمٍ أنَّ مِن العرب مَن يُعْرِبُ "أيٌّ" المَوْصُوْلة في كلِّ أحوالِها، قياسًا على الاسْتِفْهَامِيَّة والشرطيّةِ، قال سِيْبَوَيْهِ: ((وسألتُ الخَلِيْل رحمه الله عن قولهم: اضربْ أيُّهم أفضل؟ فقال: القياس النصْبُ، كما تقول: اضربْ الذي أفْضَلُ؛ لأنَّ أيًّا في غيْرِ الجزاء والاستفهام بمنزلة الذي، كما أنَّ مَن في غير الجزاء والاستفهام بمنزلة الذي))[3] .

وعلى هذه اللُغَةِ جاءتِ القراءةُ المشْهُوْرةُ، بل سِيْبَوَيْهِ امتَدَحَ روايةَ النصْبِ عند الكُوْفِيِّيْنَ فقال:((وحدثنا هارون[4] أنَّ الكُوْفِيِّيْنَ[5] يقرؤونها " ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أيَّهم " وهي لُغَة جيدة، نَصَبوها كما جَرُّوها حين قالوا: امْرُرْ على أيِّهِم أفْضَلُ))[6] وما قوله (وهي لغة جيدة) إلّا دليلٌ على موافقتِهِ عليها لأنَّهُ قاسَ القراءة على القولِ الذي سَاقه[7]، فتكون(أي) مفعولًا به، قال الفَرّاء:((ومَن نَصَبَ (أيّ) أوقَعَ عليها النَّزْعَ وليس باستفهام كأنَّهُ قال: لنستخرجنّ العاتيَ الذي هو أشد))[8] .

ومِن التفصيلِ السابقِ نرىْ الاضْطِرَابَ في قَاعِدَة (أيّ) المَوْصُوْلةِ مِن خلالِ تمسُّكِ البَصْرِيِيْنَ باللُغَةِ المشْهُوْرةِ التي مثّلَتْها القراءةُ الصحيحة المشْهُوْرةُ التي قرأ بها العشرة، وهي قراءة الضَّمِ، واستشهادُهُم بالبيت الذي حكاهُ أبو عمروٍ الشيبانيّ عن غسَّانٍ بضَمّ (أيُّهم) في قوله:

.... *** فسلّم على أيُّهُم أفْضَلُ

---

[1] ينظر: مجالس العلماء ص:٢٣١، و الأزهية في علم الحُرُوْف ص:١٠٦-١١٠، والإنصاف في مسائل الخلاف ٥٨٣/٢(م/١٠٢)، وأسرار العَرَبِيَّة أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنْبَاري ص: ٢٦٥، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الأرقم بن أبي الأرقم، و ائتلاف النصرة ص:٦٧ (م/٥٨)، ومغني اللبيب ص:١٠٨ .

[2] عقد لها أبو البركات الأنْبَاري في الإنصاف مسالة خلافية بين البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ انتصر فيها لمذهب البَصْرِيِيْنَ [الإنصاف: ٥٨٣/٢ (م/١٠٢)]، فيما اكتفى في كتابه أسرار العَرَبِيَّة، بذكر الخلاف الذي وقع بين أساتذة المدرسة البصرية، وعد ما ذهب إليه سِيْبَوَيْهِ هو الصحيح. [أسرار العَرَبِيَّة ص: ٢٦٥].

[3] الكتاب ٣٩٨/٢.

[4] **هارون:** هو هارون بن موسى القارئ الأعور ت:١٧٠ [ينظر ترجمته ص:]

[5] **الكوفيون:** هم عاصم و حمزة و الكِسَائي وخلف والأَعْمَش.

[6] الكتاب ٣٩٩/٢.

[7] ينظر: دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القُرْآن للفرّاء، د. المختار أحمد ديرة، ص:٤٠٨، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار قتيبة - بيروت.

[8] معاني القُرْآن للفراء ٤٧/١

وفي المقابل تمسَّكَ الكوفيون باللُغَةِ التي نطَقَ بها بعضُ العرب، ومثّلتْها القراءةُ الشاذة ﴿ثم لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيَهُمْ أَشَدُّ ﴾ بالنَّصْبِ، ورواية البيت السابق بالجَرِّ .

ولو أنَّ كلَّ فريقٍ اعترفَ باللُغَةِ التي استند إليها الآخرُ، كما فعل سِيْبَوَيْهِ، لانتهى هذا الخلافُ الدائرُ والجدلُ الثائرُ بينهما[1] . وبالتالي نرى أنَّ (أيّ) المَوْصُوْلة قد تأتي معربةً خلافًا للقَاعِدَةِ المشْهُوْرةِ، وأنَّها لُغَة جيدة للأسباب الآتية:

أولا: مَجِيْئُهَا على القياس، ذكره سِيْبَوَيْهِ فقال: ((وأما الذين نصبوا فقاسوه وقالوا: هو بمنزلة قولنا اضْرِبِ الذين أفْضَلُ ... وهذا لا يرفَعُهُ أحَدٌ))[2] .

ثانيًا: وُرُوْدُ السَّمَاعِ بها، ففيها قراءةٌ شاذّةٌ تَدْعَمُها، وبيتُ مِن الشِّعْرِ فصيحٌ .

ثالثًا: إنَّها لُغَةٌ لقَبَائِل كثيرةٍ تمْتَدُّ مِن البصرةِ حتى مكةَ، استنادًا إلى ما حكاهُ الأنْبَاريُّ (ت:٥٧٧هـ)[3] عن الجَرْمِي(ت:٢٢٥هـ) قال: مِن حينِ خرجتُ مِن الخندق . يعني خندقَ البصرة . حتى صرْتُ إلى مكة لم أسمعْ أحدًا يقول: اضْرِبْ أيُهم أفضَلُ . أيْ: كلُّهُم ينْصُبُ .

رابعًا: إنَّ المفردَ مِن المبنياتِ إذا أضيفَ أعْرِبَ، مثل (قبلُ، وبعدُ)، فصارتِ الإضَافَة توجِبُ الإعْرَابَ . و(أيٌّ) إذا أفْرِدَتْ أعْرِبَتْ، فلو قلْنَا إنَّها إذا أضيفَتْ بُنِيَتْ كانَ هذا نقْضًا للأصُولِ النَّحْويّة[4] . قال النحَّاسُ: وقد علِمْنَا أنَّ سِيْبَوَيْهِ أعْرَبَ(أيًّا) وهي منفردةٌ؛ فكيف يبنيها وهي مضافة[5] .

خامسًا: إنَّ البناءَ قولٌ لسِيْبَوَيْهِ، وتابَعَهُ بعضُ البَصْرِيِيْنَ ؛ لأنَّ صدرَ صلةِ المَوْصُوْلِ قد حُذِفَ، وبهِ فارَقَتْ (أيَّ) أخواتِها[6]، وأيٌّ عند سِيْبَوَيْهِ بمعنى (الذي) وخالفَتْها في جوازِ الإضَافَةِ فيها فأعْرِبَتْ لذلك، فلمَّا حُذِفَ مِن صِلتِها ما يعودُ عليها ضَعُفَتْ فرجَعَتْ إلى البناء[7]، فإذا وُصِلَتْ بجُمْلَةٍ تامَّةٍ بقِيَتْ على الإعْرَابِ، وإذا حُذِفَ العائدُ عليها بُنِيَتْ[8] . وجُمْهُورٌ مِن البَصْرِيِيْنَ

---

[1] ينظر: اختلاف اللَهْجَات العَرَبِيَّة بين ابن عقيل والسلسيلي ص/٤٦١.

[2] الكتاب ٤٠١/٢

[3] ينظر: الإنصاف ٥٨٥/٢، و شرح ابن يعيش ٣٣٢/٤.

[4] ينظر: الإنصاف ٥٨٥/٢.

[5] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٧/٣.

[6] ينظر: الكتاب ٣٩٨/٢، وإعراب القُرْآن للنحاس ١٧/٣، ومجالس العلماء ص: ٢٣١، والأزهية ص:١٠٦-١١٠، ومشكل اعراب القُرْآن ٤٥٨/٢، والمحرر الوجيز ٢٦/٤، والجامع لأحكام القُرْآن ١٣٤/١١، والدّر المصون ٦٢١/٧

[7] ينظر: المحرر الوجيز ٢٦/٤.

[8] ينظر: أسرار العَرَبِيَّة ص:٢٦٥، والتبيان في اعراب القُرْآن للعكبري ٨٧٨/٢.

يخَطِّئُونه في ما ذهبَ إليه، قالَ ابنُ السّرَّاْجِ (ت:٣١٦هـ):((وأنا أستبعدُ بناء (أيّ) مضافة، وكانت مفردة أحقُّ بالبناء..))[١]، ونُقِلَ عن الزَّجَّاجِ (ت:٣١١هـ) أنه يقول: ما تبين لي أنَّ سِيْبَوَيْهِ غلط إلّا في موضعين هذا أحدُهُما، فإنَّه يُسَلِّمُ أنَّها تعْرَبُ إذا أفْرِدَتْ، فكيف يقول ببنائها إذا أضيفتْ[٢]، وقال أبو جَعْفَر النحَّاس (ت:٣٣٨هـ):((ما علِمْتُ أحدًا مِن النَّحْوِيِّيْنَ إلّا وخطأ سِيْبَوَيْهِ في هذا، سَمِعْتُ أبا إسحاقٍ يقول: ما يبِيْنُ لي أنَّ سِيْبَوَيْهِ غلط في كتابه إلا في موضعين هذا أحدُهما))[٣]

وقد انتصَرَ أبو علي الفارسي (ت:٣٧٧هـ) لسِيْبَوَيْهِ بقوله: إنّما وَجَبَ البناءُ على مذهب سِيْبَوَيْهِ ؛ لأنَّه حَذف منه ما يتعرفُ به الضَمِيْرُ مع افتقارٍ إليهِ كما حُذِفَ في ﴿ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾[٤] ما يتعرفان به مع افتقارِ المضافِ إلى المضافِ إليه، لأنَّ الصلة تُبَيّنُ المَوْصُوْلَ[٥] وقال عنه الزَّجَّاجي (ت:٣٣٧هـ) بأنه أجودُ الأقاويلُ[٦]، واختارهُ ابنُ الحاجبِ (ت:٦٤٦هـ)[٧]، وابنُ مالكٍ[٨] . وزَعَمَ ابنُ الطراوة[٩] (ت:٥٢٨هـ) أنَّ (أيّ) مقطوعة عنِ الإضَافَةِ، فلذلك بُنِيَتْ، وأنَّ (هُمْ أشَدُّ) مبتدأ وخبرٌ . وقد ردّهُ ابنُ هِشَامٍ بحجتين قويتين هما: رَسْمُ الضَمِيْرِ مُتَّصِلًا بأيٍّ في المصحف، وبإجماع النَّحْوِيِّيْنَ على أنّها معربة إذا لم تضفْ[١٠] .

وفي سِياق تبريْرِ عِلَّةِ البناءِ التي ذَكَرَها سِيْبَوَيْهِ والانتصار له، نذْكُرُ ما حكاهُ ابنُ قائد[١١] عن أبي إسْحَقِ الشّاطِبِيّ فقال: ((فَكيف يَقُول ببنائها إِذا أضيفت مَعَ أَنَّ الْإِضَافَة مُبْعِدة عَن شَبَهِ الْحَرْفِ الَّذِي هُوَ مُوجِبٌ للْبِنَاء، وَالْجَوَابُ أَنَّ سَبَبَ بنائها إِذا أضيفتْ وَحذف صدر صلتها كَونهَا فِي هَذِه الْحَالة قد نزل مَا أضيفت إِلَيْهِ منزله الصَّدْر وَلذَلِك لم يقبح حَذْفُ صدرِ صلتها حَيْثُ

---

[١] الأصول ابن السّرَّاْج ٣٢٤/٢

[٢] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٧/٣، والدّر المصون ٦٢٤/٧، ومغني اللبيب ص:١٠٨.

[٣] إعراب القُرْآن للنحاس ١٧/٣، وينظر: مغني اللبيب ص:١٠٨

[٤] الروم من الآية/٤.

[٥] الجامع لأحكام القُرْآن ١٣٤/١١، وينظر: المحرر الوجيز ٢٦/٤.

[٦] مجالس العلماء ص:٢٣١.

[٧] ينظر: أمالي ابن الحاجب أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب الكردي المالكي تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة ١٤٨/١ طبعة سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار عمار الأردن، ودار الجيل بيروت.

[٨] ينظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢٨٥/١.

[٩] **ابن الطراوة:** هو أبو الحسين سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي الأندلسي المعروف بابن الطراوة، سمع على الأعلم كتاب سيبويه، وروى عن أبي الوليد الباجي، وروى عنه السهيلي والقاضي عياض، كان مبرزًا في النحو واللغة يوفي سنة ٥٢٨ هـ، له (الترشيح في النحو) و(المقدمات على كتاب سيبويه) وغيرهما.

[١٠] ينظر: مغني اللبيب ص: ١٠٨، وحاشية الصبان على شرح الأشْمُونِي ١٠٨/١.

[١١] **ابن قائد:** عثمان بن أحمد بن سعيد بن عثمان بن قائد النجدي: فقيه، من أفاضل النجديين. ولد في العيينة (بنجد) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وانتقل إلى القاهرة فتوفي فيها سنة ١٠٩٧هـ.[الأعلام للزركلي].

كَانَت مُضَافَة لطول الصِّلَة بتنزيل الْمُضَاف إِلَيْهِ منزلَة جُزْء مِنْهَا وَقد نَص الإمامان الجليلان الخَلِيْل وسِيْبَوَيْهِ رحمهمَا الله تَعَالَىْ على أَنَّ نَحْو: يُعجبنِي أَيُّ قَائِمٌ، قَبِيح كَمَا فِي جَاءَ الَّذِي قَائِم وَذَلِكَ لقصر الصِّلَة بِحَذْف الصَّدْر مَعَ عدم مَا يقوم مقَامه بِخِلَاف "أَيُّهمْ قَائِم"؛ فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ حَسَّنَ حذْفَ صدر الصِّلَة، وَحَيْثُ نُزِّلَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ منزلَةَ الصَّدْر بقِيَتْ "أَيُّ" كَأَنَّهَا غير مُضَافَة لَا لفظًا وَلَا تَقْديرًا، أمَّا الأول فلتنزيل الْمُضَاف إِلَيْهِ منزلَة الصَّدْر، وأمَّا الثَّانِي فلوجود الْإِضَافَة لفظًا، وَالتَّقْدِير لَا يُجَامع اللَّفْظَ فَبُنِيَتْ "أَيُّ" فِي هَذِه الْحَالة لكَونهَا صَارَت بِمَنْزِلَة المقطوعة عَن الْإِضَافَة لفظا وتقديرا...))[1].

إن قراءة الجُمْهُور بالضَّم أحدثَتْ شَرْخًا في القَاعِدَةِ النَّحْويّةِ وكانت سببًا في ابتداع سِيْبَوَيْهِ حالة البناء التي خالفَ فيها جُمْهُورَ النُّحَاةِ حتى شنَعَ عليه بعضُهم ورموه بالخطأ، كما أنه خالفَ لُغَاتِ العربِ التي نتصبُ في هذا الموضع، وقد أيّدَ كثيرٌ مِن النُّحَاةِ رأيَ سِيْبَوَيْهِ وانتصروا له، وأيّدَ أصحابُ كُتُبِ إعرابِ القُرْآن رأيَ سِيْبَوَيْهِ أيضًا، وفسّروه إذا ما استثنينا منهم أبا إسحاق الزَّجَّاج الذي خطّأ سِيْبَوَيْهِ في هذه المَسْأَلَة كما بيّنا . وكان الأنْبَاري يقول إنَّ بناءَها على الضم أولى ؛ لأنَّها أقوى الحركات، ولكنَّ القولَ ببنائها عند الإضَافَةِ يناقض أصْلًا مِن أصولِ النحو، ولذا فالمختارُ هو مذهبُ الأخْفَش والكُوْفِيّيْنَ؛ لأننا إذا قلنا إنها إذا أضيفت بُنِيَتْ كان هذا نقضًا للأصول النَّحْويّة[2] .

---

[1] رسالة (أي) المشددة عثمان بن أحمد بن سعيد بن قائد النجدي الحنبلي تحقيق.د. عبد الفتاح الحموز ص/٤٨ الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – دار عمار/دار الفيحاء – الأردن.

[2] ينظر: الإنصاف ٥٨٥/٢

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْألَة (٦): (أمْسِ) بين الإعْرَابِ والبناء

يُطلَقُ على اليومِ الذي قبْلَ يومِكَ . وللعربِ فيه خِلافٌ، فأهْلُ الحِجَازِ يَبْنُوْنَهُ على الكَسْرِ، يقولون: فعلْتُ ذاكَ أَمْسِ، ومضَىَ أمْسِ بما فيه . وأمَّا بنو تَمِيْمٍ فقليلٌ منهم يعربونه ويمنعونه مِن الصَّرْف، ومنهم مَن يعربه إعرابَ ما لا يَنْصَرِف في حالةِ الرفع ويبنيهِ على الكَسْرِ في حالتَيْ النصبِ والجَرِّ، وهُم الأكثَرُ، ومِن العرب مَن يعتقدُهُ نكرةً فيعربَهُ ويصرفَهُ، ويُجْريه مُجْرَى الأَسْمَاءالمتمَكّنَةِ، فيقول: مضَى أمْسٌ بما فيه بالتنوين .

(أمْسِ) اسمٌ لدُخُوْل حرفِ الجَرِّ، و(أل)التعريفِ عليه في نحو "بالأمس"، ولصِحَّةِ الإسنادِ إليهِ . ويُطْلَقُ على اليوم الذي قبْلَ يومك[١]، وقد أحْصَى الباحثُ لهذه الكَلِمَةِ سِتَّ لُغَاتٍ ذَكَرَها النحويون:

أولها: البناءُ على الكَسْرِ مُطْلقًا وهو الأشْيَعُ . فالحِجَازيون يَبْنُوْنَهُ على الكَسْرِ في كلِّ المواضع[٢]، يقولون: ذَهَبَ أمْسِ بما فيه، ولقِيْتُهُ أمْسِ، وما رأيته مُذْ أمْسِ[٣]، وعلى هذه اللُغَةِ قولُ الشاعر[٤]: [من الكامل]

اليَوْمَ أَعْلَمُ مَاْ يَجِيءُ بِهِ ... ومَضَىْ بِفَصْلِ قَضَائِهِ أَمْسِ

ووضَعَ النُّحَاةُ للبناءِ خَمْسَةَ شُرُوْطٍ: أنْ يكونَ مفردًا لا جَمْعًا، وأنْ يَدُلَّ على اليومِ الذيْ يَسْبقُ يومَك، وألّا يكونَ مُعَرَّفًا بألْ، وألاّ يكونَ مُصَغَّرًا، ولا مضافًا[٥] . وعِلَّةُ البناءِ عند النَّحْوِيِّيْنَ هي الشَّبَهُ المعنويُّ، حَيْثُ تضَمَّنَ معنى (ألْ) التعريف في دِلالَتِهِ على اليوم الذي يَسْبِقُ يومَك الذي أنْتَ فيه، فاستغنى بوضوحِهِ عن لامِ التعريفِ، فجرى مجرى (الآن)[٦] ؛ لأنَّ (الآن) ليس مُعَرَّفًا

---

[١] ينظر: شرح الجمل للزجاجي ٤٠٠/٢، و شرح قطر الندى وبلّ الصدى أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ص:٣٦، الطبعة الحادية عشرة: ١٣٨٣هـ، د.د.

[٢] : ينظر: الكتاب ٢٨٣/٣، والنكت ٥٨٥/٢، و اللسان (أمس) ١٥٤/١

[٣] ينظر: معاني القُرْآن الأخْفَش ١٠/١ – ١١.

[٤] ينسب لتبع الأكبر بن الأقرن في شمس العلوم ودواء كلام العرب المكلوم نشوان بن سعيد الحميري اليمني(ت:٥٧٣هـ) تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبدالله ٣١٧/١، الطبعة الأولى:١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، ويروى لأسقف نجران، ينظر/شرح قطر الندى ص:٣٦، و اللسان (أمس) ١٥٤/١.

[٥] ينظر: حاشية الصبان على الأشْمُونِي ٩٥/١.

[٦] ينظر: شرح ابن يعيش ١٣٧/٣ .

باللام الظاهرة التي فيه، إذْ لَوْ كانَ مُعَرَّفًا بها لَجَازَ حَذْفُها منْهُ، فلُزُومُه هذه اللامَ دليْلٌ على أنَّها ليست للتعريف[1]، وهناك عِللٌ أخرى للنحاة في سبب البناء غير ما ذكرنا[2].

الثانية: البناءُ على الفتْحِ، وأنْكَرَ ابنُ مالكٍ[3]، وابن هِشَامٍ[4] هذا الاستعمال، ونَسَبَ إلى الزَّجَّاجي الوهْمَ في ادّعَائهِ[5]، ذَكَرَهُ سِيْبَوَيْهِ[6] واستشهد له بقول الراجز[7]:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مُذْ أمْسَا ... عَجَائِزًا مِثْلَ السَّعَالِيْ خَمْسَا

وهو قليلٌ عنده، ونَسَبَ السيرافي[8]، والأعْلَمُ الشّنْتَمَرِي[9] (ت:٤٧٦هـ) هذه اللُغَةَ إلى بعض بَنِيْ تَمِيْمٍ[10]، فعلى هذه اللُغَةِ تُبْنَىْ (أمْسَ) على الفتْحِ مُطْلقًا مراعاة لظرفيتها[11] .

و رَدَّ ابنُ عصفور ذلك؛ لأنَّ (أمْسِ) اسْمٌ وليس بظرفٍ لدُخُوْل حرْفِ الجَرِّ عليه، والظرفُ إذا دخَلَ عليهِ حرفُ الجَرِّ ينقلُهُ عن الظرفية . فضلًا عن أنَّ (أمْسِ) اذا بُنِيَ على الفتْحِ يَلْتَبِسُ مع حالةِ الممنوع مِن الصَّرْف؛ لأنَّه يُنْصبُ ويُجَرُّ بالفتحةِ أيضًا . لذا نلاحظ أنَّ حُكْمَ سِيْبَوَيْهِ له بالقلَّةِ بَعْدَ (مُذْ) فيه دِقّةٌ وتَمَعّنٌ في إطلاق أحكامِهِ، كما ذَكَرَ هذه اللُغَة في نِهَايَةِ كلامِهِ بشيءٍ

---

[1] ينظر: سر صناعة الإعْرَاب ٣٤/٢.

[2] ينظر: الهمع ١٨٧/٢- ١٨٨

[3] ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين تحقيق: محمد كامل بركات/طبعة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م/دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

[4] ينظر: شرح شذور الذهب ص: ١٩

[5] ينظر: الجمل أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته الشيخ ابن أبي شنب ص: ٢٩١ طبعة سنة ١٩٢٦م – بمطبعة جول كربونل بالجزائر.

[6] ينظر: الكتاب ٢٨٤/٣.

[7] البيت من شَوَاهِد سِيْبَوَيْهِ المَجْهُوْلة ٢٨٥/٣ وهو بلا نسبة في أسرار العَرَبِيَّة ص ٣٢، وأوضح المسالك ١٣٢/٤، وخزانة الأدب ١٦٧/٧، ١٦٨، وشرح الأشْمُونِي ٥٣٧/٢، وشرح التصريح ٢٢٦/٢، وشرح قطر الندى ص:١٦، ونسبه المحققان د. أحمد حسن مهدي و علي سيد سعيد في هامش تحقيقهما (شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي) إلى العجاج بن رؤبة ٥٣/٤.

[8] شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ أبو سعيد السيرافي ٥٣/٤.

[9] **الأعلم الشّنْتَمَرِي:** هو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشّنْتَمَرِي، النحوي الأندلسي، ولد في شنتمرية سنة ٤١٠هـ، ثم رحل إلى قرطبة فأخذ عن علمائها، وأخذ عنه الحسين بن محمد الجياني، توفي بأشبيلية سنة ٤٧٦هـ. له(النكت في تفسير كتاب سيبويه) و(شرح جمل الزجاجي) و(شرح حماسة أبي تمام).

[10] النكت ٨٦٠/٢

[11] بنظر: هَمْع الهَوَامِعِ ١٣٩/٢

مِن الاختصار، ولمْ يُعْنَ بها عنايةً كبيرة ؛ لأنَّه لا يتوسَّعُ في شَرْحِ الشَوَاذِّ والقليلِ مِن اللُغَاتِ ؛ لأنَّ كلَّ ما اتّسَعَ في اللُغَاتِ فهو شرٌّ كما نُقِلَ[1] عن أبي حاتم السجستاني(ت:٢٥٠هـ) .

الثالثة: التنوينُ مع البناءِ على الكَسْرِ (أمْسٍ) ونسَبَها الزَّجَّاجُ[2] لبعض العرب تشبيهًا لها بأسماء الأصوات كغَاقٍ[3] وغيرها، وحَكَاها الأزهريُّ (ت:٣٧٠هـ)[4] عن بَنِيْ عُقَيْلٍ، وهُمْ مِن قَيْسٍ، فيقولون: ذَهَبَ أمْسٍ بما فيه .

الرابعة: الإعْرَابُ مُطْلقًا، حكاها الكسائيُّ[5]، ونسبها أبوزيد لبَنِيْ عُقَيْلٍ، يقولون: ذَهَبَ أمْسٌ بما فيه[6] . جعلوْهُ نكرةً فأجْرَوْهُ مجرى الأَسْمَاءالمتمَكّنَةِ فصَرَفُوهُ، وأجازَ الخَلِيْلُ أنْ تكونَ الكَسْرةُ كسرةَ إعرابٍ؛ لأنَّ أصْلَ (لقيْتُهُ أمْسِ) هو (لقيته بالأمسِ) بحذفِ الباء و (ألْ)، فتكونَ الكسرةُ كسرةَ إعرابٍ[7]، قال ابنُ يعيشٍ: وهو غريبٌ في الاستعمالِ دُوْنَ القياس[8] .

الخامسة: لُغَة تَمِيْم، وهي نَفْسُها غيرُ مُوَحَّدةٍ ؛ إذْ إنَّ بعض تَمِيْمٍ يعربونها إعرابَ مَا لا يَنْصَرِف مُطْلقًا، ذَكَرَهُ الزَّمَخشريُّ[9]، ووَافَقَهُ ابنُ عصفورٍ، فيقولون: مضى أمْسُ بما فيه، بالرفع من غيرِ تنوين، وفعلتُه أمْسَ – بالنصبِ، وما رأيْتُهُ مُذْ أمْسَ – بالفتح . قيلَ هو محمولٌ على لفْظِ (سَحَرَ) في المَنْعِ مِن الصَّرْف عند تَمِيْمٍ إذا أريدَ به سَحَرَ يومٍ مُعَيّنٍ، وإلّا صُرِفَ[10] وهُو مَا يُعْرَفُ بالحَمْلِ على النَظِيرِ[11]، وقيلَ بلْ لِتَضَمّنِهِ معنى (ألْ) التعريف، فاجتمعَ فيه العَلَميّةُ والعدلُ فمنعوه مِن الصَّرْف[12] . وأنْكَرَ أبو حيّانٍ إعرابَها إعرابَ مَا لا يَنْصَرِف عند بعض بَنِيْ تَمِيْم فقال: ((واختلف النُّحَاةُ في إعرابِهِ مُطْلقًا إعرابَ مَا لا يَنْصَرِف عند بعض تَمِيْم. فذهبَ إلى إثباتِ ذلك الأسْتاذُ أبو

---

[1] ينظر: طبقات النَّحْوِيِّيْنَ واللُغَوِيّين أبوبكر الزبيدي ص:١٦٥.

[2] ينظر: الهَمْع ١٩٠/٢.

[3] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٢٨/٢.

[4] ينظر: تهذيب اللُغَة للأزهري مادة (أمس) ٣٦/١٥.

[5] ينظر: الهمع ١٩٠/٢

[6] لسان العرب ٤٥٣/١٥: تفسير ذاك وذلك بعد مادة (ذا).

[7] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٣٧/٢

[8] ينظر: شرح ابن يعيش ١٣٧/٣.

[9] ينظر: المفصل للزمخشري ص: ٢١٦.

[10] الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ١٧٨/١

[11] ينظر: القراءات وأثرها في علوم العَرَبِيَّة محمد سالم محيسن ١٣٠/٢.

[12] ينظر: شرح ابن يعيش ١٣٧/٣، وحاشية الصبان على شرح الأشْمُونِي ٩٥/١.

الحَسَنِ بنُ البَاذِش[1] وهو قولُ ابنُ عصفورٍ، وابنُ مالكٍ. وقال الأستاذ أبو عليٍّ: هذا غَلَطٌ، وإنَّما بنو تَمِيْم يعربونه في الرفْعِ، ويَبْنُوْنَهُ في النصْب والجر))[2] . وعلى هذه اللُغَة قولُ العجاج وهو تَمِيْمي[3]:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبَـًا مُذْ أمْسًا ... عَجَائِزًا مِثْلَ السَّعَالِيْ خَمْسًا

وأكثرُ التَمِيْمِيِّيْن يعربونها إعرابَ الممنوع مِن الصَّرْف في حالة الرفع ويَبْنُوْنَهُا على الكَسْرِ في النصْبِ والجر[4] .

فإن فقد شرط من الشروط المتقدمة فلا خلاف في إعرابها وصرفها .

السادسة: لا مُعْرَبَ ولا مَبْنِيْ، ونُسِبَ هذا للكسائي[5] ؛ لأنَّهُ اسْتُعْمِلَ على الحكايةِ، إذْ يراهُ فِعْلَ أمْرٍ مِن الماضي (أمْسَىْ يمْسِي أمْسِ)، ثُم انتَقَلَ إلى المعرفة، فإذا قلتَ: جئتُ أمْسِ، فمعناه اليوم الذي كنتَ تقول فيه أمْسِ، وكثُرَتْ هذه الكَلِمَةُ على ألسنَتِهم .

ويرى الباحِثُ أنَّ القَاعِدَةَ في (أمْسِ) مُشَوَّشَةٌ وغيرُ مُسْتقرةٍ لاسِيّما في لُغَة تَمِيْمٍ، وعُقَيْلٍ . فالمشْهُوْرُ في (أمْسِ) البناء على الكَسْرِ عند الحِجَازِيّيْن وجميعِ العرب[6]، نجِدُ اللُغَاتِ الأخرى مُضْطربة في استعمالِهِ ؛ ففي لُغَة تَمِيْمٍ منهم مَن يبْنِيهِ على الفتْحِ مُطْلقًا، وقد غَابَ ذلك عن الدكتورِ المُطَّلبي في كتابه "لَهْجَة تَمِيْم"[7]، ومنهم مَن يُعْرِبُهُ إعرابَ مَالا يَنْصَرِف، ومِن التَمِيْمِيِّيْن أيضًا مَن يعربه في الرفْعِ ويبْنِيهِ في النصْبِ والجرّ، فتكونَ معربة ومَبْنِيَّة في آنٍ، ومِن بَنِيْ تَمِيْم مَن يعربه إعرابَ مَا لا يَنْصَرِف في أحوالِهِ الثلاث[8]، فيُرْفعُ بالضمة ويُنْصبُ ويُجَرُّ بالفتحةِ .

---

[1] **ابن الباذش:** أبو جَعْفَر احمد بن علي بن احمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، المعروف بابن الباذش النحوي، أخذ عن أبيه وأكثر الرواية عنه، روى أيضاً عن أبي علي الغساني، وأبي علي الصدفي، كان عارفًا بالأسانيد، توفي سنة ٥٤٠هـ له (الإقناع في القراءات).

[2] ارتشاف الضرب ١٤٢٨/٣.

[3] ينظر: النوادر في اللُغَة ص:١٦٢، وفيه: (مثل الأفاعي)، وكذلك هي في (ما يَنْصَرِف وما لا يَنْصَرِف) للزجاج ص:١٢٣.

[4] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثاني، المَسْأَلَة (٤): أمس بين الصَّرْف والمنع.

[5] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٢٧/٢، والهمع ١٨٨/٢.

[6] ينظر: الهمع ١٨٧/٢.

[7] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم للمطلبي ص: ٢٣٤.

[8] ينظر: شرح الأشْمُونِي ٥٣٦/٢، وفي تاريخ العَرَبِيَّة ص: ١١٦

أمَّا بنو عُقَيْلٍ فحَكَى ابنُ منظورٍ[1] عنهم إعرابَهُ مُطْلقًا مع التنوين، وذَكَرَ تْشِيْمْ رَابِيْنُ[2] أنَّ ثمّة قَبَائِل عربية شاركتْ بعضَ التَمِيْمِيِّيْن في إعرابِ "أمْسِ" إعرابَ الممنوع مِن الصَّرْف كبَنِيْ عُقَيْلٍ ؛ لأنَّ بَنِيْ عُقَيْلٍ مِن القَبَائِل القيْسِيَّةِ التي لها صِلاتٌ وثيقة ببَنِيْ تَمِيْمٍ، فهما متقاربتان في المساكن، ولعلَّ ذلك أثَّرَ في أصواتِهم ولُغَاتِهم[3] . ونَرَى الكِسَائيَّ يصنِّفُها لا مُعْرَبَ ولا مَبْنِيَ، وليْسَ ثمَّةَ منطقةٌ وَسَطٌ بين البناءِ والإعْرَابِ حدَّ عِلْمِ الباحِثِ .

عَدّ بعضُ الباحثين[4] أنَّ هذا الاضْطِرَابَ ناتجٌ عن اضْمِحْلالِ ظاهرة الإعْرَابِ في لَهْجَةِ تَمِيْمٍ ولعَلَّها كائنة في طريقِهَا إلى البناءِ، كما استقرّتْ في لُغَةُ الحِجَازِ . فيكونَ إعرابُها إعرابَ مَا لا يَنْصَرِف مُطْلقًا عند بعض بَنِيْ تَمِيْمٍ هو اللُغَةُ القدمى للفصحى ؛ لأنَّ الأصْلَ في الأَسْمَاءالإعْرَابُ، والأصْلُ سابقٌ الفرْعَ . ولُغَةُ البناءِ عند الحِجَازِيّيْن مُطْلقًا تمَثّلُ مرحلةَ التطوّرِ والنضْجِ للفصحى، أمَّا إعرابُهُ رفعًا إعرابَ مَا لا يَنْصَرِف، ثم بناؤه في حالتَيْ النصْبِ والجَرِّ عند جُمْهُورِ بَنِيْ تَمِيْمٍ فهي المرحلة الوسْطَى بين اللغتين[5] . لذا كان البدو يَمِيْلُون إلى الضَّمِ في كلامِهم بينما يُؤْثِرُ أهْلُ الحَضْرِ الكَسْرَ . فقَبَائِل الحِجَازِ بوجهٍ عامّ كانوا يَمِيْلون إلى الكَسْرِ[6]، وقَبِيْلَة تَمِيْم متوغِّلَةٌ في البداوة فلا غرابَةَ أنْ تحافظَ في لهجتِها على الضَّم ؛ لأنَّه صفة مِن صِفاتِ الخشونة التي يحْرصُ عليها البدويُّ والتي يُدْرِكُ أنَّها تميّزُهُ عن غيره[7] . وزعم د. إبراهيمُ أنيس أنَّ الاستقراءَ في (أمْسِ) اعْتَوَرَهُ بعضُ القصُورِ، وأنَّ الحقيقة هي أنَّ تَمِيْمًا كانتْ تلتزمُ في الكَلِمَةِ حالة واحدة هي (أمْسُ) بضَم السين[8]، ولمْ يَجِدِ الباحثُ روايةً تاريخيّةً تَذْكُرُ ذلك، ولمْ يَذْكُرْ هو أيَّةَ روايةٍ سوى إصْرارِهِ على أنَّ قَبَائِل الحِجَازِ بوجهٍ عامّ كانوا يَمِيْلون إلى الكَسْرِ في حين أنَّ تَمِيْمًا ومَن على شاكلَتِهِم مِن قَبَائِل وسْطِ الجزيرة وشرقِيِّها كانوا يضُمُّون، متأثرًا بالمَنْهَجِ التقابُلِيّ

---

[1] **ابن منظور**: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفريقي المصري، ولد بمصر سنة ٦٣٠هـ، وروى عن ابن الطفيل، ويوسف المحيلي، وابن المقير، خدم في ديوان الانشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء بطرابلس، ثم عاد إلى مصر وبها توفي سنة ٧١١هـ. له (لسان العرب) و (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر) وغيرهما.

[2] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة القديمة رابين ص: ٢٩٨.

[3] ينظر: لَهْجَات القَبَائِل العَرَبِيَّة النخعي ص: ٢٠٣ – ٢٠٤

[4] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم للمطلبي ص: ٢٣٢.

[5] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ: دراسة نحوية تحليلية ص/١٥٦ رسالة دكتوراه للباحث: عبد الله بن عبد الرحمن سعد العياف مقدمة إلى كلية اللُغَة العَرَبِيَّة – جامعة أم القرى ١٤٢٣هت – ٢٠٠٢م

[6] ينظر: في اللَهْجَات العَرَبِيَّة د. إبْرَاهِيم أنيس ص/٨٣ – ٨٥.

[7] المرجع السابق ص: ٨٥

[8] المرجع السابق ص: ٨٤

بين اللُّغَاتِ، فمادام أهلُ الحِجَازِ يَبْنُوْنَهُا على الكَسْرِ، فقد استَلْزمَ هذا – في نَظَرِهِ – أنْ تكونَ مَبْنِيَّة على الضَّم في لُغَةِ بَنِيْ تَمِيْم[1] .

ويُعَلِّلُ الدكتور نهاد الموسى[2] تَعَدُّدَ اللُّغَاتِ في (أمْسِ) إلى تَطَوّرِ ظاهرةِ الإعْرَابِ مِن ثلاثِ حركاتٍ (الإعْرَابُ الكامِلُ) إلى حركتين (المنْعُ مِن الصَّرْف) ثم إلى أحاديَّةِ الحركة، وهي مرحلة البناءِ التي سادَتْ في العَرَبِيَّة المشتركة .

ومهما يَكُنْ مِن أمْرٍ فإنَّ الحُكْمَ بالإعْرَابِ والبناءِ على كَلِمَةٍ في موقعٍ نحْويٍّ واحدٍ لاعتبارين تَقْعِيْدِييْنِ مختلفَينِ، يناقِضُ أصُولَ التصْنيفِ في المُعْربِ والمبني .

[1] ينظر: لُغَات العرب في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه ص: ١٨١.

[2] ينظر: في تاريخ العَرَبِيَّة أبحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي د. نهاد ياسين الموسى ص: ١٢٦ ط/٢٠١٤م – دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع، الأردن – عمان.

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْأَلَة (٧): (حَيْثُ) بين البناء والإعْرَاب

المشْهُوْر في (حَيْثُ) بناؤها ظرفًا على الضَّم وهي لُغَةُ الحِجَازِ وجُمْهُورُ بَنِيْ تَمِيْم، وهي اللُغَةُ الفاشِيَة[١]، وعليها القراءة المختارة ﴿من حَيْثُ لَا يعلمُونَ ﴾[٢]، ولكنَّ بعضًا مِن تَمِيْمٍ يفْتَحُ ثاءَها أيضًا . أمَّا أسَدٌ فتخفضُها في موضْع الخفْضِ وتنصبُها في موضْع النصْبِ .

(حَيْثُ) ظرفٌ للمكانِ باتّفاقِ جُمْهُور[٣] النُّحَاةِ، قال سِيْبَوَيْهِ: ((وأمَّا "حَيْثُ" فمكانٌ بمنزلة قولِكَ:هو في المكان الذي فيه زيْدٌ))[٤]، خلافًا للأخفشِ الذي يَرَى أنَّها قد تَرِدُ للزمَانِ[٥]، وتابَعَهُ ابنُ يعيشٍ[٦] وابنُ هِشَامٍ[٧]، فمِنْ استعمالِها بمعنى الزّمَانِ قولُ طَرَفَةَ بنِ العبْدِ: [من المديد]

لِلْفَتَىْ عَقْلٌ يَعِيْشُ بِهِ ... حَيْثُ تَهْدِيْ سَاقُهُ قَدَمُهْ

وأجازَ الكِسَائيُّ أنْ تكونَ اسمًا[٨] فتقعُ مفعولًا به، وتابَعَه أبو عليّ الفارسي[٩]، فجَعَلَ منه قولَهُ تَعَالَىْ: ﴿ اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالتَه﴾[١٠]، ويَكْثُرُ جرُّها بـ(مِنْ)، ويقلّ بـ(على) وبالباءِ، ويَشُذّ[١١] بـ(في)، وإضَافَةُ (لَدَىْ) إليْها قليلٌ كَقَوْلِ الشاعر[١٢]: (من الطويل)

فَشَدَّ، وَلَمْ تَفْزَعْ بُيُوْتٌ كَثِيْرَةٌ ... لَدَىْ حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أمُّ قَشْعَمِ

---

[١] ينظر: المقتضب ١٧٥/٣

[٢] سورة الأعراف من الآية/١٨٢

[٣] ينظر: مغني اللبيب ص: ١٧٦.

[٤] الكتاب ٢٣٣/٤

[٥] ينظر: شرح الأبيات المشكلة ص: ٢٠٩، و البحر المحيط ١٥٥/١، والارتشاف ١٤٥٠/٣، والدر المصون ٢٨٢/١، ومغني اللبيب ص: ١٧٦،

[٦] شرح ابن يعيش ١١٥/٣ .

[٧] ينظر: مغني اللبيب ص: ١٧٨(ش/٢١٨)

[٨] ينظر: الارتشاف ١٤٥٠/٣

[٩] ينظر: كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعْرَاب أبو علي الفارسي الحسين بن أحمد بن عبد الغفار تحقيق وشرح الدكتور/محمود محمد الطناحي ١٧٨/١ – ١٧٩ الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م مطبعة المدني – الناشر/مكتبة الخانجي – بالقاهرة .

[١٠] سورة الأنعام من الآية/١٢٤

[١١] ينظر: التذييل والتكميل ٥٥/٨، و الارتشاف ١٤٤٦/٣

[١٢] ينسب لزهير بن أبي سلمى، ويروى (إلى حَيْثُ) ينظر: الارتشاف ١٤٤٧/٣،

وتَلْزَمُ إضافتُها إلى الجُمْلَةِ، اسْمِيَّةً كانتْ أمْ فِعْلِيَّة، وإضافتُها إلى الفِعْلِيَّةِ أكثر، ولا تضاف عند البَصْرِيِيْنَ إلى المفردِ إلَّا شذوذًا[1]، وأجازهُ الكوفيون وابنُ مالكٍ، والكِسَائيُّ يقيْسُه[2]، كَقَوْلِ الشاعر[3]: [من الطويل]

وَنَطْعَنُهُمْ تَحْتَ الحُبَاْ بَعْدَ ضَرْبِهِمْ ... بِبِيْضِ المَوَاْضِيْ حَيْثُ لَيِّ العَمَائمِ

وقول آخر[4]: [من الرجز]

أَمَاْ تَرَىْ حَيْثُ سُهَيْلٍ طالِعًا ... نَجْمًا يُضِيْءُ كَالشِّهَاْبِ سَاْطِعًا

وإذا دخلَتْ عليها (ما) كانتِ اسمَ شرْطٍ جازمٍ، وأجازَ الفَرّاءُ الجزْمَ بها دون (ما)[5] .

وفي (حَيْثُ) لُغَاتٌ أشهرُها البناءُ على الضَّم، وهو لُغَةُ معظَمِ القَبَاْئِلِ الحِجَاْزِيَّة وجُمْهُورِ بَنِيْ تَمِيْم، وقد نسَبَها الكِسَائيُّ إلى كِنَانَة وقَيْسٍ[6]، ويبدو أنَّ المراد بكِنَانَةَ هم قُرَيْشٌ وقَبَاْئِلها؛ لأنَّ البناءَ على الضَّم هو الذي عليه القُرْآنُ[7] . وهي اللُغَةُ الفاشِيَة[8] والعاليَة[9] .

وَيَلِيْ البناءَ على الضَّم البناءُ على الفَتْح، وحكَىْ سِيْبَوَيْهِ لغتَيْ البناءِ على الضَّم والبناءِ على الفتح في عِدَّةِ مواضِعَ مِن كتابِهِ دون أنْ ينْسُبَ إحدى اللغتين إلى قومٍ بعينهم[10]، ونَقَلَ النحَّاسُ عن الكِسَائي أنَّ الفتحَ لُغَةُ بَنِيْ تَمِيْمٍ، فقال: ((قال الكِسَائيُّ: الضّمّ لُغَة قَيْسٍ وكِنَانَة والفتح لُغَةُ بَنِيْ تَمِيْم))[11]، ونَقَلَ أبو حيانٍ، وابنُ منظورٍ عن الكِسَائي، قال: سَمِعْتُ في بَنِيْ تَمِيْمٍ – مِن بَنِيْ

---

[1] ينظر: البحر المحيط ٢٥١/١

[2] ينظر: مغني اللبيب ص: ١٧٧ الشاهد/٢١٥ .

[3] ينسب للفَرَزْدَق في شرح شواهد المغني ٣٨٩/١، والمقاصد النحوية ١٣١١/٣، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١٢٥/٣، وخزانة الأدب ٥٥٣/٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٤/٧، وشرح ابن يعيش ١١٣/٣، ومغني اللبيب ص:١٧٧، وشرح الأشموني ١٤٧/٢وهمع الهوامع ٢٠٩/٢.

[4] غير منسوب في خزانة الأدب ٣/٧، وشرح شواهد المغني ٣٩٠/١، وشرح ابن يعيش ١١٣/٣، وشرح ابن عقيل ٥٦/٣، ومغني اللبيب ص:١٧٨، والمقاصد النحوية ١٣٠٨/٢، وشرح الأشموني ١٤٦/٢، وهمع الهوامع ٢١٠/٢.

[5] ينظر: البحر المحيط ٢٥١/١

[6] ينظر: إعراب القُرْآن النحَّاس ٤٦/١.

[7] ينظر: لُغَة قُرَيْش مختار الغوث ص: ١٦٤ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م دار المعراج الدولية للنشر – المملكة العَرَبِيَّة السعودية – الرياض.

[8] ينظر: المقتضب ١٧٥/٣، ١٧٨

[9] ينظر: العين للخليل ٢٨٥/٣ (حَيْثُ)، وتهذيب اللُغَة ٢١٠/٥

[10] ينظر: الكتاب ١٥/١، ٢٨٦/٣، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٣١.

[11] إعراب القُرْآن للنحاس ٤٦/١

يَرْبُوْعٍ وطُهَيَّةَ – مَن ينصبُ الثاءَ على كلِّ حالٍ في الخفْضِ والنصْبِ[1]، فيقول: حَيْثَ التقيا، ومِنْ حَيْثَ لا يعلمون، ولا يُصِيْبُها الرفعُ في لغتهم[2] . فمَنْ عزا البناءَ على الضَّم لجُمْهُورِ بَنِيْ تَمِيْمٍ فقد أخَذَ بما نقله أبو حيانٍ وابنُ منظورٍ عن الكِسَائي[3]، ومَنْ عزا البناءَ على الفتح لبَنِيْ تَمِيْمٍ فقد أخَذَ بما نقله النحَّاسُ عن الكِسَائي[4] . وعَلّلَ المُبَرِّد لُغَةَ الفتح بسبب الياء التي قَبْل آخرها، فهي ظرفٌ كأيْنَ وكيف[5]، كأنَّهم كرهوا الكسْرَ مع الياء[6] .

و (حَيْثُ) بالضَّم هي الأجْوَدُ، وهي اللُغَةُ المشْهُوْرةُ، فأمَّا (حَيْثَ) بالفتح، وإنْ كانت جائزة في العَرَبِيَّةِ فلا يُقرأ بها[7] ؛ لأنَّ القراءة سُنَّةٌ متَّبَعَةٌ، فمخالفتُها بما يجوزُ في الإعْرَابِ بِدْعة[8] .

والبناءُ على الكَسْرِ لُغَةٌ في (حَيْثُ) وهي لُغَةٌ حكاها الكِسَائيُّ[9] ولمْ يحدّدْ النُّحَاةُ مَن يتكلم بها مِن قَبَائِلِ العربِ، فذكر ابنُ يعيشٍ[10] أنَّ الكِسَائي حكى كسْرَها لُغَةً لبعض العرب، يقولون: مِن حَيْثِ لا يعلمون، وحكى النحَّاسُ[11] عن الكُوْفِيّيْنَ الكسْرَ و الإضَافَة. حَيْثُ أجْرَوها مَجْرى ظروف الزّمَانِ في إضافتها إلى الجُمْل، وإذا أضيفتْ إلى الجُمْلَةِ كان فيها وجهان الإعْرَابُ والبناء .

ومِن العربِ مَنْ يعربُ (حَيْثُ) حكاها الكِسَائيُّ ونَسَبَها لبَنِيْ فَقْعَسٍ[12] يقولون: جلسْتُ حَيْثَ كنتَ، وجئتُ من حَيْثِ جئتَ، فيجرُّونها بـ (مِنْ)، وهي عندهم كـ (عند) . وقراءة مَن قرأ[13] ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[14] بالكسْرِ تَحْتَمِلُهُ، وتحْتَمِلُ لُغَةَ الْبناءِ على الكَسْرِ[15] . وإعرابها

---

[1] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٤٨/٣.

[2] ينظر: الارتشاف ١٤٤٨/٣، ولسان العرب مادة (ح ي ث).

[3] ينظر: النحو والصَّرْف بين التَمِيْمِيِّيْن والحِجَازِيِّيْن د. عبد الله البركاني ص: ١٢٢

[4] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ٢٩٩.

[5] ينظر: المقتضب ١٧٨/٣.

[6] ينظر: إعراب ثلاثين سورة ص: ٢٠٤

[7] ينظر: العين (حَيْثُ) ٢٨٥/٣، ومعاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٣٢٩/٢

[8] ينظر: ما يَنْصَرِف وما لا يَنْصَرِف ص: ١١٩

[9] ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ أبو سعيد السيرافي ٥١/١.

[10] شرح المفصل ابن يعيش ١١٥/٣ .

[11] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٢٢/٢.

[12] ينظر: البحر المحيط ٢٥١/١.

[13] لم أعثر على هذه القراءة في كتب القراءات، واكتفي ابن هِشَامٍ بقوله " وقراءة من قرأ "ولم ينسبها في المغني ص: ١٧٦، وكذلك فعل السَّيُوطِي في الهَمْع ٢٠٩/٢

[14] الأعراف من الآية/ ١٨٢

[15] ينظر: مغني اللبيب ص: ١٧٦

لا يخُصُّ بَنِيْ فَقْعَسٍ كما ذَكَرَ بعضُ النُّحَاةِ[1]، بل تشاركها قَبَائِل غيرها، فقد قال السَّيُوطِي: ((ولُغَة طَيّءٍ إبدالُ يائها واوًا، فيقولون: "حَوْثُ" وفي ثائها أيضًا الحركاتُ الثلاثُ))[2]، وهو ضَرْبٌ مِن المعاقَبَةِ بين الياءِ والواو، وجعَلَهَا بعضُ الباحثين مَبْنِيَّة على الضَّم والفتح والكسر[3]، ولا يعْلَمُ الباحثُ كَلِمَةً تُبْنَىْ على الحركاتِ الثلاث في لُغَةٍ واحدةٍ، فَضْلًا عن مخالفته تعريفَ البناءِ . وهي لُغَةٌ صحيحة، وجيدة، إلا أنَّ (حَيْثُ) أفْصَحُ اللغتين[4]، وأجْوَدُ القولين[5] . ولكنْ يبدو أنَّ لَهْجَةَ طَيّءٍ تميلُ إلى الواو؛ فقد اشتهرَتْ عنهم (ذو) الطائيّةِ في (الذي)، وقالوا (حُبْلُو) في الوقفِ على (حُبْلَى) و(أفْعُوْ) في الوقف على (أفْعَى)[6] . وتذْكُرُ بعضُ المصادر أنَّها تُعْرَبُ عند بَنِيْ الحارثِ بن أسَدٍ وفَقْعَسٍ[7]، وفَقْعَسٌ هم بنو طريفِ بنِ عمرو مِن أسَدٍ، فيكون إعرابها عند بَنِيْ الحارثِ بنِ ثعلبة مِن بَنِيْ أسَدٍ ومنهم فَقْعَس[8] .

وعلة بنائها هي افتقارُها إلى جُمْلَةٍ بعدها تُوضِحُها، فبُنِيتْ كبناءِ المَوْصُوْلاتِ للشَّبَهِ الافتقاري[9] . كما أنَّها خالفَتْ أخواتِها في إضافتِها إلى الجُمْلَةِ، وليس هناك مِن ظروفِ الأمكنة ما يُضافُ إلى جُمْلَةٍ إلَّا (حَيْثُ)، فلمّا خالفَتْ أخواتِها بُنِيَتْ لخروجها عن بابِها[10] . فإذا لم تُضَفْ إلى جُمْلَةٍ تُعْرِبُ ؛ لأنَّ موجِبَ البناء زالَ، وإذا زالَ ذلك الموجِبُ الذي هو عِلّة البناء زالَ المعلولُ وهو البناء[11]، ومنهم مَن قال هي مَبْنِيَّةٌ على الضَّم وإنْ أضيفتْ إلى مفردٍ .

فمَن جعَلَها مضمومة فإنَّما ألحَقَهَا بالغايات نحو "قبلُ و بعدُ"[12]، أمَّا مَن فتَحَهَا فللياءِ التي قَبْلَ آخرها فهي ظرفٌ بمنزلة "أيْنَ وكيْفَ"[13]، وأمَّا مَن بناها على الفتْح فَطَلَبًا للخفّة[1]؛ بسبب ثقل

---

[1] ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ٩٥٢/٢.

[2] هَمْع الهَوَامِع ٢٠٩/٢.

[3] ينظر: اللُّغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص: ٢٩٢ .

[4] ينظر: لسان العرب ٢٥٩/٤ (حوث)

[5] ينظر: المقتضب: ١٧٨/٣

[6] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم غالب المطلبي ص: ١٣٩

[7] ينظر: الارتشاف ١٤٤٨/٣

[8] فَقْعَس بن طريف بن عمرو بن قَعين بن الحارث بن ددان بن أسَد بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن معد بن نزار بن عدنان. فهم من أسَد بن خزيمة وليس من أسَد بن رَبِيْعَة كما ذكرته الباحثة صالحة آل غنيم [ينظر رسالتها "اللَهْجَات في كتاب سِيْبَوَيْهِ أصواتا وبنية" ص: ٤٣]

[9] ينظر: شرح المفصل ابن يعيش ١١٤/٣.

[10] ينظر: اللباب في علل البناء والإعْرَاب أبو البقاء العُكْبُرِيّ تحقيق د/عبد الإله النبهان ٧٩/٢ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م دار الفكر – دمشق.

[11] ينظر المقاصد النَّحْويّة ١٣٠٩/٣.

[12] ينظر: المقتضب ١٧٨/٣، وشرح ابن يعيش ١١٤/٣.

[13] ينظر: المقتضب ١٧٨/٣.

الكسرة بعد الياء، وأمَّا بناؤها على الكَسْرِ فلأنَّها أُجْرِيَتْ مَجْرى ظروف الزّمَانِ في إضافتها إلى الجُمَل ففيها وجهان الإعْرَابُ والبناء[٢] .

ومَن يرى جوازَ إضافتها إلى المفرد يجعلُها معربةً قياسًا على إعرابها في لُغَةِ بَنِيْ فَقْعَسٍ، و قال ابنُ هِشَامٍ نقلًا عن ابنِ جني: ((قَالَ أَبُو الْفَتْح فِي كتاب التَّمام[٣] وَمَن أضَاف حَيْثُ إلى الْمُفْرد أعْربهَا))[٤] . وهي عند بَنِيْ يَرْبُوْعٍ وطُهَيَّةَ لا تُضَمّ في لغتهم كما حكاه الكِسَائي، وذَكَرَه أبو حيانٍ وابنُ منظور[٥] . ولكنْ ما الذي جعل بنو يَرْبُوْعٍ وطُهَيَّة تبْنِيْها على الفتْح وهم فرعٌ مِن تَمِيْمٍ الذين يَبْنُوْنَهُا على الضَّم، هل يكون إيثارُهم للفتح راجعًا إلى الخفة والمَيْلِ إلى الإمالة، أوالسهولة والسرعة في النطق .

وسَبَبُ الاضْطِرَابِ في هذه الكَلِمَةِ أنَّها وَرَدَتْ مضمومةً، ومفتوحةً، ومكسورةَ، في لُغَاتٍ صحيحةٍ فَصِيْحَةٍ . فأحْدَثَ هذا اختلافًا بين النُّحَاةِ، أمَبْنِيَّةٌ هِيَ أمْ مُعْربة؟ فمنهم مَن جعلها مَبْنِيَّةً على الضَّم مُطْلقًا وهو قول الجُمْهُورِ، وآخرون جعلوها مَبْنِيَّةً على الأصْلِ وقد تعربُ كأبي عليٍّ الفارسي، وبعضُهم جعلها معربةً مُطْلقًا، حكاه أبو عليٍّ قولًا لبعض البَصْرِيِيْنَ[٦]، ويرى الباحثُ اضْطِرَابًا داخل لُغَة تَمِيْمٍ ؛ حَيْثُ ثَبَتَ أنَّ البناء على الفتح لدى بَطْنَيْنِ فقط مِن تَمِيْمٍ، هما بنو يَرْبُوْعٍ وطُهَيَّة اللذان ينتميان إلى حنظلةَ بنِ مالكٍ . ولكنَّ هذا لا يمنع أنْ تكون لُغَة البناء على الفتح لبَنِيْ تَمِيْم، وأنْ تكون لُغَةَ الإعْرَابِ لبَنِيْ أسَدٍ، وبهذا يكون كلٌّ مِن البناء على الفتح والإعْرَاب لُغَةً وليس اتجاهًا أسلوبيًا كما قال الدكتور ضاحي عبد الباقي في البناء على الفتح ((هذا الاتجاه لم يصل إلى مرتبة اللُّغَة، فهو لم ينتشر في داخل القَبِيْلَة بأسْرها))[٧] . ويمكن أنْ يؤيدَ الباحثُ ما ذهب إليه الدكتور علي ناصر غالب مِن أنَّ لُغَة إعراب "حَيْثُ" الذي احتفظت به بنو أسَد وقَفْعَس يمثل طورًا أكثر حداثة خالفَتْ فيه ما استقرت عليه العَرَبِيَّةُ الفُصْحَىْ[٨]، واتجهَتْ

---

[١] ينظر: شرح ابن يعيش ١١٤/٣.

[٢] شرح ابن يعيش ١١٥/٣.

[٣] لم يعثر الباحث على كتاب التمام هذا...

[٤] مغني اللبيب ص: ١٧٨

[٥] ينظر: الارتشاف ١٤٤٨/٣، ولسان العرب مادة (ح ي ث)

[٦] ينظر: الحجّة للقراء السبعة الفارسي ٢٦/١، وينظر: كتاب الشعر، ١٧٩/١-١٨٢.

[٧] لُغَة تَمِيْم د. ضاحي عبد الباقي ص: ٥٠٠

[٨] ينظر: لَهْجَة قَبِيْلَة أسَد علي ناصر غالب ص: ١٩٨ الطبعة الأولى ١٩٨٩م - دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

اللُغَاتُ الأخرى إلى اختصارِ الحركاتِ، فبعضُهم بناها على الفتْح، وبعضُهم بناها على الكَسْرِ، وبعضُهم بناها على الضَّم وهو لُغَةُ قُرَيْشٍ فشاعَ وانتشر[1] .

[1] ينظر: في تاريخ العَرَبِيَّة د. نهاد الموسى ص: ١٢٥.

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

مسألة (٨): (فَعَالِ) علمًا لمُؤَنّث

قَاعِدَةُ الاسم الذي يأتِيْ على وزن (فَعَالِ) عَلَمًا لمُؤَنّثٍ كَحَذَامِ، ووَبَارِ، ورَقَاش، وسَجَاحِ وغيرها، هي البناءُ على الكَسْرِ، نحو: جاءتْ حَذَامِ، ورأيْتُ حَذَامِ، وسلّمتُ على حَذَامِ، وهي لُغَةُ أهل الحِجَازِ . بينما هذه الصِيْغَة في لُغَة تَمِيْم مُضْطَرِبَةٌ ؛ فهي معرَبَة إعرابَ الممنوع من الصَّرْف عند جُمْهُورِ بَنِيْ تَمِيْمٍ ومَبْنِيْة عند بعضهم .

ترِد صِيْغَة (فَعَال) في النحو العربي على ستّ صور[١]:

- ما جاء مِن أسماءِ الأفعالِ على هذا الوزن مثل: حَذارِ، ونَزالِ ...
- ما كان عَلَمًا للمصْدَرِ، نحو: فَجارِ (للفجرة) .
- ما جاء ملازمًا الحالية على هذا الوزن، كبَدادِ .
- ما جاء صفة جارية مجرى العلم، مثل: حَلاق (للمنيّة)، وجعار (للضبع) .
- أو ملازمة النداء، نحو: يا فَسَاقِ، ويا خِبَاثِ، ويا لَكاعِ، في سَبِّ الإناث.

وجمِيْعُ الصوَرِ السابقة مَبْنِيَّةٌ بالاتفاقِ، قال ابنُ مالك: ((واتفقوا على كَسْرِ – فَعَالِ – أمرًا أو مَصْدرًا أو حالًا أو صِفَةً جارية مَجْرَى الأعْلام أو ملازمة للنداء))[٢] . وليس مَثارُ المَسْألَةِ هذه الصُوَرِ الخَمْسِ، وإنَّما هو عَمّا جاء معدولًا عن فاعِلَةٍ عَلَمًا لمُؤَنّث . وذلك في لُغَةِ أهل الحِجَاز كحَذَامِ، وقَطَامِ، ورَقَاشِ، وسَجَاحِ أعلامًا لنساء، وكَسَابِ اسم لِكَلْبةٍ مِن كلاب الصيد، وسَرَابِ اسمٌ لناقة البسوس، وسَكَابِ اسمٌ لفَرَسٍ . فيبنى ذلك كلُّهُ على الكَسْرِ، نحو: كانت سجاحِ زوجًا لمسيلمةَ الكذَّابِ، ومِن ذلك قولُ امرئ القيس[٣]:[من البسيط]

قَامَتْ رَقَاشِ وأصْحَابِيْ عَلَىْ عَجَلٍ تُبْدِيْ لكَ النّحْرَ واللّبّاتِ والجِيْدا

وقول النابغة[٤]: [من الوافر]

أ تارِكَةٌ تَدَلُّلَها قَطَامِ وضِنّا بالتَّحِيَّةِ والكَلامِ

---

[١] ينظر: المقتضب ٣٦٨/٣ .

[٢] تسهيل الفوائد ص:٢٢٣.

[٣] ديوانه ص: ٢٠٢، ولسان العرب ٣٠٦/٦ (رقش)، وتاج العروس ٢١٩/١٧ (رقش).

[٤] ديوانه ص: ١٣٠، ولسان العرب ٣٠٦/٦ (رقش)، وبلا نسبة في شرح ابن يعيش ٧١/٣.

وقول الشاعر لُجَيم بن مصعب[1]:[من الوافر]

إذا قالـــتْ حَـــذَامِ فصـــدِّقُوها فـــإن القـــولَ مـــا قالـــتْ حَـــذَامِ

ذَكَرَ النحويون على وفق قَاعِدَةِ الأصْلِ والفرع أنَّ الإعْرَابَ أصْلٌ في الأَسْمَاءفرعٌ في الأفعال، وأنَّ البناءَ أصْلٌ في الحُرُوْف . فإذا أشْبَهَ الاسمُ الحرفَ بُنِيَ، وإنْ شَابَهَ الفعلَ نَقَصَ مِن كمال إعرابه، فيُمْنَعُ التنوينَ الذي هو علامة تَمَكُّنِ الاسمِ في باب الاسْمِيَّةِ . والفعلُ إنْ تَشَبَّهَ بالاسم أعْرِبَ وإلا بقي مبنيًّا إذ لا ثالثَ لهما .

وفي صِيْغَة (فَعالِ) علمًا لمُؤَنّث نجِدُها جاءت مكسورةً على كلِّ حالٍ عند الحِجَازِيّيْن، ولم يجِدْ لها النُّحَاةُ مِن مسوّغ للبناء فقالوا بالعدلِ عن (فاعِلَة) التي هي ممنوعةٌ مِن الصَّرْف، إذ ليس بعد المنْع إلاّ البناءُ[2]، وهو تعليلٌ في نَظَرِ الباحثِ غير مُقْنِعٍ، وقد رَدّهُ ابنُ جني[3]، فضلًا عن عدم اطّرادِه ؛ إذ هو مسموعٌ في ألفاظٍ محفوظةٍ معدودةٍ لا يقاسُ عليها[4] . وقيل بُنِيَ على الكَسْرِ إجراءً له مجرى (فَعَالِ) الواقع موقع الأمر كـ(نزالِ)؛ لشبهه به في الوزن والعدل والتعريف . وورد عليه قول عائشة – رضي الله عنها–: ((فإذا عِقدٌ لي مِنْ جَزْعِ ظَفارِ قد انقَطَعَ))[5] .

بنو تَمِيْمٍ في هذا الوزن على قسمين[6]: قلّةٌ منهم يعربُ ما جاء على هذه الصِيْغَةِ إعراب ما لا يَنْصَرِف مطلقًا، نحو: هذه قَطَامُ، وهذه حَذَامُ، وهذا هو القياسُ عند سِيْبَوَيْهِ[7]، غير أنَّ شَوَاهِدِ هذه اللُغَةِ قليلةٌ جدًا ؛ لأنَّ أكثرَ ما وَرَدَ في هذا الباب مِن أشعارٍ جاءت على لُغَة أهل الحِجَاز[8]،

---

[1] ينظر: لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور ٣٠٦/٦ حَيْثُ قال: ((لُجَيم بْنُ صَعْب وَالدُ حَنيفة وعِجْل وحَذَامِ زوجُه)).

[2] ينظر: المقتضب ٣٧٤/٣

[3] ينظر: الخصائص ١٨١/١.

[4] أورد الصغاني في كتابه (١٣٠) لفظة مما استعمله العرب على (فَعَالِ)، وقد ذكرها السَّيُوطِي في المَزْهَر نقلًا عن الصغاني، واستدرك عليه بضعة ألفاظ وجدها في بعض كتب اللُغَة، كما استدرك عليهما محقق كتاب (ما بنته العرب على فعال) بعض الألفاظ ألحقها في ذيل الكتاب المحقق فما زادت عن (١٣٨) لفظة.

[5] ينظر: صحيح البخاري ١٧٣/٣ (ح: ٢٦٦١).

[6] ينظر: أمالي ابن الحاجب أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن الحاجب (ت:٦٤٦هـ) تحقيق: د. فخر الدين صالح قدارة ٣٦٤/١-٣٦٥، عام النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت.

[7] ينظر: الكتاب ٢٧٣/٢.

[8] ينظر: الصحاح ١٠٠٧/٣(ر ق ش).

منها أربعة أبياتٍ ذكرها التَّبْرِيْزي[1] في شَرْحِه[2] حماسةِ أبي تمَّام (ت:٢٣١هـ) الذي نَسَبَها إلى رجُلٍ مِن بَنِيْ تَمِيْم[3]:[من الوافر]

أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّ سَكَابَ عِلْقٌ نَفِيْسٌ لَا تُعَارُ وَلَا تبَـاعُ
مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَـةٌ علَيْنـا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَال وَلَا تُجَاعُ
سَلِيْلَةُ سَابِقَيْنِ تَنَاْجَـلاهَا إِذا نُسِبَا يَضُمُّهُمَا الكرَاعُ
فَلَا تَطْمَعْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ فِيهَا ومَنْعُكَهَا بِشَيْء يُسْتَطَاع

وعلّقَ البغدادي(ت: ١٠٩٣هـ)على البيت بقوله: ((وسَكَابِ: فَرَسٌ إذا أعربْتَهُ منعْتَهُ الصَّرْف لِأَنَّهُ علم فلحصول التَّعْرِيف فِيهِ والتأنيث مَعَ كَثْرَة الحُرُوْف يمْنَع الصَّرْف، والشاعر تَمِيْمي وَهَذِه لُغَة قومه.))[4] .

وأمَّا جُمْهُورُ بَنِيْ تَمِيْمٍ فيُفَصِّلُون فيها ؛ فإنْ كانت الصِيْغَةُ مختومةً بالراءِ تُبْنَ على الكَسْرِ ؛ لأنَّهم يختارون لها اللُغَةَ العالية وهي مَذْهَبُ أهلِ الحِجَازِ، وإلّا تعرب إعراب ما لا يَنْصَرِف . وقد استشهد المُبَرِّد[5] بقول الفَرَزْدَق: [من الطويل]

مَتـى مـا تَـرِدْ يَومًـا سَـفَارِ تَجِـدْ بِهَـا أُدَيْهِـم يَرْمِـي الْمُسْـتَجِيزَ المُعَـوَّرَا[6]

على بناء (سَفَارِ) في الشاهد على الكَسْرِ، جريًا على لُغَة جُمْهُور بَنِيْ تَمِيْم في إعراب ما كان على وزن (فَعَالِ) عَلَمًا لمُؤَنّثٍ إعراب ما لا يَنْصَرِف، إلا ما كان منه مختومًا بالراء مِن هذا الضربِ كَقَوْلِ العرب (سَفَارِ) وهو اسم ماء، و(حَضَارِ) اسم كوكب، و(جَعَارِ) اسم للضبع،

---

[1] **التبريزي:** يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، من أئمة اللُغَة، أصله من تبريز، نشأ ببغداد ورحل إلى الشام فقرأ تهذيب الأزهري على أبي العلاء المعري، رحل إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية حتى توفي سنة ٥٠٢هـ. له "شرح ديوان حماسة أبي تمام " و " تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت" و"تهذيب الألفاظ لابن السكيت" و"شرح سقط الزند للمعري" و"شرح اختيارات المفضل الضبي" و"الوافي في العروض والقوافي" و"شرح القصائد العشر" و"شرح اللمع لابن جني" و"شرح بانت سعاد" وغيرها. [الأعلام للزركلي]

[2] ينظر: شرح ديوان الحماسة التبريزي ٦٨/١.

[3] سبعة أبيات لعبيدة بن رَبِيْعَة بن قحفان بن ناشرة بن سيّار بن رِزام بن مازن من بني عمرو بن تَمِيْم، وزاد البغدادي بعد هذه الأبيات الأربعة:

وكفي تستقلّ بحمل سيفي *** وبي ممن تهضّمني امتناع
وحولي من بني قحفان شيبٌ *** وشبانٌ إلى الهيجا سراع
إذا فزعوا فأمرهمو جميعٌ *** وإن لاقوا فأيديهم شعاع

[4] خزانة الأدب ٢٩٩/٥.

[5] ينظر: المقتضب ٥٠/٣

[6] و (سفار) اسم بئر يستقون منها الماء.

و(وَبَارٍ) موضع[1]، فألْزَمُوهُ الكسرَ، قَالَ الْأَعْشَى[2] فَجمع بَين اللغتين التَمِيْميتين: [من مخلع البسيط[3]]

أَلَمْ تَرَوْا إرَمًا وَعَادَا أَوْدَىْ بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
وَمر دهر على وبار فَأَهْلِكَتْ جَهْرَةً وَبَـــــأْرُ

فَبنى "وبار" الأولى على الكَسْرِ وأعرب "وبار" الثَّانِية ؛ بسبب تجاور القَبَائِل العربية وتأثرهم ببعض لأنَّ الأعشى مِن بَنِيْ قيس بنِ ثعلبة إلا أنَّ منزلَهُ باليمامة وفيها بنو تميم وغيرهم من قَبَائِل العرب، والمتجاورون قد يغلب على جماعتهم لغة أصلها لبعضهم[4]. وَقيل إنَّ "وبار" الثَّانِية لَيْسَت باسم كـ"وبار" الأولى، بل الْوَاو عاطفة وَمَا بعْدهَا فعل مَاض وفاعل وَالْجُمْلَة معطوفة على قَوْله "هَلَكت"، وَقَالَ أَولا "هَلَكت" بالتأنيث على معنى الْقَبِيْلَة، وَثَانِيا "باروا" بالتذكير على معنى الْحَيّ، وعَلى هَذَا القَوْل فتكتب "وباروا" بِالْوَاو وَالْألف كَمَا تكْتب سَارُوا، ومن المحتمل رفع "وبار" الثانية من قبيل الضَرُورَة الشّعْرِيّة[5] .

وأمَّا سببُ موافقتِهِم أهلَ الحِجَازِ في بناء ما آخره راء على الكَسْرِ فهو أنَّ بَنِيْ تَمِيْمٍ يميلون الألف، والإمالة مع كسْرِ الراءِ أخّفُّ عليهم منها مع ضمّ الراءِ أو نصْبِها، فالكسْرُ أنْسَبُ الحركات للإمالة[6] .. وإليك قولُ أبي سعيد السيرافي في شَرْحِ هذه المَسْأَلَةِ كما أورَدَهُ ابنُ سِيْدة[7] (ت:٤٥٨هـ) في المخصَّصِ: ((قَالَ أَبُو سعيد: اعْلَم أَن بَنِيْ تَمِيْم تركُوا لغتهم فِي قَوْلهم هَذِه حَضَارِ وسَفَارِ وتبعوا لُغَة أهل الْحِجَاز بِسَبَب الرَّاء وَذَلِكَ أَن بَنِيْ تَمِيْم يختارون الإمالةَ وَإِذا ضمُّوا الرَّاء ثَقُلَتْ عَلَيْهِم الإمالةُ وَإِذا كسروها خَفَّتِ الإمالةُ أَكثر مِن خفتها فِي غير الرَّاء لِأَنَّ الرَّاء حرف مُكَرر والكسرة فِيهَا مكررة كَأَنَّهَا كسرتان فَصَارَ كسرُ الرَّاء أقوى فِي الإمالة مِن كسر غَيرهَا

---

[1] قال ابن منظور: "أرض لعاد غلبت عليها الجن" اللسان ٥/٢٧٣ (وبر).

[2] ديوانه ص: ٣٣١، والكتاب ٣/٢٧٩، وشرح الكتاب للسيرافي ١/٦٧، وشرح الأشموني ٣/١٦٧-١٦٨، وشرح التصريح ٢/٣٤٦، ولسان العرب ٥/٢٧٣ (وبر)، والمقاصد النحوية ٤/١٣٥٨، وهمع الهوامع ١/١٨٠، وغير منسوب في المقتضب ٣/٥٠، وشرح ابن يعيش ٣/٧٠-٧١، وأمالي ابن الحاجب ١/٣٦٤.

[3] وهم العيني في مقاصده النحوية فجعلها من الوافر [ينظر: المقاصد النحوية٤/١٨٣٥(ش/١٠٤١)]

[4] ينظر: شرك كتاب سيبويه للسيرافي ١/٦٧.

[5] ينظر: شرح شذور الذهب ص/١٢٦،

[6] ينظر: الأصول ٢/٨٩، وشرح المفصل ٤/٦٤، وشرح الكتاب للسيرافي ١/١/١٢٩

[7] **ابن سِيْدَةَ (٣٩٨ – ٤٥٨ هـ):** علي بن إسماعيل، المعروف بابن سِيْدَةَ، أبو الحسن: إمام في اللُغَة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريرا (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، صنف «المخصص »، و «المحكم والمحيط الأعظم »، و «شرح ما أشكل من شعر المتنبي » و «الأنيق» في شرح حماسة أبي تمام، وغير ذلك.

وَصَارَ ضَمُّ الرَّاء فِي منْعِ الإمالة أشدَّ مِن منْعِ غَيرهَا مِن الحُرُوْف فَلذَلِك اخْتَارُوا موافقةَ أهل الْحِجَاز))[1] .

ففي لُغَة الحِجَازِ نجد صِيْغَة (فَعَالِ) قد استقرَّتْ في البناء على الكَسْرِ، لكنَّ الاضْطِرَابَ نلمسُهُ في لُغَةِ تَمِيْمٍ، حَيْثُ تتأرجَحُ الصِيْغَةُ بين الإعْرَابِ والبناء[2] . فقليلٌ منهم يتبع لُغَة الحِجَازِ مُطْلقًا، وكثيرٌ مِن بَنِيْ تَمِيْم يفرِّقُ، فإنْ كان آخرُهُ راءً لَجَؤُوا إلى البناء ليوافقوا لُغَة الحِجَاز ؛ لأنَّها في نظرهم اللُغَةُ الفُصْحَىْ وهي لُغَةُ الرسول ﷺ، وإنْ لم يكنْ آخرُهُ راءً أعربوا الصِيْغَة على ما جاءت في لغتهم إعراب الممنوع من الصَّرْف .

ونسب الجوهري[3] (ت:٣٩٣هـ) لُغَة المنع مِن الصَّرْف إلى أهلِ نجدٍ عامة[4]، وتابَعَهُ ابنُ منظورٍ[5] و الصاغاني (ت:٦٥٠هـ)[6] . ولكنْ ما مرادُهُ بأهلِ نجْدٍ؟ فهذه المنطقة تقطنها قَبَائِل كُثُرٌ، والأشعارُ التي استشهدَ بها هي لامرئ القيس مِن كِنْدةَ، ولُجَيْمِ بنِ الصَّعْبِ مِن قَبِيْلَة بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، والنابغة مِن قَبِيْلَةِ ذبيان . وهذه القَبَائِل تتكلم بلُغَة البناء على الكَسْرِ وهي لُغَة أهل الحِجَاز[7]، فنسبته المنع على الصَّرْف لأهل نجدٍ عامة غير دقيقة .

ويُرَجِّحُ الباحثُ إعراب صِيْغَة (فَعَالِ) على لُغَةِ جُمْهُورِ تَمِيْمٍ ؛ أولًا لأنَّه القياس كما قال سِيْبَوَيْهِ[8]، ووافقَهُ الرَّضِي[9] إبقاءً للأصْلِ، والبناء فيها طارئٌ، وعلّتُهُ ضعيفةٌ وغيرُ مقنعةٍ، وثانيًا لأنَّه أسْهَلُ وأيْسَرُ للناشئةِ والمتعلمين فلا يلتبسُ لديْهم ما كانَ على (فُعَالَ) عَلَمًا لمُؤَنّثٍ كسُعَاد بهذا الصِيْغَةِ، كما نضْمَنُ أنْ تشملُهُم قَاعِدَةٌ واحدةٌ وهي الإعْرَابُ فنسْلَمَ مِن ازدواجِ الصِيْغَةِ بين

---

[1] المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي تحقيق: خليل إبراهم جفال ١٥٠/٥ الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[2] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم المطلبي ص: ٢٣١.

[3] **الجوهري:** إسماعيل بن حماد الجوهري، كان إمامًا في اللغة والأدب، طاف الآفاق، فقرأ على أبي علي الفارسي و السيرافي، ثم أقام بنيسأبور ملازمًا التدريس والتأليف و بها توفي سنة ٣٩٣هـ، له (الصحاح) و (مقدمة في النحو) .

[4] ينظر: الصحاح ١٠٠٧/٣.

[5] ينظر: لسان العرب ٣٠٦/٦ مادة (ر ق ش)

[6] ينظر: ما بنته العرب على فعال رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني تحقيق: د. عزة حسن ص: ٥٦ الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٩٦٤م – مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.
والصاغاني: هو الحسن بن محمد بن الحسن رضي الدين أبو الفضائل الصاغاني، كان عالمًا باللُغَة والحديث، من آثاره: شرح البخاري، والأضداد، توفي سنة خمسين وستمائة. (بغية الوعاة ٥١٩/١)

[7] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ١٢٥ – ١٢٦.

[8] ينظر: الكتاب ٢٧٣/٢

[9] ينظر: شرح الرضي ١١٥/٣

الإعْرَابِ تارةً، والبناءِ تارةً أخرى، ثم إنَّ هذا الإعْرَابَ لُغَةٌ مشْهُوْرةٌ لا ينكرها أحَدٌ وهذا مِن جهةٍ رابعةٍ .

المبحث الثاني: تغيّر علامات الإعْرَاب

المَسْأَلَة (١): (سِنِيْنَ) وبابه

هذا الجَمْع مطَّردٌ في كلِّ ثلاثيٍّ حُذِفَتْ لامُهُ وعُوِّضَ عنها هاءُ التأنيثِ ولم يُكْسَرْ، نحو: عِضَة وعِضِيْنَ، وعِزَة وعِزِيْن، وثُبَة وثُبِيْنَ .. ويلحق هذا البابُ بجمْع المذكر السَّالِم، فيُرْفَعُ بالواو، ويُنْصَبُ ويُجَرُّ بالياء، تقول: مرَّتْ سُنُونَ، وأقمْتُ سِنِيْنَ، وعَجِبْتُ مِن سِنِيِّ محمدٍ، وتُحْذفُ النونُ في الإضَافَة .

ومِن العرب مَن يجعلُ الإعْرَابَ على النونِ مع ملازمةِ الياء لهذين اللفظين وملحقاتهما، فتقول: هذه سِنِيْنٌ، ورأيت سِنِيْنًا، ومررتُ بسِنِيْنٍ . ومنهم مَن يجعلُ الإعْرَابَ على النون مع ملازمة الواو، على التفصيل التالي .

رأىَ النُّحَاةُ في جمْع المذكَّرِ السَّالِم أنْ يُعْرَبَ بالواو رفعًا، والياءِ نصبًا وجرًّا، إذا توافرت فيه شروطٌ ذكروها في كتُبِهم ومصنفاتِهم، وعلى ضوء ذلك قَعَّدَ النُّحَاةُ قاعدتَهم النَّحْويّةَ . ولكنَّ هناك جموعًا حَمَلُوها على هذا الجَمْعِ، وهي أنواع:

أولًا: أسماءُ جموعٍ لا مُفْرَدَ لها مِن لفْظِها: أُوْلُوْ، ذَوُوْ، عَالَمُون، وألفاظ العقود.

ثانيًا جُمُوعُ تكسيرٍ تَغَيَّرَ فيها بناءُ الواحد: بَنُوْنَ، أرَضُوْنَ ...

ثالثًا: ما حُمِلَ على هذا الجَمْعِ مما لم يستوفِ الشروط: أهْلُوْنَ، وابلون،

رابعا: ما سُمّيَ به مِن الجموع: عِلِّيُّوْنَ، زَيْدُوْن، قُنَّسْرِيْنَ، وحَمْدُون .

خامسًا: جُمُوعُ تكسيرٍ ثلاثيةٍ محذوفةِ اللام مُعَوَّضٌ عنها بالهاء، وهي ثلاثة أنواع: مفتوح الفاء، نحو: سَنَةٍ، ومَكْسُورُ الفاء، نحو: عِضَةٍ وعِزَةٍ، ومضْمُوم الفاء، نحو: ثُبَةٍ . فما كان مفتوحُ الفاء كُسِرَتْ فاؤه في الجَمْعِ، نحو: سِنِيْنَ، وقد تُضَمُّ حكى ابنُ مالك سُنُوْنَ بالضَّم[١] . وما كان مكسور الفاء لم يُغَيَّرْ في الجَمْعِ غالبًا، نحو: عِضِيْن وعِزِيْن ومِئِيْن ورِئِيْن . وما كان مضمومُ الفاء ففيهِ في الجَمْعِ وجهان: الضَّمُ والكسْرُ، نحو: ثبين بضَم الثاء وكسْرِها وهو الأكثر. وسيكون نقاشُنَا في المَسْأَلَةِ عن هذا النوع .

تعدَّدَتْ لُغَاتُ العرب في إعراب (سِنِيْنَ) وبابه، وقد اتيْحَ لنا الوقوفُ على خَمْسِ لُغَاتٍ للعرب في هذا الباب، وفي ما يلي بيانها:

[١] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٧١/١

اللُغَةُ الأُوْلى: إعرابُها – وما جاء على بابها كعِضِيْنَ، وعِزِيْنَ، وثِبِيْنَ– إعرابُ جمْعِ المذكَّرِ السَّالِمِ، فيرفعُ بالواو ويُنْصبُ ويُجَرُّ بالياء، فتقول: مرَّتْ سُنُون، وأقمت سِنِيْنَ، وعجبْتُ مِن سِنِيِّ محمدٍ، وتُحْذفُ النونُ في الإضَافَةِ . وعُزِيَتْ لأهل الحِجَازِ وعُلْيَا قيس[1] .

اللُغَةُ الثانية: إعرابُها بالحركاتِ على النونِ مع لزوم الياء . مع التنوين إذا كانتْ نكرةً، وبدون تنوينٍ إذا جاءتْ معرفة، فتقول: هذه سِنِيْنٌ، ورأيت سِنِيْنًا، ومررتٌ بسِنِيْنٍ، وعُزِيْتْ هذه اللُغَةُ إلى أسَدٍ وتَمِيْم وعامرِ بنِ صعصعة[2]، قال الفَرّاء(ت: ٢٠٧هـ): ((ومِن العرب مَن يجعلها بالياء على كل حال ويعرب نونها، فيقول: عضينُكَ، ومررت بعضينِكَ وسِنِيْنِكَ، وهي كثيرة في أسَدٍ وتَمِيْمٍ وعامرٍ، وأنشدني بعضُ بَنِيْ عامر[3]: [من الطويل]

ذرانِي من نَجْدٍ فإن سِنِيْنَهُ ... لعبنَ بنا شِيبا وشَّيبننا مُرْدا))[4]

وعلى هذه اللُغَة شَوَاهِدُ كثيرةٌ، فقد حكى الفَرّاءُ عن بَنِيْ عامرٍ أنَّهم يقولون: أقمْتُ عنده سِنِيْنًا ياهذا[5]، وبعض العرب يقول: عدد السِنِيْنِ والحسابِ[6]، ومن الشَوَاهِد أيضًا ما أنشده الكِسَائي[7]:[من الوافر]

أَلَمْ نَسْقِ الحَجِيْجَ سَلِيْ مَعَدًّا ... سِنِيْنًا مَاْ تُعَدّ لنا حِسَاْبَا

قال ابنُ مالك: ((مِن العرب مَن شَبَّهَ سِنِيْن ونحوه بغِسْلِيْنٍ، فتلزمُهُ الياءُ ويعرب بالحركات فيقول: إنَّ سِنِيْنًا يطاع إليه فيها لسِنِيْنٌ، وسِنِيْنُكَ أكثر من سِنِيْنِيْ.))[8]، وكَقَوْلِ الشاعر[9]:[من الطويل]

مَتَىْ نَنْجُ حَبْوًا مِنْ سِنِيْنٍ مُلِحّةٍ ... نُشَمّرْ لأُخْرَىْ تُنْزِلُ الأعْصُمَ الفُرْدَا

وهي لُغَةٌ لم يُشِرْ إليها القُرْآنُ في قراءاته المتواترة، لكنَّها ورَدَتْ في حديثِ الرسولِ ﷺ إذْ استعملها في كلامٍ له يدعو على المشركين مِن أهل مكة فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْها عليهم سِنِيْنًا كسِنِيْنِ

---

[1] ينظر: الارتشاف ص: ٢٣٠، والتذييل والتكميل ٩٩/١.

[2] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩٢/٢، وإعراب القُرْآن ٢٠٣/٢، وتفسير القرطبي ٢٦٤/٧

[3] للصمة بن عبد الله القشيري في المقاصد النحوية ٢١٦/١(ش/٢٨)، وخزانة الأدب ٥٨/٨، وغير منسوب في شرح ابن يعيش ٢٢٦/٣(ش/٧٠٢).

[4] معاني القُرْآن الفَرّاء ٩٢/٢ .

[5] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٨٦/٢، و تفسير القرطبي ٢٦٤/٧

[6] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٤١/٢

[7] غير منسوب في تخليص الشواهد ص: ٧١، وهمع الهوامع ١٧٤/١.

[8] شرح التسهيل ٨٥/١.

[9] للصمة بن عبد الله القشيري، والأعصم من الظباء والوعول: ما في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر. والعصم تسكن أعالي الجبال.

يوسف[1]، وفي رواية أخرى للحديث[2]: اللهم اجعلها عليهم سِنِيْنَ كَسِنِيِّ يوسفَ، ومع اختلاف الروايتين يمْكِنُ القولُ أنَّ الرسولَ ﷺ قد تكلَّم بإحْدَى اللغتين، أوبكلتيهما، وَرَوَاهُ الرواةُ بهما جميعًا، كلٌّ منهم رواهُ بلُغَة قبيلته، لأنَّ الرواية بالمعنى جائزةٌ عند المُحَدِّثِين .

قَالَ ابْنُ مَالكٍ وَلَو عومل بِهَذِهِ الْمُعَامْلَة عشرُون وأخواته لَكَانَ حَسَنًا ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَ جموعًا فَكَانَ لَهَا حقٌّ فِي الإعْرَاب بالحركات كسِنِيْن[3]، وجَعَلَ منها كَسْرَ نون (الأرْبَعِيْنَ) في البيت المشْهُوْر[4]، ومنَعَهُ أَبُو حَيَّان؛ قَالَ لِأَنَّ إعرابَها إِعْرَابَ الجَمْعِ على جِهَةِ الشذوذِ فَلَا نَضُمُّ إِلَيْهِ شذوذًا آخر[5] .

اللُّغَةُ الثالثة: إعرابُها بالحركات على النون مِن دوْنِ تنوينٍ مع لزوم الياء، حَمْلًا على الممنوع مِن الصَّرْف، ونُسِبَتْ لبَنِيْ أَسَدٍ وتَمِيْم[6] ، قال النحَّاس: ((وحكى الفَرّاءُ عن بَنِيْ عامر أنَّهم يقولون: أقمتُ عنده سِنِيْنًا يا هذا، مصروفًا، وبنو تَمِيْم لا يصرفون، ويقولون: مضت له سِنِيْنُ يا هذا))[7]، وعلى لغتهم قولُ قُطَيْبِ بنِ سِنَانِ الهُجَيْمي[8]، وهو تَمِيْمي: [من الوافر]

سِنِيْنِيْ كُلُّهَا قَاْسَيْتُ حَرْبًا أُعَدُّ مَعَ الصَّلَاْدِمَةِ الذُكَورِ

وذكر الفَرّاءُ شَوَاهِدَ أخرى في معانيه فقال: ((وأنشدني بعض بَنِيْ أسَد: "مثل الْمَقَالِي ضُربت قُلينُها" من القلة وهي لُعبة للصبيان، وبعضهم: إلى بُرين الصُّفْر الْمَلْويات، وواحد الْبُرِينِ بُرة. ومثل ذَلِكَ الثُّبين، وعِزِينٌ، يَجوز فِيهِ ما جاز في العضين والسِنِيْن.))[9] . وأنشد الفَرّاء[10] لأبي ثروان العُكَلِيّ[11]:

أَرَىْ مَرَّ السِنِيْنَ أَخَذْنَ مِنّيْ ... كَمَاْ أَخَذَ السّرَارُ مِنَ الْهِلَاْلِ

---

[1] ينظر: سنن الدارقطني ٣٦٨/٢ رقم الحديث: ١٦٩٠، ومسند أحمد رقم الحديث: ١٠٧٥٤.

[2] الحديث في صحيح البخاري برقم: ٨٠٤، ١٠٠٦، ٢٩٣٢، ٣٣٨٦، وصحيح مسلم برقم: ٢٩٤، ٦٧٥، ٢٧٩٨

[3] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٨٥/١ – ٨٦

[4] وماذا يدَّرِي الشعراءُ مني.. وقد جاوزتُ حدَّ الأربعينِ

[5] ينظر: التذييل والتكميل ٣٣٣/١

[6] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩٢/٢، وإعراب القُرْآن ٢٠٣/٢، والبحر المحيط ٤٥٦/٥، والخزانة ٥٩/٨

[7] إعراب القُرْآن للنحاس ٦٨/٢.

[8] غير منسوب في شرح ابن يعيش ٢٢٨/٣.

[9] معاني القُرْآن للفراء ٩٢/٢.

[10] ينظر: معاني القُرْآن الفَرّاء ٣٧/٢

١١ لجرير في ديوانه ص:٥٤٦ ورواية الديوان [رأت مرّ السنين..]، وبلا نسبة في تهذيب اللُغَة ١٥٣/١، والمخصص ١٠٣/١٧، ولسان العرب (خضع)، والمقتضب ٢٠٠/٤، وهَمْع الهَوَامِعِ ٤٧/١.

اللُغَةُ الرابعة: إعرابُها بالحركاتِ على النون مع لزوم الواو كزَيْتُوْنٍ وعَرْبُوْنٍ، وهي لُغَةٌ لبعض العرب[1]، ولم تدلَّنا على أصحابِها المصادرُ التي وقفنا عليها . وذكر ابنُ مالكٍ أنَّ التزام الواو وجَعْلَ الإعْرَابِ في النونِ قليلٌ، والحَمْلُ عليه ضعيف[2] .

اللُغَةُ الخامسة: إلزامُ هذا الباب الواوُ والنونُ، مع فتْحِ نونِهِ، وهي لُغَةٌ لبعض العرب[3] أيضًا، أيْ إنَّه يُبْنَىْ على فَتْحِ النون .

ويمكن القول إن لقيْسٍ في هذا البابِ لغتينِ، الأولى: إعرابُه إعرابَ جَمْعِ المذكَّرِ السَّالِم وهي لُغَةُ عُلْيا قيسٍ، ويشاركُها في هذه اللُغَةِ أهلُ الحِجَاز . والثانية: إعرابُه بالحركات على النون مع لزوم الياء والنون، وهي لُغَةُ بَنِيْ عامرٍ مِن قيْسٍ، ولعَلَّ هذه اللُغَةَ لُغَةُ القَبَائِل المجاورة لتَمِيْمٍ كعُقَيْلٍ وقُشَيْرٍ ؛ لأنَّ لزومَ الياء، وإعرابَ النون بالحركات ينحَصِرُ – كما تدلُّ على ذلك النصوصُ التي وقفنا عليها – في القَبَائِل البعيدةِ عن البيئة الحِجَازِيَّة، كتَمِيْمٍ وبَنِيْ عامرٍ وبَنِيْ أسَد[4] . وسنناقشُ في مسألةٍ قريبةٍ[5] أنَّ لبَنِيْ تَمِيْمٍ في (سِنِيْنَ) وبابه لغتين: عَدَم صرفها وإعرابها إعراب ما لا يَنْصَرِف. أو: إعرابها بالحركاتِ الثلاثِ على النون، ولكنْ من دون تنوين .

إنَّ بعضَ العرب يُجْرِيْ جَمْعَ المذكَّر السَّالِم وملحقاته مَجْرَى (غِسْلِيْنٍ ويَقْطِيْنٍ) ونحوهما مِن الأَسْمَاءالمفردة التي آخِرُها نوْنٌ قبلَها ياءٌ، فيلزِمُهُ الإعْرَابَ بالحركاتِ على النون مُنَوَّنةً إذا لم يوجد ما يمنع التنوين، كأنْ يكونَ أعجميًا، مثل(قُنَّسْرِيْنَ)، أو وجود "أل" في أوَّلِهِ، أو الإضَافَة في آخره .

وبعضُهم وهُمْ أقلُّ مِن الأولِيْنَ مَن يُجْرِيه مجرى (عَرْبُوْن، وزيتون) في لزوم الواو والإعْرَاب بالحركات على النون، فتكون علامةُ رفْعِهِ الضَّمةَ على آخره، وعلامة نصبه الفتحة، وعلامة جره الكسرة. يجريه مجرى المفرد وعليه خرّج قوله[6]:[من الخفيف]

رُبَّ حَيٍّ عَرَنْدَسٍ ذي طَلَالٍ ... لا يَزَالُون ضَارِبِينَ القِبَابَ

---

[1] ينظر: الهَمْع ١٦٠/١

[2] ينظر: شرح التسهيل ٢ ٨ ٨٦

[3] ينظر: الهَمْع ١٦٠/١

[4] ينظر: لُغَات قيس ص: ٣٠١، رسالة تقدم بها الطالب محمد أحمد سعيد العمري إلى جامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

[5] ينظر في هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثاني، المسألة(١): سنين وبابه.

[6] بلا نسبة في أوضح المسالك ٨٠/١، وتخليص الشواهد ص: ٧٥، وخزانة الأدب ٦١/٨، والمقاصد النحوية ٢٢٠/١، وهمع الهوامع ١٧٤/١.

وقوله[1]: [الخفيف]

طَال لَيْلِي وَبِتُّ بالْمَجْنُونِ ... واعْتَرَتْني الهَمُومُ بالْمَاطرونِ

ونُقِلَ عن بعض العرب أنَّهم قالوا في: ياسَمِيْنَ وقُنَّسْرِيْنَ وشياطين، ياسَمُوْنَ وقُنَّسْرُون وشَيَاطُوْن[2]، ومنه قراءة الحسن[3]: ﴿وما تنزلت به الشياطون﴾[4]. فأعربوها إعرابَ جَمْعِ التصحيح وهو نوعٌ مِن الانقيادِ إلى التشبيهِ اللفظيّ في الخروج عن أصْلٍ إلى فرع[5] .

ومِن العرب مَن يُلْزِمُهُ الواو ويُلْزِمُهُ مع ذلك فتْحَ النونِ في مختلف الأحْول، ذَكَرَ ذلك السيرافيُّ، وزعَمَ أنَّ ذلك صحيح مِن كلام العرب، وجَعَلَ النُّحَاةُ هذه اللُغَة نظِيْرَ اللُغَةِ التي تُلزِم المُثَنَّى الألفَ وكسْرِ النون في الأحوال كلِها[6].

ويتلخَّصُ مما تقَدَّمَ: أن في جمْعِ المذكَّر وما أُلْحِقَ به خمسُ لُغَات:

أ- إعرابُهُ بالحُرُوْف: بالواو رفعًا، وبالياء جرًا ونصبًا، مع فتْحِ النون. وهذه أفْصَحُ اللُغَاتِ وأشهرها.

ب- لزومُ الواو وإعرابُهُ بحركاتٍ مقدرةٍ في الأحوالِ الثلاثة، مع فتْحِ النون.

جـ- لزومُ الواو وإعرابُهُ بحركاتٍ ظاهرةٍ على النون، مع التنوين.

د- لزومُ الواو وإعرابُهُ بحركاتٍ ظاهرةٍ على النون، مع عدم التنوين.

هـ- الإتيانُ بالياء في الأحوال الثلاثة، وتحريك النون منونة بحركات الإعْرَاب، كأنَّه اسمٌ مفردٌ مختوم بياء ونون؛ نحو: مسكين وغسلين .

ويرى الباحثُ أنَّ الاضْطِرَابَ الذي تعالجه المَسْأَلَة مَلْحُوْظٌ في لفظ (سِنِيْنَ) فقط ؛ ربَّما لكثرة الشَوَاهِدِ الواردة في هذه اللفظة، أو سبَبُهُ كثرةُ شيوعِها واستعمالها بين القَبَائِل العَرَبِيَّةِ . وأمَّا بقية أخواتها مِن الثلاثيّ محذوف اللام المعوض عنه بالهاء فلم تبْلُغْ شَوَاهِدُها حَدَّ الكثرةِ المؤدِّيَةِ للاضْطِرَابِ، وذَكَرَ بعضُهم أنَّ (بَنِيْنَ) يعامَلُ أيضًا مُعَامَلَة (سِنِيْنَ) في لزوم الياء والحركات على النون[7]، ولكنَّ شَوَاهِدَهُ أيضًا قليلةٌ لا يقاس عليها .

---

[1] لأبي دهبل الخزاعي في المقاصد النحوية ١٩٦/١،. وهو غير منسوب في الخزانة ٣١٤/٧، . و"الماطرون"، بالميم والطاء المهملة: موضع بناحية الشام.

[2] ينظر: الكتاب ٢٣٢/٣.

[3] ينظر: إعراب القراءات الشاذة للعكبري ٢٢٦/٢

[4] الشعراء/٢١٠

٥ ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٨٦/١

[6] ينظر: شرح التصريح ٧٥/١

[7] ينظر: شرح التصريح ٧٦/١

كما رَصَدَ الباحثُ لهذا الضَّرْبِ مِن الملحقات بعضَ الاضْطِرَابِ الداخليّ في لغتَيْ تَمِيْمٍ وقيْسٍ، فبعضُ بَنِيْ تَمِيْمٍ يعربُها إعرابَ الممنوع مِن الصَّرْف، وبعضُهم يعربُها بالحركات غيْرَ منونةٍ، وهذا مشْهُوْرٌ عن تَمِيْم أنَّهم يجوِّزون ذلك في المنقوص الثلاثي، نقَصَت لاْمُهُ، فجُمِعَ بالواو والنون عوضًا مِن نقْصٍ لَحِقَهُ نحو: عِضِيْنَ، وسِنِيْنَ، وحينئذٍ يَقْلِبُون حرف اللين ياءً على كلِّ حالٍ[1] . وإنَّما جاز إعرابُ النون في هذا الضرب من الجَمْع لأنَّ النونَ فيه قامتْ مقام الحرف الذاهب، فجعلوها استكمالًا للكَلِمَةِ، وإنَّما أَلْزَمُوه الياءَ ليصيْرَ نظِيْرَ غِسْلِيْنٍ، ونحوه من الأَسْمَاءالمفردة، وأمَّا في جمْعِ المذكر السَّالِم الحقيقي، فلم يُذْكَرْ أنَّها لُغَةٌ لهم[2] . وبعض القيسيين يعربها بالحركات مع التنوين، وأكثرهم يعربها بالحُرُوْف على اللُغَة المشْهُوْرة .

[1] ينظر: تخليص الشَوَاهِد ص: ٧٥، وخزانة الأدب ٦٠/٨.

[2] ينظر: شرح ابن يعيش ١٤/٥

المبحث الثاني: تغيّر علامات الإعْرَاب

المسألة (٢): الأَسْمَاءُ السِّتَّةُ

وردَتْ لُغَاتٌ في الأَسْمَاءِ السّتَّةِ إلى جانب اللُّغَةْ المشْهُوْرة[١] والفاشية، وهي لُغَةُ التَّمَام حَيْثُ تعرَبُ بالحُرُوْف، بالواو رفعًا وبالألفِ نصبًا والياءِ جرًّا تقول: هذا أبوه، ورأيتُ أباه، ومررتُ بأبيه . وقد وردَتْ في التنزيل نحو: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾[٢]، وقوله تَعَالَىْ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾[٣]، وقال تَعَالَىْ: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[٤] .

ومِن هذه اللُّغَاتِ ما جاء لَفْظُهُ عن بعض العرب (أبٌ وأخٌ وحَمٌ)، وهي لُغَةُ النقْصِ، أيْ مجردةً مِن أحرف المَدِّ، وإعرابُها بالحركاتِ الظاهرةِ بالضمة رفعًا، والفتحةِ نصبًا، والكسرةِ جرًا، يقولون: هذا أبُكَ وأخُكَ وحمُكَ، ورأيتُ أبَكَ وأخَكَ وحمَكَ، ومررتُ بأبِكَ وأخِكَ وحمِكَ، وعليه قولُ الشاعر[٥]:[من الرجز]

بأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَمْ .... وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فمَا ظَلَمْ

وقيْلَ في هذه اللُّغَةِ إنَّها نادرةٌ [٦]، ولكنَّها أشهَرُ وأفْصَحُ مِن التَّمَامِ في هَنُ[٧] ..

وهناك لُغَة القصْر في الأَسْمَاءِ الثلاثة وهي إلزامُها الألفَ رفعًا ونصبًا وجرًّا، نحو: هذا أباه وأخاه وحماها، ورأيتُ أباه وأخاه وحماها، ومررتُ بأباه وأخاه وحماها[٨]، ونحو: أباك كريمٌ، وإنَّ أباك كريمٌ، وأثنيتُ على أباك[٩]، وعلى هذه اللُّغَة قول الشاعر[١٠]:[من الرجز]

---

١ ينظر: شرح ابن عقيل ٥١/١.

٢ يوسف من الآية/٦٩

٣ يوسف من الآية/٦٣

٤ القصص من الآية/٣٥

٥ ينظر: ديوان رؤبة بن العجاج ص: ١٨٢(الملحق)، وشرح التصريح ٦٢/١، والمقاصد النحوية ١٨٨/١، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٦٩/١، وتخليص الشواهد ص: ٥٧، وهمع الهوامع ١٣٩/١.

٦ ينظر: شرح ابن عقيل ٤٩/١ – ٥٠

٧ ينظر: شرح ابن يعيش ٥٣/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٤٤/١، ٤٥، والتذييل والتكميل ١٦٥،١٦٦/١، وتوضيح المقاصد والمسالك ٣١٩/١، وشرح الأشْمُونِي ٧١/١، والهَمْع ١٣٩/١– ١٤١.

٨ ينظر: شرح ابن عقيل ٤٩/١ – ٥٠.

٩ ينظر: النحو الوافي ١١٢/١

١٠ لأبي النجم في المقاصد النَّحْويّة ١٩٠/١، وقال بدر الدين العيني: إن أبا زيد في نوادره قد أنشده المفضل الضبي هذا البيت من أبي الغول لبعض أهل اليمن.

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا ... قَدْ بَلَغَا فِي المَجْدِ غَايَتَاهَا

فتكون علامةُ الرفعِ والنصبِ والجرِّ حركةً مقدّرةً على الألف، كما تُقَدّرُ في الاسم المقصور، وهذه اللُغَةُ أَشْهَرُ مِن لُغَةِ النقْصِ، قال ابن مالك:[من الرجز]

وفِيْ أبٍ وتالِيَيْهِ يَنْدُرُ وقَصْرُهَا مِنْ نَقْصِهِنَّ أَشْهَرُ

واشتهرت هذه اللُغَة في بَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، ووافقتْهم طوائفُ كثيرةٌ مِن العربِ مثل زَبِيْدٍ، وخَثْعَمٍ، وهَمَدَان، وكِنَانَةَ، وبنو العَنْبَرِ، والهُجَيْمِ بنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وبطون من رَبِيْعَة[1]، ممن يلزمون المُثَنَّى الألف مطلقًا، وقد فصّلنا ذلك في مسألة من هذه الرسالة[2]، وهي لُغَةٌ صحيحةٌ فَصِيْحَةٌ، ورَدَتْ عليها شَوَاهِدُ نثريةٌ أيضًا مِن ذلك المَثَلُ المشْهُوْرُ(مُكْرَهٌ أخاك لا بَطَلٌ)[3]، و(إذا عَزّ أخاك فَهُنْ)[4] .

ورُوِيَ عن الإمام أبي حنيفة ﷺ أنَّه سُئِلَ عن إنسانٍ رمى إنسانًا بحَجَرٍ فقتلَهُ: هل يجب عليه القَوَدُ؟ فقال: لا، وَلَوْ رَمَاهُ بِأَبَا قُبَيْسٍ . فليس هذا بخطأ كما زعَمَ بعضُ الأدباء[5] حتى لحَّنُوا الإمامَ في ذلك بجهلهم، قال ابنُ هِشَامٍ معتذرًا: ولم يطَّلِعَ ابنُ عبدِ ربّهِ[6] على لُغَةِ القصْرِ في الأبِ مع شهْرَتِها، فلَحَّنَ بعضَ الأئمةِ في قوله " ولو ضَرَبَهُ بأبا قُبَيْسٍ"[7]، قال الدُّمَيْرِي[8](ت:٨٠٨هـ): وهي لُغَة الكُوْفِيّيْنَ، وأبو حَنِيْفَةَ مِن أهلِ الكوفة[9]، ومِن شأنِ

---

١ ينظر: الارتشاف ٥٥٨/٢.

٢ ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثاني، المَسْأَلَة (٣): المُثَنَّى بالألف مطلقًا لُغَة.

٣ البيان والتبيين ١٤٨/١، ٢٥٥/٣، والخزانة ٢٩٩/٧. يضرب للرجل يحمله غيره على ما ليس من شأنه بالإكراه.

٤ البيان والتبيين ١٤٨/١.

٥ ينظر: البيان والتبيين الجاحظ ١٤٦/٢ (باب اللحن).

٦ ينظر: العقد الفريد أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت:٣٢٨هـ) ٣١٠/٢، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – دار الكتب العلمية – بيروت.

٧ ينظر: تخليص الشَوَاهِد وتلخيص الفوائد جمال الدين ابن هِشَامٍ الأنصاري تحقيق. د. عباس مصطفى الصالحي ص: ٦١ م/٧، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م – دار الكتاب العربي.

٨ **الدميري:** محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين: باحث، أديب، من فقهاء الشافعية. من أهل دميرة (بمصر) ولد سنة ٧٤٢هـ ونشأ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ. كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرّس، وكانت له في الأزهر حلقة خاصة، وأقام مدة بمكة والمدينة. من كتبه (حياة الحيوان)، و (حاوي الحسان من حياة الحيوان) و (الديباجة في شرح كتاب ابن ماجة)، في الحديث، و (النجم الوهاج في شرح منهاج النووي)، و (أرجوزة في الفقه) و (مختصر شرح لامية العجم للصفدي) [الأعلام للزركلي].

٩ ينظر: حياة الحيوان الكبرى أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري ٢٠٣/١ الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ – دار الكتب العلمية – بيروت.

المسْلِمِ ومقتضَىْ الإسلام أَلَّاْ يُتَكَلَّمَ في حقِّ إمامٍ مِن هؤلاءِ الأئمَّةِ، ولا سيَّما الأئمَّة الأربعة؛ فإنَّهم مِن خواصّ الله تَعَالَىْ، وسُرُج دِيْنِهِ المتين.

كذلك هناك لُغَةٌ رابعةٌ في الاسم السَّادسِ (هَنُ)[1] فإذا استُعْمِلَ مضافًا، فجُمْهُورُ العرب تستعمله معربًا بالحركات فيقولون: جاءَ هَنُكَ، ورأيتُ هَنَكَ، ومررْتُ بهنِكَ، فهذه اللُغَة المشْهُوْرة في كلام العرب، ومِن ذلك قول الشاعر[2]:[من السريع]

رُحْتِ وفِيْ رِجْلَيْكِ مَاْ فِيْهِمَا ... وَقَدْ بَدَاْ هَنْكِ مِنَ المِئزَرِ

وعلى هذه اللُغَة رُوِيَ قولُ النبي ﷺ: ((مَنْ تَعَزَّىْ بِعَزَاءِ الجاهليَّةِ فَأَعِضُّوْهُ بِهَنِ أبيْهِ ولا تَكْنُوا))[3] وقولُ عليٍّ ﷺ: مَنْ يَطَلْ هَنُ أبيه يَنْتَطِقْ به[4].

وهناك لُغَة أخرى تُجْرِيْ (هَنُ) مجرى الأَسْمَاءِ الأخرى فتعْرِبَهُ بالحُرُوْفِ، بالواو والألف والياء،كَقَوْلِهم: هذا هَنُوكَ، ورأيتُ هَنَاكَ، ومررْتُ بِهَنِيْكَ[5] . وهو قليلٌ، فمَنْ لم يُنَبِّهْ على قِلَّتِهِ فليس بمُصِيْبٍ، وإنْ حَظِيَ مِن الفضائلِ بأوفرَ نَصِيْب[6]، ولقِلَّتِها لم يطَّلِعْ عليها بعضُ النُّحَاةِ كالفَرّاءِ والزَّجَّاجِيّ فأخرَجَاهُ مِن هذه الأَسْمَاءِ، وجعلوها خمسةً بدلًا مِن ستة[7]، وتابَعَهُما الخوارزميُّ[8] في كتابِهِ التخْمِيْر[9] .

---

١ ينظر: الخلاف النحوي في شروح مفصل الزمخشري ص: ٦٧، مسألة (٦) (هنو) أهي سادسة الأَسْمَاءالخمسة؟

٢ للأقيشر الأسَدي في شرح أبيات سِيْبَوَيْهِ لابن السيرافي ٢٥٨/٢، والخزانة ٤٨٤/٤. وللفَرَزْدَق في الشعر والشعراء ١٠١/١، وشرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٧٤/٥. وغير منسوب في الكتاب ٢٠٣/٤، والصحاح٢٥٣٦/٦ مادة(هنو)، والخصائص٧٤/١، ٧٥.

٣ المسند ١٥٨/٣٥ (ح:٢١٢٣٤)، ١٥٩/٣٥ (ح:٢١٢٣٦) . والمعنى قولوا له: عض أير أبيك .

٤ ينظر: الصحاح ١٥٥٩/٤ (نطق)، ٢٥٣٦/٦ (هنو)، والقاموس المحيط ٩٢٦/١ (نطق)، واللسان ٣٦٧/١٥ (هنو)، والمعنى: من كثر أولاد أبيه قوي بهم.

٥ – شرح قطر الندى ص:٤٧. شرح شذور الذهب ص: ٥٥

٦ ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٤٤/١.

٧ ينظر: التذييل والتكميل ١٦٣/١، وشرح قطر الندى ص:٤٧، وشرح شذور الذهب ص: ٥٥.

٨ **الخوارزمي:** أبو محمد صدر الأفاضل القاسم بن الحسين بن محمد مجد الدين الخوارزمي، نسبه إلى (خوارزم) ولد سنة٥٥٥هـ، له "شرح سقط الزند" و "ضرام السقط" و"شرخ مفصل الزمخشري الموسوم بالتخمير" و "شرح الأنموذج في النحو"، وشرح الأحاجي النَّحْويّة" وغيرها، وتوفي على أيدي التتار في أثناء اكتساحهم أرض خوارزم شهيدًا في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦١٧هـ. [معجم الأدباء ياقوت الحموي تحقيق: إحسان عباس ٢١٩١/٥ – ٢١٩٨، ط١٤١٤/١هـ/١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي–بيروت]

٩ ينظر: التخمير ٢٠٦/١.

ولسنا بِصَدَدِ شرْحِ الخلافِ الناشِبِ بين النَّحْوِيِّيْنَ في الأَسْمَاءِ الستة إذا كانت معتلة معربة بالحُرُوْف على اللُغَةِ المشْهُوْرةِ، أمَّا على لُغَةِ النَّقْصِ، أو مَن جعَلَهَا مقصورةً على كلِّ حالٍ، أو على لُغَةِ مَن هَمَزَ (الحَمْءَ) فلا خلاف فيه[1]، فهذا مدْرَجٌ ضمْنَ كُتُبِ الخلافِ عند ابنِ الأنْبَاري في (الإنصاف)[2]، وذكرها العُكْبُرِيّ في كتابَيْه (التبيين)[3] و(اللُّبَاب)[4]، و الزَّبِيْدي[5] في (ائتلافِ النُّصْرة)[6]، و قلَّمَا يخلو منها كتابٌ مِن كُتُبِ الخلاف، وقد شرحْنَا ذلك بالتفصِيْلِ في رسالتنا للماجستير ولا أرَىْ ضَرُورَة لإعادته[7] .

إنَّ الأَسْمَاءَ السِّتة تارةً تعربُ بالحُرُوْف، وتارةً بالحركاتِ. وإعرابَها بالحُرُوْف هو اللُغَةُ السائدة، والأكثرُ استعمالًا . لكنَّ اللُغَاتِ الأخرى صحيحةٌ فَصِيْحَةٌ، وخاصةً لُغَةُ القصْرِ ؛ إذ يتكلم بها عددٌ غيرُ قليلٍ مِن القَبَائِل العَرَبِيَّةِ ؛ لهذا وضَعَ النُّحَاةُ قيودًا و شروطًا تضْمَنُ استعمال اللُغَةِ الشائعةِ، ولكنَّهم لم يستطيعوا تجاهلَ كثرةِ اللُغَةِ الأخرى، فدَمَجُوا أكثرَ مِن لُغَة في قَاعِدَةٍ نحويةٍ واحدةٍ، مستخدمين مرونة ظاهرة الجَوَازِ، وعبارات التفضِيْلِ والموازنةِ، نحو: لُغَةٌ نادرةٌ، ولُغَةٌ أشْهَرُ، ولُغَةٌ شائعةٌ... إلخ .

---

[1] ينظر: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة عبد اللطيف الزبيدي ص/٢٩ المَسْأَلَة (٢) فصل الإسم.

٢ ينظر: الإنصاف ١٩/١

٣ ينظر: التبيين ص: ١٩٣

٤ ينظر: اللباب ٩١/١

[5] **الزبيدي:** سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن أحمد الشرجبي الزبيدي اليماني، ولد باليمن سنة ٧٤٧هـ، و بها نشأ وأخذ النحو والفقه وغيرها، و بها توفي سنة ٨٠٢هـ. له(ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة) و(شرح ملحة الإعْرَاب للحريري) و(نظم مقدمة ابن بابشاذ في ألف بيت) و (اختصار المحرر في النحو)(الإعلام بوضع اللام في الكلام) .

٦ ينظر: ائتلاف النصرة ص/٢٩ المَسْأَلَة (٢).

٧ ينظر: الخلاف النحوي في شروح مفصل الزمخشري ص: ٦٤ المَسْأَلَة (٥): إعراب الأَسْمَاءالستة.

المبحث الثاني: تغيّر علامة الإعْرَاب

المسألة(٣): المُثَنَّى بالألِفِ مُطْلقًا لُغَة

القَاعِدَةُ المشْهُوْرةُ في إعْرَابِ المُثَنَّى وما أُلْحِقَ به أنَّهُ يُعْرب بالحُرُوْفِ، فيُرْفعُ بالألِفِ ويُنْصبُ ويُجَرّ بالياء، تقول: أرشَدَ الزيدان الشيخين إلى البيتين . ومتقدمونحاةِ البصرة يجعلون حروف المدِّ في التثنيةِ والجَمْعِ حروفَ إعرابٍ وليستْ بإعراب، بلِ الإعْرَابُ مُقَدَّرٌ عليها . وسواءٌ أكانَ الإعْرَابُ فيها بالحُرُوْفِ أو بالحركات فإنَّ هذه القَاعِدَةَ قد خولِفَتْ لدى طوائفَ مِن العرب غيرِ قليلٍ، حَيْثُ عُوْمِلَ المُثَنَّى بالألِفِ مُطْلقًا، رَفْعًا ونَصْبًا وجرًا فتقول: جاءَ المحمدان، ورأيتُ المحمدان، ومررتُ بالمحمدان . وَوَرَدَتْ في ذلك بعض القراءات القُرْآنيّةِ والأحاديث النَبَويَّةِ والأشعار والأقوال المأثورة .

المُثَنَّى، لُغَة: المعطوفُ كثيرًا وهو مِن ثَنْيِ الشَّيْءِ . واصْطِلاحًا: هو اسمٌ دَلّ على اثنين أو اثنتين، بزيادة في آخِرِهِ، صالحٌ للتجريدِ وعَطْفُ مِثْلِهِ عليه[١] . وقد ذَكَرَ له النُّحَاةُ شروطًا في كُتُبِهم إنْ توافرتْ جازتِ التثنية، وإنْ خُوْلفَتِ الشروطُ أُلْحَقُوهُ بالمُثَنَّى أو جعلوهُ مِن بابِ التَّغليْبِ.

اختلَفَ النُّحَاةُ في إعرابِ المُثَنَّى نتيجة لاختلافِ مستوياتِ اللُغَة التي وردَتْ عن العرب، إذْ قَرَّروا وعلى المشْهُوْرِ أنْ يكونَ إعرابُهُ بالحُرُوْفِ، بالألِفِ رفعًا، وبالياء نصبًا وجرًا. وبهذا جاءتْ أغْلَبُ آيِ الذِّكْرِ الحكيمِ وكلامِ العربِ شِعرًا ونثرًا، وفي هذا قالَ ابنُ عَقِيلٍ: ((وما ذَكَره المصّنفُ مِن أنَّ المُثَنَّى والملْحَقَ به يكونان بالألِفِ رفعًا، والياء نصْبًا وجرًا، وهو المشْهُوْرُ بلُغَةِ العرب، ومِن العرب مَن يجعلُ المُثَنَّى والملْحَقَ به بالألِفِ مُطْلقًا))[٢]، إذًا هناك قاعدتان لإعراب المُثَنَّى، إحداهما مشْهُوْرةٌ، والأخرى غيرُ مشْهُوْرةٍ. وهذه الظاهرة وقَفَ عندها النُّحَاةُ مُعَلّلِيْن وذاكرين القَبَائِلَ التي تنْطِقُ بهذه اللُغَة .

نسب الكِسَائيُّ ذلك لبَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وزَبِيدٍ، وخَثْعَمَ وأهل تلك الناحية[٣]، وحَكَى أبو الخطَّابِ الأخْفَشُ الأكبرُ[٤] أنَّها لُغَة لكِنَانَة[٥]، وذَكرَ ابنُ دُرُسْتَوَيْهِ أنَّها لُغَةُ بَنِيْ الهُجَيْم، وبَنِيْ العَنْبَرِ[٦]، ومراد، وزاد السَّيُوطِيُّ أنَّها لُغَةُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وهَمْدَان، وفزارة، وعُذْرة، وبطونٍ مِن

---

[١] ينظر: في علم النحو د. أمين علي السيد ص: ٦٣ الطبعة السابعة ١٩٩٤م – دار المعارف.

[٢] شرح ابن عقيل ٥٨/١ .

[٣] ينظر: البحر المحيط ٣٥٠/٧.

[٤] **الأخْفَش الأكبر**: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، شيخ يونس وسِيْبَوَيْهِ، توفي سنة ١٧٧هـ.

[٥] ينظر: إعراب القُرْآن النحَّاس ٣٢/٣، ٣٣.

[٦] ينظر: شرح الكافية الشافية ١٩٠/١.

رَبِيْعَة[1]. وفي البسيط أنَّها لُغَة بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ. قال أبو حيان: ((جعل المُثَنَّى كالمقصور فتلزم ألفه رفعًا ونصبًا وجرًا لُغَة منقولة عن طوائف من العرب، فبنو الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وزبيد، وخَثْعَم، وهمدان، وكِنَانَة، وبنو العنبر، والهُجَيْم بن بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وبطون من رَبِيْعَة))[2] فهذه طوائفُ مِن العربِ الفصحاءِ وافقوا بَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ في هذه اللُغَة . وذهبَ أبو العباس المُبَرِّدُ إلى إنكار هذه اللُغَة[3]، فلا يجوزُ مثْلَها في كلام ولا شعْرٍ. وهو محجوجٌ بنقلِ الأئمَّةِ الثقاتِ كأبي زيدٍ وأبي الخطَّاب وأبي الحسن والكِسَائي[4].

ومِن الشَوَاهِد الشّعْرِيّة التي تدلُّ على مجيْءِ المُثَنَّى بالألِفِ لُغَة لبَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ[5]، قولُ شاعرهم هَوْبَرِ الحارثي[6]:[من الطويل]

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْناهُ طَعْنَةً ... دَعَتْهُ إلى هَابِيْ التُّرَابِ عَقِيمِ

وقال آخر[7]: [من الرجز]

إنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا ... قَدْ بَلَغَا في المَجْدِ غَايَتَاهَا

وقول الآخر[8]:[من الطويل]

فأَطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَىْ ... مَسَاْغًا لِنَاْبَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمْا

وقول الراجز[9]: [من الرجز]

أَعْرِفُ منها الأَنْفَ والعَيْنانَا ... ومَنْخَرَيْن أَشْبَهَا ظَبْيانَا

ومِن أَشْهَرِ القراءاتِ التي تؤيِّدُ هذه اللُغَةِ الآيةُ المشْهُوْرَةُ: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[1] بتشديدِ النُّونِ في (إنّ)، وبالألِفِ في (هَذَانِ) وهي قراءة نافِعٍ، وابنِ عامِرٍ، والكُوْفِيّيْنَ إلا حَفْصًا مِن

---

[1] الهَمْع ١٤٥/١

[2] الارتشاف ٥٥٨/٢

[3] ينظر: المقتضب ٣٦٣/٢ .

[4] ينظر: المقاصد النَّحْويّة ١٩٣/١

[5] الصاحبي لابن فارس ص: ٢٦.

[6] نسب إلى هوبر الحارثي في الصحاح ٢٤٢/٢ مادة(هبا)، وغريب الحديث لابن سلام ٣٣٥/١، واللسان ٣٥٠/١٥ (مادة هبا)، وبلا نسبة في تهذيب اللُغَة ٣٨٠/٢ باب (هبا)، والصاحبي في فقه اللُغَة ٧/١.

[7] لرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٦٨، بلا نسبة في (الإنصاف) ١٨/١، و(الخصائص) ٤٣١/٢، ونسب لأبي النجم في (الخزانة) ٤٢٧/٧ وقيل لرجل من بني الحارث

[8] البيت للمتلمس في ديوانه ص: ٣٤، والحيوان أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالجاحظ (ت:٢٥٥هـ) ٣٨٨/٤ الطبعة الثانية: ١٤٢٤م – دار الكتب العلمية – بيروت برواية(لنابيه)، وخزانة الأدب ٤٨٧/٧، والمؤتلف والمختلف ص:٧١، وبلا نسبة في جمهرة اللُغَة ص: ٧٥٧، وسرّ صناعة الإعْرَاب ٧٠٤/٢.

[9] لرؤبة في ملحق ديوانه ص: ١٨٧، والمقاصد النَّحْويّة ١٨٤/١، ولرجل من بني ضبّة في نوادر أبي زيد ص:١٥، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٤٥٢/٧، ٤٥٣، ٤٥٦.

السبعة، و قراءة أَبِي جَعْفَر والحَسَنِ وشيبة والأَعْمَشِ وطلحة وحميد بنِ أيوبٍ وخَلَفٍ وأَبِي عُبَيْدٍ وابنِ جُبَيْرٍ الأنْطاكي . وفي تخريج هذه القراءة، قال ابنُ أمِّ قاسم[٢]: وأحْسَنُ ما خُرِّجَ عليه قولُهُ تعالى ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ في قراءة مَنْ قرأ (هذان) بالألِفِ حَمْلُهُ على هذه اللُغَة . وهذه الآيةُ اصْطكَّتْ لها رُكَبُ العلماء مِن النُّحَاةِ والمفسرين وغيرهم، ولها تخريجاتٌ أخرى كثيرةٌ في كُتُبِ النُّحَاةِ والقراءات لا مجال لإعادتِها، فلن نَفْلَحَ بأيِّ تخريجٍ علميٍّ رصينٍ دقيق، وقد ذَكَرَها الباحثُ في رسالته الماجستير[٣] .

ومنها قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾[٤] قُرِئت في الشواذ[٥] (مؤمنان) بالألِفِ وهي قراءة أبي سعيدٍ الخُدْريّ، والجَحْدري، وخرَّجها الزمخشري[٦] والعُكْبُرِيّ[٧] وابنُ عطيَّة[٨] على أنَّ في كان ضَمِيْرَ الشأنِ والجُمْلَةِ في موضع خَبَرٍ لكان . وأجاز السمين الحلبي[٩] أن يكون (مؤمنان) على لُغَة بَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ .

وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[١٠] قُرِئتْ (الزوجان) وهي قراءة زيد بنِ علي، قال أبو حيان: كأنَّها على لُغَةِ بَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ومَنْ وافَقَهم مِن العرب الذين يجعلون المُثَنَّى بالألف في جميع أحواله[١١] .

---

[١] سورة طه من الآية/٦٢

[٢] **ابن أم قاسم:** الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي، المعروف بابن أم قاسم، وهي جدته لأبيه، عالم في النحو والتفسير والقراءات، ولد بمصر، وأخذ العلم عن أبي حيان والسرَّاْج الدمنهوري وابن اللبان وغيرهم، وألف كتبا كثيرة منها (شرح التسهيل) و(توضيح المقاصد) و(شرح المفصل) و(الجنى الداني في حروف المعاني)، وكان تقيًا صالحًا، مات في عيد الفطر سنة ٧٤٩ هـ.

[٣] ينظر: الخلاف النحوي في شروح مفصل الزمخشري ص:٨٩ فصل/٢، مبحث/٣، المَسْأَلَة/١٩ – رسالة تقدم بها الباحث سالم مبارك الفلق إلى جامعة عدن لنيل درجة الماجستير عام ٢٠١٠م.

[٤] الكهف من الآية/٨٠

[٥] ينظر: المحتسب ابن جني ٣٣/٢.

[٦] ينظر: الكشاف ٧٤١/٢

[٧] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٨٥٨/٢.

[٨] ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥٣٦/٢.

ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، ولد في ٤٨١هـ، عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بلورقة قيل سنة ٥٤١هـ، أو ٥٤٢هـ، وقيل ٥٤٦هـ.

[٩] ينظر: الدر المصون ٥٣٨/٧

[١٠] القيامة/٣٩

[١١] ينظر: البحر المحيط ٣٥٤/١٠

وقد تكَلَّمَ النبيُّ ﷺ بهذه اللُغَةِ في مواضعَ منها قوله: ((لا وِتْرَانِ في ليلةٍ))[1]، وما ثَبَتَ في صحيح البُخاري مِنْ حديث أنَسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ . فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبَا جَهْلٍ؟ ...))[2]. ومما جاء عليها قوله ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَهَاتَانِ الْكَعْبَتَانِ[3] الْمَوْسُومَتَانِ اللَّتَانِ تُزْجَرَانِ زَجْرًا، فَإِنَّهُمَا مَيْسِرُ الْعَجَمِ)[4]، وقوله عليه السلام: (إِنِّي وَإِيَّاكِ وهذان وَهَذَا الرَّاقِدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ)[5] .

ومن شَوَاهِد هذه اللُغَة قولُ أمِّ رُومَانَ، وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ: (بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عَائِشَةَ جَالِسَتَانِ)[6]، فـ (جالستان) حالٌ، وكانَ حقُّهُ أنْ يكونَ بالياءِ لكنَّهُ جاءَ على اللُغَة الحارثِيَّة.

ومنه مَا رُوِيَ عن الإمام أبي حَنِيْفَةَ مِن قوله: لا وَلَوْ رَمَاهُ بِأَبَا قُبَيْسٍ . حَيْثُ لَمْ يقلْ "بأبِي قُبَيْسٍ، وإنَّ هذه لُغَةٌ صَحِيْحَة، وأنه ليس بخطأٍ كما زَعَمَ بعضُ الأدبَاءِ[7] حتى لَحَّنُوا الإمام في ذلك بجهلهم، قالَ ابنُ هِشَامٍ معتذرًا: ولَمْ يطَّلِعْ ابنُ عبدربه [8] على لُغَةِ القصْرِ في الأبِ مع شهرتها، فلحَّنَ بعضَ الأئمَّةِ في قوله " وَلَوْ ضَرَبَهُ بِأَبَا قُبَيْسٍ"[9]، قال الدُّمَيْرِيُّ: وهي لُغَةُ الكُوْفِيِّيْنَ، وأبو حَنِيْفَةَ مِن أهلِ الكوفة[10]، ومِن شأنِ المسْلم ومقتضَىَ الإسلام ألَّا يُتَكَلَّمَ في حق إمامٍ مِن هؤلاء الأئمَّة، ولا سيَّما الأئمَّةِ الأربعةِ؛ فإنَّهم مِن خواص الله تَعَالَىْ وسُرُج دِينه المتين.

وعلى هذه اللُغَةِ المَثَلُ المشْهُوْرُ (مُكْرَهٌ أَخَاكَ لاْ بَطَل)[11]، و(إذا عَزّ أخاكَ فَهُنْ)[1]، وحَكَى أبوزيدٍ في نوادرِهِ أنَّهم يقولون: أخذْتُ الدرهمان، واشتريْتُ الثوبان، والسَّلام علاكم[2] . وحَكَى

---

[1] ينظر: مسند الإمام أحمد (ح: ١٦٢٩٦)، وصحيح ابن خزيمة (ح: ١١٠١)، وصحيح ابن حبّان (ح: ٢٤٤٩)، وصحيح أبي داؤود (ح: ١٢٩٣)، و التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (ح/٢٤٤٠)، والحديث صححه الألباني وقال: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

[2] صحيح البخاري ٧٤/٥ (رقم الحديث/٣٩٦٣).

[3] الكعبة: ما يُلعب به في النرد، والمراد النهي عن النرد.

[4] مسند أحمد ٢٩٨/٧ (ح:٤٢٦٣).

٥ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) ١٦٩/١٦ (ح:٣٩٥٤)، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ، دار العاصمة، دار الغيث – السعودية.

٦ صحيح البخاري ١٥٠/٤(ح: ٣٣٨٨) كتاب الأنبياء– باب قول الله تَعَالَىْ: (لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين).

[7] ينظر: البيان والتبيين الجاحظ ١٤٦/٢ (باب اللحن) .

[8] ينظر: العقد الفريد ٣١٠/٢.

[9] ينظر: تخليص الشَوَاهِد ابن هِشَامٍ ص: ٦١ م/٧ .

[10] ينظر: حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢٠٣/١.

[11] ينظر: الفاخر ص:٦٢(م/١٢٠)، و جمهرة الأمثال أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري(ت:٣٩٥هـ)، ٢٤٢/٢(م/١٦٢٠)، د.ط، د.ت دار الفكر بيروت، ومجمع الأمثال ٣١٨/٢(م/٤١١٧)، والبيان والتبيين ١٤٨/١، ٢٥٥/٣، والخزانة ٢٩٩/٧. مثل يضرب في حمل الرجل صاحبه على ما ليس من شأنه بالإكراه، وروايته في كتب الأمثال (أخوك).

الكِسَائيُّ عن بعض العرب: مَن يشتري منِّي خُفَّانِ، وسَمِعَ الأَخْفَشُ أعرابيًا فصيحًا مِن بَنِيْ الحارث يقول: ضربْتُ يداهُ، ووضعْتُهُ عَلاهُ، يريد: يَدَيْهِ وعليه، و(عَلاها) لُغَةٌ في (عليها) تُنْسَبُ إلى الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وفي المَثَل: طاروا عَلاهُنَّ فَشُلَّ عَلاها[٣]، قال الراجز[٤]:[من الرجز]

طارُوا عَلاهُنَّ فَطِرْ عَلاهَا واشْدُدْ بمُثَنَّى حَقَبٍ حَقْواهَا

وذَكَرَ ابنُ جني أنَّ أبا زيدٍ سألَ الخَلِيْلَ عن الذين قالوا: مررْتُ بأخواكَ، وضربْتُ أخواكَ، فقال: هؤلاءِ قولُهم على قياسِ الذين قالوا في يَيْأَسُ "ياءَسُ"، أبْدَلوا الياءَ لانفتاح ما قبلها[٥]. وحَكَى الفَرّاءُ، فقال: بنو الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يقولون: هَذَا خطُّ يَدَا أخِيْ بعينه، ووصَفَها بالقلّةِ، وأنَّ بقاءَ الألِفِ فيها أقيَسُ مِن الياءِ لمناسبةِ فتْحِ ما قَبْله[٦] .

نلحظ مما سبق أن في المُثَنَّى لُغَات:

الأولى: يُرْفعُ بالألفِ ويُنْصَبُ ويُجَرّ بالياء، وهي لُغَةُ معْظَم قَبَائِلِ الحِجَازِ وتَمِيْم، وهي اللُغَةُ المشْهُوْرةُ التي وَرَدَ بها أكثرُ كلام العرب، وبها نزَلَ القُرْآنُ في قراءاته المتواترة.

الثانية: إعرابُهُ كالمقصُورِ مِن الأَسْمَاء، فتلزم ألِفُهُ رفعًا ونصبًا وجرًا، وتقَدَّرُ الحركاتُ الثلاثُ على الألِفِ، وهذه تتوسط الشُّهْرةَ والانتشارَ ما بين الأولى والثالثة، وبها قُرِئ القُرْآنُ في بعض الشَّواذِ، وهي لُغَةُ طوائفَ مِن العربِ كثيرٌ، منهم بنو الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وزبيدٌ، وخَثْعَمٌ، وهمدانَ، وكِنَانَةُ، وعُذْرةُ، وبنو العنبرِ، وبنو الهُجَيْمِ، وبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وبطونٍ مِن رَبِيْعَة.

الثالثة: إعرابُه كالمقصور مِن الأَسْمَاءِ فتلزم ألِفُهُ رفعًا ونصبًا وجرًا، وجَعْلُ الحركةِ على النون ظاهرةً غيرَ مقدَّرةٍ . ذَكَرَ سِيْبَوَيْهِ أنَّ مِن النَّحْوِيِّيْنَ مَن يقول: هذا رجلانُ، يجعله بمنزلة عثمان[٧]، وحَكَى الشيبانيُّ وغيره أنَّ ضمَّها مع الألف لُغَةٌ[٨]، يقول الصبان(ت:١٢٠٦هـ): ((وبعض مَن يلزمه الألف يعربه بحركاتٍ ظاهرةٍ على النونِ كالمفردِ الصحيح، فتقول: (جاء الزيدانُ) بضَمِّ النون، و(رأيت الزيدانَ) بفتحها، و(مررْتُ بالزيدانِ) بكسرها، وهي لُغَةٌ قليلةٌ جدًا))[٩]، وليس لها

---

[١] البيان والتبيين ١٤٨/١.

[٢] ينظر: كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري ص: ٢٥٩.

[٣] ينظر: الخصائص ٢٥٩/٢.

[٤] لبعض أهل اليمن في النوار ص: ٢٥٨ – ٢٥٩، بلا نسبة في لسان العرب ٨٩/١٥ (علا)، وتاج العروس ١٢٠/١٨ (قلص)، وخزانة الأدب ١١٣/٧.

[٥] ينظر: الخصائص ١٦/٢

[٦] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٨٤/٢.

[٧] ينظر: الكتاب ٢٣٢/٣.

[٨] ينظر: الارتشاف ٥٥٦/٢

[٩] حاشية الصبان على شرح الأشْمُونِي ١٨٨/١

مثالٌ في القُرْآنِ الكريم، لكنْ قد يلجأ إليها شاعرٌ في قصيدةٍ ما؛ ومِن ثَمَّ فاحتفاظُ المصادر القديمةِ بمِثْلِ هذه اللَهْجَةِ ميزةٌ وإضَافَةٌ إلى جهد النُّحَاةِ واللُغَوِيّين..

ويرى الباحث أنَّ هناك طوائفَ كثيرةً مِن القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ التي تتكلمُ هذه اللُغَة تنتشرُ في الجزيرة العَرَبِيَّةِ، قد بلَغَتْ مِن الكثرة حدّا لا يمكنُ تجاهلَهُ حتى وَصَفَها ابنُ يعيش بأنَّها لُغَةٌ فاشية[1]، فقد سُمِعَ عن العرب مَن يقْلِبُ كلَّ ياءٍ انفتَحَ ما قبلَها ألفًا[2]، وعَدّ الفَرّاءُ بقاءَ الألف في المُثَنَّى أقْيَسَ لمناسبةِ الفتحةِ التي قبْلَهُ، مع عددٍ غيرِ قليلٍ مِن الشَوَاهِدِ الشّعْرِيّةِ، حَيْثُ ذكَرَ صاحبُ الدرّ اللقيْط[3] على هامش البحر المحيط شَوَاهِدَ كثيرةً تؤكد أنَّها اللُغَةُ القديمة لبعض العرب، تُدَعِّمُها قراءةٌ سبعيّةٌ متواترةٌ، وقراءاتٌ أخرى شاذة مؤكدة، ثم إنَّ مَن حَكَى هذه اللُغَةَ عن العرب علماءٌ موثوقٌ في روايتهم مثل أبي الخَطَّاب الأخْفَش الأكبر(ت:١٧٧هـ) وهو مِن علماء اللُغَةِ الثقات، وقد أخَذَ عنه سِيْبَوَيْهِ وغيره، وأبي زيدٍ الأنصاري(ت: ٢١٥هـ)، وكلٌّ منهما مِمَّن يرتَضَى علْمُه وأمانتُهُ وصِدْقُ روايته .

كما إنَّ بعضَ القَبَائِلِ التي تُلْزِمُ المُثَنَّى الألفَ منها قَبَائِلُ شرقية عُرِفَ عنها أنَّها بَدَوِيَّة ضاربةٌ في الصحراء مثل بَنِيْ العنبر، وبَنِيْ الهُجَيْمِ، وكِنَانَة، ورَبِيْعَة، وأخرى تسكن غرب الجزيرة كخَثْعَمٍ، وعذرة، وبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، ولأنَّ بيئة الجزيرة العَرَبِيَّة – نظرًا لطبيعتها القاسية – تجعلُ مِن الصعوبة بمكانٍ إقامةَ حواجزَ جغرافيةٍ لُغَوِيّةٍ فاصلةٍ بين القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ؛ بسبب تنقلات القَبَائِل وتداخلها مع بعضها في البحث عن المرعى، أو الحِلْفِ، أو الأسواقِ أو الحروب[4] . كلُّ هذه العواملِ تجعلنا نلْمَحُ الأثرَ الذي تركَتْهُ هذه اللُغَاتِ غيرِ المشْهُوْرةِ أو النادرة في المستوى النحوي، حَيْثُ تصدَّعَتْ القَاعِدَةُ، وتعدَّدَتْ الأوجهُ الإعْرَابيةُ، وبالتالي بَرَزَ الاضْطِرَابُ والتشويشُ في بعض مسائلِ النحوِ العربي[5]، وتركَتْ أثرًا واضحًا في عددٍ مِن أبوابِ النحو كالمُثَنَّى، وباب الأَسْمَاءِ الخمسة، والجار والمجرور، والظرف؛ فقد قيل: مِن العربِ مَن يقول – إذا وصل الحُرُوْفَ والأدواتِ بالضَّمَائِر – لَدَاكَ، وعَلَاكَ، وإلاكَ، في "لديك وعليك وإليك"، فلا يقْلِبُون ألفَهنَّ ياءً، وهي لُغَة لبَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، حكاه أبو زيدٍ[6] عن الخَلِيْل[1] . وهذه سِمَة بارزةٌ في لُغَة البدو لاتزال ملحوظةً في وقتنا الحاضرِ .

---

[1] ينظر: شرح ابن يعيش ٣٥٧/٢.

[2] ينظر: البحر المحيط ٣٥٠/٣.

[3] هو محمد بن مصطفى الداودي المعروف بداود زاده (ت:١٠٣١هـ)، الدر اللقيط من البحر المحيط، مجلدان قصره على مباحث أبي حيان مع ابن عطية والزمخشري.

[4] ينظر: اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص: ٢٣٠

[5] في علم اللُغَة العام د. عبد الصبور شاهين ص/٢٣٢ – ٢٣٣

[6] ينظر: النوادر لأبي زيد ص/٢٥٩

ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ القَبَائِلَ التي تُلْزِمُ المُثَنَّى الألفَ بعضُها تقترب موقعًا مِن الحِجَاز، وأخرى تقترب مِن تَمِيْمٍ. وهذا يعني أنَّ هذه اللَهْجَةَ انتشرتْ في مساحةٍ كبيرةٍ مِن الجزيرةِ العَرَبِيَّةِ، وتحدَّثَ بها عددٌ غيرُ قليلٍ مِن العرب[٢]. ولو أنَّ النُّحَاةَ عَنَوا قبل تَقْعِيْدِ القواعدِ باستقراءِ القراءات الواردةِ في تلك الآيةِ، وعَنَوا بمعرفةِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ التي تنصُبُ اسم «إنَّ» بالألِفِ في حالة التثنية مطلقًا، أو في حالة كون اسمها اسمَ اشارةٍ فقط، لكفاهم ذلك مِن كلِّ تلك التخريجات والتأويلات الموغِلةِ في التَّكلُفِ والتنطُّعِ، وكان يكفيهم تصحيحُ قواعدهم المدونةِ في ضوء الشَوَاهِدِ القُرْآنيةِ، والحديثية .

[١] ينظر: الخصائص ١٦/٢

[٢] ينظر: دور اللَهْجَة في التَقْعِيْد النحوي دراسة إحصائية في ضوء هَمْع الهَوَامِعِ للسيوطي د. علاء إسماعيل الحمزاوي ص: ١٥ .

المبحث الثاني: تغيّر علامات الإعْرَاب

المَسْألَة (٤): (أَمْسِ) بين الصَّرْف والمنع

إذا كان (أَمْسِ) غيرَ معرَّفٍ بالألف واللام ولا بالإضَافَة ولا منكَّرًا ولا مجموعًا ولا مُصَغّرًا فلا يخلو أنْ يكونَ ظرفًا أو غير ظرف، فإنْ كان ظرفًا فيكون له مَعنيان[١]:

- أحدهما: أنْك تُرِيَد به اليومَ الذي قبل يومِك .
- الآخر: أنْك تُرِيَد به ما تقَّدمَ يومَك .

فإن كان مُعَرَّفًا بالألف واللام أو بالإضَافَة أو منكَّرًا أو مجموعًا أو مُصَغَّرًا، فإنّه مُعْرَبٌ أبدًا على كلَّ حال[٢]، قال تَعَالَىْ: ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾[٣].

وفي حالةِ كونهِ ظرفًا ففيهِ لغتان:

- الأولى: لُغَة أهل الحِجَاز، وهي بناؤه على الكَسْرِ .
- الثانية: لُغَة بَنِيْ تَمِيْم، وهي إعرابُه إعرابَ مالا يَنْصَرِف .

ولن نتكلم عن لُغَة البناء والإعْرَاب فقد ناقشناها في مسألة سابقة[٤] . وسيكون حديث المَسْألَة هنا عن اللُغَة الثانية . فبنو تَمِيْمٍ منهم مَن يعربه إعراب الممنوع من الصَّرْف في حالة الرفع، ومنهم من يعربه إعراب الممنوع من الصَّرْف مطلقًا .

فاللُغَة الأولى: لجُمْهُور بَنِيْ تَمِيْم[٥]، فيعرب إعراب الممنوع من الصَّرْف في حال الرفع، للتعريف والعدل، وفي حالتي النَّصْبِ والجَرِّ يُبْنى على الكَسْرِ، ويوافقون لُغَةَ أهل الحِجَازِ في هاتين الحالتين[٦] .

وحكى النحَّاسُ[٧] عن سِيْبَوَيْهِ أنَّ مِن العرب مَن يجري (أَمْسِ) مَجْرى ما لا يَنْصَرِفُ في موضع الرفع خاصة ... واللُغَةُ الجيدةُ الرفع[٨]، وذكر ابنُ هِشَامٍ أنَّ لُغَة جُمْهُور بَنِيْ تَمِيْم هي

---

[١] ينظر: الكتاب ٢٨٣/٣-٢٨٥، النوادر ٥٧، ما يَنْصَرِف وما لا يَنْصَرِف ٩٥، النكت ٨٥٩/٢-٨٦٠، تحصيل عين الذهب ٤٧٤ المفصل ١٣٣، شرح شذور الذهب ١٠٠، خزانة الأدب ١٦٧/٧-١٧١.

[٢] ينظر: شرح جمل الزَّجَّاجي ٤٠١/٢.

[٣] يونس من الآية/٢٤

[٤] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الأول، المَسْألَة (٦): أمس بين الإعْرَاب والبناء.

[٥] ينظر: الكتاب ٢٨٣/٣، والبحر ١١/٧، وشذور الذهب ص: ١٠٠، وأوضح المسالك ١٥٣/٣

[٦] ينظر لَهْجَة تَمِيْم: ٢٢٩.

[٧] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس: ٢٣٣/٣

[٨] ينظر: الكتاب ٢٨٣/٣، وتذكرة النُّحَاة ص:٩٨.

إعرابُه إعرابَ مالا يَنْصَرِف في حالةِ الرفع خاصةً، وبناؤه على الكَسْرِ في حالتي النصبِ والجر، يقولون: (ذَهَبَ أمْسُ)، فيضمونَه بغير تنوين و(اعتكفْتُ أمسِ)، و(عَجبْتُ من أمسِ) بالبناء على الكَسْرِ[1]، كَقَوْلِ الشاعر[2]: [من الخفيف]

اعْتَصِمْ بِالرَّجَاءِ إنْ عَنَّ بَأْسٌ ... وَتَنَاسَ الذيْ تَضَمَّنَ أَمْسُ

برفع (أمْسِ) على الفاعليَّةِ . وفي قول الآخر[3]: [من الرجز]

مَا زالَ ذَا هزيزَها مُذْ أَمْسِ ... صافِحةً خُدُودَها للشَّمْسِ

قال أبو زيد الأنصاري في نوادره تعليقًا على هذا الشاهد: ((ومن لُغَة هذا الراجز أن يبني (أمسِ) على الكَسْرِ، فلذلك قال: مذ أمسِ))[4].

واللُغَة الثانية: لُغَة بعض بَنِيْ تَمِيْم[5]، معربٌ وممنوعٌ مِن الصَّرْف في الأحوال كلِّها ؛ وعِلّةُ مَنْعِهِ الصَّرْف لأنَّه عُدِلَ عن الأصْلِ، وأصْلُ (أمْسِ) أنْ يكون معرفة (الأمس)، فيقولون: مضى أمسُ، وفعلته أمسَ، وما رأيته مذ أمسَ بالفتح، وعلى هذه اللُغَة قولُ الشاعر[6]:[من الرجز]

لَقَدْ رأَيْتُ عَجَبًا مُذْ أَمْسا ... عَجائزًا مِثْلَ السَّعَالِيْ خَمْسا

وهو قليل عند سِيْبَوَيْهِ، حَيْثُ قال:((وقد فَتَحَ قومٌ (أمْسِ) في (مُذْ) لمّا رفعوا، وكانت في الجرَّ هي التي تُرْفَع، شبَّهوها بها ... وهذا قليل))[7] . قال السيرافي موضحًا قولَ سِيْبَوَيْهِ "وقد فتح قوم أمس":((وهُمْ بعض بَنِيْ تَمِيْم، وإنَّمَا فعلوا ذلك لأنَّهم تركوا صَرْفه، وما بعد (مذ) يُرْفع ويُخْفَضُ، فلمَّا تَرَكَ بعضُ مَن يَرْفع صرفَهُ بعد (مذ)، تَرَكَ أيضًا مَن يَجُرُّ صرفه بعدها))[8] وهذا قليلٌ؛ لأنَّ الخفضَ بعد (مُذ) قليلٌ[9] ((ونظيرُ جرِّها بعد (مُذْ) هاهنا رفعُها في موضع الرفع، إذ قالوا: ذَهَبَ

---

[1] ينظر، شرح شذور الذهب ص: ١٠٠

[2] غير منسوب في شرح الأشموني ١٦٥/٣، وشرح التصريح ٣٤٨/٢، والمقاصد النحوية ١٨٤٨/٤، وهمع الهوامع ١٨٩/٢.

[3] غير منسوب في لسان العرب ٩/٦ (أمس).

[4] النوادر في اللُغَة ص:١٢، و ينظر: لسان العرب ٩/٦ (أمس).

[5] ينظر: الكتاب ٢٨٣/٣، والارتشاف ١٤٢٨/١.

[6] غير منسوب في شرح ابن يعيش ١٣٦/٣، والمقاصد النحوية ١٨٣٣/٤، وشرح الأشموني ١٦٤/٣، واللسان ٩/٦(أمس).

[7] الكتاب ٢٨٤/٣-٢٨٥.

[8] ينظر: شرح كتاب سيبويه السيرافي ٥٣/٤

[9] ينظر: النكت للأعلم الشَنْتَمَرِي ٨٦٠/٢

أمسُ بما فيه، وما رأيتُه مُذْ أمسُ، وهي لُغَة لبعضِ بَنِيْ تَمِيْم، فلما رُفِعَتْ بعد (مُذْ) لأنَّ (مُذْ) يرتفعُ ما بعدها إذا كان منقطعًا ماضيًا، جازَ للشاعر أنْ يَخفِضَه بعدَها على لُغَة مَن جرَّ بها في ما مضى وانقطَعَ؛ لأنَّ (مُذْ) هذه الخافِضَةُ لـ(أمس) هي الرافعةُ له في لُغَة مَنْ يرفع))[1] .

قال أبو زيد معلقًا على الشاهد السابق: ((قوله: أمسًا، ذهب بها إلى لُغَة بَنِيْ تَمِيْم، يقولون: ذهب أمسُ بما فيه، فلم يصرفه))[2]، وأكدها أبو حيان[3] عن الكِسَائي، قال النحَّاس معلقًا على الشاهد: ((وربما اضطرَّ الشاعر ففعل هذا [يعني إجراء أمس مجرى ما لا يَنْصَرِف في الرفع خاصة] في الخفض والنصب، كما قال: لقد رأيت عجبًا مذ أمسًا، فخفض بـ (مذ) فيما مضى، واللُغَة الجيدة الرفع، وإجراء أمس في الخفض مجراه في الرفع على اللُغَة الثانية))[4].

وورد في بعض المصادر[5] عن بَنِيْ عُقيل – وهم من قيس– تنوين (أمْسِ) فيقولون: ذهبَ أمسٍ بما فيه، إذا استُعْمِل اسمًا .

اضطربَتْ لُغَاتُ العرب في تصريف هذا اللفظ (أمْسِ)[6]، وقد ظهر الاضْطِرَابُ في ما نَقَلَه أبو حيانٍ عن النُّحَاةِ بقوله: ((.. فالحِجَازُ تبْنِيْهِ على الكَسْرِ كحالِهِ حين كان ظرفًا ... وتَمِيْم تمْنَعُه مِن الصَّرْف حالة الرفْع وتبْنِيْهِ نصبًا وجرًا، تقول: ذهب أمسُ بما فيه، وكرِهْتُ أمسِ، وما رأيته مذ أمسِ . واختلف النُّحَاةُ في إعرابه مطلقًا إعراب ما لا يَنْصَرِف عند بعض تَمِيْم، فذهب إلى إثبات ذلك الأستاذُ أبو الحسَن بنِ الباذِشِ، وهو قولُ ابن عصفور، وابن مالك، وقال الأستاذ أبو علي: هذا غلطٌ؛ وإنَّما بنو تَمِيْمٍ يعربونه في الرفع ويبنون في النصب والجر، وحكى الكِسَائيُّ أنَّ بعضهم يمنعه الصَّرْف رفعًا ونصبًا وجرًا، وبعضهم ينَوّنُهُ تنوين الصَّرْف في الأحوالِ الثلاثةِ إلا في النصب على الظرف، فإنَّهم لا ينَوِّنُوْنَه))[7] .

فالذين يمنعونه الصَّرْف في لُغَة تَمِيْمٍ هم على الأصلِ؛ لأنَّ الأصلَ في الكلام أنْ يكون معرفًا بالألف واللام، فكَلِمَة " أمْسِ" معدولةٌ عن "الأمْسِ"، ففي: لقيتُهُ أمْسِ، يكون التقدير: لقيته بالأمْسِ، بحذف الباء و"أل"، وأجاز الخَلِيْلُ أنْ تكونَ الكسرةُ كسرةَ إعرابٍ لا بناء[8] . وأمَّا الذين

---

١ تحصيل عين الذهب ص: ٤٧٤.

٢ النوادر في اللُغَة ص:٥٧.

٣ ينظر: الارتشاف ١٤٢٧/٣ – ١٤٢٨

٤ إعراب القُرْآن للنحاس: ١٥٩/٣

٥ ينظر: تهذيب اللُغَة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب ٣٦/١٥(أمس)، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي– بيروت .

٦ ينظر: اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص/٢١١

٧ الارتشاف ١٤٢٨/٣ .

٨ ينظر: شرح المفصل ١٠٧/١، والارتشاف ٢٤٨/٢

يمنعونه الصَّرْف حالةَ الرفعِ فقط فهذا على لُغَةِ تَمِيْمٍ . واختيارُهم للبناء لأنَّ ديارهم قد تكون بالقرب مِن الحِجَازِ، والذي يسْنُدُ ذلك أنَّ بعض المصادر ذَكَرَتْ أنَّ لُغَةَ عُقَيْلٍ تتفق مع لُغَةِ تَمِيْمٍ في إعراب "أمْسِ" غيرَ مصروفٍ، وعُقَيْلٍ مِن القَبَائِلِ القيسية البَدَوِيَّة التي على صلةٍ وثيقةٍ بتَمِيْم كما أنَّها تسكُنُ أواسط نَجْدٍ وشرقيَّها[1] .

[1] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم د. غالب المطلبي ص/٢٣٢

المبحث الثاني: تغيّر علامات الإعْرَاب

المَسْأَلَة (٥): صرف سِنِيْنَ وبابه

تَكَلَّمنا في مسألةٍ سابقةٍ[١] عن (سِنِيْنَ) وتَعَدُّدِ الحركاتِ عليها، فتارةً تعرب بالحُرُوْفِ وتارةً تعرب بالحركاتِ، وفي إعرابها بالحُرُوْفِ ستكون أبْعَدَ ما يكون عن الصَّرْف والتنوين، ممَّا يعني أنَّ في هذه المَسْأَلَةِ سيكون نقاشُنا حول الإعْرَابِ بالحركاتِ على النون . ففيه تكون مصروفةً عند قوم، وممنوعة مِن الصَّرْف في لُغَةِ قوم آخرين .

في إعراب (سِنِيْنَ) بالحركات لغتان مشْهُوْرتان:

إحداهما: إعرابُها بالحركاتِ على النون مع لزوم الياء . مع التنوين إذا كانت نكرةً، وبدون تنوينٍ إذا جاءت معرفة، فتقول: هذه سِنِيْنٌ وصحبته سِنِيْنًا، وما رأيته منذ سِنِيْنٍ، ومِن الشَوَاهِدِ أيضًا ما أنشده الكِسَائيُّ[٢]:[من الوافر]

ألم نَسُق الحَجِيْجَ سَلِيْ معَدًا ... سِنِيْنًا مَا نَعُدُّ لنا حِسَابا

قال النحَّاسُ: ومِن العرب مَن يعرب النون في "سِنِيْن"، فتقول: هذه سِنِيْنٌ، ورأيت سِنِيْنًا، ومررتٌ بسِنِيْنٍ، وعُزِيَتْ هذه اللُغَةُ إلى أسَدٍ، وتَمِيْمٍ، وعامرِ بنِ صعصعة[٣] . وفي تفسير قوله تَعَالَىْ: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآن عِضِينَ﴾[٤]، قال الفَرّاء: ((وواحدةُ العِضِين عِضَهٌ، ورَفْعُها عِضُون، ونصْبُها وخفْضُها عِضِين، ومِن العربِ مَن يجعلُها بالياءِ على كلِّ حالٍ ويُعْرِبُ نُونَها، فيقول: عِضِينُك، ومررْتُ بِعِضِينِكَ وسِنِيْنِكَ، وهي كثيرةٌ في أسَدٍ وتَمِيْمٍ وعامرٍ، وأنشدني بعض بَنِيْ عامر: [من الطويل]

مَتَىْ نَنْجُ حَبْوَ ًا مِنْ سِنِيْنٍ مُلِحَّةٍ ... نُشَمِّرْ لأُخْرَىْ تُنْزِلَ الأعْصُمَ الفُرْدَا))[٥]

وعُزِيَتْ[٦] أيضًا إلى أهل الحِجَازِ، وعُلْيا قيْسٍ، كما استعمَلَها رسولُ الله ﷺ في كلامٍ له يدعو على المشركين مِن أهل مكة بالجَدْبِ والقَحْطِ، فقال: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عليهم سِنِيْنًا كسِنِيْنِ يوسُفَ)[١].

---

[١] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثاني، المسألة(١): (سنين) وبابه.

[٢] غير منسوب في تخليص الشواهد ص:٧١، والهمع ١/١٧٤،

[٣] نظر: معاني القُرْآن للفراء ٢/٩٢، وإعراب القُرْآن للنحاس ٢/٢٠٣، وتفسير القرطبي ٧/٢٦٤.

[٤] الحِجْر/٩١

[٥] معاني القُرْآن للفراء ٢/٩٢.

[٦] ارتشاف الضرب: ١/٢٦٨، والهَمْع: ١/٤٧، وشرح ابن عقيل: ١/٦٤ (هامش المحقق).

فلُغَةُ بَنِيْ عامرٍ الصَّرْف، حكاها النحَّاسُ عن الفَرّاءِ، نحو: أقَمْتُ عنده سِنِيْنًا يا هذا، مصروفًا[٢]. فيقولون (سِنِيْنٌ) بالرفع والتنوين، و(سِنِيْنًا) بالنصب والتنوين، و (سِنِيْنٍ) بالجر والتنوين . قال ابنُ مالكٍ: ((مِن العرب مَن شَبَّهَ "سِنِيْنَ" ونحوه بغسلين، فتَلْزَمُهُ الياءُ ويعرَبُ بالحركات فيقول: إنَّ سِنِيْنًا يُطاعُ إليهِ فيها لسِنِيْنٌ، وسِنِيْنُكَ أكثرُ مِن سِنِيْنِيْ))[٣]، وكَقَوْلِ الشاعر[٤]:

مَتى نَنْجُ حَبْوًا مِنْ سِنِيْنٍ مُلِحّةٍ ... نُشَمّرْ لأخْرَىْ تُنْزِلَ الأعْصُمَ الفُرْدَا

وفي اطّرادِ لُغَةِ الصَّرْف قال ابن مالك في ألفيته:

وبَابُهُ ومِثْلُ حِيْنٍ قَدْ يَرِدْ ... ذا البابُ وهْوَ عِنْدَ قَوْمٍ يَطّرِدْ

يعني أنَّ باب "سِنِيْنَ" قد يُسْتعمَلُ مثل (حين) في جَعْلِ إعرابِهِ بالحركاتِ على النونِ مُنَوَّنَةً، وقال باطّرادِهِ الفَرّاءُ، وابنُ مالك[٥]، ورُدَّ بأنَّه لا يَطَّرِدُ، بل يقتصر فيه على السَّمَاع[٦] .

واللُغَة الثانية: إعرابُها بالحركات على النون مِن دون تنوينٍ مع لزوم الياء، حَمْلًا على الممنوع مِن الصَّرْف، ونُسِبَتْ لبَنِيْ أسَدٍ وتَمِيْم[٧]، قال النحَّاسُ: ((وحكى الفَرّاءُ عن بَنِيْ عامرٍ أنَّهم يقولون: أقمْتُ عنْدَهُ سِنِيْنًا يا هذا، مصروفًا، وبنو تَمِيْمٍ لا يَصْرُفُون، ويقولون: مضت له سِنِيْنُ يا هذا))[٨] . كَقَوْلِه: [من الطويل]

دَعَانِيَ مِنْ نَجدٍ فإنَّ سِنِيْنَهُ ... لَعِبْنَ بِنَا شِيْبًا وَشَيَّبْنَنَا مُرْدَا

وقد ذكرنا في موضع سابق من هذه الرسالة من الشَوَاهِد ما يغني عن إعادته[٩] .

وهناك لُغَةٌ ثالثةٌ تعربها بالحركاتِ على النونِ مع لزوم الواو والنون كـ"زيتون"، وهي لُغَةٌ لبعض العرب[١]، ولم تَدُلُّنَا على أصحابِها المصادرُ التي وقَفْنَا عليها . وذَكَرَ ابنُ مالكٍ أنَّ التزام الواو وجَعْلَ الإعْرَابَ في النونِ قليلٌ، والحَمْلُ عليه ضعيفٌ[٢] .

---

[١] ينظر: سنن الدارقطني ٣٦٨/٢ (ح: ١٦٩٠)، ومسند أحمد (ح: ١٠٧٥٤)، و النِهَايَة في غريب الحديث والأثر ٤١٤/٢.

[٢] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٦٨/٢

[٣] شرح التسهيل ابن مالك ٨٥/١.

[٤] ينسب للصمة بن عبد الله القشيري، ولبعض بني عامر في معاني الفراء ٩٢/٢، وغير منسوب في الهمع ١٧٤/١. والأعصم من الظباء والوعول: ما فى ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر. والعصم تسكن أعالى الجبال.

[٥] ينظر: شرح الأشْمُونِي على الألفية ٦٤/١

[٦] ينظر: شرح ابن عقيل ٦٥/١، و شرح الأشْمُونِي على الألفية ٦٦/١.

[٧] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩٢/٢، وإعراب القُرْآن ٢٠٣/٢، والبحر المحيط ٤٥٦/٥، والخزانة ٥٩/٨

[٨] إعراب القُرْآن للنحاس ٦٨/٢.

[٩] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثاني، المسألة(١): (سنين) وبابه.

ونَلْمَحُ بعضَ التناقضِ في النصَّين المنسوبين للفراءِ . فالنصُّ الأخيرُ الذي يذْكُرُ أنَّ تَمِيْمًا لا تصْرِفُ (سِنِيْن) يتعارضُ مع ما وَرَدَ في النصّ الأولِ المأخوذِ مِن معاني القُرْآنِ للفراء، الذي يقول فيه ((... ومررْتُ بِعِضِينِكَ وسِنِيْنِكَ، وهي كثيرةٌ في أسَدٍ وتَمِيْمٍ وعامرٍ)) . وهنا نتساءل هل ضبْطُ النونِ بالكسرةِ في "عضينِك وسِنِيْنِك" غيرُ سليمٍ؛ ليتفقَ مع القولِ المنسوبِ للفراء بأنَّ تَمِيْمًا (لايصرفون)، أو أنَّ بعضَ بَنِيْ تَمِيْمٍ يصرفون ولكن من دون تنوين، وبعضُهم لا يصْرِفُ؟

مما سبق يَتْبَعُ الباحثُ من يرى[٣] أنَّ لبَنِيْ أسَدٍ وتَمِيْمٍ في (سِنِيْنَ) وبابِهِ لغتين:

الأولى: عدم صرف (سِنِيْن)، وإعرابها إعراب ما لا يَنْصَرِف.

الثانية: إعرابها بالحركات الثلاث على النون، ولكنْ مِن دوْنِ تنوينٍ .

وممَّا يؤيدُ ما نراه أنَّ النصَّ الأولَ الذي ذكرناه أثْبَتَ حالة الجرِّ بالكسرِ لكثيرٍ مِن أسَدٍ وتَمِيْم، ووجود الكسرة في (عضينِك، وسِنِيْنِك) في لُغَةِ كثيرٍ مِن تَمِيْمٍ وأسَدٍ يعني أنَّ بعضَ تَمِيْمٍ لا توجدُ على لسانِهم هذه اللُغَةُ، وهؤلاء هم الذين لا يصرفون (سِنِيْن) وبابَها .

وأدارَ حوْلَ هذه المَسْألَةِ نقاشًا الشيخُ محمد محي الدين[٤] (ت:١٣٩٣هـ) جاء فيه: ((حكى بعض شراح التسهيل في هذه الحالة أن الظاهر على كلام ابن مالك أن بَنِيْ تَمِيْم يجرون هذا النوع بالكسرة الظاهرة من غير تنوين، ولكن كلام الفَرّاء ظاهر في أنهم يجرونه بالفتحة نيابة عن الكسرة ويعاملونه مُعَامَلَة الاسم الذي لا يَنْصَرِف لشبه العجمة ... ثم قال: وإذا ذكرت أن فرض الكلام أن هذا النوع من الملحق بجمع المذكر السَّالِم ليس علمًا علمت أن الصواب هو كلام ابن مالك لأن منعه من الصَّرْف لشبه العجمة وحده غير صحيح ؛ ولأن العجمة نفسها لا تمنع من الصَّرْف إلا أن يكون علما))[٥] .

بعد عرْضِ اللُغَاتِ في (سِنِيْن) وبابها نخْلُصُ إلى القول بأنَّ لقيسٍ في هذا الباب لغتين، الأولى: إعرابُه إعرابُ جمْع المذكر السَّالِم، وهي لُغَةُ عُلْيَا قيْسٍ، ويشاركها في هذه اللُغَة أهل

---

[١] ينظر: الهَمْع ١٦٠/١

[٢] ينظر: شرح التسهيل ٨٦/١

[٣] ينظر: لُغَات قيس محمد العمري ص/٣٠١.

[٤] **محمد محي الدين عبد الحميد:** تعلم بمعهد دمياط ثم عين مدرسًا بمعهد القاهرة، فمدرسًا بكلية اللغة العَرَبِيَّة، أصبح عميدًا للكلية عام ١٩٥٤م، وشارك بعضويته في المجمع في لحان عديدة، من مؤلفاته (أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية) و(تصريف الأفعال)، ومن تحقيقاته (أوضح المسالك) لابن هِشَامٍ، و(شرح ابن عقيل)، توفي سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

[٥] هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك محمد محي الدين عبد الحميد ٤١/١ [بهامش أوضح المسالك].

الحِجَاز . والثانية: إعرابُه بالحركات على النون مع لزوم الياء والنون، وهي لُغَة بَنِيْ عامرٍ مِن قيس، ولعل هذه اللُغَةَ لُغَةُ القَبَائِلِ المجاورة لتَمِيْمٍ كعُقَيْلٍ وقُشَيْرٍ ؛ لأنَّ لزوم الياء، وإعراب النون بالحركات ينحصر – كما تدل على ذلك الشواهد التي وقفنا عليها – في القَبَائِلِ البعيدة عن البيئة الحِجَازِيَّة، كتَمِيْم وبَنِيْ عامر وبَنِيْ أسَد .

المبحث الثاني: تغيّر علامات الإعْرَاب

المَسْأَلَة (٦): ما سُمّيَ بِهِ مِنْ جَمْعِ المُؤَنّثِ السَّالِم

حكى سِيْبَوَيْهِ عن العرب فيه لغتين:

الأولى: الصَّرْفُ مع التنوين، وهي لُغَةُ أكثر العرب، نحو: هذه أذرعاتٌ، ورأيت أذرعاتٍ، ومررت بأذرعاتٍ . وذلك مراعاة لحالتها قبل التسمية به، لأنَّه جمْعُ مُؤَنّثٍ سالم، فينَوَّن تنوين مقابلة . قال سِيْبَوَيْهِ[١] سمِعْنا أكثرَ العرب يقولون في بيت امرئ القيس:[من الطويل]

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرُعَاتٍ[٢]، وأَهْلُهَا ... بيَثْرِبَ، أَدْنَى دَارِها نَظَرٌ عَالِ

الثانية: منْعُ الصَّرْفِ، وهي لُغَة قلَّةٍ مِن العرب، نحو: هذه أذرعاتُ، ورأيتُ أذرعاتَ، ومررتُ بأذرعاتَ . للعلمية والتأنيث . ومِن العرب مَن لا ينَوّن أذرعات[٣] . وكان المُبَرِّدُ لا يجوّزُ الفتح[٤] . وهي لُغَةٌ عن العرب[٥] حكاها الأخْفَشُ والكوفيون[٦] .

ويذْكُرُ النُّحَاةُ أنَّ سبب صرف " أذرعات، وعرفات " – وإنْ كانت اسمًا عَلَمًا مُؤَنّثًا – كونهم قصدوا الأصل؛ فهي جمْعُ مُؤَنّثٍ سالم، وتنوّنُ تنوين مقابلة، فالتنوين فيها بإزاء النون في جمْعِ المذكر السَّالِم، والضَّمَّة والكسرة بإزاء الواو والياء، فَرُوْعِيَ الأصلُ فيها قبْلَ التسمية، وهي اللُغَة الفُصْحَىْ والأجود، ألا ترى إلى عرفاتٍ مصروفةً في كتاب الله عز وجلَّ وهي معرفةٌ، قال تَعَالَىْ: ﴿فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾[٧] . والدَّليلُ على ذلك قول العرب: هذه عرفاتٌ مباركًا فيها[٨] . وهي لُغَة أكثر العرب.

وأمَّا مَن لم يصرفها مِن العرب فلأجل العَلَمِيَّةِ، وجَعْلُ التاء فيها كهاء التأنيث لأجل أنْ يجتمع فيها علَّتان، ولم يعتدوا بالألف قبْلَها لأنَّه حرفٌ ساكنٌ ليس بحاجزٍ حَصِين، فصارت التاء

---

[١] ينظر: الكتاب ٢٣٣/٣.

[٢] أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. [معجم البلدان ١٣٠/١]

[٣] ينظر: الكتاب ٢٣٤/٣.

[٤] ينظر: المقتضب ٣٧/٤.

[٥] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ١٦٣/١.

[٦] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٠٢/١، والتبيان في إعراب القُرْآن ١٦٣/١.

[٧] البقرة من الآية/١٩٨

[٨] ينظر: الكتاب ٢٣٣/٣

كأنَّها ليس بينها وبين الحَرْف المتحركِ الذي قبْلَ الألِفِ شيء[1]، وهي لُغَةٌ لبعضِ العرب حَكَمَ عليها الأعلم[2] بالقِلَّة والضعف[3] .

إن بيت امرئ القيس السابق (تنورَّتها مِن أذرعات)، تروى "أذرعات" على ثلاثة وجوه:

١. الكسْرِ مع التنوين؛ مراعاة لـ"أذرعات" قبْلَ التسْمِية به، فهو جمْعُ مُؤَنّثٍ سالم. وهذا الجَمْعُ يُجَرُّ بالكسرة الظاهرة، وينوَّن تنوينَ مقابلةٍ لا تنوين تنكير. فمَنْ رواهُ بالجر والتنوين لاحَظَ حالَهُ قبل التسمية به، مِن أنَّه جُمِعَ بالالِفِ والتاء المزيدتين، والذين يلاحظون ذلك يستندون إلى أنَّ التنوينَ في جمْع المُؤَنّثِ السَّالِم تنوينُ المقابلة؛ إذ هو في مقابلةِ النون التي في جمْعِ المذكر السَّالِم، وعلى هذا لا يُحْذفُ التنوينُ ولو وُجِدَ في الكَلِمَةِ ما يقتضي منْعَ صرْفِها؛ لأنَّ التنوين الذي يُحْذفُ عند منْعِ الصَّرْفِ هو تنوين التمكين، وهذا عندهم كما قلنا تنوين المقابلة .

٢. الكسر بلا تنوين؛ لأنَّه جمْعٌ بحسب أصله[4]، وعَلَمٌ لمُؤَنّثٍ بحسب حاله، فجُرَّ بالكسرة كما يُجَرُّ جمْعُ المُؤَنّثِ السَّالِم، ومُنِعَ مِن التنوين كما يُمْنَعُ العَلَمُ المُؤَنّثُ. فمَن رواهُ بالكسر مِن غير تنوينٍ – وهم جماعة منهم المُبَرِّدُ والزَّجَّاجُ – لاحظوا فيه أمرين: أولُهما أنَّه جمْعٌ بحسب أصله، وثانيهما: أنَّه عَلَمٌ على مُؤَنّثٍ فأعْطَوْهُ مِن كلِّ جهة شَبَهًا، فمِن جهةِ كونه جمْعًا نَصَبُوهُ بالكسرةِ نيابةً عن الفتحة، ومِن جهةِ كونهِ عَلَمَ مُؤَنّثٍ حذفوا تنوينه .

٣. الفتح مِن غير تنوينٍ؛ لأنَّه عَلَمُ مُؤَنّثٍ ممنوعٌ مِن الصَّرْفِ. والذين رَوَوْه بالفتح مِن غير تنوينٍ – وهم جماعة منهم سِيْبَوَيْهِ وابنُ جني – لاحَظُوا حالته الحاضرة فقط، وهي أنَّه عَلَمٌ مُؤَنّثٌ.

والباحثُ يأخذُ بالوجه الثالث، وهو قول سِيْبَوَيْهِ وابنِ جني؛ لأنَّ القَاعِدَةَ النَّحْويّةَ واضحةٌ وهي أنَّ الغالبَ في أسماءِ البلدانِ والمدنِ تُمْنَعُ الصَّرْفَ للعَلَمِيَّةِ والتأنيث، فما المسوغُ الذي جعل النُّحَاةَ يُخْرِجون البلدانَ التي خُتِمَتْ بالألِفِ والتاءِ مِن هذه القَاعِدَةِ، وهي مَصُوغة على زِنَةِ جمْعِ المُؤَنّثِ السَّالِم، بعبارةٍ أخرى إنَّ التأنيثَ فيها قويٌ ولازمٌ سواءٌ مِن حَيْثُ اللفظ؛ كوْنُها كختومةَ

---

[1] ينظر: الكتاب ٣/٢٣٤.

[2] **الأعلم الشّنْتَمَرِي**: يوسف بن سليمان بن عيسى الشّنْتَمَرِي الأندلسي، أبو الحجاج المعروف بالأعلم: عالم بالأدب واللُغَة. ولد في شنتمرية سنة ٤١٠هـ، ورحل إلى قرطبة. وكف بصره في آخر عمره ومات في إشبيلية سنة ٤٧٦هـ. كان مشقوق الشفة العليا، فاشتهر بالأعلم. من كتبه " شرح الشعراء الستة الجاهليين" و " شرح ديوان زهير بن أبي سلمى " و " شرح ديوان طرفة بن العبد "، " تحصيل عين الذهب " و " النكت على كتاب سِيْبَوَيْهِ " و " شرح ديوان الحماسة. [الأعلام للزركلي]

[3] ينظر: تحصيل عين الذهب ص/٤٥٦.

٤ أذرعات في الاصل: جمع أذرعة الذي هو جمع ذراع، كما قالوا: رجالات وبيوتات وجمالات، وقد سمي بأذرعات بلد في الشام.

بالألف والتاء، أو مِن حَيْثُ الدلالةِ كوْنُ أسماءِ الأماكنِ والبلدانِ أعلامًا مُؤَنّثة . فاستثناءُ هذه الأماكنِ وإخراجِها من قَاعِدَةِ الممنوع مِن الصَّرْفِ فيه اضْطِرَابٌ في القَاعِدَةِ التي توجِبُ منْعَ أسماءِ البلدان والأماكن والقرى على الأصل، وعِلَّةُ قياسِها على جمْعِ المُؤَنّثِ السَّالِم، غيرُ مقنعةٍ – عند الباحث – ؛ لأنَّ هذه العلة تجعلُها أولَى بالمنع مِن الصَّرْفِ؛ كونُها تستقوي بالتأنيث مِن طريقين: التأنيثِ المجازيّ، والتأنيثِ اللفظي[1]، قياسًا على طلْحَةَ وحَمْزة التي مُنِعَ صرْفُها للعَلَمِيَّةِ والتأنيث . فصَرْفُ هذه الأماكنِ على لُغَةِ أكثر العرب مُرْبِكٌ للقَاعِدَةِ النَّحْويّةِ .

[1] ينظر: الكشاف ٢٤٦/١

المبحث الثاني: تغيّر علامات الإعْرَاب

المَسْأَلَة (٧): مَاْ لَحِقَتْهُ الألِفُ مِن الأَسْمَاءِ كـ (تَتْرَىْ)

"تَتْرَىْ" أيْ واحدًا بعْدَ واحدٍ[١]، من الوَتْرِ وهو الفرد، فتاؤُهُ مُبْدَلَةٌ من واوٍ على غير قياس؛ إذْ أصْلُه "وَتْرَىْ" مِن المواترة[٢] . قال تَعَالَىْ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىْ[٣]﴾، أيْ أرسلناهم فردًا فردًا. إلَّا أنَّه قد رَوَىْ عليُ بنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عباسٍ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىْ﴾ قال يقول يَتْبَعُ بعضُها بعضًا[٤].

وحكى سِيْبَوَيْهِ عن العرب فيه لغتان[٥]:

الأولى: منْعُ صرْفِهِ، وهي لُغَةُ أكثرِ العربِ[٦]، والألِفُ فيه للتأنيثِ، فيكونَ على وزْنِ "فَعْلَى" كسَكْرَى وغَضْبَى[٧]، قال الجوهري[٨] فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها للتأنيث وهو أجود؛ لأنَّ أصلها وَتْرَىْ من الوِتْرِ.

والثانية: صرْفُهُ، وهي لُغَةٌ لبعض العرب، يجعلون الألف زائدةً بمنزلة "أَرْطَىْ[٩] ومِعْزَىْ"، ولا يختلفُ المُبَرِّدُ[١٠] والزَّجَّاجُ[١١] مع سِيْبَوَيْهِ في أنّ الإلحاق لُغَةُ العرب، وأنَّها زائدةٌ، وذَكَرَ سِيْبَوَيْهِ اختلافَ العرب في استعمالِ ألِفِ الإلحاق في باب ما لحقته الألف في آخره، فقال: ((أنّ مِعْزَىْ ليس فيها إلّا لُغَةٌ واحدةٌ تُنَوّنُ في النكرة وكذلك الأرْطَىْ (كلهم يصرف)، وكذلك العلقى))[١٢] . قال

---

[١] ينظر: الصحاح ٨٤٣/٢(وتر).

[٢] ينظر: سر صناعة الإعْرَاب ١٥٦/١، ١٥٧، وشرح ابن يعيش ٣٩٦/٥.

[٣] المؤمنون من الآية/٤٤

[٤] ينظر: معاني القُرْآن أبو جَعْفَر أحمد بن محمد النحَّاس تحقيق د. محمد علي الصابوني ٤٥٩/٤، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

[٥] ينظر: الكتاب ٢١١/٣، والصحاح ٨٤٣/٢(وتر).

[٦] ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٣٦/٢.

[٧] ينظر: سر صناعة الإعْرَاب ١٥٦/١

[٨] ينظر: الصحاح ٨٤٣/٢(وتر).

[٩] أرطى: واحدها الأرطاة، وهو شجر من شجر الدمل. مادة "رطا". اللسان "١٦٦٦/٣".

[١٠] ينظر: المقتضب ٣٣٨/٣.

[١١] ينظر: ما يَنْصَرِف وما لا يَنْصَرِف/٣٢.

[١٢] الكتاب ٢١١/٣

النحَّاسُ: ((مَن نَوَّنَ جعل الألِفَ للنصب كما تقول: رأيت زيدًا يا هذا))[1]، وهي لُغَة عُزِيَتْ لكِنَانَة[2].

وهناك قولٌ ثالثٌ أشارَ إليهِ النُّحَاةُ واللُّغَوِيّون وهو أنَّ الألف تكون عِوَضًا مِن التنوِين[3]

وقد قُرِئ على كلتا اللغتين قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ﴾ [4]، حَيْثُ قرأها بالتنوين "تترىً" ابن كثير، وأبو عمرو، وقتادة[5]، وأبو جَعْفَر، وشيبة، وابن محيصن[6]، والشافعي، وقرأها باقي السبعة بغير تنوين[7] . إلاّ أنَّ خطَّ المصحف يدلُّ فقط على أحد القولَيْنِ الأوَّلَيْنِ؛ لأنّها مكتوبةٌ بالياء،وأصلَها (وَتْرَىٰ)، والتاءُ الأولى بدلٌ مِن الواو ؛ لأنّها مِن المواترة[8].

انفراد كِنَانَة من دون سائر العرب بتنوين "تَتْرَىْ"، لتلك القَبِيْلَة المتسمة بالبداوة فيه ميل إلى التثقيل، حَيْثُ رأى بعض الباحثين أن هذا يناسب طبع أهل البادِيَة في النطق لما فيه من خشونة في العيش يجعلهم يميلون إلى استعمال الألفاظ المؤدية لذلك[9]. أما ترك التنوين وهو منع الاسم من الصَّرْف فيظهر فيه الميل إلى التخفيف بما يناسب نطق الحاضرة، ولكن تخفيفًا ليس هدفه السرعة في الأداء وإنما بقصد التوضيح[10] .

يرى الباحث أنَّ عدم تحديد النُّحَاةِ واللُّغَوِيّين للألف في " تَتْرَىْ " هو سبب هذا الاضْطِرَاب،فمنهم مَن يراها للتأنيث، ومنهم مَن يراها زائدة كألف التنوين في الاسم المنصوب نحو: رأيت زيدًا[11]، ومنهم من يعدّها مصدرًا للفعل " وَتَرَ يَتِرُ وَتْرًا " ثم أبْدِلَتْ واوُه تاءً كما أبدلوها في "تراث"[12]، وقيل "تَتْرَىْ" اسم جمْعٍ كأسْرَى وشَتّى[1]. وانعكس هذا على قراءات القراء وأحكامهم،

---

١ إعراب القُرْآن للنحاس ٣/٨٠

٢ ينظر: البحر ٧/٥٤٤

٣ ينظر: التبصرة والتذكرة ٢/٥٤٩، والخصائص ١/٢٧٢-٢٧٤، والمخصص ١٦/٨٨، ولسان العرب ٥/٢٧٦ (وتر).

٤ المؤمنون من الآية/٤٤

٥ **قتادة:** قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى، توفي سنة ١١٧هـ.

٦ **ابن محيصن:** محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي بالولاء أبو حفص، مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعَرَبِيَّة، انفرد بحروف خالف فيها المصحف فترك الناس قراءته ولم يلحقوها بالقراءات الشاذة، توفي سنة ١٢٣هـ.

٧ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٣/٨٠، والبحر المحيط ٧/٥٤٤، واللسان ٥/٢٧٦(وتر).

٨ ينظر: النكت ٢/٨٢١

٩ ينظر: اللَهْجَات في معاني القُرْآن للفراء د. صبحي عبد الحميد عبد الكريم ص: ٣٣ – الطبعة الأولى.١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – دار الطباعة المحمدية – القاهرة.

١٠ ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ٢١٤.

١١ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٣/٨٠.

١٢ ينظر: الحجة في القراءات السبع ابن خالويه ص: ٢٥٧.

فمَن عَدّ الألفَ زائدةً للإلحاقِ كما جعلوها في (أرْطَى ومِعْزَى)، أجاز الوقوف عليه بألف، ولا تجوز الإمالة فيه إذا نُوّنَ وصْلًا ولا وقفًا ؛ لأنَّه لا تجوز إمالة ألف التنوين[٢] . ومَن جَعَل الألف للتأنيث، كـ (سَكْرَى وغَضْبَى) مَنَعَها التنوينَ ؛ لأنَّ ألف التأنيث لا تُنَوَّن[٣] . ففي هذه القراءة تجوز فيها الإمالة، والتفخيم وصْلًا ووَقْفًا[٤]. ويرى بعضُ الباحثين[٥] أنَّ الاضطرابَ ينحصرُ في ما هو على وزن (فَعْلَىْ، وفِعْلَىْ) كما ذَكَرَ سيبويه، أمَّا ما كان على وزن (فُعْلَىْ) مما لحِقَتْهُ الألفُ المقصورةُ فلا يُصْرَفُ على كلِّ حالٍ، ولم يذْكُرْ سيبويهْ مِن كلماتٍ على هذا الوزن؛ لِخُلُوِّ أوزانِ الرباعي المجرد من (فُعْلَىْ) .

[١] ينظر: البحر المحيط ٥٤٤/٧.

[٢] ينظر: النشر في القراءات العشر ٨٠/٢.

[٣] شرح ابن يعيش ٤١٩/٣

[٤] ينظر: الحجة في القراءات السبع ابن خالويه ص: ٢٥٧ .

[٥] ينظر: اللهجات العربية في كتاب سيبويه ص:٢١١

المبحث الثالث: الجُمْلَة الاسْمِيَّة ونواسخها

المَسْأَلَة (١): الإخْبَارُ عن النكرةِ بالمعرفةِ لُغَةٌ

إذا دخلَتْ (كان) على الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المكونة مِن معرفةٍ ونكرةٍ، فإنَّ عامةَ العرب يجعلون المعرفةَ اسمَها، والنكرة خبرها، فترفع المعرفة وتنصب النكرة، نحو: كان زيدٌ قائمًا . وعلى هذا استقرتْ القَاعِدَةُ النَّحْويّةُ .

وفي باب (كان) و(إنّ) افترض النحويون أنَّ اسمهما يجب أنْ يكونَ معرفةً، قال ابنُ السّرَّاْج ((إذا اجتمع في هذا البابِ معرفةٌ ونكرةٌ، فاسم (كان) المعرفة كما كان ذلك في الابتداء))[١]. ولكنَّ بعضَ العرب يجعلون النكرةَ اسمَها، والمعرفة خبرها، فترفع حينئذٍ النكرة وتنصب المعرفة، فيقولون: كان قائمٌ زيدًا، ونلْمَحُ هاهنا اضْطِرَابًا للقَاعِدَةِ وقلبًا للكلام[٢].

إنَّ القَاعِدَةَ المستقِرةَ تقولُ إنَّ المبتدأ يكون معرفةً والخبر نكرة،هذا هو الأساسُ الذي تُبْنَى عليه الجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ، فلا تُبْدأ بنكرةٍ بحالٍ مِن الأحوال، إلا إذا تمَّ تضييقُ دائرة التنكيرِ والعموميّةِ التي تكون في النكرة . وقد حدد النُّحَاةُ المسوغاتِ التي مِن شأنِها أنْ تجعلَ النكرةَ مفيدةً، فيبتدأ بها . فإذا ابتُدِئ الكلامُ بنكرةٍ غيرِ مفيدةٍ ثم أُخبِرَ عنها بنكرةٍ مثلِها، صار في التركيب إخبارٌ عن مَجْهُوْلٍ بمَجْهُوْلٍ آخرَ فامتنعَتْ الفائدةُ، وإذا أُخبِرَ عنها بمعلومٍ وقَعَ اللَّبْسُ كذلك، وانتفى غرضُ الإخبارِ الذي هو إفادةُ المخاطَب ما يجهله؛ لأنَّ الأصلَ أنْ يكون المُخْبَرُ عنه معلومًا للسامع، والمُخْبَرُ به مَجْهُوْلًا لِتتمَّ الفائدةُ بذلك، فإذا انعكس الأمرُ وصار المعلومُ مَجْهُوْلًا والمَجْهُوْلُ معلومًا اضْطَرَبَتِ القَاعِدَة[٣].

وقد ورد مجيءُ اسم (كان) نكرةً، وخبرُها معرفة بخلاف افتراض النَّحْوِيِّيْنَ، كما جاء في أشعار الفصحاء، وهي لُغَةٌ نقلها سِيْبَوَيْهِ ولم يَعْزُها، فقال: ((واعلم أنَّه إذا وقع في هذا البابِ نكرةٌ ومعرفةٌ فالذي تَشْغَلُ به "كان" المعرفةُ ... وذلك قولك: كان زيدٌ حليمًا، وكان حليمًا زيدٌ، لا عليك أقَدَّمْتَ أمْ أخَّرتَ ... فإنْ قلتَ: كان حليمٌ أو رجلٌ فقد بدأْتَ بنكرةٍ، ولا يستقيم أنْ تُخبِرَ المخاطَبَ عن المنكور، وليس هذا بالذي يَنْزِلُ به المخاطَبُ منزلتَك في المعرفة، فكرهوا أن يَقْرَبوا بابَ

---

[١] الأصول ابن السّرَّاْج ٨٣/١.

[٢] ينظر: الأصول ابن السّرَّاْج ٦٧/١

[٣] ينظر: ظاهرة القبح في كتاب سِيْبَوَيْهِ دراسة وصفية تحليلية ص: ١٥٢ رسالة تقدم بها الباحث. أحمد عبدالله عوض سالم، إلى قسم الدراسات العليا بجامعة عدن لنيل درجة الدكتوراه سنة ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

لبْسِ. وقد يجوز في الشعْرِ وفي ضَعْفٍ مِن الكلام. حَمَلَهم على ذلك أنَّه فِعْلٌ بمنزلة ضَرَبَ، وأنّه قد يُعلَمُ إذا ذكَرْتَ زيدًا وجعلْتَه خبرًا أنَّه صاحبُ الصَّفة على ضَعْفٍ مِن الكلام، وذلك قول خِداش بن زُهير[1]:[من الوافر]

فإنّكَ لا تُبَالِيْ بَعْدَ حَوْلٍ ... أَظَبْيٌ كانَ أُمُّكَ أمْ حِمَارُ

وقال حسان بن ثابت[2]:[من الوافر]

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُوْنُ مِزَاجَها عَسَلٌ ومَاءُ

وقال أبو قيس بن الأَسلت الأنصاريّ[3]:[من الوافر]

أَلاّ مَنْ مُبْلِغٌ حَسَّانَ عنّي ... أَسِحْرٌ كانَ طِبَّكَ أَمْ جُنُونُ

وقال الفَرَزْدَق[4]:[من الطويل]

أَسَكْرَانُ كَانَ ابنَ المَرَاغِةِ إذ هَجَا ... تَمِيْمًا بجَوْفِ الشَّامِ أَمْ مُتَساكِرُ

فهذا إنشاء بعضهم. وأكثرُهم يَنْصُبُ السكرانَ ويَرْفَعُ الآخِرَ على قطْعٍ وابتداء.))[5]

فقد حَكَمَ سِيْبَوَيْهِ على هذه التراكيبِ بأنَّها لا تجوز إلا في ضَرُورَةِ الشِّعْرِ، وفي ضَعْفٍ من الكلام، استنادًا إلى فرضية القَاعِدَةِ التي تنُصُّ على عدم إجازةِ مجيءِ اسم (كان) نكرةً، وخبرها معرفة. وزيادة عما استشهد به سِيْبَوَيْهِ، أنشد أبو حيان[6] قول الشاعر[7]:[من المتدارك]

وَقَدْ كَانَ لِيْ فِي النَّدَى مُقْتَدٍ ... عِصَامًا كَمَا كَانَ لِي عَاْصِمُ

وقول الآخر[8]:

فَلَوْ كَانَ وَالِيَّهَا جَاهِلٌ ... لَمَاْ كَانَ قَاضِيًا عَالِمُ

---

[1] لخداش بن زهير في تخليص الشَوَاهِد ص: ٢٧٢، وشرح شَوَاهِد المغني ٩١٨/٢، والكتاب ٤٨/١، والمقتضب ٩٤/٤، ولثروان بن فزارة في حماسة البحتري ص: ٢١٠، وخزانة الأدب ١٩٢/٧، ١٩٤، وشرح أبيات سِيْبَوَيْهِ ٢٢٧/١، ولثروان أو لخداش في خزانة الأدب ٢٨٣/٩، ٢٨٩، ٢٩١ – ٢٩٤.

[2] ديوان حسان بن ثابت ص: ٣

[3] ينظر: ديوانه ص: ٩١، وجمهرة اللُغَة ٧٣/١، وخزانة الأدب ٢٩٥/٩.

[4] للفَرَزْدَق في ديوانه ص: ٤٨١، وخزانة الأدب ٢٨٨/٩، والكتاب ٩٠/١، ولسان العرب (سكر)، والمقتضب ٩٣/٤، وبلا نسبة في الخصائص ٣٧٥/٢، ومغني اللبيب ٤٩٠/٢، وشرح شَوَاهِد المغني ٨٧٤/٢.

[5] الكتاب ٤٧/١ – ٤٩

[6] ينظر: التذييل والتكميل ١٨٦/٤

[7] لم أقف على قائله.

[8] لم أقف على قائله.

وقول الآخر[1]:[من الوافر]

بِمَكَّةَ حِنْطَةٌ بُلَّتْ بِمَاءٍ ... يَكُونُ إِدَامَهَا لَبَنٌ حَلِيْبُ

و قول القطامي[2]:[من الوافر]

قِفِيْ قَبْلَ التَّفَرُّقِ يا ضُبَاعَاْ ... وَلَاْ يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ الوَدَاعَاْ

هذا في باب "كان"، أمَّا في باب "إنّ" فمِثْلُ قول القائل: إنَّ قريبًا منكَ زيدٌ، وهو مِن أمثلة كتاب سِيْبَوَيْهِ[3]، ومِن ذلك قول الفَرَزْدَق[4]:[من الطويل]

وَإِنَّ حَرَامًا أَنْ أَسُبَّ مُجَاشِعًا ... بِآبَائِيَ الشُّمِّ الْكِرَامِ الْخَضَارِمِ

وأنشد سِيْبَوَيْهِ[5]:[من الطويل]

فمَا كُنْتُ ضَفّاطًا[6] ولَكِنّ طالبًا ... أنَاخَ قلِيْلًا فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيْلِ

أراد: ولكنَّ طالبًا منيخًا أنا، وحَسُنَ هذا في الباب لشَبَهِ المنصوبِ بالمفعول، وشَبَهِ المَرْفُوعِ بالفاعل[7] . ونُقِلَ عن الخَلِيْلِ تقبيْحُهُ جَعْلِ اسم "إنّ" نكرةً غير مفيدةٍ، نحو قولك: إنّ مِن خيارِهم رجلًا، حتى تعرِّفه بشيء[8].

وقد عزا النحَّاسُ هذه اللُغَة لِبَنِيْ دَارِمٍ، وبَنِيْ نَهْشَلٍ في قوله: ((وبعض العرب وهم بنو دَارِمٍ وبنو نَهْشَلٍ يقولون قائمٌ كان عبدَالله، وكان قائمٌ عبدَالله، فيجعلون النكرة اسمًا والمعرفة خبرًا لكان

---

[1] بلا نسبة في "المعاني الكبير" لابن قتيبة ٤٢٦/١، والفائق للزمخشري ٨٥/٣، ونسب لزوج أعرابية في " أساس البلاغة" ٣٢٠/٢ (مادة/وجأ) وفي الثلاثة ورد (وقعب وجيئة) بدلا عن (بمكة حنطة).

[2] للقطامي واسمه عمير بن شييم في ديوانه ٣١، وفي المقاصد النَّحْويّة ١٧٦٩/٤، وخزانة الأدب ٣٦٧/٢، والكتاب ٢٤٣/٢، والمقتضب ٩٤/٤، والدرر ٥٧/٣، وشرح شَوَاهِد المغني ٨٤٩/٢، ولسان العرب (ضبع) و (ودع)، واللمع ص: ٣٧، والمقاصد النَّحْويّة ٢٩٥/٤،

[3] الكتاب ١٤٢/٢.

[4] ينظر: ديوان الفَرَزْدَق ٣٠٠/٢، والمقتضب ٧٤/٤، وخزانة الأدب ٢٨٥/٩، والدرر ٧٤/٢، وشرح أبيات سِيْبَوَيْهِ ١٩/١.

[5] ينظر: الكتاب ١٣٦/٢، ونسب للأخضر بن هبيرة في تاج العروس ٤٥٤/١٩(ضفط).

[6] الضَّفَّاطُ: الجمَّالُ، وقيل: المُكارِي الَّذي يُكْرِي الأَحمالَ من قريةٍ إِلى أُخْرَى، وَقيل: الَّذي يُكْرِي من منزلٍ إِلى منزلٍ، وقيل هو الَّذي قد ضَفَطَ بسَلْحِه، أَي: رَمَى بِهِ. وقالَ غيرُه: هُوَ المُحْدِثُ، يُقَالُ: ضَفَطَ، إِذا قَضَى حاجَتَه.وقيل: الثَّقيلُ البَطينُ من الرِّجالِ لَا يَنْبَعِثُ مَعَ القَوْمِ لضِعْفِ رأْيِه.. وثيل غير ذلك. ينظر: تاج العروس ٤٥٤/١٩(ضفط).

[7] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ١٧/٢

[8] الكتاب ١٥٣/٢.

؛ وإنَّما يفعلون ذلك لأنَّ النكرة أشدُّ تمكُّنًا مِن المعرفة))[1]. وهذا معناه أنَّ مجيءَ اسم (كان) معرفة، وخبرها نكرة، هو لُغَةٌ وَرَدَتْ عن العرب .

وفضلًا عن الشَوَاهِدِ الشّعْرِيّةِ التي ذكرها سِيْبَوَيْهِ وغيره، فقد وَرَدَتْ أدلّةٌ سماعِيَّةٌ مِن القراءات القُرْآنية نُكِّرَ فيها اسمُ الناسخِ وعُرِّفَ الخبَرُ، منها:

١. قُرِئ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[2]، بنصب (صلاتَهم) ورفع (مكاءٌ وتصديةٌ) . وهي قراءةُ الأَعْمَشِ عن عاصم[3]، ورُوِيَتْ لأبانَ بنِ تَغْلِب[4] في المحتسِبِ[5]، على جَعْلِ (صلاتهم) خبرًا لكان مقدَّمًا، و(مكاء) اسمها مؤخَّرًا[6] .
٢. وفي قوله عزّ وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِيْ إِسْرَائِيلَ﴾[7]، قرأها ابنُ عامرٍ (تَكُنْ) بالتاء، و(آيةٌ) بالرفع[8]، على جَعْلِ (آيةٌ) اسمَ (تَكُنْ)، و(أنْ يَعْلَمَهُ) خبرَها. ولها في كُتُبِ التفسيرِ والقراءاتِ والنحوِ تخريجاتٌ أخرى يمكن الرجوع لها، لا تخدم الباحث في المَسْأَلَة[9] .

---

١ شرح أبيات سِيْبَوَيْهِ للنحاس ص: ٣٨

٢ الأنفال/٣٥

٣ **عاصم:** هو عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسَدي، شيخ القراء بالكوفة وأحد القراء السبعة، كان أحسن الناس صوتًا بالقُرْآن، توفي سنة ١٢٧ هـ [غاية النِهَايَة ٣٤٦/١].

٤ **أبان بن تَغْلِب:** هو أبان بن تَغْلِب الربعي، أبو سعيد، ويقال: أبو أميمة الكوفي النحوي. قرأ على عاصم وأبي عمرو الشيباني وطلحة بن مصرف والأَعْمَش. أخذ القراءة عنه عرضًا محمد بن صالح بن زيد الكوفي. توفي سنة ١٤١، وقيل: سنة ١٥٣. [طبقات ابن الجزري: ٤/١].

٥ ينظر: المحتسب ٢٧٨/١، وإعراب القُرْآن للنحاس ٩٧/٢، و السبعة في القراءات ص: ٣٠٥- ٣٠٦، والحجة في القراءات السبع ص: ١٧١، ومختصر شواذ القراءات ص: ٥٤،

٦ ينظر: إعراب القُرْآن ١٨٦/٢، وتفسير الثعلبي ٣٥٤/٤، ومشكل إعراب القُرْآن ٣١٥/١، والبيان في غريب إعراب القُرْآن ٣٨٧/١، وإعراب القراءات الشواذ ٥٩٣/١- ٥٩٤، وتفسير السمرقندي (بحر العلوم) ٢٠/٢.

٧ الشعراء/١٩٧ .

٨ ينظر: السبعة في القراءات ص: ٤٧٣.

٩ ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٢٨٣/٢، ومعاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٧٨/٤، وحجة القراءات ٥٢١، والحجة في القراءات السبع ص: ٢٦٨، وتفسير ابن زمنين (تفسير القُرْآن العزيز) ٢٨٧/٣- ٢٨٨، وتفسير السمعاني ٦٦/٤، وتفسير البغوي ١٢٩/٦، والكشاف ٣٣٥/٣، والاستدراك على أبي علي في الحجة ٣١٥- ٣١٦، وزاد المسير ١٤٥/٦، وتفسير الفخر الرازي ١٧٠/٢٤، والتبيان في إعراب القُرْآن ١٠٠١/٢، وشرح ابن يعيش ١١٧/٣، وإبراز المعاني من حرز الأماني ٦٢٣/٢، والجامع لأحكام القُرْآن ١٤٩/١٣، والبحر المحيط ٣٩/٧، والدر المصون ٥٥٣/٨، وتفسير أبي السعود ٢٦٤/٦، وفتح القدير ١٤٥/٤- ١٤٦، وروح المعاني ١٩٠/١٩.

٣. وقوله سبحانه: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا﴾[١]، قرأها ابنُ مَسْعُوْدٍ (عَجَبٌ) بالرفع[٢]، على أنَّه اسمُ "كان"، والخبر المصدر المؤول "أن أوحينا" ....

٤. قال تَعَالَىْ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾[٣] قرأها أبو عمرو بنُ العلاء (وَلِيَّ) بياء واحدة مشددة[٤]، قال أبو حيان: ويمكنُ تخريجُ هذه القراءة على وجهٍ آخر، وهو أنَّ "وليَّ" لا يكون مضافًا إلى ياء المُتَكَلّم، بل هو اسمُ "إنَّ" نكرةً، والخبرُ لفْظُ الجلالة، وجَعْلُ اسم "إنَّ" نكرةً، والخبرُ معرفةً وَرَدَ في فصيح الكلام[٥]، كَقَوْلِ الفَرَزْدَق:[من الطويل]

وَإِنَّ حَرَامًا أَنْ أَسُبَّ مُجَاشِعًا ... بِآبَائِيَ الشُّمِّ الْكِرَامِ الْخَضَارِمِ

٥. ومِن الحديث النبوي ما ذَكَرَه ابنُ مالك[٦] مستشهدًا بقول عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في بابِ المُحَصّبِ[٧]: ((إِنَّمَا كَانَ مَنْزِلٌ يَنْزِلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَكُونَ أَسْمَحَ لِخُرُوجِهِ))[٨].

إنَّ جَعْلَ المعرفةِ اسمًا لِـ"كان"، والنكرةَ خبرَها هو الأصْلُ، كما جاء في لُغَةِ عامة العرب؛ لأنَّ "كان" تدخل على الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المكونةِ مِن المبتدإ والخبر، وحَقُّ المبتدإ في الأصْلِ أنْ يكون معرفة، وحق الخبر أنْ يكون نكرة[٩]، والعلّةُ في ذلك أنَّ المُخْبَرَ عنه يجب أنْ يكونَ معلومًا للسامع، والمُخْبَرُ به يكون مَجْهُوْلًا؛ لأنَّ الغرضَ مِن الإخبار إفادةُ المخاطَبِ ما ليس عنده ويجهله، والإخبارُ عن النكرة لا فائدةَ فيه[١٠]، لذا رمى سِيْبَوَيْهِ لُغَةَ بَنِيْ دَارِمٍ وبَنِيْ نَهْشَلَ بالضعف؛ لكونهم جعلوا المُخْبَرَ عنه نكرةً، والمُخْبَرَ به معرفةً خلافًا للأصل الذي عليه اسم (كان) وخبرها، قال السيرافيُّ في شرْحِهِ كلامَ سِيْبَوَيْهِ: ((فإذا قلتَ: كان قائمٌ زيدًا، فزيدٌ هو القائم الذي قد نَكّرْتَهُ،

---

[١] يونس من الآية/٢.

[٢] ينظر: إعراب القُرْآن ٢٤٠/٢، والكشاف ٣٢٦/٢، والمحرر الوجيز ١٠٢/٣، والدر المصون ١٤٥/٦، وإعراب القراءات الشواذ ٦٣٧/١.

[٣] الأعراف/١٩٦.

[٤] ينظر: البحر المحيط ٢٥٣/٥، السبعة في القراءات ص: ٣٠٠، والحجة في القراءات السبع ص: ١٦٨ .

[٥] ينظر: البحر المحيط ٢٥٣/٥، والدر المصون: ٥٤٣/٥.

[٦] ينظر: ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي ص:٣٤ الطبعة الثالثة:١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، عالم الكتب.

[٧] موضع ينزل فيه الرسول ليكون الخروج أسهل عند السفر إلى المدينة

[٨] صحيح البخاري ١٨١/٢(ح:١٧٦٥) باب المُحَصّبِ.

[٩] ينظر: الأصول ٦٥/١، وشرح ابن يعيش ٨٥/١، والارتشاف ١١٧٨/٣.

[١٠] ينظر: الكتاب ٤٧/١ – ٤٩، شرح ابن يعيش ٣٤٠/٤

فتَعَرَّفَ المنكورُ بتعريفِكَ زيدًا؛ إذ كانا لشيءٍ واحدٍ، فكأنك تُعَرّفُ المُخْبَرَ عنه بمعرفة خبره . وكان ضَعْفُهُ أنَّكَ لم تُعَرّفْ بنفسه، وحُكْمُ الاسم أنْ يعرّف بنفسه، ثم يستفاد خبره))[1] .

وقد كان للنحاةِ في تلك الشَوَاهِدِ والقراءاتِ آراءٌ وتوجيهاتٌ ستؤدي إلى تَرَهُّلِ المَسْأَلَةِ وقد لا تَخْدُمُ الباحثَ، وهم معذورون في توجيهاتهم، فما يَهُمّهُم هو استقرارُ القَاعِدَةِ وثبوتُها . وما يَهُمُّ الباحثُ هو كثرةُ الشَوَاهِدِ وثبوتُ اللُغَةِ. فمِنْ توجيهاتهم[2]: إنَّ الاسمَ المَرْفُوعَ بعد همزة الاستفهام هو اسمٌ لـ (كان) مضمرةٍ مفسَّرَةٍ بـ (كان) المذكورةِ، واسمُ (كان) المذكورةُ ضَمِيْرٌ راجعٌ إليه، والاسمُ المعرفةُ المنصوبُ بعد (كان) خبرٌ لها[3]. كما وُجِّهَتْ توجيهًا آخرَ على أنَّ الاسمَ بعد همزةِ الاستفهام مَرْفُوعٌ على الابتداء، واسمُ (كان) ضَمِيْرٌ يعود إليه، وخبرُها المعرفةُ المنصوبةُ بعدها. وخبرُ المبتدإ جُمْلَةُ (كان واسمها وخبرها)، والجُمَلُ نكرات[4]. وفي توجيهٍ ثالثٍ أنَّ (كان) شأنيَّةٌ و (والمسند إليه والمسند) مبتدأ وخبرٌ، والجُمْلَةُ خبرُ (كان) الشأنيَّةِ . وذهب ابنُ هِشَامٍ في توجيهٍ رابعٍ إلى افتراضِ زيادة (كان) بين المبتدإ والخبر، ووَجَّهَهَا بعضُهم على أنَّه مِن باب عكس القَاعِدَةِ للضَرُورَةِ[5] .

وإذا ما أردنا أنْ نفسِّرَ لُغَةَ بَنِيْ دارم وبَنِيْ نهشل – وإنْ رماها سِيْبَوَيْهِ بالضعف – فيمكنُ تلخيصُه في الأوجُهِ الآتيةِ:

الأول: التشابُهُ الشَّكليُّ في عناصر تركيب الجُمْلَةِ، فالأفعالُ الحقيقية يجوز أن يكون الفاعل معها نكرة، والمفعول معرفة، نحو: ضَرَبَ رَجُلٌ بَكْرًا، والأفعالُ الناقصَة تُشْبِهُ الأفعالَ الحقيقيةَ لفظًا؛ لطَلَبِها اسمين بعدها، فشُبِّهَ اسمُ (كان) المنكَّرُ بالفاعل وشُبِّهَ الخبرُ المعرَّفُ بالمفعول، قال سِيْبَوَيْهِ: حَمَلَهم على ذلك أنَّه فِعْلٌ بمنزلة "ضَرَبَ"، وقد يجوز أنْ يكون فاعلُ ضَرَبَ منكورًا، ومفعوله معروفًا[6] . ثم حَمَلَهم ذلك التشبيهُ اللفظيُّ أنْ يُشَبِّهُوا المَرْفُوعَ بالفاعلِ، والمنصوبَ

---

[1] شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣٠٥/١

[2] ينظر آراء بعض النُحَاة وتوجيهاتهم شَوَاهِد سِيْبَوَيْهِ في: المقتضب ٩١/٤– ٩٤، والأصول ٦٧/١، وإعراب القُرْآن للنحاس ١٨٦/٢– ١٨٧، وشرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣٧٧/٢– ٣٧٩، والخصائص ٣٧٥/٢، والمحتسب ٢٧٩/١، والنكت في تفسير كتاب سِيْبَوَيْهِ أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشَنْتَمَرِي تحقيق: رشيد بلحبيب ٢٧١/١– ٢٠٥/١،٢٧٣ طبعة:١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– المملكة المغربية، وتحصيل عين الذهب ص:٧٢– ٧٤، وشرح أبيات الجمل للبطليوسي ص:٣٠– ٣٣، والمفصل ص:٣٥٠– ٣٥١، ومفتاح العلوم: ٤٠٩– ٤١٠، وشرح ابن يعيش ٩٣/٧– ٩٥، وشرح التسهيل لابن مالك ٣٥٦/١، ومغني اللبيب ٢٥٨/٦– ٢٦٠، ٧٠٩– ٧١٠، وخزانة الأدب ٢٨١/٩– ٢٩٥، والنواسخ في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص:١٧١– ١٧٢، وتعدد التوجيه النحوي ص:٦١– ٦٢.

٣ ينظر: النكت ١٨٥/١، ومغني اللبيب ص:٥٩١.

٤ ينظر: مغني اللبيب ص:٥٩١.

٥ ينظر: المقتضب ٩١/٤، والأصول ٦٧/١.

٦ ينظر: الكتاب ٤٨/١، وشرح السيرافي ٣٠٥/١، وشرح ابن يعيش ٣٤١/٤.

بالمفعولِ، فجاز أنْ يُغْنِيْ هنا تعريفُ المنصوبِ عن تعريفِ المَرْفُوعِ، كما جاز ذلك في باب الفاعل[١]، وقد حَصَلَ هذا الشَّبَهُ في باب (إنّ) على أنْ جُعِلَ الاسمُ نكرةً والخبرُ معرفةً[٢]؛ لأنّ (إنّ) وأخواتَها مشبهةٌ بالفعل .

الثاني: وجودُ قرينةٍ عقليةٍ جَعَلَتْ المخاطَبَ يَعْلَمُ أنَّ النكرةَ هي المُخْبَرُ بها، وإنْ وقَعَتْ اسمًا للناسخ؛ لأنَّ اسمَ (كان) وخبرَها يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ، فإذا قلتَ: كان زيدٌ حليمًا، فـ(زيد) هو (حليم) والعكس كذلك، فهُمَا عائدان إلى شيءٍ واحدٍ . حَيْثُ يَعْلَمُ المخاطَبُ أنَّ النكرة هي المُخْبَرُ بها عن المعرفةِ، وإنْ رَفَعوا النكرةَ ونَصَبوا المعرفة . فعِلْمُ المخاطَبِ بأنَّ المعرفة هو المُخْبَرُ عنه ولو جعلوه منصوبًا، على ضَعْفٍ في الكلام[٣]هي قرينةٌ عقليةٌ . قال ابنُ الورَّاق[٤]: وَإِنَّمَا جَوَّزوا فِي الشّعْر أَنْ يكون الِاسْم نكرَة؛ لِأَنَّ الِاسْم وَالْخَبَر يرجعان إلى شخصٍ وَاحِد، وَلَا تُشْبِهُ هَذِه الْأَفْعَالُ الْأَفْعَالَ المؤثّرةَ[٥]، فإذا قلتَ: كان حليمٌ زيدًا، وإنّ حليمًا زيدٌ، عُلِمَ – إذا ذَكَرْتَ زيدًا وجعَلْتَه خبرًا – أنَّه صاحبُ الصفة[٦].

الثالث: افتراق اسم (كان) وخبرها عن الفاعل والمفعول في أنَّ الأوَّلَيْنِ (الاسم والخبر) يَدُلانِ على شيءٍ واحدٍ، أما الآخرانِ (الفاعل والمفعول) فكلٌّ واحدٍ منهما يدلُّ على غير ما يدلُّ عليه صاحبُهُ . قال الرضي: ((وإنَّما جرّأهم على تنكيرِ الاسم وتعريف الخبر عَدَمُ اللَّبْسِ في بابَيْ "كان" و "إنَّ" لاختلاف إعراب الجزأين))[٧]، وهي قرينةٌ لفظيةٌ أخرى على تنكير الاسم وتعريف الخبر[٨] .

---

[١] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٣٥٦/١.

[٢] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٣٥٦/١– ٣٧٥.

[٣] ينظر: الكتاب ٤٨/١.

[٤] **ابن الوراق:** محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق، ت/٣٨١هـ: نحوي. له (علل النحو) و (الهداية) في شرح مختصر الجرمي [الأعلام للزركلي].

[٥] ينظر: علل النحو محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق تحقيق. محمود جاسم محمد الدرويش ص: ٢٥٢ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م – مكتبة الرشد – الرياض/السعودية.

[٦] ينظر: الكتاب: ٤٨/١، وشرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي: ٣٧٥/٢– ٣٧٦، وشرح ابن يعيش: ٩١/٧، ٩٥، والتذييل والتكميل: ٦١/٥، واللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ: ٢٧٣، وظاهرة القبح ص: ١٥٢.

[٧] شرح الرضي لكافية ابن الحاجب دراسة وتحقيق الدكتور. حسن بن محمد الحفظي و الدكتور يحيى بشير مصري ١٠٥٨/٢ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م – منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود – سلسلة نشر الرسائل الجامعية ١٥.

[٨] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ٢٧٣– ٢٧٤، وظاهرة القبح في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ١٥٢

الرابع: قوَّةُ تَمَكُّنِ النكرة في باب الاسْمِيَّةِ، فهي أشدُّ تمكُّنًا مِن المعرفة[1] ؛ لأنَّ أصلَ الأشياءِ نكرةٌ، والتعريفُ طارئٌ عليها[2]، لذا يصْحَبُها تنوينٌ يسمَّى تنوينُ التمكين؛ ليدلَّ على أنَّ النكرة لم تُشْبِهْ الحرفَ فتُبْنَى، ولا الفعلَ فتُمْنَعَ مِن الصَّرْف[3]، فلمَّا كانت النكرةُ أمْكَنَ مِن المعرفةِ في باب الاسْمِيَّةِ أعطوا ما كان أمْكَنَ أقوى الحركاتِ، وهو الرفع[4] . وعلى هذا التوجيْهِ سَوَّغ النحَّاسُ تنكيرَ بَنِيْ دَارِمٍ وبَنِيْ نَهْشَلَ اسمَ كان وتعريفَهم الخبرَ، فقال: إنَّما يفعلون ذلك لأنَّ النكرة أشدُّ تمكنًا مِن المعرفة[5]؛ لذا ربَّما جعلوا النكرة اسمًا والمعرفةَ خبرًا فيقولون: كان رجلٌ عَمْرًا ؛ لأنَّ النكرة أشدُّ تمكُّنًا مِن المعرفة .

الخامس: على القلب، حَيْثُ حصَلَ قلْبٌ في الكلام وهذا مِن سنن العرب[6] ثقةً في السامع بفهم المراد . وهو أنْ يَجْعلَ أحدَ أجزاء الكلام مكان الآخر، ويلجأ إليه لسببين، أحدهما: لفظيٌ، حَيْثُ تتوقفُ صحَّة اللَّفظِ عليه ويكونُ المعنى تابعًا للَّفظِ، كوقوعِ المبتدإ نكرةً، والخبرُ معرفة، وذلك نحو: أكان قائمٌ زيدًا، إنْ قَدَّرْتَ أنَّ المعنى أكان زيدٌ قائمًا كان مقلوبًا، وإنْ قَدَّرْتَ أنَّ المعنى أكان قائمًا مِن القائمين يسمى زيدًا كان غيرَ مقلوبٍ. ونحو قول الشاعر:[من الوافر]

قِفِيْ قَبْلَ التَّفرُّقِ يا ضُبَاعَاْ ... وَلَاْ يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ الوَدَاعَاْ

فـ(موقف) اسمُ "كان" وهو نكرة، و(الوداعا) خبرُها . والآخر: معنويٌ، يكون المعنى هو الداعي إليه، بأنْ تكونَ صحَّةُ المعنى متوقعةً على القلب، ويكون اللفظُ تابعًا للمعنى، كَقَوْلِك: أدْخَلْتُ أُصْبُعِي في الخاتَم، أدْخَلْتُ رأسِي في القَلَنْسُوَةِ[7] . والقلبُ للضَرُورَةِ جائزٌ باتفاقٍ، وإنَّما الخلافُ في جوازه في الكلام[8]، أجائزٌ هو أمْ غيرُ جائزٍ، ولهم فيه ثلاثةُ أقوالٍ، الأولُ: أنَّه جائزٌ مقبولٌ مطلقًا، وممَّنْ ذهبَ هذا المذهَبَ السكاكيُّ، والثاني: أنَّه غيرُ جائزٍ ولا مقبولٍ مطلقًا، وما

---

[1] ينظر: الكتاب: ٢٢/١.

[2] المحلى: ٩٥- ٩٦.

[3] ينظر: شرح الأشْمُونِي ٣٧/١.

[4] ينظر: أسرار العَرَبِيَّة ص: ٧٨، واللباب ١٥٢/١.

[5] شرح أبيات سِيْبَوَيْهِ للنحاس ص: ٣٨.

[6] ينظر: الأصول في النحو: ٦٧/١، وشرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للرماني ٢١٩/١، والمفصل ص:٣٥٠- ٣٥١، ومفتاح العلوم ص:٤٠٩- ٤١٠، وارتشاف الضرب ١١٧٨/٣.

[7] ينظر: دستور العلماء ٦٥/٣- ٦٦، وموسوعة كشاف اصْطِلاحات الفنون والعلوم محمد بن علي بن محمد التهانوي الحنفي تحقيق د. محمد دحروج، ١٣٣٦/٢- ١٣٣٧، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت .

[8] ينظر: شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» محمد بن يوسف بن أحمد، المعروف بناظر الجيش (ت: ٧٧٨ هـ) دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون ١١٣٧/٣ الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جُمْهُورية مصر العَرَبِيَّة.

وَقَعَ مِن ذلك في شِعْرِ الشعراءِ فهو مِن أخطائهم يُؤَوَّلُ تأويلًا آخر، والثالث: أنَّه إذا كان قد تضَمَّنَ اعتبارًا لطيفًا فهو جائزٌ مقبولٌ، وإنْ لم يتضَمَّنْ اعتبارًا لطيفًا فهو مردودٌ على صاحبه[1] .

نلْمَحُ في هذه المَسْأَلَةِ اضْطِرَابًا في القَاعِدَةِ النَّحْوِيّةِ، وقلْبًا لِمَا وُضِعَ عليه كلامُ العرب، وضَعَّفَ سِيْبَوَيْهِ استعمالَ ذلك في الكلام، وجَعَلَهُ مِن ضروراتِ الشِّعْرِ، ولكنَّه لمْ يخطِّئْ اللُّغَة؛ لأنَّه واردٌ عن العرب وجَعَلَهُ أبو حيانٍ من فصيح الكلام[2] .

إنَّ تَقْعِيْدَ اللُّغَةِ ذات اللَهْجَاتِ المتعددةِ مِن الصعوبةِ بمكان، فلا يمْكِنُ للقَاعِدَةِ النَّحْوِيّةِ أنْ تُحِيْطَ بظاهرتين متضادَّتين ؛ لذا لجأ النحويون إلى تخريج إحدى الظاهرتين، لتطَّرِدَ القَاعِدَةُ وتستَقِرَّ.

والناظرُ إلى محتوى القَاعِدَةِ النَّحْوِيّةِ (لا يَجُوْزُ الابتِدَاءُ بالنكرة) وفي اشتراطِ الفائدة وتقْيِيْدِها بمُسَوِّغاتٍ يدركُ مَا تتَّسِمُ به القواعِدُ من التركيزِ، والوضوحِ، والتقييدِ، فإذا تم النظرُ إلى قَاعِدَةِ تجويزِ الابتداءِ بالاسم بمجرَّدِ حصولِ الفائدة فقط، دوْنَ تقييدِ الفائدةِ بمواضع محدودة، فهذا – بلا شك – يأتي بمردُوْدٍ عكسيٍّ على القَاعِدَةِ، ناتجٍ عن الاضْطِرَابِ والقلق في صِيْغَةِ الاسم المبتدإ به، إلّا أنَّ النَّحْوِيِّيْنَ نظروا إلى الظاهرة العامَّة، ومِن خلال نظرِهِم استنبطوا أنَّ الفائدة تحْصُلُ في حالةِ تعريفِ الاسم المبتدإ، أو تعمِيْمِه، أو تخصيْصِهِ، فقيَّدُوا هذه المواضعَ، وتمَّ لهم بهذا التقييدِ تَرْصِيْنُ القَاعِدَةِ، واتِّضَاحِها. وقد أوصل النُّحَاةُ بعد سِيْبَوَيْهِ مواضعَ النكرةِ المفيدةِ حين تقعُ مبتدأ إلى نحوٍ مِن أربعين موضعًا، مَا جعلَ بعضُ النُّحَاةِ يضع ضابطًا كليًا لها وهو (الفائدة). يقول الصبَّانُ: ((لَمْ يعتنوا بتعْدِيْدِ الأماكِنِ التي يَسُوغُ فيها الابتداءُ بالنكرة، وإنَّما ذكروا ضابطًا كليًا وهو أنَّه متى حَصَلَتْ الفائدةُ جَازَ الإخبارُ عن النكرة))[3]، ويُعَلِّقُ الأستاذُ عباس حسن[4] على هذا العَدَدِ الكبيرِ مِن المواضع بقوله: ((ولا حاجة بنا إلى احتمال العَنَاء في سَرْدِها، واستقْصَاء مواضِعِها، ما دام الأساسُ الذي تقوم عليه هو «الإفادة»، فعلى هذا الأساسِ وحْدَهُ يرجع الحُكْمُ على صحةِ الابتداءِ بالنكرة أو عدم صحته، مِن غيرِ داعٍ لحَصْرِ المواضع أو عَدِّها))[5]؛ ولهذا يرى بعض النُّحَاةِ ـ بحق ـ أَنَّهُ لا داعيَ لهذا الشرط (شرط الإفادة) ؛ لأنَّهُ مفهومٌ بداهةً؛ إذ لا يَتَكَلَّمُ عاقلٌ بغير ما يُفِيدُ، وإلا عَرَّضَ نفسَهُ وكلامَهُ للحُكْمِ عليه بما لا يرضاه. أَمَّا المتأخرون فتوقَّعُوا أَنْ

---

[1] ينظر: الإنصاف ٣٠٨/١ (هامش المحقق).

[2] ينظر: البحر المحيط ٢٥٣/٥، والدر المصون ٥٤٣/٥.

[3] حاشية الصبان على شرح الأشْمُونِي ٢٩٩/١

[4] **عباس حسن:** عضو مجمعي تعلم بالأزهر، ثم التحق بدار العلوم وأصبح مدرسًا فيها، من مؤلفاته (النحو الوافي) و(اللغة والنحو بين القديم والحديث)، توفي سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

[5] النحو الوافي ٤٨٥/١– ٤٨٦

يُخْطِئَ كثيرٌ مواضعَ الإفادة؛ فحاولوا أَنْ يدلُّوهم عليها؛ بحَصْرِ مواضعها. وقد استبدل بعض الباحثين[1] هذا الشرط بـ (سياق الحال)، ويراه الركيزة التي تسيطر على الجُمْلَة الاسْمِيَّة مِن أساسها .

والحقيقة أنَّ تجويزَ ورود مثْلِ هذه الظاهرة المعاكِسَةِ في اللُغَة أفْضَلُ مِن اللُّجُوء إلى تخريجاتِ النُّحَاةِ الافتراضِيَّةِ ؛ لأنَّه لا يُؤَثِّرُ في القَاعِدَةِ من حَيْثُ إنَّ الدلالة المتحصِّلةَ مِن التركيبِ واحدةٌ، وإجازتُهُ في مِثْلِ هذه الحالة لا تؤدِّيْ إلى اهتزازِ القَاعِدَةِ بشكلٍ عنيفٍ؛ لأنَّ المَسْأَلَةَ غيرُ مرتبطةٍ بتغير نوع الحركاتِ الإعْرَابيةِ، بل بالدلالةِ المتحصِّلةِ مِن الجُمْلَةِ على وَفق الصورةِ المعكوسةِ التي ورد بها التركيبُ، لذا فاللُّجُوءُ إلى الإجازةِ أفْضَلُ طريقٍ لمعالجة مثل هذه التراكيب[2].

[1] ينظر: قرينة السياق ودورها في التَقْعِيْد النحوي والتوجيه الإعْرَاب ص:١٩٢

[2] ينظر: الفرضيات وآثارها في أحكام النحو العربي ص: ١٤٠ رسالة تقدم بها الطالب: نجاح حشيش بادع العتابي، إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد – للحصول على درجة الماجستير في اللُغَة العَرَبِيَّة سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

المبحث الثالث: الجُمْلَة الاسْمِيَّة ونواسخها

مسألة (٢): إهمال الأفعال الناقصة لُغَة لا تحتمل التأويل

الأفعالُ الناقصةُ (كان وأخواتها) تَدْخُلُ على الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ، فترفعُ المبتدأ وتَنْصُبُ الخبرَ، تقول: كان زيدٌ قائمًا، هذا هو السائدُ في كلام العربِ عامةً، إلا أنَّ بَنِيْ عَبْسٍ، وبَنِيْ أسَدٍ، وبَنِيْ قيس لا يُعْمِلون تلك الأفعالَ في الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ بعدها، فيرفعون المبتدأ والخبر، يقولون: كان زيدٌ قائمٌ .

تَرِدُ (كان) في اللُغَةِ على ثلاثةِ أقسام: تامَّةٍ، وناقصةٍ، وزائدةٍ .

فالتامَّةُ: التي تكتفي بمَرْفُوعِها في إتْمَام المعنى الأساسِيِّ للجُمْلَةِ، ويكونُ فاعلًا لها، وقد جَعَلَها سِيْبَوَيْهِ[١] تامّةً في مواضعَ مِن كتابه تقول: قد كان عبدُ الله، أي قَد خُلِقَ عبدُ الله. وقد كان الأمرُ، أي وَقَعَ الأمرُ. واستَشْهَدَ على هذا الشأن بِقَوْلِ مقَّاس العائِذِيُّ:[من الطويل]

فِدَىً لِبَنِيْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبانَ نَاْقَتِى ... إذا كانَ يَوْمٌ ذو كواكِبَ أَشْهَبُ

وقول عمرو بنُ شَأْس:[من الطويل]

بَنِيْ أسَدٍ هَلْ تَعْلَمُوْنَ بَلَاْءَنَا ... إذا كَانَ يَوْمًا ذَاْ كَوَاْكِبَ أشْنَعَاْ

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ﴾[٢]، وقَولُ اللهِ عزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾[٣] فِي مَنْ رفَعَ[٤]، وقوله تَعَاْلَىْ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[٥]، وقوله أيضًا: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾[٦] ؛ أي: ما بقيت ...

والزائدة: حكاها سِيْبَوَيْهِ متابعًا الخَلِيْلَ في مِثْلِ قولِ العرب: إنّ مِنْ أفضَلِهم كان زيدًا[٧] . واستَشْهَدَ بقولِ الفَرَزْدَق:[من الوافر]

فَكَيْفَ إذا رَأَيْتَ دِيَارَ قَوْمٍ ... وجِيْرَانٍ لَنَاْ كَانُوا كِرَام

---

[١] ينظر: الكتاب ٤٦/١، ٤٧، وشرح السيرافي ٣٠٣/١.

[٢] البقرة من الآية/٢٨٠

[٣] البقرة من الآية/٢٨٢

[٤] قرأها عاصم وحده بالنصب، وقرأها الباقون بالرفع [السبعة في القراءات ص:١٩٣]

[٥] الروم/١٧

[٦] هود من الآيتين/١٠٧، ١٠٨.

[٧] ينظر: الكتاب ١٥٣/٢.

وقد رَدّ المُبَرِّدُ[1] الشاهدَ وزَعَمَ أنّها عَامِلَة، فجَعَلَ الواوَ اسمَها، و(لنا) خبرَها مقدَّمًا، واختلف النُّحَاةُ بعد ذلك في توجيْهِ هذا الشَّاهد،فمنهم مَن تابَعَ الخَلِيْلَ، ومنهم مَن تابَعَ المُبَرِّد[2] . أمّا الدكتورُ إبراهيمُ السامرائيّ[3] فقد أنْكَرَ زيادة (كان) في المواضع جميعِها التي ذَكَرَها النحويّون، وعَدّها تراكيبَ ضعيفةً اصْطَنَعَها النحويون أمثلةً لَمْ يَسْتَقْرُوْها مِن كلامٍ صحيحٍ فصيحٍ[4] . ولا يعنينا هذان النوعان مِن "كان"، ولا الخوضَ في آراء النُّحَاةِ وردودهم، فالذي يعنينا هو إعْمَالُ "كان" الناقصة وإهمالها .

حَكَى سِيْبَوَيْهِ ما وَرَدَ مِن رفْعِ المبتدإ والخبرِ بعد "كان وأخواتها" على جَعْلِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ في موضع نَصْبٍ، واسمُها ضَمِيْرُ الشأنِ المحذوف . فقال: ((ومِثْلُ ذلك في الإضمارِ قولُ بعضِ الشعراءِ، العُجَيْرُ، سمعناه ممّن يوثَقُ بعربيّته:[من الطويل]

إذا مِتُّ كانَ الناسُ صِنفانِ: شامِتٌ ... وآخَرُ مُثْنٍ بالّذى كنتُ أصْنَعُ

أضمرَ فيها. وقال بعضهم: كانَ أنت خير منه كأنّه قالَ إنّه أنت خيرٌ منه.... وقال هِشَامٌ أخو ذي الرُّمَّة:[من البسيط]

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَائِيْ لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا ... ولَيْسَ مِنْهَا شِفَاءَ الدَّاءِ مَبْذُوْلُ[5]

ثم قال في مكان آخر: ((ومِن ذلك قولُ الشاعرِ، رجُلٌ مِن بَنِيْ عَبْسٍ:

إذَاْ مَا الْمَرْءُ كَانَ أَبُوْهُ عَبْسٌ ... فَحَسْبُكَ مَا تُرِيْدُ إلى الكَلامِ))[6]

وقد خَفِيَ على سِيْبَوَيْهِ أنَّ إهمالَ الفعلِ الناقصِ لُغَةٌ لبَنِيْ عَبْسٍ، وأسَدٍ و قيْسٍ، حكاها النحَّاسُ فقال: ((وحَدٌّ آخرُ مِن (كان) قال:[من الوافر]

---

[1] ينظر: المقتضب ١١٧/٤.

[2] ينظر: النكت ٢٥٣/١، مغني اللبيب ٣١٧/١، شرح ابن عقيل ٢٥١/١، تحصيل عين الذهب ص: ٢٩٠، أوضح المسالك ١٨٢/٤.

[3] **إبراهيم السامرائي:** إبراهيم أحمد السامرائي، أستاذ فاضل وأديب شاعر، ولد بمدينة العمارة في جنوبي العراق، سافر بعد تخرجه من دار المعلمين في البعثة العلمية إلى باريس للالتحاق بجامعة السربون و التخصص بموضوع اللغات السامية وفقه اللغة العَرَبِيَّة وحصل على شهادة الدكتوارة عام ١٩٥٦م، وتدرّج حتى وصل إلى درجة الأستاذية، ثم طلب إحالته إلى المعاش عام ١٩٨٠م، حيث عمل بالجامعة الأردنية ثم بجامعة صنعاء. من مؤلفاته (لغة الشعر بين جيلين) و(فقه اللغة المقارن) و(التطور اللغوي) و(اللغة والحضارة) و(التوزيع اللغوي الجغرافي) و(أستانس ماري الكرملي) و(معجم الجاحظ) و(مباحث لغوية) و(تنمية اللغة العَرَبِيَّة) و(معجم ابن المقفع) و(معجم أبي العلاء المعري). وغيرها من الكتب والتحقيقات والترجمات التي تجاوزت الثمانين، وله ديوان شعر بعنوان (الحاني) تحت الطبع.

[4] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته ص: ٦٧

[5] الكتاب ٧١/١

[6] الكتاب ٣٩٤/٢

إذَاْ مَا الْمَرْءُ كَانَ أبُوْهُ عَبْسٌ ... فَحَسْبُكَ مَا تُرِيْدُ إلى الكَلام

فرفَعَ الاسمَ والخبرَ بـ(كان)، وتقول: كان زيدٌ قائمٌ، وكان عمروٌ منطلقٌ، وبنو عَبْسٍ، وبَنُو أسَدٍ وبَنُو قيْسٍ يقولون: كان فلانٌ قائمٌ))[1] .

وممَّا يُلَاحَظُ أنَّ هذه اللُغَةَ نُسِبَتْ لعَبْسٍ وهي مِن القَبَائِلِ القيْسِيَّةِ، وفي الوقتِ نفْسِهِ نُسِبَتْ لقَيْسٍ رأسِ القَبِيْلَةِ، ولعلَّ السرَّ في ذلك أنَّ هذا البيتَ عندما أورده سِيْبَوَيْهِ نَسَبَهُ لرَجُلٍ مِن بَنِيْ عَبْسٍ[2]، ومن هنا ذُكِرَتْ عَبْسٌ؛ لأنَّ الشاهدَ مَرْوِيٌّ مِن عبسيٍّ .

وكونُ الخبرِ لم يُنْصَبْ بـ(كان) لُغَةٌ ذكرها السَّيُوطِيُّ عندما قال: ((وَجَوَّزَ الْجُمْهُورُ رفْعَ الاسمين بعد (كَانَ) وَأنْكرهُ الفَرّاءُ وَرُدَّ بِالسَّمَاعِ قَالَ الشاعرُ[3]:[من الطويل]

إذا مُتّ كَانَ النَّاسُ صِنْفانِ شَامِتٌ ... وَآخَرُ مُثْنٍ بِالَّذِيْ كُنْتُ أصْنَعُ

وقال[4]:[من البسيط]

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَاْئِيْ لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا ... ولَيْسَ مِنْهَا شِفَاءَ الدَّاءِ مَبْذُوْلُ

ثمَّ اخْتلفُوا فِي تَوْجِيه ذَلِك فالجُمْهُورُ على أَنَّ فِي (كَانَ) ضَمِيْرَ الشَّأْنِ اسْمهَا، وَالْجُمْلَةُ مِن الْمُبْتَدَإِ وَالْخَبَرِ فِي مَوضِع نصْبٍ على الْخَبَرِ، وَنُقِلَ عَن الكِسَائي أَنَّ (كَانَ) ملغاةٌ، لَا عَمَلَ لَهَا، وَوَافَقَهُ ابْنُ الطراوة))[5].

وكَمَا هو واضحٌ مِن نَصِّ السَّيُوطِي نَجِدُ الاسمين بعد "كان" وَرَدَا مَرْفُوعَيْنِ، وجاءت على ذلك شَوَاهِدُ مِن الشعْرِ، وقد تَعَدَّى الأمْرُ "كان" إلى "ليس" كما في الشاهِدِ الثاني، والنُّحَاةُ عموماً متفقون على رَفْعِ الاسمين، ولكنَّهم يختلفون في التأويلِ، ولكنَّ التأويلَ الذي لا يستَنِدُ إلى واقعٍ لُغَوِيّ هو ما نرفُضُهُ؛ لأنَّه تغييْرٌ لِوِجْهَةِ القَاعِدَةِ اللُغَوِيّةِ على الأقل عند قَيْسٍ وأسَدٍ . وليس مِن الضروريّ الذهابُ إلى تفسيراتٍ وتعليلاتٍ لنَضُمَّ بها "كان" غيرُ العَامِلَة عند قَيْسٍ إلى "كان"

---

[1] شرح أبيات سِيْبَوَيْهِ للنحاس ص: ٣٩، ولُغَات قيس العمري ص: ٣١٦ .

[2] ينظر: الكتاب ٣٩٤/٢.

[3] نسب للعجير السلولي في الكتاب ٧١/١

٤ لهشام بن عقبة أخو ذو الرمة في الكتاب ٧١/١، وشرح شواهد المغني ٧٠٤/٢، وغير منسوب في شرح ابن يعيش ٣٣٨/٢، والمغني ص:٣٨٩(ش/٥٤٨).

[5] الهَمْع ٤٠٩/١ – ٤١٠

العَامِلَة[1]. فليس أقلَّ مِن أنْ نَقِيْسَها على "ما" التَمِيْمِيِّة في بقاء المَرْفُوعَيْنِ بعدها؛ فهي غيرُ عَامِلَة أيضًا .

وحكى سِيْبَوَيْهِ مِن الأفعالِ التي رُفِعَ المبتدأ والخبرُ بعدها "كان وليس" ولم يُوْرِدْ غيرهما، ولكنْ يمكننا أنْ نعمِّمَ القولَ في باب "كان وأخواتها" استئناسًا بقولِ ابنِ أبي الربيع[2]: ((وهذا الذي ذَكَرْتُ مِن ضَمِيْرِ الأمرِ والشأنِ يجري في أخواتها كلِّها))[3].

وسِيْبَوَيْهِ كما أسلفنا يتأولُ ما وَرَدَ مِن رفْع الركنين على أنَّ اسمَها ضَمِيْرُ الشأنِ المحذوفِ، والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ مِن المبتدإ والخبرِ في موضع نصْبِ خبرها، وقد ذَهَبَ جُمْهُورُ النُّحَاة[4] إلى ما ذهب إليه سِيْبَوَيْهِ في محاولةٍ لتخريج ما وَرَدَ مخالفًا لِمَا قعَّدُوه طرْدًا للباب .

وإذا أردنا أنْ نُفَسّرَ ظاهرةَ الإهمالِ وعدم الإعمالِ مِن دون تأويلٍ، نقول: إنَّ عدم إعمالِ الأفعالِ الناقصةِ في الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ يمثِّلُ اللُّغَةَ القُدْمَى لتلك الأفعالِ؛ لأنَّها في الأصلِ ليست بأفعالٍ صحيحةٍ لكونِها أفعالًا دالة على الزمنِ خاليةً مِن الحَدَثِ، يُخْبَرُ بها عن الخبرِ عمّا مضى أو عمّا يُسْتَقبلُ مِن الزّمَان، فكان قياسُ هذه الأفعالِ ألّا تعملَ شيئًا، بخلافِ الأفعالِ الصحيحةِ فإنَّها تدلُّ على الزّمَانِ والحدث، قال المُبَرِّدُ: ((كَانَ) فى وزْنِ الْفِعْلِ وتَصَرُّفِهِ، وَلَيْسَتْ فعلًا على الْحَقِيقَةِ تَقول: ضَرَبَ زيدٌ عمرًا، فتُخْبِرَ بِأَنَّ فعلًا وصَلَ مِن زيدٍ إلى عَمْرٍو، فَإِذا قلْتَ: كَانَ زيدٌ أَخَاك، لَمْ تُخْبِرْ أَنَّ زيدًا أوصَلَ إلى الْأَخِ شَيْئًا، وَلَكِنْ زعَمْتَ أَنَّ زيدًا أخوةً فِيمَا خلا مِن الدَّهْرِ))[5]، وقال السَّيُوطِي: ((وكان قياسُ هذه الأفعالِ ألا تعملَ شيئًا؛ لأنَّها ليستْ بأفعالٍ صحيحةٍ؛ إذ دخَلَتْ للدلالةِ على تَغَيُّرِ الخبرِ بالزّمَانِ الذي يثبت فيه))[6].

وربَّما كان مِن بابِ التعليلِ المبالغِ فيه محاولةُ النُّحَاةِ تخريجَ ورودِ خبرِ (كان) هنا مَرْفُوعًا، ولكنَّ الذي يطمئنُّ إليه الباحثُ هو أنَّ "كان" لا تعملُ عند كلٍّ مِن قَيْسٍ وأسَدٍ، فيبقى الخبرُ

---

[1] ينظر: لُغَات قيس ص: ٣١٨.

[2] **ابن أبي الربيع:** عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله، ابن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني الإشبيلي: إمام النحو في زمانه. من أهل إشبيلية (بالأندلس) انتقل لما استولى عليها الفرنج إلى سبتة، من كتبه «شرح كتاب سيبويه» و «شرح جمل الزجاجي» و «الإفصاح في شرح الإيضاح » و «الملخص» و «القوانين النحوية» كلها في النحو، توفي سنة ٦٨٨هـ.

[3] البسيط في شرح جمل الزجاجي ابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد الأشبيلي السبتي تحقيق ودراسة: عياد التبيتي ٧٤٨/٢ الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، دار العرب الإسلامي.

[4] ينظر: المقتضب ٩٩/٤، وإعراب القُرْآن للنحاس ٢٠٨/٢، وشرح أبيات سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ١٩٢/٢، وتحصيل عين الذهب ص: ٩٥، ٣٨٤، واللمع ص: ٨٨، والعوامل المائة ص: ٣٨١، وأسرار العَرَبِيَّة ص: ١٣٥، وشرح ابن يعيش ١١٦/٣، والبسيط في شرح الجمل ٦٩٦/٢، وشرح الأشْمُونِي ٣٣٣/١، وحاشية الصبان ٢٣٩/١.

[5] المقتضب ٣٣/٣، ونتائج الفكر للسهيلي ص: ٤٠٤، واللباب ١٦٤/١، وشرح ابن يعيش ٩٦/٢.

[6] الهَمْع ٦٣/٢.

مَرْفُوعًا، ووروده مَرْفُوعًا بعدها أمْرٌ رواهُ النُّحَاةُ، ولكنْ عَدَلُوا عن الواقعِ اللُغَوِيّ إلى التأويلِ؛ لأنَّهم وجَدُوا "كان" في الغالبِ تنْصُبُ الخبرَ، ومِن هنا ذهبوا إلى التعليلِ . ولا ضَيْرَ إنْ سَلَّمْنا بأنَّ إهمالَ تلك الأفعالِ، وعدم إعمالِها في الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ لُغَةٌ لِبَنِيْ عَبْسٍ، وبَنِيْ أسَدٍ، وبَنِيْ قَيْسٍ كما نصَّ على ذلك النحَّاسُ .

ويرى الباحثُ أنَّه لا ضَرُورَةَ للتأويلِ الذي ذكَرَهُ سِيْبَوَيْهِ في تقديرِ ضَمِيْرِ الشأنِ المحذوفِ اسمًا؛ فلعلَّ سِيْبَوَيْهِ لَمْ تبلُغْهُ هذه اللُغَةُ فتأوَّلَ ذلك طَرْداً للقَاعِدَةِ . ويكتفي بأنْ يقالَ إنَّ هذه النواسخَ تدخلُ على الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ فَتَنْسَخَ عملَها، ويجوز أنْ تُهْمَلَ على لُغَةِ بعض العرب وتبقى الجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ بعدها على ما هي عليه .

حينما اصْطَدَمَ النُّحَاةُ ببعض الشَوَاهِدِ التي يبقى فيها المبتدأُ والخبرُ مَرْفُوعَيْنِ خرَّجُوا ذلك على أنَّ "كان" تحتوي على ضَمِيْرِ الشأنِ أو القصَّةِ يقومُ مقامَ اسمِها، وأمَّا خبرُها فهو الجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ مِن المبتدإ والخبرِ.

ومِثْلُ هذا التخريجِ لَمْ ينْظُرْ لذلك الاستعمالِ على أنَّه لُغَةٌ معروفةٌ في قَبَائِلِ عَبْسٍ، وأسَدٍ، وقَيْسٍ، وإنَّما هو محاولةُ تسْخِيْرِ هذا الاستعمالِ اللُغَوِيّ لخدمةِ القَاعِدَةِ النَّحْوِيّةِ، فقَدَّرُوا ضَمِيْرًا محذوفًا اسمًا لـ(كان) وعَدُوا الاسمين المَرْفُوعَيْنِ في مَحَلِّ نصْبِ خَبَرٍ لها، وهُمْ بذلك عَقّدُوا القَاعِدَةَ ولَمْ يُسَهِّلُوها[1]، وكان مِن الأفضلِ لو عَدّوا ذلك ظاهرةً لُغَوِيّةً محدودةَ الاستعمالِ . فقد ظَهَرَ بالدليلِ أنَّها لُغَةٌ مِن لُغَاتِ العرب، والأسلوبُ إذا ثَبَتَ أنَّه لُغَةٌ مِن لُغَاتِ العرب فلا تأويلَ فيه[2] . أوكما قيل: إذا سَلِمَ الدليلُ فلا توجَدُ لمخالفتِهِ سبيلُ[3] ..

---

[1] ينظر: لَهْجَة قَبِيْلَة أسَد ص: ٢١٠.

[2] ينظر: البحر المحيط ٩٦/٨.

[3] التذييل والتكميل ٢٤٣/٤.

المبحث الثالث: الجُمْلَة الاسْمِيَّة ونواسخها

المَسْألَة (٣): ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ

(ليس) كَلِمَةٌ دالَّةٌ على نَفْيِ الحَّالِ، ونَفْي غيْرِهِ بقرينةٍ، وتعملُ عمَلَ "كان" وتتميَّزُ عنها بأنَّها لا تكتفي بالمَرْفُوعِ، ومَرَدُّ ذلك عند سِيْبَوَيْهِ أنَّها لا تتصرَّفُ[١] . وجُمْهُورُ النُّحَاةِ[٢] على أنَّه فعلٌ غيْرُ متصَرِّفٍ، وعَدّها ابنُ السّرَّاْجِ حرفًا بمنزلة (ما)[٣]، وتابَعَهُ الفارسِيُّ في أحَدِ قَوْلَيْهِ[٤]، وابنُ شُقَيْرٍ[٥]، والزَّجَّاجِيُّ[٦] الذي نَسَبَهُ للفراءِ والكُوْفِيّيْنَ[٧]. وهي في الاستعمال اللُّغَوِيّ تقعُ في أربعةِ أحوالٍ: مِن أخواتِ "كان"، أو مِن أدواتِ الاستثناء، أو مُهْمَلةٍ في لُغَةِ تَمِيْمٍ في القول المشْهُوْر: ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ، حكى ذلك عنهم أبو عمرو ابنُ العلاء، والوجهُ الرابعُ أنْ تكونَ حرفًا عاطفًا عند الكُوْفِيّيْنَ[٨] أو البغداديِيْنَ على خِلافٍ بين النَقَلَةِ[٩] . والذي يعنينا في المَسْألَةِ هو الوجهُ الثالثُ لها.

أعْمَلَ أهلُ الحِجَازِ "ليس" إذا سُبِقَ خبرُها بـ(إلَّا)، نحو: ليْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ، وهي باقيةٌ على فِعْلِيَّتِها في لغتِهم، ولَمْ يغيّرِ انتقاضُ نفْيِها بـ(إلَّا) شيئًا . بينما نَجِدُ هذا التركيبَ عند بَنِيْ تَمِيْمٍ يَظَلُّ فيه كلٌّ مِن المبتدإ والخبرِ مَرْفُوْعَيْنِ، وهي حرْفٌ؛ لأنَّ "ليس" إذا اقترَنَ خبرُها بـ(إلَّا) لَمْ تدلَّ على حَدَثٍ فيما مضى كعَلِمَ، وضَرَبَ، ولا على زمنٍ مجرَّدٍ مِن الحدثِ كأخواتها[١٠]، فكان

---

[١] ينظر: الكتاب ٢١/١

[٢] ينظر: الكتاب ٢١/١، والمقتضب ٨٢/٤-٨٤، وشرح السيرافي ٣٥٨/٢، واللمع ص: ٢٦، والمفصل ص: ٣٢١، وأسرار العَرَبِيَّة ص: ١٤٠، واللباب ١٦٥/١، والتخمير ٢٩٨/٣، وشرح ابن يعيش ٣٦٥/٤، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٧٨/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٣٢٣/١، ومغني اللبيب ص: ٣٨٧.

[٣] ينظر: مغني اللبيب ص: ٣٨٧ ولم أجد هذا القول له في كتابه "الأصول" بل صرّح فيه أنها فعل، ولعل ابن هِشَامٍ استقاه من كتاب آخر له غير الأصول.

[٤] ينظر: المسائل الحلبيات أبو علي أحمد بن عبد الغفار الفارسي تحقيق: حسن هنداوي ص:٢١٠، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

[٥] ينظر: مغني اللبيب ٣٨٧/١.

ابن شقير: أبو بكر احمد بن الحسن بن العباس بن الفرج بن شقير النحوي، بغدادي في طبقة ابن السّرَّاْج، وروى عنه أبو بكر بن شاذان، توفي سنة ٣١٧ هـ. له(مختصر في النحو) و(المذكر والمؤنث) و(المقصور والممدود) .

[٦] ينظر: الجمل في النحو ص/٤١

[٧] ينظر: اللامات أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزَّجَّاجي(ت:٣٣٧هـ) تحقيق: مازن المبارك ص: ٣٤ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – دار الفكر – دمشق.

[٨] ينظر: الجنى الداني المرادي ص: ٤٩٥.

[٩] ينظر: الهَمْع ٤٢٤/١

[١٠] ينظر: المسائل الحلبيات ص: ٢١١ .

معناها والحالةُ هذه كمعنى: مَا الطِّيْبُ إلَّا المِسْكُ، في انتقاضِ النفي بـ(إلَّا)، فأنْزَلُوها منزلة "ما" . و"ما" ليستْ عَامِلَة عند بَنِيْ تَمِيْمٍ مطلقًا[1] وفي قوله تَعَالَىْ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[2] هي حرفٌ بلا خلاف . لذا فبنو تَمِيْمٍ لا يُلْحِقون بليس تاءَ التأنيثِ؛ لحَرْفِيَّتِها، فيقولون: لَيْسَ لَهُ هِمّةٌ إلَّا الباطلُ، وأهلُ الحِجَازِ يُلْحِقون تاءَ التأنيثِ بها؛ لكونِها باقيةً على فِعْلِيَّتِها، فيقولون: ليْسَتْ له هِمّةٌ إلا الباطلُ[3] .

وكان أبو عمرو بنِ العلاء – الذي عُرِفَ بسَعَةِ الروايةِ والحفظِ والإحاطةِ بكثيرٍ مِن لُغَاتِ العرب – كان يُجِيْزُ الإعْمالَ والإهْمالَ في قول العرب المشْهُوْرِ: ليْسَ الطِّيْبُ إلا المِسْكُ . ولَمْ يكُنْ عيسى بنُ عمر يَعْلَمُ أنَّ مِن العرب مَن يهمل "ليس"؛ فيرفَعَ الجزأين بعدها إلَّا بعْدَ أنْ أخبره أستاذُهُ قائلًا: لَيْسَ فِي الأَرْضِ تَمِيْمِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَرْفَعُ وَلَا حِجَازِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَنْصُبُ[4]، بلْ أقنَعَهُ بأنْ أرسَلَ شاهدَيْنِ مِن أهلِ الثقةِ ليَسْمَعا مِن حِجَازيٍّ كيف يقول "ليْسَ الطِّيْبُ إلا المِسْكُ"، وليَسْمَعا مِن تَمِيْمِيٍّ كيف يَجْرِي ذلك على لسانه؟ وبعد أنْ عادَ الوفدُ، وقد سَمِعَ وكَتَبَ ما سَمِعَ، ما وَسِعَ عيسى إلَّا التسليمُ لِمَا قرَّره صاحبُه، وهو إنَّ إعْمالَ "ليس" في ذلك التعبيرِ لُغَةٌ حِجَازِيَّة، وإهمالُها لُغَةٌ تَمِيْمِيَّة . ثم افترق الشيخان متفقَيْنِ على أنَّ هذه القَاعِدَةَ التي بُنِيَتْ على السَّمَاعِ الموثوقِ به لَهُو أساسٌ متينٌ وقويٌّ، وليت كلَّ القواعدِ النَّحْويّةِ حين قُعِّدَتْ قامَتْ على أساسٍ قويٍ كهذه التي نناقشها[5] .

بعض النُّحَاةِ ممَّن جاءوا بعد أبي عمرو وقفوا مِن هذه القَاعِدَةِ في إهمالِ "ليس" موقفًا غريبًا، فرفضوا الإهمالَ فيها ولَمْ يرتَضُوه على الرُّغْمِ مِن أنَّه لُغَةُ تَمِيْمٍ، فهذا سِيْبَوَيْهِ يقول: ((وقد زعَمَ بعضهم أنّ "ليس" تجعل كما، وذلك قليلٌ لا يَكادُ يُعْرَفُ))[6]، ثم قال: ((إلاَّ أنَّهم زَعَمُوا أنَّ بعضهم قال: ليْسَ الطِّيْبُ إلا المِسْكُ))[7]، كأنَّه لا يرى أنَّ إهمالَها لُغَةٌ – كما ظَنّ ذلك قَبْلًا

---

[1] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الثالث، المَسْأَلَة (٤): (ما) و(لا) المشبهتان بليس.

[2] آل عمران من الآية/٤٤

[3] ينظر: المَزْهَر ٢/٢٤٠.

[4] ينظر: المناظرة في: طبقات اللُّغَوِيّين والنَّحْوِيِّيْنَ ص: ٤٣ – ٤٤

[5] ينظر: النحو والصَّرْف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نِهَايَة القرن الخامس الهجري ص: ٣٩ رسالة تقدم بها الباحث. محمد آدم الزاكي إلى كلية اللُّغَة العَرَبِيَّة بجامعة أم القرى للحصول على درجة الدكتوراه عام ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

[6] الكتاب ١/١٤٧.

[7] الكتاب ١/١٤٧.

عيسى بنُ عمر – وتأوَّلَ الرفْعَ في ذلك بقوله: ((والوجهُ والحَدُّ أنْ تَحْمِلَه على أَنّ في ليس إضمارًا))[1] .

ثم جاء كثيرٌ مِن النُّحَاةِ وسَلَكُوا مَسْلكَ سِيْبَوَيْهِ، وتَأَوّلُوا الرفْعَ بتأويلاتٍ على أربعةِ أوْجهٍ:

أحدها: أنَّ في "ليس" ضَمِيْرَ الشَّأنِ، و"الطِّيْبُ" مبتدأ و"المسكُ" خبره، والجُمْلَة خبرها .

الثاني: أنَّ "الطِّيْبَ " اسمُها، وخبرها محذوفٌ تقديره "في الوجود"، و"المِسْكُ" بدلٌ من الاسم .

الثالث: "الطِّيْبُ " اسمُها، و"إلا المسك" نَعْتٌ، والخبرُ محذوفٌ، والتقدير: ليس الطيْبُ الذي هو غيرُ المِسْكِ طيبًا في الوجود.. وهذه التخريجات نُسِبتْ[2] كلُّها لأبي عليٍّ الفارسي[3] .

الرابع: ما نُسِبَ لأبِيْ نزارٍ الملقَّب بِمَلِكِ النُّحَاة[4]، أَنَّ "الطِّيْبَ" اسْمُهَا و"المِسْكُ" مُبْتَدأ حُذِفَ خَبرُه وَالْجُمْلَةُ خبرُ "لَيْسَ" وَالتَّقْدِير: إِلَّا الْمِسْك أفخره[5].

وربَّما لَمْ تَبْلُغْ هذه اللُّغَةُ سِيْبَوَيْهِ، ولَمْ يعْرِفْها المُبَرِّدُ[6]، وجَهِلَهَا أبو عليٍّ الفارسي[7]، فتَأَوَّلُوا الشَوَاهِدَ، وتابَعَهم في التأويلِ ابنُ الحاجبِ[8]، وابن مالك[9] .

ولكنّ سِيْبَوَيْهِ عَدّ استعمالَ "ليس" كـ(ما) قليلًا، ولا يكاد يُعْرَفُ، والشاهد الذي ذَكَرَه على إهمالها ليس فيه "إلا"، وهو قول أخي ذي الرمة:

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَائِيْ لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا ... ولَيْسَ مِنْهَا شِفَاءَ الدَّاءِ مَبْذُوْلُ

---

[1] الكتاب ١٤٧/١.

[2] ينظر: شرح جمل الزَّجَّاجي أبو الحسن علي بن مؤمن ابن عصفور الأشبيلي قدم له ووضع فهارسه: فواز الشعّار إشراف: إميل بديع يعقوب ٣٨١/١ – ٣٨٣ الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م – دار الكتب العلمية – بيروت، وينظر: التذييل والتكميل ٣٠٠/٤ – ٣٠٤، ومغني اللبيب ٣٨٨/١ – ٣٨٩، و الهَمْع ٤٢٣/١، ٤٢٤.

[3] ينظر: المسائل الحلبيات ص: ٢٢٨

[4] **ملك النحاة:** أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبدالله المعروف بملك النُّحَاة، كان من الفضلاء المبرزين، وكان أنحى طبقته توفي سنة ٥٦٨هـ. [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمَان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبْرَاهِيم ابن خلكان(ت:٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس ٢٧١/١، طبعة ١٩٠٠م، دار صادر].

[5] ينظر: مغني اللبيب ٣٨٩/١

[6] ينظر: البحر المحيط ٤٢٦/٩.

[7] ينظر: الارتشاف ١١٨١/٣.

[8] ينظر: أمالي ابن الحاجب أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر ابن الحاجب دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة ٨٦٩/٢ (الإملاء ١٩١) طبعة سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م – دار عمار، الأردن – دار الجيل، بيروت.

[9] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٣٨٠/١.

وهذا الشاهدُ عالَجَهُ النُّحَاةُ على أنَّ "ليس" هنا شأنِيَّةٌ، ولَمْ يربطْ أحدٌ بين انتقاض نفيها بإلَّا وبين هذا الشاهد . فهلْ يُعَدُّ هذا انحرافًا[1] عن استعمالاتها التي وقَعَتْ فيها بين الأفعال الناسخة والإهمال التَمِيْمي، وأدوات الاستثناء، وحروف العطف . وكيف يَعُدّ سِيْبَوَيْهِ ذلك مِن القليل الذي لا يكاد يُعْرفُ، وهو لُغَةُ كلّ تَمِيْميّ على وجهِ الأرضِ . ثم إنَّه قَبِلَ "ما" التَمِيْمِيِّة وجَعَلَها الأصْلَ والأقيس[2]، فلِمَ تغاضى عن قبول "ليس" في اللُّغَةِ نفسِها، وعلى القياسِ نفسِهِ . أكبَرُ الظنِّ أنَّها لُغَةٌ لَمْ تبْلُغْهُ ! ولكنْ كيف لَمْ تبْلُغْهُ، وحكاية أبي عمروٍ مع عيسى بنِ عمر معروفةٌ ومشْهُوْرةٌ.

لَسْنا أمَامَ قَاعِدَةٍ واحدةٍ بلْ قاعدتان، لكلِّ واحدةٍ أنصارُها ؛ فلُغَةُ بَنِيْ تَمِيْمٍ إهمالُ "ليس" مع "إلا" حَمْلًا على "ما" بالرفْعِ، ولُغَةُ الحِجَازِ نَصْبُ "المِسْك" . وتأويلُ مِثْلِ هذه الحالاتِ الإعْرَابيةِ في اللُّغَاتِ يُبْعِدُنا عن حقيقةِ الواقعِ اللُّغَوِيّ الثابتِ[3]، ويرى ابنُ عصفورٍ أنَّ إهمالَ "ليس" – إذا ثَبَتَ لُغَة – فلا يمكنُ التأويل[4] .

ومَا كانَ أغناهم عن التأويلاتِ التي لا مُسَوّغَ لها؛ لأنَّ التأويلَ لا يُسَوِّغُ إذا كانتِ الجادَّةُ على شيءٍ، ثم جاء شيءٌ يخالفُ الجادة فيُتَأَوَّلُ[5]. أمَّا إذا كانتْ لُغَةُ طائفةٍ مِن العربِ لَمْ تتكلمْ إلا بها فلا تأوّلٍ[6]، وقد أخَذَ جُمْهُورُ النُّحَاةِ بهذه القَاعِدَةِ الأصليةِ في النحو، ورَدّوا بها تلك التأويلات، قال ابنُ هِشَامٍ: ((وما تقدّمَ مِن نَقْلِ أبي عمرو أنَّ ذلك لُغَةٌ تَمِيْم يَرُدُّ هذه التأويلات))[7]، وقال السَّيُوطِي: ((ومِن ثَم كانَ مردودًا تأويلُ أبي عليٍّ "لَيْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ" على أنَّ فيها ضَمِيْرَ الشأنِ؛ لأنَّ أبا عمرو نَقَلَ أنَّ ذلك لُغَةُ تَمِيْمٍ))[8]، وقال أبو حيان: ولم يَعْرِفْ المُبَرِّدُ أنَّ (ليس) في مِثْلِ هذا التركيبِ عامَلَتْها بنو تَمِيْمٍ مُعَامْلَة (ما) . وليس في الأرضِ حِجَازِيٌّ إلا وهو ينصُبُ في

---

[1] ينظر: الانحراف عن الأصل النحوي في الأمثلة الاستعمالية الحية في كتاب سِيْبَوَيْهِ في ضوء علم اللُّغَة المعاصر ص: ٦٣ رسالة تقدم بها الطالب. عمر عبد المعطي عبد الولي السعودي إلى قسم اللُّغَة العَرَبِيَّة والدراسات العليا جامعة مؤتة للحصول على درجة الدكتوراه عام ٢٠٠٥م.

[2] ينظر: الكتاب ٥٧/١، والخصائص ١٦٨/١

[3] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم ص: ٢٤٧

[4] ينظر: شرح جمل الزَّجَّاجي ابن عصفور ٣٨٣/١

[5] ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُوطِي حققه وشرحه. د. محمود فجال ص: ١٣١ الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م – دار القلم، دمشق.

[6] ينظر: التذييل والتكميل ٣٠٠/٤

[7] مغني اللبيب ص: ٣٨٩.

[8] الاقتراح ص: ١٣١

نحو (لَيْسَ الطّيْبُ إلا المِسْكُ)، ولا تَمِيْمِيٌّ إلا وهو يرفَعُ . وفي ذلك حكايةٌ جَرَتْ بين عيسى بنِ عمر وأبي عمرو بنِ العلاء[1].

[1] ينظر: البحر المحيط ٤٢٦/٩

المبحث الثالث: الجُمْلَة الاسْمِيَّة ونواسخها

مسألة (٤): (ما) و(لا) المشبهتان بليس

أعْمَلَ الحِجَازيون "ما" في الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ، فرفعوا المبتدأ اسمًا لها، ونصَبُوا الخبرَ خبرًا لها نحو: ما زيدٌ قائمًا . أمَّا بنو تَمِيْمٍ فإنَّهم أهملوها ولَمْ يُعْمِلُوها في ركْنَيْ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ، نحو: ما زيدٌ قائمٌ .

(ما) النَّافِيَةُ هي أحَدُ أوجُهِ (ما) الحَرْفِيَّةِ تدخل على الجمل الفِعْلِيَّة والاسْمِيَّة. فمِن دُخُوْلِها على الجمل الفِعْلِيَّةِ قوله تَعَالَىْ: ﴿ فما رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[١] . أمَّا دُخُوْلُها على الجمل الاسْمِيَّةِ فلِلْعرب فيه وجهان[٢]:

الأول: (ما) النَّافِيَةُ العَامِلَة عَمَلَ "ليس" على لُغَةِ أهل الحِجَازِ[٣]؛ وإعمالُها عَمَلَ (ليس) لشَبَهِها بها في أنَّها لنفي الحالِ عند الإطلاقِ، فيرفعون بها الاسمَ وينصبون الخبرَ، وهي التي أسْمَاها النُّحَاةُ (ما) الحِجَازِيَّة، نحو: ما زيدٌ قائمًا، قال تَعَالَىْ ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾[٤]، وقال تَعَالَىْ: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾[٥]، وقرأ ابنُ مَسْعُوْدٍ في الشَّوَاذِ (بأمَّهَاتِهِمْ) بزيادة الباء[٦]، وهي لا تُزاد إلَّا إذا كانت عَامِلَة، ووَضَعَ لها النحويون ستة شروط هي[٧]:

١. أنْ يُرِاعَىْ في اسمِها وخبرها الترتيبُ، نحو: ما رجلٌ هذا .
٢. ألَّا ينتقضَ النفيُ بـ(إلَّا) نحو قوله: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ﴾[٨] .
٣. ألَّا يُفْصَلَ بين (ما) واسمِها بـ(إنْ) الزائدة نحو: ما إنْ أحَدٌ حاضرٌ.
٤. ألَّا يتقدمَ معمولُ الخبرِ على الاسم نحو: ما طعامَكَ زيدٌ آكِلٌ.
٥. ألَّا يُبْدَلَ مِن خبرها موجبٌ نحو: ما زيدٌ بشيءٍ إلا شيءٌ لا يُعْبَأ به.

---

[١] البقرة/١٦

[٢] ينظر: معاني القُرْآن للفرّاء ٤٢/٢، الاصول ابن السرّاْج ٤/١، المقتصد في شرح الإيضاح عبد القاهر الجرجاني تحقيق: كاظم بحر المرجان ٤٢٩/١، طبعة ١٩٨٢م – سلسلة كتب التراث (١١٥) – منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجُمْهُورية العراقية، والجنى الداني ص:٣٢٥، شرح الكافية الشافية ٤٣٤/١.

[٣] ينظر: الكتاب ٥٧/١، والخصائص ١٦٨/١ باب (في تعارض العلل)، و رصف المباني ص:٢٤٦.

[٤] يوسف من الآية/٣١.

[٥] المجادلة من الآية/٢.

[٦] ينظر: معاني الفَرّاء ١٣٩/٣، إعراب ثلاثين سورة ص: ٥٢، والكشاف ٤٨٥/٤، و البحر المحيط ١٢١/١٠.

[٧] ينظر/المقتضب ١٨٩/٤، وشرح ابن يعيش ١٠٨/١، وشرح الكافية الشافية ٤٣٤/١، والمقرب ص: ١١٢، وشرح ابن عقيل ٣٠٤/١، والهَمْع ١١٣/٢.

[٨] يس من الآية/١٥.

٦. ألَّا تتكررَ نحو: ما ما زيدٌ قائمٌ .

والثاني: (ما) غيرُ العَامِلَةِ، وهي التي يأتي الخبرُ بعدها مَرْفُوعًا وتسمى التَمِيْمِيِّة[١]. نحو قوله تَعَالَىْ: ﴿ مَا هَذَا بَشَرٌ﴾ برفْعِ (بَشَر) وهي قراءة ابنِ مسعود[٢]، وقرأ عاصمٌ برواية المفضَّل[٣] ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ بالرفع[٤] على اللُغَةِ التَمِيْمِيِّة . كَقَوْلِ طَرَفَةَ بنِ العبد[٥]:[من الطويل]

خَلِيْلَيَّ لَاْ وَاللهِ مَاْ القَلْبُ سَاْلِمٌ ... وإنْ ظَهَرَتْ مِنّيْ شَمَاْئلُ صَاْحِ

وقال الفَرَزْدَق[٦]:[من الطويل]

لَشتَّانَ مَا أَنْوِيْ وَيَنْوِيْ بَنُوْ أَبِيْ ... جَمِيْعَاً فَمَاْ هَذَانِ مُسْتَوِيَاْنِ

ودُخُوْلُ الباء فيْ خبرِ "ما" كثيرٌ في لُغَةِ الحِجَازِ، بلْ لا يكادون ينطقون إلا به، قالَ الفَرّاءُ وهو سامِعُ لُغَةٍ حافِظٌ ثقةٌ: لا يكادُ أهلُ الحِجَازِ ينطقون إلَّا بالباء[٧]، وعليهِ أكثرُ ما جاء في القُرْآن كما في نحو قوله: ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾[٨]، وقوله تَعَالَىْ: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾[٩]،وقوله تَعَالَىْ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١٠]،وقوله تَعَالَىْ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾[١١]، وقال تَعَالَىْ: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾[١٢]، وقوله تَعَالَىْ: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[١٣]، وقال تَعَالَىْ: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[١٤]، وقال تَعَالَىْ: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ

---

[١] ينظر: الكتاب ٥٧/١. والخصائص ١٦٨/١.

[٢] ينظر: المحتسب: ٣٤٢/١، الكشاف: ٣١٧/٢، البحر المحيط: ٢٠٥. وينظر: معجم القراءات القُرْآنية مع مقدمة في القراءات واشهر القراء: ٢٤٢/٢.

[٣] المفضل هو المفضل بن صدقة أو حماد الكوفي، ذكره الأهوازي فيمن قرأ على عاصم توفي سنة (١٦١هـ). غاية النِهَايَة في طبقات القراء ٢: ٣٠٦.

[٤] ينظر: السبعة في القراءات ص/٦٢٨، إعراب ثلاثين سورة ص: ٥٢، والبحر المحيط ١٢١/١٠.

[٥] ديوان طرفة بن العبد ص: ١٧.

[٦] ديوان الفَرَزْدَق، وبلا نسبة في معاني القُرْآن للفراء ٤٢/٢.

[٧] ينظر: البحر المحيط ٢٧١/٦.

[٨] غافر من الآية/٥٦.

[٩] البقرة من الآية/٩٦.

[١٠] فصلت من الآية/٤٦.

[١١] النمل من الآية/٨١.

[١٢] المائدة من الآية/٢٨

[١٣] القلم/٢.

[١٤] البقرة من الآية/ ٨.

بِمُصْرِخِيَّ﴾[1]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[2]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾[4]، وهو كثير جدًا .

وفي النُّحَاةِ مَن يُنْكِرُ دُخُوْلَ الباءِ على خبر (ما) التَمِيْمِيَّة[5]؛ فهو مخصوص بالحِجَازِيَّة، قال ابنُ يعيش: وليس بسديدٍ، فأشعارُ بَنِيْ تَمِيْمٍ حافلةٌ بِجَرِّ الخبر بالباء كثيرًا، فلا فرْقَ بين الحِجَازِيَّة والتَمِيْمِيَّة في ذلك[6]، بل مِن النُّحَاةِ مَن نَقَلَ القولَ بإجماع النُّحَاةِ على ذلك كأبي جَعْفَرِ الصَّفَّار[7]، النحَّاسِ[8]، وأبي حيان[9]، واستشهدوا بقول الفَرَزْدَق التَمِيْمِيّ يمدحُ مَعْنَ بنَ أَوْسٍ[10]:[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَاْ مَعْنٌ بِتَاْرِكِ حَقِّهِ ... وَلَاْ مُنْسِئٌ مَعْنٍ وَلَاْ مُتَيَسّرُ

والذي يُعْنِيْنا في المَسْأَلَةِ هو إعْمالُ (ما) وإهْمالُها، ومدى صحّة ما ذَكَرَه لنا النُّحَاةُ من أنَّ إعمالَها مقتَصِرٌ على أهل الحِجَازِ، وإهْمالُها مقْتَصِرٌ على بَنِيْ تَمِيْم . حَيْثُ اختلفوا في ذلك على قولين:

الأول: قولُ سِيْبَوَيْهِ والجُمْهُور[11] أنَّ (ما) عَامِلَةٌ، فهي تَرْفعُ الاسمَ وتنصبُ الخبر؛ لأنَّها أَشْبَهَتْ (ليس) مِن وجهين:

- أنَّها تَدْخُلُ على المبتدإ والخبرِ كما أنَّ (ليس) تَدْخُلُ على المبتدإ والخبر.
- أنَّ (ما) تنفي مَا للحالِ، كما أنَّ (ليس) تنفي ما للحال. ويُقَوّيْ هذا الشَّبَهَ بينهما مِن هذين الوجهين، دُخُوْلُ الباء في خبرها، كما تدخل في خبر (ليس)، وبَوَّبَ سِيْبَوَيْهِ: ((هذا

---

[1] إبْرَاهِيم من الآية/٢٢.

[2] هود من الآية/٨٣.

[3] البقرة من الآية/٧٤.

[4] الحج من الآية/٢.

[5] ينظر: المفصل ص: ١١٢، شرح المفصل الموسوم بالتخمير صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي (ت:٦١٧هـ) تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ٥٢٣/١-٥٢٤ الطبعة الأولى ١٩٩٠م – دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتدا أحمد بن عبد الكريم الأَشْمُونِي (ت:١١٠٠هـ) تحقيق. عبد الرحيم الطرهوني ٣٢٥/٢ طبعة عام ٢٠٠٨م – دار الحديث – القاهرة، مصر.

٦ ينظر: شرح ابن يعيش ١٢١/٢، والبحر المحيط: ٩٠/١، وشرح ابن عقيل ٣٠٩/١.

[7] ينظر: التذييل والتكميل ٣١٢/٤

[8] ينظر: الارتشاف ١٢٢١/٣

[9] ينظر: التذييل والتكميل ٣١٢/٤

١٠ ديوان الفَرَزْدَق ٣٣٨/٢.

[11] ينظر: الكتاب ٥٧/١، والمقتضب ١٨٩/٤، والخصائص ١٦٨/١، وشرح جمل الزَّجَّاجي لابن عصفور ٥٣/٢، وشرح الأَشْمُونِي: ٢٥٤/١،

باب ما أُجْرِيَ مَجْرَىْ "ليس" في بعض المواضع بلُغَةِ أهل الحِجَازِ، ثمَّ يصير إلى أصله، وذلك الحرف (ما)، تقول: ما عبدُ اللهِ أخاك، وما زيدٌ منطلقًا . وأمَّا بنو تَمِيْمٍ فيُجْرُونها مجرى "أمَّا وهل"، أيْ: لا يُعْمِلونها في شيءٍ، وهو القياس ...))[1].

الثاني: قول الفَرّاءِ أنَّ (ما) غيرُ عَامِلَةٍ، ونُصِبَ (بشرًا) في قوله تَعَالَىْ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ بإسقاطِ حرف الجرّ (الباء)؛ لأنَّ أهلَ الحِجَازِ لا ينطقونَ إلَّا بالباء، ألا ترى أنَّ كلَّ "ما" في القُرْآن أتى بالباء إلَّا في موضِعَينِ: هذا، وقوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ﴾ . ثم قال: ((وأمّا أهلُ نَجْدٍ فيتكلمونَ بالباءِ، وغيرِ الباء، فإذا أسقطوها رَفعوا. وهو أقوى الوجهين فِي العَرَبِيَّةِ. أنشدني بعضُهم:[من الطويل]

لَشَتَّانَ مَاْ أَنْوِيْ وَيَنْوِيْ بَنُوْ أَبِيْ ... جَمِيْعَـًا فَمَاْ هَذَاْنِ مُسْتَوِيَانِ))[2]

فنَحْنُ إذَنْ أمَامَ لغتين مشْهُوْرتين في (ما):

<u>الأولى:</u> لُغَةُ تَمِيْمٍ، وتُهَاْمَة، ونَجْدٍ[3]، وذلك لشَبَهها العام بالحُرُوْفِ غيرِ المختصَّةِ في كونِها تدخل على الأَسْمَاء والأفعال، فلَمْ تعملْ شيئًا عند التَمِيْمِيِّيْن[4]؛ إذ قاسُوا (ما) على (هل) في إهمالِها، ومَوْرِدُ الشَّبَهِ بينهما في قولك: هل قام زيدٌ، وهل زيدٌ قائمٌ، جاء بعدها مباشرة الفعلُ والفاعلُ، والمبتدأ والخبرُ، فلَمْ يَجُزْ إعمالُها في شيءٍ مِن الأَسْمَاء والأفعال؛ لعدم اختصاصِها بها . وكذلك تقول في (ما): ما قام زيدٌ، وما زيدٌ قائمٌ، فيَلِيْهَا الاسمُ والفعلُ، فلمَّا كانت مشتركةً بينهما وَجَبَ أَلَّا تعمل[5].

<u>والأخرى:</u> لُغَةُ أهلِ الحِجَازِ، وهي اللُغَةُ العُليا والقُدْمَى الجيدة[6]؛ وذلك لشبهها الخاص بـ (ليس)، فيرفعون بها الاسمَ، وينصبون بها الخبرَ كما يُفْعَلُ بـ (ليس) فهي بمنزلتها[7] . فمواضع الشَّبَهِ أنَّهما للنفي، ويدخلان على المبتدإ والخبرِ، ويُخْلِصَانِ المضارعَ لنفي الحال[8]، وهي مُشَبَّهة بـ (ليس) مِن

---

[1] الكتاب ١٢٢/١.

[2] معاني القُرْآن للفراء ٤٢/٢.

[3] ينظر: معاني القُرْآن للفراء: ٤٢/٢، ومعاني القُرْآن للأخفش: ٣١٢/١، وإعراب القُرْآن للنحاس: ٣٢٨/٢، ومعاني الحُرُوْف للرماني: ٨٨، وإعراب ثلاثين سورة: ٥٢، والانصاف: ١٦٥/١، والارتشاف: ١١٩٧/٣.

[4] ينظر: علل النحو لابن الوراق ص:٢٠٣، والمقرب ص:١١٢.

[5] ينظر: الخصائص ١٢٦/١، والإنصاف ١٣٤/١، وشرح ابن يعيش ٢١٠/١.

[6] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٠٢/٢، ومعاني القُرْآن وإعرابه أبو إسحاق إبْرَاهِيم بن السري الزَّجَّاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ١٠٨/٣ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م عالم الكتب – بيروت.

[7] ينظر: إعراب ثلاثين سورة ص:٥٢، معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٠٨/٣.

[8] ينظر: الكتاب ٢٢١/٤، وشرح الجمل الزجاجي ٣٨٣/١، وحاشية الصبان ١٨٨/١، والأشباه والنظائر ٢١١/٢.

جهةِ المعنى لا اللفظ[1] . ولإعمالِ (ما) عَمَلَ "ليس" في اللُّغَةِ الحِجَازِيَّة شروطٌ تَقَدَّمَ ذكْرُها، فإنْ فُقِدَ شَرْطٌ منها رجعوا إلى اللُّغَةِ التَمِيْمِيِّة[2] القياسِيَّة[3]، فالأصلُ في (ما) عدمُ العملِ؛ لأنَّها مشتركة بين الأَسْمَاء والأفعال .

وحَمْلًا على كلام سِيْبَوَيْهِ السابق، فلُغَةُ تَمِيْمٍ هي اللُّغَةُ القياسِيَّةُ، ولذلك كانتْ عند سِيْبَوَيْهِ لُغَة التَمِيْمِيِّيْن أقوى قياسًا مِن لُغَة الحِجَازِيّيْن[4]، ووافقَهُ في ما ذَهَبَ معظمُ النُّحَاةِ كالفَرّاءِ[5]، وابنِ السّرَّاْج[6]، ابنِ الورَّاقِ[7]، والأنْبَاري[8]، وابنِ الشجري[9]، وابنِ الحاجب[10]، وابنِ مالك[11]، وابنِ هِشَامٍ[12]، وابن عقيل[13]، والأشْمُونِي[14]، والازهري[15] وغيرهم[16] .

وحَمْلًا على كلام الفَرّاءِ أيضًا، فقد عَزَا لُغَة أهلِ نَجْدٍ إلى اللُّغَةِ التَمِيْمِيِّة[17]، فالمرادُ بنَجْدٍ عند أكثر النُّحَاةِ بنو تَمِيْمٍ نُسْبَةً إلى المكان الذي كانت تسكنه هذه القَبِيْلَةُ ؛ فقد كانت معْظمُ مساكن تَمِيْمٍ عند تسجيل اللُّغَةِ في نَجْدٍ[18]، وهو يرى أنَّ لُغَةَ الرفعِ التَمِيْمِيِّة في قوله تَعَالَىْ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أقوى الوجهين في العَرَبِيَّة[19]، وقد رَدَّ عليه الزَّجَّاجُ مِن دُوْنِ أنْ يَذكُرَ اسمه، فقال: ((وزعم

---

[1] ينظر: علل النحو لابن الوراق ص:٢٠٣، والانصاف ١٣٤/١ .

[2] ينظر: المقرّب ص: ١١٢.

[3] ينظر: الكتاب ٥٧/١.

[4] ينظر: الكتاب ٥٧/١، والخصائص ١٦٨/١

[5] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٤٢/٢.

[6] ينظر: الأصول ٩٢/١.

[7] ينظر: علل النحو لابن الوراق ص:٣٠٢

[8] ينظر: اسرار العَرَبِيَّة ص:٩٠-٩١، ١٤٣.

[9] ينظر: أمالي ابن الشجري ٢٣٨/٢

[10] ينظر: الايضاح ٢١٥/٢

[11] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٣٥١/١

[12] ينظر: اوضح المسالك ٣٧٤/١

[13] ينظر: شرح ابن عقيل ٤٤/١

١٤ ينظر: شرح الأشْمُونِي ٢٥٤/١

١٥ ينظر: شرح التصريح ١٩٦/١

[16] ينظر: الجمل ص: ١٠٥، كتاب الايضاح أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي تحقيق ودراسة: كاظم بحر المرجان، ص:١٢١، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، عالم الكتب ت بيروت، والمقتصد في شرح الإيضاح ٤٢٩/١، وشرح ملحة الإعْرَاب ص: ٢٤٩، واللباب ١٧٥/١، والهَمْع ١٠٩/٢،.

١٧ ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٤٢/٢.

[18] ينظر: لُغَة تَمِيْم دراسة وصفية تاريخية ص: ٥٠٩، ولُغَات القَبَائِل في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه ص: ٧٨ .

١٩ ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٤٢/٢.

بعضهم أنَّ الرفعَ في قولك (ما هذا بشرًا) أقوى الوجهين، وهذا غلَطٌ؛ لأنَّ كتاب الله ولُغَةَ رسول الله أقوى الأشياء، وأقوى اللُغَات))[1]، ووافقَهُ النحَّاسُ[2] .

ولكنَّ بعضَ النُّحَاةِ فضَّلوا اللُغَةَ الحِجَازِيَّة[3] على التَمِيْمِيَّة على الرغم مِن قياسيَّة لُغَةِ تَمِيْمٍ نظرًا لِمَا يأتي:

١. نزولِ القُرْآنِ الكريم باللُغَةِ الحِجَازِيَّة العليا القدمى .
٢. كوْنها أقوى اللُغَاتِ؛ لأنَّها لُغَةُ رسول الله ﷺ وهي الأفْصَح[4] .
٣. قبولِ اللُغَةِ الحِجَازِيَّةِ للقياس أيضًا، قال ابن جني: ((أَلَا ترى أنَّ لُغَةَ التَمِيْمِيِّيْنَ في تَرْكِ إعمال (ما) يقْبَلُهَا القياسُ، ولُغَة الحِجَازِيِّيْنَ في إعمالها كذلك ؛ لأنَّ لكلِّ واحدٍ مِن القومَيْنِ ضربًا مِن القياسِ يؤخذُ به))[5] .
٤. كثرةِ الاستعمال؛ لأنَّ كثرة الاستعمال تبيحُ تَجَاوزَ القياسِ عند العرب[6] .

والخلافُ الناشبُ بين البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ هو في عاملُ النصْبِ في الخبر[7]، فالكوفيون فالكوفيون ذهبوا إلى أنَّ (ما) في لُغَةِ أهل الحِجَازِ لا تعملُ في الخبرِ، وهو منصوبٌ بحذْفِ حرف الخفضِ . والبصريون يرونها تعملُ عَمَلَ (ليس) في رفْعِ المبتدإ ونصْبِ الخبر. إضَافَةً إلى أنَّ الكُوْفِيِّيْنَ يرون أنَّ اقترانَ خبر (ما) بالباء هو الأصْلُ[8]، ثم تفرّعَتْ عنه لَهْجَةُ الحِجَازِيِّيْنَ بالنصْبِ، ورُدَّ هذا بأنَّ العكسَ صحيحٌ؛ فالباءُ زائدٌ لتوكيدِ النفي، ولِيَكونَ بإزاءِ اللام في خبر "إنّ"؛ لأنَّ "ما" تنفي ما تُثْبِتُهُ "إنّ"، تقول: إنَّ زيدًا لقائمٌ، فيُرَدُّ نافيًا: ما زيدٌ بقائم[9] . وثَمَّة رواياتٌ تشير إلى أنَّ نصْبَ الخبر بـ(ما) لَمْ يَكُنْ شائعًا في شِبْهِ الجزيرة بل يكاد يكون معدومًا[10]، حتى إنَّ السيرافيَ ينقلُ عن الأصْمَعِي أنَّه قال: ما سَمِعْتُهُ في شيءٍ مِن أشعارِ العرب[11]، يعني نصْبَ خبرِ "ما" .

---

١ معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٠٨/٣
٢ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٠٢/٢.
٣ ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٠٨/٣، و الخصائص ١٢٦/١، والكشاف ٣١٧/٢.
٤ ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٠٨/٣، وشرح المفصل: ٢٦٨/١ .
٥ الخصائص ١٢/٢
٦ ينظر: الخصائص ١٢٦/١.
٧ ينظر: الإنصاف ١٣٤/١ (المَسْأَلَة/١٩)، وأسرار العَرَبِيَّة ص: ٥٩، وائتلاف النصرة ص: ١٠٧.
٨ ينظر: الإنصاف ١٣٥/١، وائتلاف النصرة ص: ١٠٧.
٩ ينظر: شرح ابن يعيش ١٢١/٢.
١٠ ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. عبده الراجحي ص/١٨١ .
١١ ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣٢٤/١.

وينقل أبو حيان[1] عن الزمخشري روايةً تناقضُ رأيَ الكُوْفِيّيْنَ، إذ يقول: إنَّ إعمالِ (ما) عَمَلَ (ليس) هي اللُغَةُ القُدْمَى الحِجَازِيَّةُ وبها وَرَدَ القُرْآنُ[2] . فرغم أنَّ النصْبَ لخبرها هو لُغَةُ الحِجَازِ إلَّا أنَّ شَوَاهِدَ نصْبِ الخبر قليلةٌ عندهم؛ لأنَّ الكثيرَ عندهم هو جَرُّ الخبرِ بالباء، فتقول: ما زيدٌ بقائمٍ، وأمَّا نصْبُ الخبرِ فمِنْ لُغَة الحِجَازِيّيْن القديمة حتى إنَّ النَّحْوِيِّيْنَ لَمْ يَجِدُوا شاهدًا على نصْبِ الخبرِ غيرَ قولِ الشاعر[3]:[من الكامل]

أَبْنَاؤُهَاْ مُتَكَنِّفُوْنَ أَبَاْهُمُ ... حَنِقُوا الصُّدُوْرِ وَمَاْ هُمُ أَوْلَاْدَهَاْ

والقُرْآنُ جاء باللغتين القدمى وغيرها[4].

فإذا كانَ ذلك صحيحًا فإنَّ هذه الظاهرة تكوْنُ قد تطوّرَتْ مِن إعْمالِ (ما) إلى الإهْمالِ أو إلى اقترانِ خبرها بالباء وهو الأكثرُ[5] وللدكتور مهدي المخزومي رأيٌ آخرُ، إذ يرى أنَّ (ما) الحِجَازِيَّة مِن حَيْثُ التطورِ التاريخيّ أحْدَثَ عهدًا مِن (ما) التَمِيْمِيَّة[6]، وتابَعَهُ الدكتورُ غالبُ المطلبي مؤكدًا أنَّ الحالاتِ النَّحْويّةَ التَمِيْمِيَّةَ تبدو أذْهَبَ في القِدَمِ مِن الحالاتِ الحِجَازِيَّةِ التي تبدو أنَّها أحْدَثُ عهدًا مِن حَيْثُ التطور التاريخي[7] . ولكنّ القدماءَ يؤكدون في عباراتِهم أنَّ (ما) الحِجَازِيَّةَ هي اللُغَة الأولى القدمى أو القديمة الفَصِيْحَة، ويتردَّدُ هذا الوصفُ كثيرًا في كُتُبِهم[8] .

إنَّ "ما" الحِجَازِيَّة، و"ما" التَمِيْمِيَّة، لكلٍّ منهما قوةٌ في القياسِ، فلسنا أمام اضْطِرَابٍ في القَاعِدَةِ النَّحْويّةِ فحسب، بل أمام قاعدتين نحويتين لكلٍّ واحدةٍ أنصارُها وشَوَاهِدُها، فلا يمكنُ ترجيحَ إحداهما على الأخرى، ولا تُرَدّ إحداهما بالأخرى، قال ابنُ جني: لُغَةُ أهلِ الحِجَازِ في إعمالُ (ما)، ولُغَةُ بَنِيْ تَمِيْمٍ في تَرْكِهِ، وكلٌّ منهما يقْبَلُها القياسُ، فليس لك أنْ تَرُدَّ إحدى اللغتين بصاحبتها لأنَّها ليست أحقَّ بذلك مِن الأخرى، غايةُ ما هنالك أنْ تتخَيَّرَ إحدى اللغتين فتقوّيَها

---

١ ينظر: البحر المحيط ٦/٢٧١

٢ ينظر: الكشاف ٢/٤٦٦.

٣ من الأبيات التي لا يعرف قائلها، ذكره السيرافي في شرحه الكتاب ١/٣٢٤ مع بيت قبله،ولم ينسبهما، فقال: وقد أنشدنا أبو بكر بن دريد في معاني الأشنانداني:

وأنا النذير بحرة مسودّة ... تصل الجيوش إليكم أقوادها

أبناؤها متكنفون أباهم ... حنقوا الصدور وما هم أولادها

والبيت بلا نسبة في شرح ابن عقيل ١/٣٠٢، والمقاصد النَّحْويّة: ٢/٦٦٣.

٤ ينظر: البحر المحيط ٦/٢٧١.

٥ ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات ص: ١٨٢، والتعليل النحوي عند المُبَرِّد في " المقتضب" ص: ١٥٤ رسالة تقدم بها الطالب. علي عباس فاضل إلى جامعة بابل للحصول على درجة الماجستير سنة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٦ ينظر: مدرسة الكوفة د. مهدي المخزومي ص: ٢٩٨.

٧ ينظر: لَهْجَة تَمِيْم غالب المطلبي ص/٢٥٥.

٨ ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٣/١٠٨، والكشاف ٢/٤٦٦، والبحر المحيط ٦/٢٧١.

على أختها وتعتقِدَها أقوى في القياس وأشَدَّ، أمَّا أنْ تَرُدّ إحداهما بالأخرى فلا[1] . ثم يحاول التوفيقَ بين اللغتين فيقول: إنْ كانتِ التَمِيْمِيَّةُ أقوى قياسًا فإنَّ الحِجَازِيَّة أكثرُ وأسْيَرُ استعمالًا، فقوَّة القياس هنا معارَضَةٌ بكثرةِ المسموعِ و((إذا استعْمَلْتَ أنت شيئًا مِن ذلك فالوجهُ أنْ تَحْمِلُهُ على ما كَثُرَ استعمالُهُ وهو اللُغَةُ الحِجَازِيَّةُ؛ ألا ترى أنَّ القُرْآن بها نَزَلَ..))[2]، وهو رأيُ الدكتور عباس حسن مِن المعاصرين حَيْثُ قال: ((الذي يُحْسَنُ الأخْذُ به في عصرنا هو الإعمالُ؛ لأنَّه اللُغَةُ العالية لُغَة القُرْآن وأكثرِ العرب، ولا داعي للأخْذِ باللُغَةِ الأخرى – وهي صحيحة أيضًا ويجوز الأخْذُ بها منعًا للبلبلة وتَعَدُّدِ الآراءِ مِن غير فائدة))[3] .

لكنَّ الحقيقةَ خلافُ ما يراه الدكتورُ عباسُ حسن فليستْ لُغَةُ الإعمالِ لُغَةً عاليةً؛ لأنَّ الاستعمالَ القُرْآنيَ لا يؤيد هذه القَاعِدَةِ؛ فما دَرَجَ عليه القُرْآنُ والعربُ هو اقترانُ خبرها بالباء، أمَّا تَجَرُّدُهُ مِن ذلك فلَمْ يَرِدْ إلَّا في موضعين: هما قوله تَعَالَىْ: ﴿ما هذا بشرًا﴾، وقوله تَعَالَىْ: ﴿ما هُنَّ أمهاتِهم﴾ .

لكنَّ السؤالَ الجوهريَّ الذي ينبغي أنْ يُطْرحَ هو: لماذا تجاهلَ النُّحَاةُ هذا الواقع اللُغَوِيّ على كثرتِهِ وشيوعِهِ وجعلوه فرعًا، وعَدُّوا النصْبَ بها والتجرّدَ مِن حرفِ الجرِّ أصلًا على نُدْرَتِهِ؟ ويجيب عن هذا السؤال الدكتور الجواريّ قائلًا: ((والجواب سَهْلٌ ميسورٌ مَرَدُّهُ إلى استمساكِهم بالأصولِ التي رَسَمُوها لقواعدِ الإعْرَابِ، واتخاذِهِم إيَّاها سبيلًا لا يَحِيْدُون عنه مهما قام الدليلُ العلميُّ على خَطَلِهِ أو ضِيْقِ حدودِهِ عن استيعابِ المادة العلميَّةِ))[4] . ولعلَّ ما يُقَوِّيْ رأيَ الجواريّ القراءةُ التي تُنْسَبُ إلى ابنِ مَسْعُوْدٍ: ﴿ ما هُنَّ بأمهاتِهم ﴾[5]، فقد جاء خبرُها مجرورا بالباء على الأصلِ في استعمال العرب، وهذا يدعو إلى أنْ يعيدوا النظرَ في الأساسِ العقلي الذي بنوا تلك القَاعِدَةَ عليه؛ لأنَّ اللُغَة لا يَرْكُنُ فيها إلى المنطق المجرَّدِ؛ إذْ كثيرًا ما يقودُ هذا المنطقُ إلى البُعْدِ عن الواقعِ اللغوي، ويَفْرِضُ أمورًا غريبة لا يؤيدها الاستعمالُ[6] .

وهناك لُغَةٌ أخرى ترتبط بـ(ما) النَّافِيَةِ، فإن النُّحَاةَ اشترطوا لعملها عَمَلَ "ليس" شروطًا، منها: أنْ يتأخّرَ خبرُها عن اسمِها، والآخرُ ألَّا ينتقضَ نفيُها بـ(إلا) . غيْرَ أنَّ الفَرّاء

---

[1] ينظر: الخصائص ١٢/٢، و الاقتراح ص: ٣٨٦.

[2] الخصائص ١٢٦/٢

[3] ينظر: النحو الوافي ٥٩٣/١

[4] نحو القُرْآن أحمد عبد الستار الجواري ص: ٩٠ – ٩١ الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد.

[5] ينظر: القراءات الشاذة. ابن خالويه ص:١٥٣

[6] ينظر: المثال النحوي المصنوع ص: ٢٨٤.

جوَّزَ إعمالَها إذا تَقَدَّمَ الخبرُ على الاسم، نحو: ما قائمًا زيدٌ[1]، وأجازهُ الأخْفَشُ مع (إلا) نحو: ما ذاهبًا إلا أخوك، وما قائمًا إلا زيدٌ[2]، وقال المُبَرِّد إنَّ ((هذا خطأ فاحشٌ وغَلَطٌ بيِّن))[3]، لكن الجَرْمِيّ عَدَّهُ لُغَة[4]، أو لُغيَّة[5] لبعض العرب، وعلى هذه اللُغَةِ أنشدوا قول الفَرَزْدَق[6]:[من البسيط]

فَأَصْبَحُوْا قَدْ أعَادَ اللهُ نِعْمَتَهمْ ... إذْ هُمْ قُرَيْشٌ وإذْ مَاْ مِثْلَهُمْ بشرُ

فنرى سِيْبَوَيْهِ وكأنّ النصْبَ عنده مردودٌ؛ يقول: ((وزعموا أنّ بعضَهم قال، وهو الفَرَزْدَق: ... البيت وهذا لا يَكَادُ يُعْرَفُ))[7] والجرجاني يقول: ((إنَّ قومًا ينصبون هذا))[8]، وَرَدّ أبوعثمان المازنيّ[9] قولَ سِيْبَوَيْهِ واستنكرَ روايته وخطّأها، وتابَعَهُ المُبَرِّدُ، وَرَدَّ ابنُ وَلَّادٍ[10] على المُبَرِّدِ رأيَهُ مدافعًا عن سِيْبَوَيْهِ[11]، وفَسَّرَ السيرافي هذا بالقِلَّةِ وأنَّه بعيدٌ جدًا[12]، وفَسَّرهُ ابنُ هِشَامٍ بالشذوذ

ويبدو أنَّ نُحَاتنا يقصُدُون بـ(القوم، أوبعضهم) الفَرَزْدَقَ وَحْدَه وهو مِن بَنِيْ تَمِيْمٍ، وإلا فإن بَنِيْ تَمِيْمٍ لا يُعْمِلونها بأيَّةِ حالٍ وإنْ توافرت فيها شروط العمل، إلا أنَّ الفَرَزْدَقَ أخذ لُغَة الحِجَازِ، وزاد عليهم فأعملها مُقَدِمًا خبرها على اسمها[13]، وهو لا يدري كيف استعمالُهم لها، فقدّرَ أنّهم يُجْرُوْنها

---

١ ينظر: ارتشاف الضرب ١١٩٨/٣، وهَمْع الهَوَامِعِ ٤٥٠/١..

٢ ينظر: الأصول في النحو ٩٥/١، وارتشاف الضرب ١١٩٨/٣.، وهَمْع الهَوَامِعِ ٤٥٠/١.

٣ المقتضب ١٩١/٤

٤ ينظر: ارتشاف الضرب ١١٩٨/٣.

٥ ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٤٥٠/١.

٦ ينظر: ديوان الفَرَزْدَق ٢٢٣/١

٧ الكتاب ٦٠/١.

٨ المقتصد ٤٣٣/١.

٩ مجالس العلماء للزجاجي ص: ١١٣.

١٠ **ابن ولاد:** أحمد بن محمد بن الوليد التميمي أبو العباس المعروف بابن ولاد المصري النحوي توفي سنة ٣٣٢هـ. له (الانتصار لسيبويه على المُبَرِّد) و(كتاب المقصور والممدود).

١١ ينظر: الانتصار لسِيْبَوَيْهِ على المُبَرِّد أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاّد التَمِيْمي دراسة وتحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، ص:٥٥ مسألة (٧)، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، ورصف المباني ص:٣١٢، والجنى الداني ص:٣٢٤، وأوضح المسالك ٢٧٢/١، وشرح الأشْمُونِي ص:٢٥٦، وخزانة الأدب ١٣٣/٤.

١٢ ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣٢٩/١– ٣٣٠

١٣ ينظر: المقتصد ٤٣٣/١.

مَجْرَى "ليس" في جميع أحوالِها، وهو مِن الخطإ ويبدو أنَّه توَهَّمَ فأخطأ وغلط[1]، فأغْلَبُ الظنّ أنَّ هذه ليستْ بلُغَةٍ أو كما يقول الجرميّ (لُغيّة) .

كما يبدو للباحث أنَّ استعمالَ الفَرَزْدَقِ التَمِيْمي لـ "ما" على صورتها الحِجَازِيَّةِ يُشِيْرُ إلى شيوعِها في غير الأوساط الحِجَازِيَّةِ، بل هي مستعْمَلةٌ في عُقْرِ دار التَمِيْمِيِّيْنَ أنفسِهم[2]، قال ابنُ مالكٍ: ((لو كان دُخُوْلُها على الخبر مخصوصًا بلُغَةِ الحِجَازِ ما وُجِدَ في لُغَةِ غيرهم))[3]، وربَّما هو اضْطِرَابٌ داخل البيئة التَمِيْمِيِّةِ ؛ لأنَّ الحِجَازِيَّة أفْصَحُ فأرادَ أنْ يقْصُدَ اللُّغَة العالية، وكثيرًا ما يفعلُ الشعراءُ مِن غير الحِجَازِيّيْنَ ذلك[4]؛ ولأنَّ معْظَمَ القُرْآنِ حِجَازيٌ، والتَمِيْميون يتعبَّدون بتلاوته كما أُنْزِلَ[5]؛ ولذلك لايقرأ أحد منهم قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ بالرفْعِ إلا مَن جَهِلَ كونَه مُنْزَلًا بالنصبِ، بدليل قول سِيْبَوَيْهِ: ((وبنو تَمِيْمٍ يَرْفعونها إلاَّ مَن دَرَىٰ كيف هي في المُصْحَفِ))[6]. وقول الزمخشري: مَن قرأ على سليقته مِن بنى تَمِيْمٍ، قرأ «بَشَرٌ» بالرفع. وهي في قراءةُ ابنِ مَسْعُوْدٍ[7].

وذهب أحدُ الباحثين[8] أنَّ إهمالَ "ما" لُغَةٌ هُذَلِيَّةٌ، مستندًا في ذلك إلى قراءة ابن مَسْعُوْدٍ ﴿مَا هَذَا بَشَرًا ﴾[9] بالرفع على اللُغَةِ التَمِيْمِيِّةِ، فقال: إذا كانتْ هذه قراءة ابنِ مَسْعُوْدٍ فما صلته بالتَمِيْمِيِّيْن؟ ولماذا يقرأ بلهجتهم وهو حِجَازيٌ هُذَلِيٌّ؟ إنَّه في أغْلَبِ الظَّنِّ لا يفعلُ ذلك إلا لأنَّ هذه لُغَة قومِهِ، ولكنَّ اللُغَوِيّينَ – وقد سيطَرَتْ عليهم غالبًا فكرةُ المقابلةِ بين الحِجَازِيَّةِ والتَمِيْمِيِّةِ – ألْهَاْهُمْ تعميمُ الأحكامِ بهذه الصورةِ عن الدِّقةِ في تَتَبُّعِ لَهْجَاتِ القَبَائِلِ . وتناسى الباحثُ أنَّ القراءةَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ تعتمدُ على الرِّوايَةِ وصحة سَنَدِها للرسول ﷺ، فلا علاقة لها بالقَبِيْلَةِ ولا بِهُوِيَّةِ القارئ.

(لا) النَّافِيَةُ للواحد:

---

١ ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣٢٩/١، والمسائل المشكلة للفارسي ص: ٢٨٦، وأوضح المسالك ٢٧٢/١،.

٢ ينظر: الصراع بين التراكيب النَّحْويّة، دراسة في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ٤٦ رسالة تقدم بها الباحث.عبدالله محمد طالب الكناعنة إلى قسم اللُغَة العَرَبِيَّة وآدابها بجامعة اليرموك، إربد، بالأردن لنيل درجة الدكتوراه سنة ٢٠٠٤م.

٣ شرح الكافية الشافية ١٩٢/١، وينظر: شرح التسهيل ٣٨٤/١

٤ ينظر: شَوَاهِد الفَرَزْدَق النَّحْويّة رسالة تقدم بها الطالب: سعيد بن سالم بن غوث باوزير، إلى كلية التربية، جامعة عدن للحصول على درجة الماجستير.

٥ ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة على المستويين النحوي والصَّرْفي بين ابن عقيل والسلسيلي د. أحمد عيد عبدالفتاح حسن ص: ٢٢٧ كتاب منشور في شبكة الألوكة.

٦ الكتاب ٥٩/١.

٧ الكشاف ٤٦٦/٢.

٨ ينظر: لَهْجَة هُذَيْل د. عبد الجواد الطيب ص: ٣٤٢ – ٣٤٣.

٩ يوسف من الآية/٣١.

أمَّا رَسِيْلَتُها "لا" النَّافِيَةِ للواحدِ فبنو تَمِيْمٍ أهملوها، ولم يُعْمِلُوها في شيء، يقولون: لا رَجُلٌ أفْضَلُ منك؛ لكونها حرفًا غيرَ مختصٍّ . وسِيْبَوَيْهِ أشارَ إلى إعمالِها من دون أنْ يعزو لُغَة الإعمال، فقال: ((وقد جُعِلَتْ[يعني "لا"]، وليس ذلك بالأكثر، بمنزلةِ ليس... فمن ذلك قول سعد بن مالك:[مجزوء الكامل]

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا ... فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحُ

... وإن شئتَ قلت: لا أَحَدٌ أفْضَلَ منك، في قول مَنْ جعلها كليس))[1]، والنقلُ ثابتٌ عن بَنِيْ تَمِيْمٍ أنَّهم لا يُعْمِلُونها عمل "ليس"[2]، وزعَمَ الأخْفَشُ والمُبَرِّدُ أنَّ قولَ سِيْبَوَيْهِ السابق إنَّما قاله قياسًا منه لاجتماعهما في المعنى[3]، ولذلك ساغ لهما خلافُهُ[4] . ونَقَلَ السَّيُوطِي[5] عن أبي حيان أنَّه لَمْ يُصَرِّحْ بأنَّ إعمالَ (لا) عَمَلَ (ليس) بالنسبةِ إلى لُغَةٍ مخصوصةٍ إلا صاحِبُ "المُغْرِبِ" ناصر المطرزي[6]، فإنَّه قال فيه: بنو تَمِيْم يهملونها، وغيرهم يُعْمِلُها[7]، وفي كلام الزمخشري: أهلُ الحِجَازِ يُعْمِلُونهما دون طَيِّئ، والقياسُ عند تَمِيْمٍ عدمُ إعمالِها، ويحتمل أنْ يكونوا وافقوا أهلَ الحِجَازِ على إعمالها.

وزَعَمَ بعضُهم أنَّه لَمْ يُحْفَظْ النصْبُ في خبرها ملفوظًا به، والصحيحُ سماعُ ذلك، ولكنْ في غايةِ الشذوذِ والقلَّةِ[8]، فلَمْ يُسْمَعْ إلا في بيتٍ أو بيتين، كَقَوْلِ الشاعر[9]:[من الطويل]

تَعَزَّ فَلَا شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ بَاقِيَا ... وَلَا وَزَرٌ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاقِيَا

---

[1] الكتاب ٢٩٦/٢، ٣٠٠

[2] ينظر: الارتشاف ١٢٠٩/٣

[3] ينظر: المقتضب ٣٨٢/٤.

[4] ينظر: الارتشاف ١٢٠٨/٣.

[5] ينظر: الهَمْع ٤٥٨/١، وشرح ابن عقيل ٣١٢/١ (الهامش)،ولم أجده في كتب أبي حيان.

[6] **المطرّزي:** أبو الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد الخوارزمي المطرزي ولد في رجب سنة ٥٣٨هـ في الجرجانية بخوارزم، ودخل بغداد حاجا (سنة ٦٠١) وتوفى في خوارزم سنة ٦١٠هـ، والمطرّزي نسبة إلى من يطرّز الثياب، قال ابن خلكان: لآ أعلم هل كان يتعاطى ذلك أم كان في آبائه. كان رأسا في الاعتزال. ولما توفى رثي بأكثر من ٣٠٠ قصيدة. من كتبه " الإيضاح في شرح مقامات الحريري) انتقد ياقوت في معجمه بعض ما جاء فيه من التعريف بأسماء الأماكن ولم يسمه، و (المصباح في النحو) و (المعرب) في اللُغَة، شرحه ورتبه في كتابه (المغرب في ترتيب المعرب) جزآن، و (الإقناع بما حوى تحت القناع).وله شعر. [الأعلام للزركلي].

[7] ينظر: المغرب في ترتيب المعرب أبو الفتح ناصر الدين المطرّزي حققه. محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار ٤٤١/٢ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سورية.

[8] ينظر: الارتشاف ١٢٠٨/٣

[9] لم أعثر على قائله، وغير منسوب في التذييل والتكميل ٢٨٢/٤

وقول الآخر[1]:[من الطويل]

نَصَرْتُكَ إِذْ لَاْ صَاْحِبٌ غَيْرَ خَاْذِلٍ ... فَبُوِئْتَ حُصْنًا بِالْكُمَاْةِ حَصِيْنَا

وَقَالَ آخَرُ[2]:[من البسيط]

أَنْكَرْتُهَا بَعْدَ أَعْوَامٍ مَضَيْنَ لَهَا ... لَا الدَّاْرُ دَاْرٌ وَلَا الْجِيرَانُ جِيرَانَا

وخرّج سِيْبَوَيْهِ على ذلك قول الشاعر[3]:[مجزوء الكامل]

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا ... فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحُ

قال أبو حيان ((إعمال (لا) عمل (ليس) قَلِيلٌ جدا، لم يجيء منه في لسان العرب إِلَّا ما لا بال له ..))[4] وقال ابن هِشَامٍ ((و"لا" هَذِه تخَالف "ليسَ" من ثَلَاث جِهَات . إِحْدَاهَا: أَن عَملهَا قَلِيل حتى ادعي أَنه ليس بموجود . والثَّانِيَة: أَن ذِكْر خَبَرهَا قَلِيل حَتَّى إِن الزَّجَّاج لم يظفر بِهِ فَادّعى أَنَّهَا تعْمل فِي الاسْم خَاصَّة وَأَن خَبَرهَا مَرْفُوع))[5] .

ويظهر للباحث أن الإهمال كما هو مصرّح به لُغَة التَمِيْمِيِّيْن، وقد فهم من التصريح باللُغَة التَمِيْمِيِّة في إهمالها، أن الإعمال سيكون لنظيرتها اللُغَة الحِجَاْزِيَّة كما فهم من قوله ((القياس عند تَمِيْم عدم الإعمال)) .

يبدو للباحثِ أنَّ قَاعِدَةَ إعمالِ (لا) أيضًا فيها مِن الهشاشةِ والضعفِ ما فيها، ولعلَّ سبَبَ القولِ بالإعمالِ هو تمْجِيْدُ اللُغَةِ الحِجَاْزِيَّةِ كونها اللُغَة الفُصْحَىْ والمثلى – ولكنَّهُ قليلٌ – لذلك وَضَعَ النُّحَاةُ شروطًا، وأثبتوها في كُتُبِ النحوِ التعليميَّةِ لتُبَرِّرَ قَسْرِيَّةِ الإعمالِ بما يتلاءمُ مع لُغَةِ الحِجَاْزِيِّيْنَ، وإنْ كان الأكثرُ والأقيسُ هو الإهمالُ، وهو لُغَة بَنِيْ تَمِيْمٍ في "ما" وأخواتها . بمعنى آخر إنَّ الباحثَ لا يَعْتَرِضُ على جوازِ الإعمالِ، ولكنْ أنْ يُعْطَىْ هذه الحَتْمِيَّةُ والإلزامُ ففيْهِ نَظَرٌ . قال أبو حيان: لو قال قائلٌ: ((لا يجوزُ أنْ تعملَ "لا" هذا العملَ لَذَهَبَ مذهبًا حسنًا؛ إذْ لا يُحْفَظُ ذلك في نَثْرٍ أصلًا، ولا في نَظْمٍ إلَّا في ذلك البيتين النادرين، ولا ينبغي أنْ تُبْنَىْ القواعدُ على ذلك، وليس في كتابِ سِيْبَوَيْهِ ما يدلُّ على أنَّ إعمالَها عَمَلَ "ليس" مسموعٌ مِن العرب، لا قليلًا ولا كثيرًا، فيكون مقياس مطردًا))[6] . وأمَّا الشَوَاهِدُ التي ذَكَرَها النُّحَاةُ فقال: لا تنتهي من

---

[1] لم أعثر على قائله، وهو غير منسوب في التذييل والتكميل ٢٨٢/٤

[2] غير منسوب في شرح شذور الذهب ص:٢٥٦، وله رواية أخرى في شرح شواهد المغني ٧١١/٢ هي: [حيّ المنازل إذ لا نبتغي بدلا ... بالدّار دارا ولا الجيران جيرانا]

[3] لسعد بن مالك في الكتاب ٢٩٦/٢، والتذييل والتكميل ٢٨٣/٤.

[4] البحر المحيط ٢٨٢/٢

[5] مغني اللبيب ص: ٣١٥

[6] التذييل والتكميل ٢٨٤/٤.

الكثرة بحَيْثُ تُبْنَىٰ عليها القواعدُ[1]، وقال السَّيُوطِي: ((وَ"لَا" إعمالُها قَلِيلٌ جدًا، بل لَمْ يَرِدْ مِنْهُ صَرِيحًا إِلَّا الْبَيْتُ السَّابِقُ . وَالْبَيْتُ والبيتان لَا تُبْنَىٰ عَلَيْهِمَا الْقَوَاعِد))[2].

إنَّ ما جاءَ وسُمِعَ مِن شَوَاهِدَ، وإنْ كان مِن طريق نصوصٍ عاليةٍ في الفَصَاحَةِ إلا أنَّها قليلةٌ، والأفضلُ أنْ نقتصرَ على ما سُمِعَ مِن لُغَةِ الحِجَازِ، ونَسْلكَ مَسْلَكَ ما شاع ووافقَ القياسَ، وهذا يدعو إلى أنْ يُعِيْدُوا النظرَ في الأساسِ العقليّ الذي بَنَوا تلك القَاعِدَةَ عليهِ؛ لأنَّ اللُّغَةَ لا يَرْكَنُ فيها إلى المنطقِ المجَرَّدِ ؛ إذ كثيرًا ما يقودُ هذا المنطقُ إلى البعْدِ عن الواقع، ويَفْرُضُ أمورًا غريبة لا يؤيدها الاستعمال .

كما تَبَيَّنَ للباحثِ أنَّ في كلِّ الحُرُوْفِ الملحقةِ بـ(ليس) لغتَيْنِ: إحداهما الإعمالُ، والأخرى الإهمالُ، فالإعمالُ في (ما) لُغَةُ الحِجَازِ، والإهمالُ لُغَةُ تَمِيْمٍ. والإعمالُ في (إنْ) لُغَةُ أهل العاليةِ، والإهمالُ لباقي العرب. والإهمالُ في (لا) لُغَةُ تَمِيْمٍ، والإعمالُ منسوبٌ للحِجَازِ، وقيلَ إنَّ قَبِيْلَةَ طَيِّئ تهملها مثل تَمِيْمٍ. والإعمالُ في (لاتَ) لُغَةُ الحِجَازِ، ويهملها باقي العرب.

[1] البحر المحيط ٢٨٢/٢

[2] الهَمْع ٤٥٧/١

المبحث الثالث: الجُمْلَة الاسْمِيَّة ونواسخها

المَسْألَة (٥): حَذْفُ خبر (لا) النَّافِيَةِ للجنس

تعملُ "لا" النَّافِيَةُ للجنْسِ عَمَلَ (إنّ)، فتنصبَ الاسمَ، وتَرْفَعَ الخبر نحو: لا رَجُلَ أفْضَلُ منك[١]. وإلى إعْمالِ "لا" عَمَلَ "إن" أشار الناظمُ بقوله:

عَمَلَ إنِ اجْعَلْ لِلَاْ فِيْ نَكِرَهْ .... مُفْرَدَةً جَاْءَتْكَ أوْ مُكَرَّرَهْ

ويكونُ اسمُها مفردًا أو مضافًا أو شبيهًا بالمضاف . فإذا كان مفردًا بُنِيَ على ما يُنْصَبُ به، ويُعْرَبُ إذا أضِيْفَ أو أَشْبَهَ المضافَ، ولكنَّ هذا العملَ مقيّدٌ باستيفاء الشروط الآتية:

١. أنْ تكونَ نَصًّا في النفي .
٢. أنْ يكونَ النفيُ بها لاستغراقِ الجنْس بأسْرِهِ .
٣. أنْ يكونَ اسمُها وخبرُها نكرتين .
٤. ألَّا يَدْخلَ عليها حرفُ جرّ .
٥. ألَّا يُفْصَلَ بينها وبين اسمِها بفاصلٍ .
٦. ألاَّ تُكَرَّرَ .

وإنَّما عَمِلَتْ "لا" عَمَلَ "إنّ" لمشابهتها لها في أمورٍ هي[٢]:

١. إنَّ كُلًا منهما يَدْخُلُ على الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ .
٢. إنَّ كُلًا منهما يفيدُ التوكيدَ فـ"لا" لتوكيدِ النفي، و"إنّ" لتوكيدِ الإثبات .
٣. إنَّ "لا" نقيضَةُ "إنَّ"، والشيءُ يُحْمَلُ على نقيضِهِ، كما يُحْمَلُ على نظيرِهِ .
٤. إنَّ كُلًا منهما له صدرُ الكلام .
٥. لفْظُ "لا" مُسَاوٍ للفظ "إنْ" إذا خُفِّفَتْ .
٦. إنَّ "لا" تقترنُ بهمزة الاستفهام، ويرادُ بها التمنِّي، فيجب إلحاقُها بِلَيْتَ في العمل، ثم حُمِلَتْ في سائر أحوالها على حالة التمني .

يُحْذَفُ خبرُ "لا" النَّافِيَةِ للجنْس لدلالة الكلام عليه، والعرب تَحْذِفُ إذا كان فيما أُبْقِيَ دليلٌ على ما أُلْقِيَ[٣]، وهذا الحذفُ على ثلاثة أقسام: ممتنعٍ، وجائزٍ، وواجبٍ.

---

[١] ينظر: شرح ابن يعيش ٩٢/٢

[٢] ينظر: شرح التصريح على التوضيح ٣٣٦/١،

[٣] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٥٦/٢

فالحذف الممتنعُ هو الذي لا دليلَ عليه مِن لفظٍ ولا معنى، كَقَوْلِكَ مبتدئًا: لا رَجُلَ. فمِثْلُ هذا لا يُعَدُّ كلامًا عند أحدٍ مِن العرب[1]، ويَمْتنعُ عندهم حذْفُهُ؛ لأنَّ المخاطَبَ لا يستفيدُ منه شيئًا، فلَمْ تَحْصُلْ عنده فائدةٌ يَحْسُنُ السكوتُ عليها . جاء في الألفية:

وَشَاْعَ فِيْ ذَا الْبَاْبِ إسْقَاْطُ الْخَبَرْ ... إذَا الْمُرَاْدُ مَعْ سُقُوْطِهِ ظَهَرْ

وأمَّا الجائزُ والواجبُ فهو ما دَلَّ عليه دليلٌ مِن السياقِ أو غيره، وللعرب فيه لغتان:

الأولى: لُغَةُ الحِجَاْزِيِّيْنَ، جوازُ الحذفِ والإثباتِ، كَقَوْلِك: لا رَجُلَ، لِمَنْ سألَ: هل في الدارِ مِن رجلٍ؟ وكَقَوْلِك للشاكي: لا بأسَ. تَحْذِفُ "فيها" مِن الأولِ، و"عليك" مِن الآخر. وأكثرُ ما يَحْذِفُ الحِجَازيون خبرَها مع "إلا" نحو: لَاْ إِلَهَ إِلَّا اللهُ . ومِنْ حَذْفِهِ مِن دون "إلا" قولُهُ تَعَاْلَىْ: ﴿قَاْلُوا لَا ضَيْرَ﴾[2]. وقولُهُ تَعَاْلَىْ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾[3]. ومنه قولُ النبي ﷺ: (لَاْ ضَرَرَ وَلَاْ ضِرَاْرَ)[4]، وقوله: (لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَاْمَةَ وَلاَ صَفَرَ)[5].

واللُّغَةُ الثانيةُ: وجوبُ حذْفِ الخبرِ المعلوم، وهو لُغَةُ بَنِيْ تَمِيْم . والنقلُ عنهم فيه اضْطِرَابٌ؛ فمنهم مَن أطْلَقَ المنعَ في غيرِ الظروفِ والجارّ والمجرور كالجَزْوَلِيْ، وابنِ عصفور، قال الجَزْوَلِيْ: ((ولا يَلْفِظُ بخبرها بنو تَمِيْمٍ إلا أنْ يكونَ ظرفًا))[6]، وقد نَقَلَ أبو حيانِ قولًا مُلْبِسًا عن ابنِ عصفور فقال: ((وقال ابنُ عصفور: بنو تَمِيْمٍ يلتزمون حذْفَهُ إنْ كان اسمًا يَظْهَرُ فيهِ الرفعُ، وقال أيضًا: إنْ كان ظرفًا أو جارًا ومجرورًا فالحذفُ والإثباتُ، أو غير ذلك فبنو تَمِيْم يلتزمون الحذفَ))[7]، وليس هذا ما في "المُقَرِّبِ"، ففي عبارته الأُولى أنَّ الحذفَ مُقَيَّدٌ بالأَسْمَاءِ التي تقبلُ الحركة، ولا يُفْهَمُ هذا مِن عبارةِ أبي حيانٍ الثانيةِ، أمَّا ما قاله ابنُ عصفور في "المُقَرِّبِ" فهو: ((والخبرُ إنْ كان ظرفًا أو مجرورًا، جاز إثباتُهُ وحذْفُهُ، وإنْ كان غير ذلك فبنو تَمِيْمٍ يلتزمون الحذف))[8] .

---

[1] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٥٦/٢

[2] الشعراء من الآية/٥٠

[3] سبأ من الآية/٥١

[4] ينظر: سنن ابن ماجه ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ٧٨٤/٢(ح:٢٣٤٠)، ٧٨٤/٢(ح:٢٣٤١)، د.ط، د.ت، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

[5] ينظر: صحيح البخاري ١٢٦/٧(ح:٥٧٠٧)، ١٢٨/٧(ح:٥٧١٧)، ١٣٥/٧(ح:٥٧٥٣).

[6] المقدمة الجزولية عيسى بن عبد العزيز تحقيق. شعبان عبد الوهاب ص: ٢٢٠ – ٢٢١ د.ت د. ط د.د

[7] ارتشاف الضرب ١٣٠٠/٣

[8] المقرب علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري و عبدالله الجبوري ١٩٠/١ الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م د.د.

ولا يوجد عند سِيْبَوَيْهِ نصٌّ واضحٌ في لُغَةِ بَنِيْ تَمِيْمٍ، وما قاله ينطبقُ على لُغَةِ الحِجَازِيّيْنَ، قال: ((والذي يُبْنَى عليه في زمانٍ أو في مكانٍ، ولكنكَ تضمره وإنْ شئتَ أظهرتَه كذلك، لا رَجُلَ ولا شيءَ، إنَّما تريد لا رَجُلَ في مكانٍ، ولا شيءَ في زمانٍ))[1] فهذا مذهب الحِجَازِيّيْنَ[2]، وقال السيرافي في شرحه: ((وأمَّا استدلالُ سِيْبَوَيْهِ على أنَّ " لا رَجُلَ " في موضعِ اسمٍ مبتدإٍ في لُغَةِ بَنِيْ تَمِيْمٍ بقولِ العربِ مِن أهل الحِجَازِ: لا رَجُلَ أفضلُ منك، فكان بنو تَمِيْمٍ يقولون: لا رَجُلَ ويسكتون عن إظهار الخبر، واحتجَّ بلُغَةِ أهلِ الحِجَازِ لأنَّهم يظهرون الخبر))[3]، فقولُ السيرافي "ويسكتون" لا يدلُّ على الحذفِ؛ فالسكوت عن الشيء يدل على العلم به .

وصرّحَ بعضُ النُّحَاةِ بمنْعِ ظُهُورِ خبر "لا" النَّافِيَةِ البتَّةَ عند بَنِيْ تَمِيْمٍ، وجعلوه مِن الأصُولِ المرفوضَةِ، فهذا ابنُ يعيشَ يقول: بنو تَمِيْمٍ لا يجيزون ظُهُورَ خبر "لا" البتَّة، ويقولون: هو مِن الأصُولِ المرفوضَة[4]، وهذا شَرْحٌ منه لقولِ الزمخشري ((وبنو تَمِيْم لا يثبتونه في كلامهم أصْلًا))[5] فالزمخشريُّ يذهبُ هذا المذهب .

وتابع ابنَ يعيشَ في عبارتِهِ عَدَدٌ مِن النُّحَاةِ منهم ابنُ إيازٍ[6](ت:٦٨١هـ) في "المحصول" حَيْثُ قال: ((وبنو تَمِيْمٍ لا يجيزون ظُهُورَ خبر "لا" البتَّة، وهو عندهم مِن الأصُولِ المرفوضَةِ، ويُحْمَلُ المَرْفُوعُ على أنَّه وصْفٌ لاسمها على الموضعِ دون أنْ يكون خبرًا))[7]، وتابعه أيضًا ابنُ فَلَاْحٍ في "المُغْنِي"[8]، وشرحه الكافية[9]، والكفوي في الكليات[10]، والمرادي(ت:٧٤٩هـ)[11]. وما أحْسَنَ قولَ ناظِرِ الجيش(ت:٧٧٨هـ) في هذا حَيْثُ قال: ((فمِثْلُ هذا يجوز فيه الحذفُ والإثباتُ عند الحِجَازِيّيْنَ، ولا يَلْفِظُ به التَمِيْميون ولا الطائيون أصْلًا، بل الحذفُ عندهم واجبٌ بشرط ظُهُورِ

---

[1] الكتاب ٢/٢٧٥

[2] ينظر: الارتشاف ٣/١٣٠٠

[3] شرح الكتاب للسيرافي ٣/١٦

[4] ينظر: شرح ابن يعيش ١/٢٦٥.

[5] المفصل ص: ٥٢

[6] **ابن إياز النحوي:** جمال الدين أبو محمد الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله البغدادي النحوي توفي سنة ٦٨١هـ . من تصانيفه (الإسعاف في علم الخلاف) و(شرح التصريف لابن مالك) و(القواعد في المطارحة) و(المأخذ المتبع) و(المحصول بشرح الفصول) أعني فصول ابن معط في النحو و(مسائل الخلاف في النحو) وغيرها.

[7] المحصول في شرح الفصول الحسين بن بدر ابن إياز البغدادي

[8] ينظر: المغني في النحو تقي الدين منصور ابن فلاح اليمني تحقيق. عبد الرزاق السعدي ٣/٢٨٠ طبعة عام ١٩٩٩م – دار الشئون الثقافية – بغداد.

[9] ينظر: شرح كافية ابن الحاجب تقي الدين منصور ابن فلاح اليمني ص: ٦٨٥ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصَّرْف من الطالب محمد الطيب الإبْرَاهِيم إلى كلية اللُّغَة العَرَبِيَّة، الأزهر، عام ١٩٨٨م.

[10] ينظر: الكليات أبو البقاء الكفوي ص: ٩٧٣.

[11] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك ١/٥٥٤

المعنى، ومَن نَسَبَ إليهم التزامَ الحذفِ مطلقًا أو بشرطِ كونه ظرفًا، فليس بمُصِيبٍ وإنْ رُزِقَ مِن الشهرةِ أوفرُ نَصِيْبٍ))[1]،

فالظاهرُ عند هؤلاء النُّحَاةِ أنَّهم يَعُدُّونَ وجودَ الخبرِ أصْلًا مِن الأصُولِ التي رفَضَتْها لُغَةُ بَنِيْ تَمِيْمٍ، ولا أدري ماذا يقولون عن حذْفِ خبر "لا" في لُغَةِ أهل الحِجَازِ، فعندهم يجوْزُ الإثباتُ أو الحذفُ، ثم إنَّهم إذا رأوا خبر "لا" ظاهرًا عند بَنِيْ تَمِيْمٍ حَمَلُوه على الصفة، بينما هو في لُغَةِ أهل الحِجَازِ خبرُ "لا"، وهذا أمْرٌ في غايةِ الاضْطِرَابِ، ولا يقْبَلُهُ المنطقُ النحويُّ؛ ولذلك قال ابنُ الحاجب: ((وكونُهُ يُجْعَلُ على مذهب الحِجَازِيّيْنَ خبرًا، وعلى مذهب التَمِيْمِيِّيْنَ صِفةً تَحَكُّمٌ))[2].

إذا كان هذا الخبرُ يمْكنُ ظُهُورُهُ عند بَنِيْ تَمِيْمٍ، فالأَولى أنْ يُنْظَرَ إليه كما نُظِرَ إليه في لُغَةِ الحِجَازِيّيْنَ بابًا واحدًا . فالخبر في لُغَةِ التَمِيْمِيِّيْنَ يَظْهَرُ، ولكنَّ النُّحَاةَ تأوّلُوهُ وأخرَجُوه عن سياقه، انْظُرْ إلى قولِ ابنِ فَلَاْحٍ في ما وَرَدَ منه كَقَوْلِ الشاعر[3]:[من البسيط]

وَرَدَّ جَازِرُهُمْ حَرْفًا مُصَرَّمَةً ... وَلَاْ كَرِيْمَ مِنَ الْوِلْدَانِ مَصْبُوْحُ

: محمولٌ على الوصْفِ على المَحَل، وكذا لو قيل "لا رَجُلَ أفضلُ منك" و "لا أحَدَ خيرٌ منك" يُحْمَلُ عندهم على الوصْفِ على المَحَل[4]، وقال الزمخشريُّ يَحْتَمِلُ أمرَيْنِ: أحدهما أنْ يَتْرُكَ الشاعرُ لغتَهُ الطائيّةُ إلى اللُغَةِ الحِجَازِيَّةِ، والثاني أنْ لا يُجْعَلَ "مَصْبُوحًا" خبرًا، ولكنْ صفةً مَحْمُولةً على مَحَلِ "لا" مع المنفيّ، وتابَعَهُ ابنُ يعيش[5]، وزاد أبو حيان[6] ويُحْتَمَلُ أنْ يقال وافق

---

١ شرح التسهيل ناظر الجيش ١٤٠٨/٣ .

٢ الإيضاح بشرح المفصل أبو عمرو عثمان بن أبي بكر الدوني المعروف بابن الحاجب تحقيق أ.د. إبْرَاهِيم محمد عبدالله ١٨٣/١ الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م – دار سعد الدين للطباعة والنشر – دمشق.

٣ ينسب هذا البيت لثلاثة من الشعراء: لحاتم بن عبد الله الطائي في ملحق ديوانه ص٢٩٤، وشرح أبيات سِيْبَوَيْهِ ٥٧٣/١ . ولأبي ذؤيب الهذلي في ملحق شرح أشعار الهذليين ص١٣٠٧، وشرح شَوَاهِد الإيضاح ص٢٠٥، وفي شرح ابن يعيش ٢٦٥/١ قال: ((وأما البيت.. فأنشده [يعني الزمخشري] لحاتم، وما أظنه له، قال الجَرْميّ: هو لأبي ذُؤَيْب الهُذَليّ وقبله: هلّا سَأَلْتِ هَداكِ الله ما حَسَبِي *** عند الشِّتاء إذا ما هَبّتِ الرِّيحُ)). ونُسِب لرجل جاهلي من بني النبيت في المقاصد النَّحْويّة ٧٤/١، ٨١٩/٢، ٨٢١ (وقد خطأ العيني نسبته إلى حاتم وإلى أبي ذؤيب أيضًا) وقال ((أن هذا البيت أنشده النحويون، من أول سِيْبَوَيْهِ وأبي علي الفارسي حتَّى ابن الناظم هكذا، وهذا البيت ممَّا ركب فيه صدر بيت على عجز آخر" ثم سرد البيتين))٧٤/١. وهو بلا نسبة في رصف المباني ص٢٦٦– ٢٦٧، والكتاب ٢٩٩/٢، والمقتضب ٣٧٠/٤، ولسان العرب ٤٥٢/٤ "صرر".

٤ ينظر: المغني لابن فلاح اليمني ٢٨٠/٣

٥ ينظر: شرح ابن يعيش ٢٦٢/١

٦ ينظر: التذييل والتكميل ٢٨٥/٤

بنو تَمِيْمٍ أهلَ الحِجَازِ على هذا العمل . فظُهُورُ الخبرِ مُمْكِنٌ، كما أنَّ ظُهُورَهُ في لُغَةِ الحِجَازِ مُمْكِنٌ، فكيف يُعَدُّ في لُغَةٍ خبرًا وفي الثانيةِ وصفًا؟!

فالمعنى هو العنصرُ الرئيسُ الذي يقود التَمِيْمِيَ والحِجَازيَ في الحذفِ، فالحِجَازيُّ لا يَحْذفُ الخبر إلّا إذا كان معلومًا في ذِهْنِه، أو وَرَدَ في سياقِ الكلام، وكذلك التَمِيْميُّ لا يُمْكنُهُ حَذْفَ الخبر إلَّا إذا كان المعنى واضحًا بيِّنًا في ذِهْنِه، أمَّا الحذفُ دون أنْ يكونَ معلومًا عند المُتَكَلِّمِ أو المخاطَبِ فهو أمْرٌ لا تَقْبَلُهُ القواعدُ النَّحْويّةُ ولا المنطقُ اللُغَوِيّ[1] .

[1] ينظر: الأصول المرفوضة في التراكيب النَّحْويّة جمعًا وتحليلًا د. شريف عبد الكريم النجار، بحث مدرج في: المجلة الأردنية في اللُغَة العَرَبِيَّة وآدابها، المجلد (٧) العدد (١) المحرم ١٤٣٢هـ – كانون الثاني ٢٠١١م، ص: ٧٢ – ٧٥.

المبحث الثالث: الجُمْلَة الاسْمِيَّة ونواسخها

مسألة (٦): نَصْبُ الجُزْأيْنِ بـ(إنّ) وأخواتها

الأحرفُ الناسخةُ للجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ ستةٌ تعملُ عكْسَ عَمَلِ (كان)، حَيْثُ تنصبُ المبتدأ ويسمَّى اسمَها، وتَرْفَعُ الخبرَ ويسمَّى خبرها، قال ابنُ مالكٍ في الألفية:

لَإنّ، أَنَّ، لَيْتَ، لَكِنّ، لَعَلْ ... كَأَنّ، عَكْسُ مَا لِكَأْنَ مِنْ عَمَلْ

وعَدَّها سِيْبَوَيْهِ خَمْسَةً[١] مُسْقِطًا "أنَّ" المفتوحة؛ لأنَّها فرْعٌ مِن المكسورة[٢]، وتبعَهُ المُبَرِّدُ[٣]، وابنُ السّرَّاْج، وابنُ مالك في شَرْحِهِ التسهيل[٤]. وعَدَّها ثمانية نحاةٌ آخرون[٥] .

للعرب في عَمَلِ "إنَّ" وأخواتها لغتان:

الأولى: نَصْبُ الاسم ورَفْعُ الخبر، وهي اللُغَةُ المشْهُوْرة[٦] عند معْظَمِ القَبَاْئِلِ العَرَبِيَّةِ، وعليها جُمْهُورُ النَّحْوِيِّيْنَ، فهي عَامِلَةٌ في الجزأين عند البَصْرِيِيْنَ، والكوفيون يَرَوْنها تعْمَلُ في الاسم والخبرُ باقٍ على رَفْعِهِ قبْلَ دُخُوْلِها، ولا يحتاجُ منَّا إلى شرْحٍ أو تفصيل .

الثانية: ذهبَ جماعةٌ مِن النُّحَاةِ إلى أنَّ مِن العرب مَن أعْمَلَهَا في الاسمين جميعًا، وهو قَوِيٌّ في القياس[٧] .ونُسِبَ هذا إلى بعض الكُوْفِيّيْنَ[٨]، أو بعض أصحاب الفَرّاء[٩]، وعليهِ محمدُ بنُ سلام الجُمَحِي(ت:٢٣١هـ)[١٠] وزَعَمَ أنَّه لُغَةُ رُؤْبَةَ وقومَهُ[١١]، وأبو عُبَيْدة[١٢]، وابن سِيْدَةَ[١]، وابنُ

---

[١] ينظر: الكتاب ١٣١/٢.

[٢] ينظر: شرح الأشْمُونِي ٢٩٦/١.

[٣] ينظر: المقتضب ١٠٧/٤.

[٤] ينظر: شرح التسهيل ٥/٢.

[٥] ينظر: التصريح بمضمون التوضيح ٢٩٣/١ حَيْثُ أدخل فيها "عسى" و "لا" النَّافِيَة للجنس.

[٦] ينظر: شرح الأشْمُونِي ٢٩٤/١، وخزانة الأدب ٢٣٥/١٠.

[٧] ينظر: نتائج الفكر ص:٢٦٤ – ٢٦٥

[٨] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٩/٢، والجنى الداني ص: ٣٩٣.

[٩] ينظر: الجنى الداني ص:٤٩٢.

[١٠] ينظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام بن عبيد الله الجمحي(ت:٢٣٢هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر ٧٨/١ –٧٩ د.ت، د.ط – دار المدني – جدة.

[١١] ينظر: التذييل والتكميل ٢٦/٥، وخزانة الأدب ٢٣٥/١٠.

[١٢] ينظر: الهَمْع ٤٩٠/١ .

أبو عبيدة: هو أبو عبيدة معمر بن المُثَنَّى التيمي بالولاء، البصري، ولد سنة ١١٠هـ، عالم بالشعر والغريب والأخبار والأنساب، أخذ عن يونس وأبي عمر، وأخذ عنه أبو عبيد وأبو حاتم والمازني، توفي بالبصرة سنة ٢٠٩ هـ، ويبدو أنه كان شعوبيًا يبغض العرب، له نحو مائتا مؤلف منها (مجاز القُرْآن) و(نقائض جرير والفَرَزْدَق) و(مقاتل الفرسان) و(أخبار قضاة البصرة) وغيرها.

الطراوة[٢]، والسهيلي[٣] . فلَمْ يَجْنَحْ هؤلاء إلى التأويلِ؛ لأنَّه لُغَةٌ مِن لُغَاتِ العرب[٤]. وحُجَّتُهُم على على صحةِ مذهبِهم بما وَرَدَ في الشعْرِ مِن شَوَاهِدَ، نذْكُرُ منها على سبيل المثال لا الحصْر:

١. فمِنْ شَوَاهِدِ نَصْبِ خَبَرِ (إنَّ) قول ابنُ أبي رَبِيْعَة[٥]:[من الطويل]

إِذَا اسْوَدَّ جَنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ ... خُطَاْكَ خِفَافًا، إنَّ حُرَّاْسَنَاْ أُسْدَا

قال الراجز[٦]:[من مشطور الرجز]

إنَّ العَجُوْزَ خَبَّةً جَرُوْزًا[٧]

تَأْكُلُ كُلَّ لَيْلَةٍ قَفِيْزَا

وما رُوِيَ في حديثه ﷺ:((إنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِيْنَ خَرِيْفًا))[٨] .

٢. ومِن شَوَاهِدِ نَصْبِ خبر (كأنَّ) قولُ القائل[٩]:[من المتقارب]

كَأَنَّ مَكَاْكِيِّهِ بِالْجَوَاْ ... ءِ حَوْلَ الدَّفَاْلِيْسِ شِرْبًا ثُمَاْلَاْ

---

[١] ينظر: الجنى الداني ص:٣٩٤.

[٢] ينظر: التذييل ٢٦/٥، والهَمْع ٤٩٠/١.

[٣] ينظر: نتائج الفكر ص:٢٦٤ – ٢٦٥

[٤] ينظر: شرح الكافية الشافية ٥١٦/١

[٥] لم أعثر عليه في ديوانه، وله في شرح التسهيل لابن مالك ٩/٢، والجنى الداني ص:٣٤٩، وشرح الأشْمُونِي ٢٤٩/١، والهَمْع ٤٩٠/١،

[٦] لم يعرف قائلهما، غير منسوبين في شرح التسهيل لابن مالك ٩/٢، والهَمْع ٤٩١/١، وشرح جمل الزَّجَّاجي لابن عصفور ٤١٨/١.

[٧] خبة: مخادعة، جروز: كثيرة الأكل، القفيز من الأرض: مئة وأربع وأربعون ذراعًا.

[٨] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٩/٢، ومغني اللبيب ص:٥٥. والرواية في صحيح مسلم بالواو(السبعون): كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٦/١ (ح:٣٢٩)، وذكر النووي أن في معظم الأصول والروايات (لسبعين) بالياء. وهو ليس حديثًا لرسول الله ﷺ بل من كلام أبي هريرة بعد روايته لحديث النبي. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي(ت:٦٧٦هـ) ٧٢/٣ الطبعة الثانية:١٣٩٢هـ – دار إحياء التراث العربي ت بيروت.

[٩] منسوب لأبي داءود في كتاب الجيم أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني(ت:٢٠٦هـ)، تحقيق إبراهين الإبياري، ومراجعة: محمد خلف أحمد ٢٧١/١ د،ط، عام النشر: ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة. وغير منسوب في المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: خليل إبراهم جفال ٨٤/٣، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار إحياء التراث العربي – بيروت. وفي كلا المرجعين مروي برواية أخرى هي:[نَخال مَكاكِيَّه بالضُّحَى.. خِلَال الدَّقاريِّ شَرْبًا ثمالا].

وقول أبي نُخَيْلَة[1]:[من الرجز المشطور]

كَأَنَّ أُذْنَيْهِ إِذَاْ تَشَوَّفَا

قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَاْ

وقال آخر[2]:[من الوافر]

كَأَنَّ جُلُوْدَهُنَّ مُمَوَّهَاْتٍ ... عَلَىْ أَبْشَارِهَاْ ذَهَبًا زُلَاْلَاْ

٣. وحُكِيَ عن بَنِيْ تَمِيْم[3] أنَّهم ينصبون بـ (لعل)، فيقولون: لعلَّ زيدًا أخانا[4] .

٤. أجاز الكِسَائي[5]، والفَرّاء[6]، نَصْبَ الجزأين بـ "ليت" فقط، ونَقَلَ أبو حيان[7] عن ابنِ أصْبَغَ أنَّ الفَرّاءَ أجاز ذلك في "لعلَّ" و"كأنَّ" أيضًا، وعِلّةُ الفَرّاءِ في (ليت) تشبيهًا لها بِفِعْلِ التمنِّي، فقولُك: ليتَ زيدًا قائمًا، مثل: تَمَنَّيْتُ زيدًا قائمًا، وكأنه لَمَحَ فيه معنَى الفعلِ الذي نابَ الحرْفُ عنه. وجاء في المَثَلِ: ليْتَ القُسِيَّ كُلَّها أرْجُلًا[8]، ووَرَدَ المَثَلُ على لُغَةِ بنى تَمِيْمٍ بنَصْبِ الجزأين[9]، يُعْمِلُون "ليت" إعْمالَ "ظَنَّ"، فيقولون: ليْتَ زيدًا شاخصًا، كما يقولون: ظننْتُ زيدًا شاخصًا، حَكَىْ الكِسَائيُّ: ليْتَ الدَّجَاجَ مُذَبَّحَةً[10]، وهي لُغَةٌ لهم . قال ابنُ سَلاّم[11]: ((سَمِعْتُ أبا عَوْنٍ الحِرْمازيَ يقول: ليْتَ أباك منطلقًا، وليْتَ زيدًا قاعدًا، وأخبرني أبو يَعْلَى أنَّ منشأهُ بلادُ العَجَّاج فأخَذَهُ عنهم))[12]، واحتجَّ الفَرّاءُ بما رواه الكِسَائيَ مِن قول الشاعر[13]:[من الكامل]

---

[1] هو محمد بن ذؤيب الفقيمي العماني من مخضرمي الدولتين ومن شعراء الرشيد، وهما له في الخصائص ٤٣٠/٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٤١٨/١، وتخليص الشَوَاهِد ص: ١٧٣، وشرح الأشْمُونِي ١٣٥/١، والخزانة ٢٣٧/١٠.

[2] لذي الرمة في خزانة الأدب ٢٣٩/١٠.

[3] ينظر: التذييل والتكميل ٢٧/٥.

[4] ينظر: التذييل والتكميل ٢٧/٥، والهَمْع ٤٩٠/١.

[5] ينظر: التذييل والتكميل ٢٦/٥..

[6] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٤١٠/١، والتذييل والتكميل ٢٦/٥، والجنى الداني ص:٤٩٢.

[7] ينظر: التذييل والتكميل ٢٦/٥.

[8] ينظر: مجمع الأمثال ١٧٨/٢(م/٣٣٠٠. ويضرب للمتمني محالا.

[9] ينظر: خزانة الأدب ٢٣٦/١٠.

[10] ينظر: التذييل والتكميل ٣٠/٥، و الهَمْع ٤٩١/١

[11] **ابن سلاّم الجمحي:** أبو عبد الله محمد بن سلاّم بن عبيد الله الجمحي بالولاء، إمام في الأدب، من أهل البصرة، مات ببغداد سنة ٢٣٢هـ، وكان يقول بالقدر، فقال أهل الحديث: يكتب عنه الشعر أما الحديث فلا، له كنب منها (طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين) و(بيوتات العرب) و(غريب القُرْآن).

[12] ينظر: طبقات فحول الشعراء ٧٨/١– ٧٩

[13] للقطامي في ديوانه ص:٧، وغير منسوب في معاني الفَرّاء ٤١٠/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٩/٢،

لَيْتَ الشَّبَابَ هُوَ الرَّجِيْعَ عَلَى الْفَتَىْ ... والشَّيْبُ كَانَ هُوَ الْبَدِيْءُ الأوّلُ

وقال العجَّاجُ[1]:[من الرجز]

قَدْ طَرَّقْتْ لَيْلَىْ بِلَيْلٍ هَاْجِعًا ... يَاْ لَيْتَ أَيَّاْمَ الصِّبَاْ رَوَاْجِعَا

وقال آخر[2]: [مجزوء الرمل]

لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ دَهْرًا ... لَا نَرَىْ فِيْهِ عَرَيْبَاْ

وقال آخر:[من الرجز]

يَاْ لَيْتَهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ حِمَارَا ... لُؤْلُؤَةً فِي الدَّاْرِ أَوْ مِسْمَاْرَا

يريد: مسمارًا لمصحف. وقال آخر[3]:[من الوافر]

أَلَاَ يَا لَيْتَنِيْ حَجَرًا بِوَادٍ ... أَقَامَ وَلَيْتَ أُمَّيَ لَمْ تَلِدْنِي

وقال آخر[4]:[من الطويل]

فَيَاْ لَيْتَنِيْ إِذْ لَمْ تَجُوْدِيْ بِنَظْرَةٍ ... لِمَاْ بِيْ، وَلَيْتَ الْحُبَّ شَيْئًا مُحَرَّمَاْ

وقال آخر[5]:[من الوافر]

فَلَيْتَ غَدًا يَكُوْنُ غِرَاْرَ شَهْرٍ ... وَلَيْتَ الْيَوْمَ أَيَّاْمًا طِوَاْلَاْ

وقال آخر[6]:[من الطويل]

سُئِلْتَ، وَكَاْنَ الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً ... فَلَيْتَكَ ذَاْ لَوْنَيْنِ، يُعْطِيْ وَيَمْنَعُ

ووَرَدَ في الصحيحين على هذه اللُغَةِ قولُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ للرسول ﷺ: ((يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ..))[7] .

---

[1] للعجاج في ملحقات ديوانه ٣٠٦/٢، وطبقات فحول الشعراء ٧٨/١، وشرح الجمل لابن عصفور ٤١٩/١، وشرح عمدة الحافظ ص: ٤٣٤ديوانه ص: . وينسب لرؤبة في الكتاب ١٤٢/١، وشرح ابن يعيش ١٠٤/١.

[2] غير منسوب في المقتضب ٩٨/٣، ولسان العرب ٢١٢/٦(ليس)، وتاج العروس ٤٩١/١٦(ليس)، وكلها برواية: لَيْتَ هَذَا الليلَ شَهْرٌ.. لَا نَرى فِيهِ عريبا.

[3] غير منسوب في الهمع ٤٩١/١

[4] لم أعثر له على قائل.

[5] غير منسوب في مجالس ثعلب ص:٤٣ (المجلس/٥).

[6] لم أعثر له على قائل.

[7] صحيح البخاري ٧/١ كتاب: بدء الوحي (ح: ٣)، و١٧٣/٦ كتاب تفسير القُرْآن، باب "ما ودعك ربك وما قلى" (ح: ٤٩٥٣). و صحيح مسلم ١٣٩/١ كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (ح: ١٦٠) .

٥. قال أبو حيان[١]: سُمِعَ ذلك في خَبَرِ (إنَّ، وكأنَّ، ولعلَّ)، وكَثُرَ في خَبَرِ (ليت) حتى عَمِلَ عليه المولدون ولَمْ يُحْفَظْ في خبر (أنَّ) ولا في خبر (لكنَّ) أيٌّ شَوَاهِد[٢] .

ومنع الجُمْهُور[٣] مِن النُّحَاةِ نصْبَ الجزأين بهذه الأحرف، وتأوّلوا مَا وَرَدَ مِن شَوَاهِدَ لتستقيم مع قواعدِهم، ولكنْ اختلَفَتْ توجيهاتُهم لها، فذهبوا إلى أنَّ المنصوبَ الثاني حالٌ أو خبَرٌ لـ (كانَ) محذوفةٍ، أو على إضمارِ فِعْلٍ[٤]، والتقدير: يا لَيْتَ أيامَ الصبا أقْبَلَتْ رواجعًا، أو كُنَّ رواجعًا . وهو مذهب سِيْبَوَيْهِ كَقَوْلِه: أَلَاْ ماءً باردًا، كأنَّه قال: أَلَاْ ماءً لنا باردًا، أوكأنَّه قال: يا ليت لنا أيامَ الصبا، أو: يا ليت أيام الصبا أقْبَلَتْ رواجعًا[٥] فجُمْلَة (أقْبَلَتْ) هي الخبرُ المحذوفُ ورواجعًا حالٌ . هذا هو تأويلُ جُمْهُورِ البَصْرِيِيْنَ[٦] ومنهم سِيْبَوَيْهِ[٧]، وابنُ السّرَّاْجِ[٨]، والرماني[٩]، وابنُ يعيش[١٠]، وابنُ الحاجب[١١]، وابنُ مالك[١٢]، والرضي[١٣]، وابنُ هِشَامٍ[١٤]، وغيرهم .

وجَعَلَ الكِسَائيُ (رواجعًا) خبرًا لـ (كانَ) المحذوفةِ؛ لأنَّ (كان) تُسْتَعْمَلُ كثيرًا هنا[١٥]، قال تَعَاْلَىْ: ﴿يَاَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾[١٦]، وقال: ﴿يَاَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[١٧] وضَعَّفَهُ الرضي[١٨]، ورَدَّهُ ابنُ الحاجب[١]؛ لأنَّ إضمارَ (كانَ) ليس بقياسٍ .

---

[١] ينظر: ارتشاف الضرب ١٢٤٢/٣.

[٢] ينظر: خزانة الأدب ٢٣٥/١٠.

[٣] ينظر: الإيضاح لابن الحاجب ٢١٣/١ ـ ٢١٤، وشرح الكافية الشافية ٥١٦/١، والهَمْع ٤٩٠/١

[٤] ينظر: الهَمْع ٤٩١/١.

[٥] ينظر: الكتاب ١٤٢/٢.

[٦] ينظر: الإيضاح لابن الحاجب ص:٢١٣، وشرح الكافية للرضي ١٢٣٧/٢.

[٧] ينظر: الكتاب ١٤٢/٢

[٨] ينظر: الأصول لابن السّرَّاْج ٢٤٨/١

[٩] ينظر: كتاب معاني الحُرُوْف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني حققه وعلق عليه د/عبد الفتاح شلبي ص: ١٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة.

الرماني: علي بن عيسى الإخشيدي، من تلاميذ ابن السّرَّاْج وابن دريد، مولده ووفاته ببغداد توفي سنة ٣٨٤هـ، له (شرح كتاب سيبويه) و(شرح الأصول لابن السّرَّاْج)و التصريف) و(الخلاف بين سيبويه والمُبَرِّد) وغيرها.

[١٠] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٦٩/٤.

[١١] ينظر: الإيضاح لابن الحاجب ٢١٣/١ ـ ٢١٤

[١٢] ينظر:شرح الكافية الشافية ٥١٦/١ ـ ٥١٧

[١٣] ينظر: شرح الكافية للرضي ٣٣٨/٤

[١٤] ينظر: مغني اللبيب ٣٧/١

[١٥] ينظر: خزانة الأدب ٢٣٤/١٠.

١٦ النساء من الآية/٧٣

[١٧] الحافة/٢٧

[١٨] ينظر: شرح الكافية للرضي ١٢٣٧/٢.

نَصْبُ الجزأين بـ "إنَّ وأخواتها" لُغَةٌ عن العرب، ذَكَرَ ابنُ سلام أنَّها لُغَةُ رُؤْبَةَ وقومَهُ، وهم جماعة مِن بَنِيْ تَمِيْم، وحكى ذلك ابنُ سيدة أيضًا[٢] وهي حكاية ابنُ سلامٍ عن بَنِيْ تَمِيْم[٣] . وانقسم فيها النُّحَاةُ إلى ثلاثةِ مذاهب: أحدها: جواز النصب في جميعها، والثاني: اختصاص ذلك بـ (ليت)، والثالث: جواز ذلك في (كأنَّ وليت ولعلَّ).

ويُلَاحَظُ أنَّ ما تأوّلَهُ الجُمْهُورُ جَعَلَهُ السهيليُّ قياسًا؛ لأنَّ الناطق على قياسِ لُغَةٍ مُصِيبٌ غيرُ مخطئٍ . وإذا ثَبَتَ أنَّ ذلك لُغَةُ قومٍ بعينهم فلا حاجةَ إلى التأويلِ كما ذَكَرَ الشيخُ الدسوقي في حاشِيَتِهِ على "المُغْنِيْ"، إنَّما يُحْتَاجُ له إذا كانوا ينطقون بِرَفْعِ الخبرِ كثيرًا، وينصبونه قليلًا، فيُحْتَاجَ حينئذٍ للتأويلِ؛ لأجْلِ رَدِّها لوجهٍ واحدٍ، اللَّهم إلَّا أنْ يكونَ ثَبَتَ أنَّ هؤلاء الفِرْقةِ نَطَقَتْ بالأمرين[٤] .

ويرى الباحثُ أنَّ القَاعِدَةَ لَمْ تتأثرْ بهذه اللُغَةِ، والإجماعُ يكادُ ينعقدُ على قول الجُمْهُورِ في أنَّها تعملُ "عَكْسَ ما لِكَأنَ مِن عَمَل" . وليس ثمَّةَ اضْطِرَابٍ في القَاعِدَةِ النَّحْويّةِ سوى في (لَيْتَ)؛ فإنَّ شَوَاهِدَها بَلَغَتْ مِنَ الكثرةِ حدًّا لا يمكنُ تَجَاهُلَهُ، وهي أقربُ الأخواتِ إلى فِعْلِ التمنِّي، ونُعِيْدُ ما رأيناهُ في رسالتنا للماجستير[٥] أنَّ ورودَ نَصْبِ الجزأين بـ(ليْت) في أساليبَ ليستْ قليلةً دليلٌ على أنَّ النصبَ بها جائزٌ على لُغَةِ جماعةٍ مِن بَنِيْ تَمِيْم، وعلى رأْي القائلين بأنَّها لُغَةٌ نَرَى الجُمْلَةَ تامةً معنىً ولفظًا، فلا تحتاجُ إلى تقديرٍ أو تأويلٍ، وهذا مَنْهَجٌ وصفيٌّ سليمٌ يتعاملُ مع النصوص كما هي، وإنَّما الخلافُ في إعرابِ الجزأين .

ويبدو أنَّ اضْطِرَابًا حاصِلٌ داخلَ البيئةِ التَمِيْمِيِّةِ؛ لأنَّ هذا الأسلوبَ اللُغَوِيّ خاصٌ بقومِ رُؤْبَةَ فقط، وليس شائعًا في بيئة تَمِيْمٍ كلِّها ؛ إذ لَمْ يصلْ إلينا إلَّا هذه الأمثلةِ التي لا يمكنُ أنْ تكونَ دليلًا على استعمالٍ واسعٍ، وما بين أيدينا مِن أشعارِ التَمِيْمِيِّيْنَ توضِّحُ أنَّهم لَمْ يستعملوا هذا الأسلوبَ في أشعارهم[٦] . وقوْمُ رُؤْبَةَ مِن فصحاءِ العرب، وأرجازُهُمْ في صدارةِ الاحتجاجِ اللُغَوِيّ والنَّحْوي، الذين أخِذَتْ عنهم اللُغَةُ، وبِهِم يُقْتَدَىْ فيها[٧] .

---

[١] شرح المقدمة الكافية ابن الحاجب ٣/٩٧٥ ـ ٩٧٧

[٢] ينظر: شرح الأشْمُونِي ١/٢٩٤.

[٣] ينظر: ارتشاف الضرب ٣/١٢٤٢.

[٤] ينظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ١/٢٨٩

[٥] ينظر رسالة الباحث: الخلاف النحوي في شروح مفصل الزمخشري ص:١٥٤ – ١٥٦، مسألة (١٢): نصب الجزأين بـ(ليت).

[٦] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم للمطلبي ص: ٢٥٢، ٢٥٣.

[٧] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة بين ابن عقيل والسلسيلي ٢٢٩ – ٢٣٥.

الفصل الثالث:

باب الفعل

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْأَلَة (١): حَذْفُ حركةِ الرفعِ لغير عاملٍ

أفاضَ العلماءُ في بيان أنَّ العرب قد تَعْمَدُ إلى الإسكان تخفيفًا، وبَوَّبَ سِيْبَوَيْهِ لهذه اللُغَة مُعَنْوِنًا (باب ما يُسَكّنُ استخفافًا وهو في الأصْلِ متحركٌ) وذَكَرَ أنَّها لُغَةٌ، وَصَفَها بلُغَةِ مَنْ يُسَكّنُ العين مِن (فَخِذْ، وعَضُدْ) وهم بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وأناسٌ كثيرٌ مِن تَمِيْمٍ[١] . ونقل ابنُ جني[٢] عن ابنِ مجاهدٍ أنَّ حذْفَ علامةِ الإعْرَابِ لُغَةُ تَمِيْمٍ، وتحقيقُها لُغَةُ أهل الحِجَازِ، وعزاها الفَرّاءُ إلى تَمِيْمٍ وأسَدٍ[٣]، وعن الأخْفَشِ[٤] أنَّه سَمِعَ مِن العرب مَن يقول: جاءَتْ رُسُلْنا، بجزم اللام لكثرة الحركة، وذَكَرَ الهنائيُّ[٥] أنَّ العرب تَحْذِفُ الحركاتِ بشكلٍ عام إذا كَثُرَتْ استثقالًا لها وطلبًا للخفة[٦]، إنَّما يستثقلون كسرةً بعدَها ضَمّةٌ، أو ضَمّةً بعدها كسرةٌ، أو كَسْرَتينِ متواليتين، أو ضمَّتينِ متواليتين[٧] .

حروف اللُغَةِ العَرَبِيَّةِ عند اتصالها على ضربين: ساكنٍ ومتحركٍ . والحرف الساكنُ على نوعين:

أحدهما: ما أصْلُهُ في الاستعمالِ السكونُ، كالكاف مِن كَلِمَةِ (بَكْرٍ)، والراء في (بُرْدٍ) .

والأخر: ما أصْلُهُ في الاستعمالِ الحركةُ، وهو نوعان أيضًا:

الأول: ما تكُونُ حركتُهُ حركةَ بناءٍ، والآخر: ما تكُونُ حركةَ إعرابٍ .

ويَطْرَأُ على المتحرك التسْكينُ فيُسَكّنَ . فالأَوْلَى تسكينه على ضربين:

---

١ ينظر: الكتاب ١١٣/٤

٢ ينظر: المحتسب ١٠٩/١

٣ ينظر: النشر في القراءات العشر ٢١٣/٢

٤ ينظر: معاني القُرْآن: ٨٩/١..

٥ **الهنائي:** علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن: الشهير بـ(كراع النمل)، كان لُغَوِيًّا نحويًا من علماء مصر، خلط المذهبين، وأخذ عن النَّحْوِيِّيْنَ البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ، له كتب، منها «المنضد في اللُغَة" و"المنجد" و «أمثلة غريب اللُغَة» و «المصحّف» و «المنظم» و «الأوزان» توفي سنة ٣١٠هـ [معجم الأدباء ١٢/١٣، وإنباه الرواة ٢٤٠/٢، والأعلام]،

٦ ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ) تحقيق. د. محمد بن أحمد العمري ص: ٧١٥ – ٧٢٢ الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م – جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي).

٧ ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٢/٢.

أحدهما: أنْ يكُونَ الحرفُ المسكَّنُ في الكَلِمَةِ المفردة، نحو: فَخِذٍ، وكَتِفٍ، وعَضُدٍ .. فيخفَّفُ فيقال: فَخْذٌ، وكَتْفٌ، وعَضْدٌ[1] .

والآخر: أنْ يُسَكَّنَ على تشبِيْهِ المُنْفَصِلِ بالمُتَّصِلِ . فحركةُ البناءِ لا خلافَ في إسكانِها، وإنَّما الخلافُ في إسكانِ حركة الإعْرَابِ؛ لأنَّ الإعْرَابَ يدلُّ على المعاني، وحَذْفُ حركةِ الإعْرَابِ لغَيْرِ عاملٍ إخلالٌ بهذه القَاعِدَة[2] .

ويرى النحويون أنَّ الوقف، أي: السكوتُ عن مواصلةِ الكلام، هو مَظِنَّةُ حَذْفِ الحركة الإعْرَابية، وأنَّ هذه الحركةَ الإعْرَابيةَ – لِمَا لها مِن أثَرٍ في الدلالة على المعنى – لا ينبغي أنْ تُحْذَفَ .

وعَدَّ النُّحَاةُ ذلك مِن الضَّرُوْرَاتِ الشّعْرِيّةِ، قال سِيْبَوَيْهِ: ((وقد يجوز أنْ يُسَكِّنوا الحرف المَرْفُوعَ والمجرورَ في الشعْرِ، شَبَّهوا ذلك بكسْرةِ فَخِذٍ، حَيْثُ حَذَفوا، فقالوا: فَخْذٍ، وبِضَمَّةِ عَضُدٍ، حَيْثُ حَذَفوا، فقالوا: عَضْدٍ. وقد يُسَكِّنُ بعضُهم في الشعْرِ ويُشِمُّ، ومِن ذلك قول امرئ القيس[3]:[من السريع]

فـــاليَومَ أشْـــرَبْ غَيْـــرَ مُسْـــتَحْقِبٍ ... إثْمًـــــا مِـــــنَ الله ولا وَاغِـــــل))[4]

فقدْ سَكّنَ الشاعرُ آخر الفعل المضارع بإشْمامِ الباء شيئًا مِن الضَمِّ عند النُطْقِ، وَرَدَّ طائفة[5] مِن العلماءِ هذه الرواية، وقالوا: إنّ الروايةَ فيه "فاليوم أُسْقَىْ" أو "فاليوم فَاشْرَبْ"، ومِن العلماءِ الذين اشتهروا بِرَدّ روايةِ هذا البيت هو المُبَرِّدُ[6] . قال الزَّجَّاجُ: إنَّ الرواية الصحيحةَ ما رَوَى سِيْبَوَيْهِ، فإنَّه أضْبَطُ لِمَا روي عن أبي عمرو، ولو رأى سِيْبَوَيْهِ أنْ لا ضَيْرَ في تحريفِ النصوص لأقامَ مُعْوَجَّها، ولكنَّه لَمْ يكُنْ ليرويَ إلا ما سَمِعَ[7]، ويقول ابنُ جني في اعتراض المُبَرِّدِ على بيت الكتاب: ((وأمَّا اعتراضُ أبي العبّاس هنا على (الكتاب)، فإنّما هو على العرب، لا على صاحبِ

---

[1] ينظر: الخصائص ٣٤٠/٢

[2] ينظر: الحجة للقراء السبعة أبو علي الفارسي ٧٨/٢ . ٧٩.

[3] ديوان امرئ القيس ص:، والأصمعيات أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي(ت:٢١٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر– عبد السلام هارون ص:١٣٠، الطبعة السابعة: ١٩٩٣م، دار المعارف – مصر. وخزانة الأدب ٤٦٣/٣.

[4] الكتاب ٢٠٣/٤ – ٢٠٤

[5] ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ٩٨، وخزانة الأدب: ٥٣٠/٣، وديوان امرئ القيس ١٢٢، وروي في بعض نسخ الديوان ٤١٢ (فاليوم اشرب).

٦ الكامل المُبَرِّد ١٩٥/١ .

٧ معاني القُرْآن وإعرابه ١٣٦/١.

(الكتاب)؛ لأنَّه حكاهُ كما سمِعَهُ، ولا يمكِنُ في الوزن أيضًا غيرهُ، وقولُ أبي العبّاس إنّما الرواية: فاليوم فَاشْرَبْ"، فكأنّه قال لسِيْبَوَيْهِ: كذَبْتَ على العرب، ولَمْ تسْمَعْ ما حكيته عنهم، وإذا بَلَغَ الأمرُ هذا الحدّ مِن السَرَفِ فقد سَقَطَتْ كُلْفَةُ القول معه..))[1]، وقد دافع ابنُ جنّي عن رواية سِيْبَوَيْهِ رادًّا اعتراضَ المُبَرِّدِ، بقوله: ((واعتراض أبي العبّاس في هذا الموضع إنّما هو ردّ للرواية، وتَحَكُّمٌ على السَّمَاعِ بالشهوة، مُجَرّدٌ مِن النَّصْفَةِ، ونَفْسَهُ ظَلَمَ لا مَنْ جَعَلَهُ خَصْمَهُ . وهذا واضحٌ))[2] . فإنْ أسْكَنَ امرؤ القيس باء (أشْرَبْ) وخَالَفَ مقياسًا اسْتُنْبِطَ بعد موته، فتسكينه صحيحٌ لعلَّتين يراها ابنُ جني:

١. التخفيفُ بالتخلُّصِ مِن ثقْلِ الضَّمة[3].
٢. إجراءُ المُنْفَصِلِ مَجْرَى المُتَّصِلِ، فكأنَّهُ شَبَّهَ (رَ بُ غَ) بـ(عَضُدَ)[4].

فالمُبَرِّدُ يرى أنَّ طَرْدَ القَاعِدَةِ أمْرٌ لابُدَّ منه، وأنَّ الخروجَ عليها غلَطٌ يجبُ رَدُّهُ، ورَفْضُهُ لإسْكانِ باء (أشْرَبْ) يعود إلى ما استقَرَّ في عِلْمِ العَرَبِيَّةِ مِن أنَّ حركاتِ الإعْرَابِ لا يجوز حَذْفُها؛ لأنَّها دَخَلَتْ للفَرْقِ بين المعاني، وحَذْفُها يؤدِّي إلى اللَّبْسِ[5] . في حين عَلَّلَ الفارسيُّ حَذْفَها بسببِ التشبيهِ بحركةِ البناء، فقال: ((مَن زَعَمَ أنَّ حَذْفَ هذه الحركةِ لا يَجُوز مِن حَيْثُ كانتْ عَلَمًا للإعرابِ، فليس قولُهُ بمستقيمٍ؛ وذلك أنَّ حركاتِ الإعْرَابِ قد تُحْذَفُ لأشياء، ألَا ترى أنَّها تُحْذَفُ في الوقف، وحْذَفُ مِن الأَسْمَاء والأفعال المعتلّة. فلو كانت حركة الإعْرَابِ لا يجوز حذْفُها مِن حَيْثُ كانت دلالةُ الإعْرَابِ، لَمْ يجُزْ حذْفُها في هذه المواضع، فإذا جاز حذْفُها في هذه المواضع لعوارضَ تُعْرَضُ، جاز حذْفُها أيضًا في ما ذهب إليه سِيْبَوَيْهِ وهو التشبيهُ بحركة البناء))[6].

واعتذرَ بعض الباحثين[7] للمبرّدِ بأنَّه ربّما غَيَّرَ روايةَ البيتِ لِيَنْأَىْ بكلامِ امرئ القيس مِن اللحن؛ وأستندَ في هذا إلى ما نَبَّهَ عليْهِ عليُّ بنُ حمزة البصريّ مِن أنّ هذا البيت قد غَيَّرَهُ المُبَرِّدُ، وَرَدّ الزَّجَّاجُ على سِيْبَوَيْهِ مؤيّدًا للمبرّدِ، ولكنّهُ اعتذر عن سِيْبَوَيْهِ أنّه يروي ما يَسْمَعُ وقد ذَكَرَ

---

١ المحتسب ١/١١٠.
٢ الخصائص ١/٧٦.
٣ ينظر: الخصائص ٢/٣١٩ .
٤ ينظر: الخصائص ٢/٣٤٠ –٣٤١، ٣/٩٦ – ٩٨.
٥ ينظر: تفسير القرطبي ١٤/٣٥٨.
٦ الحجة لأبي علي الفارسي ٢/٨١ – ٨٢
٧ ينظر: ردود القدامى والمحدثين النَّحْويّة على سِيْبَوَيْهِ ص: ٣٢ رسالة تقدم بها الطالب: عبد الزهرة زبون حمود إلى كلية الآداب بالجامعة المستنصرية لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

سِيْبَوَيْهِ أنّ القياسَ غيْرَ الذي رَوَىَ[1]. وهذا الاعتذارُ مردودٌ بقولِ الأستاذ محمد عضيمة: ((كانتْ للمُبَرّدِ رَغْبَةٌ مُلِحَّةٌ في أنْ تجريَ المسائلُ على نظامٍ مستقيمٍ، وقياسٍ مطَّرِدٍ، فدَفَعَهُ ذلك إلى أنْ ينْكِرَ بعضَ الرواياتِ التي تخالفُ القياسَ العام، واستكثر مِن ذلك حتى عَرَّضَ نفْسَهُ لِنَقْدِ عليِّ بنِ حمزةَ في كتابه(التنبيه على اغاليط الرواة))[2] .

ونَذْكُرُ جُمْلَةً مِن الشَوَاهِدِ الشّعْرِيّةِ تؤكِّدُ كثرةَ استعمالهم لهذه اللُغَةِ في أشعارهم، أوّلُها ما استشهدَ به سِيْبَوَيْهِ في كتابه[3]:[من السريع]

رُحْتِ وَفِيْ رِجْلَيكِ مِاْ فِيْهِمَاْ ... وَقَدْ بَدَاْ هَنْكِ مِنَ الْمِئْزَرِ

وقال الشاعر[4]:[من البسيط]

فَقُلْتُ وَالمَرْءُ قَدْ تُخْطِئُهُ مُنْيَتُهْ ... أَدْنَىْ عَطِيَّتِهِ إيَّايَ مِئْيَاتُ

يريد: تخطِئُه، وقال آخر[5]:[من البسيط]

وَأَشْرَبُ المَاءَ مَا بِي نَحْوَهُ عَطَشٌ ... إِلَّا لِأَنَّ عُيُونَهْ سَالَ وَادِيهَا

أي: عيونهُ، وقال غيره[6]:[من السريع]

إِنْ كُنْتَ لَا تَشْرَبْ وَتَسْقِي كَمَا ... يَشْرَبْ وَيَسْقِي الأَكْرَمُ الأَكْرَمَا

أي: تشربُ، ومثله قول ابن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِيُّ[7]:[من الطويل]

عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ ... نَجَوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

أراد: يَا عَدَسُ، فحذف ياء النداء وضمَّةَ السين، ومثله[8]:[من البسيط]

---

[1] معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٣٦/١ – ١٣٧.

[2] المقتضب التحقيق ١١٧/١

[3] للأقيشر الأسَدي: وهو المغيرة بن عبد الله، وكان قد سكر فبدت عورته فضحكت منه امرأته فقال ذلك.

[4] غير منسوب في كتاب العين ٤٢٣/٨ (م ء ي).، ولسان العرب ٣١٥/٢(ضرج).

[5] غير منسوب في الخصائص ١٢٩/١، وسر صناعة الإعراب ٣٥٨/٣، والخزانة ٢٧٠/٥.

[6] لم أعثر له على قائل. وهو غير منسوب في المنتخب لكراع النمل ص:٧١٦.

[7] ينظر: الإنصاف ٥٨٩/٢(ش/٤٤٣)، وخزانة الأدب ٤١/٦، ٤٢، ٤٨، وغير منسوب في تخليص الشواهد ص:١٥٠(مسألة/٣٦)، وعبّاد هُوَ أَخُو عبيد الله بن زِيَاد الَّذِي قَاتل الْحُسَيْن بن عَليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما فِي كربلاء.

[8] منسوب ليعلي بن الأحول الأزدي في خزانة الأدب ٢٦٩/٥، ٢٧٥، ولسان العرب ٢٨٧/١٥ (مطا)، ٤٧٧ (ها)، وخزانة الأدب ٢٧٥/٥، وبلا نسبة في المقتضب ٣٩/١، ٢٦٧، والخصائص ١٢٩/١، ٣٧١، وسر صناعة الإعراب ٣٥٧/٢.

فَبِتُّ بِذَا البَيْتِ العَتِيقِ أَخِيلُهُ ... ومِطْوَايَ مُشْتَاقَانِ لَهْ أَرقَانِ

أي: لَهُ، ومثله قول الشاعر[1]:[من المديد]

خَلَّفَ العِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّى ... وَأَنَا بِالعِبْءِ لَهْ مُسْتَقِلُّ

أراد: لَهُ، ومثله قول عبيد بن الأبرص:[مخلع البسيط]

إِلَّا سَجِيَّاتُ مَاءِ القُلُوبِ ... وَكَمْ يَصِرْ شَانِئًا حَبِيبُ

فقال: يَصِرْ أي: يَصِيرُ، ومثله[2]:[من الطويل]

وَلَا بَلْ نَعَمْ هَا قَدْ تَبَدَّلتُ غَيْرَهَا ... فَمَنْ ذَا يُبَادِلْنِي بِقَلْبٍ إلى قَلْبِ

فجزم يُبَادِلْنِي، ومثله قول حمزة بن عبد المطلب:[من الطويل]

وَجَاءَ أُمُورٌ زَيَّنَتْهَا حُلُومُهُم ... لَهُمْ سَوْفَ تُوْرِدْهُمْ مِنَ الغَيِّ مَوْرِدَا

وقال عمرو بن العاص لمعاوية:[من السريع]

كُنَّا نُرَقِّعْهَا فَقَدْ مُزِّقَتْ ... واتَّسَعَ الخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ

أي: نرقعُها .

كلّ الشَوَاهِد وغيرها ذكرها كراع النمل في كتابه (المنتخب)[3]، ونَسَبَ لُغَةَ التسْكينِ إلى العرب عمومًا، ولعلَّهُ يقْصُدُ بهذا التعميمِ السَّعَةَ والكثْرَةَ ممَّا جاء مِن الشعْرِ في حذْفِ الضمة عنهم .

ومِن الشَوَاهِدِ القُرْآنيةِ لِحَذفِهِم الضمَّةَ لغير عاملٍ ما رواهُ أحمدُ بنُ واصلٍ[4] عن اليزيدي عن أبي عمرو، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾[5] بإسكانِ الميم[1]، ورَوَى ذلك أيضًا

[1] ينسب لتأبط شرًا في أساس البلاغة ٦٣٠/١(عبأ)، ونسب لابن أخت تأبط شرًا في العقد الفريد أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ) ٢٥٠/٣، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ونسب لخلف الأحمر في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص:٥٨٦، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣٤١/١-٣٤٢.

[2] لم أعثر له على قائل. وهو غير منسوب في المنتخب لكراع النمل ص:٧١٨.

[3] ينظر:.المنتخب ص: ٧١٥ – ٧٢٢.

[4] أحمد بن واصل البغدادي، روى القراءة عن اليزيدي والكِسَائي، وروى عنه ابنه محمد بن أحمد ابن واصل. (غاية النِهَايَة ١٤٧/١).

[5] هود من الآية/٢٨

الكِسَائيُّ، والفَرّاءُ. قال الفَرّاءُ: ((العرب تُسَكِّنُ الميمَ التي مِن اللزوم، فيقولون: أنلزمْكُمُوها؛ وذلك أنَّ الحركاتِ قد توالتْ فسُكِّنَتِ الميمُ لحركتها وحركتين بعدها، وأنَّها مَرْفُوعة))[٢]، وقد أَجْمَعَ الْبَصْرِيُّونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِسْكَانُ حَرَكَةِ الإِعْرَاب إِلَّا فِي ضَرُورَة الشِّعْرِ[٣]، وعدّ المُبَرِّد قراءة الإسكانِ لحنًا لِحَذْفِ حركة الإعْرَابِ منه[٤]، فحركةُ الإعْرَابِ لا يجوزُ حَذْفُها لإفادتها الفرق بين المعاني، وذهب الزَّجَّاجُ إلى أنَّه اختلاسٌ لَمْ يضْبِطْهُ عنه القراء[٥]، وتابَعَهُ الزمخشريُّ فلَمْ يُسَلِّمْ بصحَّةِ روايةِ السُّوسِي[٦]، لقراءة الإسكانِ المذكورة عن أبي عمرو، فقال: ((عن أبي عمرو إسكان الميم . وَوَجْهُهُ أَنَّ الْحَرَكَةَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا خِلْسَةً خَفِيفَةً، فَظَنَّهَا الرَّاوِي سُكُونًا. وَالْإِسْكَانُ الصَّرِيحُ لَحْنٌ عِنْدَ الخَلِيْل وَسِيْبَوَيْهِ وَحُذَّاقِ البَصْرِيِيْنَ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ الإِعْرَابيَّةَ لَا يَسُوغُ طَرْحُهَا إِلَّا فِي ضَرُورَة الشِّعْر))[٧] .

ويرى الباحثُ أنَّ ما قاله الزَّجَّاجُ، والزمخشريُ فيه نَظَرٌ؛ لأنَّ القراءَ يعملون بروايات توثَّقَتْ لديهم أسانيدُها، وهم أَجَلُّ مِن أنْ يَلْتَبِسَ عليهم الاختلاسُ بالسكون، وقراءة الإسكانِ مِن الظواهر المأثورة عن لُغَة تَمِيْمٍ، وأسَدٍ، ((فمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ أَئِمَّةَ الْقِرَاءَةِ يَنْقُلُونَ حُرُوفَ القُرْآن مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقٍ، وَلَا بَصِيرَةٍ، وَلَا تَوْقِيفٍ، فَقَدْ كَانَ ظَنَّ بِهِمْ مَا هُمْ مِنْهُ مُبَرَّءُونَ، وَعَنْهُ مُنَزَّهُونَ))[٨] . ومِن القراءات التي جاءت على هذه اللغةِ أيضًا:

- قراءة الأَعْمَش[٩]:﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُم﴾[١٠]، بإسكان الدال في (يعدْهم).

---

[١] ينظر: جامع البيان في القراءات السبع أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ١١٩٦/٣، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، طبع جامعة الشارقة للرسائل الجامعية.

[٢] معاني القُرْآن ١٣/٢.

[٣] ينظر: البحر المحيط ١٤٤/٦

٤ ينظر: النشر في لقراءات العشر ٢١٣/٢.

[٥] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٤٨/٣

٦ **السوسي:** صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبْرَاهِيم بن الجارود الملقب بالثقة مقْرِئ ضابط للقراءة ثقة أخذ القراءة عرضا وسماعا عن أبي محمد الزيدي وهو من أجلّ أصحابه، كما قرأ على حفص عن عاصم وروى القراءة عنه ابنه محمد وموسى بن جرير النحوي وأبو الحارث الطرسوسي، عاش ما يقرب من تسعين سنة، حَيْثُ ولد سنة ١٧٣ هـ وتوفي سنة ٢٦١ هـ. [الأعلام ٢٧٦/٣، وغاية النِهَايَة في طبقات القراء ٣٣٢/١].

٧ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله ٣٧٠/٢ الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ – دار الكتاب العربي – بيروت.

٨ النشر: ٢١٤/٢.

٩ ينظر: المحتسب ١٩٩/١.

١٠ النساء من الآية/١٢٠

- قراءة مَنْ قرأ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، بإسكانِ الراء المَرْفُوع تخفيفًا؛ لأنَّ فيه خروجًا مِن كَسْرٍ إلى ضَمٍّ[2].
- قراءة مَسْلَمَةَ بنِ محاربٍ[3]: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾[4]، بإسكانِ الدال في (يَعِدُكُمْ)؛ لتوالي الحركات وثقل الضمة .
- قراءة الحسن[5]: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[6]، ساكنة الثاء استثقالًا للضمَّةِ، كَقَوْلِ جرير[7]:[من البسيط]

سِيرُوا بَنِيْ الْعَمِّ فالأهْوَازُ منزِلُكُمْ ... وَنَهْرُ تِيرَىْ وَلَاْ تعرِفْكُمُ الْعَرَبُ

- حكى أبو زيدٍ قولَ تعالى: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[8] بسكون اللام تخفيفًا لثُقْلِ الضمَّةِ مع كثرة الحركات[9] .

وإنْ كان حديثُنا سابقًا عن حَذْفِ الضمَّةِ فيلزمُنا الحديثَ عن حَذْفِ نونِ الرفْعِ كذلك؛ لأنَّ نونَ الرفعِ نائبةٌ عن الضمَّةِ، وقد حُذِفتْ الضمَّةُ تخفيفًا كما ذكرنا؛ فحَذْفُ النونِ النائبةِ عنها تخفيفًا أَوْلَىْ، ولِيُؤْمَنَ بذلك تفضيلُ الفرعِ على الأصل[10] .

فمِن أشْهَرِ ما وَرَدَ في ذلك ما ذكرناه في بابِ اللحْنِ في الجاهلية ممَّا أنشده طَرَفَةُ بنُ العبد وهو صغيرٌ مِن أبيات، وهي قوله:[من الرجز]

يَالَكِ مِن قُبّرةٍ بِمَعْمَرِ ... خَلَا لكِ الجوُّ فَبِيْضِيْ واصْفُرِي

ونَقّرِي ما شِئْتِ أنْ تُنَقّرِي ... قد رُفِعَ الفَخُ فَمَاذا تَحْذَرِي

واللحن هنا في قوله (تَحْذَرِيْ) مكان (تَحْذَرِيْنَ) . فمِن حذْفِها النادرِ في الشعْرِ قولُ الراجز[1]:[من مشطور الرجز]

---

١ الأنعام من الآية/١٠٩.

٢ ينظر: المحتسب ٢٢٧/١.

٣ المرجع السابق ٢٧٣/١، وينظر: الدرّ المصون ٥٦٤/٥

٤ الأنفال من الآية/٧

٥ ينظر: المحتسب ٥٩/٢.

٦ طه من الآية/١١٣.

٧ ديوان جرير ص: ٤٩.وينظر: الخصائص ٧٤/١، ٣١٧/٢، ٣٤٠، والمحتسب ١١٠/١.

٨ الزخرف/٨٠

٩ ينظر: المحتسب ١٩٩/١، ٣٣٨/٢.

١٠ شرح التسهيل ناظر الجيش ٢٨٣/١ – ٢٨٥.

أَبِيْتُ أَسْرِيْ، وتَبِيْتِيْ تَدْلُكِيْ
وَجْهَكِ بالْعَنْبَرِ والمِسْكِ الذَّكِيْ

قال ابنُ منظور: حَذَفَ النُّونَ مِنْ (وتَبِيْتِيْ، وتَدْلُكِيْ) كَمَا تُحْذَفُ الْحَرَكَةُ لِلضَرُورَةِ[٢]، ومنه قول أبي طالب[٣]:[من الطويل]

فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ سَرَّهُمْ مَاْ صَنَعْتُمُ ... سَتَحْتَلِبُوْهَا لَاقِحِـًا غَيْرَ بَاْهِلِ

ومِن حذْفِها في النثر قراءةُ أبي عمروٍ مِن بعضِ طُرُقِهِ: ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾[٤]، بتشديد الظاء، أصْلُهُ (تتظاهران)، فأدْغِمَ، أي: قالوا (أنتما ساحران تَظَّاْهَرَا) . قال أبو حيان: مضارعٌ حُذِفَتْ منه النونُ، وقد جاء حذْفُها في قليلٍ مِن الكلام وفي الشعْرِ. و(ساحران) خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ، أي: أنتما ساحران تتظاهران[٥] .

وقول النبي ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا))[٦]. وفي صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا...))[٧]، قال الإمام النووي: وهي لُغَةٌ معروفةٌ صحيحةٌ[٨]، فلا مجال لإنكارها .

إنَّ مِنَ العرب مَن يُجْرِيْ المعتلَّ مَجْرَى الصحيح[٩]، فيقول: زيدٌ يَقْضِيُ ويمْشِيُ ويَغْزُوُ ويَدْعُوُ، فيحركُ آخرَهُ في حالِ الرفعِ، ولا يَحْذِفُ منه في حالِ الجزمِ إلَّا الحركةَ وحدها، ويَدَعُ الحرفَ، فيقول: زيدٌ لَمْ يقضي ولَمْ يمشي، بإثباتِ الياءِ، فيجعلُ حَذْفَ الحركةِ علامةً للجزمِ، وهي لُغَةٌ للعرب مشْهُوْرةٌ متفقٌ على حكايتها .

---

١ غير منسوب في الخصائص ٣٨٩/١، وشرح التسهيل ٥٣/١، وشَوَاهِد التوضيح ص: ١٧٣، والهَمْع ٢٠١/١، ولسان العرب ٤٢٦/١٠(دلك).

٢ ينظر: لسان العرب ابن منظور ٤٢٦/١٠(دلك).

٣ من قصيدة قالها عند ما تحالفت قُرَيْش وكتبت صحيفة علقتها في الكعبة تنص على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ومحاصرتهم في شعب أبي طالب (انظر القصيدة أيضا في خزانة الأدب: ٥٩/٢).

٤ القصص من الآية/٤٨

٥ ينظر: البحر المحيط ٣١٢/٨

٦ الحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩/٣(ح:١٤١٢)، ٤٣/٣(ح:١٤٣٠).

٧ صحيح مسلم من كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ٧٤/١ (ح/٥٤)

٨ ينظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ) ٣٦/٢ الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩ ينظر: الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص: ١٠٤، وينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المَسْألَة (٥): إجراء المعتل مجرى الصحيح.

وقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس في تفسيره لهذه الظاهرة مذهبًا بعيدًا، حَيْثُ جعَلَها دليلًا على إنكارِ الإِعْرَابِ في العَرَبِيَّةِ[1]، ولَمْ يفْطَنْ إلى أنَّ هذه الظاهرةَ لُغَةٌ خاصة تؤدي وظيفةً صوتية في لُغَةِ تَمِيْم[2] . وذهب الدكتور أحمد مختار عمر إلى أنَّ ظاهرةَ إهمالِ الإِعْرَابِ هذه ما هي إلَّا بقايا مِن اللُغَةِ العَرَبِيَّةِ في مراحِلِها الأُوْلى قبل أنْ تنضُجَ[3] .

الإسكانُ في العَرَبِيَّةِ أصَحُّ في النقلِ، وأكثرُ في الأداءِ، وهو لُغَةٌ ثابتةٌ أيضًا . ومَنْعُ المُبَرِّدِ له وطعْنُهُ في القراءةِ مردودٌ عليه، ووجْهُهَا في العَرَبِيَّةِ ظاهرٌ غيرُ منْكَرٍ، وهو التخفيفُ . وعزاه الفَرّاءُ إلى تَمِيْمٍ وأسَدٍ، وهما قبيلتان مِن القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ المنتقاةِ لِأَخْذِ اللُغَةِ عنها، ومقتضى ذلك إثباتُ هذه اللُغَة وفصاحتها، وقبولُ ما جاء مِن الشَوَاهِدِ، وعدمُ الحُكْمِ عليه بالضعفِ أو قَصْرِهِ على الضَرُورَةِ[4] . وإذا ثَبَتَ النقلُ عن أبي عمرو أنَّه لُغَةٌ كان ذلك حُجَّةً على المذهبين[5]؛ لأنَّ سماعَ شيءٍ مخالفٍ للقَاعِدَةِ لا يعني إسقاطَها، وإنَّما يقتضي تعديلُها لتستوعِبَه .

---

[1] ينظر: من أسرار اللُغَة د. إبْرَاهِيم أنيس ص: ٢٣٧ – ٢٣٩، ٢٦٢، ٢٦٣.

[2] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم للمطلبي ص: ٢٣٩.

[3] ينظر: البحث اللُغَوِيّ عند العرب أحمد مختار عمر ص:٨٢ –٨٣.

[4] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة نحوًا وصرفًا بين ابن عقيل والسلسيلي ص: ٥٦١

[5] ينظر: التذييل والتكميل ٢١٦/١، والنشر ٢١٣/٢.

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

مسألة (٢): الجَزْمُ بـ"كَيْفَ" غيْرُ مَسْمُوْعٍ

قال سِيْبَوَيْهِ: ((وسألْتُ الخَلِيْلَ عن قوله: كيف تَصْنَعْ أصْنَعْ. فقال: هي مستكرَهَةٌ وليستْ مِن حروفِ الجزاءِ، ومخرجها على الجزاء، لأنَّ معناها على أيِّ حالٍ تكُنْ أكُنْ))[١] .

(كيف) اسمٌ لدُخُوْلِ حرفِ الجرّ عليه، نحو: على كيفَ تَبِيْعُ الأحمَرَيْنِ، ولإبدالِ الاسم منه نحو: كيف أنت أصحيحٌ أمْ سقيمٍ؟[٢].

ذهب الكوفيون[٣]، وقُطْرُبٌ مِن البَصْرِيِيْنَ[٤]، إلى أنَّه يُجَازَىْ بـ"كيف" قياسًا على أخواتِها "متى" و"أينما"، بشرط أنْ يكون فِعْلُ الشرطِ وجوابُهُ متفِقَيْنِ في اللَّفْظِ وَالْمعْنَى غيرَ مجزومَيْنِ، نَحْو: كَيفَ تَصْنَعُ أصْنَعُ، فَلَا يجُوْزُ كَيْفَ تجْلِسُ أذهبُ بِاتِّفَاقٍ، وَلَا كَيْفَ تجْلِسْ أَجْلِسْ بِالْجَزْمِ عِنْد البَصْرِيِيْنَ[٥]، وقد ذهب البصريون[٦] إلى عدم المجازاة بها؛ لأنَّه لم يُسْمَعْ الجزمُ بها في السَّعَةِ، فلا يقال: كَيْفَ تكُنْ أكُنْ، وما وَرَدَ منها في الشعْرِ ضَرُورَةٌ، والضَرُورَةُ لا يقاسُ عليها، وأيضًا لمخالفتها لأدواتِ الشرط بوجوبِ موافقةِ جوابِها لشرطِها كما مَرَّ . وصحَّحَهُ ابنُ مالكٍ[٧]، واختاره الرضيُّ وعَدَّها ظرفًا بمعنى "على أيِّ حالٍ"[٨] . قال سِيْبَوَيْهِ: ((وسألْتُ الخَلِيْلَ عن قوله: كَيْفَ تَصْنَعْ أصْنَعْ. فقال: هي مستكرَهَةٌ وليستْ مِن حروفِ الجزاءِ، ومخرجُها على الجزاء؛ لأنَّ معناها على أيِّ حالٍ تكُنْ أكُنْ))[٩].

فالذين أجازوا المجازاةَ بها على ثلاثةِ أقوالٍ:

١. يجوز مطْلَقًا وهو قول الكُوْفِيِّيْنَ، وقُطْرُبٍ .
٢. يجوز بشرطِ أنْ يكونَ فِعْلُ الشرطِ وجوابُهُ متفِقَيْنِ في اللَّفْظِ وَالْمعْنَى، غيرَ مجزومَيْنِ، نَحْو: كَيفَ تَصْنَعُ أصْنَعُ، ونُسِبَ لسِيْبَوَيْهِ[١٠] .

---

[١] الكتاب ٦٠/٣.
[٢] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٧٠
[٣] ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ١٥٨٣/٣.
[٤] ينظر: الارتشاف ١٨٦٨/٤، ومغني اللبيب ص: ٢٧٠
[٥] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٧٠
[٦] ينظر: الإنصاف ٥٢٩/٢ (م/٩١).
[٧] ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ١٥٨٣/٣
[٨] ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣٧٤/١
[٩] الكتاب ٦٠/٣.
[١٠] ينظر: الارتشاف ١٨٦٨/٤، والهَمْع ٥٥٠/٢

٣. يجوز بِشَرْطِ اقترانِها بِـ(مَا)، ونُسِبَ للجَرْمِي .

والذين مَنَعُوا المجازاةَ بها، اختلفوا في ماهيتها:

١. فَعَدَّها سِيْبَوَيْهِ ظرفًا[١] .
٢. وعَدَّها السيرافيُّ، والأخْفَشُ اسمًا غيرَ ظرف[٢] .

كيف أدخل النُّحَاة (كيف) في الحُرُوْفِ الجازمةِ ولَمْ تَرِدْ فيها لُغَةٌ مسموعةٌ وموثوقةٌ؟ وما وَرَدَ منها مجردُ أبياتٍ قليلةٍ . ويتركون ما وَرَدَتْ فيه لُغَاتٌ عن العرب: كالجزم بـ "لن" وهو لُغَةٌ نقلها أبو عبيدة، والكِسَائيُّ، واللحياني . والجزم بـ "أنْ" وهو لُغَة لبَنِيْ الصباحِ مِن فصحاءِ العرب . والجزم بـ "إذا" وهي لُغَةٌ نقلها الفَرّاءُ[٣]، وعَدُّوْه مِن ضروراتِ الشعْرِ، رُغْمَ ورودِهِ كثيرًا في الشعْرِ[٤] . وعدمُ الاعتدادِ بها ضِمْنَ أدواتِ الشرطِ هو المذهبُ الذي صحَّحَهُ ابنُ مالكٍ[٥] .

---

[١] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٧٢

[٢] المرجع السابق ص: ٢٧٢.

[٣] ينظر: معاني الفرآن للفراء ١٥٨/٣.

[٤] ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ١٥٨٣/٣.

[٥] المرجع السابق ١٥٨٣/٣.

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْألَة (٣): هَلُـمَّ

اسمُ فِعْلِ أمْرٍ بمعنى (تَعَالَ، وهَاْتِ، وأقْبِلْ، واقْصُدْ)، وهي على العموم كَلِمَةُ دعوةٍ إلى شيء[١]، اختلَفَتْ لُغَاتُ العرب في استعمالها، ففي لُغَةِ أهلِ الحِجَازِ اسمُ فِعْلٍ بلفظٍ واحدٍ غيرِ متصرفة، ولا تتصلُ بها الضَّمَائِرُ، وفي لُغَة بَنِيْ تَمِيْم تُعَدُّ فعلًا وتتصلُ بها الضَّمَائِرُ، وقد تَدْخُلُ النونُ الخفيفةُ أوالثقيلةُ عليها.

(هَلُمَّ) عند الخَلِيْلِ وسِيْبَوَيْهِ[٢] مركبَّة مِن (ها + لُمَّ) ثُمَّ حُذِفَتْ الألفُ استخفافًا لكثرةِ الاستعمال، وهو قولُ البَصْرِيِيْنَ[٣]، وعليه أكثرُ النَّحْوِيِّيْنَ[٤]، وأصْلُها عند الفَرّاء[٥]، (هَلْ) للزجر و(أمّ) بمعنى "اقْصُدْ" فصارت (هَلْ أمَ)[٦]، أي: اعْجِلْ واقْصُدْ . ونُسِبَ هذا القولُ للكوفيين[٧]، ورَدَّهُ الأنْبَاريُّ[٨]، واستبعَدَهُ العُكْبُرِيّ[٩]، وأنكَرَهُ أبوعليّ الفارسي[١٠]. وأصْلُ (هَلُمَّ) عند مكِّيْ القيسي[١١] والأنْبَاري[١٢] (هَا + الْمُمْ)، فـ (ها) للتنبيه، و(الْمُمْ) معناه: اقْصُدْ إلينا.

وفي (هَلُمَّ) لغتان:

---

١ ينظر: العين (هلم) ٥٦/٤، وتهذيب اللُغَة ١٦٨/٦ (هلم).

٢ ينظر: الكتاب ٣٣٢/٣، ٥٢٩.

٣ ينظر: البحر المحيط ٤٦٣/٨، وشرح الأشْمُونِي ١٦٤/٤، وحاشية الصبان ٣٠٤/٣

٤ ينظر: المقتضب ٢٥/٣، و معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٣٠٣/٢، و معاني القُرْآن للنحاس ٥١٤/٢ – ٥١٥، ٣٠٨/٣، وإعراب القُرْآن للنحاس ٢١١/٣، والخصائص ٣٧/٣، و مشكل إعراب القُرْآن ٥٧٥/٢.

٥ ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٢٠٣/١.

٦ ينظر: الخصائص ٣٧/٣ – ٣٨، و الانصاف ٢٨٢/١.

٧ ينظر: الانصاف ٢٧٩/١ (م/٤٧)، والمفصل ص: ١٩٣، وشرح الأشْمُونِي ١٦٤/٤.

٨ ينظر: الانصاف ٢٨٢/١.

٩ ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٥٤٧/١.

١٠ ينظر: الخصائص ٣٨/٣.

١١ ينظر: مشكل إعراب القُرْآن ٥٧٥/٢.

مكي القيسي: هو مكي بن جحموش بن محمد القيسي، ولد بالقيروان سنة ٣٥٥هـ و بها نشأ ثم سافر إلى مصر ثم رجع إلى القيروان ثم خرج إلى مكة ثم إلى الأندلس فولي خطابة قرطبة و بها توفي سنة ٤٣٧هـ له (مشكل إعراب القُرْآن) و(الكشف عن وجوه القراءات السبع) و(الهداية إلى بلوغ النهاية) وغيره

١٢ ينظر: الانصاف ٢٨٢/١

الأولى: لُغَةُ أهل الحِجَاز[1]، أولُغَة أهل العالية[2]، وهي أعلى اللغتين[3]، وأكثرها في اللُغَات[4]، وبها نَزَلَ القُرْآن[5]، والأفْصَحُ عندهم[6]، ينطقونها بلفظٍ واحدٍ، فيقولون للواحدِ والاثنين والجماعة "هَلُمَّ"، ولا يُلْحِقون بها الضَّمَائِرَ، فتكونَ بهذا اسمَ فِعْلٍ[7]، واسْتُعْمِلَتْ بمعنى: (تَعَالَ، ائْتِ، واحْضُرْ، وأَقْبِلْ، وهَاتِ)[8]. وعُزِيَتْ أيضًا إلى عُقَيلٍ، وقيْسٍ مِن مُضَرٍ، وقيْسِ عَيْلان .

والأخرى: لُغَة بَنِيْ تَمِيْم[9]، وعُزِيَتْ إلى بَنِيْ سعدٍ[10]، وأهل نجْدٍ[11]، فهي عندهم فِعْلٌ كسائر الأفعال[12]، فيُلْحِقُون بها الضَّمَائِرَ، يقولون: هَلُمَّ، وهَلُمِّي، وهَلُمَّا، وهَلُمُّوا، وهَلْمُمْنَ، بمنزلة رُدَّ، ورُدِّي، ورُدَّا، ورُدُّوا، وارْدُدْنَ[13] . وقد اسْتُعْمِلَ لها مضارعٌ، حكاها ابنُ الأنْبَاري عن اللَّحْياني: وإذا قال لك رجل: هَلُمَّ، فأردْتَ أنْ تقول: لا أفعل، قلت: لا أهْلُمُ[14]. وحكى الأصْمَعِي: هَلُمَّ إلى كذا، فيقال: لا أهَلُمُ إليه، وهلمّ كذا، فيقال: لا أهَلُمُهُ[15]. قال ابن يعيش: وهو شاذ[16] .

ويُرْوَى أنَّ الرسول ﷺ استعمل هذه اللُغَة في كلامٍ له عند وفاته فقال: ((هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ))[17]، وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي

---

١ ينظر: الكتاب ٥٢٩/٣، والمقتضب ٢٥/٣، ٢٠٢، وإعراب القُرْآن للنحاس ٢١١/٣، ومعاني القُرْآن للنحاس ٥١٥/٢، و مشكل إعراب القُرْآن ٥٧٥/٢، والبحر المحيط: ٦٦٥/٤.

٢ ينظر: مجاز القُرْآن أبو عبيدة معمر بن المُثَنَّى التيمي البصري(ت: ٢٠٩هت) تحقيق: محمد فؤاد سزكين ٢٠٨/١ طبعة: ١٣٨١هـ – مكتبة الخانجي – القاهرة.

٣ ينظر: الخصائص ٣٨/٣.

٤ ينظر: تهذيب اللُغَة ١٦٨/٦، ولسان العرب ٦١٧/١٢ (هلم).

٥ ينظر: الخصائص ٣٨/٣، معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٣٠٣/٢، وتهذيب اللُغَة ١٦٨/٦.

٦ ينظر: مختار الصحاح ص: ٣٧٢ (هلم).

٧ ينظر: شرح الأشْمُونِي ١٦٣/٤.

٨ ينظر: المقتضب ٢٠٢/٣، والتبيان في إعراب القُرْآن ٥٤٧/١، وشرح الأشْمُونِي ١٠١/٣، و حاشية الصبان: ٣٠٥/٣.

٩ ينظر: الكتاب: ٥٢٩/٣، و المقتضب ٢٥/٣، ٢٠٣، و الخصائص ٣٨/٣، و البحر المحيط: ٦٦٥/٤.

١٠ ينظر: العين: (هلم) ٥٦/٤، وتهذيب اللُغَة ١٦٨/٦ (هلم)، ولسان العرب ٦١٨/١٢ (هلم) .

١١ مجاز القُرْآن ٢٠٨/١، ومعاني القُرْآن للنحاس ٥١٥/٢، مختار الصحاح ص: ٣٧٢ (هلم).

١٢ ينظر: المقتضب ٢٥/٣.

١٣ ينظر: الكتاب ٥٢٩/٣، و المقتضب ٢٥/٣.

١٤ المذكر والمؤنّث أبوبكر محمد بن القاسم الأنْبَاري(ت:٣٢٨هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مراجعة.د. رمضان عبد التواب ٣٣٣/٢، د.ط، سنة النشر ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، لجنة إحياء التراث، القاهرة، وينظر: شرح الأشْمُونِي ١٠١/٣.

١٥ ينظر: ارتشاف الضرب ٢٣٠٦/٥ – ٢٣٠٧.

١٦ ينظر: شرح ابن يعيش ٣٢/٣.

١٧ صحيح البخاري ٩/٦ (ح: ٤٤٣٢).

الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ))[1]، وهي هنا بمعنى: تَعَالَوا أو أَقْبِلُوا . وحكى ابنُ منظورٍ[2] متابعًا للأزهري[3] أنَّها تكون بمعنى "أعْطِ"، فقد ورُوِيَ عن عائشة بنتِ طلحة، عن عائشة أنَّ النبي ﷺ كان يأتيها فيقول: هل مِن شيء؟ فتقول: لا، فيقول: إنِّي صائمٌ . قالت: ثم أتاني يومًا فقال: هل مِن شيءٍ؟ قلت: حَيْسَةٌ. قال: هَلُمِّيْها . أي: هاتِيْها أعْطِينِيْها.

ففي لُغَةِ أهل الحِجَازِ تكون (هَلُمَّ) اسمَ فِعْلٍ، وتكون بلفظٍ واحدٍ للمفردِ والمُثَنَّى والجَمْعِ، المذكَّرِ والمُؤَنّث، نحوِ: هَلُمَّ يا رجلُ، وهَلُمَّ يا رجلان، وهَلُمَّ يا رجالُ، وهَلُمَّ يا امرأة، وهَلُمَّ يا امرأتان، وهَلُمَّ يا نسوةُ، بمنزلة (صَهْ، ومَهْ) وهو القياس[4]، فلا تتصرَّفُ تصرّفَ الفعل . وعلى هذه اللُغَة تتعدى (هَلُمَّ) بنفسها وبحرف الجر، نحو: هَلُمَّ زيدًا، أي: هاتِ زيدًا[5]، وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾[6]، عُدِّيَتْ بنفسها كما يتعدى فِعْلُ الأمر "احْضُرْ" . وفي قوله سبحانه: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[7]، عُدّيَتْ بحرف الجرّ كما يتعدى فِعْلُ الأمر "أقْبِلُوا إلينا أو تعالوا". وقد تتعدى عندهم باللام كَقَوْلِهم: هَلُمَّ للثريدِ، وهَلُمَّ الثريدَ[8]، ومِن استعمالات العرب إيصالُ (هَلُمَّ) بلام التبيين[9]، فيقولون: هَلُمَّ لك، ولكما، ولكم، وللنسوة: لَكُنَّ[10]، ولام التبيين لا تقع إلا بعد أسماء الأفعال والمصادر المنصوبة بأفعال مخزولة مضمرة لتبيّنَ مَن المدْعُو له بها، وذلك قولك: سقيًا، ورعيًا، ورحْبًا لك[11]، و"هَلُمَّ" لا يجوز فيها إلا الفتحُ على لُغَةِ أهل الحِجَاز[12]، ولا تتصلُ بها نونا التوكيد[13] .

---

١ صحيح البخاري ٨٦/٨ (ح: ٦٤٠٨).
٢ ينظر: لسان العرب ٦١٨/١٢ (هلم).
٣ ينظر: تهذيب اللُغَة ١٦٨/٦ (هلم).
٤ ينظر: شرح ابن يعيش ٣٠/٣.
٥ ينظر: الكتاب ٢٤١/١.
٦ الأنعام من الآية/١٥٠.
٧ الأحزاب من الآية/١٨
٨ ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ١١٠/٢.
٩ ينظر: مغني اللبيب ص:٢٩١ – ٢٩٣، وحاشية الصبان ٣٢٤/٢.
١٠ ينظر: الارتشاف ٢٣٠٦/٥، والمذكر والمُؤَنّث ابن الأنْبَاري ٣٣٢/٢.
١١ ينظر: اللامات الزَّجَّاجي ص:١٢٢.
١٢ ينظر: البحر المحيط: ٦٦٥/٤.
١٣ ينظر: الكتاب ٥٢٩/٣

أمَّا التَمِيْميون فأجْرَوْه مَجْرَى الفعل، فيغيرونه بقَدْر المخاطَبِ[1]، ولذا فهُمْ يصْرِفُونه مع الضَّمَائِر، فيقولون: هَلُمَّ يا رجلُ، وللاثنين: هَلُمَّا، وللجماعة: هَلُمُّوا، وللنساء: هَلْمُمْنَ؛ لأنَّ المعنى: الْمُمْنَ[2] . وقبوله على لغتهم نونَيْ التوكيدِ الخفيفةِ والثقيلةِ، فيقولون: هَلُمَّنَّ، بمنزلة رُدَّ، والهاء زائدة هنا[3] . فالتَمِيْميون راعُوا أصلَ (لُمَّ) قبْلَ التركيب وهو فعْلِيّتُها[4]، ولم يكترثوا بتركيبها مع "ها" التنبيه، فلَمْ يسلِّموا باسميتها، فضلًا على أنَّه قد وَرَدَتْ لها صِيْغَةُ مضارعٍ، وأسماء الأفعال لا تتصرف .

إنَّ الثابتَ والمُجْمَعَ عليه لدى جُمْهُورِ النُّحَاةِ في "هَلُمَّ" إلْحاقُ الضَّمَائِرَ بها في لُغَةِ تَمِيْمٍ، وإلزامُها صورةً واحدةً مع المخاطَبِ أيًا كان في لُغَةِ أهلِ الحِجَازِ . كما نرى شِبْهُ إجماعٍ في تقوية "هَلُمَّ" الحِجَازِيَّةِ على التَمِيْمِيَّةِ . ولعل اعتمادَهم في ذلك على أنَّها وَرَدَتْ في القُرْآن الكريم بلُغَةِ الحِجَازِ، ولَمْ تَرِدْ قراءةٌ ولو شاذةً بلُغَةِ تَمِيْمٍ . بل نرى الرضيَّ الاستراباذي رَمَى اللُّغَةَ التَمِيْمِيَّةَ في "هَلُمَّ" بعدم الفَصَاحَةِ مِن دون إبداءِ أيِّ تعليلٍ[5]، وذهب بعضُهم[6] إلى أنَّها لاتزال اسمَ فِعْلٍ في لُغَةِ تَمِيْمٍ، وهذا يخالف كثيرًا مِن النُّحَاةِ الذين صَرَّحوا بفعليتها في لُغَةِ تَمِيْمٍ، كالعُكْبُرِيّ[7]، وابنِ مالك[8]، وأبي حيان[9]، وابنِ هِشَامٍ[10]، والسَّيُوطِي[11]، والأشْمُونِي[12]، وغيرهم.

استدلَّ الدكتور علي أبو المكارم على تناقضِ النَّحْوِيِّيْنَ بين أصُولِهم وقواعِدِهم مِن تنوع مصادرِ الحُكْم النَّحويِّ فيها، وتَعَدُّدِه بتعدُّدِ اللَّهْجَاتِ المستوحَىْ منها[13] .

---

١ ينظر: الخصائص ٣٨/٣.
٢ ينظر: الكتاب ٥٢٩/٣، والمقتضب ٢٠٣/٣.
٣ المرجع السابق ٥٢٩/٣.
٤ ينظر: الخصائص ١٦٨/١.
٥ ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ٣١٤/٢.
٦ ينظر: شرح ابن يعيش ٣١/٣، وارتشاف الضرب ٢٣٠٦/٥.
٧ ينظر: اللباب ٨٩/٢.
٨ ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ١٣٩٠/٣.
٩ ينظر: البحر المحيط ٦٦٥/٤.
١٠ ينظر: شرح قطر الندى ص: ٢٦.
١١ ينظر: الهَمْع ١١٠/٣.
١٢ ينظر: شرح الأشْمُونِي ١٠١/٣.
١٣ ينظر: تقويم الفكر النحوي د. علي أبو المكارم ص: ١٨٦، تاريخ النشر ٢٠٠٥م، دار غريب للطباعة والنشر– القاهرة.

ويرى عددُ من الباحثين[1] أنَّ (هَلُمَّ) مَرَّتْ بمرحلتين: الأولى: ما جَرَتْ فيها مجرى الفعل فأُلْحِقَتْ بها الضَّمَائِرُ ونونا التوكيد . والثانية: مرحلة التطور حَيْثُ أَخَذَتْ صورة واحدة هو تَجَرُّدُها من الضَّمَائِرِ، وهي التي نَزَلَ بها القُرْآنُ الكريمُ .

ومهما يَكُنْ مِن شيءٍ فنَجِدُ أنفسنا أمام قاعدتين نحويتين لكُلٍّ أنصارُها، فإذا أخذنا بعين الاعتبار مَن شاركتْ قَبِيْلَةَ تَمِيْمٍ مِن القَبَائِلِ الأخرى، وهم أهلُ نَجْدٍ بصفةٍ عامةٍ، ولا غَرْوَ فتَمِيْمٌ كانت تقيْمُ بنَجْدٍ، بل تُعَدُّ أكبرَ القَبَائِلِ التي تَحُلّ به، وكثيرًا ما يُذْكَرُ نَجْدٍ ويُعْنَى به تَمِيْما كما أوضحنا سابقًا . بل نُسِبَ إلى أَبِي زيدٍ أنَّ إلْحاقَ الضَّمَائِرَ مِن لُغَةِ تَمِيْمٍ، وعليه أكثر العرب[2] .

[1] ينظر: لَهْجَة تَمِيْم للمطلبي ص:٢٣٣- ٢٣٦، ولُغَة تَمِيْم د. ضاحي عبد الباقي ص: ٤٩٠، واللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر ص: ١٥٨.

[2] ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت:٧٧٠هـ) ٦٣٩/٢ (هلم) – د.ت د.ط المكتبة العلمية – بيروت.

المبحث الأول: الإعْرَاب والبناء

المَسْأَلَة (٤): هَيْهَاتَ

في اللُغَةِ ألفاظُ يَدُلُّ الواحدُ منها على "فَعْلٍ" ما في زمنِهِ ومعناه وعمله، لكنَّه لا يَقْبَلُ العَلَامَةَ التي يَقْبَلُها ذلك الفعل، والتي تبيّنُ نوعَهُ ككلمة (هَيْهَاتَ) فإنَّه يَدُلُّ على الفعلِ الماضي "بَعُدَ" ويقوم مقامه في أداء معناه، وفي عمله وزمنه، ولكنَّه لا يقبلُ العلامة الخاصَّة بالفعلِ الماضي، كتاءِ التأنيثِ الساكنة، أو تاءِ الفاعل، ولَمْ يَرِدْ عن العرب وجودُ علامةٍ مِن العلامات الخاصةِ بالفعل الماضي في "هَيْهَاتَ"[١].

هذه الكَلِمَةُ تَلَاعَبَتْ بها العرب تلاعبًا كبيرًا بالحذْفِ، والإبدالِ، والتنوينِ، وغيره[٢]. وتَوَسَّعَ العرب في استعمالها، واختلفوا في نُطْقِ حركةِ بنائِها، وكَثُرتْ لُغَاتُها حتى وَصَلَتْ عند بعضهم إلى ما يزيدُ على أربعين لُغَةً[٣] . والغريب في ذلك الادِّعاءُ بأنَّه قد قُرِئَ بهِنَّ جميعًا[٤] . قال سِيْبَوَيْهِ: ((فإذا لَمْ يكنْ هَيْهَاتَ ولا هيهاة علمًا لشيءٍ، فهُمَا على حالِهما لا يُغَيِّرانِ عن الفتح والكسر))[٥] . والمشْهُوْرُ عن القراءِ والنَّحْوِيِّيْنَ[٦] في "هَيْهَاتَ" لغتان هما الفتحُ والكسْرُ بلا تنوينٍ، يُقْرأ بهما في القراءات المتواترة:

(هَيْهَاتَ) بالفتح:

بفَتْحِ التاءِ، قرأ بها أهلُ الحرمينِ، وأهلُ الكوفة[٧]، وهي قراءة العامة[٨] . عُزِيَتْ إلى أهل الحِجَاز[٩]، وهي لُغَةُ القُرْآنِ، قال تَعَالَىْ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[١٠]، وهي بمعنى (بَعُدَ، أوبعيدًا)[١]، وعليه قول الشاعر[٢]:[من الطويل]

---

[١] ينظر: النحو الوافي د. عباس حسن ١٤٠/٤.

[٢] ينظر: البحر المحيط ٥٦١/٧

[٣] وهي: هَيْهَاتَ، وأيهات، وهيهان، وأيهان، وهيهاه، وأيهاه. فهذه الست كل واحدة منها مضمومة الآخر ومفتوحة ومكسورة، منونة وغير منونة.وكذلك: أَيْهاكَ، وأَيْها، وإيها، وإيهاء، وهياتا بالألف. ينظر: المفصل ص: ٢٠١- ٢٠٣، وشرح ابن يعيش ٧٢/٣ – ٧٦، و الهَمْع:١٠٧/٣.

[٤] ينظر: شرح ابن يعيش ٧٢/٣- ٧٤.

[٥] الكتاب ٢٩٢/٣

[٦] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه الزَّجَّاج ١٢/٤، و مشكل إعراب القُرْآن ٥٠١/٢.

[٧] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٨٠/٣

[٨] ينظر: المحتسب: ٩١/٢.

[٩] ينظر: المفصل ص: ٢٠١- ٢٠٣، وشرح ابن يعيش ٧٢/٣ – ٧٦، والبحر المحيط ٥٦٠/٧.

[١٠] المؤمنون/٣٦.

فهَيْهَاتَ مِمَّنْ بِالْخَوَرْنَقِ دَارُهُ ... مُقِيْمٌ وَحَيٌّ سَائرٌ قَدْ تَنَجَّدَا

وقول آخر[٣]:[من الكامل]

أنّىْ تذكِّرُهَا وَغَمْرَةُ دُوْنَهَا ... هَيْهَاتَ بَطْنُ قَنَاْةَ مِنْ بَرَهُوْتِ

وقول جرير:

فهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ العَقيقُ وأَهْلُهُ ... وهَيْهَاتَ خِلٌّ بالْعَقِيْقِ نُواصِلُهْ

(هَيْهَاتِ) بالكسر:

قرأ بها أبو جَعْفَرَ الثقفيُّ المدنيُّ، وشَيْبَةُ[٤]، وعُزِيَتْ إلى أسَدٍ، وتَمِيْمٍ[٥] . ولغتا الفتْحِ والكسْرِ كثيرتان في القراءة[٦]، ويُلَاحَظُ أنَّ أبا جَعْفَرَ مَدَنِيٌّ حِجَازِيُ، وهذا يَعْنِيْ أنَّ لَهْجَةَ تَمِيْمٍ شاعَتْ في البيئةِ الحِجَاْزِيَّةِ.

والفَرْقُ بين الحركتين أنَّ الكسْرَ يدُلُّ عند أصحابه على الجَمْعِ[٧]، والفتْحُ يدُلُّ على المفرد لأنَّها واحدة[٨]، شبَّهُوها بحَذَامِ وقطامِ[٩]. وتعليلُ المُبَرِّدِ للفَرْقِ بين الحركتين فَمِنْهُمْ مَن يَجْعَلُهَا للواحدِ كـ (عَلْقَاْةَ)، وَمِنْهُم مَن يَجْعَلُهَا جمعًا كـ(بيضات)[١٠]، والكسرة إذا أردْتَ الجَمْعَ للْبِنَاءِ كالفتحةِ إذا أردْتَ الْوَاحِدَ . فمَنْ بَنَى على الكَسْرِ وقَفَ عليها بالتاء، ومَن بناها على الفتح وَقَفَ عليها بالهاء، وهو مذهب البَصْرِيِيْنَ[١١]؛ لأنَّها كهاء (أرْطَاةَ، وسَعْلَاة)[١٢].

وقد حُكِيَتْ لُغَاتٌ أخرى في (هَيْهَاتَ)، منها:

---

[١] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٢٣٥/٢، و معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٢/٤، وإعراب القُرْآن للنحاس ٨٠/٣

[٢] نسب لمعن بن أوس في لسان العرب ٢٤٨/٨ (فرع). وذكر د. أميل يعقوب أنه في ديوانه ص: ٣٧ [ينظر: معجم شَوَاهِد العَرَبِيَّة ١٧٨/٢].

[٣] نسب للنعمان بن بشير في تاج العروس ٣٤١/٣٦ (بره)،

[٤] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس: ٨٠/٣، والدر المصون ٣٣٨/٨،

[٥] ينظر: المفصل ص:٢٠٢، وشرح ابن يعيش ٧٢/٣، والبحر المحيط: ٥٦١/٧، وتوضيح المقاصد والمسالك ١١٦٣/٣.

[٦] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٢/٤.

[٧] ينظر معاني الأخْفَش ١٢/١، ومعاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٢/٤.

[٨] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٨٠/٣.

[٩] ينظر: تهذيب اللُغَة الأزهري ٢٥٦/٦.

١٠ ينظر: الكتاب ٢٩٢/٣، والمقتضب ١٨٢/٣

[١١] ينظر: مشكل إعراب القُرْآن ٥٠١/٢

[١٢] ينظر: المحتسب ٩١/٢.

(هَيْهَاتٌ، وهَيْهَاتٍ، وهَيْهَاتًا) بالتنوين:

قرأ عيسى بنُ عمر[١]، وخالدُ بنُ إلياس[٢] بكسْرِهِمَا مع التنوين . وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ شُرَيْحُ بن يزيدٍ الحضرمي من غير تنوين[٣] وَعَنْهُ عَنِ الْأَحْمَرِ بِالضَّمِّ وَالتَّنْوِينِ[٤] . أمَّا (هَيْهَاتًا) بالتنوين والفتح فلَمْ يَعْلَمِ الزَّجَّاجُ[٥] أحدًا قرأ بهما، ويَرْفُضُ القراءة بها . وهي قراءة هارون الأعرج[٦]عن أبي عمرو[٧] ونَسَبَها ابنُ عطيّة(ت:٥٤٢هـ) لخالد بن إلياس[٨] .

(هَيْهَاتْ) بالسكون:

قرأ عيسى الهمداني ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ ساكنة التاء، ورُوِيَتْ عن خارِجَةَ عن أبِي عمرو، والأعرج[٩]. وهي هنا للجماعة؛ بسببِ الوقوفِ عليها بالتاءِ، إذ لو كانت للمفرد لقيل (هَيْهَاه هَيْهَاه)، فبقاءُ التاء في الوقْفِ دليلٌ على أنَّها تاءُ الجماعةِ . ولعلَّ الأمثلَ أنْ يقال فيها إنَّها أُجْرِيَتْ في الوقفِ مَجْراها في الوصْلِ، كَقَوْلِنا: عليْهِ السلامُ والرحْمَتْ[١٠]، وهذا بابُهُ الضَرُورَة[١١].

أَيْهاتَ، وهَيْهاهْ،و أَيْهَاهُ ..

(هَيْهَاهْ) بالهاء آخرًا، وَصْلًا ووَقْفًا . و(أَيْهَاهُ) بإبْدَالِ الهمزة مِن الهاءِ الأُوْلى . و(أَيْهَاتَ) بإبْدَالِ الهاءِ همزةً مع فَتْحِ التاءِ، قرأ بها بعضُ القرَّاءِ فيما نَقَلَهُ أبو البقاء[١٢]. فهذه تِسْعُ لُغَاتٍ قد قُرِىءَ بها، ولَمْ يتواتَرْ منها غيرُ ما ذكرنا سابقًا.

حَكَى النحَّاسُ عن الكِسَائي أنَّ ناسًا كثيرًا مِن العرب يقولون "أَيْهَاتَ"، فَيُبْدِلون مِن الهاءِ همزةً، ويَجُوْزُ فيها ما جازَ في "هَيْهَاتَ" مِن اللُغَات[١٣] . وعزاها السَّيُوطِيُّ لأهلِ الحِجَازِ[١٤]. والهاء

---

١ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٨٠/٣، والمحتسب ٩٠/٢، البحر المحيط ٥٦١/٧

٢ ينظر: البحر المحيط ٥٦١/٧

٣ المرجع السابق ٥٦١/٧

٤ ينظر: المحتسب ٩٠/٢، والبحر المحيط ٥٦١/٧

٥ ينظر: معاني القُرْآن للزجاج ١٢/٤

٦ ينظر: شرح ابن يعيش ٧٤/٣.

٧ ينظر: البحر المحيط ٥٦٠/٧

٨ ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١٤٣/٤ .

٩ ينظر: المحتسب ٩٠/٢، وشرح ابن يعيش ٧٥/٣، والدر المصون ٣٣٨/٨.

١٠ ينظر: المحتسب ٩٠/٢

١١ ينظر: شرح ابن يعيش ٧٥/٣

١٢ ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٩٥٥/٢، والدر المصون ٣٣٨/٨.

١٣ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٨٠/٣، وشرح ابن يعيش ٧٢/٣.

١٤ ينظر: المَزْهَر للسيوطي ٢٣٩/٢.

والهمزة كِلاهُما مِن أقصَى الحلق[1]، قال الخَلِيْلُ: ولذلك استَخَفَّتِ العربُ إدخالَ الهاءِ على الألِفِ المقطوعة، يقال: أَرَاقَ وهَرَاقَ، وأيْهَاتَ وهَيْهَاتَ[2] . وقد استعْمَلَها عمَرُ بنُ الخطاب في كلامٍ له: أيهات أيهات[3] . وأنشَدُوا قول جرير[4]:[من الطويل]

فَأَيْهَاْتَ أَيْهَاْتَ الْعَقِيْقُ وَمَنْ بِهِ ... وَأَيْهَاْتَ وَصْلٌ بِالْعَقِيْقِ نُوَاصِلُهْ

ولجرير أيضًا[5]:[من الطويل]

أَيْهَاْتَ مَنْزِلُنَاْ بِنَعْفِ سُوَيْقَةٍ ... كَاْنَتْ مُبَاْرَكَةً مِنَ الْأَيَّاْمِ

ومنه قول رؤبة[6]:[من الرجز]

أَيْهَاْتَ مِنْهَا مَاْؤُهَا الْمَاْمُوْتُ

والذي يَظْهَرُ مِن (أَيْهَاْتَ) أنَّها مفردةٌ شائعةٌ في أشعارهم، حتى إنَّها وَرَدَتْ في شِعْرِ المُوَلَّدِينَ، كَقَوْلِ البحتريّ:[من الكامل]

لَنْ تُحْدِثَ الْأَيَّاْمُ لِيْ بَدَلًا بِهِمْ ... أَيْهَاْتَ مِنْ بَدَلٍ بِهِمْ أَيْهَاْتَ

هَيْهَاْنَ ..

بِجَعْلِ تائهاْ نونًا، يقول ابنُ يعيشَ: لمَّا اعتزموا التذكيرَ حَذَفُوا التاءَ منها، وعَوَّضُوا عنها بأنْ زادوا الألِفَ والنونَ اللَّتَيْنِ تكونان للتذكيْرِ في الصفات كـ "عَطْشان، وسَكْران"، فيكون "هَيْهَاْنَ" مذكّرًا و"هَيْهَاتَ" مُؤَنّثا. ويكون على وزْنِ "فَعْلانَ"، فيكون مِن معنى "هَيْهَاتَ" لا مِن لفْظِهِ، ولا يقال: النون بدلٌ مِن التاء؛ لأنَّاْ لا نَعْلَمُها أُبْدِلَتْ مِن التاء في موضع[7] .

---

[1] ينظر: المقتضب ١٤٠/٢.

[2] ينظر: العين ٣٤٩/٣.

[3] ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر ١٣/١ الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة.

[4] ينظر: ديوانه ص: ٣٨٥، وشرح ديوانه ص: ٤٧٩ تأليف محمد إسماعيل الصاوي ط. دار صعب، وغير منسوب في معاني الفرآن للفراء ٢٣٥/٢، ومعاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٣/٤،

[5] ينظر: ديوانه ص:٥١٢، وله "الكتاب" ٢٠٦/٤، و"شرح ابن يعيش" ٧٦/٣

[6] ينظر: ديوان رؤبة ص: ٢٥، ولسان العرب ٥/٢ (أمت)، وتاج العروس ٤٢٤/٤ (أمت)، وبلفظ (هيهات) في كتاب العين ١٤١/٨.

[7] ينظر: شرح ابن يعيش ٧٥/٣

قال الزمخشريُّ: ومِنْهُمْ مَن يَحْذِفُ التاءَ، ومِنْهُمْ مَنْ يُسَكّنُها، ومِنْهُمْ مَن يجعلها نونًا. وقد تُبْدَلُ هاؤها همزةً . ومِنْهُمْ مَن يقول: أيْهَاكَ، وأيْهَانَ، وأَيْهَا[1] . ونَصَّ النُّحَاةُ على أنَّها لُغَاتٌ لبعض العرب مِن دُوْنِ أنْ يحدِّدوا مناطقَ استعمالها . وأرَىْ صِحَّةَ ما ذهب إليه الدكتور هاشم طه شلاش مِن أنَّ تلك اللُغَاتِ انْقَرَضَتْ بظُهُورِ لُغَةِ القُرْآنِ الكريم، فلَمْ يَعُدْ لهذه اللُغَاتِ وجودٌ في الاستعمالِ اللُغَوِيّ المعاصِرِ، ولَم يبْقَ مِن تلك اللُغَاتِ إلَّا ما احتفَظَتْ به القراءاتُ القُرْآنيّةُ ومعجماتُ اللُغَة[2] ...

إنَّ كثرةَ هذه اللُغَاتِ وتعَدُّدَها في (هَيْهَاتَ) ربَّما يعُوْدُ إلى اتساع العرب في استعمالها وتلاعبهم بها، ولعلَّها مقصورةٌ على الشعْرِ دون النثر، والاضْطِرَابُ سيكون في إعراب الكَلِمَةِ؛ لعدم استقرار حركة آخرها، وتَلَاعُبِ العرب بها في النطق. قال ابنُ يعيش[3]: "هَيْهَاتَ" أصْلُها "هَيْهَيَة" ووزنه "فَعْلَلَةٌ" مِن باب "الزلْزَلَة"، قُلبَتْ ياؤه ألفًا لِتَحَرُّكِها وانفتاح ما قبلَها، فصارت "هَيهاة" كالضَّوْضَاة والقَوْقَاة، وتاؤه للتأنيث لَحِقَه عَلَمُ التأنيث، فعلى هذا تُبدِل من تائه هاء في الوقف كما تبدلها في "أَرْطاةٍ"، و"سِعْلاةٍ" .

والتنوين فيه على قولين: أحدهما: وهو قول الجُمْهُور[4] أنه فرق بين المعرفة والنكرة، فمن نوَّنَ أراد التنكير، أي: بعدًا بعدًا، ومن لم ينوِّن أراد التعريف، أي: البعد البعد لما توعدون[5].

والأخر: أنه تنوين تمكّن، وهي جائزة عند النحَّاس؛ لأنَّ التنوين في جمع المُؤَنّث لازم[6] .
ولابن جني رأي ثالث وهو أن تعريف "هَيْهَاتَ" لا يعتدّ به ؛ لأن هذه أسماء للأفعال والفعل لا يمكن تعريفه، فهو أقعد في التنكير وأبعد عن التعريف . كما إنها أصوات فهي في حكم الحُرُوْف، فالفعل أقرب إليها والاسم أبعد عنها ؛ لذا تأثرت بالأقرب وهو الفعل فسرى لها منه البناء، ولو كان أقرب إليها الاسم لسرى لها منه الإعْرَاب[7] .
<u>ووجه الرفع يحتمل أمرين:</u>

---

[1] ينظر: المفصل ص:٢٠٣، وشرح ابن يعيش ٧٤/٣، وتهذيب اللُغَة ٢٥٧/٦.
[2] ينظر: كَلِمَة في أسماء الأفعال (بحث) ص: ٢١٩ – ٢٢٠.
[3] ينظر: شرح ابن يعيش ٧٣/٣، والخصائص ٢٩٩/٢– ٣٠٠.
[4] ينظر: الكتاب ٣٠٢/٣، مشكل إعراب القُرْآن ٥٠١/٢، وشرح ابن يعيش ٧٤/٣، وشرح الرضي على الكافية ٧٧/٢.
٥ ينظر: المحتسب ٩١/٢.
٦ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٨٠/٣
[7] ينظر: الخصائص ٣٠١/٢ – ٣٠٣.

أحدهما: أن يكون اسمًا معربًا بمعنى "البعد" نُزِّلَ منزلة المصدر، وهو ظاهر عبارة الزَّجَّاج إذ قال ((فمن قال: هَيْهَاتَ ما قلت، فمعناه: البعد ما قلت، ومن قال: هَيْهَاتَ لما قلت،فمعناهُ: البعد لقولك .. فأمَّا مَنْ نَوَّنَ هَيْهَاتَ فجعلها نكرة، ويكون المعنى: بُعْدٌ لِمَا تُوعَدون.))[1]، وتابعه ابن عطيّة[2] في قراءة من ضمّ ونوّن جعله اسمًا معربًا مستقلًا، وخبره "لما توعدون" أي: البعد لوعدكم كما تقول النجاح لسعيكم، والخلف لموعدك[3]. وضعّفه العُكْبُرِيّ[4]، لأن تفسيره هذا ينبغي أن يجعل تفسير معنى لا تفسير إعراب[5] . وقول الزمخشري "فمن نونه نزله منزلة المصدر"[6]، قال أبو حيان: ليس بواضح، فلا نقول إنها إذا نونت تنزلت منزلة المصدر ؛ لأنهم قد نوّنوا أسماء الأفعال، ولأنه لم تثبت مصدرية "هَيْهَاتَ"[7] .

والآخر: أنه اسم فعل مبني على الضم كما بنيت "نحن"، وكما بنيت "حَوْبُ" لزجر الإبل، ثم اعتقد فيه التنكير فلحقه التنوين[8].

ووجه النصب يحتمل أمور:

الأول: "هَيْهَاتَ" اسمُ فعلٍ بمعنى (بَعُدَ)[9]،وفي بنائها سبع لُغَات: الضم والفتح والكسر، بالتنوين وبدون تنوين، والسكون[10] . وفي فاعله وجوه:

١. اسم ظاهر نحو: هَيْهَاتَ العقيقُ .
٢. ضَمِيْر مستتر جوازًا للغائب، قَدَّره أبو البقاء[11] هَيْهَاتَ التصديقُ أو الصحةُ لِما تُوْعَدون، وقدَّره غيرُه: بَعُدَ إخراجُكم، و «لِما تُوْعدون» للبيانِ[12] .
٣. فاعله "ما"، واللام زائدة، أي: بَعُدَ ما توعدون من البعث، وضعّفه أبو حيان؛ لأن اللام لم يُعْهَدْ زيادتُها في الفاعلِ[1].

---

١ معاني القُرْآن للزجاج ١٣/٤

٢ **ابن عطيّة:** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي. مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. توفي بلورقة سنة ٥٤١هـ وقيل ٥٤٢هـ وقيل ٥٤٦هـ. [الأعلام]

٣ ينظر: المحرر الوجيز ١٤٣/٤.

٤ ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٩٥٤/٢.

٥ ينظر: الدر المصون ٣٣٥/٨

٦ ينظر: الكشاف ١٨٧/٣

٧ ينظر: البحر المحيط ٥٦١/٧

٨ ينظر:المحتسب ٩١/٢.

٩ ينظر: توضيح المقاصد والمسالك للمرادي ١١٦٣/٣،

١٠ ينظر: التهذيب ٢٥٦/٦

١١ ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٩٥٤/٢.

١٢ ينظر: البحر المحيط ٥٦١/٧.

٤. منهم مَنْ جَعَل الفاعلَ محذوفًا لدلالةِ الكلامِ عليه وذلك عند اللام كهذه الآية، والتقدير: بَعُد الوجود لما توعدون[٢]، قل أبو حيان هذا ليس بجيد لأن فيه حذف الفاعل[٣] .

الثاني: ما حكاه ابن جني عن أبي علي في أحد قوليه أنها ظرف،ولا يمنعها ذلك أن تكون اسم فعلٍ أيضًا كـ"عندك، ودونك"[٤]. وهذا الرأي سبق به المُبَرِّد في المقتضب في باب "الاسم الذي تلحقه صوتا أعجميًا"، إذ زعم أنها ظرف غير متمكن وبنى لإبهامه، وتأويله عنده في البعد[٥]، فتكون "هَيْهَاتَ" خبرًا مقدمًا، واللام زائدة، و"ما" مبتدأ مؤخر والتقدير: ما توعدون مستقر في البعد.

وكل هذه التأويلات المتكلفة للنحاة ؛سببها تلاعب العرب بنطق الكَلِمَة وعدم استقرارها على حرف واحد .

---

١ المرجع السابق ٥٦١/٧.

٢ ينظر: المحرر الوجيز ١٤٣/٤

٣ ينظر: البحر المحيط ٥٦١/٧.

٤ ينظر: الخصائص ٢٠٧/١.

٥ ينظر: المقتضب ١٨٢/٣.

المبحث الثاني: التعدي واللزوم

المَسْأَلَة (١): إجراء القول مجرى الظن لُغَة

عامة العرب لا يجرون مادة القول وفروعها مجرى الظن في نصب المفعولين إن كان ما بعد القول جُمْلَة إلا إذا اجتمعت شروط سأذكرها بعد قليل، بل يوجبون الحكاية بها، والجُمْلَة بعد القول في موضع نصب مفعولًا به ؛ لأن ما بعد القول يقتضي إيراد الجُمْلَة بلفظها كما نطقت من المصدر، وليس نقل معناها . هذا هو الأصل في كلام العرب . ولكن بَنِيْ سليم وهم من قيس مثلت خروجًا عن الأصل حين أجازت إجراء القول مجرى الظن مطلقًا في لغتها .

استنبط النُّحَاة من كلام العرب شروطًا معيَّنة لفعل القول لكي يجري مجرى الظن، وذلك نحو قولك: أتقول زيدًا حاضرًا؟ فيعمل فعل القول (تقول) عمل (تظن) في نصب المفعولين، وللعرب في ذلك لغتان:

الأولى: أنَّه يجري القول مجرى الظن بشروط[١]، من أهمها:

١. أن يكون فعل القول مضارعًا .
٢. أن يكون للمخاطب .
٣. أن يتقدمه استفهام .
٤. ألاَّ يكون هناك فاصلٌ بين الاستفهام والفعل من غير ظرفٍ ولا مجرور ولا معمول فعلٍ. وعلى هذه الشروط أكثر كلام العرب حتى في أشعارهم .
٥. ذكره ابن مالك، وهو أن يكون المضارع للحاضر مقصودًا به الحال[٢]، واعترضه أبو حيان قائلًا: لم يشترط أصحابنا هذا الشرط[٣] .
٦. زاده السهيلي، وهو ألا يكون الفعل عُدّي باللام لمعمول نحو: أتقول لبكر: عمرو منطلق ؛ لأنه حينئذ يبعد عن معنى الظن[٤] .

فإذا اجتمعت هذه الشروط فإجراء القول مجرى الظن جائز لا واجب، والحكاية جائزة مراعاة للأصل .

---

[١] ينظر: شرح ابن يعيش ٣٢١/٤، والمقرّب ٢٩٥/١، وشرح شذور الذهب ٤٨٨/١، وشرح ابن عقيل ٥٩/٢، والهَمْع ٥٦٧/١، وشرح الأشْمُونِي ٣٧٥/١..

[٢] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٩٣/٢ – ٩٥، وتوضيح المقاصد والمسالك ٥٧٠/١، والهَمْع ٥٦٨/١.

[٣] ينظر: الارتشاف ٧٩/٣

[٤] المرجع السابق ٧٩/٣، وينظر: الهَمْع ٥٦٨/١.

والأخرى: عزيت إلى قَبِيْلَة سليم[1] وهم من قيس، فهم يجرون (القول) مجرى الظن في نصب المفعولين مطلقًا، من دون أن يتقيَّدوا بالشروط التي وضعها النُّحَاة سواء كان فعلًا ماضيًا، أو مضارعًا أو أمرًا، أو اسم فاعل، أو مصدرًا فيقولون: قلت زيدًا منطلقًا، وأعجبَنِيْ قولك عمرًا مقيمًا، وأنت قائل بشرًا كريمًا[2] وفي ذلك قال ابن مالك في الألفية:

وأجري القولَ كظنٍ مطلقًا عند سليمٍ نحو قل ذا مشفقا

وأنشد في الكافية الشافية:

والقول مطلقًا كظن عملا ... عند سليم، وعلى ذا حملا

إن أقدم إشارة وصلت إلينا عن لُغَة سُليم ما حكاه سِيْبَوَيْهِ عن الأخْفَش الأكبر بقوله: ((وزعم أبو الخطّاب – وسألته عنه غير مرَّة – أنَّ ناسًا من العرب يوثق بعربيتهم، وهم بنو سليم يجعلون باب "قُلْتُ" أجمع مثل "ظنَنْتُ"))[3]. ولم يزد أحدٌ من المتقدمين أو المتأخرين على نسبة سِيْبَوَيْهِ لهذه اللُغَة وكأنهم اكتفوا بنقل كلامه[4].

ويرفض بعض النُّحَاة[5] أن يوجد من مثل هذه اللُغَة شيءٌ في كتاب الله . وعدَّها أبو العلاء المعري(ت: ٤٤٩ هـ) لُغَة رديئة[6]، على الرغم من ورود شَوَاهِد شعريَّة كثيرة على هذه اللُغَة من شعراء ليسوا من قَبِيْلَة سليم، مما يؤكد أنَّ هذا الاستعمال ليس محصورًا في لُغَة سليم وحدها، بل شاع في عدد من اللُغَات العَرَبِيَّة القديمة[7]، ومن ذلك قول امرئ القيس[8]:[من الطويل]

إذا ما جرى شأوينِ وابتلَّ عطفه تقول هزيزَ الريحِ مرَّت بأثْأَبِ

أعمَلَ "تقول" عمل "تظن" من غير أن يتقدَّمه استفهام، ونصب المفعولين "هزيزَ الريح" و جُمْلَة "مرَّت بأثْأَبِ" .

---

١ ينظر: الكتاب ١٢٤/١، وشرح ابن يعيش ٣٢١/٤، وشرح ابن عقيل ٦١/٢،وشرح الأشْمُونِي ٣٧٨/١، وهَمْع الهَوَامِعِ ٥٦٦/١.

٢ ينظر: شرح الكافية الشافية ٥٦٧/٢

٣ الكتاب ١٢٤/١

٤ ينظر: شرح ابن يعيش ٣٢١/٤، والمقرّب ٢٩٥/١، وشرح شذور الذهب ٤٨٨/١، وشرح ابن عقيل ٥٩/٢، والهَمْع ٥٦٧/١، وشرح الأشْمُونِي على الألفية ٣٧٥/١.

٥ ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٥١/١

٦ ينظر: عبث الوليد ص: ١٢٣

٧ ينظر: لَهْجَة قَبِيْلَة سليم (بحث) ص: ٥٩٣.

٨ ينظر: ديوان امرئ القيس ص: ٤٩، وشرحه ص: ٥٣

واختلف نقل النُّحَاة عن بَنِيْ سليم، هل يجرونه مجرى "ظن" في العمل فقط دون المعنى أو لابدّ أن يتضمّن معنى الظن، على قولين:

الأول: وهو قول الجُمْهُور واختاره ابن جني[١]، فلا يعمل عمل الظن حتى يتضمن معناه عندهم، فإن لم يُضمّن معناه لا يعمل أصلًا، ولا تفتح همزة "إن" بعده[٢].

الثاني: وذهب الأعلم، وابن خروف[٣](ت:٦٠٩هـ)، وصاحب البسيط[٤] إلى أن القول يجري مجرى الظن مطلقًا في العمل دون المعنى وتجوز الحكاية، اجتمعت الشروط أم لا، نحو: أتقول زيد منطلق، وكذا في لُغَة سليم، ليس العمل عندهم متحتمًا بل جائزًا[٥] .

وذكر ابن مالك[٦] أن بَنِيْ سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقًا سواء كان فعلًا ماضيًا، أو مضارعًا أو أمرًا، أو اسم فاعل، أو مصدرًا نحو: قلت زيدًا منطلقًا، وأعجبَنِيْ قولك عمرًا مقيمًا، وأنت قائل بشرًا كريمًا. وعلى هذه اللُغَة تفتح "إن" بعد "قلت".

وعدّ أحد الباحثين[٧] هذه اللُغَة من تأثير اللُغَات اليمنية القديمة للقَبَائِل التي نزحت من جنوب الجزيرة إلى شمالها، مستندًا إلى أن بَنِيْ سليم هم بنو سليم بن قطرة بن غنم من أزد شنوءة من القحطانية[٨]، وهو ما تكشف عنه النصوص التي حكاها النحويون، فقد وردت في شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، قال:

علامَ تقول الرمحَ يثقل عاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرَّتِ

فأجرى القول مجرى الظن بالشروط المعروفة . وقال هدبة بن الخشرم العذري:

---

[١] ينظر: الارتشاف ٢١٣٩/٤.

[٢] ينظر: الهَمْع ٥٦٩/١.

[٣] **ابن خروف:** هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي عالم بالعَرَبِيَّة، أندلسي اشتهر بعنايته بكتاب سيبويه وشرحه وإقرائه له شرح على كتاب سيبويه سماه(تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب) وكان من أوائل الداعين إلى الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في مسائل النحو واللغة. وله(شرح الجمل للزجاجي) أقام في حلب زمانًا ثم اختل عقله ومات سنة ٦٠٩هـ تقريبًا.

[٤] (البسيط في النحو) لضياء الدين بن العلج محمد بن علي الأشبيلي، أقام باليمن وصنفه بها، كان يذكره أبو حيان في مصنفاته ويكثر النقل عنه.

[٥] ينظر: الارتشاف ٢١٣٩/٤

[٦] ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ٥٦٧/٢.

[٧] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتب إعراب القُرْآن حتى نِهَايَة القرن الخامس الهجري ص: ٨٢ رسالة تقدم بها الباحث منذر إبْرَاهِيم حسين إلى كلية الآداب بالجامعة المستنصرية لنيل درجة الدكتوراه سنة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

[٨] ينظر: نِهَايَة الأرب في معرفة أنساب العرب أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي(ت:٨١٢هـ) تحقيق: إبْرَاهِيم الإبياري ٢٩٥/١ الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م، دار الكتاب البناني– بيروت.

متى تقولُ القُلُصَ الرواسما يَحْمِلْنَ أمَّ قاسمٍ وقاسمًا

وقال عمر بن أبي رَبِيْعَة[1]:

أمّا الرَّحيلُ فدونَ بَعْدِ غَدٍ ... فَمتى تقولُ الدارَ تَجْمَعُنا

وقال الكميت[2]:[من الوافر[

أَجُهّالًا تَقول بنى لُؤَيٍّ ... لَعَمْرُ أَبيكَ أم متجاهلينا

ومن النثر ما حكاه الكِسَائي عن العرب: ((أَتَقُولُ لِلْعُمْيَانِ عَقْلًا))[3].

علَّقَ ابنُ مالك[4] على حديثٍ جاء القول فيه بمعنى الظنِّ وهو قوله (ﷺ) لمن أخبروه عن عائشة وحفصة و زينب – رضي الله عنهنَ – حين وجد أَخْبِيَتَهُنِّ في المسجد للاعتكاف فقال: ((آلْبِرَّ تَقُولُونَ بِهِنَّ؟))[5]. بالقول: (كلامٌ فيه اختصار وتقديره: البرَّ تقولون بهنَّ ما هو بيِّنٌ... وهذه همزة الاستفهام دخلت هنا على معنى التقرير والتوبيخ.

ستريح هذه اللُغَة كثيرًا من الباحثين الذين يجهلون الحكم في همزة "إن" بعد القول أهو الكسر أم الفتح؟ فعلى هذه اللُغَة تفتح همزة "إن" بعد القول من غير شروط[6]، وعلى لَهْجَة سليم جاء قول الحطَيِّئة[7]:[من الطويل]

إذا قلت أنِّي آيب أهلَ بلدَةٍ وضعت بها عنه الوليَّة بالهجرِ

أجرى "قلت" مجرى "ظننت"، ولم يستعمله استعمال الحكاية بدلالة فتح همزة "أنَّ"، ولو قصد الحكاية لكسر همزتها . ومنع الزَّجَّاج ذلك وأوجب الكسر فقال: ((هذه لُغَة لا يجوز أن يُوجَد شيءٌ مِنْهَا في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ولا يجوز قال أنه يقول إنها، لا يجوز إلا الكسر))[8].

---

[1] ينظر: ديوان عمر بن أبي رَبِيْعَة ص: ٣٩٣.، وله في الكتاب ١٢٤/١.

[2] له في الكتاب ١٢٣/١.

[3] هَمْع الهَوَامِعِ ٥٦٨/١

[4] ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح: ١٥١

[5] الموطأ مالك بن أنس بن مالك(ت:١٧٩هـ) تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ٤٥٤/٣(ح:٣٢٦/١١٢٨) الطبعة الأولى:١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات.

[6] ينظر: شرح الكافية الشافية ٥٦٧/٢، والبسيط في شرح جمل الزجاجي ص:٨١٨، والبحر المحيط ٢٢٦/١.

[7] ينظر: ديوان الحطَيِّئة ص: ٣٦٦

[8] معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٥١/١

ولكن هل بنو سُليم من القَبَائِل التي يستشهد بها؛ حَيْثُ تنتمي إلى اليمن، وهم بنو سليم بن قطرة بن غنم[1]، بطن من شنوءة من الأزد القحطانيين . ولا يستشهد بقَبَائِل اليمن لمجاورتهم الأحباش ومخالطتهم الفرس .. ولكن سِيْبَوَيْهِ وثق فصاحتهم ولغتهم بقوله ((أنَّ ناسًا من العرب يوثق بعربيتهم، وهم بنو سليم ...))[2] وهو قول لا يحتاج شرح، ولكنه يتناقض مع معيار الأخذ عن القَبَائِل .

لهذا يبدو للباحث أن سليم هنا هي المضرية العدنانية التي تنتهي إلى قيس عَيْلان وهم بنو سليم بن منصور[3]، وهي من القَبَائِل القيسيّة المشْهُوْرة بالفَصَاحَة كما قال عنهم سِيْبَوَيْهِ[4] . وليس كما ظن بعض الباحثين[5] أنها سليم القحطانية التي تنتمي إلى أزد شنوءة،لأن هؤلاء من اليمانية مما لا يحتج بشعرهم .

ومهما يكن من شيء فأكثر الشَوَاهِد التي ذكرت قد توافرت فيها الشروط التي وضعها النُّحَاة لإجراء القول مجرى الظن، وأغلب الظن أن لُغَة الإطلاق لم يرد عليه شعرٌ كثير إما لقلة شعراء هذه اللُغَة فلم يرد على لسانهم شيء وإما لعدم احتفال النُّحَاة بشَوَاهِدها رغم توثيق سِيْبَوَيْهِ لفَصَاحَة لغتها، وبالتالي سلمت القَاعِدَة النَّحْويّة من الاضْطِرَاب وبقيت ثابتة . ويذكر بعض الباحثين[6] أن فتح همزة(إنّ) بعد القول كان وجها جائزًا في العَرَبِيَّة في مرحلة من مراحل عمُرها، ونحن اليوم لا نقول بجواز هذا الوجه، ولكنّا لا نؤيد من يقول إنه خطأ .

---

[1] ينظر: نِهَايَة الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٩٥/١.

[2] الكتاب ١٢٤/١

[3] ينظر: نِهَايَة الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٩٥/١ .

[4] ينظر: الكتاب ١٢٤/١.

[5] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتب إعراب القُرْآن ص: ٨٢ .

[6] ينظر: لُغَات القَبَائِل في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه ص: ٩٤.

المبحث الثاني: التعدي واللزوم

المَسْأَلَة (٢): أفْعَالٌ تكون لازمة ومتعَدِّيَة

للفعل في العَرَبِيَّةِ تقسيماتٌ كثيرة: مِن حَيْثُ الصحة والاعتلال، ومِن حَيْثُ التَّمام والنقصان، ومِن حَيْثُ التجرُّدِ والزيادة، ومِن حَيْثُ التعدي واللزوم ومِن حَيْثُ الزمن، ومِن حَيْثُ الأبنية، وغير ذلك مما هو مبسوط في علم التصريف والنحو .

ويخصنا هنا تقسيمه من حَيْثُ التعدي واللزوم فنقول: الفعل ضربان: متعدٍّ، ولازم.

فالمتعدّي: هو المتجاوز أيْ الذي تَجَاوَزَ الفاعلَ إلى مفعولٍ به أو أكثر، وهو يصل إلى المفعول به من دون واسطةِ حرْفِ جرّ، ويسمّى متعديًا بنفسه، وواقعًا، ومتجاوزًا .

واللازم: وهو الذي لا يصلُ إلى المفعول به إلا بواسطةِ حرف جرّ ويسمّي أيضًا قاصرًا، أو متعديًا بحرف جرٍّ، وسمّي بذلك للُزُومِهِ فاعلَه فلم يتعدَّه إلى سواه، ولم يتجاوزه إلى غيره.

إنَّ الأصل في الأفعال التي تتعدَّى إلى مفعولها بحرف الجر بقاؤها كما سَمِعْتُ ؛ لأنَّها ضَعُفَتْ في الاستعمال فرفدوها بالحُرُوْف، وجعلوها مُوْصِلَة لتلك الأفعال[١]، قال ابن جني: ((ومِن الأفعالِ أفعالٌ ضَعُفَتْ عن تجاوز الفاعل إلى المفعول، فاحتاجت إلى أشياءَ تستعين بها على تناولها، والوصول إليها، وذلك نحو: عجبْتُ ومررْتُ وذهبْتُ، لو قلت: عجبْتُ زيدًا، ومررْتُ جَعْفَرًا، وذهبْتُ محمدًا، لم يَجُزْ ذلك، لضَعفِ هذه الأفعال في العُرْفِ والاستعمالِ عن إفضائها إلى هذه الأسماء))[٢] .

وما سُمِعَ مِن حذْفِ حرْفِ الجرِّ مع بعض الأفعال وتعديتها بنفسها لا يقاسُ عليها في عموم الكلام، وإنْ كان بنو دارم أو هُذَيْل يكْثُرُ في كلامِهِم حذْفُ تلك الحُرُوْفِ ونصْبُ الاسم بتعْدِيَة الفعل إليه، وهذا ظاهر قول سِيْبَوَيْهِ ((وليس كلُّ الفعل يفعل به هذا))[٣] وقال السيرافي: ((وليس كلُّ ما كان متعديًا بحرف جرٍّ جاز حذفه إلَّا ما كان مسموعًا مِن العرب سماعًا))[٤].

أجاز الفَرّاءُ[٥] تعديَةَ الأفعال مباشرة إلى المفعول به، وإنْ كان حقُّها أنْ تتعدَّى بحرف الجر؛ لأنَّهُ قد سُمِعَ عن العرب ولكنْ بقلةٍ قياسًا إلى تعديتِهِ بذِكْرِ حرف الجر. وعدَّهُ بعضُ النُّحَاةِ

---

[١] ينظر: سر صناعة الإعْرَاب ١٣٥/١.

[٢] المرجع السابق ١٣٥/١

[٣] الكتاب ٣٩/١.

[٤] شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٢٧٨/١

[٥] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩٢/١

المحدثين قياسيًا[1]، وعدَّه أخرون غيْرَ قياسِيّ ومنعوا محاكاته ؛ منعًا للخلْطِ بين الفعل اللازم والمتعدي؛ ودفعًا لفساد المعنى[2]، والحقيقة أنَّ حذْفَ حرف الجر الذي يتعدَّى الفعلُ بواسطته قد وَرَدَتْ عليه شَوَاهِدُ كثيرةٌ عن العرب، ولا حاجة لمثْلِ تلك الشبهاتِ التي قال بها النُّحَاةُ إذ المعنى في تمام الوضوح مع حذفها .

وعزا الدكتور عبدُ الجوادِ الطيِّبُ تعديةَ الفعلِ بحذف حرف الجر لهُذَيْلٍ[3]، وعزاها ابنُ يعيش لِبَنِيْ دارمٍ، وسواءٌ تعدّى الفعلُ بنفسه أو بحذف الجار على لُغَة بَنِيْ دارم أو هُذَيْل فهو نوعٌ مِن التطور الاستخدامي للُغَة، مَدْعَاتُهُ طلبُ الخِفَّة في تركيب الجُمْلَةِ، والانتقال مِن الكسْر إلى الفتح، والفتْحُ أخفُّ مِن الكسر[4]، ثم إنَّ طلبَ الخفة قد أثّر في الأفعال المتعدية بأحَدَ حروف الجرِّ فجعَلَها تتعدى بنفسها، كَقَوْلِهم: اخترْتُ الرجالَ زيدًا[5] .

وفي العَرَبِيَّةِ أفعالٌ كثيرةٌ استُعْمِلَتْ متعدية ولازمة سنذكُرُ فقط بعضًا منها؛ لنثبتَ مِن خلالها وجهة نظرنا في قصور مصطلح "التعدي واللزوم"، وعدم شموله شريحةً واسعةً مِن الأفعال، وهو نوعٌ مِن الاضْطِرَابِ في تحديد هويتها، وهي كثيرة[6]، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. الفعل (جاء):

الأصل في (جاء) أنْ يكون فعلًا كسائر الأفعال[7]، فمنهم مَن لا يجعله متعديًا، فيقول: جاء زيدٌ إلى عمروٍ، وجئتُ إليهِ . ومنهم مَن يعدّيْهِ فيقول: جاء زيدٌ عمرًا، وجئتُ فلانًا، وجئتنا جيئة مباركةً، وجاءكم الغيثُ[8] . وباللغتين جاء كلامُ الله، ولكنَّ أكثرَ ما في كتاب الله متعدٍّ كَقَوْلِه تَعَالَىْ: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[9] وقوله:﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[10] وقوله:

---

[1] ينظر: شذا العرف في فن الصَّرْف أحمد بن محمد الحملاوي(ت:١٣١٥هـ) تحقيق: نصرالله عبد الرحمن نصرالله ص:٣٨- ٣٩ د.ط، د.ت مكتبة الرشد- الرياض.

[2] ينظر: النحو الوافي د. عباس حسن ١٦١/٢- ١٦٢.

[3] ينظر: لُغَة هُذَيْل ص: ٣٤٩ وقد استشهد على نسبة تلك اللُغَة لهُذَيْل بقرابة اثني عشر بيتًا لشعراء هذليين.

[4] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ٢٦٢

[5] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠/٨

[6] ينظر: أدب الكاتب أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت:٢٧٦هـ) تحقيق: محمد الدالي ص:٤٥٤ د.ط، د.ت، مؤسسة الرسالة، والمَزْهَر ٢٣٦/٢

[7] ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣١٠/١

[8] ينظر: أساس البلاغة ١٦٢/١ (ج ي ء).

[9] الأحزاب من الآية/١٠

[10] النمل من الآية/٢٢

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1]، وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[2] . وقد جاء لازمًا في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[3]، وقيل بمعنى "حصل أو حدث"[4] . ويكْثُرُ في تعديته أنْ يتصِلَ به ضَمِيْرُ نصْبٍ .

٢. الفعل (مرّ):

مرَّ يمرُّ: إذا ذهب، مِن المرور[5]، وأكثرُ ما يكون لازمًا قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾[6] أي: استمرتْ به، قَعَدَتْ وقامَتْ لم يثقلْها[7]، وتقول: مررتُ بزيدٍ، ومررتُ برجلٍ معه صقر[8] . فهذه الباء ليست زائدة ؛ لأنه ليس مِن عادتِهم أنْ يقولوا:مررتُ زيدًا[9]، وهي حرفٌ يفيدُ الإضَافَة كأنك أضفْتَ مرورَكَ إلى زيدٍ بالباء[10] . وعند العطف على المجرور، فإن العرب قد نصبت ما عطفته على الجار والمجرور؛ لأنهما جميعًا منصوباالموضعِ، وذلك قولهم: مررْتُ بزيدٍ وعمرًا[11]، وهذا مستَعْمَلٌ لدى العرب، قال سِيْبَوَيْهِ: ((ولو قلت: مررتُ بعمروٍ وزيدًا لكان عربيًا، فكيف هذا؟ لأنه فِعلُ، والمجرور في موضع مفعول منصوب، ومعناه أتيْتُ ونحوها، تحمِلُ الاسم إذا كان العاملُ الأولُ فعلًا وكان المجرور في موضع المنصوب على فعلٍ لا ينقض المعنى))[12]. لهذا قال سِيْبَوَيْهِ: إنك إذا قلت: مررْتُ بزيدٍ، فكأنك قلتَ: مررْتُ زيدًا، تريد بذلك أنه لولا الباء الجارة لانتصب زيدٌ، وعد ابْن عُصْفُور حذف الْجَار وإيصال الْفِعْل إِلَيْهِ ضَرُورَة. على أنه حُكِيَ عن ابنِ الإِعْرَابيِّ قولُهم: "مررْتُ زيدًا" وهذا شاذ[13] .

---

[1] الحجرات من الآية/٦

[2] النساء من الآية/٩٠

[3] النصر/١

[4] ينظر: تاج العروس ١٨٢/١ (جيأ).

[5] ينظر: تهذيب اللُغَة ١٤٢/١٥ (م ر)

[6] الأعراف من الآية/١٨٩.

[7] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٤٠٠/١، وتهذيب اللُغَة ١٤٣/١٥ (م ر).

[8] ينظر: الكتاب ٥٠/٢.

[9] ينظر: سر صناعة الإعْرَاب ١٣٣/١.

[10] المرجع السابق ١٣٤/١.

[11] ينظر: سر صناعة الإعْرَاب ١٤٠/١

[12] الكتاب ٩٦/١.

[13] ينظر: سر صناعة الإعْرَاب ١٣٥/١، ١٤٠.

وقد جاء متعديًا نحو قولك: مررْتُ المسجدَ فصلّيْتُ، بمعنى "أتيت"، وقال جرير[1]:[من الوافر]

تَمرُّونَ الدِّيارَ وَلمْ تَعُوجُوا ... كَلامُكُمُ علَّي إذًا حَرامُ

٣. الفعل (دخل)[2]

اختلف النُّحَاة في قولهم: دخلتُ البيتَ، هل هو متعد أو غير متعد؛ والسبب يعود لاستعمال العرب له بغير حرف الجر في كثير من المواضع[3] في المَسْأَلَة قولان:

الأول: قول سِيْبَوَيْهِ أن (دخل) من الأفعال اللازمة[4]، ولا يتعدى بنفسه بل بحرف الجر (فى)، وقد يحذف حرف الجر وينصب ما بعدها، قال سِيْبَوَيْهِ: ((قولَهم: دَخَلتُ البيتَ، إنَّما معناه دخلتُ فى البيت))[5] . ففي قوله تَعَالَىْ: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾[6]، عِندَهُ الصَّرح نَصِبَ بـ (إلى) أو بـ (في) المحذوفة[7] . وورد في كتاب الله في قوله تَعَالَىْ: ((ادخلوا في السلم كافة)) وقوله تَعَالَىْ ((ادخلوا في أمم قد خالت من قبلكم)). وتابعه ابن السّرَّاْج[8] .

والآخر: إن (دخل) يتعدى بنفسه، وتارة بحرف الجر تارة أخرى: تقول دخلت الدارَ، ودخلت في الدارِ . قال المُبَرِّد ((فَأَما دخلت الْبَيْت فَإِن الْبَيْت مفعول ... فهو في التعدي كَقَوْلِك عمرتُ الدارَ وهدمتُ الدارَ وأصلحتُ الدارَ))[9] والذى حمله على ذلك اطراد وصول (دخلت) إلى ما بعدها بنفسها، نحو: دخلت المسجد، ودخلت الغرفة، فجعلها من قبيل ما يتعدى بنفسه . ونسب ابن الشجري(ت:٥٤٢هـ) هذا الرأي للجرمي[10]، ونسبه ابن عصفور[11] لأبي الحسن الأَخْفَش[1]، وهو

---

[1] ديوان جرير ص:٢٧٨، وله في خزانة الأدب ١١٨/٩، ١١٩، ١٢١، وشرح الشواهد المغني ٣١١/١، ولسان العرب ١٦٥/٥ (مرر)، والمقاصد النحويّة ٩٩٨/٢، وبلا نسبة في رصف المباني ص: ٢٤٧، وشرح ابن عقيل ص: ٢٧٢، وشرح المفصّل ٤٥٥/٤، وهمع الهوامع ١٦/٣.

٢ ينظر: الانتصار لابن ولاد ص: ٤٦ – ٤٧ (مسألة/٣).

٣ ينظر: الأصول لابن السّرَّاْج ١٧٠/١.

٤ ينظر: اللباب في علل البناء والإعْرَاب ٢٧٣/١.

٥ الكتاب ١٥٩/١.

٦ النمل من الآية/٤٤.

٧ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٤٦/٣،

٨ ينظر: الأصول ١٧٠/١.

٩ المقتضب ٣٣٧/٤ – ٣٣٩.

١٠ ينظر: أمالي ابن الشجري ١٣٨/٢.

١١ ينظر: شرح جمل الزَّجَّاجي لابن ٣٠٨/١.

قول الزمخشري[٢]، وعدّه أبو حيان لُغَة لبعض العرب[٣]، تقول: ادخلْ الدارَ .وورد متعديًا في كتاب الله،كَقَوْلِه تَعَالَىْ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾[٤]، وقال عز وجل: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾[٥]، وقوله تَعَالَىْ ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[٦]، وقوله تَعَالَىْ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾[٧] .

٤. الفعل (سَفِهَ)..

ذكر تعديته الأَخْفَش[٨] والزَّجَّاج[٩]، وكلاهما نقل عن يونس أنها لُغَة، وعليها قوله تَعَالَىْ: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[١٠]، قال الزَّجَّاج: والقول الجَيِّد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل[١١]، يعني على التضمين . وأيّد د. محمد حسن عوّاد هذا التأويل فقال: ((فالفعل "سفه" إذا كان بمعنى "خفّ و طاش" فهو لازم، وإذا كان بمعنى "جهِل" بكسر الهاء فهو متعد)) وبهذا نستطيع التخلص من القول بالتضمين، ونستطيع القول إن بعض الأفعال تكون متعدية مرة، ولازمة أخرى، وذلك من خلال الرجوع إلى لُغَات العرب فبعضها يستخدمه متعديًا وبعضها يستخدمه لازمًا[١٢] .

٥. الفعل (شكر)

كنت أعتقد الفعل (شكر) متعدّيًا، حتى اطلعت على قول الفَرّاء: ((العرب لا تكاد تقول: شكرتك، إنما تقول شكرتُ لك))[١٣]، على أن قوله "لا تكاد" لا يعني الخطأ واللحن، وإنما يقصد الأفْصَح أن تقول: شكرت له، وعليه نزل القُرْآن، قال تَعَالَىْ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[١٤] وقال

---

[١] **الأَخْفَش الأصغر**: أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل الأَخْفَش الأصغر، أخذ عن المُبَرِّد وثعلب و اليزيدي، خرج إلى حلب، وكان ضيق الحال ثم رجع إلى بغداد و بها توفي سنة ٣١٥هـ. له(شرح كتاب سيبويه) و(الأنواء) و(التثنية والجَمْع).

[٢] ينظر: المفصل ص: ٣٨٨.

[٣] ينظر: الارتشاف ٧٢١/٢.

[٤] الأعراف من الآية/٤٩، النحل من الآية/٣٢، الزخرف من الآية/٧٠

[٥] الزمر من الآية/٧٢، غافر من الآية/٧٦

[٦] الفتح من الآية/٢٧

[٧] آل عمران من الآية/٣٧

[٨] ينظر: معاني القُرْآن للأخفش ١٥٧/١

[٩] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٢٠٩/١.

[١٠] البقرة من الآية/١٣٠

[١١] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٢١١/١.

[١٢] ينظر: لُغَات القَبَائِل في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه ص: ١٠٩

[١٣] معاني القُرْآن للفراء ٩٢/١

[١٤] لقمان من الآية/١٤

عز وجل: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾[1]، وقال: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾[2] لم يقل: واشكروه، رغم خفتها وسهولتها على اللسان . ورغم من الفصيح أيضًا قولك: شكرته، حَيْثُ نطق به الرسول ﷺ "لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"[3]. ومن الشَوَاهِد ما أورده الفَرّاء في قول الشاعر[4]:[من الطويل]

هُمُ جَمَّعُوا بُؤْسَى وَنُعْمَىْ عَلَيْكُمُ ... فَهَلاّ شَكَرْتَ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ نُقَاتِلُ

فقال: والمعنى "شكرتَ للقوم" لأن الفَرّاء يأخذ بالأفْصَح .

٦. الفعل: (حَذِرَ)

في قوله تَعَالَىْ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾[5]، جوّز سِيْبَوَيْهِ تعدية (حَذِرَ) مباشرة فذهب إلى جواز كون قوله تَعَالَىْ: (أَنْ تُنَزّلَ) في موضع نصب على أنها مفعول ؛ لأنه أجازَ: حذرتُ زيدًا، وأنشد لذلك[6]:[من الكامل]

حَذِرٌ أُمُورًا لا تُخافُ وآمِنٌ ما لَيْسَ مُنْجيه مَنْ الأَقْدارِ

وهذا عند المُبَرِّد[7] غلط من سِيْبَوَيْهِ، إذ لا يجوز عنده: أنا حذرٌ زيدًا ؛ لأن (حذر) إنما هي من هيئات النفس فلا يتعدى[8] . والصحيح عنده (تُنَزَّلَ) على اسقاط الخافض أي مِن أنْ تُنَزَلَ[9] .

وقد طَعَنَ المُبَرِّد بشاهد سِيْبَوَيْهِ وهو عنده موضوع مُحْدَث[10] قال أبو جَعْفَر النحَّاس: ((حدثنا علي بن سليمان، قال: سَمِعْتُ محمد بن يزيد يقول حَدّثني أبو عثمان المازني قال: قال لي اللاحقي لقيني سِيْبَوَيْهِ، فقال: أتعرفُ في اعمالِ فعل شعرًا؟ ولم أكن احفظ في ذلك: حَذِرٌ أُمَورًا لا تَضيرُ وآمنٌ))[11] .

---

[1] سبأ من الآية/١٥

[2] العنكبوت من الآية/١٧

[3] ينظر: مسند أحمد ٣٢٢/١٣(٧٩٣٩)، ٣٩٢/١٣(ح:٨٠١٩)، وشعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني البيهقي حققه د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ٢٧٥/١١(ح:٨٦٩٦)، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند

[4] غير منسوب في معاني القُرْآن للفرّاء ٩٢/٢

[5] سورة التوبة من الآية/٦٤.

[6] تم تخريج البيت سابقًا برواية (لا تَضيرُ).

[7] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٢٦/٢،

[8] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٢٦/٢، والمحرر الوجيز٥٤/٣، والبحر المحيط: ٤٥٣/٥، والدّر المصون٨٠/٦.

[9] ينظر: مشكل إعراب القُرْآن ٣٦٧/١، والمحرر الوجيز ٥٤/٣، والبحر المحيط ٤٥٣/٥، والدر المصون ٤٨٠/٣.

[10] ينظر: المقتضب١١٧/٢.

[11] إعراب القُرْآن للنحاس٣٠/٢.

وقد انتصر ابن ولاد لسِيْبَوَيْهِ في هذه المَسْأَلَة إذ قال: ((إنَّ (فَعِلَ) اسم جارٍ على (فُعِلَ) نحو: حَذِرَ فهو حَذِرٌ، وهو مع ذلك للمبالُغَة، فقد اجتمع فيه العلتان اللتان هما أصل الباب في التعدي، ولو انفردت احداهما لَعُدِيَ بسببها، فكيف إذا اجتمعتا؟ ألا ترى أن مُفْعالًا ليس بجارٍ على فعل، وهو يتعدى ؛ لأنه للمبالُغَة، قالوا: إنه لَمِنحارٌ بوائِكَها: فلما وَجَدَ سِيْبَوَيْهِ العربَ قد عدّت ما هو للمبالُغَة من أسماء الفاعلين وإن لم يكن جاريًا على الفعل، وعدت ما هو جارٍ على الفعل حمل الفعل على النحويين اللذين وجدهما في كلام العرب))[1]. الراجح عندنا قول سِيْبَوَيْهِ،لأنّ قوله تَعَالَىْ: (يَحْذَرُ) متعدٍ بنفسه، لقوله تَعَالَىْ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾[2]، وقول المُبَرِّد"حَذِرَ لا يتعدى؛ لأنه من هيئات النفس[3] التي لا تتعدى كفزع" قولٌ غير لازم ؛ لأنَّ مِن هيئات النفس ما هو متعدٍ كخاف وخشي[4].

وقد اختار مكي القيسي[5] قول المُبَرِّد ولم يشر إلى رأي سِيْبَوَيْهِ، وتابعه أبو البركات الأنْبَاري[6]، في حين اختار ابو البقاء العُكْبُرِيّ رأي سِيْبَوَيْهِ، ولم يمنع أن يكون منصوبًا على نزع الخافض[7]..

الأفعال المتعدية في العَرَبِيَّة ثلاثة أقسام:الأول: قسم يتعدى بنفسه، وقد يكون لمفعول واحد أو مفعولين أو ثلاثة، على حسب قوة الفعل ومن هذا النوع أيضًا ما يصل إلى مفعوله الثاني بحرف الجر ولكنه يبقى في دائرة المتعدية . والثاني: قسم يتعدى بواسطة حرف الجرّ وهوما يطلب المجرور على جهة اللزوم: كرغبت فيه وعجبت منه، وهذا النوع لابدّ من ذكر حرف الجر لئلا تلتبس الدلالة، ووضْعُهُ ضمن الأفعال المتعدية تجوّزٌ ؛ إذ هو لازم في رأيي . القسم الثالث: الذي يتعدى مرة بنفسه ومرة بحرف الجرّ كما سبق في: شكرته، وشكرت له. وهذا مثار البحث في هذه المَسْأَلَة، ومثل هذه الأفعال تكون داخلة تحت قَاعِدَة "اللازم والمتعدي" وخارجة عنها في آنٍ واحد بحسب الاستعمال، ومثل هذه الأفعال تكون مشكلة[8]، والقواعد يستلزم فيها أن تكون حاصرة.

---

[1] الانتصار لسِيْبَوَيْهِ ابن ولاّد ص:٧٠ . ٧١.

[2] سورة التوبة من الآية/٦٤.

[3] ينظر: المقتضب١١٥/٢

[4] ينظر: البحر المحيط ٤٥٣/٥، والدّر المصون ٤٨٠/٣.

[5] ينظر: مشكل إعراب القُرْآن٣٣٣/١.

[6] ينظر: البيان في غريب إعراب القُرْآن ٤٠٢/١.

[7] التبيان في إعراب القُرْآن للعكبري ٦٥٠/٢.

[8] ينظر: المقاصد الشافية في شرح الخُلَاصَةُ الكافية (شرح ألفية ابن مالك) أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت:٧٩٠ هـ) تحقيق: د. عياد بن عيد الثبيتي الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، وتعليق الفرائد للدماميني ٥/٩.

ثمة قصور في قَاعِدَة (التعدي واللزوم) من حَيْثُ أن هناك جُمْلَة من الأفعال تشترك وتدخل ضمن النوعين، فتارة تكون متعدية وتارة تكون لازمة، ولكن النُّحَاة لم يضعوا لهذا النوع مصطلحًا نحويًا بل تركوه أو تغافلوا عنه، ولم تتمكن القَاعِدَة النَّحْويّة من احتواء اتساع اللُّغَة في هذه الأفعال، ونحن ندرك أنهم ركّبوا مصطلح "أسماء الأفعال" لتلك الكلمات التي تارة تكون فعلا وتارة تكون اسمًا، فلو أنهم وجدوا مصطلحًا نحويًا لهذه الشريحة من الأفعال قياسًا على "أسماء الأفعال" .

ولابن جني كلام نفيس في ضَرُورَة استقلال كل قسم بذاته، فاللازم يبقى لازمًا والمتعدي متعديًا، يقول: ((فلم يصل إلى الأَسْمَاءالنصبُ الذي يأتي من الأفعال؛ لأنهم أرادوا أن يجعلوا بين الفعل الواصل بنفسه، والفعل الواصل بغيره فرقًا، ليميزوا السبب الأقوى من السبب الأضعف، وجعلت هذه الحُرُوْف جارة، ليخالف لفظ ما بعدها لفظ ما بعد الفعل القوي))[1] .

واختلف النُّحَاة في أصالة هذه الأفعال التي تتعدّى مرة بنفسها ومرة بحرف الجرّ فذهب فريق: منهم ابن عصفور وأبو حيّان إلى أنَّ كلّ واحد منها أصل برأسه، وليس أحدهما متفرعًا من الآخر، وذهب فريق ثانٍ منهم الشَّلَوْبين الصغير إلى أن الأصل في هذه الأفعال التعدي بنفسها، فإن دخل على المفعول حرف جرّ فهو زائد، وذهب ابن دُرُسْتَوَيْهِ إلى أن الفعل (نصح) يتعدّى إلى مفعولين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر، وأنكر الكِسَائي أن يقال: شكرتك ونصحتك ويرى أنَّ الصواب أن يقال: "شكرت لك ونصحت لك" وقال: هذا كلام العرب وقال الفَرّاء: "العرب لا تكاد تقول شكرتك، إنما تقول شكرت لك، ونصحت لك، ولا يقولون نصحتك، وربّما قيلتا"، وأجاز الأَخْفَش الصغير[2] أن يُحكم باطراد حذف حرف الجر، والنصب فيما لا لَبْسَ فيه إذا كان الفعل يتعدّى إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بواسطة حرف الجرّ، إنْ تعيّن الحرف، وتعين موضعه، كَقَوْلِ الشاعر[3]:[من الطويل]

تَحِنُّ فَتُبْدي ما بِها مِنْ صَبابَةٍ ... وَأُخْفي الَّذي لَوْلا الأُسى لَقَضانِي

قال ابن مالك: ((والصحيح أن يتوقف فيه على السَّمَاع))[4].

---

[1] سر صناعة الإعْرَاب ١/١٣٥.

[2] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٢/١٤٨، و نزع الخافض في الدرس النحوي ص: ١٠٩ رسالة تقدم بها الطالب: حسين بن علوي الحبشي إلى قسم اللغة العَرَبِيَّة بجامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا للحصول على درجة الماجستير في اللغة العَرَبِيَّة ١٤٢٥هـ.

[3] لأعرابي من بني كلاب في الكامل ١/٣١.

[4] شرح التسهيل ابن مالك ٢/١٥٠.

عَزا الدكتور ابراهيم السامرائي ذلك إلى الايجاز وطلب الخفة فمتى ما طلب العرب ذلك حذفوا حرف الجر في كثير من الأحيان[1]. ونستخلص من ذلك كله أن تعديه الفعل إلى المفعول بحرف الجر تارة او بدونه تارة أخرى هو استعمالُ عربيُ كثير بدليل أنه ورد في كتاب الله، وكذلك في كلام العرب؛ إذ استشهد له الفَرّاء بعشرة شَوَاهِد شعرية تثبت ذلك.

[1] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته د. إبْرَاهِيم السامرائي ص:٨٤

المبحث الثالث: مكملات الجُمْلَة الفِعْلِيَّة

المَسْأَلَة (١): (قبل وبعد وأخواتها)، والظرف المقطوع عن الإضَافَة .

يستعمل العرب طائفة من الظروف سميت بالغايات ومعنى غاية أنَّ الكَلِمَة حذفت منها الإضَافَة، وجعلت غاية الكَلِمَة ما بقي بعد الحذف[١].

منها (قبل وبعد)، ولها أربع حالات تعرب في ثلاث وتبنى في واحدة، على التفصيل الآتي:

الأولى: أن تكون مضافة، مصرح فيهما بلفظ المضاف إليه، فيعربان منصوبين على الظرفية، نحو: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾[٢] و نحو: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[٣] . وقد يجرّان بمِنْ فيعربان، قال تَعَالَىْ: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[٤] وقال عز وجل: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾[٥] .

الثانية: حذف المضاف إليه وينوى لفظه، فيعربان ولا ينونان ؛ لانتظار المضاف إليه المحذوف، قال الشاعر:

ومن قبلِ نادى كل مولى قرابةً *** فما عطفت مولى عليه العواطف

ففي الجر دليل على إعرابه، وترك التنوين على نيّة إثبات لفظ المضاف إليه، وجاء على ذلك قراءة أبي السَّمَّال والجحدري وعون العقيلي[٦] ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾[٧] بالجر من غير تنوين على لُغَة بعض بَنِيْ أسَد، فقد نقل الفَرّاء في معانيه[٨] لُغَة عن الكِسَائي في هذين الظرفين فقال: إذا جعلته غاية ولم تذكر بعده الذي أضفته إليه فإن نويت أن تظهره قلت: لله الأمر من

---

[١] ينظر: الظروف الزّمَانية في القُرْآن الكريم ص:٢٣٧

[٢] الحج من الآية/٤٢

[٣] الجاثية من الآية/٦

[٤] التوبة من الآية/ ٧٠

[٥] القصص من الآية/٤٣

[٦] ينظر: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي (المتوفى: ٤٦٥هـ تحقيق. جمال بن السيد بن رفاعي الشايب ص: ٦١٦ الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م – مؤسسة سما للتوزيع والنشر.،

[٧] الروم من الآية/٤.

[٨] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٣٢٠/٢

قبلِ ومن بعدِ) كأنك أظهرت المخفوض الذي أسندت إليه (قبل) و(بعد)، وسمع الكِسَائي بعض بَنِيْ أسَد يقرؤونها ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾[1] بخفض (قبل) ورفع (بعد) على ما نوى .

وللزجاج رد على الفَرّاء في خفض (قبل، وبعدِ) بغير تنوين، قال: ((وهذا خطأ لأنَّ "قبل وبعد" ههنا أصلهما الخفض، ولكن بنيتا على الضم لأنَّهما غايتان ... ولأنَّهما عرِّفا من غير جهة التعريف، لأنّه حذف منهما ما أضيفتا إليه))[2] .

الثالثة: القطع عن الإضَافَة لفظًا ومعنىً فينونان ؛ لأنهما أصبحا نكرتين كسائر النكرات، تقول: جئت قبلًا وبعدًا، ومن قبلٍ ومن بعدٍ، وعلى ذلك أيضًا في الشواذ[3] قراءة قوله تَعَالَىٰ ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ﴾. وقال ابن عطية: من العرب من يقول (من قبلٍ ومن بعدٍ) بالخفض والتنوين[4] أي: من زمن متقدم ومن زمن متأخر، وهي لُغَة لبني أسَد حكاها النحَّاس عن الكِسَائي، فقال في إعراب الآية نفسها ((وحكى الكِسَائي عن بعض بَنِيْ أسَد (لله الأمر من قبلٍ ومن بعدُ) الأول مخفوض منون، والثاني مضموم بلا تنوين))[5] فأعربت "قبل" بينما بقيت "بعد" على بنائها[6] . قال الشاعر[7]:[من الوافر]

فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكنْتُ قَبلًا ... أَكَادُ أَغَصُّ بالمَاء الحَمِيمِ

ومن شَوَاهِد ذلك قول الشاعر[8]:

ونحن قتلنا الأسَد أسَد شَنُوءةٍ *** فما شربوا بعدًا على لذة خمرا

والشاهد فيها نصب (قبل/بعد) منونًا معربًا ؛ لأنه قطع عن الإضَافَة لفظًا ومعنى . وقد يرفع هذا وينون[9] وقيل الضم مع التنوين للضَرُورَة الشّعْرِيّة[1] .

---

[1] الروم من الآية/٤.

[2] معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج: ١٧٦/٤، وينظر: إعراب القُرْآن للنحاس: ٢٦٣/٣.

[3] ينظر: الارتشاف ٥١٣/٢، و الهَمْع ١٩٢/٣

[4] ينظر: المحرر الوجيز ٣٢٨/٤.

[5] إعراب القُرْآن للنحاس ١٧٩/٢

[6] ينظر: لَهْجَة قَبِيْلَة أسَد علي ناصر غالب ص: ٢٠٠، الطبعة الأولى: ١٩٨٩م – دار الشئون الثقافية العامة – بغداد

٧ لعبد الله بن يعرب بن معاوية بن غيلان في المقاصد النَّحْوِيّة ١٣٤٨/٣، والتصريح بمضمون التوضيح ٧١٩/١. وليزيد بن الصعق في خزانة الأدب ٤٢٦/١،. وبلا نسبة في المفصل ص:٢١١، وشرح ابن يعيش ١٠٧/٣،وأوضح المسالك ١٣٣/٣، وشرح ابن عقيل ٧٣/٣. وللبيت رواية أخرى: «الفرات» بدل «الحميم» ومن يثبت الرواية الأخيرة يفسر الحميم بالبارد، وإن كان المشْهُوْر فيه الحار فهو على هذا من الأضداد.، .

[8] نسب لبعض بني عقيل في معاني الفَرّاء ٣٢١/٣

[9] ينظر: الهَمْع ١٩٢/٣

الرابعة: حالة البناء، إذا حذف المضاف إليه ونوي معناه، فيبَنِيْان على الضم من غير تنوين، وعليه قراءة الجُمْهُور: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[٢]، وكَقَوْلِ الشاعر:[من الطويل]

إذا أنا لم أؤمن عليك ولم يكن **** لقاؤكِ إلا من وراءُ وراءً

ترفع لأنك جعلته غاية ولم تذكر بعده الذي أضفته إليه بل أبهمت في تقديره[٣]، وقد رويت لذلك شَوَاهِد كثيرة منها قول الشاعر:[من الكامل]

لعن الإله تعلّة بن مسافرٍ *** لعنًا يشنّ عليه من قدامُ

وقول آخر[٤]:[من الطويل]

لعمرك ما أدري وإني لأوجل **** على أينا تعدو المنية أولُ

وقول أبي النجم العجلي[٥]:

موثّقِ الأعلى أمينِ الأسفلِ **** أقبُّ من تحتُ عريض من علِ

وقال طرفة بن العبد:

ثم تفري اللحم من تعْدائها **** فهي من تحتُ مُشيخاتُ الحرْم

وقال امرؤ القيس:[من الطويل]

مكرّ ومفرّ، مقبلٌ مدبرٌ معًا **** كجلمود صخر حطّه السيل من علِ

وقال الفَرَزْدَق:[من الكامل]

ولقد سددتُ عليك كلَّ ثنيةٍ *** وأتيت نحو بَنِيْ كليبٍ من علُ

فهذه الظروف (قدام، وأول، وتحت، وعل) أشبهت (قبل وبعد) في عدم الإضَافَة اللفظية فألحقت بها، فبنيت على الضم . وأنكر النحَّاس[٦] أن تكون (من عل) داخلة مع (قبل وبعد) لأن سِيْبَوَيْهِ

---

[١] ينظر: معاني الفَرَاء ٣٢٠/٣، والارتشاف ٥١٣/٢

[٢] الروم من الآية/٤.

[٣] ينظر: معاني الفَرَاء ٣٢٠/٢

[٤] قائله معن بن أوس المزني (معاني القُرْآن للفراء ٣٢/٢.

[٥] من شَوَاهِد سِيْبَوَيْهِ ٢٩٠/٣، والرواية عنده (من علُ) بالضم.

[٦] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٨٠/٣

فرّق بينهما[1]، فإذا كان (عل) في تقدير مضاف إلى معرفة كان مبنيا على الضم، وإن كان في تقدير مضاف إلى نكرة كان معربا[2]، أما الفَرّاء فخلط الجميع في الباب وجاء بهما في (قبل وبعد) وأحدهما مخالف لآخر وللفراء في هذا الفَصْل من كتابه في القُرْآن أشياء كثيرة، الغلط فيها بيّن[3] .

و حقيقة (عل) أنها منقطعة عن الإضَافَة أبدًا، أي لا تستعمل مضافة أصلًا، و قيل يجوز إضافتها، وأنه يقال: أتيته من علِ الدار بكسر اللام أي من عال، قاله الجوهري، وردَّه ابن أبي الربيع، و ابن هِشَامٍ، و غيرهم[4]، و الشَوَاهِد العَرَبِيَّة تؤيده .

يظهر من النصوص السابقة أن الإعْرَاب أكثر وأشهر، وتحديد بيئة الضم فيهما، وهو البناء باتفاق جميع النُّحَاة، دليل على تعميم الإعْرَاب، فيكون بذلك لُغَة عامة العرب أو جُمْهُورهم إعراب هذين الاسمين، ولُغَة بَنِيْ أسَد بناؤهما على الضم، ومع وجود لُغَة البناء على الضم فقد وجدت إلى جانبها لُغَة تجمع بين تنوين الكسر والبناء على الضم، ولكن لم يكن لهذه اللُغَة أن تدخل في تَقْعِيْد الفَصِيْحَة، وهي لُغَة بَنِيْ أسَد كما نقل الفَرّاء والنحَّاس عن الكِسَائي . ويبدو أن هذه اللُغَة لا تؤرخ لمرحلة من مراحل الانتقال في حركات البناء فحسب بل تشير أيضا إلى أن (قبل وبعد) عندما قطعا عن الإضَافَة بنيا على الضم في لُغَة العرب، فوجدت هذه اللُغَة طريقها إلى العَرَبِيَّة القرشية المشتركة، وبنيت القَاعِدَة النَّحْويّة على هذه اللُغَة[5] .

إن هذا التباين في الإعْرَاب في لُغَات العرب مرجعه اختلاف طبيعة الأداء عندهم، فبعضهم يميل إلى الضم، وبعضهم يفضل الكسر، وبعضهم الفتح إذا نطق مع الميل إلى التحقيق و التوضيح أو التخفيف والإسراع نظرًا لتأثرهم ببيئاتهم وظروف الحياة لديهم .

فالضم والكسر مما يناسب طبيعة الأداء عند البدو، والناظر إلى شَوَاهِد النُّحَاة في حالة البناء يلحظ أنها معزوة لشعراء من قَبَائِل بَدَوِيَّة كتَمِيْم وعقيل وأسَد وعجل[6] .

---

[1] ينظر: الكتاب ١٦/١

[2] ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ أبو سعيد السيرافي ٨١/٢.

[3] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٧٩/٣

[4] ينظر: شرح شذور الذهب ١٤٠، و أوضح المسالك ١٤٧/٣، و شرح التصريح ٥٤/٢، وهَمْع الهَوَامِعِ ٢١٠/١.

[5] ينظر: لُغَات العرب في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه ص: ١٨٣

[6] ينظر: اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر المحيط ص:٢٨٥.

المبحث الثالث: مكملات الجُمْلَة الفِعْلِيَّة

المَسْأَلَة (٢): (لدن) بين الإعْرَاب والبناء

قال ابن مالك:

وأعربت قيس "لدن"، وقَعْسَ ... إعراب "حَيْثُ" عنهم مقتبس

ظرف زمان ومكان بمعنى (عند) إلا أنَّها أخصّ من (عند) وأقرب مكانًا لملازمتها مبدأ الغايات، وأكثرُ ما تضافُ إلى المفرداتِ، ويجوز إضافتها إلى الجمل خلافًا لابن الدهان[١]، وتستعمل في الغالب مسبوقة بـ (من)[٢]، ولا تقع إلا فضلة .

توسع العرب في استعمالها فأوردوا في نطقها عشر لُغَات هي: لدُن ولدَن ولدِن مثلثات الدال، ولَدْن ولُدْن بفتح اللام، وضمها مع سكونِ الدال وكسر النون، ولُدْنَ بالضم والسكون وفتح النون، ولَدْ ولُدْ بفتح اللام وضمها مع سكون الدال، ولَدُ بفتح اللام وضم الدال ولَتْ بإبدال الدالِ تاء ساكنة، وهناك لُغَات أخرى ذكرها ابن منظور في اللسان[٣] . ومتى أُضيفت المحذوفةُ النونِ إلى ضَمِيْر وَجَبَ رَدُّ النونِ[٤]، وقد ذكر النحَّاس[٥] هذه اللُغَات فنسب (لَدُنْ) إلى أهل الحِجَاز، و (لَدُ) إلى بعض بَنِيْ تَمِيْم، و (لَدْنِ) إلى رَبِيْعَة، و (لُدُنْ) إلى أسَد .

أما من حَيْثُ البناء والإعْرَاب فتبين أن في (لدن) لغتين:

إحداهما: البناء[٦] وهي الأشهر والأكثر استعمالا، وهي لُغَة القُرْآن في غالبية قراءاته. و علة بنائها عند سِيْبَوَيْهِ عدم التمكّن، فجُعِلَ بمنزلة (قط)؛ لأنّها غير متمكّنة[٧]، وقيل بنيت لشبهها بالحرف في لزومها استعمالا واحدا وامتناع الإخبار بها[٨] . وقيل للشبه المعنوي في كونها تدل على الملاصقة للشيء والقرب منه، فجرت مجرى الحرف الموضوع بإزاء معنى، لا يتجاوزه[٩]، فصار

---

[١] ينظر: الهَمْع ٢/٢٢١.

[٢] ينظر: تسهيل الفوائد ص: ٩٧، وشرح التسهيل ابن مالك ٢/٢٣٧.

[٣] ينظر: لسان العرب ابن منظور ١٣/٣٨٥ (لدن)

[٤] ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) تحقيق الدكتور. أحمد محمد الخراط ٣/٣٤ دار القلم – دمشق.

[٥] ينظر إعراب القُرْآن للنحاس ١/١٤٥.

[٦] ينظر: المقتضب ١/٥١، و ٤/ ٣٤٠، وشرح ابن يعيش ٢/١٤٠، .

[٧] ينظر: الكتاب ٣/٢٨٦.

[٨] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٢/٢٣٦.

[٩] ينظر: شرح ابن يعيش ٢/١٤١.

فيها معنى لا يدل عليه الظرف، بل هو مما يدل عليه الحرف أي نحو (ثم) و(هنا) حَيْثُ بنيا لتضمنهما معنى الإشارة[1] . وقيل لعدم تصرفها ؛ إذ هي غير متصرّفة، بل موغلة في عدم التصرّف، فشابهت بذلك الحُرُوْف، وعِلّة المشابهة تقوم على اِكساب المتشابهين حكمًا واحدا.

والأخرى: الإعْرَاب،وهي أقل استعمالا وشهرة، غير أنها وردت في إحدى القراءات المتواترة . واستعملت (لدن) معربة في لُغَة قيس[2] تشبيها لها بـ(عند)[3]، وفي اللسان[4] عن أبي زيد أن إعرابها لُغَة الكلابيين وهم من قيس، وهذه دقة في التحري والتثبت من هذا اللُغَوِيّ الثقة تشير إلى ثبوت الإعْرَاب في لُغَة الكلابيين أجمعين[5]، وبه قرأ أبوبكر شعبة بن عياش عن عاصم ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾[6] بالجر وإشمام الدال الساكنة الضم[7]، ومن ذلك قراءة نافع وأهل المدينة ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾[8] بتخفيف النون وضم الدال[9] حَيْثُ اتصلت نون لدن بياء المُتَكَلّم و الأصل في الأَسْمَاءإذا أضيفت إلى ياء المُتَكَلّم لا تلحقها نون الوقاية نحو غلامي وفرسي[10]. ومنه قول الشاعر:

تنتهضُ الرِعدةُ في ظُهَيْرى ... من لَدُنِ الظهرِ إلى العُصَيْرِ

واللغتان المذكورتان من الإعْرَاب والبناء مختصتان بـ(لَدُنْ) المفتوحةِ اللامِ المضمومةِ الدالِ، الواقعِ آخرَها نونٌ، وأمَّا بقيةُ لُغَاتها فإنها مَبْنِيَّة عند جميع العرب.

نصب (غدوة) بعد (لدن):

ذكر ابن يعيش[11] أن حكم (لدُن) أن يخفض ما بعدها كسائر الظروف، فيكون الجر فِي (غدْوَة) هُوَ الْوَجْه وَالْقِيَاس[12]، غير أن من العرب من ينصب بها، ولا ينصب غير(غدوةً) مع

---

١ ينظر: البحر المحيط ٨/٣

٢ ينظر: البحر المحيط ٨/٣، شرح الكافية: ٩٤٩/٢، ٩٥٢، وأوضح المسالك ١٢٣/٣، وتسهيل الفوائد ص: ٩٧، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٢٩/٢، و شرح ابن عقيل ٦٧/٣.

٣ ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٢٣٦/٢.

٤ ينظر: لسان العرب ٣٨٤/١٣ (لدن)

٥ ينظر: لَهْجَات قيس

٦ الكهف من الآية/٢

٧ ينظر: السبعة في القراءات ابن مجاهد ص: ٣٨٨،وحجة القراءات ابن زنجلة ص:٤١٢.

٨ الكهف من الآية/٧٦.

٩ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٣٠٢/٢، وشرح التسهيل ابن مالك ١٣٦/١.

١٠ ينظر: البحر المحيط ٢٠٩/٧.

١١ ينظر: شرح ابن يعيش ١٢٩/٣.

١٢ ينظر: الكتاب ٢١٠/١، وعلل النحو ابن الوراق ص: ٤١٥.

(لدن)، وذلك لكثرة استعمالها، فغيّروها عن الجر إلى النصب كأنهم توهموا أن هذه النون زائدة تقوم مقام التنوين، وإنما نصبوا بها هاهنا؛ لأنهم شبهوا نون "لدن" بالتنوين في "ضارب"، فنصبوا "غدوة" كما تقول: "ضارب زيدا"، فلا يجوز أن تقول: (لدن بكرةً) لأنه لم يكثر في كلامهم كثرة (لدن غدوة) فلا يقاس عليه[1]، قال الشاعر[2]:[من الطويل]

لدن غدوة حتى ألاذ بخفها ... بقية منقوص من الظل قالص

وقال ذو الرمة[3]: [من الطويل]:

لدن غدوة حتى إذا امتدت الضحى ... وحث القطين الشحشحان المكلف

ومن ذلك قول أبي سفيان بن الحارث يوم أحد:[من الطويل]

وما زال مهري مزجر الكلب منهم ... لدن غدوة حتى دنت لغروب

أما الأعلم[4] فقد ذكر أن العرب إنما نصبت (غدوةً) بعد (لدن) على ضربٍ من التأويل والتشبيه لنون (لدن)، وذلك انهم يقولون (لدُ) فيحذفون النون، و(لدن) فيثبتون تشبيهًا لها بـ(عشرين) و (ضاربين)، فنصبوا ما بعدها كما ينصب ما بعد العشرين و الضاربين ٠

أما ابن الوراق[5] فذكر أن انتصاب (غدوة) في هذا التركيب للخفة، وخفته من وجهين:

أحدهما: أن النصب أخف من الجر.

والثاني: أن الجار والمجرور كالشيء الواحد، والمنصوب كالفضلة، وما هو فضلة أخف من اللازم .

وأرى أن (غدوة) انتصب شذوذًا هنا، ولا يمكن أن يحمل على نظيرٍ، أو يحمل عليه نظيرٌ كما ذكر سِيْبَوَيْهِ[6] أن من كلام العرب أن يجعلوا الشيء في موضعٍ على غير حاله في سائر الكلام ٠

---

١ ينظر: شرح ابن يعيش ١٢٩/٣ وما بعدها.

٢ لم أعثر له على قائل، والشاهد فيه انتصاب "غدوة" بـ "لدن" تشبيها لنونها بالتنوين. وقد أجاز الفَرَاء فيها الرفع إجراء لـ "لدن" مجرى "مذ"، والجر إجراء لها مجرى "من" و "عن".

٣ البيت لذي الرمة في ديوانه ص ١٥٦٥، ولسان العرب ٤٩٦/٢ (شحح)، ٣٨٤/١٣ (لدن).

٤ ينظر: النكت للأعلم ١٨٨/١.

٥ ينظر: علل النحو ابن الوراق ص: ٥١٥.

٦ ينظر: الكتاب ٥١/١.

وذكر السَّيُوطِي لغزًا طريفًا لسعدالدين التفتازاني[1] في (لدن غدوةً) واختصاصها بنصب (غدوة) قائلًا[2]:

وما لفظةٌ ليست بفعلٍ ولا حرفٍ ولا هي مشتقٌ وليست بمصدرِ

وتنصبُ اسمًا واحدًا ليس غيره له حالـةٌ معه تبيـنُ لمخبـرِ

[1] **التفتازاني:** سعد الدين مَسْعُوْدٍ بن عمر بن عبد الله التفتازانى، من أئمة العَرَبِيَّة والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) سنة ٧١٢هـ، وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها، ودفن في سرخس سنة ٧٩٣هـ، كانت في لسانه لكنة. من كتبه (تهذيب المنطق) و (المطول) في البلاغة، و (المختصر) اختصر به شرح تلخيص المفتاح، و (مقاصد الطالبين) في الكلام، و (شرح مقاصد الطالبين) و (النعم السوابغ) في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، وغيرها.

[2] ينظر: الأشباه والنظائر في النحو ٢٥٦/٤ – ٢٥٧ .

المبحث الثالث: مكملات الجُمْلَة الفِعْلِيَّة

المَسْأَلَة (٣): الاستثناء المنقطع

إذا كان المستثنى منقطعًا عما قبله، أي: ليس من نوع المستثنى منه،وكان بعد كلام غير موجب،وهو النفي أو شبهه، نحو: ما جاءني أحدٌ إلا حمارًا، فهذا وشبهه فيه مذهبان: مذهب أهل الحِجَاز،وهو وجوب نصب المستثنى على كل حال، ومذهب بَنِيْ تَمِيْم،وهو أن يجيزوا فيه البدل فيقولون: ما جاءني أحدٌ إلا حمارٌ .

والمراد بالاستثناء المنقطع: هو ما كان المستثنى فيه من غير جنس المستثنى منه، وذلك نحو: ما في الدار أحد إلا حمارًا، فحمارًا هو المستثنى، وليس من جنس المستثنى منه . إلا أن تلك المغايرة والمخالفة بينهما ليست مطلقةً بل هي معقودة بينهما في حقيقة وضعهما، وهناك رابطُ معنوي يربط بينهما وعلاقة واصلة بينهما من جهة المعنى، فليس معنى انقطاعه أن لا صلة له بالمستثنى منه،ولا عَلاقة تربطهما ارتباطًا معنويًا، فهذا خطأ بالغ ؛ وإنما معناه انقطاع صِلة البَعضية بينهما؛ بأن لا يكون "المستثنى" جزءًا حقيقيًا من "المستثنى منه" ولا فرد من أفراده، ومع انقطاع هذه الصلة على الوجه السالف لابد أن يكون هناك نوع اتصال معنوي يربط بينهما[١].

وفيه لغتان:

أحداهما: وجوب النصب وهي لُغَة الحِجَازِيِّيْن[٢] نحو: ما في الدارِ أحدٌ إلا حمارًا، والإعْرَاب على لغتهم ما: نافية. وفي الدار: جار ومجرور متعلق بمحذوف لأنه خبر مقدم للمبتدأ وهو "أحد" المَرْفُوع. وإلا: أداة استثناء. وحمارًا: مستثنى مع أنه مستثنى منقطع إلا أنه عندهم منصوب على الاستثناء.

وقد علل سِيْبَوَيْهِ وجوب النصب على لُغَة الحِجَاز لأنه لا يصح الإبدال فيه حقيقةً من جهة أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، فقال: ((وكرهوا أن يُبدلوا الآخر من الأول، فيصير كأنه من نوعه))[٣] فينتصب المستثنى عند أهل الحِجَاز على تمام الكلام وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم[٤] .

---

[١] ينظر: النحو الوافي د. عباس حسن ٣١٨/٢.

[٢] ينظر: الكتاب ٣١٩/٢، وشرح ابن يعيش ٥٤/٢.

[٣] الكتاب ٣١٩/٢.

[٤] ينظر: الكتاب ٣١٩/٢

والآخر: جواز النصب على أصل الباب، أو الإتباع على البدلية وهي لُغَة تَمِيْم[1]، بأن يكون المستثنى تابعًا للمستثنى منه على البدل، نحو: ما في الدارِ أحدٌ إلا حمارٌ ،والإِعْرَاب عندهم. ما: نافية. وفي الدار: جار ومجرور خبر مقدم. وأحد: مبتدأ مؤخر. وإلا: أداة استثناء. وحمار: بالرفع بدل من "أحد" المستثنى منه المَرْفُوع.
وعلة الإتباع عند بَنِيْ تَمِيْم واحد من ثلاثة وجوه:

الأول: الحمْلُ على المعنى؛ لأنَّ المقصودَ هو المستثنى فالقائل: ما في الدارِ أحدٌ إلا حمارٌ، بالرفع على لُغَة بَنِيْ تَمِيْم، كأنه أراد: ما في الدار إلا حمارٌ، وأُدخلتْ "أحدٌ" توكيدًا ؛ لأنّه يعْلَمُ أنّه ليس فيها آدمي[2]، على سبيل المجاز والتمثيل[3] .

الثاني: جعلوا الحمارَ من جنس (أحد) على سبيل المجاز، كأنَّ (الحمار) هو مِن أحد أناسيّ ذلك الموضع ومِن عقلاء ذلك الموضع إذ قال سِيْبَوَيْهِ: ((.. وان شئت جعلته إنسانها))[4]

الثالث: رأي المازني وهو أنهم خلطوا بعض من يعقل بما لا يعقل، فعبروا عن جماعة ذلك بـ"أحد"، ثم غلَّبوا مَن يعقل، فقالوا: ما فيها أحد. وهم يريدون العاقل وغير العاقل، ثم أبدلوا "حمار" من لفظ يشتمل عليه وعلى غيره وهو "أحد"، على سبيل التغليب وتابعه ابن عصفور[5] وهذا وجه حسن[6] .

ونرى أن قول المازني يصح لو كان المستثنى منه من الألفاظ التي تشمل العاقل وغير العاقل نحو "أحد" وما أشبهه، أمّا إذا لم يكن شاملًا للجنسين، نحو: ما جاءني الرجالُ إلا حمارًا، فـ"الرجال" لا يشمل من يعقل وما لا يعقل فيكون قول المازني ضعيفًا .

وفرَّق الدكتور فاضل السامرائي بين معنى النصب والرفع فقال: ((أنَّ العرب إذا أرادوا إلصاق المستثنى بالمستثنى منه أتبعوا وإن أن ارادوا التبعيد نصبوا فإن امتنع جعله بعضًا منه قطعوا... وعلى هذا نقول (ما جاءني الطلاب إلاّ خالدُ) إذ جعلت خالدًا بعض الطلاب فإن قلت

---

[1] ينظر: الكتاب ٣١٩/٢، والمقتضب ٤١٣/٤، والأصول في النحو ٢٩٠/١

[2] ينظر: الكتاب ٣١٩/٢.

[3] ينظر: الكتاب ٣١٩/٢، و معاني القُرْآن للفراء ٤٨٠/١، والمقتضب ٤١٣/٤، ومعاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ١٢٨/٢، والأصول في النحو ٢٩٠/١.

[4] ينظر: الكتاب ٣٢٠/٢.

[5] ينظر: شرح الجمل لابن عصفور ٣٦٧/٢.

[6] ينظر: الشاهد الشعري النحوي عند الفَرّاء في كتابه "معاني القُرْآن" دراسة نحوية ص: ٢٥ رسالة تقدم بها الطالب: عبد الهادي كاظم كريم الحربي إلى جامعة بابل، كلية التربية للحصول على درجة الماجستير في اللُغَة العَرَبِيَّة سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(خالدًا) أبعدته منهم وإن كان طالبًا حقًا وذلك لانَّ تقصيره وعدم انتظامه. وقلة معرفته جعلك تسلكه في عداد غير الطلبة وهذا المعنى تجوّزي فني))[1].

أما لماذا حُكم على المستثنى فيه بالنصب مرة وبالإتباع أخرى؟ فإن ذلك يرجع إلى اختلاف لُغَات العرب في ذلك، فالنصب هو لُغَة الحِجَازِيّيْن وهو الأرجح عند جُمْهُور العرب[2] ؛ لأنه أقرب إلى معنى الاستثناء، وعليه كانت لُغَة الحِجَاز هي المختارة[3]،وهي الوجه في الإعْرَاب والكلام[4]، والقياس اللازم[5]،واللُغَة الفُصْحَىْ[6] والعليا[7]، وعليها إنشاد أكثر الناس[8].

ولم يضعّف أحدُ من النُّحَاة الإتباع على البدل في الاستثناء المنقطع وإن قال بعدم جوازه ابن عقيل[9]، وإن كانوا قد رجحوا النصبّ وفضلوه على الاتباع؛ لأن الاتباع يمثل لُغَة من لُغَات العرب وكل ما ورد عن العرب فهو مقبول وليس بإمكان النُّحَاة رده[10].

ومن شَوَاهِد استعمال اللغتين قول جران العود النميري[11]:

وبلدٍ ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ، وإلا العيسُ

وقول النابغة الذبياني[12]:[من البسيط]

وقفت فيها أصيلانًا أسائلها عيَّت جوابًا وما بالربع من أحد

---

[1] معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ٢٥٨/٢ الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن.

[2] ينظر: شرح ابن عقيل ٢١٥/٢.

[3] ينظر: الكتاب ٣١٩/٢، والمقتضب ٤١٤/٤، والأصول في النحو ٢٩٠/١، وشرح ابن يعيش ٥٤/٢، ومعاني القُرْآن للفراء ٢٨٨/١.

[4] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٢٨٨/١.

[5] ينظر: المقتضب ٤١٤/٤

[6] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٤/٢.

[7] ينظر: شرح شذور الذهب لابن هِشَامٍ ص: ٣٤٤.

[8] ينظر: المقتضب ٤١٤/٤.

[9] ينظر: شرح ابن عقيل ٢١٥/٢.

[10] ينظر: الخصائص ١٢/٢.

[11] هو عامر بن الحارث، والبيت في ديوانه ص: ٩٧ وفيه (بسابسًا ليس بها أنيس)، وشرح ابن يعيش ٥٥/٢، وخزانة الأدب ١٥/١٠، وغير منسوب في معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٣٥/٣، وإعراب القُرْآن للنحاس ٢٦٩/٢، والإنصاف ٢٧١/١،

[12] ينظر: ديوان النابغة الذبياني ص: ٣٠ وفيه (إلا الأواريَّ) بالنصب.

إلا أُواريُّ لأيًا ما أبيِّنها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

فقد نصب النابغة (الأواريَّ) في ديوانه على لُغَة أهل الحِجَاز، وتفرّد سِيْبَوَيْهِ برواية الرفع على لُغَة تَمِيْم[1].

وورد منه في كتاب الله جُمْلَة من الشَوَاهِد القُرْآنية، منها قوله تَعَالَىْ: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾[2] . وأجمعت السبعة على النصب في قوله تَعَالَىْ: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾[3] . وكَقَوْلِه تَعَالَىْ: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا﴾[4] .

يرأى بعض المحدثين أن منع الحِجَازِيّيْن الاتباع في المنقطع فيه تشدّد، وأن ترجيح التَمِيْمِيِّيْن النصب على الأصل فيه تسامح[5] .

[1] الكتاب ٣٢٢/٢.

[2] النساء من الآية/١١٤.

[3] النساء من الآية/١٥٧.

[4] مريم من الآية/٦٢.

[5] ينظر: معاني النحو للسامرائي ٢٥٣/٢ -٢٥٤

المبحث الثالث: مكملات الجُمْلَة الفِعْلِيَّة

المَسْأَلَة (٤): نصب غير إذا جاءت بمعنى إلا مطلقا

(غير) إحدى أدوات الاستثناء، وهي معربة في أكثر اللُغَات، وحكمها حكم الاسمِ الواقعِ بعد "إلاَّ" أي: المستثنى[١]، من وجوب النصب نحو: قام القوم غيرَ زيدٍ، أو جواز الاتباع واختيار النصب نحو: ما قام القومُ غيرَ زيدٍ أو غيرُ زيدٍ، أو إعرابها حسب موقعها في الجُمْلَة نحو: ما قام غيرُ زيدٍ . و(غير) مضافةٌ إلى الاسم الذي بعدها دومًا .

بناء "غير" على الفتح لُغَة حكاها الفَرّاء فقال: ((وبعض بَنِيْ أسَد وقُضَاعَة إذا كانت (غير) في معنى (إلا) نصبوها، تمَّ الكلامُ قبلها أو لم يتم، فيقولون: ما جاءني غيرَك، وما أتاني أحدٌ غيرَك)) [٢] . وأجازها عيسى بن عمر[٣] في قراءته قوله تَعَالَىْ: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[٤] وتابعه الكِسَائي[٥]، وأكد السَّيُوطِي[٦] بناءها مطلقًا سواء أضيفت إلى متمكن أو غير متمكن . واستشهدوا له بقول الشاعر[٧]:[من البسيط]

لمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أنْ هتفَتْ ... حَمامَةٌ في سَحُوْقٍ ذاتِ أوْقالِ[٨]

وقول الفَرّاء السابق نسبه الأنْبَاري إلى الكُوْفِيِّيْنَ عامة،فقال: ((ذهب الكوفيون إلى أن "غير" يجوز بناؤها على الفتح في كل موضع يحسن فيه "إلا" سواء أضيفت إلى متمكن أو غير متمكن))[٩]، أما البصريون فيوجبون بناء (غير) إذا أضيفت إلى غير المتمكن[١٠]، قال سِيْبَوَيْهِ:

---

[١] ينظر: الكتاب ٣٤٣/٢، والمقتصد ٧٠٨/٢، و شرح الرضيِّ على الكافية ١٢٦/٢، وشرح ابن عقيل ٦١٠/١.

[٢] معاني القُرْآن للفراء ٣٨٢/١.

[٣] **عيسى بن عمر الثقفي:** عالم بالعَرَبِيَّة والنحو والغريب، من القراء المشْهُوْرين، أخذ عن ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو بن العلاء، وروى عن الحسن البصري، و رؤبة، أخذ عنه يونس والخَلِيْل. قيل أنه كان يدوّن كل ما يسمعه من العرب، توفي سنة ١٤٩هـ، له (الإكمال) و (الجامع) وكلاهما في النحو .

[٤] الأعراف من الآية/٥٩.

[٥] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٥٩/٢.

[٦] ينظر: الهَمْع ٢٧٤/٢.

[٧] وهو لابي قيس بن الأسلت في ديوانه ص: ٨٥،وجمهرة اللُغَة ص ١٣١٦، وخزانة الأدب ٤٠٦/٣، والدرر ١٥٠/٣. ونُسب لابي قيس بن رفاعة في شرح ابيات سِيْبَوَيْهِ: ١٨٠/٢،وشرح ابن يعيش ٢٨٥/٢، وشرح شَوَاهِد المغني ٤٥٨/١.

[٨] سحوق: يريد شجرة سحوقًا، أي طويلة، والأوقال: الأعالي، يصف ناقته بأنها فزعت حينما سَمِعْتُ صوت الحمامة فنفرت وكفت عن الشرب ويروى (في غضون) مكان (من سحوق)، و(نطقت) مكان (هتفت)،

[٩] الإنصاف ٢٣٣/١ (م/٣٨).

[١٠] ينظر: الإنصاف ٢٣٣/١، ٢٣٥ (م/٣٨).

((وزعموا أن ناسا من العرب ينصبون هذا الذي في موضع الرفع، فقال الخَلِيْل رحمه الله: هذا كنصب بعضهم "يومئذ" في كل موضع فكذلك غير أن نطقت))[1] .

وتابع سِيْبَوَيْهِ في هذا الأعلم الشّنْتَمَرِي[2] والزمخشري[3] والأنْبَاري[4] وابن هِشَامٍ[5]، إذ جعلوا سبب البناء في "غير" هو اضافتها إلى المبني، وهذا ينطبق على جميع الأَسْمَاءحينما تضاف إلى المبني.

والذي نلاحظه أن البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيّيْنَ متَّفقون على جواز بناء "غير" في البيت السابق وأمثاله، ولكن اختلفوا في تعليل هذا البناء، فالكوفيون يعللونه –على ما قال الفَرّاء– بأنها قامت مقام "إلا" الاستثنائية، والبصريون يعللونه بأنها أضيفت إلى مبني فاكتسبت البناء من المضاف إليه .

إلا أن البَصْرِيِيْنَ ومن وافقهم لم يأتوا بشَوَاهِد على بناء "غير" من القُرْآن الكريم أو من الشعر، فجميع ما استشهدوا به لم ترد فيه "غير"، وإنما قاسوها على بناء (حين) و(يوم)، في حين أن اصل الخلاف الذي ذكره الأنْبَاري[6] بين الكُوْفِيّيْنَ والبَصْرِيِيْنَ كان في علة بناء "غير"، وهذا ما يدعم مذهب الفَرّاء والكُوْفِيّيْنَ ويرجح قولهم في أن بناء "غير" كان بسبب وضعها موضع (إلا) في الاستثناء أي موضع الحرف، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نجد الفَرّاء قد استشهد بشاهد آخر جاءت فيه "غيرَ" مَبْنِيَّة ولم تضف إلى مبني، على خلاف ما أقرّه البصريون من وجوب بنائها إذا اضيفت إلى مبني، وذلك في قول الشاعر[7]:

لا عيبَ فيها غيرَ شُهْلَةِ[8] عينها كذاك عِتاق الطير شُهلًا عيونها

فقد بنى الشاعر "غيرَ" ولم تضف إلى مبني، بل إلى اسم متمكن وموضعها هنا الإتباع على البدلية من "عيبَ" إذ الاستثناء هنا تام مُتَّصِل منفي، وجعل[1] منه قراءة[2] الفضل بن إبراهيم

---

[1] الكتاب ٢/٣٣٠.

[2] ينظر: تحصيل عين الذهب ص:٣٦١.

[3] ينظر: المفصل ص: ٩٩.

[4] ينظر: إنصاف ١/٢٣٣ وما بعدها (م/٣٨).

[5] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢١١.

[6] ينظر: إنصاف ١/٢٣٣ وما بعدها (م/٣٨).

[7] ينظر: معاني القُرْآن للفرّاء ١/٣٨٣، اللسان (شهل)، ولم يُنسب إلى قائله

[8] الشهلة في العين أن يشوب سوادها زرقة.

النحوي ((هل من خالق غيرَ الله))[٣] . ثُمَّ إن الفَرّاء لم ينكر ما ذهب اليه البصريون في بناء الأَسْمَاءالأخرى عدا "غير" حال إضافتها إلى مبني غير متمكن كما مرّ[٤] وإنما أراد أن يقول إن هذه لُغَة لبعض العرب .

والظاهر من خلال هذا أن اكتساب الاسم البناء من خلال إضافته إلى المبني واجبُ كما يراه الكوفيون وجائزُ عند البَصْرِيِيْنَ، وهذه مسألة تكاد تقتصر على اسماء الزّمَان فقط، والتي حدّها بـ: يوم، وليلة، وحينَ، وغَدَاة، وعشيَّة، وزمن، وأزمان وأيام، وليال[٥]. وهذا ما يفرضه الواقع اللُغَوِيّ ؛ إذ إن جميع الشَوَاهِد التي استشهد بها النُّحَاة من القُرْآن وكلام العرب لا يتعدى هذه الألفاظ التي ذكرها الفَرّاء.

يمنع البصريون نصب "غير" إذا لم يتمّ الكلام وهو عندهم من أقبح اللحن[٦]، وظاهر قول الفَرّاء: ((نصبوها تم الكلام قبلها أو لم يتم))[٧]، فيه جواز أن تقول: "جاءني غيرَ زيد" بالنصب؛ لأنه عمَّم الحكم[٨]، ومنعه الكِسَائي[٩] . ونسبة الفَرّاء ذلك إلى بعض بَنِيْ أسَد وقُضَاعَة تجعله مما اختصت به هاتان القبيلتان من بين العرب[١٠]، فهي لُغَة والناطق بلُغَة من لُغَات العرب مصيب غير مخطئ، كما وروى الخَلِيْل[١١] عن ابن كثير أنه قرأ: ﴿غَيْرَ الْمَغْضُوبِ﴾[١٢] بالنصب[١٣]، قال الأَخْفَش: جعلوه على الاستثناء الخارج من أول الكلام[١٤] يعني المنقطع[١٥] .

---

[١] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٣٦٦/٢، وإعراب القُرْآن للنحاس ٢٤٥/٣.

[٢] ينظر: الكشاف ١٣/٩.

[٣] فاطر من الآية/٣.

[٤] ينظر: معاني القُرْآن للفرّاء: ٣٢٧/١.

[٥] ينظر: معاني القُرْآن للفرّاء: ٣٢٧/١.

[٦] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٥٩/٢.

[٧] معاني القُرْآن للفراء ٣٨٢/١.

[٨] ينظر: التذييل والتكميل ٣٤٤/٨.

[٩] ينظر: إعراب القُرْآن لنحاس ٥٩/٢.

[١٠] ينظر: التذييل والتكميل ٣٤٤/٨.

[١١] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢١/١.

[١٢] الفاتحة من الآية/٧.

[١٣] ينظر: الحجة للفارسي ١٠٥/١، و مشكل إعراب القُرْآن ٧٢/١.

[١٤] ينظر: معاني القُرْآن للأخفش ١٨/١.

[١٥] ينظر في هذه الرسالة: الفصل الثالث، المبحث الثالث، المَسْأَلَة (٣): الاستثناء المنقطع.

المبحث الثالث: مكملات الجُمْلَة الفِعْلِيَّة

المَسْأَلَة (٥): الحال معرفة ومصدرا وعددا

لا يُستعمل من المصادر حالا إلا ما استعملته العرب، فهو مسموع، ولا يقاس عليه، هذا قول سِيْبَوَيْهِ[١] وعليه إجماع البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ[٢]، فلا يقال: جاء زيد بكاء، ولا أتانا سرعةً. وما ورد من ذلك نحو: جاء فلان ركضًا، وأتيته مشيًا وعدوًا،ولقيته فَجْأَة. فهو مؤول بالمشتق .

الحال وصف فضلة منصوب يذكر لبيان هيئة الفاعل أو المفعول أو لهما معًا . ولابدّ أن تتوافر فيها شروط: أن تكون صفة متنقلة، وأن يدلّ عاملها على تجدد، وأن يكون صاحبها معرفة غالبًا، وأن يكون مرجعها إلى السَّمَاع، وأن تكون مشتقةً لا جامدة . وأن تكون نكرة لا معرفة، و أن تقدّر بفي لأنها تشبه ظرف الزّمَان من حَيْثُ التحول والتنقل[٣] .

حق الحال أن يكون وصفًا مشتقًا هذا هو الأصل، قد ورد الْحال مصدرًا بكثرة في النكرات،قال أبو حيان أكثر من وروده نعتًا، ولكنه ليس بمقيس لمجيئه على خلاف الأصل، قال ابن مالك:

وَمَصْدَرٍ مُنَكّرٍ حَالًا يَقَعْ ... بكثرة كـ: بغتةً زيدٌ طلع

ومنه قوله تَعَالَىْ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾[٤]، وقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[٥]، وقال تَعَالَىْ: ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾[٦] وقال جلّ شأنه: ﴿يُنْفقُونَ أَمْوَالهم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار سِرًّا وَعَلَانِيَة﴾[٧] وقال سبحانه: ﴿وادعُوْهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٨] وقال عزّ وجلّ:﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾[٩] . فذهب سِيْبَوَيْهِ وجُمْهُور البَصْرِيِيْنَ إلى أنها مصَادر في موضع الحال مؤولة بالمشتق، وذهب ابن النحَّاس[١٠] إلى أن (سلامًا) في قراءة ابن مَسْعُوْدٍ[١] وعيسى بن عمر[٢]: ﴿وَلَهُمْ

---

[١] ينظر: الكتاب ٣٧٠/١.

[٢] ينظر: الهَمْع ٢٩٩/٢.

[٣] ينظر: الخلاف النحوي في شروح مفصل الزمخشري ص: ٢٠٣ الفَصْل الرابع – المبحث الثاني (مسألة ١٧: الأصل في الحال).

[٤] الأنفال من الآية/١٥

[٥] الأحقاف من الآية/١٥.

[٦] البقرة من الآية/٢٦٠.

[٧] البقرة من الآية/٢٧٤.

[٨] الأعراف من الآية/٥٦.

[٩] نوح من الآية/٨.

[١٠] ينظر: إعراب القُرْآن النحَّاس ٢٧١/٣.

﴿وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ . سَلامًا قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾[3]، مصدر منصوب على الحال بمعنى مسلّما، والتقدير: ولهم الذي يدّعون مسلّما، وتابعه مكي القيسي[4] وابن جني[5] . وذهب أبو إسحاق الزَّجَّاج[6] إلى أن (جزاءً) في قراءة أهل المدينة وأبي عمرو[7] وحمزة والكِسَائي وحفص عن عاصم[8]: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾[9] مصدر منصوب على الحال أي: مَجْزِيًّا بها . وذهب إلى ذلك مكي القيسي في قراءة قتادة ويعقوب[10]: ﴿فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ﴾[11] بنصب "جزاء" مع التنوين ورفع "الضعف"، كَقَوْلِك: في الدار قائما زيد[12]، قال الزَّجَّاج، والتقدير: فأولئك لهم الضعفُ جزاءً، أي: في حال المجازاة[13] . وذهب ابن جني[14] إلى أن (بَشْرًا) في قراءة أبي عبدالرحمن السلمي[15] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[16] مصدر منصوب على الحال، كَقَوْلِ الله تَعَالَىْ: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾، وقدّره باسم الفاعل "باشرات" في معنى "مبشّرات"، وذهب إلى ذلك أيضًا في قراءة ابن عباس[17] وعكرمة والضحاك[18] ﴿الْفُرْقَانَ وضِيَاءً﴾[19] بغير واو، قال: ((ينبغي أن يكون "ضياء" هنا حالا، كَقَوْلِك: دفعت إليك زيدا مجملا لك ومسددا من أمرك))[20]، وتابعه

---

[1] المرجع السابق ٣/٢٧١،

[2] ينظر: المحتسب ٢/٢١٥.

[3] يس من الآية/٥٧، والآية/٥٨.

[4] ينظر: مشكل إعراب القُرْآن ٢/٦٠٨

[5] ينظر: المحتسب ٢/٢١٥.

[6] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢/٣٠٦.

[7] المرجع السابق ٢/٣٠٥.

[8] ينظر: السبعة في القراءات ابن مجاهد ص: ٣٩٩، وحجة القراءات ابن زنجلة ص: ٤٣٠، و ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢/٣٠٥، والمحرر الوجيز ٣/٤٥٠.

[9] الكهف من الآية/٨٨

[10] ينظر: البحر المحيط ٨/٥٥٥.

[11] سبأ من الآية/٣٧.

[12] ينظر: البحر المحيط ٨/٥٥٥.

[13] ينظر: معاني القُرْآن للزجاج ٤/٢٥٦.

[14] ينظر: المحتسب ١/٢٥٥.

[15] ينظر: المحرر الوجيز ٢/٤١٢.

[16] الأعراف من الآية/٥٧.

[17] ينظر: معاني القُرْآن للزجاج ٣/٣٩٤.

[18] ينظر: المحتسب ٢/٦٤.

[19] الأنبياء من الآية/٤٨.

[20] المحتسب ٢/٦٤.

الزمخشري[1] . والكوفيون يجعلون الواو زائدة ؛ لأن الضياء هو الفرقان، والبصريون يجعلونها عاطفة[2] .

ومما جاء في الحديث: ((وَصَلَّى خَلْفَهُ قَوْمٌ قِيَامًا))[3] وروى الإمام أحمد عن أنس قال رسول الله ((ائْتَمُّوا بِإِمَامِكُمْ، فَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا مَعَهُ قُعُودًا))[4] ورواه البخاري في الأدب المفرد عن جابر بطرق متعددة[5] .

فكل ما جاء في ذلك من مصادر فهي حال مؤولة بالمشتق ؛ الحال صفة في المعنى، وكل صفة فهي مشتقة، فلو جاءت الحال غير مشتقة يجب حملها على الاشتقاق ولو في المعنى[6] .

ومع اعترافهم بكثرة ورودها في لُغَات العرب فقد قصروه على السَّمَاع[7]، فقال سِيْبَوَيْهِ[8]والجُمْهُور[9]: لا ينقاس مطلقا، وشذّ المُبَرِّد[10] فقال بالقياس في ما دل على نوع الفعل أو الحدث نحو: ضحكَ تبسّمًا وتبسّم ضحكًا،ولم يستبعده ابن مالك[11]، أما السَّيُوطِي فجعل القياس في ثلاثة أنواع متابعًا للناظم وابنه[12]، الأول: ما وقع بعد خبر قرن بـ"أل" الدالة على الكمال نحو: أنت الرجل علمًا، أي الكامل في حال العلم . والثاني: ما وقع بعد خبر يُشبَّه به مبتدؤه نحو: أنت زهير شعرًا. والثالث: ما وقع بعد (أما) نحو: أما علْمًا فعالمٌ، ويقال قياسا عليه: أمّا نُبْلًا فنبيلٌ، وذهب بعضهم إلى أنه مفعول به بفعل الشرط المقدر، والتقدير: مهما تذكر علما فالذي وُصِف عالمٌ[13] ..

---

[1] ينظر: الكشاف ١٢١/٣.

[2] ينظر: الحجة في القراءات السبع ابن خالويه ص: ٢٤٩.

[3] ينظر: مسند الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(ت: ٢٠٤هـ) ص:٢١١ طبعة: ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

[4] مسند أحمد أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(ت:٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ٣٥٨/٢٠ (ح/١٣٠٧١) الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة. ورواه البخاري في الأدب المفرد عن جابر

[5] ينظر: الأدب المفرد محمد بن إسماعيل البخاري(ت:٢٥٦هـ) حققه: سمير الزهيري ص:٥٢٠ (ح:٩٤٨)– ص:٥٣٣ (ح:٩٦٠)، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ –١٩٩٨م – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

[6] ينظر (اللباب) ٢٨٥/١

[7] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: ٦٩٧/٢.

[8] ينظر: الكتاب ١٧٠/١.

[9] ينظر: شرح التسهيل ٣٢٨/٢.

[10] ينظر: المقتضب ٢٦٨/٣.

[11] ينظر: شرح الكافية الشافية ٧٣٦/٢.

[12] ينظر: شرح التسهيل ٣٢٨/٢ – ٣٢٩، أوضح المسالك ٢٥٩/٢.

١٣ ينظر: الهَمْع ٢٩٩/٢.

ورفع المصدر بعد (أمّا) جائز في لُغَة تَمِيْم قالوا: أما علمٌ فعالمٌ، مع ترجيحهم النصب، فإن وقع بعد (أما) معرفة فالأرجح عند الحِجَازِيّيْن رفعه، وأوجبه بنو تَمِيْم نحو:أما العلمُ فعالم، أي فهو عالم، ويجوز نصبه أيضا في لُغَة الحِجَاز، ووجّهه سِيْبَوَيْهِ بأنه مفعول به؛ لتعذّر الحال بالتعريف والمصدر، لأنه مؤكد والمؤكد لا يكون معرفة، والأَخْفَش يجعله مصدرا مؤكدا في التنكير والتعريف[١] .

مجيء الحال معرفة

افترض النحويون مسبقا أن الحال لا تكون معرفة[٢]، هذا مذهب سِيْبَوَيْهِ وجُمْهُور النُّحَاة[٣]، قال سِيْبَوَيْهِ: ((الألف واللام لا يكونان حالا البتة، لو قلت: مررت بزيد القائم، كان قبيحا إذا أردت قائما))[٤]، وما ورد منها معرفة لفظًا فهو منكر معنى . والتنكير واجب ؛ وعلّة تنكيرها أنها خبر في المعنى[٥] والأصل في الخبر أن يكون نكرة، أو لأنّها مشابهةٌ للتمييز في البيان؛ لذلك وجب أن تكون نكرة كالتمييز[٦]، أو لكيلا يُتوهَّم أنَّها نعتٌ عند نصب صاحبها وخفاء إعرابها[٧] . أما ابن الناظم فذهب إلى أن وجوب تنكير الحال جاء من الفضلية التي التزم بها عكس غيره من الفضلات، التي يمكن أن تفارق الفضلية، وتصبح عمدا، فلذلك اكتسبت التعريف دون الحال[٨]،وهذا دليل مردود عليه من جهة أن بعض التراكيب ترد فيها الحال قائمة مقام العمدة، وسادة مسدها، وهذا ما يصرح به الواقع اللُغَوِيّ، كما في قولنا: (ضربي العبدَ مسيئًا)، فالحال في قولنا (مسيئًا) سدت مسد الخبر، وليس بوسع المُتَكَلّم الاستغناء عنها ؛ لأن التركيب يبقى محتاجا إليها لتمام الفائدة.

وذهب يونس من البَصْرِيِيْنَ، والبغداديون إلى جواز مجيء الحال معرفةً إطلاقًا[٩]،وقد ورد في القُرْآن الكريم وكلام العرب فلا سبيل لردّه بل يجب الأخذ به ومحاكاته.

---

١ ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٣٢٩/٢، والهَمْع ٣٠٠/٢.

٢ ينظر: الإنصاف (المَسْأَلَة ١١٩) ٨٢٢/٢، وتحصيل عين الذهب ص:٢٢٥، والحلل ص:١٣٥، والمقرب ص:٣٣٢.

٣ ينظر: التذييل والتكميل ٣٠/٩، وتوضيح المقاصد والمسالك ٦٩٧/٢.

٤ الكتاب: ٥٨/٢.

٥ ينظر: الهَمْع ٣٠١/٢.

٦ ينظر: شرح المقدمة المحسبة طاهر بن أحمد بن بابشاذ(ت:٤٦٩هـ) تحقيق: خالد عبد الكريم ٣١٢/٢، الطبعة الأولى: ١٩٧٧م – المطبعة العصرية – الكويت، وشرح ابن يعيش ١٧/٢.

٧ ينظر: الهَمْع ٣٠١/٢.

٨ ينظر: شرح ابن الناظم ص: ٢٣٠.

٩ ينظر: التذييل والتكميل ٣٠/٩، وتوضيح المقاصد والمسالك ٦٩٧/٢، وشرح ابن عقيل ٢٥٠/٢، والهَمْع ٣٠١/٢.

حكى سِيْبَوَيْهِ[1] عن العرب سماعًا مجيئها مقترنة بالألف واللام مثل: ادخلوا الأول فالأول، وجاءوا الجماء الغفير ،وكَقَوْلِ لبيد[2]:[من الوافر]

فأرْسَلَهَا العِرَاكَ ولمْ يَذُدْهَا ... ولمْ يُشْفِقْ على نَغَصِ الدَّخَالِ

ومثل البيت المتقدم قول أوس بن حجر[3]:

فأوردها التقريب والشد منهلا قطاه معيد كرة الورد عاطف

فقوله: (أوردها التقريب)، مثل قول لبيد (أرسلها العراك).

ووردت أيضا مضافة وقد استشهد الفَرّاء على ذلك بقول بعض بَنِيْ فَقْعَس[4]:[من الطويل]

أبعد الذي بالسفح سفح كُواكبٍ[5] رهينةَ رَمْسٍ من تراب وجندل

ثم قال: فنصب الرهينة بالفعل[6]، يعني: على الحال، كما في قوله تَعَالَىْ: ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا﴾[7] فنصبت على الحالية أي "زهرةً في الحياة وزينةً فيها[8] . وقال الشمّاخ: [من الطويل]

أَتَتْنِي سُلَيْمٌ قَضَّهَا بقَضِيضِها ... تُمَسِّحُ حَوْلِي بالبَقِيع سِبالَها

ونحو قولهم: تفرقوا أيادي سبأ، وطلبته جهدي وطاقتي، وكلمتّه فاه إلى فيّ، ورجع عودَه على بدئه، وجاء القوم قضّهم بقضيضهم، وخلق الله الزرافة يديها أطولَ من رجليها'وجاءت به سبطَ العظام، هذا ما صرح به النُّحَاة[9] .

وأما الأعداد المفردة المضافة إلى الضَّمَائِر نحو: مررت بالقوم ثلاثتَهم، وأربعتَهم، إلى العشرة [1]، فالحِجَازيون ألزموها حالة واحدة وهي النصب على الحالية في جميع الأحوال . وتأويله

---

[1] ينظر: الكتاب ٣٩٨/١.

[2] ينظر: في ديوان لبيد ص:١٠٨، ط. دار صادر"، والخزانة ١٩٢/٣، وشرح التصريح ٣٧٢/١، والكتاب لسِيْبَوَيْهِ ٣٧٢/١، والتذييل والتكميل ٣٣/٩، وتوضيح المقاصد ٢٢٨/١.

٣ ديوانه ص: ٦٩، وينظر: الحلل ص: ١٣٦.

٤ غير منسوب في معاني القُرْآن للفراء ١٩٦/٢،

[5] كواكب: اسم جبل. والرمس: القبر.

[6] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٩٦/٢.

[7] طة من الآية/١٣١

[8] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٩٦/٢، و مشكل إعراب القُرْآن ٧٨/٢، والمحرر الوجيز ٧١/٤، والجامع لأحكام القُرْآن ٢٦١/١١.

[9] ينظر: شرح ابن يعيش ١٥/٢ – ٢٠، وارتشاف الضرب ١٥٦١/٣، وشرح التصريح على التوضيح ٥٧٨/١ – ٥٨٠، والهَمْع ٢٩٩/٢ – ٣٠١.

وتأويله عند سِيْبَوَيْهِ أنه في موضع مصدر وُضِع موضع الحال، أي مثلّثا أو مخمّسا لهم . وبنو تَمِيْم يُتبعون ذلك لما قبله في الإعْرَاب توكيدًا[٢]، فعلى هذا يقدر بـ(جميعهم) وعلى الأول يقدر بـ(جميعا) .. ويجري ذلك في مركب العدد على الجواز، فيقال: جاء القوم خمسةَ عشرَهم والنسوة خمسةَ عشرتَهنّ بالنصب[٣].

فالحِجَازيون يوافقون القَاعِدَة في حكم نصب الأعداد المفردة المضافة إلى الضَّمَائِر وإعرابها على الحال، وبنو تَمِيْم يجعلونها توكيدًا لا حالًا، وتتبع ما قبلها، إن رفعًا فرفع، وإن نصبًا فنصب، وإن جرًا فجر، ولكل من الفريقين قياسه في اللُغَة .

وأما نحو: جاء زيد وحده، وقوله تَعَالَىْ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾[٤]، فمذهب الخَلِيْل وسِيْبَوَيْهِ كمذهبه في الأعداد من ثلاثة إلى عشرة أنه اسم موضوع موضع المصدر الموضوع موضع الحال، كأنه قال: إيحادًا، وإيحادا موضع موحدًا، ومع الفعل المتعدي نحو: ضربت زيدًا وحده هو حال من الفاعل، أي ضربته في حال إيحادي له بالضرب. ومذهب المُبَرِّد أنه حال من المفعول أي ضربته في حال أنه منفرد بالضرب، وذهب يونس، وهِشَامٍ، في أحد قوليه إلى أنه ينتصب انتصاب الظروف، فتجريه مجرى "عنده"، فجاء زيد وحده، تقديره: جاء زيد على وحده، ثم حذف الحرف، ونصب على الظرف[٥].

وفي كل ما ذكرنا من شَوَاهِد وأمثلة، هنالك تخريجات كثيرة وتأويلات متكلفة، وتقديرات لا يسعنا ذكرها ؛ لأن هدف المَسْأَلَة هو اعترافهم بكثرة ورود هذه الشَوَاهِد، ثم قصرها على المسموع وعدم القياس عليها، وقد ذكروا أن الحال خبر، وقد أجمعوا على مجيء الخبر مصدرًا نحو: هو عدل، وهي إقبال وإدبار، فما بالهم يمنعون مجي الحال ما دامت تشبهه .

ليس ثمة لُغَة محددة يُنْسبُ إليها مجيءُ الحال معرفة أو مصدرًا أو جامدًا ؛ لأن "الحال" مصطلح نحوي من صنيع النُحَاة لا يحصر بلُغَة ما ولا ينسب لأخرى، وكذلك شرط التنكير والاشتقاق فيها هما أيضًا من عمل النُحَاة في أثناء تَقْعِيْدهم لها . ولكن نُقِلَ عن العرب شَوَاهِد كثيرة يمكن تخريجها على الحالية لم يتوافر فيها ما اشترطه النُحَاة من الاشتقاق أو التنكير ،وهو مخالف لأقيسة النَّحْوِيِّيْنَ؛ وجب تأويلها بالنكرة، وإنما ساغ تأويل في هذه الأمثلة ونحوها؛ لأنه لا يمكن ردُّها لورودها في الفصيح من كلام العرب، هكذا نطق العرب، ولا يجوز نقدُ القواعد بها؛ لأن القواعد لا تُنقد بمجرَّد ما يُسمع .

---

[١] ينظر: التذييل والتكميل ٣٩/٩.

[٢] ينظر: الكتاب ٣٧٤/١، والارتشاف ١٥٦٨/٣، والهَمْع ٣٠٢/٢.

[٣] ينظر: التذييل والتكميل ٣٩/٩، والهَمْع ٢٩٩/٢ – ٣٠٢..

[٤] الزمر من الآية/٤٥.

[٥] ينظر: الارتشاف ١٥٦٦/٣.

فقول البَصْرِيِيْنَ، ومن تبعهم عن لسان السَّيُوطِي: ((ولا يكون شيء من ذلك حالًا))[1] باطل بالنقل قبل أنْ يكون باطلًا بالمعنى ؛ فالحال كما تأتي مشتقة ونكرة، وهو الأصل، تأتي أيضًا معرفة وجامدة ومصدرًا . فقد نطق العرب هذا وذاك . فمنع ذلك وقصره على السَّمَاع وعدم القياس عليه فيه تحجيم لما توسع فيه العرب من المبالُغَة والتوسع في المعنى بإيثارهم للمصدر عن الوصف[2]، وهو غير سديد في نظر الباحث لأنه يخالف الواقع اللُغَوِيّ. وقد لمح عدد من النُحَاة دكتاتورية القَاعِدَة، فرفضوها وأطلقوا الجواز فيه على التأويل بالمشتق، ومن النُحَاة من نبه على هذه الحقيقة، فقد قال ابن الحاجب: ((كل ما دل على هيئة صح أن يقع حالًا لقيامه بمعنى الحالية، فلا حاجة إلى اشتراط الاشتقاق، ولا إلى تكلفه لاستقلال ما يدل على هيئة))[3]، وأكثر شرّاح الألفية أجازوا ذلك عند شرحهم قول الناظم:

ومصدر منكر حالا يقع ... بكثرة كـ: بغتةً زيدٌ طلع

ولهذا كان رأي المُبَرِّد أسوغ من رأي النُحَاة ؛ لأنه كثير والكثرة تخول القياس، وهو قول الرضي[4] وأبي حيان[5] وابن هِشَامٍ[6] والسهيلي[7] . في حين ذهب بعض النَّحْوِيِّيْنَ أمثال يونس بن حبيب، والبغداديين[8] إلى جواز مجيء الحال معرفة محكمين السَّمَاع، والقياس في ذلك، إذ إن الشَوَاهِد المسموعة من العرب تؤيد ذلك، وقياس الحال على الخبر الذي يجوز أن يرد نكرة كما يرد معرفة يعضد مجيء الحال معرفة.. وبالجُمْلَة فالمصدرية في هذا الباب لا تنافي الحال، بل الإتيان بالحال هاهنا بلفظ المصدر يفيد ما يفيده المصدر مع زيادة فائدة الحال، فهو أتم معنى ولا تنافي بينهما[9].

---

[1] العمع ٥٤٧/١.

[2] ينظر: معاني النحو د.فاضل صالح السامرائي ٢٨٨/٢ – ٢٨٩ .

[3] شرح المقدمة الكافية ابن الحاجب ٥٠٩/٢

[4] ينظر : شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٢

[5] ينظر: ارتشاف الضرب ٣٣٤/٢

[6] ينظر: أوضح المسالك ٢٦٢/٢

[7] ينظر: نتائج الفكر ص: ٤٠٢

[8] يبدو أن مصطلح (البغداديين) كان يطلق على الكُوْفِيِّيْنَ الاوائل الذين سكنوا بغداد أمثال: الكِسَائي، والفَرّاء، وثعلب. أما مصطلح (الكُوْفِيِّيْنَ) فهي التسمية التي أقرها تلاميذ المُبَرِّد البصري فيما بعد حتى شملت الأوائل (البغداديين). لمزيد من التفصيل يراجع، الدرس النحوي في بغداد للدكتور مهدي المخزومي ص: ٢٢٦–٢٢٧.

[9] ينظر: تفسير القُرْآن الكريم محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية(ت:٧٥١هـ) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العَرَبِيَّة والإسلامية بإشراف الشيخ: إبْرَاهِيم رمضان ص: ٢٦٦ الطبعة الأولى:١٤١٠هـ – دار ومكتبة الهلال – بيروت.

وهذا ما يتماشى مع الواقع اللُغَوِيّ في توصيف الظاهرة كما نطقها أهلها، فلا ندعي منع أن تأتي مثل هذه المنصوبات أحوالًا لوقوعها مصادرًا ومعارف وأسماء جامدة، بل نذهب إلى جواز وقوع المصادر والمعارف و الاسم الجامد أحوالًا . فالمَنْهَج الصحيح والسليم الذي يجب أنْ يؤخذ به أنْ نعدل من الشروط اللفظية لما يقتضيه الواقع اللُغَوِيّ، فهذا يعد في نظرنا أجدى في توسيع نطاق القَاعِدَة في احتواء الصيغ الواردة حالا، ومن ثم يقطع دابر التأويل، والتعقيد المقعّد؛ لأن تأويل الأحوال الواردة معرفة بالنكرة لا يخرجها عن القيمة الوضعية التي هي عليها[1].

والواقع أن ما ذهب إليه يونس بن حبيب والبغداديون في تجويز مجيء الحال معرفة بلا قيد أو شرط هو الراجح ؛ لأن هناك شَوَاهِد ليست قليلة ورد فيها الحال معرفة، لذا فإن إطلاق الإجازة أولى من اتخاذ مسالك فرضيات التأويل النحوي الذي تترتب عليه آثار سلبية نتيجة لاختلاف الآراء من جهة نظر العلماء إلى جزئيات التأويل، مما يؤدي إلى تراكم الآراء، ومن ثم تعقيد المسائل النَّحْويّة، وفي النِهَايَة ارتفاع أصوات نقاد النحو العربي[2].

[1] ينظر: الحال في الجُمْلَة العَرَبِيَّة ص: ١٣٦ رسالة تقدم بها الطالب: فاخر هاشم سعد الياسري إلى كلية الآداب/جامعة البصرة، للحصول على درجة الماجستير في اللُغَة العَرَبِيَّة سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

[2] ينظر: الفرضيات وأثرها في أحكام النحو العربي ص:١٤٧.

المبحث الثالث: مكملات الجُمْلَة الفِعْلِيَّة

المَسْأَلَة (٦): المصدر الدال على الدعاء أو الثناء، والمعرف بـ(أل)، والواقع بعد (أمّا)

أولًا: المصدر الدال على الدعاء أو الثناء

يجوز في المصادر المنكّرة الواقعة في الجُمْلَة الخبرية أو الانشائية الدالة على الدعاء وجهان:

الأول: النصب،نحو قولك: سَقْيًا ورَعْيًا، وحَمْدًا وشُكْرًا لا كُفْرًا، وعَجَبًا، وبُؤْسًا، وبُعْدًا، وسُحْقًا . وهي اللُغَة المشْهُوْرة والمختارة [١]. الأكثر والأجود عند سِيْبَوَيْهِ[٢] وغيره من النُّحَاة[٣] ؛ لأن المصدر قائم مقام الفعل ؛ لمشابهته إياه في التنكير، فيعرب مفعولًا مطلقًا . وعلة الحذف أنهم جعلوا المصدر بدلا من التلفّظ بذلك الفعل[٤]،ويُسَمِّيْهُ سِيْبَوَيْهِ "فعل مضمر متروك إظهاره"[٥] وبعضهم يُظهِر الفعلَ تأكيدًا، فيقول:سقاك الله سَقْيًا، ورَعاك الله رَعْيًا وليس بالكثير[٦]، ومن المحذوف فعله قول المرقش الأصغر[٧]:

عجبًا ما عَجِبْتُ للعاقد المال ... ورَيْبُ الزّمَان جَمُّ الخُبُولِ

وفي كتاب الله قوله تَعَالَىْ ﴿أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[٨]، وقال سبحانه: ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٩] . وجاء من هذه اللُغَة الحديث الشريف: ((بُعْدًا لكُنّ وسُحْقًا فعَنْكُنّ كنتُ أُنَاضِل)) .

الثاني: الرفع،نحو قولك: حمدٌ لله وشكرٌ، وسحقٌ لك وبعدٌ، وسَقيٌ لك ورَعيٌ، وقد عزاها الأزهري[١٠]،وابن منظور[١١] إلى بَنِيْ تَمِيْم، وفي موضع آخر[١٢] قال: ولُغَة أهل الْحِجَاز: بُعْدٌ لهُ وسُحْقٌ، يجعلونه اسْما[١٣] . فيكون المصدر المَرْفُوع مبتدأ وما بعده خبر، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف

---

[١] ينظر: اللسان ٣/٩٠ (بعد)

[٢] ينظر: الكتاب ١/٣٢١.

[٣] ينظر: المقتضب ٣/٢٢١، وشرح ابن يعيش ١/٢٨٢،

[٤] ينظر: الكتاب ١/٣١٢، وشرح ابن يعيش ١/٢٨٠.

[٥] ينظر: الكتاب ١/٢٩٦، و وشرح ابن يعيش ١/٢٨٠.

[٦] ينظر: شرح ابن يعيش ١/٢٨٠.

[٧] ينظر: المفضليات المفضل بن محمد الضبي(ت:١٦٨هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون ص: ٢٥١، الطبعة السادسة د. ت، دار المعارف – القاهرة.

[٨] هود/٩٥.

[٩] تبارك من الآية/١١.

[١٠] ينظر: تهذيب اللُغَة ٢/١٤٥ (ع د ب)،

[١١] ينظر: اللسان ٣/٩١ (بعد)

[١٢] ينظر: التهذيب ٤/١٧ (سحق)

[١٣] ينظر: اللسان ١٠/١٥٤ (سحق)

تقديره "أمري أو شأني"، واستبعد المُبَرِّد وجه الرفع إذا جُعِلَ مبتدأ وما بعده خبره ؛ لأنه يبتدأ بنكرة [1] . والجُمْهُور على أنه خبر لمبتدأ محذوف . حكى سِيْبَوَيْهِ [2] عمّن يوثق به من العرب، يقال له: كيف أَصبحتَ؟ فيقولُ: حمدُ اللهِ وثناءٌ عليه، كأَنّه يقول: أمري " وشأنى " حمدُ الله وثناءٌ عليه، واستشهد بقول الشاعر [3]:

عَجَبٌ لِتِلْكَ قَضِيّة وإقامتى ... فيكمْ على تلك القَضِيّة أَعْجَبُ

وبقول الآخر:

فقالت حَنانٌ ما أَتى بك ههنا ... أَذَو نَسَبٍ أَمْ أنتَ بالحىِّ عارِفُ

وقال آخر [4]: [من الخفيف]

لا عجيبٌ فيما رأيتُ، ولكنْ ... عَجَبٌ منْ تفَرّطِ الآجال

نحو قوله تَعَالَىْ ((فصبر جميل))

ثانيًا: المصدر المحلّى بالألف واللام

في المصدر المعرف بـ "أل" لغتان:

إحداهما: الرفع، تقول: العجبُ لك، والكرامةُ لك،وعليه قراءة السبعة وجُمْهُور الناس [5] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [6] . فيكون المصدر مَرْفُوعًا على الابتداء، وما بعده خبره . وهو الأجود من حَيْثُ اللفظ والمعنى [7] ويظهر أنه قياس [8] ؛ لأن أصل هذه الجُمْلَة اسْمِيَّة خبرية، والمصدر معرفة فقوي في الابتداء [9]، والمصدر المَرْفُوع في معنى المنصوب ؛ لأن كلا منهما إخبار، فإذا قلت: الحمدُ لله، فهو على معنى: أحمدُ الحمدَ الله، وهذا إخبار، ونظرًا لأن الرفع أمكن في المعنى [10] ؛ لأنه يدل على الثبوت والاستقرار المستفاد من الجُمْلَة الاسْمِيَّة، ويدل على العموم المستفاد من "أل"

---

[1] ينظر: المقتضب ٣/٢٢١.

[2] ينظر: الكتاب ١/٣١٩ – ٣٢٠.

[3] لهني بن أحمر في الكتاب ١/٣١٩، ولضمرة بن جابر في الدرر ٣/٧٢، ولسان العرب ٦/٦١ (حيس) ولهمام بن مرة في الحماسة الشجرية ١/٢٥٦، وبلا نسبة في شرح التصريح ٢/٨٧، وهَمْع الهَوَامِعِ ١/١٩١.

[4] البيت لعمرو بن قميئة في ديوانه ص: ٦٧.

[5] ينظر: المحرر الوجيز ١/٦٦، والبحر المحيط ١/٣٤، وإتحاف فضلاء البشر ص: ١٦٢.

[6] الفاتحة/٢.

[7] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١/١٧.

[8] ينظر: التذيل والتكميل ٧/١٩٩.

[9] ينظر: الكتاب ١/٣٢٨.

[10] ينظر: البحر المحيط ١/٣٤.

الجنسية، فإذا قلت: الحمدُ لله، دلّ على ثبوت جنس الحمد واستقراره لله تَعَالَىٰ[1]، وكانت اللام الجارة للاستحقاق[2]. بخلاف النصب فإنه يدلّ على التجدد والحدوث والتخصيص ؛ لأن النصب يحتاج لعامل، تقديره: أحمدُ الله، فيكون مشعرًا بالتجدد والحدوث، ومخصصًا الحمد بتخصيص فاعله[3] .

والآخر: النصب،نحو قولك: العجبَ لك، والكرامةَ لك، قال سِيْبَوَيْهِ ((ومن العرب من يَنصب بالألف واللام، من ذلك قولك: الحمدَ لله، فينصبها عامَّةُ بنى تَمِيْم وناسٌ من العرب كثير))[4] منهم قيس والحارث بن سامة[5] . وقُرِئ قوله تَعَالَىٰ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بالنصب في قراءة هارون العتكي، وسفيان بن عيينة، ورؤبة بن العجاج[6] .

وقُرِئ في الشاذة (الحَمْدُ لُله) مضمومة الدال واللام على إتباع الثاني للأول، قرأ بها إبراهيم بن أبي عبلة[7]، ونُسِبتْ لبعض قيس[8]، وأهل البادِيَة[9] . وقُرِئ (الحمدِ لِله) بكسر الدال إتباعًا للام الجر[10]، وهي قراءة ابن أبي عبلة[11] وزيد بن علي، والحسن البصري[12]، ونُسِبَ الكسرُ لتَمِيْم[13] وبعض غطفان[14] .

---

[1] المرجع السابق ٣٤/١..

[2] المرجع السابق ٣٤/١، والهَمْع ٤٥١/٢.

[3] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٧/١، والكشاف ٩/١، والبحر المحيط ٣٤/١، والدر المصون ٤٠/١.

[4] الكتاب ٣٢٩/١.

[5] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٧/١.

[6] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٧/١، ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص: ٩، والمحرر الوجيز ٦٦/١، والبحر المحيط ٣٤/١.

[7] **إبْرَاهِيم ابن أبي عبلة:** تابعي أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى الأوصابية، كما قرأ على الزهري وروى عنه وعن أبي أمامة وأنس، توفي سنة ١٥١هـ وقيل ١٥٢هـ. وقيل ١٥٣هـ [طبقات القراء لابن الجزري: ١٩/١].

[8] ينظر: المجيد في إعراب القُرْآن المجيد برهان الدين أبو إسحاق إبْرَاهِيم بن محمد السفاقسي(ت:٧٤٢هـ) تحقيق: حاتم صالح الضامن ٣٧/١، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

[9] ينظر: المحتسب ٣٧/١.

[10] ينظر: اتحاف فضلاء البشر ص: ١٦٢

[11] ينظر: المحرر الوجيز ٦٦/١.

[12] **الحسن البصري:** هو أبو سعيد الحسن البصري إمام أهل البصرة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وكان جامعًا عالمًا رفيعًا فقيهًا حجة مأمونًا عابدًا كثير العلم فصيحًا، توفي سنة ١١٠. [شذرات الذهب: ١٣٦/١].

[13] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٨/١.

[14] ينظر: المجيد في إعراب القُرْآن المجيد للسفاقسي ٣٧/١.

خالفت تَمِيْم وقيس وبنو الحارث بن سامة اللُغَة المشتركة، ولجأت إلى نصب المصدر المحلى بأل، والنصب هنا على المفعولية المطلقة ؛ لأن المصدر أقيم مقام فعله[١]، والجار والمجرور متعلق بمحذوف، ولا يجوز أن يتعلّق الجار والمجرور بالمصدر ؛ لأن لام الجر للتبيين، وليست مقوية للتعدية .

وهذا النصب المعزو لتَمِيْم جاء مخالفًا ما عُهِد عنها في رفع المصادر، حَيْثُ تميل إلى النصب أو الفتح في المصدر الواقع بعد "أما" . والرفع إن كان يلائم البيئة البَدَوِيَّة[٢]، فالنصب يلائم البيئة الحضرية، لكن اللُغَة ليست ثابتة بل يطرأ عليها التغيير فلا تبقى على حال واحدة فترة طويلة . فقَبَائِل تَمِيْم ليست كلها بَدَوِيَّة، وكذلك قَبَائِل الحِجَاز فيهم الحضر والبدو ؛ لأن القَبَائِل العَرَبِيَّة بشكل عام على كثرتها واختلاف بيئاتها وصعوبة تنقلها أحيانًا، لم تكن في عزلة تامة عن بعضها البعض، وكذلك اللُغَة لابد لها من التأثر والتأثير في أثناء احتكاك القَبَائِل واتصالها بعضها ببعض[٣] .

والذي دعاهم إلى النصب هو ميلهم إلى التخفيف ؛ لأن هذه اللفظة كثيرة في الكلام، والضمُّ ثقيل لا سيما إذا كان بعده كسرة، فأبدلوا من الضمة فتحةً لخفتها[٤]، وجرّأهم على النصب أن المصدر المنصوب فيه معنى المَرْفُوع ؛ لأن كلًا منهما إخبار، فإن قلت: الحمدَ لله، فهو على تقدير: أحمدُ الله حمدًا، وهذا إخبار[٥] .

أيضًا نصبهم هذا المصدر يشير إلى التطور في هذا التركيب، فنصبه يدل على أن أصله التنكير، لأن الأصل في المفعول المطلق التنكير، ويدل على التطور الدلالي أن قولك: (الحمدُ لله) أبلغ من قولك: (الحمدَ لله)، وأن (الحمدَ لله) بالنصب والتعريف أبلغ من: (حمدًا لله) بالتنكير[٦] .

ثالثًا: المصدر الواقع بعد "أما"

المصدر الواقع بعد "أما" لا يعدو أن يكون نكرة أو معرفًا بـ"أل":

---

[١] ينظر: معاني القُرْآن للأخفش ٩/١.

[٢] ذكر ابن جني في المحتسب أن قراءة الرفع بضم الدال واللام قراءة أهل البادِيَة [المحتسب ٣٧/١].

[٣] ينظر: اللَهْجَات في التراث ص: ٣٦- ٣٩.

[٤] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٨/١ .

[٥] ينظر: الكتاب ٣٢٨/١، والتذييل والتكميل ١٩٤/٧ وما بعدها

[٦] ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ١٥٨/١ سنة النشر: ١٩٨٤م – الدار التونسية – تونس.

فإن كان نكرة، فأهل الحِجَاز وعامة العرب ينصبونه وجوبًا، من باب كونه مفعولًا له،نحو: أمّا علمًا فعالمٌ . وبنو تَمِيْم يجيزون النصب على الحالية، والرفع على الابتداء، مع ترجيح النصب[1]، فيقولون: أمّا علمًا فعالمٌ، وأمّا علمٌ فعالم .

وإذا كان معرفًا بـ"أل"، فأهل الحِجَاز وعامة العرب يجيزون الرفع على الابتداء، والنصب على أنه مفعول له، والرفع أرجح، نحو: أمّا العلمُ فعالم . أما بنو تَمِيْم فيوجبون الرفع، نحو: أما العلمُ فعالم .

ولا خلاف في إعراب المَرْفُوع وجوبًا أو جوازًا على الابتداء في اللغتين . ولكن الخلاف يتجلى في المنصوب . فبنو تَمِيْم ينصبون النكرة على الحالية، وعاملها إمّا محذوف، والتقدير: مهما تذكر زيدًا عالمًا فهو عالم، وإمّا العامل هو المذكور بعدها، فيكون حالًا مؤكدة، والتقدير: إما علمًا فهو عالم علمًا . والحِجَازيون وغيرهم من العرب ينصبون المصدر على أنه مفعول له، تقديره: مهما تذكر فأنت الرجل لعلم أو للعلم، قال السيرافي ((أهل الحِجَاز ينصبون علمًا في قولهم: أما علمًا فعالم، على أنه مفعول له، وبنو تَمِيْم ينصبونه على أنه حال، فإذا دخلت عليه الألف واللام نصبه أهل الحِجَاز لأنه عندهم على أنه مفعول له، والمفعول له يجوز أ نيكون معرفة ونكرة . ويرفعه بنو تَمِيْم ؛ لأنهم نصبوه قبل دُخُوْل الألف واللام على الحال، فإذا دخلت عليه الألف واللام لم يكن أن ينصبه على الحال ؛ لأنه قد صار معرفة، فرفعوه بالابتداء))[2] .

لعل كثرة جدل النُّحَاة في ذلك يعود لبحثهم عن علّة النصب للمصدر، فسِيْبَوَيْهِ يجعل المصدر المنصوب المعرف بأل مفعولا له؛ لتعذر الحال بالتعريف والمصدر[3]، والتقدير: مهما يذكر زيد للعلم أو من أجل العلم، فهو عالم، ويطّرد عنده الحال مصدرًا في نحو: أما علمًا فعالم، حتى إنه عنون له (باب ما ينتصب من المصادر لأنّه حال)[4] فالناصب لهذه الحال هو فعل الشرط المحذوف وصاحب الحال هو المَرْفُوع بفعل الشرط[5]، فالمصادر التي تقع بعد (أما) تنتصب بما بعدها أو ما قبلها، ألا ترى أنك لو قلت: أما علما فلا علم عنده، فهذا لا ينتصب بما بعده، وإنما ينتصب بما تقدره قبله، وإذا قلت: أما علما فعالم، جاز أن تنصبه بما بعده،أي: فعالم علمًا[6].

---

[1] ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٢/٢٧٠.

[2] شرح أبيات سِيْبَوَيْهِ ١/١٨٠.

[3] ينظر في هذه الرسالة: الفصل الثالث، المبحث الثالث، المَسْأَلَة (٥): مجيء الحال معرفة ومصدرا .

[4] ينظر: الكتاب ١/٣٨٤، وشرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٢/٢٧٠.

[5] ينظر: الهَمْع ٢/٢٩٩

[6] ينظر: الانتصار ص: ١٠٩ (م/٣٧).

والأَخْفَش يجعله مفعولًا مطلقًا مؤكدًا في النكرة والمعرفة[1]،والتقدير: مهما يكن من شيء فالمذكور عالم علمًا، والكوفيون يجعلونه مفعولًا به في النكرة والمعرفة، والتقدير: مهما تذكر العلمَ (أوعلمًا) فالذي وصِفَ عالمٌ[2]، واختاره السيرافي وابن مالك ؛ لأنه لا يخرج منه شيء عن أصله على عكس الحالية فهو على التأويل بالمشتق[3] .

ما ورد من مصادر في هذا الباب تارة تكون معرفة بـ"أل"، وتارة تكون جُمْلَة إنشائية لغرض الدعاء، وتارة تكون جُمْلَة خبرية في سياق الثناء، وتارة تتركب مع "أمّا" فترد معرفة ونكرة .

قد جعل القَاعِدَة النَّحْويّة تتأرجح، وغير مستقرة، فما يوجب الحِجَازيون رفعه يجب في لُغَة تَمِيْم وقيس نصبه "الحمدُ لله"، وما يوجب الحِجَازيون نصبه يجب رفعه في لُغَة تَمِيْم "بعدًا لك وسحقًا"، وما يوجب التَمِيْميون رفعه يجوز نصبه في لُغَة الحِجَاز "أما العلمُ فعالم"، وما يوجب الحِجَازيون نصبه يجوز رفعه في لُغَة تَمِيْم "أما علمًا فعالمٌ" .

كثر شغب النُّحَاة في هذه المَسْأَلَة بسبب بحثهم عن عامل النصب في ما بعد (أمّا)، خصوصًا أن ما بعدها لا يقتصر على المصادر كما في هذه المَسْأَلَة، بل قد يكون اسمًا جامدًا نحو: أما، أو اسمًا مشتقًا نحو: أما صديقًا مصافيًا فليس بصديق مصاف، أو علمًا نحو: أما قُرَيْشًا فأنا أفضلها، أو معرفًا بأل نحو: أما العبيدَ فذو عبيد، فكثرت تقديراتهم وتأويلاتهم وتخريجاتهم، كلٌ حسب مذهبه ورؤيته للتركيب . كل هذا وغيره جعل هذا الباب من الصعوبة بمكان حتى على النَّحْوِيِّيْنَ المتقدمين[4]، حتى قال الزَّجَّاج: هذا الباب لم يفهمه أحد إلا الخَلِيْل وسِيْبَوَيْهِ[5] .

---

[1] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٢/٣٢٩، والهَمْع ٢/٣٠٠.

[2] ينظر: الهَمْع ٢/٣٠٠.

[3] ينظر: الهَمْع ٢/٣٠٠.

[4] ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٢/٢٧٠.

[5] ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٢/٢٧٠، والنكت ص: ٤٠٧.

المبحث الثالث: مكملات الجُمْلَة الفِعْلِيَّة

المَسْأَلَة (٧): تمييز (كم) الخبرية

(كم) قسمان: اسْتِفْهَامِيَّة يؤتَى بها للاستفهام عن عدد مبهم ولابدّ لها من تمييز[١]، وخبرية تكون مجرد لفظ دال على الخبر[٢] أو تستعمل للتكثير[٣] خلافًا لابن طاهر وتلميذه ابن خروف[٤] . أما الاسْتِفْهَامِيَّة فلا خلاف في اسميتها، وأما الخبرية فذهب بعض النَّحْوِيِّيْنَ إلى أنها حرف للتكثير في مقابلة (ربّ) الدالة على التقليل، والصحيح أنها اسم[٥] .

جُمْهُور النُّحَاة على أنها مفردة لا مركّبة، خلافا للكسائي والفَرّاء فإنها عندهما مركبة من كاف التشبيه، وما الاسْتِفْهَامِيَّة محذوفة الألف، وسكّنَتْ ميمُها لكثرة الاستعمال[٦] . وعلة بناء "كم" الاسْتِفْهَامِيَّة هو الشبه المعنوي في كونها تؤدي معنى لا يؤدى إلا بالحرف، و"كم" الخبرية بنيت لشبهها بالاسْتِفْهَامِيَّة لفظًا ومعنى[٧]، وقيل لشبهها بـ(رب)[٨] . وتشترك "كم" الاسْتِفْهَامِيَّة والخبرية في خمسة أمور هي: الاسْمِيَّة، والإبهام، والافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير[٩] .

أكثر العرب يجرّون تمييز (كم) الخبرية[١٠] ؛ ليفرقوا بين تمييزها وتمييز (كم) الاسْتِفْهَامِيَّة، وقيل لأنها للتكثير والعرب تكثّر بالمائة والألف[١١] . ويكون مفردًا مجرورًا، نحو: كم كتابٍ قرأتُ، وكم درهمٍ أنفقت، وكَقَوْلِ الفَرَزْدَق[١٢]:[من الكامل]

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَاْ جَرِيْرُ وَخَالَةٍ ... فَدْعَاءُ قَدْ حَلَبَتْ عليَّ عِشَارِيْ

---

[١] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك ١٣٣٥/٣، وشرح ابن عقيل ٨٢/٤.

[٢] ينظر: الكتاب ١٥٦/٢.

[٣] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٤٣، وشرح ابن عقيل ٨٣/٤.

[٤] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك ١٣٤١/٣.

[٥] ينظر: الجنى الداني ص:٢٦١، و توضيح المقاصد والمسالك ١٣٣٥/٣، والمساعد ١٠٦/٢، والتصريح بمضمون التوضيح ٤٧٣/٢.

[٦] ينظر: شرح الجمل لابن عصفور ١٤١/٢، والجنى الداني ص:٢٦١.

[٧] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٤٢١/٢، و توضيح المقاصد والمسالك ١٣٤١/٣.

[٨] ينظر: شرح الجمل لابن عصفور: ١٤٦/٢.

[٩] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٤٣.

[١٠] ينظر: شرح ابن يعيش ١٧٥/٣.

[١١] ينظر: شرح الجمل لابن عصفور: ١٤٢/٢.

[١٢] ديوان الفَرَزْدَق ص: ٤٥١، وله في الكتاب ١٦٢/٢، ومعاني القُرْآن للفراء ١٦٩/١، والمقتضب ٥٨/٣، وسر صناعة الإعْرَاب ٣٣١/١.

وقد يكون جمعا كَقَوْلِ الشاعر[1]:[من المديد]

كم ملوكٍ بادَ مُلكُهمُ ونعيمِ سُوقةٍ بادوا

والإفراد أكثر من الجَمْع وأفْصَح[2]، وذهب أبو علي الشلوبين[3]، وابن هِشَامٍ الخضراوي[4] إلى التزم الإفراد فيه؛ لأن العرب التزمته في كل تمييز منصوب عن عدد أو كناية[5]، وتبعهم بعض النُّحَاة المتأخرين[6]، حتى زعم بعضهم أن تمييزها بالجَمْع شاذّ وعليه العُكْبُرِيّ[7] وليس بشاذ[8]، وقد يكون جمعًا يراد به المفرد[9] ..

ويجرّ تمييز "كم" الخبرية بإضافتها إليه عند البَصْرِيِيْنَ[10]، وقال الفَرّاء على إضمار (مِن) مقدرة؛ لأن "من" كثر دُخُوْلها على تمييز "كم" الخبرية[11]، ونسب للكوفيين[12]، مستدلين بقوله تَعَالَىْ (وكم من ملَكٍ في السموات والأرض) وقوله تَعَالَىْ (وكم من قرية أهلكناها).. وأفْصَح اللُّغَات إذا فصلتَ أن تأتي بمَنْ، وهي اللُّغَة التي جاء بها القُرْآن قال تَعَالَىْ: (وكم أرسلنا من نبي في الأولين)[13]، ومن العرب من لا يأتي بمن مع وجود الفَصْل، بل يتعين النصب حملًا على

---

[1] بلا نسبة في شرح شَوَاهِد المغني ٥١١/١، و المقاصد النَّحْويّة ٢٠٠٣/٤، والهَمْع ٣٥٢/٢.

[2] ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ٣٨٥/٢، وتوضيح المقاصد والمسالك ١٣٣٨/٣.

[3] **الشلوبين:** أبو علي عمر بن محمد بن عبد الله الأشبيلي والمعروف بالشلوبين ولد سنة ٥٦٢هـ، كان إمام عصره في النحو واللغة، أخذ عن ابن ملكون، ومحمد بن خلف، أقرأ الناس نحو ستين سنة، حتى علا صيته واشتهر ذكره، توفي سنة٦٤٥ هـ. له (التوطئة) و(شرح المقدمة الجزولية)،(تعليق على الكتاب).

[4] **ابن هِشَامٍ الخضراوي:** أبو عبد الله محمد بن يحيى بن هِشَامٍ الخضراوي التونسي، كان رأسًا في العَرَبِيَّة، أخذها عن ابن خروف و الرندي و الشلوبيني، وأخذ القراءات عن أبيه. توفي بتونس سنة ٦٤٦هـ، له(المسائل النخب) و(الإفصاح بفوائد الإيضاح) وغيرهما.

[5] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٣٥٤/٢.

[6] ينظر: مغني اللبيب ص:٢٤٥، وحاشية الخضري ١٤١/٢، والتصريح بمضمون التوضيح ٤٧٥/٢.

[7] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٣٥٣/٢.

[8] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك ١٣٣٨/٣

[9] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٣٥٣/٢.

[10] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٣٥٣/٢.

[11] ينظر: التصريح بمضمون التوضيح ٤٧٤/٢.

[12] ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣٨٢/٢، وتوضيح المقاصد والمسالك ١٣٣٨/٣، وارتشاف الضرب٧٧٩/٢، وهَمْع الهَوَامِعِ ٣٥٣/٢.

[13] الزخرف/٦.

(كم) الاسْتِفْهَامِيَّة[1]، أو لأنه قبيح أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه[2]، كَقَوْلِ القطامي[3]:[من البسيط]

كم نالني منهمُ فضلًا على عدَمٍ إذ لا أكادُ من الافتقار أحتملُ

وجرّه مع الفَصْل عند الفَرّاء جائز مطلقًا ؛ لأنه يرى جرّه بمن المقدّرة لا بالإضَافَة[4] كَقَوْلِ ذي الرمة:[من البسيط]

كم دون مَيَّة مَومَاةٍ يُهالُ لها ... إذا تيمَّمها الخريت ذُو الجلدِ

وذكر سِيْبَوَيْهِ أن نصب تمييز (كم) الخبرية بغير فصل لُغَة لبعض العرب ولم يعزُها[5]،يقولون: كم رجلًا زارني، وروى أن كثيرًا من العرب ينشد بيت الفَرَزْدَق (كم عمةٍ لك) بالنصب[6] . ولكن أكثر النُّحَاة نصّوا على أنها لُغَة لبَنِيْ تَمِيْم[7]. وقضى أبو حيان[8] وابن عقيل[9] بأنها لُغَة قليلة ولكنه وجه جيد[10] . والصواب أنها لُغَة قوم مخصوصين من العرب، ولا سبيل لإنكارها وإن كانت قليلة .

إن جرّ تمييز (كم) الخبرية هو اللُغَة المشْهُوْرة[11]، وهو الأكثر والأفْصَح[12]، ولكن الذي يعنينا في المَسْأَلَة أن بَنِيْ تَمِيْم ينصبون تمييزها من دون فاصل، وهو عربيٌ جيد، وقد علل بعض الباحثين[13] ظاهرة النصب عند تَمِيْم بأنها بسبب قانون الميل إلى اطراد القَاعِدَة على وتيرة واحدة؛

---

[1] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك ١٣٣٨/٣، وحاشية الخضري ١٤١/٢.

[2] ينظر: شرح ابن يعيش ١٧٥/٣.

[3] ديوانه ص: ٣٠، وله في وخزانة الأدب ٤٧٧/٦، ٤٧٨، ٤٨٣، والكتاب ١٦٥/٢، والمقاصد النَّحْويّة ١٢٣٨/٣، ٢٠٠١/٤، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٣٨٣/١.

[4] ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣٨٣/٢، وارتشاف الضرب ٧٨١/٢.

[5] ينظر: الكتاب ١٦١/٢.

[6] ينظر: الكتاب ١٦٢/٢.

[7] ينظر: شرح ابن يعيش ١٧٥/٣، وشرح التسهيل لابن مالك ٤٢١/٢، وارتشاف الضرب ٧٨١/٢، وتوضيح المقاصد والمسالك ١٣٤٠/٣، ومغني اللبيب ص: ٢٤٥.

[8] ارتشاف الضرب ٧٨١/٢.

[9] ينظر: المساعد في تسهيل الفوائد ٥١١/٢.

[10] ينظر: شرح ابن يعيش ١٧٥/٣.

[11] ينظر: شرح الألفية لابن الناظم ص:١٤١.

[12] ينظر: حاشية الخضري ١٤١/٢.

[13] ينظر: لُغَة تَمِيْم ضاحي عبد الباقي ص:٥٢٩، ولُغَات القَبَائِل في كتب إعراب القُرْآن ص:١٢٤، لحن العامة والتطور اللُغَوِيّ د. رمضان عبد التواب ص:٣٩،٥٣ الطبعة الثانية: ٢٠٠٠م، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة.

فإن بَنِيْ تَمِيْم عندما حذفوا "من" قبل تمييز الخبرية، مالوا إلى نصب التمييز قياسًا على الاسْتِفْهَامِيَّة ؛ لأن أصل "كم" الاستفهام، فتركت على أصلها[1]، وهي المرحلة الأولى من مراحل تطورها، ثم استخدمت في الخبر للتكثير، وأبقوا تمييزها منصوبًا معتمدين في التفريق بينها وبين الاسْتِفْهَامِيَّة على قرينة الحال[2] .

وأمّا جرّ تمييزها في لُغَةِ عامةِ العرب فهي تمثلُ المرحلة التالية، وهي الأكثرُ والأفْصَحُ والأشهر؛ لأنَّ القرينة اللفظية أوْضَحُ وآكدُ من القرينة الحالية في التفريق بينهما لقرب اللبس[3]، ولهذا نظن أن القَاعِدَة ثابتة ومستقرة ولم تتعرض لاضْطِرَاب ربما لقلة استعمال هذه اللُغَة .

[1] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٦٩/١.

[2] ينظر: شرح الكافية للرضي ٣٨٥/٢.

[3] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص: ٢٨٩.

الفصلُ الرابعُ:
الحرفُ والضرورةُ الشعريّةُ

المبحث الأول: وظائف الحُرُوْف

المَسْأَلَة (١): (مذ/منذ) بين الاسْمِيَّة والحَرْفِيَّة

وفيهما لغتان: ضم الميم وهي الفُصْحَىْ، وكسرها[١] . وكسر الميم لُغَة بَنِيْ سليم كذا قال ابن مالك، وقال أبو حيان حكي اللحياني في نوادره كسر ميم "منذ" عن بَنِيْ سليم[٢]، وحكى الفَرّاء عن عكل كسر الميم من "مذ" فقالوا: مِذ يومان [٣]. وضم ذال (مذ) سواء كان بعده ساكن أم لا لُغَة لبَنِيْ غني[٤] وهم حيٌ من غطفان .

جُمْهُور[٥] النَّحْوِيِّيْنَ على أن أصل (مذ) هو (منذ)؛ لأنك لو سميت بـ (مذ) لقلت في تصغيره (منيذ) وفي تكسيره (أمناذ) والتصغير والتكسير يردان الأشياء إلى أصولها[٦]، أيضًا ذال "مذ" يكثر فيها الضم عند ملاقاة ساكن، نحو: ما رأيته مذُ اليوم[٧]. وثبت أن بَنِيْ غني يضمون ذال "مذ"، قبل متحرك باعتبار النون المحذوفة، لفظًا لانيّة. فحكموا بذلك أن "مذ" محذوفة النون، وأصلها "منذ" خلافًا لابن ملكون[٨] إذ ذهب إلى أن "مذ" ليست محذوفة من "منذ"[٩]. والعرب تستعملهما اسمين وحرفين[١٠] . والأغلب على (منذ) أن تكون حرفا ويجوز أن تكون اسما، والأغلب على (مذ) أن تكون اسما[١١] للحذف الذي لحقها والحذف بابه الأَسْمَاءوالأفعال[١٢] .

وقد كثر اختلاف النَّحْوِيِّيْنَ في (منذ) من حَيْثُ إفرادها وتركيبها، وتخيّلوا افتراضات وتقديرات متكلفة ومعقدة .

---

[١] ينظر: الجنى الداني ص:٥٠١.

[٢] ينظر: لسان العرب ٥١٠/٣ (منذ)، والهَمْع ٢٢٤/٢.

[٣] ينظر: لسان العرب ٥١٠/٣ (منذ).

[٤] ينظر: شرح الكافية للرضي ص:٤٥٥.

[٥] ينظر: الجنى الداني ص:٣٠٤.

[٦] ينظر: الإنصاف ٣٢٣/٣ (م/٥٦)، وأسرار العَرَبِيَّة ص:٢٠٠.

[٧] ينظر: لسان العرب ٥٠٩/٣ (منذ)

[٨] **ابن ملكون:** أبو إسحاق إبْرَاهِيم بن محمد بن سعيد بن ملكون الحضرمي الإشبيلي، أستاذ نحوي جليل. روى عنه ابن خروف والشلوبين. له "شرح الحماسة"، "النكت على تبصرة الصيمري" وغير ذلك، توفي سنة ٥٨٤هـ. [بغية الوعاة ٤٣١/١].

[٩] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤١٥/٣.

[١٠] ينظر: المقرب ٢٠١/١-٢٠٣،.

[١١] ينظر: أسرار العَرَبِيَّة ص:٢٠٠.

[١٢] ينظر: المقتضب ٣١/٣، وأسرار العَرَبِيَّة ص:٢٠٠.

فالبصريون على أن (منذ) كَلِمَة بسيطة لا تركيب فيها، وقال الكوفيون إنها مركبة[1]. ثم اختلفوا في تحديد مكونات تركيبها. فمنهم من افترض أنها مركبة من (من + إذ)[2] . أما الفَرّاء فافترض أنها مركبة من حرف الجر (من) و(ذو) الطائية[3] .وآخر الآراء ينسب إلى محمد بن مَسْعُوْدٍ الغزني[4] الذي افترض أن (منذ) مركبة من (من) الجارة، و (ذا) اسم الإشارة[5].

وكل هذه الافتراضات تفتقر إلى الدليل القاطع، وليس إلى ذلك من سبيل[6] فهذه دعاوى لا دليل عليها، والأصل عدم التركيب عملًا بالظاهر[7]، وقد عقب أبو حيان على مذهبي الكُوْفِيّيْنَ بقوله: ((وهذان المذهبان سخيفان))[8] فلا يجوز ترك حاضر متيقن له وجه من القياس إلى أمر محتمل مشكوك فيه لا دليل عليه[9].

أما البصريون الذين ذهبوا إلى أن "منذ" مفردة غير مركبة. فإن كان الاسم بعدهما مَرْفُوعًا حكموا على (منذ / مذ) بالاسْمِيَّة، وأعربوهما مبتدأين ويرفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما[10] وهذا قول المُبَرِّد، وابن السّرَّاْج والفارسي[11]، ونقله ابن مالك عن البَصْرِيِيْنَ، وليس هو قول جميعهم[12] . أو جعلهما ظرفين خبر مقدم ويرتفع ما بعدهما بالابتداء وهو مذهب الأخْفَش والزَّجَّاج[13] والزَّجَّاجي[14] وطائفة من البَصْرِيِيْنَ[15] .وجعل فريق ثالث المَرْفُوع بعدهما فاعلًا بفعل مقدر، وتقديره: مذ كان يومان. وهما ظرفان مضافان إلى جُمْلَة حذف صدرها. وهذا مذهب الكُوْفِيّيْنَ، واختاره ابن مضاء، والسهيلي، وابن مالك[16]. وقيل أنه خبر مبتدأ محذوف، وهو قول لبعض

---

[1] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠٦/٤، والجنى الداني ص:٥٠١، والهَمْع ٢٢٣/٢.

[2] ينظر: الإنصاف ٣١٦/١ (م/٥٦)، وشرح ابن يعيش ٥٠٦/٤، وارتشاف الضرب ١٤١٥/٣.

[3] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠٦/٤، وهَمْع الهَوَامِعِ ٢٢٣/٢، ولسان العرب ٥١١/٣ (منذ)

[4] **محمد بن مَسْعُوْدٍ الغزني** هكذا سماه أبو حيان، وقال ابن هِشَامٍ: ابن الذكي، صاحب كتاب البديع. أكثر أبو حيان من النقل عنه، وذكره ابن هِشَامٍ في المغني، وله ذكر في جمع الجوامع (ت:٤٢١هـ)[بغية الوعاة ٢٤٥/١].

[5] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤١٥/٣، والجنى الداني ص:٥٠١.

[6] ينظر: الإنصاف٣٢٣/١ (م/٥٦).

[7] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠٧/٤.

[8] ارتشاف الضرب ١٤١٥/٣.

[9] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠٧/٤.

[10] ينظر: الإنصاف٣٢٣/١ (م/٥٦).

[11] ينظر: مغني اللبيب ص:٤٤٢.

[12] ينظر: الجنى الداني ص:٥٠٢.

[13] ينظر: الجنى الداني ص:٥٠٢.

[14] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠٩/٤، ومغني اللبيب ص:٤٤٢.

[15] ينظر: الجنى الداني ص:٥٠٢.

[16] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤١٨/٣، ومغني اللبيب ص:٤٤٢.

الكُوْفِيّيْنَ. والتقدير: ما رأيته من الزّمَان الذي هو يومان. ونقله ابن يعيش[1] عن الفَرّاء؛ لأن "منذ" مركبة من (من+ ذو) التي بمعنى الذي، والذي توصل بالمبتدأ والخبر[2].

فإن كان الاسم الذي بعدهما مجرورا، فهما في هذه الحالة حرفا جر، ويكون ما بعدهما مجرورا بهما وهو مذهب جُمْهُور البَصْرِيِيْنَ[3]. وقيل إنهما ظرفان مضافان، وما بعدهما مضاف إليه، وعلى هذا فهما اسمان في كل موضع[4] .

ويتضح من ذلك أن رأي البَصْرِيِيْنَ في الحكم على (منذ) بالبساطة، يعد رأيا وجيها لا يترتب عليه أي نوع من أنواع التكلف في التحليل الإعْرَابي لـ (منذ) والاسم الواقع بعدها، بخلاف من افترض التركيب فيها، سوى أنه يؤثر على الالتزام التام للفظة من حَيْثُ نوع الصِيْغَة، إذ إنها تتأرجح بين الاسْمِيَّة والحَرْفِيَّة على وفق حركة الاسم الواقع بعدها. ومع هذا فقد ذهب بعضهم إلى أن (مذ و منذ) اسمان في جميع الأحوال، وهو رأي وجيه لا يقل شأنا عن الرأي الأول.

وثمرة الخلاف في جعلهما حرفين أو اسمين من جهة اللفظ ومن جهة المعنى، فمن جهة اللفظ أنك إذا جررت بهما كان الكلام جُمْلَة واحدة، وإذا رفعت كان الكلام جملتين عند الأكثرين من النُّحَاة، ومن جهة المعنى، فإن "مذ" إذا كانت حرفا دلّت على أن المعنى الكائن فيما دخلت عليه لا فيها نفسها، نحو قولك: زيد عندنا مذ شهرٍ، فالشهر هو الذي حصل فيه الاستقرار في ذلك المكان، أما إذا كانت اسما ورفعت ما بعدها، دلت على المعنى الكائن في نفسها، نحو قولك: ما رأيته مذ يومُ الجَمْعة، فالرؤية متضمنة "مذ" أي الوقت الذي حصلت فيه الرؤية، وهو يوم الجَمْعة، كأنك قلت: الوقت الذي حصلت فيه الرؤية يوم الجَمْعة[5].

وشغل النُّحَاة أنفسهم في المَسْأَلَة بأيهما الأصل وأيهما الفرع، وتوجيه الإعْرَاب فيما إذا كان ما بعدهما مجرورا أو مَرْفُوعا، ولم يلتفتوا إلى اللُغَات فيهما إلا نادرًا . وقد فصّل أبو حيان[6] في هذا فذكر أن اسم الزّمَان الواقع بعدهما إن دلّ على الزمن الحاضر جرّ عند جميع العرب، وإن دلّ على الزمن الماضي جرّ عند أهل الحِجَاز، فقالوا: لم أره مذ يومين، ورفع عند تَمِيْم وأسَد فقالوا: لم أره مذ يومان[7] .

---

[1] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠٩/٤.

[2] ينظر: الجنى الداني ص:٥٠٢.

[3] ينظر: الإنصاف ٣١٦/١ (م/٥٦)، والجنى الداني ص:٥٠٢، وارتشاف الضرب ١٤١٩/٣.

[4] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠٦/٤، وارتشاف الضرب ١٤١٥/٣، الجنى الداني ص:٥٠٣، ومغني اللبيب ص:٤٤١.

[5] ينظر: شرح ابن يعيش ٥٠٦/٤.

[6] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٢٠/٣.

[7] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٢٠/٣.

ونقل الرضي عن الأخْفَش أن الحِجَازِيّيْن يجرّون بهما مطلقًا والتَمِيْميون يرفعون بهما مطلقًا[1]، ويرى الأخْفَش أن (منذ) حِجَازِيَّة، أما (مذ) فلُغَة تَمِيْمِيّة ويشاركهم فيها الحِجَازيون وغيرهم[2]، فالحِجَازيون رأوا أنهما حرفا جرّ فجرّوا بهما الأَسْمَاءمطلقًا، وبنو تَمِيْم رأوا فيهما الظرفية فرفعوا ما بعدهما .

ومن القَبَائِل التي جنحت إلى الرفع على مذهب تَمِيْم وأسَد قَبَائِل عُكل وسُليم وبنو غني من غطفان وهَوَازِن[3]، أما القَبَائِل التي مالت للجرّ فهم بنو ضبّة والرباب فهي تجرّ الاسم بعدهما مطلقًا[4]، وعُزِيَ الجرُّ إلى مزينة وغطفان وعامر بن صعصعة ومن جاورهم من قيس[5] .

إن القَاعِدَة التي في مناهج تعليم النشء قَاعِدَة تعليمية مفادها: أن ما بعد "مذ ومنذ" يجوز أن يكون مَرْفُوعًا ويجوز أن يكون مجرورًا . فالمَرْفُوع على لُغَة، والمجرور على لُغَة أخرى . فعندما أجاز النُّحَاة أن تعمل (مذ ومنذ) فيما يليها الجر أخذا بلُغَة قُرَيْش ومزينة وغطفان وعامر بن صعصعة، والرفع أخذا بلُغَة أسَد وتَمِيْم . فهم قد دمجوا لغتين في قَاعِدَة واحدة . وهذا يخالف الواقع اللُغَوِيّ المنقول عنه، ويؤكد لنا أن النُّحَاة أقاموا قاعدتهم على استعمالات مختلفة لهذين الاسمين تعود إلى اختلافات لُغَوِيّة[6] .

---

[1] ينظر: شرح الكافية للرضي ص:٤٥٦.

[2] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٢٠/٣.

[3] ينظر: لسان العرب ٥١٠/٣ (منذ).

[4] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٢٠/٣، ولسان العرب ٥١٠/٣ (منذ)

[5] ينظر: لسان العرب ٥١٠/٣ (منذ)، وارتشاف الضرب ١٤٢٠/٣.

[6] ينظر: لَهْجَة قَبِيْلَة أسَد ص:٢١٢.

المبحث الثاني: الضَرُورَة الشّعْرِيّة ولُغَات العرب

الشعر قد جرى حوله الخلاف فيما يحتج به منه، وذلك لأن الشعر موطن ضَرُورَة، وما يكون للضَرُورَة لا يجوز أن يجعل حجة[1]، بل هي رخصة قد تكون حسنة أو قبيحة[2]، وهذا قلب للوضع؛ لأن بعضًا من ضرورات الشعر هو لُغَة من اللُغَات التي نطق بها العرب، وإن كانت لُغَة قليلة أو نادرة أو شاذة، لكنها تبقى في النِهَايَة لُغَة صحيحة وليست ضَرُورَة اعتباطية. ولأنه إذا ثبت كون الأسلوب لُغَة من لُغَات العرب فلا مجال للتأويل؛ لأنه إذا ثبت الدليل فلا توجد لمخالفته سبيل[3]. وسيتضح لنا ذلك من خلال المسائل الآتية ..

[1] ينظر: الصحاح ٢٤٧٦/٦(ك ل ى).

[2] ينظر: الاقتراح ص:٣٢

[3] التذييل والتكميل ٢٤٣/٤.

المبحث الثاني: الضَرُورَة الشّعْرِيّة ولُغَات العرب

المَسْأَلَة (١): الجزم بـ (لن) .

(لن) حرف نفي تختص بالمضارع فتنصبه وتخلصه للاستقبال نحو: لن أضربَ، ولن أقومَ، فتنفي ما أثبت بحرف التنفيس نحو: سأضرب، وسوف أضرب . ولا تفيد تأبيد النفي خلافًا للزمخشري[١] .

اختلف النحويون في أصلها، أهي بسيطة أم مركبة؟ فذهب الخَلِيْل والكِسَائي إلى أنها مركبة من (لا أن) حذفت همزة "أن" تخفيفًا ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين[٢]، وذهب الفَرّاء إلى أن أصلها (لا) أبدلت ألفها نونًا، وهو ضعيف لأنه دعوى لا دليل عليها، ولأن "لا" لم توجد ناصبة في موضع . والصحيح أنها بسيطة وهو مذهب سِيْبَوَيْهِ والجُمْهُور[٣] .

والمشْهُوْر في كلام العرب نصب المضارع بلن، وبذلك جاء السَّمَاع الفصيح نثرًا ونظمًا، وذكر بعض النَّحْوِيِّيْنَ أن المضارع قد يجزم بها[٤]، وأنشدوا قول الشاعر[٥]:[من الطويل]

أيادي سبا ياعزُّ ما كنت بعدكم ... فلن يحلَ للعينين بعدكِ منظر

وبقول الشاعر[٦]:[من المنسرح]

لن يخبِ الآن من رجائك منْ ... حرّك من دون بابك الحلقة

وتم تخريج البيت الأول على الضَرُورَة الشّعْرِيّة للاجتزاء عن الألف بالفتحة[٧] وذكر الدكتور علم الدين الجندي أن هذا البيت مما تم تحريف روايته لإثبات لَهْجَة ما[٨]، وهو لكثير بن عبد

---

[١] ينظر:توضيح المقاصد والمسالك ١٢٢٩/٣، و شرح الأشْمُونِي ٢٧٨/٣، والهَمْع ٣٦٥/٢،

[٢] ينظر:توضيح المقاصد والمسالك ١٢٢٩/٣.

[٣] ينظر: رصف المباني ص: ٢٨٥، والجنى الداني ص: ٢٧٠ – ٢٧٢، ومغني اللبيب ٢٢١/١، والتصريح ٣٥٨/٢، وشرح الأشْمُونِي ٢٧٨/٣.

[٤] ينظر: مغني اللبيب ٢٢١/١، وشرح الأشْمُونِي ٣٧٨/٣.

[٥] لكثير عزة في ديوانه ص: ٣٢٨، ورصف المباني ص: ٢٨٨، والجنى الداني ص: ٢٧٢، ومغني اللبيب ٢٢١/١، وشرح شَوَاهِد المغني ٦٨٧/٢، وشرح الأشْمُونِي ٢٧٨/٣.

[٦] قائله أعرابي مرّ بباب الحسين رضي الله عنه، فلما عرف الدار أنشأه، وقد ورد في مغني اللبيب ٢٢١/١، والهَمْع ٣٦٨/٢، وشرح شَوَاهِد المغني ٦٨٨/٢، وشرح الأشْمُونِي ٢٧٨/٣.

[٧] ينظر: ظاهرة الاجتزاء في العَرَبِيَّة د. هاني الفرنواني ص: ١٠٢، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥ م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الاسكندرية.

[٨] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في التراث ١٧/١.

الرحمن الخزاعي برواية (فلم يحلَ للعينين بعدكِ منظر) فلا شاهد فيه، أما البيت الثاني فيكون من باب إجراء الوصل مجرى الوقف[١] .

وذكر النحَّاس[٢] أن الجزم بـ "لن" لُغَة حكاها أبو عبيدة عن بعض العرب، تشبيهًا لها بـ"لم" ؛ لأنها للنفي مثلها، ولأن النون أخت الميم في اللُغَة ؛ فساغ لها أن تبدل منها[٣] .

أقرّ ابن مالك هذه اللُغَة بقوله ((ويجوز أن يكون السكون سكون جزم على لُغَة من يجزم بـ(لن)، وهي لُغَة حكاها الكِسَائي[٤] واللحياني[٥] .قال السَّيُوطِي: ((وذكر اللحياني أن ذلك لُغَة لبعض العرب يجزمون بالنواصب وينصبون بالجوازم))[٦] . وعلّق أحد الباحثين[٧] بأن هذا مذهب إعرابي خاصّ في النواصب والجوازم يخالف لُغَة الجُمْهُور السائدة، وهو مذهب لُغَوِيّ نادر، لم يأت في سماع يقتضي منا القياس عليه، والأخذ به في الكلام، لكونه وارد عن بعض العرب يحكى كما سمع ولا يؤوّل .

وركب بعض الباحثين والمحدثين صهوة هذه اللُغَات النادرة والشاذة ؛ لتأييد وجهات نظر شاذة، أو لتحقيق مزاعم فكرية جريئة بعيدة التصديق .فاستغل الدكتور ابراهيم أنيس[٨] هذه الظاهرة وغيرها[٩] في دعم وجهة نظره التي مفادها أن الحركات ليست دوال على معانٍ وإنما جيء بها لوصل الكلام . كذلك اتخذ الدكتور نهاد الموسى[١٠] الجزم بـ"لن" وسيلة لتأكيد أن اللَهْجَات كانت تطوّر نظام الإعْرَاب في صور متباينة، وأنها تمثل بقايا أطوار متقدمة لتيارات حادثة كانت سائدة في زمن ما .

يبدو أن الجزم بـ "لن" لُغَة قليلة الشيوع، فقد نقل النحَّاس حكاية أبي عبيدة بصِيْغَة الزعم وأنكر معرفته لها فقال: ((وزعم أبو عبيدة أن من العرب من يجزم بلن وهذا لا يعرف))[١١] فلو كانت

---

[١] ينظر: شَوَاهِد التوضيح ص: ١٦٠.

[٢] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٣٧/١– ٣٨، ١٢٢/٢، ٢٨٩/٤.

[٣] ينظر: رصف المباني ص: ٢٨٨، والجنى الداني ص:٢٧٢، وتوضيح المقاصد والمسالك ١٢٢٩/٣.

[٤] ينظر: شَوَاهِد التوضيح ص: ١٦٠.

[٥] ينظر: ارتشاف الضرب ٣٩٠/٢، وهَمْع الهَوَامِع ٣٦٨/٢، وشرح شَوَاهِد المغني للسيوطي ٦٨٩/٢.

[٦] ينظر: هَمْع الهَوَامِع ٣٦٨/٢.، وشرح شَوَاهِد المغني للسيوطي ٦٨٩/٢.

[٧] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة نحوًا وصرفا بين ابن عقيل والسلسيلي ص: ٥٦٦.

[٨] ينظر: من أسرار اللُغَة د. إبْرَاهِيم أنيس ص: ٢٠٨، ٢٤٨.

[٩] أعني الجزم بـ "إذا" و الجزم بـ "أن" لدعم نظريته أن حركات الإعْرَاب ليست دوال على المعاني، متابعًا في ذلك محمد بن المستنير.

[١٠] ينظر: في تاريخ العَرَبِيَّة د. نهاد الموسى ص: ١٣١.

[١١] إعراب القُرْآن للنحاس ٢٨٩/٤.

كثيرة الانتشار لعرفها النحَّاس[1]. ولم يمثل لها النحويون المتقدمون بمثال إلا الدكتور عباس حسن من المعاصرين الذي قال: لن أنطقْ لغوًا و لن أشهدْ زورًا[2] .

ورأى الدكتور الجندي أن النُّحَاة قد أثبتوا الرواية محرفة لإثبات لَهْجَة ما[3]، ولكن لماذا لا يكون راوي الديوان قد حرّف الرواية لمّا وجدها غير متسقة مع القَاعِدَة النَّحْويّة؟ وهذا ما أشار إليه الدكتور إبراهيم السامرائي بقوله: ((وبقدر ما احتفل النُّحَاة بالنماذج النادرة من ظواهر الكلم، تجنّب نفرٌ آخر من اللُّغَوِيّين النُّحَاة هذه المواد حتى احتالوا على المسموع منها برواية أخرى ليبتعدوا عن الخروج عن قواعد نحو العَرَبِيَّة..))[4]

ولكن هذه اللُّغَة قد نقلها اللحياني والكِسَائي وأبو عبيدة وغيرهم، وأقرها كثير من النُّحَاة كابن مالك والسَّيُوطِي،، ما يؤكد ثبوتها عن العرب ولا عبرة بعدم معرفة النحَّاس لها ؛ ومن يعرف حجّة على من لا يعرف .

ووضع النُّحَاة لشَوَاهِد هذه اللُّغَة في باب الضرائر الشّعْرِيّة، وتأويلها بما يتلائم مع القَاعِدَة النَّحْويّة ويسايرها يعدّ خيانة للواقع اللُّغَوِيّ قد يؤدي إلى طمس هذه اللُّغَة التي تكلم بها مجتمع عربي ونقلها غير واحد من الرواة واللُّغَوِيّين[5] .

أما إهمال النُّحَاة للشَوَاهِد قليلة الشيوع التي تمثل ظواهر لُغَوِيّة نادرة، أو محاولة تحريفها ونقلها برواية تتماشى مع القَاعِدَة النَّحْويّة الفُصْحَىْ، فهذا قد يكون خيانة علمية وكذب وتقوّل على الشاعر بما لم يقله . ومما يؤكد إهمال بعض نحاتنا لملامح اللُّغَات النادرة أو قليلة الشيوع ما نقله ابن هِشَامٍ عن المَسْأَلَة الزنبورية ((وأما "فإذا هو إياها" إن ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء كالجزم بـ(لن) والنصب بـ(لم) والجر بـ (لعل)، وسِيْبَوَيْهِ وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك وإن تكلّم بعض العرب به))[6] .

---

[1] ينظر: لُغَات القَبَائِل في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه ص: ٢٠٥.

[2] ينظر: النحو الوافي: ٣٠٠/٤

[3] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في التراث د. علم الدين الجندي ص:

[4] مقدمة في دراسة اللَهْجَات د. إبْرَاهِيم السامرائي ص: ١٣٨ – ١٣٩

[5] ينظر: رصف المباني ص: ٢٨٨، والجنى الداني ص:٢٧٢، ومغني اللبيب ٢٢١/١، وشرح الأشْمُونِي ٢٧٧/٢، وحاشية الخضري ١١٠/٢.

[6] مغني اللبيب ص: ١٢٥.

المَسْأَلَة (٢): الجزم بـ (إذا)

(إذا) من الألفاظ المشتركة بين الاسْمِيَّة والحَرْفِيَّة[١]: فهي حرف عند الأخْفَش واختاره ابن مالك، وظرف مكان عند المُبَرِّد واختاره أبو علي الفارسي وابن جني وابن الخياط وابن عصفور، وظرف زمان عند الزَّجَّاج والرياشي[٢] واختاره ابن طاهر وابن خروف والزمخشري[٣]، فإذا قلت: "خرجتُ فإذا الأسَد" كانت خبرًا عند المُبَرِّد،أي: فبالحضرة الأسَد، ولا يصح ذلك عند الزَّجَّاج ؛ لأن الزّمَان لا يخبر به عن الجثة، ولا عند الأخْفَش أيضًا ؛ لأن الحرف لا يخبر به ولا عنه[٤].

يكاد ينعقد إجماع النُّحَاة أن "إذا" الشرطية تكون ظرفًا لما يستقبل من الزّمَان متضمنة معنى الشرط[٥]، وتختص بالدُخُوْل على الجمل الفِعْلِيَّة وهي لما تيقن حدوثه، أو رُجّحَ وجوده[٦]، ومع تضمنها معنى الشرط لم يجزم بها إلاّ في الشعر لمخالفتها أدوات الشرط فإنها للأمر المحتمل[٧] . وإذا استعملت (إذا) شرطًا، فالجُمْهُور على أنها مضافة للجُمْلَة بعدها، والعامل فيها جواب الشرط[٨] .

قال سِيْبَوَيْهِ: ((وسألته [يعني الخَلِيْل] عن (إذا) ما منعهم أن يجازوا بها؟ فقال: الفعل في "إذا" بمنزلته في "إذْ"، إذا قلت: أتذكر إذ تقول فـ"إذا" فيما تستقبل بمنزلة "إذ" فيما مضى، ويبيّن هذا أنّ "إذا" تجئ وقتًا معلومًا، ألا ترى أنك لو قلت: أتيك إذا احمر البسر كان حسنًا، ولو قلت: آتيك إن احمر البسر، كان قبيحًا. فـ"إن" أبدًا مبهمة، وكذلك حروف الجزاء ... وقد جازوا بها في الشعر مضطرين شبّهوها بـ"إن" حَيْثُ رأوها بما يستقبل ... فهذا اضطرار، وهو في الكلام خطأ))[٩] أي: لا يجزم بـ (إذا) لمخالفتها (إنْ) الشرطية ؛ لأنَّ (إذا) لما يتيقّن وجوده أو رُجّحَ،بخلاف (إنْ) فإنها للمشكوك فيه[١٠].

---

[١] ينظر: الجنى الداني ص: ٣٦٧، ومغني اللبيب ص: ١٢٠.

[٢] **الرياشي:** أبو الفضل عباس بن الفرج الرياش البصري اللغوي توفي مقتولًا سنة ٢٥٧ هـ. له (كتاب الإبل) و (كتاب الخيل) و(كتاب ما أختلف أسماؤه من كلام العرب).

[٣] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤١٢/٣.

[٤] ينظر: مغني اللبيب ص: ١٢١

[٥] ينظر: الدر المصون ٥٨٤/٣.

[٦] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٠٩/٣، والدّر المصون ٥٨٤/٣، ومغني اللبيب ص: ١٢١، والجنى الداني ص:٣٦٧.

[٧] ينظر: المقتضب٥٦/٢، والبحر لمحيط ٩٩/١، والدّر المصون ٥٨٤/٣، ومغني اللبيب ص: ١٢١.

[٨] ينظر: ارتشاف الضرب ١٤١١/٣.

[٩] الكتاب ٦٠/٣- ٦١.

[١٠] ينظر: ارتشاف الضرب: ١٤٠٩/٣،والجنى الداني ص:٣٦٧.

وقد نَسَبَ السفاقسي[1] إلى الكُوْفِيّيْنَ الجزم بها إذ قال: ((ولا يجزم (بإذا) إلاّ في الشعر خلافًا للكوفيين، أجازوا الجزم بها مطلقًا))[2].ولم أقف على حقيقة نسبة الجزم للكوفيين فيما تيسر لديّ من مظان لكن الفَرّاء حكى أنها لُغَة[3] ولم يعزُها، واستشهد لها بقول الشاعر[4]:

واستغْنِ ما أغناك ربُّك بالغِنى ... وإذا تُصبْك خصاصةٌ فتجمَّل

وبقول بعضهم:

وإذا نطاوِعْ أمرَ سادتِنا ... لا يَثْنِنا جُبن ولا بُخْلُ

وأنشد سِيْبَوَيْهِ للفَرَزْدَق[5]:

تَرْفَعُ لي خِنْدِفٌ[6] واللهُ يرفَعُ لي ... نارًا إذا خَمَدَتْ نِيرانُهمْ تَقِدِ

وكَقَوْلِ الشاعر:

وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى ... وإلى الذي يعطي الرغائب، فارغب

أكد ابن مالك الجزم بـ "إذا" في الشعر كثيرًا، ومنعه في النثر لعدم وروده[7] فقال:

وشاع جزمٌ بإذا حملًا على ... متى، وذا في النثر لن يستعملا

وذكر ابن مالك في شرح شَوَاهِد التوضيح[1] من شَوَاهِدها النثرية قولَ الرسول ﷺ لعلي وفاطمة: ((إذا أخذتما مضجعيكما تكبّرا أربعا وثلاثين وتسبحا ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين))[2] . وتابعه أبو حيان[3] .

---

[1] **السّفاقُسِي:** أبو إسحاق برهان الدين إبْرَاهِيم بن محمد بن إبْرَاهِيم القيسي السفاقسي، فقيه مالكي. تفقه في بجاية وحج فأخذ عن علماء مصر والشام. وأفتى ودرّس سنين. له (المجيد في إعراب القُرْآن المجيد) و (شرح ابن الحاجب) في أصول الفقه.

[2] المجيد في إعراب القُرْآن المجيد السّفاقُسِي ١٠٩/١.

[3] ينظر: معاني الفرآن للفراء ١٥٨/٣.

[4] غير منسوب في معاني القُرْآن للفراء ١٥٨/٣، ونسب لعبد قيس بن خفاف في المفضليات ص: ٣٨٥، والأصْمَعِيات أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصْمَعِي(ت:٢١٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر،وعبدالسلام محمد هارون ص: ٢٣٠ الطبعة السابعة: ١٩٩٣م – دار المعارف – مصر، وخزانة الأدب ٢٤٣/٤، واللسان ٧١٢/١ (كرب).

[5] ينظر: ديوان الفَرَزْدَق ص: ٢١٦، والكتاب ٦٢/٣.

[6] **خندف:** هي امرأة إلياس بن مضر بن نزار، واسمها ليلى نسب ولد إلياس إليها، وهي أمهم وسميت بها القَبِيْلَة، والخندفة: الهرولة والإسراع في المشي.

[7] ينظر: شرح الكافية الشافية ١٥٨٣/٣.

يبدو مما سبق أن الجزم بـ"إذا" لُغَة قليلة الشيوع ذكرها الفَرّاء وحده ولم يعين أصحابها، فهي لُغَة لفئة قليلة غير مشْهُوْرة ولو كان القوم مشْهُوْرين لذكرهم بالاسم[٤] .أما غيره من اللُغَوِيّين والنُّحَاة فقد عدّوها من الضَرُورَة الشّعْرِيّة، وإذا وردت في الكلام فهي خطأ عند سِيْبَوَيْهِ[٥] ؛ لأن سِيْبَوَيْهِ وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك وإن تكلم به بعض العرب، كالجزم بـ"لن" والنصب بـ"لم" والجر بـ"لعل"، وإن ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء[٦] . أما ابن مالك فقد قال إنه في النثر قليل ولكن في الشعر كثير[٧].

[١] ينظر: شرح شَوَاهِد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ابن مالك ص: ١٨.

[٢] صحيح البخاري ١٩/٥(ح:٣٧٠٥) باب مناقب علي بن أبي طالب.

[٣] ينظر: ارتشاف الضرب ١٨٦٦/٤.

[٤] ينظر: لُغَات القَبَائِل في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه ص: ٢٠٣.

[٥] ينظر: الكتاب ٦٢/٣.

[٦] ينظر: مغني اللبيب ص: ١٢٥.

[٧] ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح ص:١٨

المبحث الثاني: الضَرُورَة الشّعْرِيّة ولُغَات العرب

المَسْألَة (٣):الجزم بـ(أنْ) الناصبة لُغَة

المشْهُوْر في لسان العرب نصب "أن" المصدرية للفعل المضارع، وعلى هذا الشائع قعّدت القَاعِدَة النَّحْويّة، ومن غير المشْهُوْر رفعه أو جزمه بعدها، فأدرجوا ما ورد في باب الضرائر الشّعْرِيّة، وهما لغتان قليلتان .

الرفع بـ"أن" لا يحفظ في غير الشعر، وهو مذهب للكوفيين، وعليه قراءة ابن محيصن ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[١] بالرفع[٢]، ونسبها النُّحَاة إلى مجاهد[٣] . وأنشد الفَرّاء[٤]:[من مجزوء الكامل]

أنْ تَهْبِطِيْنَ بِلَادَ قَوْ ... مٍ يَرْتَعُونَ مِنَ الطِّلَاحْ

وقال آخر[٥]:[من البسيط]

أنْ تَقْرآنِ عَلَىْ أسْمَاءَ وَيْحَكُمَا ... مِنّيْ السَّلَامَ وأنْ لَاْ تُبْلِغَا أَحَدَا

وهي عند البَصْرِيِيْنَ[٦] الناصبة للفعل ولكن تُرِكَ عملُها حملًا على "ما" في كون كل منهما حرف مصدري ثنائي[٧]، وأما الكوفيون فهي عندهم المخففة من الثقيلة[٨] ووافقهم أبو علي الفارسي وابن جني . قال أبو حيان[٩]: وكل هذا قليل ومخصوص بالشعر وما سبيله هذا لا تبنى عليه قَاعِدَة . وظاهر كلام ابن مالك أن إهمالها مقيس في قوله:

وبَعْضُهُمْ أَهْمَلَ (أنْ) حَمْلًا عَلَىْ ... (ما) أخْتِهَا حَيْثُ اسْتَحَقَّتْ عَمَلًا

---

[١] البقرة من الآية/٢٣٣.

[٢] ينظر: مغني اللبيب ص: ٤٦، وشرح التصريح ٣٦٢/٢.

[٣] ينظر: الإنصاف ٤٥٩/٢، والبحر المحيط ٤٩٩/٢.

[٤] لم أعثر على قائله، وهو غير منسوب في معاني القُرْآن للفراء ١٣٦/١، ورصف المباني ص:١٩٤، والدر المصون ٤٦٣/٢. وقبله: إني زعيمٌ يا نُوَيْـ.. قَةُ إنْ أَمِنْتِ من الرَّزاحِ.

[٥] لم أعثر على قائله، وهو غير منسوب في الإنصاف ٤٥٩/٢، ورصف المباني ص:١٩٤، والدر المصون ٤٦٣/٢، ومغني اللبيب ص:٤٦. وقبله: يا صاحبيَّ فَدَتْ نفسي نفوسَكما.. وحَيْثُما كُنتما لُقِّيتما رَشَدا

[٦] ينظر: ارتشاف الضرب ١٦٤٢/٤.

[٧] ينظر: شرح التصريح ٣٦٢/٢، وهَمْع الهَوَامِعِ ٣٦٢/٢.

[٨] ينظر: ارتشاف الضرب ١٦٤٢/٤.

[٩] ينظر: البحر المحيط ٤٩٩/٢.

والجزم بـ"أن" غير جائز عند الجُمْهُور[١] حكاه من البَصْرِيِيْنَ الجرمي وأبو عبيدة واللحياني ونسبه لبَنِيْ صباح[٢] من ضبة[٣] . وحكى أبو حيان عن الرياشي من الكُوْفِيِّيْنَ، فقال: فصحاء العرب ينصبون بأن وأخواتها الفعل، ودونهم قوم يرفعون بها، ودونهم قوم يجزمون بها[٤]، وأنشدوا على الجزم قول الشاعر[٥]: [من الطويل]

أحاذر أن تعلمْ بها فتردها ... فتتركها ثقلًا عليّ كما هيا

"تعلم" مجزوم وعلامة جزمه السكون، وقال آخر[٦]:[من الطويل]

إذا مَا غدونا قَالَ ولدان أهلنا ... تَعَالَوْا إلى أَن يأتنا الصَّيْد نحطب

جزم "يأتنا" بأن وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ويمكن حمل البيت على أنه من قبيل الاجتزاء بالكسرة عن الياء ؛ لأجل الضَرُورَة . وقد ذكر الدكتور علم الدين الجندي أن هذا البيت مما تم تحريف روايته لإثبات لَهْجَة ما[٧]، وهو لامرئ القيس في ديوانه[٨] (تعالوا إلى أن يأتيَ الصيد). وقد أنكر ذلك الفارسي قبلًا، وقال: الرواية (إلى أن يأتي الصيد)[٩].

المشْهُوْر عن العرب نصب الفعل بأن وهو الفصيح كما يقول الرياشي فيما نقل عنه أبو حيان، قال: فصحاء العرب ينصبون بأن وأخواتها الفعل، ودونهم قوم يرفعون بها، ودونهم قوم يجزمون بها . والجزم غير جائز عند الجُمْهُور، فعدوه من الضَّرُوْرَات الشّعْرِيّة، واعتبر أقل من النصب والرفع . والصواب إثباته إلا أنه قليل . ومرجع هذا الاختلاف في لُغَات العرب لاختلاف بيئاتهم وقد ثبت ذلك كله في لُغَات مسموعة[١٠] .

فإهمال (أنْ) ورفع المضارع بعدها لُغَة لبعض العرب على ما حكاه العلماء، وهي في الفَصَاحَة دون ما عليه الجُمْهُور. وإذا ثبت كون ذلك لُغَة لبَنِيْ صباح بطلت التأويلات السابقة، ولم يبقى أمام المنصفين إلا قبولها وإثباتها كما فعل ذلك المرادي ؛ إذ عدّها القسم العاشر من

---

[١] ينظر: هَمْع الهَوَامِع ٣٦٢/٢

[٢] ينظر: ارتشاف الضرب ١٦٤٢/٤، والهَمْع ٣٦٣/٢

[٣] ينظر: الجنى الداني ص:٢٢٦، ومغني اللبيب ص: ٤٥.

[٤] ينظر: ارتشاف الضرب ١٦٤٢/٤.

[٥] لجميل بن معمر في ديوانه ص: ٢٣٤، وغير منسوب في الهَمْع ٣٦٣/٢،

[٦] لامرئ القيس في شرح شَوَاهِد المغني ٩١/١، ومعجم شَوَاهِد العَرَبِيَّة ص:٥٣، وغير منسوب في مغني اللبيب ص:٤٥

[٧] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في التراث ١٦/١.

[٨] ديوان امرئ القيس ص: ٣٨٩ دار المعارف.

[٩] ينظر: شرح شَوَاهِد المغني ٩٣/١، وحاشية الأمير ٢٩/١

[١٠] ينظر: اللُغَات العَرَبِيَّة في تفسير البحر ص: ١٥٠.

أقسام (أن) الحَرْفِيَّة أن تكون جازمة[1]. ولا داعي للتحكم في السَّمَاع – وإن كان قليلًا – ما دام قد جاء على لُغَة قوم من العرب يحكي واقعهم اللُغَوِيّ[2] .

[1] ينظر: الجنى الداني ص:٢٢٦.

[2] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة نحوا وصرفا بين ابن عقيل والسلسيلي ص:٥٧١.

المبحث الثاني: الضَرُورَة الشّعْرِيّة ولُغَات العرب

المَسْأَلَة (٤): النصب بـ (لم)

المشْهُوْر عن العرب أن (لم) تعمل الجزم في الفعل المضارع، لكن ورد عنهم النصب بها كما ورد عنهم الجزم (بلن)[١] .

لم يذكر النصب بـ"لم" إلا عدد قليل من النُّحَاة والمفسرين، وانقسموا في ذلك إلى فريقين:

الأول: المجيزون، نقل عن بعض النُّحَاة جواز النصب بـ"لم" حكاية عن بعض العرب في لغتهم، يقول ابن الأنْبَاري عن شروط النقل: ((الدليل الأول من أدلة النحو: أن يكون منقولا نقلا صحيحا خارجا عن حد القلة إلى حد الكثرة، فأخرج بذلك ما شذ من كلام العرب، كالجزم بـ (لن)، والنصب بـ (لم))[٢] .

كما خرج السهيلي النصب بـ (لم) على أنه لُغَة طائفة من العرب، ولم يقل بشذوذه، بل يعطى الصورة الواردة فيما عملته (لم) صفة الحجّيّة[٣] .

وهي لُغَة حكاها اللحياني[٤] عن بعض العرب ولم يسمهم .قال أبو حيان: ((أنه لُغَة لبعض العرب حكاها اللحياني في نوادره، وهي الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس))[٥]

واحتجوا للنصب بالقراءة الشاذة: ﴿ألم نَشْرَحَ لك صدرك﴾ بفتح الحاء، وهي قراءة نُسِبتْ إلى أبى جَعْفَر المنصور[٦] .

واحتجوا أيضًا بما رواه أبو زيد في نوادره[٧]:

من أيّ يوميّ من الموت أفرّ .. .. أيوم لم يُقْدَرَ أم يوم قُدِر

وأنشد أبو حيان[٨]:

---

[١] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المَسْأَلَة (١): الجزم بلن.

[٢] لمع الأدلة ص: ٨١،٨٢

٣ ينظر: السهيلى ومذهبه النحوى ٢٢٥، (دكتوراه)، ونتائج الفكر ص ١٣٠

[٤] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك للمرادي ١٢٧٣/٣، والبحر المحيط ٥٠٠/١٠.

[٥] البحر المحيط ٥٠٠/١٠.

[٦] ينظر: المحتسب ٣٦٦/٢، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٧٢٣/٢، والبحر المحيط ٤٩٩/١٠

[٧] ينسب للحارث بن المنذر الجرمي في النوادر ص: ١٣، وسر الصناعة ص:٨٥، والمقاصد النحوية ٤٤٧/٤"، وشرح شَوَاهِد المغني للسيوطي ٦٧٥/٢، وقد نسبه البحتري في حماسته إلى الإمام علي –كرم الله وجهه "ص: ٨٥"، ولم ينسبه ابن جني في المحتسب ٣٦٦/٢.

[٨] نسب لعائشة بنت الأعجم في البحر المحيط ٥٠٠/١٠.

في كل ما هَمَّ أمضى رأيه قدما ... ولم يشاورَ في إقدامه أحدا

بنصب "يشاور" وهذا أحسن مما تقدم .

الثاني:المانعون: وهم اكثر النُّحَاة، منهم ابن عطيّة، الذي ردّ القراءة، وتأول فتحة الحاء على أنها باقية بعد حذف نون التوكيد الخفيفة من الفعل، فقال ((كأنه قال: "ألم نشرحنْ" ثم أبدل من النون ألفا ثم حذفها تخفيفا، وهى قراءة مردودة))[1] .

وتأول الزمخشري أن القارئ أشبع مخرج الحاء فظن السامع أنها فتحة، فقال: ((لعله بيّن الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها))[2] .

وخرّج بعضهم البيت على أن الأصل (يقدّرَنْ) بنون التوكيد الخفيفة حذفت وبقيت الفتحة دالة عليها. وفيه شذوذان: توكيد المنفى بلم، وحذف النون لغير وقف ولا ساكن. وقال ابن جنى: الأصل يقدّر بالسكون، ثم لما تجاوزت الهمزة المفتوحة والراء الساكنة – وقد أجرى العرب الساكن المجاور للمتحرك مجرى المتحرك، والمتحرك مجرى الساكن إعطاء للجار حكم مجاوره – أبدلوا الهمزة المتحركة ألفا كما تبدل الهمزة الساكنة بعد الفتحة، ولزم حينئذ فتح ما قبلها إذ لا يقع الألف الا بعد فتحة[3].

وعبّر ابن مالك عن موقفه بقوله: زعم بعض الناس أن النصب بـ"لم" لُغَة اغترارًا بقراءة بعض السلف:﴿ألم نَشْرَحَ لك صدرك﴾ بفتح الحاء. قال ابن مجاهد: وهذا غير جائز أصلا .

حكى السَّيُوطِي عن بعض العرب يجعلون حروف النصب للجزم والعكس، قال: ((وذكر اللحياني أن ذلك لُغَة لبعض العرب يجزمون بالنواصب وينصبون بالجوازم))[4]. وعلّق أحد الباحثين[5] بأن هذا مذهب إعرابي خاصّ في النواصب والجوازم يخالف لُغَة الجُمْهُور السائدة، وهو وهو مذهب لُغَوِيّ نادر، لم يأت في سماع يقتضي منا القياس عليه، والأخذ به في الكلام، لكونه وارد عن بعض العرب يحكى كما سمع ولا يؤوّل .

وعدّ آخرون[6] ذلك من قبيل التقارض، فـ(لم) هاهنا ناصبة مقترضة هذا الحكم من (لن) التي تتضمن مثلها معنى النفي ولا تجزم، فهي في هذه الحالة يحكم لها بحكم "لن" . والعكس صحيح،

---

[1] المحرر الوجيز٥/٤٩٦

٢ الكشاف ٤/٧٧٠.

[3] ينظر: سرّ صناعة الإعْرَاب ١/٨٩، وشرح شَوَاهِد المغني ٢/٦٧٥.

[4] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٢/٣٦٨.، وشرح شَوَاهِد المغني للسيوطي ٢/٦٨٩.

[5] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة نحوًا وصرفا بين ابن عقيل والسلسيلي ص: ٥٦٦.

[6] ينظر: حاشية الصبان ٣/٣٣٤.

فـ(لن) في بعض الأحيان قد تجزم الفعل الذي يأتي بعدها، وذلك حملا لها على (لم) الجازمة، أي تقترض منها حكم الجزم[1].

وعلى الرغم من أن بعضهم وجّه الفعل في شَوَاهِدها على أنه محتمل للاجتزاء بالفتحة عن الألف للضَرُورَة، فالتقارض بينهما مؤيد بالسَّمَاع؛ لوجود مشابهة بينهما، وهو النفي في كل منهما واختصاصهما بالفعل المضارع دون غيره[2].

[1] ينظر من هذه الرسالة: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المَسْأَلَة (١): الجزم بلن.

[2] ينظر: ظاهرة التقارض في النحو العربي أحمد محمد عبد الله ص: ٢٤٣، د.ت، د.ط – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المبحث الثاني: الضَرُورَة الشّعْرِيّة ولُغَات العرب

المَسْألَة (٥): إجراء المعتل المجزوم مجرى الصحيح

اختلف النُّحَاة في إجراء الفعل المعتل المجزوم مجرى الصحيح، فقال بعضهم: إن ذلك لا يجوز إلا في ما آخره ياء أو واو[١]، فإنه يجوز أن تجري مجرى الصحيح فيظهر الإعْرَاب في آخرها في الرفع فتقول: يغزوُ، ويرميُ، وما كان بالياء أكثر لثقل الضمة على الواو، ولذلك جاز إجراؤهما مجرى الصحيح في حالة الجزم . أما ما كان آخره ألفًا فلا يجوز إجراؤه مجرى الصحيح في حالة الجزم لتعذر ظُهُور علامة الإعْرَاب في حالتي الرفع والنصب . وقال بعضهم: يجوز مطلقًا لورود ذلك في كلام الله وكلام العرب .

إن من العرب من يجري المعتل مجرى الصحيح[٢]، فيقول: زيدٌ يقضيُ ويمشيُ ويغزوُ ويدعوُ، فيحرك آخره في حال الرفع، ولا يحذف منه في حال الجزم إلا الحركة وحدها، ويدع الحرف فيقول: زيدٌ لم يقضي ولم يمشي، بإثبات الياء، فيجعل حذف الحركة علامة للجزم، في تخريج ذلك ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إنه ضَرُورَة شعرية[٣]، ذكره سِيْبَوَيْهِ[٤] مستشهدًا بقول القائل[٥]:[من الوافر]

أَلَمْ يَأْتِيْكِ وَالْأَنْبَاْءُ تَنْمِيْ ... بِمَا لَاْقَتْ لَبُوْنُ بَنِيْ زِيَادِ

حَيْثُ اضطر الشاعر فأعاد الياء، وما جاء على ذلك من الشاذ الذي لا يقاس عليه . حكى ابن جنى عن المازني قوله: ((اعلم أن البيت إذا تجاذبه أمران: زيغ الإعْرَاب وقبح الزحاف فإن الجفاة الفصحاء لا يحفلون بقبح الزحاف إذا أدى إلى صحة الإعْرَاب))[٦] ثم قال: وإذا كان الأمرُ كذلك،

---

[١] ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح ابن مالك ص:٢١

[٢] ينظر: شرح الجمل لابن عصفور ١٦٩/٣.

[٣] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٣٦/٣.

[٤] ينظر: الكتاب ٣١٦/٣

[٥] لقيس بن زهير العبسي في خزانة الأدب ٣٦٥/٨، وشرح أبيات سِيْبَوَيْهِ ٣٤٠/١، وشرح شَوَاهِد المغني ٣٢٨/١(ش/١٤٨)، والمقاصد النَّحْويّة ٢٥٤/١(ش/٤٠)، ولسان العرب ١٤/١٤ (أتى) . وبلا نسبة في الكتاب ٣١٦/٣، وأسرار العَرَبِيَّة ص:٩٤، وشرح الجمل لابن عصفور ١٦٩/٣، والإنصاف ٢٦/١، واللباب ١٠٩/٢،وأوضح المسالك ٩٤/١، والجنى الداني ص:٥٠، والخصائص ٣٣٤/١، وسرّ صناعة الإعْرَاب ٩٢/١، وشرح الشافية للرضي ١٨٤/٣، وشرح ابن يعيش ٤٧٨/٤، ومغني اللبيب ١٤٦/١(ش/١٦٣).

[٦] الخصائص ٣٣٤/١

فلو قال (ألم يأتِك والأنباءُ تنمي)، لكان أقوى قياسًا حَيْثُ يدخلها زحاف النقص[١]، فتتحول تفعيلة (مُفَاْعَلَتُنْ) إلى (مُفَاْعَلْتُ //٥/٥//)، ومثل هذا البيت قول الشاعر[٢]: [من الوافر]

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت سراة بَنِيْ تَمِيْم

الوجه الثاني: أنه لُغَة لبعض العرب متفق على حكايتها[٣] يُجرونَ المعتلَّ مَجرى الصحيح في جميع أحواله ويُعْرَبُ فيرفع في الياءِ والواو بضمة ظاهرةٍ نحو: زيدٌ يرميُكَ ويغزُوكَ، فإذا جزم سكنها، فتكون علامة الجزم على هذا القول سكون الواو والياء[٤] ؛ لأن حرف الجزم لابدّ له من عمل، وهي في الياء أكثر لأن الضمة على الواو أثقل منها على الياء[٥]، ونسب للكوفيين[٦] .
واستدلوا على ذلك بإنشاد أهل العَرَبِيَّة لقول الشاعر[٧]: [من البسيط]

هجوت زبّان ثمّ جئت معتذرا ... من سبّ زبّان لم تهجو ولم تدع

وأنشد الفَرّاء لبعض بَنِيْ حنيفة[٨]:

قال لها من تحتها وما استوى ... هزي إليك الجذع يجنيك الجنى

وقال آخر[٩]:[من الطويل]

وتضحك منّي شيخةٌ عبشميّةٌ ... كأنْ لم ترى قبلي أسيرًا يمانيا

وقال آخر[١]:[من الرجز]

---

[١] النقص: هو تسكين الخامس المتحرك مع حذف السابع الساكن (عصب + كفّ).
[٢] لعفيف بن المنذر في خزانة الأدب ٣٦٥/٨.
[٣] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٦١/١، والأصول ٤٤٣/٣، والإيضاح في علل النحو للزجاجي ص: ١٠٤.
[٤] ينظر: سرّ صناعة الإعْرَاب ٢٧٥/٢، واللباب في علل البناء والإعْرَاب ١٠٩/٢.
[٥] ينظر: شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي ١٨٥/٣.
[٦] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٦٢/٤،
[٧] البيت لأبى عمرو بن العلاء وهو زبان. يخاطب الفَرَزْدَق وكان هجاه ثم اعتذر إليه. وانظر معجم الأدباء ١٣١٧/٣.، وبلا نسبة في تاج العروس ١٣٨/٣٥ (زبن)، والإنصاف ٢٢/١، واللباب ١٠٩/٢، وسرّ صناعة الإعْرَاب ٢٧٥/٢، وشرح التصريح ٨٧/١، وشرح الشافية للرضي ١٨٤/٣، وشرح الجمل لابن عصفور ١٦٩/٣، والمقاصد النَّحْويّة ٢٥٧/١، والممتع في التصريف ص: ٣٤٣، وخزانة الأدب ٣٥٩/٨،
[٨] لم أعثر على قائله، وهو غير منسوب في معاني القُرْآن للفراء ١٦١/١.
[٩] ينسب لعبد يغوث الحارثي اليمني – وقد أسره عبد من بني عبد شمس – في سر صناعة الإعْرَاب ٩٠/١، والمقاصد النَّحْويّة ١٦٨٩/٤، وشرح ابن يعيش ٤٩٣/٥، والخزانة ١٩٦/٢، وتاج العروس ١٧٣/١٦(شمس)، ومعجم شَوَاهِد العَرَبِيَّة ٣٥٨/٨.

إذا العجوز غضبت فطلق ... ولا ترضاها ولا تملق

وقال غيره:[من الكامل]

ما أنس لا أنساه آخر عيشتي ... ما لاح بالمعزاء ريع سراب

وجعلوا منه قراءة حمزة[٢] ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخفْ دَرَكًا وَلا تَخْشى﴾[٣]، وردّه النحَّاس بقوله: إن الكُوْفِيِّيْنَ تجاوزوا كثيرا ونقلوا ما حقه ضَرُورَة الشعر إلى أن أجازوه في كتاب الله جلّ وعزّ ويعتبر هذا من أقبح الغلط أن يحمل كتاب الله على ما شذّ من الشعر[٤] .
وما رواه قُنْبُل[٥] عَن ابْن كثير[٦] قَوْله ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ﴾[٧] بإثبات الياء في "يتقي" مع جزم "يصبرْ"، قال مكي: فيه ضعف لأنه أكثر ما يجوز في الشعر، ليس بالقوي على أي وجه تأولته[٨] .

ووردت عند ابن مالك[٩] على هذه اللُغَة ثلاثة أحاديث منها قول عائشة ﵂: ((إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يَبْكِي))[١٠]، وقول الرسول ﷺ: ((مروا أبا بكر فليصلي بالناس))، وقول ((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلاَ يَغْشَانَا فِي مَسَاجِدِنَا))[١١] .

الوجه الثالث: إن الحُرُوْف الأصليّةُ محذوفةٌ للجازم[١٢] وليس به، وهذه الحُرُوْف هي صلة للحركة التي تسبقها وإشباع لها[١] كَقَوْلِ امرئ القيس:[من الطويل]

---

[١] لرؤبة في ملحق ديوانه ص١٧٩، وخزانة الأدب ٣٥٩/٨، والمقاصد النَّحْويّة ٢٥٨/١، وبلا نسبة في اللباب في علل البناء والإعْرَاب ١٠٩/٢، وتاج العروس "رضي"، ولسان العرب ٣٢٤/١٤ "رضي"، والإنصاف ص:٢٦، والخصائص ٣٠٧/١، وسر صناعة الإعْرَاب ص:٧٨، وشرح الجمل لابن عصفور ١٧٠/٣.

[٢] ينظر: السبعة لابن مجاهد ص:٤٢١، والتيسير في القراءات السبع ص:١٥٢، والاتحاف ص:٣٨٦، والحجة لابن خالويه ص:٢٤٥

[٣] سورة طه من الآية/٧٧.

[٤] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٣٦/٣، ٢٦٢/٤

[٥] **قُنْبُل:** هو محمد بن عبد الرحمن المكي المخزومي، الشهير بقنبل، من أعلام القراء توفي سنة ٢٩١هـ [غاية النِهَايَة ١٦٥/٢].

[٦] ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص:٣٦٤، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٤٤٧/٤،

[٧] يوسف من الآية/٩٠.

[٨] ينظر: مشكل إعراب القُرْآن ٣٩٢/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٤٤٨/٤.

[٩] ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح ص: ٢١ وما بعدها.

[١٠] صحيح البخاري ١٤٣/١(ح:٧١٢) باب من أسمع الناس تكبير الإمام

[١١] صحيح البخاري ١٧٠/١(ح:٨٥٤) باب ما جاء في الثوم الني والبصل والكراث

[١٢] ينظر: التصريح بمضمون التوضيح ٨٨/١.

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي *** بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثل

فهذه الياء ليست بلام الفعل، بل هِيَ صلة لكسرة اللام كما توصل القوافي بحركة رويها[٢] . وذهب سِيْبَوَيْهِ إلى تقدير الإعْرَاب فيها، فلما دخل الجازم حذف الحركة المقدرة، واكتفى بها، ثم لما صارت صورة المجزوم والمَرْفُوع واحدة فرقوا بينهما بحذف حرف العلة، فحرف العلة محذوف عند الجازم لا به،ونُسِب لأبي علي الفارسي[٣]، والأزهريُّ[٤]، وردّه الشيخ ياسين بقوله:((إنَّ قولَه "وقيل هذه الحُرُوْف إشباعٌ" لا يُقابلُ القولَ بأنَّه ضَرُورَة، وإنّما يُقابلُ القولَ بأنَّه لُغَة))[٥] .

بالنسبة للفعل المعتل الآخر فإن في جزمه لغتين: إحداهما اللُّغَة الفَصِيْحَة الأولى[٦]، وهي حذف حرف العلة على أنه علامة الجزم عند جُمْهُور النُّحَاة، وعلّة ذلك لئلا يلتبس المجزوم بالمَرْفُوع لاتحاد الصورة،كما هو ظاهر من قول سِيْبَوَيْهِ ((وأعلم أن الآخِرَ إذا كان يسكن في الرفع حُذف في الجزْم، لئلا يكون الجزم بمنزلة الرفع، فحذفوا كما حذفوا الحركة ونون الاثنين والجَمِيع. وذلك قولك لم يَرْمِ ولم يَغْزُ ولم يَخْشَ. وهو في الرفع ساكن الآخر، تقول: هو يَرْمِي ويَغْزُو ويَخْشَى))[٧].. واللُّغَة الأخرى إبقاء حرف العلة، على أن علامة الجزم حركة مقدرة، وهي لُغَة قليلة الاستعمال غير مشْهُوْرة، وإن رماها الشّنْتَمَرِي بالضعف[٨]، وقد أطلقواعليها لُغَة "إجراء المعتل مجرى الصحيح"، ولولا تخريج قراءة (من يتقي ولاتخشى) عليها لسلمنا مع جُمْهُور النُّحَاة بأنها مختصة بالضَرُورَة ؛ لأنها قراءة سبعية ثابتة بالنقل المتواتر، فضلًا عن كثرة الشَوَاهِد المذكورة، وقد اعترف كثير من النُّحَاة بوجود هذه اللُّغَة، وإن خفيت على سِيْبَوَيْهِ فمن علم حجة على من لم يعلم.

---

[١] ينظر: اللباب في علل البناء والإعْرَاب ١٠٩/٢.

[٢] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٦٢/١

[٣] ينظر: رسالة الملائكة لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري(ت:٤٤٩هـ) تحقيق: عبد العزيز الميمني الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان. نشرها الميمني كملحق في آخر كتابه (أبو العلاء وما إليه).

[٤] ينظر: التوضيح بمضمون التصريح ٨٧/١.

[٥] ينظر: حاشية التصريح الشيخ يس بن زين العابدين العليمي الحمصي ٨٧/١،.

[٦] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٩٢/٤.

[٧] الكتاب ٢٣/١.

[٨] ينظر: تحصيل عين الذهب ص:٧١.

المبحث الثاني: الضَرُورَة الشّعْرِيّة ولُغَات العرب

المَسْأَلَة (٦): حذف ضَمِيْر الفاعل الواو أوالياء والاجتزاء بالحركة

حكى البغدادي[١] عن الفَرّاء قوله: قد تسقط العرب ضَمِيْر واو الجماعة وهي فاعل وتكتفي بالضمة، ففي ضربوا، يقولون: قد ضربُ، وفي قالوا: قد قالُ، وهي في هَوَازِن وعليا قيس . ونسبه سِيْبَوَيْهِ إلى ناس كثير من قيس وأسَد فقال: حذف ناس كثير من قيس وأسَد الياء والواو اللتين هما علامة المضمر[٢]..

اختلفت عبارة القوم في حذف حرف المد والاجتزاء بالحركة عنه للدلالة عليه: أهو ضَرُورَة من ضرورات الشعر أم هو لُغَة لبعض العرب؟ فظاهر كلام سِيْبَوَيْهِ أن ذلك ضَرُورَة؛ لأنه ذكر ذلك واستشهد له في (باب ما يحتمل الشعر) وصدر هذا الباب بقوله: اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام[٣] ...

وظاهر كلام الفَرّاء أن ذلك لُغَة لبعض العرب، قال ((وقد تسقط العرب الواو وهي واو جماع اكتفاءً بالضمة قبلها، فقالوا في ضربوا: قد ضرب، وفي قالوا: قد قال ذلك، وهي في هَوَازِن وعليا قيس))[٤] .

وهنا يتجلى بوضوح الاختلاف في مَنْهَج الرجلين، فسِيْبَوَيْهِ يضع في أولوياته تقنين العلم، ووضع مداميك القَاعِدَة النَّحْوِيّة على الكثير الشائع، ولا يلتفت لما سواه . والفَرّاء يحترم ما ورد عن العرب ولا يريد التخلص منه، فهو حجّة عنده، ليس هذا فحسب بل أورد على ذلك أمثلة نثرية لتدعيم مَنْهَجه النحوي الذي ستقوم عليه مدرسة نحوية بعد ذلك .

وقد نقل الفَرّاء عددًا من الشَوَاهِد الشّعْرِيّة يحتجّ بها على أنهم يجتزئون بالضمة عن الواو وبالكسرة عن الياء وبالفتحة عن الألف، منها قول الشاعر[٥]:[من الوافر]

فلو أنَّ الأَطِبَّا كانُ حَوْلِي ... وكان مع الأَطِبَّاءِ الأساة

---

[١] ينظر: خزانة الأدب ٢٣٠/٥.

[٢] ينظر: الكتاب ٢١١/٤

[٣] ينظر: الكتاب ٢٦/١

[٤] معاني القُرْآن للفراء ٩١/١.

[٥] بلا نسبة معاني الفَرّاء ٩١/١، وشرح ابن يعيش٢٠٨/٤، والتذييل والتكميل ١٣٧/٢، والمقاصد النَّحْوِيّة ٢٠٦٩/٤، والخزانة ٢٢٩/٥، ومعجم شَوَاهِد العَرَبِيَّة ٥١١/١.

أراد: كانوا بواو الجماعة التي تعود إلى الأطباء، فحذف الواو اجتزاءً بالضمة للدلالة عليها .
وقال الشاعر[1]:[من الوافر]

إذا ما شاءُ ضَرُّوا من أرادوا ... ولا يَأْلُوهُمُ أحدٌ ضِرَارًا

أي: شاءوا، فحذف ضَمِيْر الجماعة . وقال آخر[2]:

رب ذي لقاح ويب أمك فاحش ... هلع إذا ما الناس جاع وأجدبوا

يريد: جاعوا، فحذف الواو. وأنشد الكِسَائي[3]:[من الوافر]

إذا ما الأقربون من الأداني ... أَمَالُ على صفّاحًا وطينًا

أي: أمالوا، وأنشد أيضًا[4]:

وإذا احتملت لأن تزيدهم تقى ... دبروا، فلم يزدادُ غير تماد

أي: يزدادوا. وأنشد أيضًا:

مَتَى تقولُ خلت من أهلها الدار ... كأنهم بجناحي طائر طاروا

أي: تقولوا، وأنشد السيرافي[5]:[من مشطور الرجز]

لو أن قومي حين أدعوهم حملُ
على الجبال الصم لانهدّ الجبلُ
شبوا على المجد وشابوا، واكتهلُ

أراد: حملوا، واكتهلوا، فحذف الواو اكتفاءً بالضمةً .
وتفعل ذلك مع ياء المخاطبة، كَقَوْلِ عنترة[6]:[من الكامل]

إن العدوّ لهم إليكِ وسيلةٌ ... إنْ يأخذوكِ تكحّلي وتخضّبِ

أي: تخضبي، فحذف الياء واجتزأ بالكسرة .

---

[1] بلا نسبة في معاني الفَرّاء ٩١/١، والتذييل والتكميل ١٣٨/٢، ومغني اللبيب ص:٧١٦، وشرح شَوَاهِد المغني ٨٩٧/٢، والخزانة ٢٣١/٥، ومعجم شَوَاهِد العَرَبِيَّة ٦٤/٣.

[2] بلا نسبة في التذييل والتكميل ١٣٧/٢، والهَمْع ٢٢٩/١، وفي معجم شَوَاهِد العَرَبِيَّة ١٨٦/١ برواية: يا رب ذي لقح ببابك فاحش.

[3] غير معزو في التذييل والتكميل ١٣٨/٢.

[4] غير معزو في شرح ابن يعيش ٢٢٩/٥، وشرح الجمل لابن عصفور ٤٧٩/٢، والتذييل والتكميل ١٣٨/٢، والتمهيد بشرح التسهيل ٤٥٧/١،.

[5] بلا نسبة في التذييل والتكميل ١٣٩/٢.

[6] ديوان عنترة ص: ٢٠، وله في الخزانة ٢٣١/٥و ١٩١/٦، وهو لخزر بن لوذان في البيان والتبيين ١٧٦/٣، والحيوان ٣٦٣/٤،والأغاني ١٨٠/١٠، وذكر صاحب الخزانة ١٩٠/٦ عن الصاغاني أن الشعر فى ديوانى الرجلين. وانظر اللسان (نعم)، و بلا نسبة في معاني الفَرّاء ٩١/١.

وكل تلك الشواهد وغيرها[1] عدّها سِيْبَوَيْهِ في باب الضَرُورَة الشّعْرِيّة وتابعه السيرافي[2] وابن يعيش[3] وابن عصفور[4] وابو حيان[5] والرضي[6] وغيرهم، وهذا لا يصح . بل الأصح ما ذهب إليه ثعلب حَيْثُ استشهد به على أن العرب قد تمدّ وتقصر، فتقول: اسقني شربة ما، بدلًا من ماء، وتقول: كانُ، بدلًا من (كانوا)[7] .

فهو إذًا لم يقتصر على الشعر بل جاء في النثر، وخص ابن مالك[8] ذلك بالفعل الماضي[9]، وتابعه السَّيُوطِي[10]، فقد حُكِيَ أن من العرب من يقول في الجَمْع: الزيدون قامُ وضربُ وقالُ[11]، فيجتزئ بالضمة، وعزاها الفراء لهَوَازِن وعليا قيس[12].

ووردت على هذه اللُغَة بعض القراءات القُرْآنية، فقد قُرِئ قوله تَعَالَىْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[13] بضم الحاء، وهي قراءة طلحة بن مصرف[14]، وخرجها الزمخشري[15] على أن الأصل (قد أفلحوا المؤمنون) فحذفت الواو لدلالة الضمة عليها، بدليل أن طلحة نفسه قرأ: (قد أفلحوا المؤمنون) بالواو، ونقل ابن هِشَامٍ في المغني[16] عن التبريزي في قراءة يحيى بن يعمر: ﴿تَمَامًا عَلَى الذِي أَحْسَنُ﴾[17] برفع أحسن، فحذفت الواو اجتزاء عنها بالضمة[18] على أن الأصل (على الذين

---

[1] للمزيد من الشواهد ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الأول، المسألة(١): الضَّمَائِر(واو الجماعة وياء المخاطبة).

[2] ينظر: الإنصاف ٣٨٦/١، وما يحتمل الشعر ص:١٣١.

[3] ينظر: شرح ابن يعيش ٨٠/٩

[4] ينظر: ضرائر الشعر ص:٩٩، وشرح الجمل لابن عصفور ٤٧٨/٢.

[5] ينظر: التذييل والتكميل ١٣٨/٢.

[6] ينظر: شرح االكافية للرضي ٨/٢.

[7] ينظر: مجالس ثعلب ٨٨/١.

[8] ينظر: شرح التسهيل لابن مالك١٢٢/١.

[9] ينظر: التذييل والتكميل ١٣٧/٢

[10] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٥٨/١

[11] ينظر: شرح الجمل لابن عصفور ٤٧٨/٢– ٤٧٩، والتذييل والتكميل ١٣٨/٢.

[12] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩١/١.

[13] المؤمنون/١

[14] ينظر: الكشاف ١٧٤/٣، والدر المصون ٣١٤/٨.

[15] ينظر: الكشاف ١٧٤/٣.

[16] ينظر: مغني اللبيب ص:٧١٦.

[17] الأنعام من الآية/١٥٤.

[18] ينظر: مغني اللبيب ص:٧١٦، وخزانة الأدب ٢٣٢/٥

أحسنوا) واكتفى بضم النون للدلالة عليها، وعلى هذه القراءة وهذا التخريج يكون (الذي) مستعملًا في الجَمْع[1] نظير قول الشاعر[2]:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

واستبعد ذلك ابن هِشَامٍ وعدّه من تخريج الفصيح على الشاذ[3]، ورجح تخريج الجُمْهُور، أن "أحسنُ" أفعل تفضيل وليس فعلًا ماضيًا، وهو خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: تمامًا على الذي هو أحسن[4]. وقُرِئ: ﴿لِمَنْ أَرَاد أن يتمُّ الرضاعة﴾[5] برفع (يتم) وخرّجه[6] قوم على أن الأصل: "يتموا الرضاعة" فحذفت الواو اجتزاء بالضمة عنها[7] .

إن موافقة النثر للشعر تنفي احتمال الضَرُورَة، فأي ضَرُورَة في النثر والقراءات[8]. فما ذكرناه من كثرة الشَوَاهِد الشّعْرِيّة والقُرْآنية مما ينافي الندرة لأنَّ قليلَ القُرْآن كثيرٌ، فضلًا عن كونه لُغَة من لُغَات العرب . ويبدو أن حذف الواو والاجتزاء بالضمة ظاهرة سامية عامة وجدت في الحبشية والعبرية والآرامية[9]، ويؤكد الدكتور الجندي[10] أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في المواطن التي ذكرها سِيْبَوَيْهِ والفَرّاء (أسَد، وقيس، وهَوَازِن) وأنّ هُذَيْلًا كانت تميل إلى تقصير الصيغ، وبهذا تكاد تجمع المصادر القديمة والحديثة على نسبة الظاهرة إلى هذه القَبَائِل

وإذا نظرنا في خارطة القَبَائِل العَرَبِيَّة وجدنا التجاور بين قَبَائِل قيس وهَوَازِن وأسَد يبعث على الاطمئنان بصحة نسبة الظاهرة إلى هذه القَبَائِل، وقد أشرنا في مبحث سابق إلى أن التجاور بين القَبَائِل سبب في تعدد اللُغَات وتنوّعها[11]، وأنه قد توجد ظاهرة في قَبِيْلَة تبعد في مسكنها عن قَبِيْلَة أخرى توجد فيها الظاهرة نفسها . ونجد رابين يعمّم الظاهرة على لَهْجَات الجزيرة كلها، ويخص لَهْجَات وسط الجزيرة فيقول: ((ويحتمل أن يكون النزوع إلى تقصير العلل الطويلة

---

[1] للاستزادة ينظر من هذه الرسالة: الفصل الثاني، المبحث الأول، المَسْألَة (٣): الأَسْمَاء المَوْصُوْلة.

[2] تم تخريج الشاهد في المَسْألَة (٣): الاسم المَوْصُوْل.

[3] ينظر: مغني اللبيب ص:٢٣٩.

[4] المرجع السابق ص:٧١٧.

[5] البقرة من الآية/٢٣٣.

[6] لوجه الرفع تخريجات أخرى ذُكِرَتْ هذه الرسالة، ينظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المَسْألَة (٣): الجزم بـ(أنْ) الناصبة لُغَة.

[7] ينظر: خزانة الأدب ٣٢٣/٥.

[8] ينظر: ظاهرة الاجتزاء في العَرَبِيَّة ص: ١١٣.

[9] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في التراث للجندي ٦٨٩/٢

[10] المرجع السابق ٦٨٩/٢.

[11] ينظر في هذه الرسالة: الفصل الأول، المبحث الأول، المطلب الثاني: تعدد اللُغَات أسبابه وصوره.

موروثًا في لَهْجَات الجزيرة كلها ولكنها تطورت باتساق في لَهْجَات وسط الجزيرة أكثر منها في اللَهْجَات العَرَبِيَّة الغربية))[1] .

إن نسبة سِيْبَوَيْهِ هذه الظاهرة إلى ((ناس كثير من قيس وأسَد))[2] يتضمن عدم اقتصار هذه اللُغَة على الشعر، أو عدّه من ضرورات الشعر، صحيح شَوَاهِده التي ساقها كلها من الشعر، وأنه أدرج هذه الظاهرة في باب الضرائر الشّعْرِيّة[3]، وهو معذور في ذلك ؛ لأن مَنْهَج الرجل مَنْهَج تَقْعِيْدي تأصيلي، فهو يؤصل لعلم النحو ويضع مداميك القَاعِدَة النحوي، فكان من الطبيعي يعتمد الشائع الكثير ولا يلتفت للقليل والنادر . لكن مَنْهَج الفَرّاء خلاف ذلك، فهو يعلي من شأن لُغَات العرب مهما كانت مادام قد صدرت عن العرب، وقد مثّل لها بمثال من النثر، بقوله: ففي ضربوا، يقولون: ضربُ، وفي قالوا: قالُ[4] .. مما يوحي أن الفَرّاء لا يمتنع عنده ورودها في النثر . ويميل الباحث لرأي الدكتور علم الدين الجندي أن هذه الظاهرة لا تقتصر على الضَرُورَة بل تجاوزتها إلى النثر[5] .

ويرى بعض الباحثين[6] أن الأمر لا علاقة له بالواو ولا بالياء سواء أكانا ضَمِيْري رفع أو من أصل الفعل، إنما يتعلق بطول صوت اللين وقصره، فهي قَضِيّة صوتية ترتبط بأصوات اللين الألف والواو والياء ؛ وهي الحركات نفسها مع زيادة الكمية، فبعض العرب يقلل كمية هذه الأصوات في بعض المواضع، وبعضهم يطيلها في مواضع أخرى، ويوكد ذلك ما ذكره ابن الأنْبَاري[7] في قول الشاعر[8]:[من الوافر]

فلست بمدركٍ ما فاتَ منِّي ... بلهفَ، ولا بِلَيْتَ، ولا لَوَانِّي

أراد (بِلَهْفَا) فحذف الألف اجتزاء بالفتحة عنها .

---

[1] اللَهْجَات العَرَبِيَّة القديمة تشيم رابين ص:٢٤١.

[2] الكتاب ٢١١/٤.

[3] المرجع السابق ٢٠٤/٤.

[4] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩١/١.

[5] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتب التراث ٦٨٨/٢.

[6] ينظر: لُغَات العرب في كتب إعراب القُرْآن ومعانيه د. إسماعيل محمود القيام ص:٦٤.

[7] ينظر: الإنصاف ٣٢٢/١.

[8] لم أعثر له على قائل، وهو غير منسوب في الإنصاف ٣٢٢/١، واللسان ٣٢١/٩ (لهف)، وخزانة الأدب ١٣١/١، وشرح الأشْمُونِي ١٩٦/٢، وأوضح المسالك ٣٠/٤.

المبحث الثاني: الضَرُورَة الشّعْرِيّة ولُغَات العرب

المَسْأَلَة (٧): صرف الممنوع مطلقًا لُغَة

الممنوع من الصَّرْف إذا عُرّف بـ(ال) أو أُضيف عادت إليه الكسرة يقول سِيْبَوَيْهِ: ((اعلم أنّ كل اسم لا يَنْصَرِف فإنّ الجرّ يدخله إذا أضفته أو أدخلت فيه الألف واللام))[١]؛ فرجع إلى اسميته الخالصة ؛ لأنّ (ال) والإضَافَة مما يختصّ بالأَسْمَاءلذلك عاد يجر بالكسرة[٢] .

ويصرف غير المنصرف لأحد أربعة أسباب:

الأول: زوال أحد السببين المانعين هما العلمية والوصفية: رب فاطمةٍ تزوجت .

الثاني: التصغير المزيل لأحد السببين: حُميد، وعُمير يصرفان لزوال الوزن والعدل .

الثالث: إرادة التناسب، وهو نوعان: أحدهما: كلمات منصرفة انضم إليها غير منصرف، والآخر: تناسب رؤوس الآي .

الرابع: الضَرُورَة الشّعْرِيّة .

ويجوز صرفه في الضَرُورَة الشّعْرِيّة وفي التناسب . ففي الاضطرار كَقَوْلِ زهير:[من الطويل]

تَبَصَّرْ خَلِيْلِيْ هَلْ تَرَىْ مِنْ ظَعَائِنٍ .... تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ

وهو كثير وأجمع عليه البصريون والكوفيون، قال الفَرَزْدَق: [من الطويل]

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلَىً هَجَوْتُهُ ... وَلَكِنّ عَبْدَ اللهِ مَوْلَىْ مَوَالِيَا

وفي التناسب كقراءة قوله تَعَالَىْ: ﴿سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾[٣] و ﴿قَوَارِيرَا﴾[٤] بالتنوين،و هي قراءة نافع والكِسَائي وعاصم في رواية أبي بكر وابي جَعْفَر[٥] . فصُرِفَ (سلاسل) لمناسبة ما بعده[٦]، ذكر الزَّجَّاج[٧] أنَّ الأجود في العَرَبِيَّة أن لا يصرف (سلاسلَ)، ولكن صرفت لاتفاق رؤوس الآي

---

[١] الكتاب ٣/٢٢١.

[٢] ينظر: المقتضب ٣/٣١٣، وما يَنْصَرِف وما لا يَنْصَرِف/٢.

[٣] الإنسان من الآية/٤.

[٤] الإنسان آخر الآية/١٥.

[٥] ينظر: السبعة في القراءات ص:٦٦٣، والتبصرة في القراءات ص: ٣٦٦، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٩٤، واتحاف فضلاء البشر ص: ٤٢٩.

[٦] ينظر: شرح ابن عقيل ٣/٣٣٩.

[٧] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٥/٢٥٨

ولمجاورته "أغلالًا" وإلى هذا ذهب كثير من النُّحَاة منهم الأنْبَاري[1] والعُكْبُرِيّ[2] وابن الحاجب[3] ابن مالك[4] حَيْثُ قال:

اضطرارٍ أو تَناسُبٍ صُرِفْ ذو المَنْعِ والمصروف قد لايَنْصَرِف

وتبع ابنَ مالكٍ الرضيُّ في شرح الكافية[5] وابن هِشَامٍ[6] .

وقرأ أبو عمرو وحمزة (سلاسلَ) بغير تنوين، والصحيح عن حمزة أنَّه كان يقف على (سلاسلا) بالألف اتباعًا للسواد، لأنَّها في مصاحف أهل المدينة، وأهل الكوفة بالألف، وقرأ أهل المدينة وأهل الكوفة غير حمزة (سلاسلًا) بالتنوين ((والحجّة لأبي عمرو، وحمزة أن «سلاسل» لا يَنْصَرِف لأنه جمع لا نظير له في الواحد ... والحجة فيه أن الرؤاسي والكِسَائي حكيا عن العرب الوقوف على ما لا يَنْصَرِف بالألف لبيان الفتحة فقد صحّت هذه القراءة من كلام العرب))[7] .

وقد علَّل الفَرّاء صحة القراءة، وأنَّها ليست بخطأ ؛ لأنَّ العرب تصرف الممنوع مطلقًا في الشعر، فلو كان خطًا ما أدخلوه في أشعارهم[8]، وهي لُغَة للشعراء، والشعر أصل كلام العرب، وعن مكي القيسي[9] أنَّ صرف (سلاسل) لُغَة لبعض العرب سمعها الأخْفَش عزيت هذه اللُغَة إلى بَنِيْ أسَد[10] .

وكقراءة ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾[11] في قراءة من نون، حَيْثُ قرأ الأَعْمَش: «ولا يَغُوْثًا ويَعُوْقًا» مصروفَيْن[12]. وأنكرها القراءة ابن عطية،واتهم القارئ بالوهّم[13]، فتعقّبه السمين الحلبي[1] بقوله

---

(1) ينظر: البيان في غريب اعراب القُرْآن: ٤٨٠/٢.

٢ ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ١٢٥٧/٢.

٣ ينظر: أمالي ابن الحاجب ٥٢٢/٢ (إملاء: ٢١).

٤ ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ١٥١٢/٣.

٥ ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ١٠٥/١.

٦ ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٥٢.

٧ إعراب القُرْآن للنحاس: ٦٣/٥.

٨ ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٢١٨/٣.

٩ ينظر: مشكل إعراب القُرْآن: ٧٨٣/٢.

١٠ ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص/٥٦٥.

١١ نوح من الآية/٢٣

١٢ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٩/٥، وتفسير ابن عطية ٣٧٦/٥، والدر المصون ٤٧٥/١٠

١٣ المحرر الوجيز ابن بن عطية ٣٧٦/٥.

((وليس بوهمٍ لأمرَيْن، أحدهما: أنه صَرَفَهما للتناسُبِ، إذ قبله اسمان منصرفان، وبعده اسمٌ منصرفٌ، كما صُرِفَ «سلاسل» . والثاني: أنه جاء على لُغَة مَنْ يَصْرِفُ غيرَ المنصرِف مطلقًا. وهي لُغَة حكاها الكِسَائي))[٢]، وزعم الفَرّاء أنّ ذلك يجوز صرفه لكثرته أو كأنه نكرة[٣] . قال النحَّاس: هذا عند الخَلِيْل وسِيْبَوَيْهِ لحن وهو أيضا مخالف للسواد الأعظم[٤]، قال الزَّجَّاج: لا ينبغي أن يقرأ بها لمخالفتها المصحف[٥] .

إنّ كثرة الاستعمال تؤدي إلى صرف ما لا يَنْصَرِف في النثر، فهناك كلمات حقها أن تمنع من الصَّرْف كأسماء النساء إذا كانت ثلاثية ساكنة العين مثل: هنْد، وقدْر، وعَنْز، ودَعْد، وجُمْل، ونُعْم[٦]، ولكن كثرة الاستعمال أعطتها حقّ الصَّرْف بخلاف نظائرها من أسماء البلدان[٧] . كَقَوْلِ جرير[٨]: [من المنسرح]

لم تتلفّع بفضل مئزرها دعدٌ ولم تُغْذَ دعدُ في العلبْ

وقال الحطَيِّئة[٩]:[من الطويل]

ألا حبذا هندٌ، وأرض بها هندُ وهندٌ أتى من دونها النأي والبعد

وقد نسب صاحب "الإتحاف" الصَّرْف مطلقًا إلى بَنِيْ أسَد في قوله: ((وقال الكِسَائي وغيره من الكُوْفِيِّيْنَ إن بعض العرب يصرفون جميع ما لا يَنْصَرِف، إلا أفعل التفضيل، وعن الأخْفَش يصرفون مطلقًا، وهم بنو أسَد، لأن الأصل في الأَسْمَاءالصَّرْف))[١].

---

[١] **السمين الحلبي**: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، المعروف بالسمين. مفسر، عالم بالعَرَبِيَّة والقراءات. توفي سنة: ٧٥٦هـ. [الأعلام للزركلي]
شافعي، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة.

[٢] الدر المصون السمين الحلبي ٤٧٥/١٠.

[٣] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٨٩/٣

[٤] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٩/٥

[٥] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه الزَّجَّاج ٢٣١/٥.

[٦] ينظر: الكتاب ٢٤٠/٣ ـ ٢٤١، والمقتضب ٣٥٠/٣، واللباب ٥٠٨/١، وشرح ابن يعيش ٧٠/١، والإيضاح لابن الحاجب ١٥٣/١ – ١٥٤، والارتشاف ٤٤٠/١، والهَمْع ١٢٢/١

[٧] ينظر: أبو زكريا الفَرّاء ومذهبه في النحو/٤٥، وجامع الدروس العَرَبِيَّة ٣٢٨/٢.

[٨] لجرير في ملحق ديوانه ص:١٠٢١ سلسلة ذخائر العرب رقم/٤٣ بشرح: محمد بن حبيب، وبلا نسبة في (الكتاب) ٢٤١/٣، و(الخصائص) ٦١/٣، ٣١٦، ونسب لابن قيس الرقيات في ملحق ديوانه ص:١٧٨ بتحقيق وشرح د/محمد يوسف نجم دار صادر و دار بيروت ط/١٣٧٨ ـ ١٩٥٨م .

[٩] ديوان الحطَيِّئة ص: ٦٤ برواية وشرح/ابن السكيت قدم له ووضع فهارسه د/حنا نصر الحتي دار الكتاب العربي ط ١٤١٥/١ ـ ١٩٩٥م.

وبهذا يتضح أن بَنِيْ أسَد حافظوا على الموروث القديم، فلم تتجه لغتهم إلى منع الأَسْمَاءمن الصَّرْف، أي إنهم لا يصرفون الممنوع، وإنما هم لا يمنعون الصَّرْف أصلًا، وقد أُثِر عنهم صرف ما كان على (فعلان) كغضبان وعطشان، وأما بقية القَبَائِل التي تصرف بعض الأَسْمَاءالممنوعة من الصَّرْف مع أنها تمنع أسماء أخرى فيتضح أنها في مرحلة وسطى تتجه من عدم الصَّرْف إلى المنع[٢] .

حُكِي[٣] عن الكِسَائي قوله: العرب تصرف كل ما لا يَنْصَرِف إلا أفعل منك، وتابعه الفَرّاء[٤] . وأيدهما أبو الحسن الأَخْفَش في ما نقل عنه: سمعنا من العرب من يصرف هذا، وجميع ما لا يَنْصَرِف مطلقًا[٥]، وأجازه في الكلام أحمد بن يحيى[٦]

نسبة ذلك إلى العرب من دون تحديد أو ذكر قَبِيْلَة ما يدلنا على أن في الأمر سعة، وأن من أراد أن يمنع الصَّرْف على الأفْصَح والأشهر، كونها اللُغَة العالية والمثلى فبها ونعمت، ومن أراد أن يصرف كل ممنوع ويعود للأصل فهو على صواب، وهي لُغَة أسَدية، والناطق على لُغَة من لُغَات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان هناك ما هو أجود .

---

[١] إتحاف فضلاء البشر ص: ٥٧٦

[٢] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة القديمة في كتاب معاني القُرْآن للأخفش الأوسط دراسة وصفية تحليلية ص: ١٣٤-١٣٥ رسالة تقدم بها الباحث علي عبدالرحمن موسى العجارمة إلى جامعة الشرق الأوسط للحصول على درجة الماجستير عام ٢٠١٢/٢٠١٣ م.

[٣] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢٩/٥، ومشكل اعراب القُرْآن ٧٨٣/٢.

[٤] ينظر: الجامع لأحكام القُرْآن ١٢٣/١٩.

[٥] ينظر: مشكل اعراب القُرْآن ٧٨٣/٢، والمساعد على تسهيل الفوائد ابن عقيل ٤٤/٣، والهَمْع ١١٩/١،

[٦] ينظر: الارتشاف ٨٩١/٢

المبحث الثاني: الضَرُورَة الشّعْرِيّة ولُغَات العرب

المَسْأَلَة (٨): الجر على الجوار

من كلام العرب حمل اللفظ على ما يجاوره تقول: (هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ) فأكثر العرب ترفع خربًا ولا إشكال فيه، ومنهم من يجرّه لمجاورته المجرور، وعلى هذا الوجه في " خرب " ضمة مقدرة منع من ظُهُورها اشتغال المحل بحركة المجاورة وهو نعت للجحر لا نعت للضب ولكن الجوار عمل عمله.

يقصد بمصطلح الجر بالمجاورة أن عامل الجرّ ليس الإضَافَة ولا حرف الجر، وإنما مجاورة الاسم لما هو مجرور بأحدهما[١] ؛ فالعرب تختار حمل الشيء على ما يجاوره[٢]، ومرادهم من ذلك أن يناسبوا بين المتجاورين في اللفظ وإن كان المعنى على خلاف ذلك[٣] كما قال الشاعر[٤]:[من مشطور الرجز]

قد يُؤْخَذُ الْجَارُ بِجُرْمِ الْجَارِ

وقد حملهم قرب الجوار على أن جرّوا: (هذا جُحْرُ ضبٍ خربٍ) وهي الجُمْلَة التي ذكرها سِيْبَوَيْهِ في كتابه[٥] وردّدها من جاء بعده من النُّحَاة، فأطلقوا على هذا الأسلوب "الجر على الجوار" . وحركة المجاورة ليست حركة بناء ولا إعراب، وإنما هي حركة مجتلبة للمناسبة بين اللفظين المتجاورين[٦] . وسنذكر هاهنا جُمْلَة من الشَوَاهِد التي نقلت عن العرب في نثرها وشعرها، مما استشهدوا به:

أولًا: الشعر ..

فمن الشَوَاهِد الشّعْرِيّة قول امرئ القيس في معلقته:[من الطويل]

---

[١] ينظر: ظاهرة المجاورة في الدراسات النَّحْويّة ومواقعها في القُرْآن الكريم د. فهمي حسن النمر ص:٧، طبعة ١٩٨٥م، دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة.

[٢] ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣٤٥/١.

[٣] ينظر: شرح قطر الندى أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هِشَامٍ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ص:٢٨٧ الطبعة الحادية عشرة: ١٣٨٣هـ.

[٤] نسبه ابن جني مع بيتين آخرين لأعرابي راود امرأة، فقالت له: إني حائض.. الخصائص ١٧٣/٢، وهو من أمثال العهد الإسلامي، ذكره الميداني برواية (قَدْ يُؤخَذُ الجَارُ بِذَنْبِ الجَارِ) قال: وهو في شعر الحكمي أبي نواس، ينظر: مجمع الأمثال ١٠٩/٢(م/٢٩١٣)، وغير منسوب في مغني اللبيب ص:٨٩٧، ولا شرح قطر الندى ص:٢٨٧

[٥] ينظر: الكتاب ٦٧/١، ٤٣٦/١،

[٦] ينظر: ظاهرة المجاورة في الدراسات النَّحْويّة ص:٨.

كَأنَّ ثُبَيْرًا فِيْ عَرَانِيْنِ وَبْلِهِ ... كَبِيْرُ أُنَاْسٍ فِيْ بِجَادٍ مُزَمَّلِ

بجرّ "مزمّلِ" لمجاورتها "بجاد" المجرورة بحرف الجر، ومن الشَوَاهِد ما أنشده الفَرّاء[1]:[من البسيط]

كأنَّمَا ضَرَبَتْ قُدَّامَ أعيُنِهَا ... قُطْنًا بِمُسْتَحْصِدِ الأوتارِ مَحْلُوجِ

بجرّ "محلوج" لمجاورته "الأوتار" وكان حقه النصب؛ لأنه نعتُ للقطن، ومن ذلك أيضًا، قول ذي الرمة[2]:[من البسيط]

تُريك سُنَّة وجه غيرِ مُقرفةٍ مَلْسَاء ليس بها خال وَلاَنَدَبُ

بجرّ (غيرِ) إتباعًا للمجرور قبلها، وكان عليه أن ينصب (غير) لأنها صفة لـ(سُنَّة) المنصوبة على المفعولية . قال الفَرّاء: ((قلت لأبي ثَرْوان وقد أنشدني هذا البيت بخفضٍ: كيفَ تقول: تُريك سُنَّة وجه غيرَ مقرفة؟ قال: تريك سنّة وجه غَيْرَ مقرفة. قلت له: فأنشِد فخفض (غير) فأعدت القولَ عليه فقال: الذي تقول أنت أجود مما أقول أنا، وكان إنشاده على الخفض))[3] . وقال آخر: [من مشطور الرجز]

كأنَّ نَسْجَ العَنْكَبُوتِ المُرْمَلِ

على ذرى قلامه المهدل

سبوب كتان بأيدي الغزل

فخفض "المُرْمَلِ" على الجوار، وكان ينبغي أن يقول "المرملا" لكونه وَصْفًا للنسج[4]، ومثل هذا ايضًا قول الحطَيِّئَة[5]:[من الوافر]

وإيَّاكم وَحَيَّة بطنِ وادٍ ... هَمُوزِ النابِ ليسَ لكم بسيّ[6]

---

[1] لذي الرمة في ديوانه ص: ٩٩٥، ولسان العرب ٢٨٨/٦ (حمش)، ومعجم شَوَاهِد العَرَبِيَّة ٤٧/٢، وغير منسوب في معاني القُرْآن للفرّاء ٧٤/٢، والانصاف ٤٩٥/٢.

[2] ديوان ذي الرمة ٢٩/١ بنصب (غير)، وبلا نسبة في معاني القُرْآن للفرّاء: ٧٤/٢

[3] معاني القُرْآن للفراء ٧٤/٢.

[4] ينظر: الإنصاف ٤٩٥/٢-٤٩٧

[5] ديوان الحطَيِّئَة ص:١٣٩ والرواية فيه بنصب (هموزَ)، والخصائص ٢٢٣/٢، وشرح ابن يعيش ٨٥/٢، والصاحبي ص:١١٢، والخزانة ٨٦/٥، وبلا نسبة في معاني القُرْآن للفرّاء ٧٤/٢.

[6] هموز الناب: خفي الناب، والسي: المثل والند.

فقد جرّ "هموز" وحقها النصب لأنها نعتُ للحيَّة المنصوبة على التحذير، ومنه أيضًا ما أنشده أبو الجرّاح العُقيليَّ للفرّاء[1]:[من البسيط]

يا صَاحِ بَلِّغ ذَوِى الزوجاتِ كُلِهم أن ليس وصلُ إذا انحلّت عُرَا الذَنْبِ

فخفض (كلّ) وحقها النصب لأنها توكيد لذوي المنصوبة على المفعول به[2]. وقول آخر[3]:[من الطويل]

فدافعت عنه الخيل حتى تبددت ... وحتى علاني حالُك اللون أسودِ

فـ(أسود) صفة لـ(حالكِ) وهو مجرور لمجاورته (اللون) .

ثانيًا: القُرْآن وقراءاته

ليس بممتنع أن يقع الجرّ على الجوار في القُرْآن الكريم؛ لكثرته فقد جاء في القُرْآن والشعر[4]، ومما يمكن أن يحمل عليه من كتاب الله قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[5]. قرأ الجُمْهُور (المتينُ) بالرفع، في حين قرأ الأَعْمَش، ويحيى بن وثاب، والنخعي[6]، (المتين) بالجر[7]. وجهت قراءة الجر بوجهين:

الأول: انه صفة للقوة وذكّر الصفة[8] لأنّ التأنيث غير حقيقي، فذهب به إلى معنى الحبل[9]، أو على معنى الاقتدار[10]، او كناية عن معنى القوة اذ معناها البطش[1].

---

[1] نسبه البغدادي لأبي الغريب الإعْرَابي في الخزانة ٩٣/٥، وبلا نسبة في معاني الفَرّاء ٧٥/٢، وإعراب القُرْآن للنحاس ٢٣٠/٢، ومغني اللبيب ص:٨٩٥(ش/١١٦٠)، وهَمْع الهَوَامِعِ ٥٣٥/٢.

[2] وهم الفَرّاء في هذا الشاهد، لأنه قال: "فاتبع (كلّ) خفض (الزوجات) وهو منصوب لأنه نعت لذوي"، و(كل) هنا ليست نعتًا، بل توكيد لـ(ذوي)، وقد خفضه الشاعر إتباعًا للزوجات، لأن (كل) تكون من ألفاظ التوكيد إذا أُضيفت إلى ضَمِيْر، وقد يكون هذا الوهم ليس من الفَرّاء نفسه فربما يكون من النسّاخ أو يكون زلةً في الكلام فقط.

[3] لدريد بن الصمة في ديوانه ص:٤٨، وله في ديوان شرح حماسة أبي تمام للتبريزي ٣٣٨/١ برواية: فطاعنت عَنهُ الْخَيل حَتَّى تنفست..، وغير منسوب في الخزانة ٩١/٥.

[4] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٤٢٢/١.

[5] الذاريات/٥٨.

[6] **النخعي:** إبْرَاهِيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران الكوفي توفي سنة ٩٠ تقريبًا.

[7] ينظر: الجامع لأحكام القُرْآن ٥٦/١٧، والبحر المحيط ٥٦٢/٩.

[8] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه ٩٠/٣، إعراب القُرْآن للنحاس ١٦٨/٤، المشكل ٦٨٩/٢، البيان في غريب إعراب القُرْآن: ٢٩٣/٢.

[9] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٩٠/٣، المحتسب: ٤٠٨/٢.

[10] ينظر: الكشاف ٤٠٦/٤، تفسير النسفي ٣٨١/٣، البحر المحيط ٥٦٢/٩.

الثاني: أن يكون مجرورًا على الجوار، قاله ابن جني[٢]، وهو قول أبي حاتم فيما نقله النحَّاس[٣] .

وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[٤] (عاصف) نعت للريح، فلما جاء بعد (يوم) عمل فيه الجر[٥] .

قال تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[٦]. قرأها ابن مَسْعُوْدٍ والأَعْمَش والربيع وابن عباس (عن قتالٍ) مجرور بحرف جرٍ ظاهر[٧]. وقرأها الجُمْهُور(قتالٍ) وفيه ثلاثة أوجه:

الأول: بدل اشتمال من الشهر؛ لأن الشهر مشتمل على القتال، والهاء في(فيه) تعود على المبدل منه، وهذا الوجه هو الذي ارتضاه أكثر النُّحَاة[٨] ونسب للبصريين[٩].

الثاني: مجرور بـ "عن" مضمرةً وهو قول الكِسَائي[١٠]، والفَرّاء[١١]، تدعمه قراءة ابن مَسْعُوْدٍ وابن عباس والأَعْمَش . ومنعه النحَّاس[١٢] ولم يذكر سبب المنع، وضعّفه العُكْبُرِيّ ؛ لأن الجار لا يحذف ويبقى عمله اختيارًا[١٣].

الثالث: مجرور على الجوار، وهو قول أبي عبيدة[١٤]، ومنع النحَّاس أن يكون في كتاب الله شيء منه ؛ لأن الجوار غلط وهو بمنزلة الإقواء في الشعر، ولا يحمل شيء من كتاب الله–عز وجل– على هذا[١٥] . وتابعه مكي بن أبي طالب[١] وابن عطية[٢]، واستبعده العُكْبُرِيّ[٣] ؛ لأنه من مواضع

---

[١] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ١١٨٢/٢.

[٢] ينظر: المحتسب ٤٠٨/٢، والبحر المحيط ٥٦٢/٩.

[٣] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٦٨/٤.

[٤] إبْرَاهِيم من الآية/١٨.

[٥] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٧٤/٢.

[٦] البقرة من الآية/٢١٧.

[٧] ينظر: البحر المحيط ٣٨٣/٢، والجامع لأحكام القُرْآن ٤٤/٣،.

[٨] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٠٩/١، ومشكل إعراب القُرْآن ١٢٧/١، والبيان في غريب إعراب القُرْآن:١٥١/١، التبيان في إعراب القُرْآن ١٧٤/١، والجامع لأحكام القُرْآن ٤٤/٣، البحر المحيط ٣٨٣/٢.

[٩] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٠٩/١.

[١٠] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٠٩/١، ومشكل إعراب القُرْآن ١٢٧/١، والتبيان في اعراب القُرْآن ١٧٤/١، والجامع لأحكام القُرْآن ٤٤/٣، والبحر المحيط ٣٨٣/٢.

[١١] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ١٤١/١، والبحر المحيط ٣٨٣/٢، والجامع لأحكام القُرْآن ٤٤/٣.

[١٢] إعراب القُرْآن للنحاس ١٠٩/١.

[١٣] التبيان في إعراب القُرْآن ١٧٤/١.

[١٤] ينظر: مجاز القُرْآن أبو عبيدة ٧٢/١، وإعراب القُرْآن للنحاس ١٠٩/١، والتبيان للعكبري ١٧٤/١، والجامع لأحكام القُرْآن ٤٤/٣، والبحر المحيط ٣٨٣/٢.

[١٥] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ١٠٩/١.

الضَرُورَة والشذوذ، ولا يُحملُ عليه ما وجِدتْ عنه مندوحة. والراجح لدى الباحث أنه بدل اشتمال على ما قرره النُّحَاة ؛ لأنَّ حمل الكلام على ما لا تقدير فيه خيرٌ من حمله على التقدير.

ثالثًا:

ومما استشهدوا به من كلام العرب القول المشْهُوْر (هذا جُحرُ ضبَّ خرب)،قال سِيْبَوَيْهِ: ((وممّا جرى نعتًا على غير وجه الكلام: (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) فالوجهُ الرفعُ، وهو كلامُ أكثرِ العربِ وأفْصَحهِم. وهو القياسُ ... ولكنَّ بعضَ العرب يجرُّه))[٤] .

<u>تأويلات النُّحَاة لما ورد</u>

عدَّ الخَلِيْل[٥] والفَرَّاء[٦] استعمال هذا من الوهم والغلط، واشترط الخَلِيْل اتفاق المتجاورين في التعريف والتنكير،والتأنيث والتذكير، والإفراد والجَمْع فقط . ولا يتوهمون ذلك في حالة عدم التطابق بين المتجاورين، بدليل قولهم: هذان جحرا ضب خربان .

وذهب ابن جني إلى أن ذلك على تقدير حذف المضاف، وأن هناك أمثلة كثيرة في القُرْآن العظيم والشعر حملت عليه، وليس غلطًا ولا وهمًا، فقال: ((وأما أنا فعندي أنَّ في القُرْآن مثلُ هذا الموضع نيفًا على ألف موضع. وذلك أنَّه على حذف المضاف لا غير... فإذا حملته على هذا ساغ وشاع وسلس وقُبل))[٧].

أما رأيه فملخصه: أن قولهم "هذا جحر ضب خرب" هو في الأصل "هذا جحر ضبٍ خربٍ جُحْرُه" فيكون (خرب) وصفًا لـ(ضب) وإن كان في الحقيقة للجحر، كما تقول في النعت السببي: مررتُ برجلٍ قائمٍ أبوه، فحُذف "جُحْرُ" المضاف إلى الهاء، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت، فلما ارتفعت استتر الضَمِيْر المَرْفُوع في (خرب) فجر وصفًا على ضب[٨] .

---

[١] ينظر: مشكل إعراب القُرْآن ٢٢٠/١.

[٢] ينظر: المحرر الوجيز ٢٩٠/١.

[٣] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ١٧٤/١.

[٤] الكتاب ٤٣٦/١.

[٥] ينظر: الكتاب ٤٣٧/١.

[٦] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٧٤/٢.

[٧] الخصائص ١٩٣/١.

[٨] ينظر: الخصائص ١٩٢/١ – ١٩٤

وقد يكون ابن جني قد نقل لنا فيما ذكره، رأيه ورأي أستاذه أبي علي الفارسي في آن واحد؛ لأن الأخير له كلام في هذا يكاد يوافق ما ذهب اليه ابن جني تمامًا[1]. ولكن ما ذهبا اليه لا يخرج عن ما قاله الخَلِيْل وسِيْبَوَيْهِ والفَرّاء، فإنهما عادا وأرجعا ما ذهبا اليه إلى التوهم أيضًا.

وبمثل قولهما قال السيرافي[2] إلا أنه لم يقدر ضَمِيْرًا مُتَّصِلا بالجُحْر المحذوف، بل عدّه من باب إضَافَة الموصوف إلى الصفة كحسن الوجه، فقال ((والذي يقوي هذا أنَّا إذا قلنا خرب الجحر صار من باب حسن الوجه))[3] . قال أبو حيان ومذهبهما خطأ[4] وضعفه ووصفه بأنه تأويل ضعيف جدا[5].

ويبدو لي أن ابن جني والسيرافي قد توسعا كثيرًا في التأويل والتفسير، وجاءا بتفسير أثقل وأكثر التواءً وإبهامًا من القول نفسه، وقد ردّه ابن مضاء لما فيه من اللبس والتكلّف[6]، فما كان العرب– وهم اصحاب الإيجاز والبلاغة والبيان – أن يبنوا كلامهم على مثل هذه التأويلات البعيدة عن الواقع اللُغَوِيّ[7] .

موقف النُّحَاة من الجر على الجوار من حَيْثُ القياس والسَّمَاع

أثبت الجُمْهُور من البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيّيْنَ الجر بالمجاورة وإن كان ضعيفا[8]، وذهب الكوفيون إلى أنه مقيس خلافًا الفَرّاء الذي قصره على السَّمَاع ومنع القياس على ما جاء منه[9]. ووافقهم العُكْبُرِيّ الذي أجاز وقوعه في القُرْآن أيضًا وأنه ليس بممتنع ؛ لكثرته[10] فقد جاء في الشعر والنثر. ولو كان لا وجه له في القياس بحال لاقتصروا فيه على المسموع فقط[11] .

---

[1] ينظر: الأمالي الشجرية: ٨٩/١–٩٠.

[2] بدا للباحث أن السيرافي اطّلع على رأي ابن جني عندما قال في شرحه الكتاب: ((رأيت بعض النَّحْوِيِّيْنَ من البَصْرِيِيْنَ قال في "هذا جحر ضب خرب" قولًا شرحته وقويته بما يحتمله.)) ولا يستبعد ذلك، فهما متعاصران، وابن جني تلميذ أبي علي الفارسي الذي كان يحسد السيرافي كثيرًا على شرحه كتاب سِيْبَوَيْهِ.

[3] شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣٢٨/٢.

[4] ينظر: خزانة الأدب ٨٩/٥

[5] ينظر: البحر المحيط ١٩٢/٤.

[6] ينظر: الرد على النُّحَاة ص:٨٥.

[7] ينظر: الشاهد الشعري النحوي عند الفَرّاء ص: ١٧٠

[8] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٥٣٥/٢.

[9] ينظر: الإنصاف ٤٩٣/٢، وارتشاف الضرب ١٩١٣/٤، والهَمْع ٥٣٥/٢، وحاشية الصبان ٨٣/٣.

[10] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٤٢٢/١.

[11] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٤٢٣/١.

أجاز البصريون كالخَلِيْل، وسِيْبَوَيْهِ، والأخْفَش[1]، وابن هِشَامٍ[2] وغيرهم الجر على الجوار؛ لورده في كلام العرب شعرًا ونثرًا، وتابعهم ابن مالك[3]، غير أن لكل منهم رأي في إجازته.

فاشترط الخَلِيْل لقبوله أن يكون المتجاوران مستويين في التعريف والتنكير، والتأنيث والتذكير، والإفراد والجَمْع . ومنعه في التثنية، فلا يقال إلا: هذان جحرا ضبٍّ خربان[4] .

وما اشترطه الخَلِيْل لم يلق قبولًا عند تلميذه سِيْبَوَيْهِ ؛ فخالف أستاذه[5] وأطلق جواز الجر على الجوار دون تقيد بالمساواة،يقول: ((وممّا جرى نعتًا على غير وجه الكلام (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) فالوجهُ الرفعُ، وهو كلامُ أكثرِ العربِ وأفْصَحِهم. وهو القياسُ، لأنّ الخَرِبَ نعتُ الجُحْرِ والجحرُ رفعٌ، ولكنّ بعض العرب يجُرُّه. وليس بنعتٍ للضبّ، ولكنّه نعتٌ للذي أُضيف إلى الضبّ، فجرّوه لأنه نكرةٌ كالضبّ، ولأنَّه في موضعٍ يقع فيه نعتُ الضبّ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحدٍ.))[6] فظاهر كلام سِيْبَوَيْهِ أنه يرى أن الأفْصَح هو رفع خرب في المثال السابق وأن هذا هو الذى عليه أكثر العرب وأفْصَحهم، إلا أنه لم يرفض الجر بالجوار ولم يحكم عليه بالشذوذ أو الغلط[7] ..

كما أجازه أيضًا الأخْفَش[8] في معانيه وخرّج عليه قراءة ابن كثير وحمزة وأبو عمرو ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُم﴾[9] بجرّ (أرجلكم)[10]. وقيّد ابن مالك قبوله بأمن اللبس[11]. وعدّه ابن هِشَامٍ ثالث ثلاثة أنواع للجر هي: الجر بالحرف، والإضَافَة، والمجاورة[12] . وقد وافق البَصْرِيِيْنَ

---

[1] ينظر: معاني القُرْآن للأخفش ١٥٣/٢، ٢٦٠/٥.

[2] ينظر: شرح شذور الذهب ص:٤٠٨.

[3] ينظر: شرح الكافية الشافية ١١٦٧/٣.

[4] ينظر: الكتاب ٤٣٧/١

[5] ينظر: الكتاب ٤٣٧/١، وشرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٣٢٨/٢.

[6] الكتاب ٤٣٦/١.

[7] ينظر: ظاهرة المجاورة في الدراسات النَّحْويّة ص:١١.

[8] ينظر: معاني القُرْآن للأخفش ١٥٣/٢، ٢٦٠/٥.

[9] المائدة من الآية/٦.

[10] ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص:٢٤٢، وينظر حجة القراءات لأبى زرعة ص:٢٢٢- ٢٢٣. لم يدرج الباحث هذه الآية – وغيرها من الآيات الأخرى – ضمن الشَوَاهِد القُرْآنية لوجود العطف فاصلًا بين المتجاورين، لأن الجر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب، ينظر: روح المعاني ٢٤٦/٣.

[11] ينظر: شرح الكافية الشافية ١١٦٧/٣

[12] ينظر: شرح شذور الذهب ص:٤٠٨، ومغني اللبيب ص:٨٩٤.

كثير من المتأخرين كالسَّيُوطِي[1] والآلوسي[2] والبغدادي[3]، وأغلب الذين أجازوه قصروه على السَّمَاع فلا يقاس عليه[4] .

المنكرون للجرّ بالجوار

أنكره الزَّجَّاج ومنع أن يكون مثله في كلمات الله[5]، وتابعه تلميذه ابن النحَّاس[6]، وأنكره كذلك السيرافي[7] وعدّ ما جاء منه من باب إضَافَة الموصوف إلى الصفة مثل حسن الوجه، وأنكره أيضًا ابن جني[8] ووضع شَوَاهِده في باب النعت السببي ؛ لأن الخراب للجحر لا للضب على تقدير حذف المضاف كما شرحناه[9]، وجعله ابن خالويه من ضرورات الشعر، والقُرْآن لا يحمل على الضَرُورَة[10]، وتابعه ابن عصفور، وجعله الآلوسي الكسر معدودًا في اللحن الذي قد يحتمل لأجل ضَرُورَة الشعر، وكلام الله تَعَالَىْ يجب تنزيهه عنه[11].

<u>رأي المحدثين</u>

الأمر برمته موسيقيّ ؛ فقد أرجع الدكتور تمام حسان السبب الحقيقي لوجود "الجر على الجوار" إلى الموسيقى التي يتوخّاها العرب منه، فقال: ((فأغنتْ عندهم قرينة التبعية عن قرينة المُطَابِقة في العلامة الإِعْرَابية وهي لفظية، وكان الداعي إلى ذلك داعيًا موسيقيًا وقد سماه النُّحَاة "المجاورة"))[12].

ووافقه الدكتور نعمة رحيم العزاوي إذ قال: ((وكان الداعي إلى التضحية بالقرينة اللفظية هو سبب جمالي يكمن في التوافق النغمي بين المتجاورَين وجعلهما متحدين في الحركة، وقد

---

[1] ينظر: الهَمْع ٢/٥٣٥.
[2] ينظر: روح المعاني ٣/٢٤٦.
[3] ينظر: خزانة الأدب ٥/٩٩.
[4] ينظر: ارتشاف الضرب ٤/١٩١٣.
[5] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٢/١٥٣.
[6] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢/٢٣٠.
[7] ينظر: شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ للسيرافي ٢/٣٢٨، وهَمْع الهَوَامِعِ ٢/٥٣٦.
[8] ينظر: الخصائص ١/١٩٢ ومابعدها.
[9] ينظر: هَمْع الهَوَامِعِ ٢/٥٣٦.
[10] ينظر: الحجة لابن خالويه ص:١٢٩
[11] ينظر: روح المعاني ٣/٢٤٦.
[12] ينظر: اللُغَة العَرَبِيَّة معناها ومبناها ص:٢٣٤.

أسعفتهم بذلك القرينة المعنوية، إذ من الواضح ان كَلِمَة "خرب" هي نعت للجُحْرِ))[1] وأن حركة المجاورة ليست بحركة بناء ولا إعراب، وإنما هي أمر استحساني لفظي لا تعلق له بالمعنى[2] .

وسايرهم بعض الباحثين[3] فعدّه أفضل تعليل لهذه الظاهرة، وهو من قبيل الإتباع الحركي على المجاورة، وهو أهون واسلس وأسهل على العربيّ بكثير مما لو كان جاريًا على الأصل فيه، ولكن سلطة العامل النحويّ فرضت عليهم الأخذ بها واتباعها، وإلاّ فالأمر برمته موسيقيّ كما ذهب اليه الباحثان المعاصران.

الجرَّ على الجوار أوعلى التوهم، هو استعمال واردُ في كلام العرب، ولا يمكن لأحد أن يردّه أو يرفضه، وإنما اختلفوا في تأويله والقياس عليه، وقد أوردَ الكوفيون[4] الشَوَاهِد الكثيرة التي تثبته من القُرْآن الكريم وكلام العرب. وعقد النُّحَاة له بابًا على حدَتهِ لكثرته ولما فيه من المشاكلة[5]. إلاّ أنَ محاكاته اليوم تُشْكِلُ الفهْمَ ولاسيما على المبتدئين في تعلم اللُغَة.

أما الأُستاذ عباس حسن فيرى أنَّ الواجب التشدد في إغفاله وعدم الأخذ به مطلقًا . قائلً: ولا أعرف لماذا نتمسك بشيء خلاف القواعد أولًا والذوق العربي ثانيًا وإجماع العلماء ثالثًا والتصريح بشذوذه وقبحه رابعًا؟. فلماذا لا نعدّ هذا القول لَهْجَة قبيحة أو أنّ عربيًا أخطأ وقال: هذا جحْرُ ضَبٍّ خرب، وكفى الله النَّحْوِيِّيْنَ شرّ التأويل والتقدير[6].

وبالتالي فإن القَاعِدَة النَّحْويّة في الجر بالجوار مهزوزة وغامضة، وتشتَمّ من خلال ذكر النُّحَاة له أنهم أدخلوه على مضض، فمنهم من يتحدث عنه بعبارات مقتضبة ومختصرة إبراء للذمة، وبعضهم لا يلقي له بالًا ولا يضعه في حسابه فيعرض عنه ولا يذكره في ما يكتب، وبعضهم متردد في التَقْعِيْد له وعدّه نوعا من أنواع الجر ؛ بسبب وصفهم له بعبارات القبح والشذوذ والوهم . ونستنتج مما سبق النقاط الآتية:

---

[1] ينظر: دراسات في اللُغَة: الجُمْلَة العَرَبِيَّة في ضوء الدراسات العَرَبِيَّة الحديثة، د. نعمة رحيم العزاوي: ١٧١.

[2] ينظر: ظاهرة المجاورة في الدراسات النَّحْويّة ص:٨.

[3] ينظر: الشاهد الشعري النحوي عند الفرّاء ص: ١٧٨ .

[4] ينظر: الانصاف ٤٩٥/٢-٤٩٧.

[5] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٤٢٣/١،

[6] ينظر: النحو الوافي ٤٣١/٢- ٤٣٢.

١. (الجرّ على الجوار) لُغَة ثابتة عن بعض العرب كما نقل سِيْبَوَيْهِ وغيره، ولو أن أحد القدماء عزاها وبيّن لنا أصحابها لكفانا مؤونة الشقاق والاختلاف، وقد نسبها أحد الباحثين[١] إلى بلحارث بن كعب استئناسًا بنص لابن جني أنهم يؤثرون الإتباع .

٢. أنه قد وردت عليه شَوَاهِد كثيرة فليس بممتنع أن يقع في القُرْآن[٢] .

٣. إن النَّحْوِيِّيْنَ لم ينكروا وجوده في اللُغَة لثبوته بالنقل الصحيح، وإنما اختلفوا في إجازته وهل يقاس عليه أم لا؟ .

٤. أن أكثر النَّحْوِيِّيْنَ قصره على المسموع، وعدم جواز القياس عليه ؛ لأن الرفع هو لُغَة أكثر العرب، وهو أجود وأفْصَح من الجر، وأما الجر وإن كان واردًا فهو دون الأفْصَح فيكون مقصورًا على السَّمَاع ؛ وبهذا نخرج من دائرة التأويل والحذف والإضمار[٣] .

٥. إنها وإن كانت لُغَة قليلة، فلعلها تكون لُغَة قديمة قد عفا رسمها وطال عهدها، فقد علّل ابن جني لذلك بأن هذا القليل ربما كان في كلام العرب كثيرٌ يعضده لكنه ضاع مع ما ضاع من نثرهم وأشعارهم[٤]، كما قال أبوعمرو بن العلاء: فما انتهى إلينا من كلام العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير[٥].

٦. إن ما رماه به المعارضون من النُّحَاة من ألفاظ كالوهم والضعف والغلط وغيرها، إنما هو لصرف الأنظار عنه لندرته وقلته ؛ حفاظًا على الشائع والمستمر من أنواع الجر الأخرى .

٧. إن الجر على الجوار نوع من أنواع الجر، قياسًا على الجر بالحرف والجر بالاسم والجر بالتبعية، وقد جعل النحويون له بابا، ورتبوا عليه مسائل، ثم أصلوه بقولهم: «جحر ضب خرب»[٦].

ويرى الباحث أن الجر على الجوار أسلوب من أساليب العرب، تستدعيه بعض التركيب العَرَبِيَّة وليس كلها، ولا يعدّ لُغَة من اللُغَات التي اختصت بها قَبِيْلَة ما شأن اللُغَات الأخرى المنسوبة أو غير المنسوبة، وأما عدّه من الوهم والغلط كما ذكر بعض نحاتنا فهذا مردود عليهم لا لهم ؛ إذ لو كان غلطًا أو وهمًا فلماذا نذكره أصلًا ثم نقعّد له، وما فائدة القيود الزّمَانية والمكانية التي وضعوها وهم يلبسون علينا بالغلط والوهم، وكيف نثق بالمروي عن العرب إذا اتهمناهم بالغلط والوهم في ما يقولون، وإذا خطّأنا مصدر اللُغَة فممن نأخذها؟ ولأجل هذا الأمر

---

[١] ينظر: اللَهْجَات العَرَبِيَّة في كتاب سِيْبَوَيْهِ ص:١٦٧-

[٢] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٤٢٢/١.

[٣] ينظر: ظاهرة المجاورة في الدراسات النَّحْوِيّة ص: ١٥.

[٤] ينظر: الخصائص ١/

[٥] ينظر: طبقات فحول الشعراء ٢٥/١.

[٦] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٤٢٣/١.

خلص ابن جني إلى أنه لا يقطع على الفصيح يُسْمَعُ منه ما يخالف الجُمْهُور بالخطأ ما وجِد طريقٌ إلى تقبّل ما يورده[1] .

[1] ينظر: الخصائص ١٢٦/١

الفصلُ الخامسُ:

التراكيبُ النحويةِ

الفَصْل الخامس: التراكيب النَّحْويّة

المَسْأَلَة (١): الفعل (عسى) واتصال الضَّمَائِر به

(عسى) فعل ماض جامد لا يفهم منه زمن محدد[١]، يفيد معنى الترجي والإشفاق، وهو مع "حرى واخلولق" من أفعال الرجاء، التي تفيد رجاء وقوع الخبر، وهي تعمل عمل (كان) في رفع الاسم ونصب الخبر، ويشترط أن يكون خبرها جُمْلَة فِعْلِيَّة، يكثر اقتران خبرها بـ"أن"[٢]، نحو قوله تَعَالَىْ: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾[٣] وقوله تَعَالَىْ: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾[٤]، وقد يتجرد منها كَقَوْلِ الشاعر[٥]:[من الوافر]

عَسَى الْكَرْبُ الْذي أمسَيْتُ فيه ... يَكونُ وَراءَهُ فَرَجٌ قريبُ

استعمال (عسى) في لُغَات العرب يمكن أن نختصره في الأمور الآتية:

أولًا:

إذا ولي عسى المصدر المؤول من "أن والفعل" نحو: عسى أن يقوم زيدٌ، فيجوز أن تكون تامة، والمصدر المؤول فاعل، والتقدير: عسى قيام زيد، ويجوز أن تكون ناقصة، فيكون "زيد" اسْمهَا وفي "يقوم" ضَمِيْره، ويتعين التَّمام فِي نَحْو: عسى أَن يقوم زيد فِي الدَّار و ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[٦] لِئَلَّا يلْزم فصل صلَة "أَن" عن معمولها بالأجنبي وَهُوَ اسْم عَسى .

ثانيًا:

يذكر النُّحَاة أن (عسى) اختصت من بين نظيراتها من الأفعال بأنها إذا تقدم عليها اسم جاز أن يضمر فيها ضَمِيْر يعود على الاسم السابق، وهذه لُغَة تَمِيْم[٧] نحو: هندٌ عستْ أنْ تقومَ، والزيدان عسيا أنْ يقوما، والزيدون عسوا أنْ يقوموا، والهندان عستا أنْ تقوما، والهنداتُ عسيْنَ أنْ يقمْنَ . وقرأ عبد الله بن مَسْعُوْدٍ، وأبيّ[٨] (عسوا أن يكونوا، وعسين أن يكنّ) من قوله تَعَالَىْ ﴿لا يَسْخَرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيرًا منهم، ولا نساءٌ من نساءٍ، عسى ان يَكُنّ خيرًا منهنَّ﴾[٩].

---

[١] ينظر: التبيين عن مذاهب النَّحْوِيِّيْنَ ص:٢٨٠.

[٢] ينظر: الإنصاف: (المَسْأَلَة ١٨) ١٣٢/١، والجنى الداني ص:٤٦٢.

[٣] المائدة من الآية/٥٢.

[٤] الإسراء من الآية/٨

[٥] لهدبة بن خشرم في شعره ص: ٧٤، والكتاب ١٥٩/٣.

[٦] الإسراء من الآية/٧٩.

[٧] ينظر: البحر المحيط ٥١٧/٩، وشرح ابن عقيل ٣٤٣/١.

[٨] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٧٢/٣، والبحر المحيط ٥١٧/٩.

[٩] الحجرات من الآية/١١.

أما لُغَة الحِجَاز وهي الأفْصَح والاشهرُ[1] فيجب تجريدها من الضَمِيْر فيقولون: هندٌ عسى أنْ تقومَ، والزيدان عسى أنْ يقوما، والزيدون عسى أنْ يقوموا، والهندان عسى أنْ تقوما، والهنداتُ عسى أنْ يقمْنَ . هذه لُغَة الحِجَاز وهي التي نزل بها القُرْآن الكريمُ، قال تَعَالَىٰ ﴿لا يَسْخَرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيرًا منهم، ولا نساءٌ من نساءٍ، عسى ان يَكُنّ خيرًا منهنَّ﴾[2] .

فهما لغتان: الإضمار لُغَة تَمِيْم، وتركه لُغَة الحِجَاز. فتكون في لُغَة تَمِيْم ناقصة، وفي لُغَة الحِجَاز تامة[3] .

ثالثًا:

إذا اتصل بها ضَمِيْر النصب نحو " عساي وعساك وعساه"،كما في قول رؤبة[4]:

تقول بنتي قد أنا أناكا ... يا ابتا علك أو عساكا

ومثله قول عمران بن حطان[5]:[من الوافر]

ولي نفس أقول لها إذا ما ... تنازعني: لعلي أو عساني

وقد خرج سِيْبَوَيْهِ دُخُوْل (عسى) على ضمائر النصب، على أنها حرف ناصب تشبيها بـ (لعل) ؛ لأنها في معناها، والخبر مَرْفُوع في التقدير وإن كان محذوفًا[6]، وخرجه الأخْفَش[7] على أن (عسى) باقية على عملها عمل (كان)، ولكن استعير ضَمِيْر النصب مكان ضَمِيْر الرفع، ورده ابن هِشَامٍ[8]، بأمرين: أحدهما: أن إنابة ضَمِيْر عن ضَمِيْر إنما ثبت في المُنْفَصِل، نحو: ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . والثاني: أن الخبر قد ظهر مَرْفُوعا في قول الشاعر:[من الطويل]

فَقُلْتُ عساها نارُ كأْسٍ، وعَلَّها ... تَشَكَّى، فآتي نَحْوَها فَأَعُودُها

وذهب المُبَرِّد[9] إلى أنها تبقى عَامِلَة عمل (كان)، ويجعل الضَمِيْر المُتَّصِل خبرا عنها، واسمها المَرْفُوع بعدها، أي على قلب الكلام فيصير المخبر عنه خبرًا وبالعكس، ونسب لأبي علي الفارسي[1] .

---

[1] ينظر: جامع الدروس العَرَبِيَّة ٢/٢٩١.

[2] الحجرات من الآية/١١.

[3] ينظر: البحر المحيط ٩/٥١٧، وشرح ابن عقيل ١/٣٤٣.

[4] ينظر: ملحقات ديوان رؤبة ص:١٨١، والكتاب ٢/٣٧٥، والنكت ١/٦٦٦، وتحصيل عين الذهب ٣٧٥، والانصاف: (المَسْأَلَة: ٢٦) ١/١٨٠، ومغني اللبيب ص: ٢٠٤.

[5] ينظر، شعر الخوارج ص:٢١، والكتاب ٢/٣٧٥، والنكت ١/٦٦٦، وتحصيل عين الذهب ص:٣٧٥.

[6] ينظر: الكتاب ٢/٣٧٥، والنكت: ١/٦٦٦، وتحصيل عين الذهب: ص:٣٧٥.

[7] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٠٣.

[8] ينظر: مغني اللبيب ص:٢٠٣-٢٠٤ .

[9] ينظر: المقتضب ٣/٧١- ٧٢، والتذييل والتكميل ٤/٣٥٦.

رابعًا:

بينما ذكر النُّحَاة أن خبرها يكون جُمْلَة فِعْلِيَّة كسائر أفعال المقاربة، نجده ورد اسمًا صريحًا، بخلاف القَاعِدَة النَّحْويّة، في قول الزباء المشْهُوْر: عسى الْغَوِيْرُ أبؤسًا[٢]، وقول رؤبة[٣]:

أكثرت في العذل ملحًا دائمًا ... لا تكثرن إني عسيت صائما

وقد حمل مجيء خبر (عسى) اسما صريحا على الشاذ الذي لا يقاس عليه[٤]. وذكر ابن جني أن هذا الموضع مما يقوى في القياس ويضعف في الاستعمال، غير أن السَّمَاع ورد بحظره، والاقتصار على ترك استعمال الاسم[٥]. وخرجه المُبَرِّد[٦] وابن هِشَامٍ[٧] على حذف الخبر، والتقدير: أن أكون صائما، لأنه رأى في ذلك إبقاء لها على الاستعمال الأصلي .

أما القول المشْهُوْر "عسى الْغَوِيْر أبؤسا"، فقال سِيْبَوَيْهِ أجروا فيه (عسى) مجرى (كان)[٨]، وقد خرج على الشذوذ[٩] الذي لا يقاس عليه[١٠]، وهو من الأصول المتروكة ؛ وكان القياس أن يقال: (عسى الْغَوِيْر أن يبأس) إلا أنهم رجعوا إلى الأصل المتروك فقالوا: (عسى الْغَوِيْر أبؤسا) فنصبوه بـ (عسى) لأنهم أجروها مجرى قارب، فكأنه قيل: قارب الْغَوِيْر أبؤسا[١١]، وفي موضع آخر قال كما أنَّ (لَدُنْ) مع (غُدْوَةً) لها حالٌ ليستْ في غيرها من الأسماء، فكذلك أنَ عَسَى لها في قولهم: " عَسَى الْغَوِيْرُ أَبؤسًا " حالٌ لا تكون في سائر الأشياء[١٢]. في حين ذهب المُبَرِّد مذهبا

---

[١] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٠٤.

[٢] ينظر: مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني(ت:٥١٨هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ١٧/٢ (م/٢٤٣٥) د.ت، د.ط، دار المعرفة – بيروت، ورد في الكتاب: ٥١/١، ١٥٩/١، ١٥٨/٣، ومعاني القُرْآن ٤١٥/١، والمقتضب ٧٠/٣، ومجالس ثعلب ص:٤٥، ٦٤، والخصائص ٩٩/١، وشرح ابن يعيش ٣٤٧/٢. وأصل هذا المثل من قول الزباء، حين قالت لقومها عند رجوع قصير من العراق ومعه الرجال، وبات بالْغَوِيْر على طريقه: عسى الْغَوِيْر أبؤسًا، أي: لعل الشر يأتيكم من قبل الغار. يضرب للرجل يخبر بالشر فيتهم به. وقيل: يضرب للشر يتوقع من جهة معينة، حكوا أنه قيل للزباء: ادخلي الغار التي تحت قصرك، فقالته، تريد: إن فررت من بأس فقد أدخل في أبؤس. وينظر من هذه الرسالة: الفصل الخامس، المَسْأَلَة(١): عسى واتصالها بالضَّمَائِر.

[٣] ينظر: ملحقات ديوانه: ١٨٥، وشَوَاهِد التوضيح والتصحيح: ١٣٦، ومغني اللبيب ص:٢٠٤، والجنى الداني ص:٤٦٣.

[٤] ينظر: الإنصاف: (المَسْأَلَة: ١٨) ١٣٢/١.

[٥] ينظر، الخصائص: ٩٩/١.

[٦] ينظر: المقتضب ٧٠/٣.

[٧] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٠٤.

[٨] ينظر: الكتاب ١٥٨/٣.

[٩] ينظر: مجالس ثعلب ص:٤٥، ٦٤.

[١٠] ينظر: الإنصاف ١٣٢/١

[١١] أسرار العَرَبِيَّة ص: ١٠٩.

[١٢] ينظر: الكتاب ١٥٩/١.

آخر، إذ تمسك[1] بالقَاعِدَة وجعل خبرها "أن يكون" المحذوفة، والتقدير: عَسى الْغَوِيّر أَن يكون أبؤسًا ؛ لأن خبر "عسى" لا يكون إلا الفعل مع "أن"، وتابعه الأنْبَاري[2] وابن هِشَامٍ[3] .

خامسًا:

نقل ابن هِشَامٍ[4] حكاية ثعلب قولهم:عسى زيدٌ قائمٌ، برفع معموليها[5]، وخرجه على أنها ناقصة، وأن اسمها ضَمِيْر الشأن، قياسًا على (كان) عندما وردت رافعة لمعموليها، فافترضوا أن الاسم ضَمِيْر الشأن المحذوف، والجُمْلَة خبر عنها.

إن في (عسى) كثيرًا من الخروجات على القَاعِدَة:

١. ذكروا أن خبرها يقترن بـ"أن" غالبًا، ثم تجرّد منها قليلًا .
٢. أن خبرها جُمْلَة فِعْلِيَّة كسائر باب "كاد وأخواته"،ونجده قد أتى اسمًا صريحًا في شَوَاهِد موثقة .
٣. قالوا أن "عسى" فعل من أفعال الرجاء، ثم حوّلوها إلى باب الحُرُوْف الناسخة .
٤. كانت فعلًا جامدًا في لُغَة، وهي فعل متصرف في لُغَة أخرى .
٥. عدوها ناقصة لها اسم وخبر، ثم هي تامة لها فعل وفاعل .

وبالتالي فإن قَاعِدَة (عسى) مهزوزة وغير مستقرة ؛ فتارة تكون فعلا، وتارة يجعلونها حرفًا . فإن كانت فعلًا فهي في لُغَة الحِجَاز ناقصة فلا تتصل بها الضَّمَائِر ويكون لها اسم وخبر . وفي لُغَة تَمِيْم تكون تامة فتتصل بها الضَّمَائِر ويكون لها فاعلًا كسائر الأفعال .

وإن جُعِلتْ حرفًا فقد تكون حرفًا مطلقا، نقله بعضهم عن ابن السّرَّاْج، وحكاه أبو عمر الزاهد[6] عن ثعلب[7] ولم أجد إشارة لهذين الرأيين في كتابيهما . وقد تكونُ بمعنى (لعلَّ) فتَعملُ

---

[1] ينظر: المقتضب ٣/٧٠.

[2] ينظر: الإنصاف ١/١٣٢

[3] ينظر: مغني اللبيب ص: ٢٠٤.

[4] ينظر: مغني اللبيب ص:٢٠٤.

[5] لم يرد الشاهد برفع المعمولين، وعبارة ثعلب تقول: "عسى زيد قائمًا، قال: لم يجئ إلا في قوله: عسى الْغَوِيّر أبؤسًا"، ينظر: مجالس ثعلب ص:٤٥ (المجلس/٥).

[6] **أبو عمر الزاهد:** هو محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم أبو عمر اللغوىّ الزاهد المعروف بغلام ثعلب، حافظ للُغَة، ولد سنة ٢٦١هـ، كانت صناعته التطريز وكان اشتغاله بالعلوم قد منعه عن اكتساب الرزق، فكان معسرًا مضيقًا عليه، توفي سنة ٣٤٥هـ. له "كتاب غريب الحديث على مسند أحمد" و "الياقوت في اللُغَة" و "شرح كتاب الفصيح" و "كتاب المرجان" و "كتاب فائت العين" و "كتاب النوادر" وغيرها" [إنباه الرواة ٣/١٧١ – ١٧٧].

[7] ينظر: مغني اللبيب ص:٢٠١، والجنى الداني ص:٤٦١.

عملها، فتنصبُ الاسمَ وترفعُ الخبرَ، وذلك إذا اتصلت بضَمِيْر النصب وهو قليل[1]، فيكون اسمها ضَمِيْرًا منصوبًا، وعدّها ابن هِشَامٍ سابع الأحرف الناسخة فقال: والسابع "عسى" في لغية وهي بمعنى "لعل"، وهذا قول سِيْبَوَيْهِ ((جعلوها بمنزلة "لعل" في هذا الموضع))[2]، وعدّها الشيخ خالد الأزهري ثامن الأحرف الناسخة .

ولو نظرنا إلى النتائج المترتبة على هذه الآراء، فمن حَيْثُ المحافظة على الأصول للقواعد النَّحْويّـة، نجد المُبَرِّد أكثر النُّحَـاة استمساكًا بالقَاعِدَة النَّحْويّـة فـي آرائـه الافتراضـية وتأويلاتـه . ورأي سِيْبَوَيْهِ يترتب عليه تحويل صِيْغَة الكَلِمَة من الفِعْلِيَّة إلى الحَرْفِيَّة، ومن ثم تغيير عملها بما يـتلاءم والصِـيْغَة التركيبيـة الجديـدة، ومثـل هـذا التخـريج يـأتي بمـردود سـلبي علـى قَاعِـدَة فِعْلِيَّـة (عسى) ؛ إذ هي أكثر شهرة واستعمالًا، والحَرْفِيَّة قليلة طارئة .

[1] ينظر: مغني اللبيب ص:٢٠٣.

[2] الكتاب ٢/٣٧٥.

الفَصْل الخامس: التراكيب النَّحْويّة

المَسْألَة (٢): لُغَة "أكلوني البراغيث"

تقتضي القَاعِدَة النَّحْويّة القياسية التي تعتمد على أعلى نسبة من الشيوع، أن يأتي الفعل مع فاعله، إذا كان اسمًا ظاهرًا مجردًا من الضَمِيْر العائد على الفاعل، فلا يقال: قاموا الرجال، ولا قاما الرجلان . وعندما واجه النُّحَاة هذه الظاهرة في النص القُرْآني وفي الحديث النبوي، حاولوا تعليلها واحتالوا لها بكل الطرق الممكنة .

جاءت أكثر لُغَات العرب والقُرْآن الكريم بتجريد الفعل من الضَّمَائِر عند إسناده إلى فاعل مُثَنَّى أو مجموع، وهو رأي الجُمْهُور من النُّحَاة، وعلى أساس هذا الكثير المطرد بنيت القَاعِدَة النَّحْويّة، وهي أن الفعل يجرد من الضَّمَائِر عند اسناده إلى الفاعل سواء كان الفاعل مفردًا أم مُثَنَّى أم مجموعًا، تقول: قام الرجل، وقام الرجلان، وقام الرجال .

إلا أن هذه القَاعِدَة لم تسلم مما يخالفها، حَيْثُ ورد عن العرب لُغَات تلحق الفعل ضمائر المُثَنَّى والجَمْع مع وجود الفاعل الظاهر . فيلحق بالفعل مع المُثَنَّى ألفا، ومع الجَمْع المذكر واوًا، ومع جمع المُؤَنّث نونًا . تقول: حضروا الرجال، قاما أخواك، خرجن النسوة . وسمّيت هذه اللُغَة بلُغَة (أكلوني البراغيث) .

تنسب هذه اللُغَة لطَيِّئ، وبَنِيْ الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وأزد شنوءة[١]، وهم من اليمن ؛ لأنَّها كانت شائعة في هذه القَبَائِل في زمن الجَمْع اللُغَوِيّ (التدوين)، ومن شَوَاهِدها قول عمر بن ملقط الطائي، من شعراء الجاهلية[٢]:[من السريع]

أُلفيتا عيناك عند القفا ... أولى فأولى لك ذا واقية

وقول أحيحة بن الجلاح[٣]:[من المتقارب]

يَلُوْمُوْنَنِيْ فِي اشْتِرَاءِ النَّخِيْ ... لِ أَهْلِيْ فَكُلُّهُمُ يَعْذِلُ

وقول ابن قيس الرقيات[٤]:[من الطويل]

---

[١] ينظر: البحر المحيط ٤٠٨/٧، والجنى الداني ص: ١٧١، ومغني اللبيب ص: ٤٧٨، وشرح الأشْمُونِي ٣٩٢/١ .

٢ ورد البيت في نوادر أبي زيد ص: ٢٦٨، والأمالي الشجرية ١٣٢/١، وشرح ابن يعيش ٢٩٧/٢، والارتشاف ١٠٨١/٣، ومغني اللبيب ص: ٤٨٥، وتخليص الشَوَاهِد ص:٤٧٤، والمقاصد النَّحْويّة ٩٢٠/٢، والخزانة ٢١/٩.

[٣] ينظر: ديوانه ص ٧١. ونسب لأمية بن أبي الصلت وهو في ملحق ديوانه ص ٥٥٤، ورجح جامع ديوانه أن البيت ليس له وإنما هو لأحيحة. وفي الديوان (قومي) بدل (أهلي).

[٤] ديوانه ص١٩٦، وتخليص الشَوَاهِد ص:٤٧٣، وشرح التصريح ٤٠٦/١، وشرح شَوَاهِد المغني ٧٨٤،٧٨٥/٢، ٧٩٠، والمقاصد النَّحْويّة ٩٢٥/٢، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٩٣/٢، والجنى الداني ص:١٧٥، وشرح ابن عقيل ٨١/٢، ومغني اللبيب ص:٤٨٥.

تولى قتال المارقين بنفسه *** وقد أسلماه مبعد وحميم

وقول آخر[1]:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي *** فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقول أحدهم:[من الكامل]

نصروك قومي فاعتززت بنصرهم ... ولو أنهم خذلوك كنت ذليلا

وقول آخر[2]:

وَلَكِن ديافي أَبوهُ وَأمه **** بحوران يعصرن السليط أَقَاربه

وقد استعمل أبو تمام لُغَة قومه طَيِّئ فقال:

بكل فتى ما شاب من روع وقعه *** ولكنه قد شبن منه الوقائع

وقد ورد في القُرْآن من هذه اللُغَة قوله تَعَالَىْ: ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُم ﴾[3] وقوله تَعَالَىْ:﴿وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظلموا﴾[4] .

وقد اختلف النُّحَاة في وصفهم لها، فوصفها أبو حيان[5] و ابن عقيل[6] والأشْمُونِي[7] بأنها لُغَة قليلة، وحكم بعضهم على ما جاء منها بالشذوذ[8] والضعف[9] والقلَّة[10] والرداءة[11]، ومنعوا أن ما ورد

---

[1] لمحمد بن عبدالله العتبيّ في الأغاني ١٩١/١٤، وبلا نسبة في شرح ابن عقيل ٨٣/٢، وشرح الأشْمُونِي ٣٩٢/١.

[2] البيت للفَرَزْدَق يهجو عمرو بن عفراء، وله في الخزانة ٢٣٤/٥،

[3] المائدة من الآية/٧١.

[4] الأنبياء من الآية/٣

[5] ينظر: البحر المحيط ٣٢٨/٤

[6] ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ٨٤/٢ الطبعة العشرون: ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م – دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.

[7] ينظر: شرح الأشْمُونِي ٣٨٩/١.

[8] ينظر: البحر المحيط ٤٠٨/٧، وشرح قطر الندى ص:١٨٢، وظاهرة الشذوذ في النحو العربي د. عبد الفتاح الدجني ص:٤٩٥.

[9] ينظر: البيان في غريب إعراب القُرْآن ابن الأنْبَاري ٣٠٢/١، والجنى الداني ص:١٧١، ودرة الغواص ص:١٢٨، وروح المعاني ٣٧١/٣.

[10] ينظر: الكتاب ٤٠/٢، وشرح الأشْمُونِي ٣٨٩/١.

[11] ينظر: الموجز في قواعد اللُغَة العَرَبِيَّة سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني(ت:١٤١٧هـ) ص:٢١٧، طبعة ١٤٢٤هم ٢٠٠٣م، دار الفكر – بيروت – لبنان..

من كلام الله على هذه اللُّغَة، بل ذهب الحريري[1] أبعد من ذلك حَيْثُ عدّها من لحن العامة، ولم ينطق بها القُرْآن ولا أخبار الرسول ولم تنقل عن الفصحاء[2] . أما جُمْهُور النُّحَاة فشرعوا يحاولون تخريج الشَوَاهِد على اللُّغَة المشْهُوْرة حتى تتسق لهم القَاعِدَة النَّحْويّة التي وقفوا أنفسهم عليها . وقد أوصل ابن هِشَامٍ عدد التأويلات إلى أحد عشر وجهًا[3] ملخصها:-

١. إنَّ اسم المَوْصُوْل (الذين) بدلٌ من الواو في (أسرُّوا)[4]، كما قال المُبَرِّد[5]، وعزاه ابن عطية[6] إلى سِيْبَوَيْهِ .
٢. إنَّ (الذين) خبر لمبتدأ محذوف و التقدير: (هم الذين ظلموا)[7].
٣. إنَّ (الذين)مبتدأ مؤخر وجُمْلَة (أسروا النجوى) في محل رفع خبر مقدَّم ونسب للكسائي[8] واستحسنه ابن هِشَامٍ[9].
٤. إنَّ (الذين) مَرْفُوع على حذف القول والتقدير (يقول الذين ظلموا) واختاره النحَّاس[10].
٥. أنْ يكون (الذين) في محل جر نعتًا للناس، أي: (اقترب للناس الذين ظلموا) قول لأبي البقاء[11].
٦. رفع (الذين) على الذم أي (هم الذين ظلموا) ونسب للزجاج[12] .
٧. نصب (الذين) بفعلٍ محذوف تقديره (أذمُّ) أو(أعني)ونسب للزجاج[1].

---

[1] **الحريري**: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، الأديب الكبير، صاحب «المقامات الحريرية» كان دميم الصورة غزير العلم، مولده بالمشان (بليدة فوق البصرة) سنة ٤٤٦هـ، ووفاته بالبصرة سنة٥١٦هـ. ونسبته إلى عمل الحرير أو بيعه. ومن كتبه «درة الغواص في أوهام الخواص» و «ملحة الإعْرَاب» و «صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور» في التاريخ و «توشيح البيان». وله شعر حسن في «ديوان» و «ديوان رسائل».[الأعلام للزركلي]

[2] ينظر: درّة الغواص في أوهام الخواص أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري تحقيق: عرفات مطرجي ص: ١٢٨، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

[3] ذكر هذه الأوجه ابن هِشَامٍ في مغني اللبيب ص/٤٧٨ – ٤٨٠.

[4] ينظر: الكتاب ٤١/٢، والكشاف ١٠٢/٣، وشرح الرضي ٢٩٥/١، وشرح الأشْمُونِي على الألفية ٣٩٢/١.

[5] ينظر: البحر المحيط ٤٠٨/٧، والجامع لأحكام القُرْآن ٢٦٩/١١.

[6] ينظر: المحرر الوجيز ٧٤/٤، والبحر المحيط ٤٠٨/٧، وروح المعاني ٩/٩.

[7] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٩١١/٢، وتفسير البيضاوي ٣٥٢/٢، وروح المعاني ٩/٩.

[8] ينظر: معاني القُرْآن و إعرابه للزجاج ٣٨٣/٣ ومشكل إعراب القُرْآن ص:٢٣٤ ومعالم التنزيل ١١٠/٣ ، و الجامع لأحكام القُرْآن ٢٦٩/١١، وشرح شذور الذهب ص:٢٣٠، وفتح القدير: ٦٣/٢.

[9] ينظر: شرح شذور الذهب ص:٢٣٠.

[10] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٤٦/٣، والبحر المحيط ٤٠٨/٧، والجامع لأحكام القُرْآن ٢٦٩/١١، ومغني اللبيب ٤٧٩/٢، وروح المعاني ٩/٩.

[11] ينظر: معاني القُرْآن ١٧٠/٢، وروح المعاني ٩/٩.

[12] يُنظر: ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه للزجاج ٣٨٣/٣، والجامع لأحكام القُرْآن ٢٦٩/١١، وروح المعاني ٩/٩ .

٨. أنْ يكون (الذين) في محل جر بدل من (للناس) أي: (اقترب للناس الذين ظلموا) وهو قول للفراء[٢] .

٩. أن يكون (الذين) بدلًا من الواو[٣] في (استمعوه) في قوله تَعَالَىٰ:)مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٤].

١٠. أن يكون (الذين) مبتدأ وخبره محذوف عاملٌ في جُمْلَة الاستفهام أي: (الذين يقولون هل هذا إلا بشرٌ مثلكم)[٥].

١١. أجاز فريق من النُّحَاة جعل الواو في (أسروا) حرفًا جيء به علامةٌ للجمع، و(الذين) فاعلٌ، ونسب للأخفش وأبي عبيدة[٦].

وكل هذه التأويلات تكلف مستغنى عنه، فإن هذه اللُغَة مشْهُوْرة ولها وجه من القياس واضح[٧] . بل قرأ طلحة بن مُصرِّف[٨] على هذه اللُغَة قوله تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٩] قرأها (قد أفلحوا المؤمنون) وعندما اعترض عليه عيسى بن عمر بشأن قراءته هذه قائلًا له: أتلحنْ؟ أجابه بثقة: نعم، كما لحَنَ أصحابي[١٠] . وهذا معناه أن المرجع في القراءة إلى الرواة، وأن قراءته هذه قد رواها أصحابه وليس بلحن، بل هي على لُغَة أكلوني البراغيث .

---

[١] يُنظر: معاني القُرْآن و إعرابه للزجاج ٣٨٣/٣، والكشاف ١٠٢/٣، والبحر المحيط ٤٠٨/٧، والجامع لأحكام القُرْآن ٢٦٩/١١ ومغني اللبيب ص: ٤٨٠.

[٢] يُنظر: معاني القُرْآن للفراء ١٩٨/٢، وإعراب القُرْآن للنحاس ٤٦/٣، والتبيان في إعراب القُرْآن ٩١١/٢، والبحر المحيط ٤٠٨/٧، وروح المعاني ٩/٩.

[٣] ينظر: مغني اللبيب ص:٤٧٩.

[٤] الأنبياء/٢، ٣.

[٥] ينظر: مغني اللبيب ص: ٤٧٩، ٤٨٠، ٥٢٢.

[٦] يُنظر: معاني القُرْآن للفرّاء ١٩٨/٢، ومعاني القُرْآن للأخفش ٤١٠/٢، وسرّ صناعة الإعْرَاب ٢٧٣/٢، والكشاف ١٠٢/٣، والمحرر الوجيز ٧٤/٤، والبحر المحيط ٤٠٨/٧، وروح المعاني ٩/٩.

[٧] ينظر: ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٣٤/٢، طبعة: ١٣٧٩هـ، دار المعرفة – بيروت.

[٨] **طلحة بن مصرف:** هو أبو محمد طلحة بن مصرف بن كعب الهمداني الكوفي، أقرأ أهل الكوفة في عصره، وكان يسمى سيد القراء توفي سنة ١١٢هـ [غاية النِهَايَة ٣٤٣/١].

[٩] المؤمنون/١.

[١٠] ينظر: البحر المحيط ٥٤٦/٧.

وقد استشهد ابن مالك على لُغَة (أكلوني البراغيث) بحديث الصحيحين: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَهارِ))[1]. وأكثر من ذلك حتى صار يُسَمِّيْهُا (لُغَة يتعاقبون)[2]، كَقَوْلِه: ((وقعتا ركبتاه قبل أن تضعا كفاه)) وقوله: ((يخرجن العواتق وذوات الخدور))، وجاء في الحديث الشريف قوله: ((يعتزلن الحيّض المصلى))، وقال رسول الله ((ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله))، وقال: ((من كنّ له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة)) . قال العُكْبُرِيّ[3]: وقع في هذه الرواية (كنّ) بتشديد النون، والوجه: من كان له أو كانت له. والوجه من الرواية المشْهُوْرة: أنه جعل النون علامة مجردة للجمع، وليست اسمًا مضمرًا[4] . وفي غريب ابن الأثير[5] على هذه اللُغَة حَدِيثُ الدَّجَّالِ ((إِنَّهُ تَلدُه أمُّه فيَحْملن النساءُ بِالْخَطَّائِينَ))[6] .

إن النُّحَاة في مرحلة استقرائهم للشَوَاهِد المجموعة قاموا بمقارنتها بشَوَاهِد اللُغَة المشْهُوْرة على الكثير المطرد، فبنيت القَاعِدَة النَّحْويّة التي لم تسلم مما يخالفها . يقول الدكتور محمود الطناحي: ومما يستطرف ذكره هنا أن الشاهد النحوي المعروف "أكلوني البراغيث" لم أجده منسوبًا لقائل في كتاب من كتب النحو التي أعرفها، على حين وجدته في كتاب أبي عبيدة (مجاز القُرْآن)[7] منسوبا

---

[1] هذا جزء من حديث أبي هريرة أوله: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار..)) الحديث. وقد أخرجه بهذا اللفظ كل من البخاري ١١٥/١ (ح:٥٥٥)، ومسلم ٤٣٩/١ (ح:٦٣٢)، والموطأ ٢٢١/١ (ح:٥٦٧)، والنسائي ٢٤٠/١ (ح:٤٨٥). ومن النَّحْوِيِّيْنَ من يرى أنَّ الحديث جزءٌ من حديث مطوَّل جاء برواية البزار من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ: (إن لله مَلائِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ فيكم، مَلائِكَةٌ بِاللَّيلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ) [ينظر: فتح الباري ٣٤/٢]. وبهذا لا يصلح أن يكون الحديث شاهدًا على لُغَة "أكلوني البراغيث". ينظر في هذه المَسْأَلَة في [أصول النحو لسعيد الأفغاني ص: ٦٥]، والردُّ عليه في [الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللُغَوِيّة والنَّحْويّة د. محمد ضاري حمادي ص:٩٢، ٩٣، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، مؤسسة المطبوعات العَرَبِيَّة- بيروت ص: ٩٢، ٩٣].

[2] ينظر: شرح الكافية الشافية ابن مالك ٥٨١/٢، والتذييل والتكميل ١٨٨/١

[3] **العُكْبُرِيّ**: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكْبُرِيّ، ولد ببغداد سنة ٥٣٨هـ، وقرأ على ابن الخشاب، وابن عساكر، وأبي يعلى الصغير، تخرج به خلق كثير توفي ببغداد سنة ٦١٦هـ له (التبيان في إعراب القُرْآن) و(اللباب في علل البناء والإعْرَاب) و(التبيين في اختلاف مذاهب النَّحْوِيِّيْنَ) وغيرها.

[4] ينظر: إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي أبو البقاء العُكْبُرِيّ تحقيق: عبد الحميد هنداوي ص: ٤٥ الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - مصر - القاهرة.

[5] **ابن الأثير**: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، المحدث اللغوي الأصولي. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر سنة ٥٤٤هـ. ثم انتقل إلى الموصل. وفيها أصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه. ولازمه هذا المرض إلى أن توفى في إحدى قرى الموصل سنة ٦٠٦هـ، قيل: إن تصانيفه كلها، ألفها في زمن مرضه، إملاء على طلبته، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة. من كتبه: «النهاية » في غريب الحديث، «جامع الأصول في أحاديث الرسول »، «الإنصاف في الجَمْع بين الكشف والكشاف» في التفسير، و«الشافي في شرح مسند الشافعي » في الحديث وغيرها.

[6] النِهَايَة في غريب الحديث مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير(ت:٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ٤٤/٢ طبعة:١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، المكتبة العلمية- بيروت.

[7] ينظر: مجاز القُرْآن أبو عبيدة ١٠١/١، ١٧٤ ٣٤/٢ .

لأبي عمرو الهذلي. وأبو عمرو الهذلي هذا من فصحاء الإعْرَاب الذين سمع منهم أبو عبيدة، وذكره في غير موضع من كتابه، وإن وجود هذا الشاعر وعزوه في كتاب أبي عبيدة معمر بن المُثَنَّى، دليلًا على أن هذا الشاهد قديم في كلام العرب، وأنه ليس من صنع النُّحَاة حتى يتخذ مادة للسخرية والإضحاك البارد[١] ! وقد كان الأستاذ سعيد الأفغاني ممن سخّفوا هذه اللُغَة وسفهوها ونبزوها بقوله: ((فهي شاذة ولغتها رديئة ولم يخطئ من نبزها بلُغَة "أكلوني البراغيث"))[٢]، وتابعة بعض الباحثين[٣] .

فهي إذًا لُغَة وردت عن العرب، وقد جاءت عليها بعض القراءات القُرْآنية، كما ثبت ورودها عند ثلاث قَبَائِل عربية، وهي لُغَة حسنة[٤]، وصفها ابن يعيش[٥]، وابن حجر[٦] بأنها فاشية وكثيرة في كلامهم وأشعارهم، وقد أجازها الأخْفَش[٧]، وقال: وقد تعسف بعض النُّحَاة في تأويلها وردّها للبدل وهو تكلف مستغنى عنه فإن تلك اللُغَة مشْهُوْرة ولها وجه من القياس واضح[٨]. وكثرة ورود الشَوَاهِد يدل على قوة هذه اللُغَة وأنها لُغَة حسنة على ما نص أبو حيان وليست شاذة كما زعمه بعضهم[٩]، ولا ضعيفة كما يقول جُمْهُور النَّحْوِيِّيْنَ[١٠] .

وبعد هذا كله يرى الباحث أن هذه اللُغَة التي عَبَّر النُّحَاة عنها بـ (أكلوني البراغيث) لُغَة معروفة شائعة ليست شاذة ؛ وربما تكون قد مثلت حقبة من حقَب تطور اللُغَة العَرَبِيَّة في طور من أطوارها هو أسبق من القَاعِدَة العامة المعروفة، ثم تحولت عنه في ارتقائها، وبقيت منه نماذج تدل على ما كان عليه حالها في إسناد الفعل، في ذلك الطور الغابر. وقد بدت هذه اللُغَة

---

[١] ينظر: في الادب واللُغَة دراسات و بحوث محمود محمد الطناحي ٤٩٨/٢ الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م دار العرب الإسلامي.

[٢] الموجز في قواعد اللُغَة العَرَبِيَّة ص: ٢١٧.

[٣] ينظر: جزاف الجزاف د. يوسف الصيداوي بحث مدرج ضمن "مجلة الدراسات اللُغَوِيّة" المجلد الثالث – العدد الثاني، ربيع الآخر/جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/يوليو/سبتمبر ٢٠٠١م ص:٣١٥، الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

[٤] ينظر: البحر المحيط ٤٠٨/٧.

[٥] ينظر: شرح المفصل ابن يعيش ٢٩٦/٢

[٦] ينظر: فتح الباري ٣٤/٢.

[٧] ينظر: معاني القُرْآن للأخفش ٢٨٦/١

[٨] ينظر: فتح الباري ٣٤/٢

[٩] ينظر: روح المعاني ٩/٩.

[١٠] ينظر: ارتشاف الضرب ٧٣٩/٢.

في أشعار اليمنيين، وفي شيء من أشعار المضريين . وأشار إلى هذا الدكتور ابراهيم مصطفى[1](ت:١٣٨٢هـ)، والدكتور عبده الراجحي، والدكتور رمضان عبد التواب وغيرهم[2] .

وعلى هذا لا يوجد مانع من اتصال الفعل المسند إلى الاسم الظاهر بعلامة التثنية أو الجَمْع، فهي لُغَة قديمة لا يزال لها أثر في الاستعمال[3]، وشيوعها في اللَهْجَات الحديثة[4] نحو: سألوني الناس . وقد اتخذ المجمع قرارًا بجوازها .

[1] **إبراهيم مصطفى**: عضو مجمعي، تخرج في دار العلوم، ودرّس في كلية الأداب، ثم انتقل عميدًا لكلية دار العلوم، ألف كتاب (إحياء النحو) فأثار ضجة ودُرّسَ في مصر أربع سنوات، ثم ألغي التدريس به، شارك في تحقيق (سرّ صناعة الإعْرَاب) لابن جني و(الأنساب) للبلاذري، توفي سنة ١٣٩٣هـ/١٩٦٢م.

[2] ينظر: إحياء النحو إبْرَاهِيم مصطفى ص:٦٠ الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، واللُغَة والنحو دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة د. حسن عون ص:٦١ الطبعة الأولى: ١٩٥٢م – مطبعة رويال، واللَهْجَات العَرَبِيَّة في القراءات القُرْآنية د. عبده الراجحي ص:١٨٨، وفصول في فقه اللُغَة رمضان عبد التواب ص:٩٩، ودراسات في النحو د. صلاح الدين الزعبلاوي ص: ٢٨٧ منشورات اتحاد الكتاب العرب.

[3] ينظر: في النحو العربي، قواعد وتطبيق د. مهدي المخزومي ص: ٩٥، الطبعة الثانية:١٩٨٦م – دار الرائد العربي – بيروت.

[4] ينظر: فصول في فقه العَرَبِيَّة ص:٨١ ومابعدها، وأصول التفكير النحوي د. علي أبو المكارم ص:٢٩ – ٥٥، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م، دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة.

الفَصْل الخامس: التراكيب النَّحْويّة

المَسْأَلَة (٣): عطف الظاهر على الضَمِيْر المجرور

قال ابن مالك: ولأجل القراءة المذكورة، والشَوَاهِد لم أمنع العطف على ضَمِيْر الجر[١]، وأنشد:

وعْودْ خافِضٍ لدى عَطْفٍ على ضَمِيْر خَفْضٍ لازِمًا قَدْ جُعلا

وليس عندي لازمًا إذْ قَدْ أتى في النَّظم والنَّثْرِ صَحيحًا مُثْبَتَا

هذه مسألة خلافية بين البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ[٢]، منع البصريون العطف على الضَمِيْر المجرور إلا بعد إعادة حرف الجر، في حين أجاز[٣] الكوفيون على ضعف[٤] أوعلى قبح[٥]، أن تقول: مررت بك وزيدٍ، محتجين بوروده كثيرًا في القُرْآن الكريم وفي كلام العرب، وصحّحه ابن مالك[٦]. واستدلوا بأن رؤبة كان إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: خيرٍ عافاك الله[٧] يريد بخير. ومن الشَوَاهِد القُرْآنية:

قوله تَعَالَىْ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ﴾[٨]، حَيْثُ قرأ الجُمْهُور "الأرحام" بالنصب، وقرأها من السبعة بالجرّ[٩] حمزة بن حبيب وهي قراءة[١٠] النخعي وقتادة ويحيى بن وثاب[١١] وطلحة بن مصرف والأَعْمَش.

وقوله عز وجلّ: ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[١٢] بعطف المسجد على الهاء من "به".

---

[١] ينظر: شرح الكافية الشافية ٦٥/١ المقدمة

[٢] ينظر: الكتاب ٣٨٢/٢، والمقتضب ١٥٢/٤، والمقتصد في شرح الإيضاح ٩٥٩/٢، والأمالي الشجرية ١٠٣/٢، والإنصاف ٣٧٩/٢(م/٦٥)، وشرح ابن يعيش ٢٨٣/٢، وشرح التصريح ١٨٣/٢.

[٣] نسب الأَنْبَاري للكوفيين إجازتهم هذا العطف دون كراهية منهم لذلك أو تقبيح، الإنصاف ٣٧٩/٢ (م/٦٥).

[٤] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٣٢٧/١.

[٥] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٢٥٢/١، وإعراب القُرْآن للنحاس ١٩٧/١]،

[٦] ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح ابن مالك ص:٥٣

[٧] ينظر: الخصائص ٢٨٦/١، وشرح الكافية الشافية ابن مالك ١٢٤٢/٣، وشرح المفصل ٢٨٣/٢

[٨] النساء من الآية/١.

[٩] ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص: ٢٢٦، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٢١/٣.

[١٠] ينظر: الإنصاف ٣٧٩/٢.

[١١] **يحيى بن وثاب:** يحيى بن وثاب الأسَدي الكوفي، تابعي ثقة كبير مقُرِئ أهل الكوفة توفي سنة ١٠٣هـ.

[١٢] البقرة من الآية/٢١٧.

وقال سبحانه وتَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[1] فـ "ما" في موضع جرّ عطفًا على الضَمِيْر المجرور في "فيهن"

وقال تَعَالَىٰ: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾[2] فـ "المقيمين" في موضع جرّ بالعطف على الكاف في "إليك" .

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[3] فـ "من" في موضع جرّ بالعطف على الضَمِيْر المجرور في "لكم" .

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ﴾[4]، عطف (ما يبث) على الضَمِيْر في (خلقكم)[5] .

ومن الشَوَاهِد الشّعْرِيّة قول الشاعر[6]:[من البسيط]

فاليوم قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وتَشْتِمُنَا ... فاذهَبْ فَمَا بِكَ والأيّامِ مِنْ عَجَبِ

بجرّ "الأيام" عطفًا على الكاف في "بك". وقال الآخر[7]:[من الطويل]

تُعَلَّقُ في مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفُنَا ... ومَا بَيْنَها والْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

فـ "الكعب" مجرور بالعطف على الضَمِيْر المجرور في "بينها" والتقدير: وما بينها وبين الكعب، وقال الآخر[8]:[من الكامل]

هَلَّا سألت بِذِي الجَمَاجِمِ عَنْهُمُ ... وأبي نُعَيْمٍ ذي اللِّوَاء المُحْرِق

فـ "أبي نعيم" مجرور بالعطف على الضَمِيْر في "عنهم"، ونظير ذلك ما أنشده ابن الناظم نقلًا عن الأخْفَش[9]:[من الطويل]

بِنَا أَبَدًا لَا غَيْرِنَا يُدْرَكُ الْمُنَى ... وَتُكْشَفُ غماء الخطوب الفوادح

---

[1] النساء من الآية/١٢٧.

[2] النساء من الآية/١٦٢

[3] الحجر/٢٠.

[4] الجاثية من الآية/٤

[5] ينظر: البحر المحيط ٤١٣/٩

[6] البيت من أبيات سِيْبَوَيْهِ الخمسين التي لم يعرف لها قائل، وهو غير منسوب في: الكتاب ٣٩٢/١، وشرح ابن يعيش ص: ٣٣٩، وشرح الكافية للرضي ٢٩٦/١، وخزنة الأدب ٣٣٨/٢، وشرح الأَشْمُونِي رقم/٨٤٩، وشرح ابن عقيل ٢٣٩/٣، والكامل للمبرد ٣٩/٢.

[7] لمسكين الدارمي في ديوانه ص: ٥٣، والحيوان للجاحظ ٥٨٣/٦، والمقاصد النَّحْوِيّة ١٦٤٨/٤(ش/٨٨٥)، وغير منسوب في: معاني القُرْآن للفراء ٢٥٣/١، وشرح ابن يعيش ٢٨٣/٢، وشرح الأَشْمُونِي ٣٩٥/٢ برقم ٨٥٠، وشرح ابن الناظم، واللسان ٣٦٥/٧ (غوط).

[8] غير منسوب في البحر المحيط ٣٨٧/٢.

[9] لرجل من طيء في شرح التسهيل لابن مالك ٣٧٧/٣، وغير منسوب في البحر المحيط ٣٨٧/٢.

فقد عطف "غيرنا" بلا على الضَمِيْر المُتَّصِل المجرور في "بنا"، ونظير ذلك أيضًا ما أنشده ابن الناظم[1]:[من الطويل]

إِذَا أَوْقَدُوا نَارًا لِحَرْبِ عَدُوِّهِمْ ... فَقَدْ خَابَ مَنْ يَصْلَى بِهَا وَسَعِيرِهَا

فقد عطف "سعيرها" على الضَمِيْر المجرور في "بها" من غير أن عيد العامل في المعطوف عليه مع المعطوف، ومنه قول آخر[2]:[من الوافر]

أَكُرُّ على الكَتِيبَةِ لا أبالي ... أفيها كان حَتْفِي أم سِوَاهَا

فعطف "سواها" بأم على الضَمِيْر في "فيها" والتقدير: أم في سواها. وقول آخر[3]:[من البسيط]

لَوْ كَانَ لِي وَزُهَيْرٍ ثَالِثٌ وَرَدَتْ ... مِنَ الْحَمَامِ عَدَانَا شَرَّ مَوْرُودِ

واستشهد له ابن مالك[4] بقول الرسول ﷺ: ((إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَاليَهُود وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا))[5]، تضمّن هذا الحديث العطفَ على ضَمِيْر الجر من غير إعادة الجار.

وسمع عن العرب قولهم: ما فيها غيره وفرسِه[6]، أي: وغير فرسه . فهذه كلها شَوَاهِد ظاهرة تدل على أنه يجوز ذلك في الكلام مطلقا، لأن السَّمَاع يعضده، والقياس يقويه.

وقد وافق الكُوْفِيّيْنَ في هذه المَسْأَلَة كثيرٌ من النُّحَاة ورجّحوا مذهبهم، وحكموا بجواز العطف على الضَمِيْر المجرور من غير إعادة حرف الجر منهم: يونس بن حبيب شيخ سِيْبَوَيْهِ[7]، وأبو الحسن الأَخْفَش[8]، وقُطْرُب، وأبوعلي الفارسي في أحد قوليه[9]، وأبو علي الشلوبين[10]، وابن يعيش[11]،وابن مالك[12]، وأبو حيان[13]، والسمين الحلبي[14]، وابن عقيل[1]،، والرازي[2]، وابن هِشَامٍ[3]، والسُّيُوطِي[4].

---

[1] غير منسوب في البحر المحيط ٣٨٨/٢

[2] لعباس بن مرداس في شرح التسهيل ابن مالك ٣٧٧/٣، والبحر المحيط ٣٨٨/٢.

[3] غير منسوب في البحر المحيط ٣٨٨/٢.

[4] ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح ابن مالك ص:٥٣

[5] صحيح البخاري ٩٠/٣(ح:٢٢٦٩) باب الإجازة إلى صلاة العصر.

[6] ينظر: ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح ابن مالك ص:٥٣، والبحر المحيط ٣٨٧/٢ .

[7] ينظر البحر المحيط ٣٨٧/٢ .

[8] ينظر: البحر المحيط ٣٨٧/٢، والهَمْع ٢٢١/٣.

[9] ينظر: المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات أبو علي الفارسي دراسة وتحقيق: صلاح الدين عبد الله السيكاوي ص: ٥٦١ (المَسْأَلَة: ٦٨) – سلسلة إحياء التراث الإسلامي (الكتاب/٥١) – مطبعة العاني – بغداد.

[10] ينظر: البحر المحيط ٣٨٧/٢، ٤١٣/٩ .

[11] ينظر: شرح ابن يعيش ١٩٨/٢.

[12] ينظر: ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح ابن مالك ص:٥٣، وشرح الكافية الشافية ١٢٤٨/٢.

[13] ينظر: البحر المحيط ٣٨٧/٢، ٤٩٨/٣، ٤١٣/٩.

[14] ينظر: الدر المصون ٣٩٤/٢.

منع جُمْهُور البَصْرِيِيْنَ[٥] إلا يونس وقُطْرُبًا والأَخْفَش[٦] عطف الاسم الظاهر على الضَمِيْر المجرور من دون إعادة حرف الجر؛ لبعده عن القياس وقلّته في الاستعمال[٧]،وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن[٨]، فلا يجوز عندهم أن تقول: مررت بكِ وزيدٍ[٩] . وقالوا بوجوب إعادة الجار لأنه الأكثر[١٠]، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْض﴾[١١]، وقال عزّ وجل: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْك﴾[١٢]، وقال سبحانه: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِك﴾[١٣]، وقوله أيضًا: ﴿ينجيكم منها ومن كل كرب﴾[١٤] . وقد وافق البَصْرِيِيْنَ عدد من النُّحَاة على رأسهم سِيْبَوَيْهِ[١٥]، والأَخْفَش في أحد قوليه[١٦] والمُبَرِّد[١٧]، والزَّجَّاج[١٨]، وأبو علي الفارسي[١٩]، والفَرّاء من الكُوْفِيِّيْنَ حَيْثُ استقبحه وقصره على

---

[١] ينظر: شرح ابن عقيل ٢٤٠/٣.

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي ٤٨٠/٩، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

[٣] ينظر: شرح شذور الذهب ص: ٥٨٣.

[٤] ينظر: الإتقان في علوم القُرْآن ٣٨٤/٢.

[٥] ينظر: الإنصاف ٣٩٧/٢، والبحر المحيط ٣٨٧/٢، وشرح ابن عقيل ٢٣٩/٣، والهَمْع ٢٢١/٣، وشرح الأَشْمُونِي ٣٩٤/٢،.

[٦] ينظر: شَوَاهِد التوضيح والتصحيح ابن مالك ص:٥٣

٧ ينظر: الحجة للقراء السبعة للفارسى ١٢١/٣، والتخمير للخوارزمي ١٣١/٢.

٨ ينظر: المسائل البغداديات ص: ٥٦١، ومجمع البيان للطبرسى ٧/٤، ٨

٩ ينظر: الأصول ابن السّرَّاْج ١١٩/٢.

١٠ ينظر: هَمْع ٢٢١/٣

[١١] فصلت من الآية/١١.

[١٢] المؤمنون من الآية/٢٢.

[١٣] البقرة من الآية/١٣٣.

[١٤] الأنعام من الآية/٦٤.

[١٥] ينظر: الكتاب ٢٤٨/١

[١٦] ينظر: معاني القُرْآن للأخفش ٢٢٤/١

[١٧] ينظر: المقتضب ٤٢٤/٤– ٤٢٥

[١٨] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه ٦/٢

[١٩] ينظر: المسائل العضديات أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي تحقيق: علي جابر المنصوري ص: ١٠١ (المَسْأَلَة/٤٠) – الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – عالم الكتب، مكتبة النهضة العَرَبِيَّة.

الشعر[1] ثم أجازه في موضع آخر[2]، وكذلك أصحاب كتب إعراب القُرْآن الكريم فأكثرهم مع ما ذهب إليه البصريون[3] .

وتتلخص أسباب المنع بالحجج الآتية:

١. إن الجار مع المجرور كالشيء الواحد، وعطف الاسم على الضَمِيْر المجرور يؤدي إلى عطفه على الحرف الجار، وعطف الاسم على الحرف لا يجوز[4].
٢. إن علامة المضمر المجرور عوض عن التنوين، فكما لا يجوز العطف على التنوين، فكذلك لا يجوز العطف على هذه العلامة[5].
٣. قال أبو عثمان المازني[6]: المعطوف والمعطوف عليه شريكان لا يدخل في أحدهما إلّا ما دخل في الآخر، فكما لا يجوز: مررت بزيد وك،وكذا لا يجوز: مررت بك وزيد[7].

ولعل هذه الأسباب هي التي جعلت طائفة من النُّحَاة يوافقون البَصْرِيِيْنَ فيمنعوا عطف الاسم الظاهر على المظهر المجرور كابن السّرَّاْج[8]، والزَّجَّاج[9]، وصدر الأفاضل[10]، وابن يعيش[11] وغيرهم[12].

---

[1] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٢٥٢/١-٢٥٣.

[2] ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٢٩٠/١ في تخريجه قوله تَعَاْلَىْ ((قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم)) النساء/١٢٧

[3] ينظر: معاني القُرْآن وإعرابه ٦/٢، ومشكل إعراب القُرْآن ١٨٧/١، والبيان في غريب إعراب القُرْآن ٢٤١/١، والتبيان في إعراب القُرْآن ٣٢٧/١، والدّر المصون ٣٩٤/٢.

[4] ينظر: الإنصاف ٣٧٩/٢ (م/٦٥)، والبحر المحيط ٤٩٨/٣، و شرح الكافية للرضي ٣١٩/١.

[5] ينظر: المسائل المشكلة(البغداديات): ٥٦١، الإنصاف ٣٨٢/٢، والهَمْع ٢٢٢/٣،.

[6] **المازني:** أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب بن بقيّة المازني، من مازن شيبان، أحد أئمة النحو المتقدمين من أهل البصرة، ووفاته فيها سنة ٢٤٩هـ. روى عن أبي عبيدة والأصْمَعِي وأبي زيد، وروى عنه المُبَرِّد و اليزيدي وجماعة، كان إمامًا في العَرَبِيَّة متسع الرواية. له (ما تلحن فيه العامة) و(كتاب الألف واللام) و(التصريف) وهو أشهرها شرحه ابن جني في (المنصف).

[7] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس:١٩٧/١، والأنصاف: ٣٨٢/٢، و شرح ابن يعيش ٢٨٢/٢،.

[8] الأصول ابن السّرَّاْج ١١٩/٢.

[9] ينظر: معاني القُرْآن للزجاج ٦/٢.

[10] ينظر: التخمير ١٣١/٢.

[11] ينظر: شرح ابن يعيش ٢٨٢/٢ – ٢٨٣.

[12] ينظر:معاني القُرْآن للفراء ٢٥٢/١-٢٥٣، ومعاني القُرْآن للأخفش ٢٤٣/١، وجامع البيان ٥٢٣/٧، والأصول ١١٩/٢، والخصائص ٢٨٦/١، والمفصل ص:١٦٢، وشرح ابن يعيش ٢٨٢/٢، وظاهرة المنع في النحو العربي ص:٢٠٠، رسالة مقدمة من الباحث: مازن عبد الرسول الزيدي إلى مجلس كلية التربية/الجامعة المستنصرية للحصول على درجة الماجستير.

وفي المَسْأَلَة مذهب ثالث[1]: إذا أُكِّدَ الضَمِيْر جاز نحو: "مررت بك أنت وزيدٍ"، وهو مذهب الجرمي والزيادي[2]، وحاصل كلام الفَرّاء[3]، فإنه أجاز "مررت به نفسه وزيدٍ"، و"مررت بهم كلهم وزيدٍ".

أطال النُّحَاة الوقوف أمام قراءة حمزة (والأرحام)، وهم بين ملّحِن ومؤوِّلٍ، فهي عند رؤساء نحاة البصرة لحنٌ لا تجوز القراءة به[4] ؛ لأنه يمتنع في أصولهم النَّحْويّة أن يعطف ظاهر على مضمر مجرور من غير إعادة حرف الجر. قال سِيْبَوَيْهِ: ((ولا يجوز ان تعطف على الكاف المجرورة الاسم؛ لأنك لا تعطف المظهر على المضمر المجرور ... لا يجوز ان تقول: هذا لك واخيك))[5]، وعدّه في تَقْعِيْده للقَاعِدَة النَّحْويّة قبيحًا[6] ولكنه لم يتعرّض للقراءة ولم ينصّ عليها ؛ فعنده القراءة لا تخالف لأن القراءة سنة[7] .

أمّا القراءة بالجر فقد تأوّلوها على وجهين:

١. إن قوله تَعَالَىٰ: ﴿الارحام﴾ معطوف على المجرور، ولكن هذا الوجه ضعيف[8] وقبيح[9] ولا تجوز القراءة به[10]، وهومن أقبح الضَّرُوْرَات الشّعْرِيّة[11] ؛ لأن فيه عطف الظاهر وهو (الأرحام) على الضَمِيْر المجرور.
٢. الجر على القسم وهو ضعيف أيضًا ؛ لأن الأخبار وردت بالنهي عن الحلف بغير الله ففي الحديث الصحيح (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)[12] .

إلا أنَّ طائفة من النُّحَاة اشتطّوا في ما ذهبوا إليه، فردّ القراءة جماعة منهم ابن عطية[1]، والطبري[2]، والزمخشري[3]، وعدّها الزَّجَّاج خطأ في العَرَبِيَّة وخطأ في أمر الدين العظيم[4]، وأفتى

---

[1] ينظر: شرح الأشْمُونِي ٣٩٦/٢، والهَمْع ٢٢٢/٣

[2] **الزيادي:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان الزيادي، قرأ على سيبويه كتابه ولم يتمه، وروى عن أبي عبيدة والأصمعي، وكان شاعرًا مجيدًا، توفي سنة ٢٤٩هـ له (النقط والشكل) و(الأمثال) و(شرح نكت سيبويه) وغيرها

[3] ينظر: شرح الأشْمُونِي ٣٩٦/٢.

[4] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس:١٩٧/١، والمحرر الوجيز ٤/٢.

[5] الكتاب ٢٤٨/١.

[6] ينظر: الكتاب ٣٨١/٢.

[7] ينظر: الكتاب ١٤٨/١ .

[8] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٣٢٧/١.

[9] ينظر: الكتاب ٣٨١/٢، ومعاني القُرْآن للفراء ٢٥٢/١.

[10] ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس:١٩٧/١.

[11] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٣٢٧/١،

[12] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ٣٢٧/١، والبحر المحيط ٤٩٩/٣.

المُبَرِّد بعدم جواز القراءة بها، يقول ابن جني مدافعًا عن هذه القراءة ورادًا على المُبَرِّد الذي قال: لا تحل القراءة بها[٥] ولَوّ صَلَيْتُ خلف إمَام يقرأ بالكَسْرِ لَحَمَلتُ نَعلِي ومضيت[٦]، قال ابن جني: ((ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب اليه ابو العباس، بل الأمر فيها دون ذلك وأقرب وأخف وألطف))[٧] ثم تأولها بحذف حرف الجر وبقاء عمله . وقال ابن يعيش منتصرًا لقراءة حمزة: ((وهذا القول غير مرضي من أبي العباس، لأنه قد رواها إمام ثقة، ولا سبيل إلى رد نقل الثقة، مع أنه قد قرأتها جماعة من غير السبعة كابن مَسْعُوْدٍ، وابن عباس، والقاسم، وإبراهيم النخعي، والأَعْمَش، والحسن البصري، وقتادة، ومجاهد. وإذا صحت الرواية، لم يكن سبيل إلى ردها))[٨]. ومن يرى من النُّحَاة أن القراءات السبع عندهم غير متواترة، وأنه يجوز أن يقرأ بالرأي، فهذا مذهب باطل، وخيال فارغ[٩] .

واعترض أبو حيان على رد ابن عطية للقراءة مشنّعًا عليه، ومدافعًا عن حمزة فقال ((وأما قول ابن عطية: "ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان"، فجسارة فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه. إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القُرْآن من في رسول الله ﷺ – عمد إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه، وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة)) ثم دافع عن حمزة بقوله ((وحمزة رضي الله عنه: أخذ القُرْآن عن سليمان بن مهران الأَعْمَش ... ولم يقرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر. وكان حمزة صالحا ورعا ثقة في الحديث ...)) ثم قال: ((وإنما ذكرت هذا وأطلت فيه لئلا يطلع عمر على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيسيء ظنا بها وبقارئها، فيقارب أن يقع في الكفر بالطعن في ذلك. ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت

---

[١] ينظر: المحرر الوجيز ٤/٢.

[٢] ينظر: تفسير الطبري المسمى(جامع البيان في تأويل القُرْآن) أبوجَعْفَر محمد بن جرير الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٥٢٣/٧،الطبعة الأولى:١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

[٣] ينظر: الكشاف ٤٦٢/١.

[٤] ينظر: معاني القُرْآن للزجاج ٦/٢.

[٥] ينظر: شرح ابن يعيش ٢٨٣/٢.

[٦] لم أعثر على هذا القول في أي من كتب المُبَرِّد، وهو منسوب له في (درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري ص:٧٤. ولفظ الحريري (لَو أَنِّي صليت خلف إمَام فَقَرَأَ بهَا لَقطعت صَلَاتي).

[٧] ينظر: الخصائص ٢٨٦/١.

[٨] شرح ابن يعيش ٢٨٣/٢.

[٩] ينظر: أثر القراءات القُرْآنية في الدراسات النَّحْويّة د. عبد العال سالم مكرم ص:٨٣ مؤسسة علي جراح الصباح.

بنقل الكُوْفِيّْنَ من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البَصْرِيِيْنَ لم ينقله الكوفيون))[1] .

وقُرِئت في الشواذ[2] بالرفع، وهي قراءة أبي عبد الرحمن بن عبد الله بن زيد. وعلى قراءة الرفع تكون(الارحام) مبتدأ وخبره محذوف[3] قدره ابن جني[4] "مما يجب ان تتقوه"، وقدره ابن عطية[5] "مما يجب أن توصل" .

ليس هناك من لُغَة نحتكم إليها في هذه المَسْأَلَة سوى كثرة النصوص المسموعة عن العرب شعرها ونثرها فقد تقرر أن العطف بغير إعادة الجار ثابت في كلام العرب نثرها ونظمها[6]، وما ثبت نقله وصحت روايته من كلام الله تَعَالَىْ، ولكن استنادًا إلى ما حكاه أبو حيان[7] عن ابن جني، ينبغي أن نحسن الظن بالقارئ فلعل هذه القراءة قد وردت على لُغَة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها، كما قال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير[8] .

وبعد هذا العرض يمكن القول بان قراءة حمزة قراءة صحيحة متواترة، ولها نظائر في القُرْآن الكريم، وجاءت في القراءات السبع المحكمة، وقد قرأ بها كذلك ابن عباس[9]، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والنخعي، ويحيى بن وثاب، والأَعْمَش، وأبي رزين[10] . وهذا ما جعل أبا حيان يحتدّ في ردّه فيقول: وما ذهب إليه أهل البصرة وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية: من امتناع العطف على الضَمِيْر المجرور إلا بإعادة الجار غير صحيح، بل الصحيح مذهب الكُوْفِيّْنَ في

---

[1] البحر المحيط ٥٠٠/٣.

[2] ينظر: المحتسب:١٧٩/١.

[3] ينظر: المحتسب ١٧٩/١، المحرر الوجيز ٤٨٣/٣، البحر المحيط ١٥٧/٣.

[4] ينظر: المحتسب ١٧٩/١.

[5] ينظر: المحرر الوجيز ٤٨٣/٣.

[6] ينظر: البحر المحيط ٣٨٩/٢.

[7] ينظر: البحر المحيط ٦٥٨/٤.

[8] ينظر: طبقات فحول ٢٥/١.

[9] **ابن عباس:** عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم. توفي بالطائف وقد كف بصره سنة ٦٨هـ.

[10] **أبو رزين:** مَسْعُوْدٍ بن مالك، ويقال: ابن عبد الله أبو رزين الكوفي لم يحفظ ابن الجزري ٢٩٦/٢، زمن وفاته.

ذلك وأنه يجوز[1]. ومن ادعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب[2]. وقال بعض العلماء[3]: فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ .

بنى سِيْبَوَيْهِ قاعدته النَّحْويّة على ما كثر وشاع واطرد في كلام العرب، ولم يتحدث عن قراءة الجر في " والأرحام "، ولم يطعن فيها لا من قريب ولا من بعيد، ولكن القَاعِدَة التي ذكرها تنطبق عليها فهو لا ينكر القراءة التي تخالف القياس بل عادة لا يعرض لها . وإذا رجعنا إلى (معانى القُرْآن) للفراء زعيم مدرسة الكوفة نراه يتفق مع ما ذهب إليه سِيْبَوَيْهِ من أن هذا العطف على الضَمِيْر المخفوض دون إعادة الخافض فيه قبح ولا يجوز إلا في الشعر لضيقه.

تصدّعت القَاعِدَة النَّحْويّة من خلال كثرة الشَوَاهِد التي ذكرها المجيزون، واشتطّ في ردّها المانعون، فركبوا كل صعب وذلول، وتمحّلوا لها التأويلات، ودفعوها بكل السبل الممكنة . ورموا من قرأ بها بعبارات وأوصاف كاللحن والقبح والضعف والتحريم ؛ ويعود السبب الرئيس في ذلك كونها تخالف أصلًا مهمًا من أصول النُّحَاة المتقدمين وهو منع عطف الاسم الظاهر على الضَمِيْر المجرور من غير إعادة حرف الجر. كان عليهم أمام مقولة (ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) ألا يردوا على العرب شيئًا ثبت أن قالوه .

وقد جعل الأنْبَاري هذه المَسْأَلَة من مسائل الخلاف بين البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ[4]، وتابعه العُكْبُرِيّ[5]، وتابعهم اليمني في "ائتلاف النصرة"[6] . ومما تقدّم نستخلص أن البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيِّيْنَ لا يجيزون ذلك، ونص على ذلك ابن النحَّاس في كتابه "إعراب القُرْآن"، والذي يظهر لي أن هذا خطأ وقع فيه ابن الأنْبَاري وتبعه فيه غيره من القدماء والمحدثين[7] .

وردّ رواية صحيحة ثابتة بالنقل المتواتر، موافقة للمصحف الإمام، بقَاعِدَة نحوية بشرية الصنع، غير صحيح في نظر الباحث . والصحيح أن نقول أنه يجوز عطف الظاهر على الضَمِيْر المجرور ؛ لوروده بكثرة في لُغَة العرب وكلام الله فالسَّمَاع يعضّده والقياس يقويه، ولكن

---

[1] ينظر: البحر المحيط ٣/٤٩٩.

[2] ينظر: البحر المحيط ٢/٣٨٧.

[3] ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبى شامة(ت:٦٦٥هـ) ص: ٤١٢ د.ت د.ط، دار الكتب العلمية، وتفسير القرطبى ٤/٥، وروح المعاني للالوسي ٢/٣٩٥.

[4] ينظر: الإنصاف ٢/٣٧٩ (م/٦٥).

[5] ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن للعكبري ١/٣٢٧.

[6] ينظر: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة للحيدرة اليمني المَسْأَلَة/٤٩.

[7] ينظر: مشكلات نحوية د. محمد عبد المجيد الطويل ١/٤٠– ٤٥، الطبعة الأولى:٢٠٠٢م، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة.

الأكثر استعمالًا والمشْهُوْر أن يعاد الجار أو يؤكّد المعطوف، وما ورد منه صحيح فصيح، وغيره مثله . وقال الدكتور احمد مكي الأنصاري: ينبغي ان تعدل القَاعِدَة النَّحْويّة إلى ما يأتي: يجوز عطف الاسم الظاهر على الضَمِيْر المخفوض بدون إعادة الخافض، واقترح هذا التعديل استنادًا إلى ما ورد في القُرْآن الكريم في قراءة سبعية متواترة[1] . والقراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها، لأنها إذا ثبتت بالرواية لا يردها قياس عربية ولا فشو لُغَة وليس معنى هذا الابتعاد عن الكثير الشائع، بل الاحتفاظ له بالقيمة العلمية وجواز القياس عليه والاعتراف بأن إتباعه أمثل.

[1] ينظر: نظرية النحو القُرْآني د. أحمد مكي الأنصاري ص: ٧٤.

المَسْألَة (٤): الفَصْل بين المتضايفين بغير الجار والمجرور او الظرف

قرأ ابن عامر[١] قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُم﴾[٢] بضم الزاي في (زُيّنَ) واللام في (قتْلُ) ونصب الدال في (أولادَهم) وبالجر في (شركائهم)[٣]، والمعنى: قتل شركائهم أولادَهم . حَيْثُ فَصَلَ بين المضاف و المضاف إليه بالمفعول به (أولادَهم) . فأحدثت هذه القراءة صدعًا في القَاعِدَة النَّحْويّة التي تمنع الفَصْل بين المتضايفين بغير الجار والمجرور أو الظرف ؛ لأن العرب توسعوا فيهما ما لم يتوسع في غيرهما .

هذه مسألة اختلف فيها النُّحَاة كلهم، وكثرت آراؤهم وتشعبت أفكارهم وتأويلاتهم ؛ والسبب أنها خالفت أصلًا من أصول التَقْعِيْد النحوي وهو الفَصْل بين المضاف والمضاف إليه . ولا أراها تنحصر فقط في مسألة الخلاف بين المدرستين كما صنفت في كتب الخلافات[٤]، بل هي من مسائل الخلاف بين النَّحْوِيِّيْنَ بشكل عام وانقسموا فيها فريقين .

الأول: المانعون، وهم أغلب النُّحَاة[٥]، لا يجوز الفَصْل بين المضاف والمضاف إليه بغير الجار والمجرور أو الظرف إلا في الشعر لأنه موجود وإن لم يذكر[٦]، وحجتهم أن الظروف وحروف الجر يتّسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما[٧]. وينسب للبصريين[٨] وفي مقدمتهم سِيْبَوَيْهِ[٩] وابن النحَّاس[١٠]، والأعلم الشّنْتَمَرِي[١١]، والعُكْبُرِيّ[١]،والزمخشري[٢]،وابن عطية[٣]، وأبو علي الفارسي[٤]،

---

١ **ابن عامر**: أبو عمران عبد الله بن عامر بن زيد اليحصبي، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، وأقام فيها، وهو مقْرِئ الشاميين حتى توفي سنة ١١٨هـ.

٢ الأنعام من الآية/١٣٧.

٣ ينظر: السبعة لابن مجاهد ص: ٢٧٠، والتيسير في القراءات السبع للداني ص:١٠٧، والإقناع في القراءات السبع ابن الباذش ص: ٣٢١، والنشر ٢٦٣/٢، وإتحاف فضلاء البشر ص:٢٧٤، والحجة لأبي علي الفارسي ٤٠٩/٣.

٤ ينظر: الإنصاف ٣٤٩/٢ (المَسْألَة: ٦٠)، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ص: ٥١ –٥٢ (المَسْألَة: ٣٤)،

٥ ينظر: معاني القُرْآن للفراء: ٣٥٨/١ – ٣٤٩، ٨١/٢ – ٨٢، المقتضب ٣٧٧/٤، ومجالس ثعلب ١٢٦/١، إعراب القُرْآن للنحاس ٣٣/٢، ومشكل إعراب القُرْآن ٢٧١/١–٢٧٢، المفصل ص:١٣٣، والإيضاح لابن الحاجب ٤٢٢/١، الجامع لأحكام القُرْآن: ٩١/٧، هَمْع الهَوَامِعِ: ٥٢٦/٢.

٦ ينظر: تحصيل عين الذهب ص:١٤٠.

٧ ينظر: ائتلاف النصرة ص: ٥٣ (م/٣٥).

٨ ينظر: الإنصاف ٣٤٩/٢، وائتلاف النصرة ص: ٥١، ٥٢ (م/٣٤).

٩ ينظر: الكتاب ١٧٦/١ ، ١٧٧

١٠ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٣٣/٢

١١ ينظر: تحصيل عين الذهب ص: ١٤٠.

وأبدى مكي بن أبي طالب[٥] نوعًا من عدم الرضى عن هذه القراءة، ومنع من الكُوْفِيِّيْنَ أيضًا الفَرّاء[٦] وتابعه الطبري[٧] . وذكر أحد الباحثين[٨] أن الأجدر بنا أن نقف مع جُمْهُور النَّحْوِيِّيْنَ ؛ لأن حكمهم بالمنع مبني على الأكثر من كلام العرب والأفْصَح وعليه أغلب النَّحْوِيِّيْنَ . ولا ينبغي أن نحمل كتاب الله على القليل النادر أو الشاذ .

وعلة المانعين أن المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد، فلا يجوز الفَصْل بينهما، وأن شدة اتصال المضاف إليه بالمضاف أقوى من شدة اتصال الفعل بالفاعل[٩] واتّهموا ابن عامر بالوهم ووصفوا قراءته بالواهية، وأنها لو كانت صحيحة لكان ما وردت عليه موجودًا في الكلام الفصيح[١٠] .

والآخر: المجيزون، وينسب للكوفيين[١١]، ذهبوا إلى جواز الفَصْل بين المضاف والمضاف إليه مطلقًا وفي غير الضَرُورَة، واحتجوا بكثرة وروده في شعر العرب ونثرها، واختاره ابن مالك[١٢]،

١ ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن:٥٤١/١.
٢ ينظر: الكشاف ٧٠/٢، و المفصل ص:١٣٣ .
٣ المحرر الوجيز ٣٥٠/٢.
٤ الحجة للقراء السبعة ٤١٠/٣- ٤١١.
٥ ينظر: مشكل إعراب القُرْآن ٢٧٢/١
٦ ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٣٥٨/١
٧ ينظر: جامع البيان ١٣٧/١٢.
٨ ينظر: ظاهرة المنع في النحو العربي ص: ١٨٢.
٩ الإغفال ١٥٢/١
١٠ ينظر: الإنصاف ٣٥٥/٢، وائتلاف النصرة ص:٥١، وارتشاف الضرب ٥٣٥/٢.
١١ ينظر: الإنصاف ٣٤٩/٢.
١٢ ينظر: شرح التسهيل ٢٧٧/٣.

وأيده أبو حيان الأندلسي[1]، وتابعه السمين الحلبي[2]، وابن الجزري[3](ت:٨٣٣هـ)، وأجازه كذلك الشيخ خالد الأزهري[4] تبعًا لإجازة الكُوْفِيِّيْنَ له[5].

واستدلوا على ذلك بالسَّمَاع والقياس، فمن المسموع رواية الكِسَائي عن العرب قولهم: هذا غلامُ والله زيدٍ، وحكى أبو عبيدة قال: سَمِعْتُ بعض العرب يقول: إن الشاة لَتَجْتَرُّ فتسمع صوت والله رَبِّهَا . واحتجوا لذلك بقراءة ابن عامر لقوله تَعَالَىْ:﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآئِهِمْ ﴾[6] بنصب (أولادهم) وجرّ (شركائهم)، إذ فصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المصدر، و بقراءة بعض السلف: ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ ففصل فيه اسم الفاعل المضاف إلى مفعول بمفعول آخر. وإذا كان هذا في القُرْآن فهو في الشعر أولى[7] .

واستشهدوا بجُمْلَة من الشَوَاهِد الشّعْرِيّة منها قول الشاعر[8]:[مجزوء الكامل]

فزججتها بمزَجَّةٍ زجَّ القلوصَ أبي مزاده

---

١ ينظر: البحر المحيط ٢٣١/٤ – ٢٣٢

٢ ينظر: الدر المصون ١٦٦/٥

٣ ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٦٣/٢.

ابن الجزري: محمد بن محمد بن علي ابن يوسف أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي الشافعي، المشْهُوْر بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه. ولد في دمشق سنة ٧٥١هـ، ونشأ فيها، رحل إلى مصر مرارًا، ودخل بلاد الروم وسافر مع تيمورلنك إلى بلاد ما وراء النهر، ثم رحل إلى شيراز، فولي قضاءها، ومات فيها سنة ٨٣٣هـ.من مؤلفاته (النشر في القراءت العشر)و (غاية النِهَايَة في طبقات القراء)و (التمهيد في علم التجويد)و (فضائل القُرْآن).

٤ **خالد الأزهري:** زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، نحوي، من أهل مصر، وكان يعرف بالوقاد، ولد بجرجا (من الصعيد) سنة ٨٣٨هـ، ونشأ وعاش في القاهرة، وتوفي عائدا من الحج قبل أن يدخلها سنة ٩٠٥هـ.له(المقدمة الأزهرية في علم العَرَبِيَّة) و(موصل الطلاب إلى قواعد الإعْرَاب) و(شرح الأجرومية) و(التصريح بمضمون التوضيح) و(شرح البردة) و(شرح مقدمة الجزرية) و(الألغاز النَّحْويّة) [الأعلام للزركلي].

٥ ينظر: التصريح بمضمون التوضيح ٧٣٢/١.

٦ الأنعام من الآية/١٣٧.

٧ ينظر: الإنصاف ٣٥٢/٢.

٨ لم أقف على قائله وهو غير منسوب في معانى القُرْآن للفراء ٣٥٨/١، والخصائص ٤٠٨/٢، والإنصاف ٣٤٩/٢،وشرح ابن يعيش ١٨٧/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٧٨/٣ وشرح الكافية الشافية ٢٧٨/٣، وشرح الألفية لابن الناظم ص:٢٩٠،والمقاصد النَّحْويّة ١٣٧٢/٣.

وقد طعن بعض الرواة والنُّحَاة في صحة البيت وروايته، قال البغدادي في الخزانة ٤١٦/٤: هذا البيت لم يعتمد عليه مقتنو كتاب سِيْبَوَيْهِ حتى قال السيرافي: لم يثبته أحدُ من أهل الرواية، وهو من زيادات أبي الحسن الأخْفَش في حواشي كتاب سِيْبَوَيْهِ، فادخله بعضُ النساخ في بعض النسخ، حتى شرحه الاعلم وابن خلف في جُمْلَة أبياته، وهذا المعنى قد أكّده الزمخشري في المفصل، بقوله: فسِيْبَوَيْهِ بريءُ من عهدته". وقال ابن خلف (ت:٦٣٤هـ): "هذا البيت يروى لبعض المحدثين المُولّدين، قيل هو لبعض المُؤَنّثين ممن لا يحتجّ بشعره"[الخزانة ٤١٥/٤]

إذ فُصِل بين المضاف (زج) والمضاف إليه (أبي مزاده) بالمفعول به (القلوص)، وبقول الشاعر[1]:[من الطويل]

تمرُّ على ما تستمرُّ، وقد شَفَتْ ... غَلَائِلَ عبدُ القَيْسِ منها صُدُورِهَا

ففصل الشاعر بين المضاف "غلائل" والمضاف إليه " صدورها" بأجنبي وهو فاعل "شَفَتْ" الذي هو قوله "عبدالقيس" والجار والمجرور "منها"، وأصل الكلام على هذا التخريج: وقد شفت عبد القيس منها غلائل صدورها، وقال الآخر[2]:[من الطويل]

يَطُفْنَ بِحُوزِيِّ المَرَاتِعِ لَمْ تُرَعْ ... بِوَادِيهِ مِنْ قَرْعِ القِسِيَّ الكَنَائِنِ

والتقدير: مِنْ قَرْعِ الكَنَائِنِ القِسِيَّ، وقال الآخر[3]:[من المنسرح]

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا ... كأنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمَا

والتقدير: بعد بهجتها، ففصل بين المضاف "بعد" والمضاف إليه "بهجتها" بالفعل "خط" وتقدير البيت: فأصبحت قفرًا بعد بهجتها كأنَّ قلمًا خطَّ رسومَها. وقال آخر[4]:[من الوافر]

أَشَمُّ كأَنَّهُ رَجُلٌ عَبُوسٌ ... مُعاوِدُ جُرْأَةً وَقْتِ الهَوادي

ونحو قول الشاعر[5]:[من الطويل]

عَتَوْا إذْ أجبناهم إلى السلم رأفةً ... فسُقْناهم سوقَ البغاثَ الأجادل

---

١ من الشَوَاهِد التي لا يعرف قائلها، بل ذكر الأنْبَاري أنه مصنوع، واستشهد به رضي الدين في باب الإضَافَة في شرح الكافية، وشرحه البغدادي في الخزانة "٢/٢٥٠" وذكر أن ابن السيد أنشده في أبيات المعاني عن الأخْفَش.

٢ للطرماح بن حكيم في ديوانه تحقيق د. عزة حسن ص: ٤٧٣، والحجة لأبي علي الفارسي ٣/٤١٢ – ٤١٣، واللسان ٥/٣٤١ (ح وز)، والمقاصد النَّحْويّة ٣/١٣٦٨. وغير منسوب في الخصائص ٢/٤٠٨، وابن الناظم في شرح ألفية والده ص: ٢٨٩ (الشاهد/٣٧٤).

٣ غير منسوب في لسان العرب ٧/٢٨٧ (مادة: خ ط ط)، والبيت مضطرب التركيب مهلهل النسج، تشم منه آثار الصنعة، حَيْثُ فصل بين أصبح وخبرها، وبين المضاف والمضاف إليه، وبين الفعل ومفعوله، وبين كأن واسمها، وقدم خبر كأن عليها وعلى اسمها، فصار أحجية من الأحاجي، وأصل البيت: فأصبحت بعد بهجتها قفرًا كأن قلما خط رسومها، حَيْثُ يصف الشاعر فيه الديار بالخلاء وارتحال الأنيس وذهاب المعالم،.

٤ قاله أبو زيد الطائي في ديوانه ص:٩٨، وغير منسوب في المقتضب ٤/٣٧٧، شرح التصريح ٢/٦٠، المقاصد النَّحْويّة ٣/١٣٩١، و الأشمونى ٢/١٨٩.

٥ لم أعثر على قائله، وهو غير منسوب في المقاصد النَّحْويّة ٣/١٣٧٠، وشرح ابن الناظم ص: ٢٩٠

وقول آخر[1]:[من الرجز]

وَحَلَقِ المَاذِيِّ والقَوَانِسِ ... فَدَاسَهُمْ دَوْسَ الحَصَادِ الدَّائِسِ

أي: معاود وَقت الهوادي جزْأَةً . والفَصْل بـ"إما" كَقَوْلِ الشاعر[2]:[من الطويل]

هُما خُطَّتا إما إسارٍ وَمِنَّةٌ ... وإما دَمٌ والقتل بالحُرِّ أجدر

ومنه عند الفَرّاء قول الشاعر[3]:[من الطويل]

ترى الثور فيها مُدخلَ الظلِّ رأسَه ... وسَائره بادٍ إلى الشمس أجمعُ

ففصل الشاعر بين المضاف (مُدخل) و المضاف اليه (رأسَه) بمعمول المضاف وهو قوله (الظلّ) وكان القياس أن يقول: مُدخل رأسِه الظلَّ؛ لأنَّ الرأَس هو الداخل في الظل، وليس العكس[4] . وحينما فصل بينهما، نُصب المضاف اليه على المفعولية؛ لأن معموله الذي فصل بينه وبين المضاف قد حلَّ مكانه وصار (مدخل) مضافًا في الظاهر إلى (الظلِّ) فأخذ (الظلِّ) حكم المضاف اليه، فجر وإن لم يكن هو المضاف اليه في الحقيقة، ونُصبِ المضاف اليه الاصلي الذي فصل بينه وبين ما اضيف اليه بمعموله وهو (الظلِّ) فلما فصل بينهما نُصب على المفعولية وكأنه أرجع إلى أصله السابق، لأنه مفعول به وحكمه النصب ولكن لمَّا أضيف إلى عامله جُرِّ بالإضَافَة، وحينما زالت الإضَافَة بينهما بالفَصْل بمعموله، رجع حكم النصب اليه على المفعولية؛ لأنه الأصل فيه.

ويبدو أنّ أبا حيان الذي انحاز إلى جانب الكُوْفِيّيْنَ لم يقف عند حدّ السَّمَاع فقط، بل استند إلى القياس أيضًا، إذ يرى أنّ النُّحَاة أجازوا الفَصْل بين المضاف والمضاف إليه بالجُمْلَة نحو قول بعض العرب: (هو غلامُ إن شاء الله أخيك)، فإذا كان الفَصْل بين المضاف والمضاف إليه بالجُمْلَة جائز، فإنّ الفَصْل بالمفرد أسهل[5] .

---

[1] لعمرو بن كلثوم في المقاصد النَّحْويّة ١٣٦٨/٣، وغير منسوب في شرح ابن الناظم للألفية ص:٢٨٩.

[2] لتأبط شرًا في خزانة الأدب ٤٩٩/٧، ٥٠٠، ٥٠٣، وشرح التصريح ٥٨/٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص: ٧٩؛ وشرح شواهد المغني ٩٧٥/٢، ولسان العرب ٢٨٩/٧ (خطط)، والمقاصد النحوية ٤٨٦/٣، وغير منسوب في الخصائص ٤٠٥/٢، ورصف المباني ص: ٣٤٢.

[3] ينظر معاني القُرْآن للفرّاء: ٨٠/٢.

[4] ينظر: كتاب سِيْبَوَيْهِ ٩٢/١، وتحصيل عين الذهب ص: ١٤٥.

[5] ينظر: البحر المحيط: ٦٥٨/٤.

وننوّه هنا إلى أنَّ أبا البركات الأنْبَاري نسب إلى الكُوْفِيّيْنَ انهم يُجَّوزون الفَصْل بين المتضايفين بغير الجار والمجرور[١]. وقد رد عليه الدكتور محمد خير الحلواني[٢]، وذكر انّ البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيّيْنَ يمنعون الفَصْل بين المتضايفين بغير الجار والمجرور فهم في هذا سواء، فزعيم مدرسة الكوفة الفَرّاء قد تابع البَصْرِيِيْنَ في هذه المَسْأَلَة[٣]، ولم يشر إلى ذلك أبو البركات الأنْبَاري ولا أبو حيان ولا عبد اللطيف الشرجي اليمني إذ نسبوا الجواز إلى عموم الكُوْفِيّيْنَ . أضف إلى ذلك أن الطبري وهو من حذاق الكُوْفِيّيْنَ[٤]، قد قبح الفَصْل وذكر انه غير فصيح، جاء هذا في قوله: ((وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وكذلك "زُيِّنَ" بضم الزاي لكثير من المشركين قَتْلُ" بالرفع "أَوْلادَهُمْ" بالنصب "شُرَكَائِهِمْ" بالخفض، بمعنى وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ شركائهم أولادَهم، ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه الاسم،وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح))[٥] .

وكعادة بعض النُّحَاة المتعصبين للقَاعِدَة النَّحْويّة عندما رأوا أن قراءة ابن عامر قد زعزعت أركان قواعدهم النَّحْويّة[٦] اشتطوا في بعض أقوالهم واتّهموا القراء بالوهم، وردوا قراءة سبعية متواترة

وأول من أنكر قراءة ابن عامر وركب في المحظور كما يقول ابن الجزري[٧] هو ابن جرير الطبري، وقد عد ذلك من سقطاته حتى قال السخاوى: قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي: إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر.

وأبو عبيد القاسم بن سلام قال: ولا أحب هذه القراءة لما فيها من الاستكراه والقراءة عندنا هي الأولى أي قراءة الجُمْهُور لصحتها في العَرَبِيَّة مع إجماع أهل الحرمين والبصرتين بالعراق عليها[٨] . ومنهم أبو علي الفارسي، قال: ((... وهذا قبيح قليل في الاستعمال ولو عدل عنها إلى غيرها كان أولى))[٩]، وابن خالويه الذي ضعّفها وحكم بقبحها[١٠] .

---

١ ينظر: الأنصاف في مسائل الخلاف: ٣٤٩/٢، ونُسِبَ الجوازُ إليهم في ارتشاف الضرب ١٨٤٦/٤ .

٢ ينظر: الخلاف النحوي بين البَصْرِيِيْنَ والكُوْفِيّيْنَ .

٣ ينظر: معاني القُرْآن للفراء ٣٥٨/١ .

٤ ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي(ت: ٦٢٦هـ) ٢٤٥٢/٦.

٥ ينظر: جامع البيان ١٣٧/١٢.

٦ ينظر: من هذه الرسالة: الفصل الخامس، المَسْأَلَة(٣): عطف الظاهر على الضَمِيْر المجرور،

٧ ينظر: النشر في القراءات العشر ٢٦٣/٢.

٨ ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني أبو شامة ص: ٤٦٣.

٩ الحجة للقراء السبعة للفارسي ٤١٠/٣– ٤١١.

١٠ ينظر: الحجة لابن خالويه ص: ١٥١.

والزمخشري[1] الذي يرى أن الفَصْل بينهما لو كان في الضَّرُوْرَات وهو الشعر كان سمجا مردودا فكيف به في القُرْآن المعجز لحسن نظمه وجزالته، وزعم أن الذي حمل ابن عامر على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء، ولو قرأ بجر (الأولاد والشركاء) لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة، وردّ عليه ابن الجزري في النشر بقوله: ((والحق في غير ما قاله الزمخشري ونعوذ بالله من قراءة القُرْآن بالرأي والتشهي، وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل؟ بل الصواب جواز مثل هذا الفَصْل، وهو الفَصْل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول في الفصيح الشائع الذائع اختيارًا، ولا يختص ذلك بضَرُورَة الشعر، ويكفي في ذلك دليلًا هذه القراءة الصحيحة المشْهُوْرة التي بلغت التواتر))[2] .

ويرى ابن عطية أن هذه القراءة ضعيفة في استعمال العرب[3] . وردّ أبو حيان على أبي علي الفارسي، وابن عطية، والزمخشري بسبب تضعيفهم هذه القراءة المتواترة واتهامهم ابن عامر بالوهم[4]، ورأى عدم الالتفات لما ذهبوا إليه، ودافع عن ابن عامر في تفسيره فقال: ((وبعض النَّحْوِيِّيْنَ أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القُرْآن عن عثمان بن عفان قبل أنْ يظهر اللحن في لسان العرب))[5] وحكى قول أبي الطيب المتنبي[6]:[من الطويل]

بَعَثْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِيْ حَدِيْقَةً ... سَقَاهَا الْحَيَاْ سُقْيَ الرِّيَاْضِ السَّحَائِبِ

ففَصَلَ بين المصْدرِ المضافِ إلى الفاعل بالمفعول .

كما عاب القراءة أبو البركات الأنْبَاري[7] بقوله " هذه القراءة ضعيفة في القياس بالإجماع "، وصف أبو جَعْفَر النحَّاس[8] الفَصْل فيها بأنَّه لا يجوز في كلامٍ ولا شِعْرٍ، وأبو البقاء العُكْبُرِيّ[9] بأنَّه بعيدٌ، وأنْكَرَ ابنُ عصفور[10] القراءة، واتَّهَمَ ابنَ عامرِ بالغلط .

---

١ ينظر: الكشاف ٢/٧٠.

٢ النشر ٢/٢٦٤ .

٣ ينظر: المحرر الوجيز ٢/٣٥٠.

٤ ينظر: المحرر الوجيز ٢/٣٥٠، والكشاف ٢/٧٠، والبحر المحيط ٤/٦٥٧.

٥ ينظر: البحر المحيط: ٤/٦٥٧.

٦ ينظر: ارتشاف الضرب ٤/١٨٤٦، والبحر المحيط ٤/٦٥٧.

٧ ينظر: البيان في غريب إعراب القُرْآن ١/٣٤٣

٨ ينظر: إعراب القُرْآن للنحاس ٢/٣٣.

٩ ينظر: التبيان في إعراب القُرْآن ١/٥٤١

١٠ ينظر: شرح الجمل للزجاجي لابن عصفور ٣/٢٤٣

يقول الدكتور عبد العال سالم مكرم: ولست أدري لم يقف النُّحَاة المعارضون من قراءة ابن عامر هذا الموقف؟ وابن عامر عربي قحّ كما يقول أبو حيان، وعاش في عصر الاحتجاج، فلو كان شاعرًا لاحتج بشعره، ولوكان خطيبًا لاعتمد على خطبته ذلك أنه توفي سنة ١١٨هـ . فقراءته أجدر بالقبول وأحق بالأخذ من هذا الشعر الذي قاسوا عليه وأخذوا به، كما أن قراءته لها نظائر في الشعر والحديث وكلام العرب[١] .

مما تقدّم يتبين أنَّ أغلبَ النُّحَاةِ الاقدمين يمنعون أو يقَبِّحون الفَصْلَ بين المتضايفين، أمَّا المعاصرون فقد ذهب أغلبُهم إلى جواز الفَصْلِ بينهما[٢] . فقد جوَّزَ ابنُ مالكٍ هذا الفَصْل اذ قال:

فَصْلَ مُضافٍ شبهِ فعلٍ ما نَصَبْ ... مفعولًا او ظرفًا أجِزْ ولم يُعَبْ

ويبدو للباحث أنَّ هذه الأدلة كافية لان يعتقد الباحث أن هذه القراءة هي أجدر بالتقدير من القَاعِدَة النَّحْويّة، فضلًا عن أنَّ هذه القراءة قد تحقق نقلها بالتواتر عن النبي ﷺ، ولست أدري لماذا هذا الإصرار من النُّحَاة على قياس كلام الله بقواعدهم ومعاييرهم؟ فيجعلون القَاعِدَة أصلًا والقُرْآن فرعًا .هذا قلب للأوضاع وعكس للمنطق؛ فبالنظر السليم نجد الأمر يقتضي العكس. وقد أجمعوا أن القراءة سنة متَّبعة أفلا يجب الأخذ بها والمصير إليها، ولله در ابن مالك رحمه الله حَيْثُ قال في كافيته الشافية:

وحُجَّتِيْ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ ... فَكَمْ لَهَا مِنْ عَاضِدٍ ونَاصِرِ

والذي يراه الباحث راجحًا في هذه المَسْأَلَة هو ما ذهب إليه الكوفيون؛ لما استدلوا به من سماع وقياس، ولما في رأيهم من تيسير ومرونة بقبول ما ورد في النظم والنثر وكان الفَصْل فيهما بغير الظرف والجار والمجرور . وقد ناصرهم الدكتور إبراهيم السامرائي في مذهبهم وانتقد البَصْرِيِيْنَ ؛ لأنهم لم يلتفتوا إلى قراءة ابن عامر، أو قل: إنّ من مَنْهَجهم ألا يأخذوا بالقراءات وإنْ كانت صحيحة ثابتة السند متواترة، كأنهم قرروا قواعدهم دون الوقوف على القراءات، أو إنّ لُغَة القُرْآن لم تدخل دائرة استقرائهم إلا قليلًا[٣]. فاللُّغَة ليست وقفًا على مجموعة من النصوص التي لم تقم على استقراء كامل واستيعاب دقيق[٤] .

---

[١] ينظر: أثر القراءات القُرْآنية في الدراسات النَّحْويّة ص: ٧٧.

[٢] ينظر: اثر القراءات القُرْآنية في الدراسات النَّحْويّة د. عبد العال سالم مكرم ص:٧٣ – ٧٦، والقياس في اللُّغَة العَرَبِيَّة محمد الخضر ص: ٣٠، والقراءات واللَهْجَات ص:١٣٩،

[٣] ينظر: وفي النحو العربي نقد وبناء د. إبْرَاهِيم السامرائي ص:١٣١، الطبعة الأولى:١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – دار عمّار – عمان.

[٤] ينظر: أثر القراءات القُرْآنية في الدراسات النَّحْويّة ص: ٧٨.

وإذا كان نقد بعض النُّحَاة للقراءة من قبل تحكيم أقيستهم وتَقْعِيْد قواعدهم فهو تحكم مردود، ذلك لأن القراءة لا تتبع العَرَبِيَّة، بل العَرَبِيَّة تتبع القراءة لأنها مسموعة من أفْصَح العرب، وهو النبي ﷺ، ولا بأس أن يكون في القراءات فصيح وأفْصَح ؛ أن وجوه القراءات ليست متساوية في الفَصَاحَة ولكنها كلها فَصِيْحَة مقبولة، وإن كان فيها ما هو أقل من غيره في الفَصَاحَة[1].

وحكى أبو حيان[2] عن ابن جني قوله: إذا اتفق كل شيء من ذلك نظر في حال العربي وما جاء به فإن كان فصيحا وكان ما أورده يقبله القياس فالأولى أن يحسن به الظن، لأنه يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لُغَة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها. وقال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير[3] ونحوه ما روى ابن سيرين عن عمر بن الخطاب أنه حفظ أقل ذلك وذهب عنهم كثيره يعني الشعر في حكاية فيها طول. وقال أبو الفتح: فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح إذا سمع منه ما يخالف الجُمْهُور بالخطأ[4]

١ ينظر: آراء نحاة الكوفة في كتب القراءات السبع وعللها جمعًا ودراسة وتقويما ص: ٣٠٠ رسالة تقدم بها الباحث: أيمن غباشي محمود زغيب إلى قسم اللُّغَوِيّات بكلية الزقازيق جامعة الأزهر، للحصول على درجة الدكتوراه

[2] ينظر: البحر المحيط ٦٥٨/٤.

[3] ينظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢٥/١

[4] ينظر: البحر المحيط ٦٥٨/٤.

المَسْأَلَة (٥): إعمال اسم الفاعل المعرّف بـ(أل) المضاف النصب في المضاف إليه

ذهب النحويون إلى أن اسم الفاعل إذا كان على صِيْغَة جمع المذكر السَّالِم وحذفت منه نون الجَمْع، لا يعمل النصب فيما بعده حين يكون مجردًا من (أل)، ورأوا أنه لا بد من إضافته إلى ما بعده .

أوجب سِيْبَوَيْهِ إضَافَة اسم الفاعل – إذا كان جمع مذكر سالم مجردًا من (أل) – إلى ما بعده، فقال: ((ولا يكون في قولهم: هم ضاربوك، أن تكون الكاف في موضع النصب، لأنَّك لو كففتَ النون في الإظهار لم يكن إلاَّ جرًّا، ولا يجوز في الإظهار: هم ضاربوزيدًا، لأنَّها ليست في معنى الذى، لأنها ليست فيها الألفُ واللام كما كانت في الذى))[١]، وبهذا الرأي أخذ جُمْهُور النَّحْوِيِّيْنَ الذين جاءوا بعده كالأخْفَش وأبي علي الفارسي، وابن جني، وآخرون .

وقد جاء في القراءات الشاذة ما يخالف هذا الأصل، فقد قرأ أبو السَّمَّال قوله تَعَالَىْ: ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾[٢] بفتح لفظ الجلالة. وقرأ أيضا ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابَ الْأَلِيمِ﴾[٣] بفتح (العذاب) . وإذا تتبعنا موقف النَّحْوِيِّيْنَ من هاتين القراءتين فسنجد أغلب النُّحَاة قد حكموا بتخطئتهما، والأخذ بالقَاعِدَة النَّحْويّة وترجيحها على ما ورد مخالفين القراءتين السابقتين .

فقد رفض الأخْفَش القراءة وحكم على هذه اللُغَة بالقبح فقال: ((وزعموا أن عيسى بنَ عمر كان يجيز: [من المتقارب]

فألفيتُهُ غيرَ مُستَعْتِبٍ ... ولا ذاكِرَ اللهَ الاّ قليلا

كأنه انما طرح التنوين لغير معاقبة إضَافَة وهو قبيح الا في كل ما كان معناه "اللذين" و "الذين" فحينئذ يطرح منه ما طرح من ذلك. ولو جاز هذا البيت لقلت: "هم ضاربو زيدا" وهذا لا يحسن. وزعموا أن بعض العرب قال ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾[٤] وهو أبو السَّمَّال وكان فصيحًا.

---

[١] الكتاب ١٨٧/١

[٢] التوبة من الآية/٣

[٣] الصافات: ٣٨

[٤] التوبة من الآية/٣

وقد قُرِئ هذا الحرف ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُو الْعَذَابَ الأَلِيمِ﴾[1] وهو في البيت أمثل لأنه اسقط التنوين لاجتماع الساكنين))[2].

ووصف أبو علي الفارسي القارئ باللحن والالتباس فقال: ((إن أبا السَّمَّال لحن، وقد كان فصيحًا، وكأنه التبس عليه بقوله[3]:

الحافِظُو عَوْرَةَ العشيرةِ ....

وإنما ذلك جاء فيه الألف واللام))[4]، وتابعه تلميذه ابن جني في تلحين القراءتين فقال: ((لكنّ الغريبَ من ذلك ما حكاه أبو زيد عن أبي السَّمَّال أو غيره أنه قرأ: ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهَ﴾، بالنصب. فهذا يكاد يكون لحنا ... وقرأ بعض الإعْرَاب: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[5]، بالنصب.))[6]، لكن الغريب حقًا أنه أورد شاهدًا يجيز النصب، وهو قول سويد:

ومَسَامِيحُ بِمَا ضَنَّ بِهِ ... حَابِسُو الأَنْفُسَ عنْ سُوءِ الطَّمَعْ

ووصفها العُكْبُرِيّ بالسهو من القارئ فقال: ((...وَقُرِئَ شَاذًّا بِالنَّصْبِ؛ وَهُوَ سَهْوٌ مِنْ قَارِئِهِ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ تُحْذَفُ مِنْهُ النُّونُ، وَيُنْصَبُ إِذَا كَانَ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ.))[7]وقال بل هو من غلط الرواة[8] . كما حكى ابن جني أيضا عن الأَعْمَش (وَمَا هُمْ بِضَارِّي بِهِ مِنْ أَحَدٍ)[9]، قال ابن مالك: وهذا في غاية من الشذوذ بخلاف البيت الذي قبله[10].

---

[1] الصافات/٣٨

[2] معاني القُرْآن للأخفش ٩١/١- ٩٢

[3] نسبه سِيْبَوَيْهِ لرجل من الأنصار ١٨٦/١- ١٨٧، ولقيس بن الخطيم في المقاصد النَّحْويّة ٥٣٤/١ وقال ابن هِشَامٍ اللخمي قائله عمرو بن امرئ القيس، وبقية البيت: الحافِظُو عَوْرَةَ العشيرةِ لا.. يَأتِيهِمُ من وَرائنا نَطَفُ

[4] إعراب شواذ القراءات ٣٧٨/٢

[5] الصافات/٣٨

[6] المحتسب ابن جني ٨٠/٢ – ٨١

[7] التبيان في إعراب القُرْآن للعكبري ١٠٨٩/٢، وينظر: الدر المصون ٣٠٢/٦.

[8] ينظر: إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي العُكْبُرِيّ ١٦٢/١.

[9] ينظر: المحتسب ١٠٣/١

[10] ينظر: شرح التسهيل ابن مالك ٧٣/١

وهكذا نَجِدُ أنَّ طائفةً بارزةً مِن النَّحْوِيِّيْنَ كالأخْفَشِ، والفارسيِّ، وابنِ جني، والعُكْبُرِيّ، وهم أعمدة النحو قد حَكَمُوا بخطأ هاتين القراءتين لا لشيء سوى مخالفتها للقَاعِدَة النَّحْويّة، ولم يشفعْ لها كونُ صاحبِها فصيحًا كما أكّدوا هم أنفسهم[1] .

[1] ينظر: (القَاعِدَة اللُغَوِيّة والقراءات القُرْآنية دراسة في ضوء الرفض والقبول قواعد التفكير العلمي) بحث مدرج في: مجلة العلوم الإسلامية العدد التاسع – ١٤٣٢هـ، ص:٢٩٠، للدكتور: عمر رشيد السامرائي.

الخاتمــة

الخاتمة

عِشْنَا رِحْلَةً عِلميَّةً لغويّةً مَعَ النُّحاةِ وقَوَاعِدِهِمْ وبَعْضِ جُهُودِهِمْ، وعرفنا أنَّ العربَ قَدْ نَطَقُوا لُغَتَهُمْ بسليقةٍ جُبِلُوا عليها، غيرَ مُحتاجين لِمُراعاةِ قانونٍ لُغويٍّ، وقامتْ اللُّغةُ العربيَّةُ بِوَظيْفَتِها خيرَ قِيَامٍ، إلى أنَّ شَرَّفَها اللهُ تَعالَى بِنُزُولِ القُرْآنِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف:٢]، وبعدَ انتشارِ الإسْلامِ ودُخُولِ غيرِ العَرَبِ فيه استشْرَتْ ظاهرةُ اللَّحنِ، فهَبَّ النُّحاةُ العَرَبُ لِنُصْرَةِ لُغَةَ القُرآنِ، ووَضْعِ قَانُونٍ يَحْفظها مِنْ التَّحريفِ والانْدِثارِ، فقامَ اللُّغويُون بِجَمْعِ النُّصُوصِ اللُّغويَّةِ المسمُوعةِ مِنْ قَبَائِلَ عربيَّةٍ بِعَيْنِهَا، وِفْقَ مَنْهَجٍ ومعيارٍ ارتضُوه لأَنْفُسِهِمْ حَسْبَ طَاقَاتِهِمْ وإِمْكَانَاتِهِمْ البحثيّة وقتئذٍ، وأكَّدُوا مِرارًا أنَّهم فِي هَذَا الشَّأنِ عِيالٌ عَلَى العَرَبَ فِيْمَا جَمَعُوه وسمعوه منهم، وأنَّهم تبعٌ لهم، ولا يَعدُو دَوْرُهم الجمْعَ والبَحثَ والتَّصنيفَ والتقعيد، أو يُمكنُنَا أنْ نقولَ أنَّهم اتَّصفُوا بالوصفيِّةِ حتَّى تَمَّ لهُمْ وَضْعَ كثيرٍ من القَوَاعِدِ النَّحويَّةِ، ولكنَّ دَوَامَ الحَالِ مِنْ المُحَالِ، فَسُرْعَانَ مَا وَجَدْنَا منهُمْ خروجًا عن هذا المنهجِ؛ إذْ جعلُوا قواعدَهُمْ مِعياريَّةً، بَلْ حَاولُوا فَرْضَ هذه القواعدِ علَى العَرَبِ أَصْحابِ اللُّغةِ؛ كالشُّعراءِ، والقرَّاءِ، والعَامَّةِ.

وفِي أثناءِ مُحَاولاتِ إِطْرَادِ القَوَاعِدِ النحويَّةِ وفَرْضِهَا تَمَرَّدَتْ عَلَى سُلْطَانِ قَوَاعِدِهِمْ بَعْضُ النُّصُوصِ الْمَسْمُوْعَةِ الَّتِي لا يُمْكِنُ التَّشكيكُ فِيْهَا، فُهُنَا أَصْبَحَ ضَرُوْرِيًّا أَنْ يُحَاوِلُوا التَّوفيقَ بينَ القَاعدةِ النَّحويَّةِ والتَّطبيقِ، فَاضْطُرُّوا لِلِّجُوْءِ إِلَى وَسَائِلَ شَتَّى مِنْ أَجْلِ هَذَا اَلْغَرَضِ.

إنَّ منهجَ جمعِ اللُّغةِ أو تقعيدِها أو محاولاتِ التَّوفيقِ بينَ القَاعِدَةِ النَّحويَّةِ والتَّطبيقِ، كُلَّ ذلك عملٌ بشريٌّ قدْ يعتريه القُصورُ، وهو قابلٌ للنَّقدِ والتَّقويمِ، وَحَسْبُهُمْ نِيَّتُهُمْ في الدِّفاعِ عَنْ لُغَةِ القُرْآنِ، وَكَفَاهُمْ شَرَفُ الجُهُوْدِ والمُحَاوَلاتِ، سائلًا الله تعالى أن يجزيهم عمَّا قدَّموه للُّغةِ العربيَّةِ وأهلِهَا خيرَ الجَزَاءِ.

وبكُلِّ تَواضُعٍ يوثّقُ الباحثُ أَهَمَّ النَّتَائجِ المُسْتَخْلَصَةِ مِن رِحْلتِهِ العِلْميَّة هذه وما أكَّدَتْه هذه الدِّراسةُ مِن بعض الأُمُوْرِ، منها:

١. أنَّ مَنْهَجَ اللُّغويين العَرَبِ فِي جَمْعِ اللُّغةِ ثُمَّ تَقْعِيْدِهَا؛ لِمْ يَكُنْ مَحَلَّ اِتِّفَاقٍ عليه عِنْدَ جُمْهُوْرِ النُّحاةِ، ولم يكنْ بمنأىً عن النَّقدِ والهَنَاتِ، ويُعتذر عنهم بقلَّةِ الإمكاناتِ وفردِيَّة الجُهُودِ وغيابِ العملِ الجماعي.

٢. أنَّ النُّحاةَ حاولُوا التَّوفيقَ بينَ القَاعِدَةِ النَّحويَّةِ والتَّطبيقِ، واستعمُلوا لأجل ذلك وَسَائلَ شَتَّى، نسبوا مُعْظَمَهَا إِلَى اَلْعَرَبِ أَصْحَابِ هَذِهِ اللُّغَةِ؛ كالتضمين، والاستغناء، والحذف، والإهمال. أو لجَؤوا إلى استِنْباطِها كالتقْديرِ، والتَّأويلِ وغيرهما. وأنَّهُ يُمكننا أَنْ نَعُدَّ كثيرًا ممَّا ذكره النُّحاةُ مِنْ مُحَاولاتٍ للتَّوفيقِ بَيْنَ القَاعِدَةِ النَّحويَّة والتطبيقِ قَوَاعِدَ فَرْعِيَّةٍ مُكَمِّلَةٍ للقواعدِ النَّحويَّةِ الرَّئيسةِ الأَساسيَّةِ.

٣. أنَّ أسبَابَ خروج بعْضِ النُّصُوص المسْموعةِ على بعضِ القواعد كثيرةٌ اجتهدَتِ الدراسة في معرفة كثيرٍ منها، كما اجتهدَتْ في معرفة نتائج خروج هذه النُّصوصِ على بعض القواعدِ.

٤. أنَّ الاعتماد على مجموعة مِن لغات القبائل في تقعيد القواعد النحوية، وتحديد المكان في مسألة التدوين والتدريس للغة ما يعد إجحافًا وبخسًا للهجات الأخرى التي كانت جزءًا مهمًا في تكوين اللغة العربية المشتركة قبل نزول القرآن الكريم؛ لأنَّ لغات العرب كلها حُجّةٌ، ويجوز القياس عليها، طالما اعتزَّ بها أصحابها وتكلموا بها.

٥. كان للهجةِ أهل الحجاز (قريش) النصيبُ الأعظمُ في تكوين اللغة المشتركة قبْلَ نزول القرآن الكريم، واشترك معها خليطٌ كبيرٌ من لهجات عربية مختلفة (فقد استوفى القرآن أحسن ما في تلك اللغات)، وتأتي بعدها لهجة تميم، فلغة تميم كثيرًا ما تقترن بلغة أهل الحجاز في كتب إعراب القرآن لاختلافهما .

٦. رَصَدَ الباحثُ بعضَ الاضطراب في اللغة الواحدة؛ فينشأ عنه تعارض بين المتكلمين بهذه اللغة من القبيلة نفسها، كما هو في (أمس)، و(حيث)، و(فَعَالِ عَلَمًا لمؤنث) وغيرها.

٧. من الدراسة والبحث تَبَيَّنَ للباحثِ أنَّ دراسة المسائلِ النحويةِ واللغوية تتيسَّر من خلال دراستها في ضوء لغات العرب، وهي دعوةٌ متواضعةٌ إلى تيسير الدرس النحويّ، وتخليصه مِن التأويلات والتقديرات المفرطة، فالاستعمالات اللهجيّة القديمة يمْكنُ الإفادة منها في تعضيد القاعدة النحوية بدلًا من تكلّف التأويل، وثقل النصوص بالتقديرات.

٨. أثْبَتَ البحْثُ أنَّ النحاةَ أكثروا الجوازات في قواعد نحوية؛ فقد لاحظوا أنَّ أيَّ خروج عن القاعدةِ سينشأ عنه اضطرابٌ إذا ما تمَّ تحْجِيْمُ القاعدة النحوية، فأكثروا القولَ بالجواز في

كثير من قواعد نحوية؛ فَخَلَقَ هذا توازنًا بين القاعدة النحوية وتعَدُّدِ اللغات (دمج أكثر من لغة في قاعدة واحدة).

٩. لم يغِبْ عن أذهانِ النحاةِ القدماءِ اضطرابُ بعض القواعد النحوية، ولكنَّ أذهانهم كانت منصرفة لتثبِيْتِ مَدَامِيْكِ هذا العلم ووضع الأسس التي يقوم عليها، فما كان خارجًا عن القاعدة النحوية لجؤوا إلى تأويله؛ ليقترب من القاعدة ويتفق مع أصول النحو وأقيسته، أو تركوه للسماع، ولكنَّهم لم يخَطِّئوا المتكلمَ به؛ لأنَّ المتكلمَ بلغةٍ من لغات العرب مصيبٌ ولكنَّ هناك ما هو أصوب .

١٠. نجد أنَّ القاعدة النحوية ثابتة في أصولِ المسائلِ والأبوابِ الرئيسية، ولكنْ عند تشَعُّبِ الأبواب وتفرّعِ المسائل، قد تضطربُ القاعدة أو تتزعزع، وتكون غير صارمة التطبيق، مثاله : عدم جواز الابتداء بالنكرة في باب المبتدأ والخبر نجده يمكن الابتداء بالنكرة في باب "كان " و"إن" .

١١. لم تَعُدْ كلمةُ "اضطراب " تكفي أحيانًا في بعض المسائل؛ إذ نَجِدُ أنفسنا أمام قاعدتين نحويتين للغتين كبيرتين وقويتين، كل واحدة لها أنصارها ومتكلموها مثل :

- (ما) بين لغة الحجاز، ولغة تميم .
- (هلمّ) بين لغة الحجاز، ولغة تميم .

١٢. تَعَدُّدُ نطْقِ بعضِ الكلمات وعدم استقرارها على صورةٍ صوتيةٍ واضحةٍ وموحّدةٍ عَكَسَ نفسه على تخريجات النحاة، ما أدّى إلى عدم استقرار قواعدهم النحوية، مثاله ما عرضناه في لفظتي "تترى، وهيهات".

١٣. الاستقراء الناقص، وعدم استيفاء كل اللغات، فتركوا بعضها عن عَمْدٍ أو بجهل، انعكس ذلك على القاعدة النحوية من حيث إنَّ كثيرًا من النحاة يدور في فلك سيبويه من ذكر توجيهاته وتأويلاته، بل نستطيع أن نقول إن أغلب الحجج التي يحتج بها البصريون لتعزيز مذهبهم مصدرها علل الخليل وسيبويه.

١٤. اتضح أنَّ الكوفيينَ الذين أُثِرَ عنهم التبويبُ للشاهد الواحد واعتدادهم بالمسموع– أنهم قد يَرُدُّون شواهدَ مسموعة ويتأوَّلونها، أو يرفضون لغاتٍ.

١٥. رَصَدَتِ الدراسةُ مجموعةً مِن العيوب التي انعكست على اللغة العربية من خلال التزام النحاة الصارم بالمعيارية وتقديس القاعدة.

١٦. خَلُصَ البحث إلى ارتباط القراءات القرآنية بلغات العرب المختلفة، فهي أكثر مصادر الدراسة اللغوية تعبيرًا عن الواقع اللهجي الذي كان سائدًا في شبه الجزيرة العربية، لا يمكن إهدارها أو إنكارها، وينبغي إعادة النظر في حَمْلِ القراءات القرآنية على الشذوذ واللحن، وتضعيفها؛ لأنها تمثل بيئات لغوية مختلفة.

١٧. إنَّ كثرة اللغات وتنوعها في كتب إعراب القرآن يؤكد عدم اقتناع النحاة بتوصية القدماء في قضية الجمع اللغوي (التدوين) من قبائل محددة، إذ احتجوا بلغات قبائل عربية لم تدخل في تلك الوصية، وهذا يعني أنَّ القرآن الكريم لم ينزل بلغة قريش فحسب بل ضمَّ طائفة من اللغات العربية القديمة الفصيحة فأكَّد بذلك وحدة القبائل العربية باللغة والدين.

١٨. لعلَّ حُكْمَ النحاةِ على بعض اللغاتِ التي وَرَدَتْ مخالفة التقعيد النحوي بالضرورة، أوالشذوذ، أوالغلط، أوالضعف، أوالقبح، أوالقلة؛ كان لصرفِ أنظارِ المتعلمين والمتكلمين عن تلك الظاهرة اللغوية، وبقاؤهم على الشائع كثير الاستعمال .

١٩. تعدد توجيهات النحاة في بعض اللغات التي وَرَدَتْ مخالفة للقاعدة النحوية أدَّى إلى تراكم الآراء واختلاف تعليلات النحويين من أجل تعضيد القاعدة النحوية، وأسْلَمَ هذا إلى تعقيد الدرس النحوي.

وبعد هذا الخوض في عباب بحر لغات العرب المتلاطم، والغوص في دقائق التفاصيل بينها وبين القاعدة النحوية، يكون الباحث قد وصل إلى نهاية هذه الأطروحة، وأشبع فضوله المعرفي والبحثي.

فإني أرجو أن أكون قد قدمتُ للمكتبة العربية، وللأمة العربية، وللسان الضاد، ما يفيد، فربَّ مبلغٍ أوعى من سامع، وأسأل الله أن يتقبل جهدي، ويجعله خالصًا لوجهه. وجزى الله خيرًا كل من أعان في هذا البحث، فإن من لا يشكر الله لايشكر الناس.

كتبه: سالم مبارك سعيد الفلق

ثَبْتٌ بالمصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

ثانيًا: الكتب المطبوعة.

١. **أبحاث في العربية الفصحى**، لغانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١: ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
٢. **أبحاث في اللُّغَة العربية**، لداؤود عبده، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، ط١: ١٩٧٣م.
٣. **أبحاث نحوية ولُغَوِيّة**، لنادية رمضان النجار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١: ٢٠٠٦م.
٤. **إبراز المعاني من حرز الأماني**، لشهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة(ت:٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، د.ت د.ط.
٥. **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطيّ، الشهير بالبناء (ت:١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٣: ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
٦. **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُوطِي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، د.ط، سنة النشر: ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.
٧. **أثر القراءات القرآنية في الدراسات النَّحْويّة**، لعبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، د.ط،د.ت.
٨. **إحياء النحو**، لإبْرَاهِيم مصطفى، ط٢: ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م
٩. **أخبار النحويين البصريين**، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، مصر، د.ط، سنة النشر: ١٣٧٣هـ=١٩٦٦.
١٠. **الاختيارات النحوية** لأبي حيان في "ارتشاف الضرب" دراسة وتحليل، لأيوب جرجيس القيسي، دار الإيمان، مصر، الإسكندرية، ط١: ٢٠٠٤م.
١١. **أدب الكاتب**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.
١٢. **الأدب المفرد**، لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت:٢٥٦هـ)، حققه: سمير الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١: ١٤١٩هـ =١٩٩٨م.
١٣. **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، . مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١: ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.
١٤. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري(ت:٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧: ١٣٢٣هـ.

١٥. **الأزهية في علم الحروف**، لعلي بن محمد النحوي(ت:٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللُغَة العربية بدمشق، ط١: ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
١٦. **أساس البلاغة**، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١: ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.
١٧. **أسرار العربية**، لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنْبَاري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١: ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
١٨. **أسس علم اللُغَة**، لماريو ماي، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٨: ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.
١٩. **أسواق العرب في الجاهلية** د. سعيد الأفغاني د.ط، د.ت، د.د.
٢٠. **الأشباه والنظائر في النحو**، لجلال الدين السَّيُوطِي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.
٢١. **الاشتقاق**، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١١هـ= ١٩٩١م.
٢٢. **الأصْمَعِيات**، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصْمَعِي(ت:٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٧: ١٩٩٣م.
٢٣. **أصول التفكير النحوي**، لعلي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ط١: ٢٠٠٦م.
٢٤. **الأصول في النحو**، لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٥. **الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو، فقه اللغة، البلاغة**، لتمام حسان، عالم الفكر، د.ط، سنة النشر:١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.
٢٦. **إعراب القراءات الشواذ**، لأبي البقاء العكبري، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز،، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.
٢٧. **إعراب القرآن**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبْرَاهِيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ.
٢٨. **إعراب ثلاثين سورة**، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه(ت:٣٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، لبنان، بيروت، د.ط، سنة النشر: ١٩٨٥م.
٢٩. **إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي**، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبُرِيّ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط١: ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
٣٠. **الأعلام**، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي (ت:١٣٩٦هـ)،، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط١٥: أيار، مايو ٢٠٠٢م.
٣١. **الإغراب في جدل الإعراب**، لأبي البركات كمال الدين بن محمد الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر،

لبنان، بيروت، ط٢: ١٣٩١هـ= ١٩٧١م.
٣٢. **الاقتراح في أصول النحو**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُوطِي (ت:٩١١هـ)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط٢: ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
٣٣. **الإقناع في القراءات السبع**، لأبي جعفر أحمد بن علي بن خلف الأنصاري الغرناطي، المعروف بابن البَاذِش (ت:٥٤٠هـ)، حققه وقدم له: عبد المجيد قطامش، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الكتاب الثالث والعشرون، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٠٣هـ.
٣٤. **أمالي ابن الحاجب**، لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن= دار الجيل، بيروت، د.ط، سنة النشر: ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.
٣٥. **أمالي ابن الشجري**، لهبة الله أبي السعادات بن علي بن حمزة (ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ط١: ١٤١٣هـ = ١٩٩١م.
٣٦. **الأمالي**، لأبي عبد الله محمد بن العباس بن المبارك اليزيدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند ط١: ١٣٩٧هـ = ١٩٣٨م.
٣٧. **إنباه الرواة على أنباه النُّحَاة**، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي(ت:٦٤٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١: ١٤٢٤هـ.
٣٨. **الانتصار لسِيْبَوَيْهِ على المبرد**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن ولاّد التَمِيْمي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.
٣٩. **الأنساب**، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني(ت:٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، جلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١: ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م.
٤٠. **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنْبَاري، المكتبة العصرية، ط١: ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م
٤١. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت
٤٢. **ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة**، لعبد اللطيف الشرجبي الزبيدي، تحقيق: طارق الجنابي، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط٧: ١٤٠٧هـ.
٤٣. **الإيضاح بشرح المفصل**، لأبي عمرو عثمان بن أبي بكر الدوني المعروف بابن الحاجب، تحقيق: إبْرَاهِيم محمد عبدالله، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١: ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.
٤٤. **الإيضاح العضدي**، لأبي علي الفارسيّ، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، د.د، ط١: ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.
٤٥. **الإيضاح في علل النحو**، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، لبنان، بيروت، ط٣: ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م
٤٦. **البحث اللُغَوِيّ عند العرب**، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط٣: ٢٠٠٣م.

٤٧. **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، لبنان، بيروت، د.ط، سنة النشر: ١٤٢٠ هـ.
٤٨. **بحوث ومقالات في اللُّغَة**، لرمضان عبد التواب(ت:١٤٢٢هـ)، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة. ط٣: ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.
٤٩. **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.
٥٠. **البسيط في شرح جمل الزجاجي**، لابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد الأشبيلي السبتي، تحقيق ودراسة: عياد التبيتي، دار العرب الإسلامي، ط١: ١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م.
٥١. **بغية الوعاة في طبقات اللُّغَوِيّين والنُّحَاة**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُوطِي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د.ط، د.ت.
٥٢. **البلُغَة في شذور اللُّغَة** نشر أوغست هفنر، ولويس شيخو، لبنان، بيروت، ط١: ١٩٠٨م.
٥٣. **البيان والتبيين**، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، لبنان، بيروت، د.ط، سنة النشر: ١٤٢٣هـ.
٥٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، لأبي الفيض محمد بن محمد الملقب بمرتضى الزبيدي(ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت.
٥٥. **تاج اللُّغَة وصحاح العربية**، لأب نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط٤: ١٤٠٧هـ= ١٩٩٠م.
٥٦. **تاريخ آداب العرب**، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت
٥٧. **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي**، لشوقي ضيف، دار المعارف، د.ط، د.ت
٥٨. **تاريخ الأدب العربي**، لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية: السيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، أشرف على ترجمته: محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، سنة النشر:١٩٩٣م.
٥٩. **تاريخ اللُّغَات السامية**، لإسرائيل ولفنسون، مطبعة الاعتماد، مصر، د.ط، سنة النشر:١٣٤٨هـ= ١٩٢٩م
٦٠. **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، لعمر فروخ، دار العلم للملايين – بيروت، د.ط، سنة النشر: ١٩٧٠م.
٦١. **التبيان في إعراب القرآن**، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكْبُرِيّ، تحقيق: محمد علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت، د.ط.
٦٢. **التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين**، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، ط١: ١٩٨٦م.
٦٣. **تحت راية العربية بحوث ومقالات في العربية ورجالاتها**، لمحمد حسّان الطيّان،، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط١: ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٨م.
٦٤. **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن

محمد بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، د.ط، سنة النشر: ١٩٨٤م

٦٥. **تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب**، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشهير بالأعلم الشنتمري، حققه وعلّق عليه: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٢ :١٤١٥هـ= ١٩٩٤م.

٦٦. **تخليص الشَوَاهِد وتلخيص الفوائد**، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق، عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط١: ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

٦٧. **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي تحقيق: د. حسن هنداوي ط١: د.ت، دار القلم – دمشق.

٦٨. **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني، تحقيق : محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ط، سنة النشر: ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.

٦٩. **التعريفات** علي بن محمد الجرجاني(ت:٨١٦هـ) ط١: ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٠. **تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد**، لبدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني (ت:٨٢٧هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المفدى، أصل هذا الكتاب: رسالة دكتوراه، ط١: ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٧١. **تعليم النحو العربي عرض وتحليل**، لعلي أبو المكارم، مؤسسة المختار، مصر، القاهرة، د.ط، سنة النشر: ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٧٢. **تفسير ابن أبي زمنين** (تفسير القرآن العزيز)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت:٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط١: ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م.

٧٣. **تفسير أبي السعود** المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.

٧٤. **تفسير البغوي** المسمى (معالم التنزيل في تفسير القرآن) لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي(ت:٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي ط١: ١٤٢٠ هـ، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

٧٥. **تفسير الثعالبي** المسمى: الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي(ت:٨٧٥هـ) تحقيق: محمد علي معوض، وعادل عبد الموجود، ط١: ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي= بيروت.

٧٦. **تفسير الثعلبي** المسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت:٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

٧٧. **تفسير السمرقندي** المسمى (بحر العلوم)، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت:٣٧٣هـ) ضمن المكتبة الشاملة.

٧٨. **تفسير الطبري** المسمى(جامع البيان في تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
٧٩. **تفسير الفخر الرازي** المسمى (مفاتيح الغيب) أو التفسير الكبير، لبفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط٣: ١٤٢٠هـ.
٨٠. **تفسير القرآن**، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت:٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، السعودية، الرياض، ط١: ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.
٨١. **تفسير القرآن الكريم**، لمحمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية(ت:٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ: إبْرَاهِيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٠هـ.
٨٢. **تفسير النسفي** (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت:٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
٨٣. **التفكير العلمي في النحو**، لحسن خميس الملخ، دار الشروق، الأردن، عمان، ط١: ٢٠٠٢م.
٨٤. تقويم الفكر النحوي، لعلي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، القاهرة. د.ط، سنة النشر: ٢٠٠٥م.
٨٥. **التلويح إلى كشف حقائق التوضيح**، لسعد الدين التفتازاني، دار الأرقم، لبنان، بيروت، ط١: ١٩٩٨م.
٨٦. **التنبيه والإشراف**، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي(ت:٣٤٦هـ)، تصحيح: عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، مصر، القاهرة، د.ط، د.ت.
٨٧. **تهذيب التهذيب**، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني(ت:٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١: ١٣٢٦هـ.
٨٨. **تهذيب اللُغَة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط١: ٢٠٠١م.
٨٩. **توضيح المقاصد والمسالك** بشرح ألفية ابن مالك، لبدر الدين أبي محمد حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي (ت:٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق:عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١: ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م.
٩٠. **جامع الأحاديث** (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى)، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د. على جمعة، طبع على نفقة: د حسن عباس زكى، د.ط، د.ت.
٩١. **جامع البيان في القراءات السبع**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني،، طبع جامعة الشارقة للرسائل الجامعية، ط١: ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
٩٢. **جامع الدروس العربية**، لمصطفى بن محمد سليم الغلاييني(ت:١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، بيروت، ط٢٨: ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

٩٣. **الجامع لأحكام القرآن** = تفسير القرطبي، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبْرَاهِيم أطفيش، دار الكتب المصرية، مصر، القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٩٤. **الجمل**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي، اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته الشيخ ابن أبي شنب، بمطبعة جول كربونل بالجزائر. د.ط، سنة النشر: ١٩٢٦م.

٩٥. **جمهرة أشعار العرب**، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت:١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٦. **جمهرة الأمثال**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الفكر، لبنان، بيروت. د.ط، د.ت.

٩٧. **جمهرة اللُّغَة**، لأبي بكر محمد الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط١: ١٩٨٧م.

٩٨. **الجنى الداني في حروف المعاني**، لبدر الدين أبي محمد حسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،،ط١: ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

٩٩. **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل** على ألفية ابن مالك، ضبط وتصحيح الشيخ: محمد البقاعي، دار الفكر ط١: ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م.

١٠٠. **حاشية الصبان على شرح الأشموني** لألفية ابن مالك، لمحمد بن علي الصبان (ت:١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

١٠١. **حجة القراءات**، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة (ت،حوالي: ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، د.ت، د.ط.

١٠٢. **الحجة في القراءات السبع**، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه(ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، لبنان، بيروت، ط٤: ١٤٠١هـ.

١٠٣. **الحجة للقراء السبعة**، لأبي على الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاني، دار المأمون للتراث، لبنان، بيروت، ط٢: ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

١٠٤. **الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللُّغَوِيّة والنَّحْويّة**، لمحمد ضاري حمادي، مؤسسة المطبوعات العربية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.

١٠٥. **حرب اللُّغَات والسياسات اللُّغَوِيّة**، لويس جان كالفي، ترجمة: حسن حمزة، إعداد المنظمة العربية للترجمة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط١: ٢٠٠٨م.

١٠٦. **الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل**، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، سنة النشر: ١٩٨٠م

١٠٧. **الحماسة البصرية**، لأبي الحسن علي بن أبي الفرج البصري(ت:٦٥٩هـ)، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.

١٠٨. **حياة الحيوان الكبرى**، لكمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط٢ : ١٤٢٤هـ.
١٠٩. **الحيوان**، لأبي عثمان عمر بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط٢: ١٤٢٤م
١١٠. **خزانة الأدب ولب لباب لُغَة العرب**، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،مصر، القاهرة، ط٤: ١٩٩٧م.
١١١. **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤: د.ت.
١١٢. **الخلاف بين النحويين، دراسة، تحليل، تقويم**، للسيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، د.ط، سنة النشر: ١٤٠٥هـ= ١٩٨٤م.
١١٣. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، سوريا، دمشق. د.ت د.ط.
١١٤. **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، لحسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجُمْهُورية العراقية، سلسلة دراسات (٢٣٤)، د.ط، سنة النشر: ١٩٨٠م.
١١٥. **دراسات في النحو**، لصلاح الدين الزعبلاوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، د.ت.
١١٦. **دراسات في لَهْجَات شرقي الجزيرة العربية**، ب. م. جونسون، ترجمة: أحمد الضبيب، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، السعودية، الرياض، د.ط، سنة النشر: ١٩٧٥م.
١١٧. **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، د.ط، د.ت.
١١٨. **دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء**، للمختار أحمد ديرة، دار قتيبة، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١١٩. **درّة الغواص في أوهام الخواص**، للأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، تحقيق: عرفات مطرجي،– مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.
١٢٠. **دستور العلماء** (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عَرَّبَ عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٢هـ= ٢٠٠٠م.
١٢١. **دلائل الإعجاز**، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت:٤١٧هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة + مطبعة المدني بجدة، ط٣: ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.
١٢٢. **دور اللَهْجَة في التَقْعِيْد النحوي**: دراسة إحصائية في ضوء هَمْع الهَوَامِعِ للسيوطي، لعلاء إسماعيل الحمزاوي
١٢٣. **ديوان ابن قيس الرقيات**، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر، ودار بيروت، د.ط، سنة النشر:١٣٧٨هـ= ١٩٥٨م.
١٢٤. **ديوان الأحوص**، جمع وشرح وتعليق: محمد نبيل طريفي، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ

=٢٠٠١م.
١٢٥. **ديوان الأخطل**، صنعه وكتب مقدماته وشرح معانيه: ايليا سليم الحاوي، دار الثقافة، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت
١٢٦. **ديوان الحطيئة** برواية وشرح ابن السكيت، قدم له ووضع فهارسه: حنا نصر الحتي،، دار الكتاب العربي، ط١: ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م
١٢٧. **ديوان الخنساء** بشرح ثعلب، قدم له: فائز محمد،، دار الكتاب العربي، ط٢: ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.
١٢٨. **ديوان العجاج** برواية الأصمعي وشرحه، تحقيق: عبد الحفيظ السلفي، توزيع مكتبة أطلس، سوريا، دمشق.
١٢٩. **ديوان الفرزدق**، قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، د.ط، سنة النشر:١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
١٣٠. **ديوان الكميت** بن زيد، قرأها ووضع حواشيها: محمد نبيل طريف، دار صادر، ط١: ٢٠٠٠م.
١٣١. **ديوان المتنبي** بشرح العكبري، دار الفكر، ط١: ١٤١٨هـ=١٩٩٧م
١٣٢. **ديوان النابغة الذبياني**، طبعة دار صادر، د.ط، دت.
١٣٣. **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب(٢٤)، ط٣: د.ت.
١٣٤. **ديوان تأبط شرًا**، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، ط١: ١٩٩١م
١٣٥. **ديوان جرير** بشرح محمد بن حبيب، سلسلة ذخائر العرب (٤٣).
١٣٦. **ديوان حسان بن ثابت**، وضعه وضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت
١٣٧. **ديوان ذي الرمة** بشرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت
١٣٨. **ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري**، شرح وتعليق: د. ن. رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، د.ط، سنة النشر:١٩٦٥م .
١٣٩. **ديوان عمر بن ابي ربيعة**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، د.ط، د.ت
١٤٠. **ديوان عنترة** بشرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، د.ط، سنة النشر:١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.
١٤١. **رسالة (أي) المشددة**، لعثمان بن أحمد بن سعيد بن قائد النجدي الحنبلي، تحقيق: عبد الفتاح الحموز، دار عمار+ دار الفيحاء، الأردن، ط١: ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
١٤٢. **رسالة الملائكة**، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري(ت:٤٤٩هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، – دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، نشرها الميمني كملحق في آخر كتابه (أبو العلاء وما إليه)، ط١: ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
١٤٣. **الرسالة**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي(ت:٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط١: ١٣٥٨هـ= ١٩٤٠م.
١٤٤. **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، أحمد بن عبد النور المالقي(ت:٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد

الخراط، دار القلم، سورية، دمشق، ط٣: ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م.
١٤٥. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ
١٤٦. **زاد المسير في علم التفسير**، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ.
١٤٧. **السبعة في القراءات**، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التَمِيْمي البغدادي(ت:٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢: ١٤٠٠هـ.
١٤٨. **سر صناعة الإعراب**، لأبي الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م
١٤٩. **السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض، ط١: د.ت.
١٥٠. **سنن ابن ماجه**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية + فيصل عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ط، د.ت
١٥١. **سنن الترمذي**، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، د.ط، سنة النشر: ١٩٩٨م،
١٥٢. **سنن الدارقطني**، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.
١٥٣. **سنن النسائي**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢: ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
١٥٤. **الشاهد وأصول النحو في كتاب سِيْبَوَيْهِ**، لخديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت (٣٧)، د.ط، سنة النشر: ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.
١٥٥. **شذا العرف في فن الصرف**، لأحمد بن محمد الحملاوي (ت:١٣١٥هـ)، تحقيق: نصرالله عبد الرحمن نصرالله، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض. د.ط، د.ت.
١٥٦. **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، لبدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت:٦٨٦هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
١٥٧. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، = دار التراث، مصر، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠: ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
١٥٨. **شرح أبيات سيبويه**، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس(ت:٣٣٨هـ)، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم

الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١: ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.
١٥٩. **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، لأبي الحسن علي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م
١٦٠. **شرح التسهيل**، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١: ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .
١٦١. **شرح التسهيل** المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، لمحمد بن يوسف بن أحمد، المعروف بناظر الجيش (ت: ٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة، ط١: ١٤٢٨هـ .
١٦٢. **شرح التصريح على التوضيح** أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت:٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.
١٦٣. **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**، دراسة وتحقيق: حسن بن محمد الحفظي، ويحيى بشير مصري، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، سلسلة نشر الرسائل الجامعية (١٥)، ط١: ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م
١٦٤. **شرح الشَوَاهِد الشّعْرِيّة في أمات الكتب النَّحْويّة** «لأربعة آلاف شاهد شعري»، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢٧ هـ= ٢٠٠٧ م.
١٦٥. **شرح الكافية الشافية**، لجمال الدين محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة. ط١: د.ت.
١٦٦. **شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب**، لابن الحاجب، دراسة وتحقيق: جمال عبد العاطي مخيمر،، مكتبة نزار الباز، السعودية، الرياض، ط١: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٦٧. **شرح المقدمة المحسبة**، لطاهر بن أحمد بن بابشاذ(ت:٤٦٩هـ)، تحقيق: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت، ط١: ١٩٧٧م.
١٦٨. **شرح النووي على صحيح مسلم**، لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي(ت:٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط٢: ١٣٩٢هـ
١٦٩. **شرح جمل الزَّجَّاجي**، لأبي الحسن علي بن مؤمن ابن عصفور الأشبيلي، قدَّم له ووضع فهارسه: فواز الشعّار، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.
١٧٠. **شرح ديوان الحماسة**، لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي(ت:٤٢١ هـ)، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
١٧١. **شرح ديوان الحماسة**، ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، دار القلم، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت
١٧٢. **شرح شافية ابن الحاجب**، لنجم الدين محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، د.ط، عام النشر:

١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م

١٧٣. **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا. د.ت، د.ط.

١٧٤. **شرح شَوَاهِد المغني**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، د.ط، عام النشر: ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م

١٧٥. **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، لأبي الحسين علي بن خلف ابن بطال(ت:٤٤٩)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبْرَاهِيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢: ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.

١٧٦. **شرح قطر الندي وبلّ الصدى**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١١: ١٣٨٣هـ، د.د.

١٧٧. **شرح كتاب سِيْبَوَيْهِ**، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي(ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق: احمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت. ط١: ٢٠٠٨م.

١٧٨. **شرح مفصل الزمخشري**، لموفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش، قدم له: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

١٧٩. **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين الخراساني البيهقي، حققه د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية، الهند، بومباي، ط١: ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م.

١٨٠. **شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام**، لوفاء فهمي السنديوني، دار العلوم للطباعة و النشر، ط١: ١٩٨٣م.

١٨١. **الشعر والشعراء**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، دار الحديث، مصر، القاهرة، د.ط، عام النشر: ١٤٢٣هـ.

١٨٢. **شمس العلوم ودواء كلام العرب المكلوم**، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني(ت:٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبدالله، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، دار الفكر، سورية، دمشق، ط١: ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م

١٨٣. **شَوَاهِد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، عالم الكتب، ط٣: ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

١٨٤. **الصاحبي في فقه اللُّغَة العربية** ومسائلها وسنن العرب في كلامها، للحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، منشورات محمد علي بيضون، ط١: ١٤١٨هـ=١٩٩٧م

١٨٥. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي(ت:٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٢: ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

١٨٦. **صحيح ابن خزيمة**، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت:٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد

مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت. د.ت، د.ط.
١٨٧. **صحيح البخاري** (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١: ١٤٢٢هـ
١٨٨. **صحيح مسلم**، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، د.ت، د.ط.
١٨٩. **صفة جزيرة العرب**، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الشهير بالهمداني (ت: ٣٣٤هـ)،ليدن. طبعة بريل، د.ط، عام النشر: ١٨٨٤م.
١٩٠. **الصناعتين**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبْرَاهِيم، المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، د.ط، عام النشر:١٤١٩هـ.
١٩١. **الضَرُورَة الشّعْرِيّة**، لمحمد حماسة عبداللطيف ،مكتبة دار العلوم، القاهرة. ط١: ١٩٧٩م
١٩٢. **ضياء السالك إلى اوضح المسالك**، لمحمد بن عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م
١٩٣. **طبقات النحويين واللُغَوِيّين**، لأبي بكر محمد بن الحسين بن مذحج الزبيدي الأندلسي(ت:٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم، الطبعة الثانية: د.ت، دار المعارف.
١٩٤. **طبقات فحول الشعراء**، لابن سلام بن عبيد الله الجمحي(ت:٢٣٢هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، السعودية، جدة. د.ت، د.ط
١٩٥. **ظاهرة الاجتزاء في العربية**، لهاني الفرنواني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، الاسكندرية، ط١: ٢٠٠٥ م
١٩٦. **ظاهرة التقارض في النحو العربي**، لأحمد محمد عبد الله، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ت، د.ط.
١٩٧. **ظاهرة المجاورة في الدراسات النَّحْويّة ومواقعها في القرآن الكريم**، لفهمي حسن النمر، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، د.ط، عام النشر: ١٩٨٥م
١٩٨. **عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك** بحاشيته تعليق للشيح = محمد محي الدين عبد الحميد.
١٩٩. **العربية تطور وتاريخ**، دراسة تاريخية لنشأة العربية والخط وانتشارهما، لكريم زكي حسام الدين، د. ط، د.ت، د.د
٢٠٠. **العربية دراسات في اللُغَة واللَهْجَات والأساليب**، ليوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، د.ط، عام النشر:١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م
٢٠١. **العربية والوظائف النَّحْويّة**، لممدوح الرمالي، دار المعرفة الجامعية، مصر. ط١: ١٩٩٦م
٢٠٢. **العربية**، ليوهان فك، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة، د.ط، عام النشر::١٩٥١م

٢٠٣. **العقد الفريد**، لشهاب الدين أبي عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت. ط١: ١٤٠٤هـ.
٢٠٤. **علل النحو**، لأبي الحسن محمد بن عبد الله بن العباس ابن الوراق، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط١: ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
٢٠٥. **علم اللُّغَة مقدمة للقارئ العربي**، لمحمود السعران، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت .
٢٠٦. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لبدر الدين العيني(ت:٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت
٢٠٧. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني(ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،، دار الجيل، ط٥: ١٤٠١هـ = ١٩٨١م
٢٠٨. **العوامل المائة**، لمجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت:٤٧١هـ)، عني به. أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني، دار المنهاج للنشر والتوزيع، السعودية، جدة، ط١: ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.
٢٠٩. **العين**، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبْرَاهِيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، د.ط
٢١٠. **غاية النِهَايَة في طبقات القرّاء**، لشمس الدين أبي الخير محمد بن أحمد بن يوسف ابن الجزري، عني بنشره لأول مرة ج. برجشتراسر، مكتبة ابن تيمية، د.ط، عام النشر: ١٣٥١هـ
٢١١. **غريب الحديث**، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: حسين محمد شرف، مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، القاهرة، ط١: ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م
٢١٢. **الفاخر**، لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت: نحو ٢٩٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١: ١٣٨٠هـ.
٢١٣. **الفائق في غريب الحديث**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان. ط٢: د.ت
٢١٤. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، لبنان، بيروت، د.ط، عام النشر: ١٣٧٩هـ
٢١٥. **فصول في فقه العربية**، لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ط٦: ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م
٢١٦. **فقه اللُّغَات السامية**، لكارل بروكلمان، ترجمه عن الألمانية: رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض، د.ط، عام النشر: ١٩٧٧م.
٢١٧. **فقه اللُّغَة**، لعلي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣: ٢٠٠٤م.
٢١٨. **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف(ت:١٤٢٦هـ)،، دار المعارف بمصر، ط١٢: د.ت.

٢١٩. **الفهرست**، لأبي الفرج محمد بن إسحاق الوراق البغدادي المعروف بابن النديم(ت:٤٣٨هـ)، تحقيق: إبْرَاهِيم رمضان، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط٢: ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.
٢٢٠. **في أدلة النحو**، لعفاف محمد حسانين، المكتبة الأكاديمية، مصر، القاهرة، ط١: ١٩٩٦م
٢٢١. **في أصول التفكير النحوي**، لعلي أبو المكارم، منشورات الجامعة الليبية، ط١: ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
٢٢٢. **في أصول النحو**، لسعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت د.ط، عام النشر: ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
٢٢٣. **في الادب واللُّغَة دراسات و بحوث**، لمحمود محمد الطناحي، دار العرب الإسلامي، ط١: ٢٠٠٢م
٢٢٤. **في اللُّغَة و دراستها**، لمحمد عيد، دار عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط١: ١٩٧٤م.
٢٢٥. **في اللَّهْجَات العربية**، لإبْرَاهِيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، القاهرة د.ط، عام النشر:٢٠٠٣م.
٢٢٦. **في النحو العربي نقد وبناء**، لإبْرَاهِيم السامرائي، دار عمّار، عمان، ط١: ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
٢٢٧. **في النحو العربي، قواعد وتطبيق**، لمهدي المخزومي، دار الرائد العربي، لبنان، بيروت، ط٢: ١٩٨٦م.
٢٢٨. **في تاريخ العربية أبحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي**، لنهاد ياسين الموسى، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع، الأردن، عمان، ط١: ٢٠١٤م.
٢٢٩. **في علم اللُّغَة**، لغازي طليمات، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢: ٢٠٠٠م.
٢٣٠. **في علم النحو**، لأمين علي السيد، دار المعارف، ط٧: ١٩٩٤م.
٢٣١. **فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح**، لأبي عبدالله محمد بن الطيّب الفاسي(ت:١١٧٠هـ)، تحقيق: محمود فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط٢: ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م.
٢٣٢. **القَاعِدَة النَّحْويّة دراسة نقدية تحليلية**، لأحمد عبد العظيم عبد الغني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، د.ط، عام النشر: ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٢٣٣. **القاموس المحيط**، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت:٨١٧هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٨: ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م
٢٣٤. **القراءات وأثرها في علوم العربية**، لمحمد محمد سالم محيسن(ت:١٤٢٢هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ط١: ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.
٢٣٥. **القراءات واللَّهْجَات**، لعبد الوهاب حمودة، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، ط١: ١٩٤٨م.
٢٣٦. **القرآن وأثره في الدراسات النَّحْويّة**، لعبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، ط٢: ١٩٧٨م.
٢٣٧. **القواعد الفقهية**، ليعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط١: ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م
٢٣٨. **القياس في اللُّغَة العربية**، لمحمد الخضر حسين، عنيت بنشره المطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب، ط١: ١٣٥٣هـ.
٢٣٩. **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده الهُذَلي اليشكري المغربي (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما

للتوزيع والنشر، ط١: ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م
٢٤٠. **الكامل**، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبْرَاهِيم، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط٣: ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م.
٢٤١. **كتاب الايضاح**، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق ودراسة: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط٢: ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.
٢٤٢. **كتاب الجيم**، لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني، تحقيق: إبْرَاهِيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، القاهرة. د.ط، سنة النشر:١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.
٢٤٣. **كتاب الحروف**، لأبي نصر الفارابي، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، ط٢: ١٩٩٠م.
٢٤٤. **كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب**، لأبي علي الفارسي الحسين بن أحمد بن عبد الغفار، تحقيق وشرح: محمود محمد الطناحي، مطبعة المدني، الناشر: مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط١: ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
٢٤٥. **كتاب معاني الحروف**، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، حققه وعلق عليه: عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، القاهرة، د.ط، د.ت
٢٤٦. **الكتاب**، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سِيْبَوَيْهِ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ط٣: ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.
٢٤٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ
٢٤٨. **كشف المشكل في النحو**، لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني، بغداد، د.ط، عام النشر: ١٩٨٤م
٢٤٩. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللُّغَوِيّة**، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، المحقق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٥٠. **اللامات**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزَّجَّاجي(ت:٣٣٧هـ)، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط٢: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م
٢٥١. **اللباب في علل البناء والإعراب**، لأبي البقاء العُكْبُرِيّ، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، سورية، دمشق، ط١: ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.
٢٥٢. **لحن العامة والتطور اللُّغَوِيّ**، لرمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، مصر، القاهرة، ط٢: ٢٠٠٠م.
٢٥٣. **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور(ت:٧١١هـ)، دار صادر، لبنان، بيروت،ط٣: ١٤١٤هـ.
٢٥٤. **لُغَات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه**، لإسماعيل محمود منيزل القيام، دار الحامد، ط١: ٢٠٠٨م.
٢٥٥. **اللُّغَة العربية أصل اللُّغَات كلها**، لعبد الرحمن أحمد البوريني، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمان، ط١: ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.
٢٥٦. **اللُّغَة العربية معناها ومبناها**، لتمام حسان عمر، عالم الكتب، ط٥: ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.
٢٥٧. **اللُّغَة بين المعيارية والوصفية**، لتمام حسان، عالم الكتب، مصر، القاهرة، د.ط، عام النشر: ١٤٢١هـ=

٢٠٠١م.
٢٥٨. **لُغَة تَمِيْم دراسة تاريخية وصفية**، لضاحي عبد الباقي، منشورات مجمع اللُغَة العربية، لجنة اللَهْجَات، د.ط، عام النشر: ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.
٢٥٩. **لُغَة قُرَيْش**، لمختار الغوث، دار المعراج الدولية للنشر، السعودية، الرياض، ط١: ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م
٢٦٠. **اللُغَة والنحو بين القديم والحديث**، لعباس حسن، دار المعارف، مصر، القاهرة. ط٢: ١٩٦٦م.
٢٦١. **اللُغَة والنحو دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة** د. حسن عون الطبعة الأول: ١٩٥٢م، مطبعة رويال خلف محكمة الاسكندرية.
٢٦٢. **اللُغَة وعلم اللُغَة** جون ليونز، ط١ د.ت، دار النهضة العربية.
٢٦٣. **اللُغَة**، لجوزيف فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، وأحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، د.ط
٢٦٤. **لمع الأدلة في أصول النحو**، لكمال الدين أبي البركات بن محمد الأنْبَاري تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية : ١٣٩١هـ ن ١٩٧١م، دار الفكر – بيروت.
٢٦٥. **اللمع في العربية**، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د.ط، د.ت.
٢٦٦. **اللَهْجَات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية**، لتشيم رابين، ترجمة: عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط١: ٢٠٠٢م.
٢٦٧. **اللَهْجَات العربية على المستويين النحوي والصرفي بين ابن عقيل والسلسيلي**، لأحمد عيد عبدالفتاح حسن، كتاب منشور في شبكة الألوكة.
٢٦٨. **اللَهْجَات العربية في التراث**، لأحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، د.ط، عام النشر: ١٩٨٣م
٢٦٩. **اللَهْجَات العربية في القراءات القرآنية**، لعبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية. د.ط، عام النشر: ١٩٩٦م
٢٧٠. **اللَهْجَات العربية في معاني القرآن للفراء**، لصبحي عبد الحميد عبد الكريم، دار الطباعة المحمدية، مصر، القاهرة. ط١: ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م
٢٧١. **اللَهْجَات العربية نشأة وتطورًا**، لعبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، ط٢: ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.
٢٧٢. **اللَهْجَات وأسلوب دراستها**، لأنيس فريحة، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م
٢٧٣. **لَهْجَة تَمِيْم وأثرها في العربية الموحدة**، لغالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجُمْهُورية العراقية، سلسلة دراسات (١٥٥)، د.ط، عام النشر: ١٩٧٨م
٢٧٤. **لَهْجَة قبيلة أسَد**، لعلي ناصر غالب، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط١: ١٩٨٩م
٢٧٥. **ما بنته العرب على فعال**، لرضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات المجمع العلمي العربي، سورية، دمشق، ط١: ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م
٢٧٦. **ما ينصرف وما لا ينصرف**، للزجاج، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، ط٣: ٢٠٠٠م.

٢٧٧. **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري(ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة. د.ط، عام النشر: ١٣٨١هـ
٢٧٨. **مجالس العلماء**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت:٣٤٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإعلام في الكويت(٩). د.ط، عام النشر: ١٩٨٤م
٢٧٩. **مجالس ثعلب**، لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب، شرح وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٣: د.ت.
٢٨٠. **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني(ت:٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان، بيروت. د.ت، د.ط،
٢٨١. **المجيد في إعراب القرآن المجيد**، لبرهان الدين أبي إسحاق إبْرَاهِيم بن محمد السفاقسي (ت:٧٤٢هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١: ١٤٣٠هـ.
٢٨٢. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، عام النشر: ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م
٢٨٣. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ
٢٨٤. **المحكم والمحيط الأعظم**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده(ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
٢٨٥. **المخصص**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال،
٢٨٦. ، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط١: ١٤١٧هـ ١٩٩٦م
٢٨٧. **المدارس النَّحْويّة**، لشوقي ضيف، دار المعارف، ط٧: د.ت
٢٨٨. **مدرسة البصرة: نشأتها وتطورها** د. عبد الرحمن السيد، ط١: د.ت، دار المعارف – القاهرة.
٢٨٩. **مدرسة الكوفة ومَنْهَجها في دراسة اللُّغَة والنحو**، لمهدي المخزومي، مطبعة البابي الحلبي، ط٢: ١٣٧٧هـ= ١٩٥٨م
٢٩٠. **المذكر والمُؤَنّث**، لأبي بكر محمد بن القاسم الأَنْبَاري(ت:٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مراجعة: رمضان عبد التواب،، لجنة إحياء التراث، القاهرة، د.ط، سنة النشر: ١٤٠١هـ= ١٩٨١م
٢٩١. **المَزْهَر في علوم اللُّغَة وأنواعها**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُوطِي، تحقيق: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م
٢٩٢. **المساعد في تسهيل الفوائد** على كتاب التسهيل، لابن مالك، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية اللُّغَة العربية، جامعة أم القرى.
٢٩٣. **المسائل الحلبيات**، لأبي علي أحمد بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق+ دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م

٢٩٤. **مسائل الخلاف النَّحْويّة في ضوء الاعتراض على الدليل النقلي**، لمحمد بن عبد الرحمن السبيهين، سلسلة نشر الرسائل العلمية (٥٣)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.
٢٩٥. **المسائل العضديات**، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: علي جابر المنصوري، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م
٢٩٦. **المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات**، لأبي علي الفارسي، دراسة وتحقيق: صلاح الدين عبد الله السيكاوي، سلسلة إحياء التراث الإسلامي (الكتاب: ٥١)، مطبعة العاني، العراق، بغداد.
٢٩٧. **مسند أحمد**، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م
٢٩٨. **مسند الشافعي**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(ت: ٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ط، عام النشر: ١٤٠٠هـ
٢٩٩. **مشكل إعراب القرآن**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢: ١٤٠٥هـ
٣٠٠. **مشكلات نحوية**، لمحمد عبد المجيد الطويل، مكتبة زهراء الشرق، مصر، القاهرة، ط١: ٢٠٠٢م.
٣٠١. **المصباح المنير** في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت:٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، لبنان، بيروت، د.ت،د.ط.
٣٠٢. **معاني القراءات**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط١: ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
٣٠٣. **معاني القرآن المنسوب للكسائي**، أعاد بناءه وقدّم له: عيسى شحاته عيسى، دار الباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، عام النشر: ١٩٩٨م
٣٠٤. **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق إبْرَاهِيم بن السري الزَّجَّاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكثب، بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م
٣٠٥. **معاني القرآن**، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ط١: ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
٣٠٦. **معاني القرآن**، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحَّاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. ط١: ١٤٠٩هـ.
٣٠٧. **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفَرّاء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١: د.ت
٣٠٨. **المعاني الكبير في أبيات المعاني**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، تحقيق المستشرق سالم الكرنكوي (ت: ١٣٧٣هـ)، وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ = ١٣٨٦هـ) مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١: ١٣٦٨هـ= ١٩٤٩م، ثم صَوّرَتْهَا دارُ الكتب العلمية،

بيروت، لبنان [ط١: ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤ م].
٣٠٩. **معاني النحو**، لفاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن. ط١: ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م
٣١٠. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، لجلال الدين السَّيُوطِي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ط١: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م
٣١١. **معجم الأدباء** = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١: ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م.
٣١٢. **معجم البلدان** لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، لبنان، بيروت، ط٢: ١٩٩٥م.
٣١٣. **معجم التعريفات**، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١: ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م
٣١٤. **معجم القراءات**، لعبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنش، دمشق، ط١: ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
٣١٥. **المُعْجَم الكبير**، لسليمان بن أحمد لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، مصر، القاهرة، ط٢: ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م
٣١٦. **معجم اللُغَة العربية المعاصرة**، لأحمد مختار عمر(ت:١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١: ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م
٣١٧. **المعجم المفصل في شَوَاهِد العربية**، لإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.
٣١٨. **معجم النحو**، لعبد الغني الدقر، مؤسسة الرسالة، ط٤: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م
٣١٩. **معجم مقاييس اللُغَة**، لأحمد بن فارس، دار الفكر، لبنان، بيروت، د.ط، عام النشر:١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م
٣٢٠. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.
٣٢١. **المغرب في ترتيب المعرب**، لناصر الدين أبي الفتح المطرّزي، حققه: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، سورية، حلب، ط١: ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م
٣٢٢. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام (ت: ٧٦١هـ) تحقيق : مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، سورية، دمشق، ط٦: ١٩٨٥.
٣٢٣. **المغني في النحو**، لتقي الدين منصور ابن فلاح اليمني، تحقيق. عبد الرزاق السعدي، دار الشئون الثقافية، بغداد. طبعة عام ١٩٩٩م.
٣٢٤. **مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير**، لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ
٣٢٥. **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي(ت:٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

٣٢٦. **المفصل في صنعة الإعراب**، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي بو ملحم، دار الهلال، بيروت. ط١ ١٩٩٣م.
٣٢٧. **المفضليات**، للمفضل بن محمد الضبي(ت:١٦٨هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة. ط٦: د. ت
٣٢٨. **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية** (شرح ألفية ابن مالك)، لأبي إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت:٧٩٠ هـ)، تحقيق: عياد بن عيد الثبيتي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة. ط١: ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م
٣٢٩. **المقاصد النَّحْويّة في شرح شَوَاهِد شروح الألفية** المشْهُوْر بـ «شرح الشَوَاهِد الكبرى»، لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت:٨٥٥هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر، أحمد محمد توفيق السوداني، عبد العزيز محمد فاخر = دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة. ط١: ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م
٣٣٠. **مقاييس اللُغَة**، لأحمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت. د.ط، عام النشر:١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م
٣٣١. **المقتصد في شرح الإيضاح**، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، سلسلة كتب التراث (١١٥)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجُمْهُورية العراقية. د.ط، عام النشر:١٩٨٢م
٣٣٢. **المقتضب**، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت. د.ت، د.ط
٣٣٣. **مقدمة ابن خلدون** (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت. ط٢: ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م
٣٣٤. **المقدمة الجزولية**، لعيسى بن عبد العزيز، تحقيق: شعبان عبد الوهاب د.ت د. ط د.د
٣٣٥. **المقرب**، لعلي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري و عبدالله الجبوري، ط١ ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م د.د.
٣٣٦. **الملاحن**، لأبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل، لبنان، بيروت. ط١: ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م
٣٣٧. **الممتع الكبير في التصريف**، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور، مكتبة لبنان، ط١: ١٩٩٦م.
٣٣٨. **من أسرار اللُغَة**، لإبْرَاهِيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. ط٤: ١٩٦٦م
٣٣٩. **من تاريخ النحو العربي**، لسعيد محمد بن أحمد الأفغاني، مكتبة الفلاح، د.ط، د.ت.
٣٤٠. **المنتخب من غريب كلام العرب**، لأبي الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى. ط١: ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م

٣٤١. **منجد المقْرِئين ومرشد الطالبين**، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، دار الكتب العلمية. ط١: ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م،
٣٤٢. **المنصف شرح كتاب التصريف** لأبي عثمان المازني، لأبي الفتح عثمان بن جني، دار إحياء التراث القديم. ط١: ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م
٣٤٣. **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، لأبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني(ت:٦٨٤هـ)، د.ط، د.ت.
٣٤٤. **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط٢: ١٣٩٢هـ
٣٤٥. **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري(ت:٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة. د.ت، د.ط.
٣٤٦. **المؤتلف والمختلف** في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: ف. كرنكو، دار الجيل – بيروت، ط١: ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
٣٤٧. **الموجز في قواعد اللُّغَة العربية**، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني(ت:١٤١٧هـ)، دار الفكر، لبنان، بيروت، د.ط، سنة النشر: ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م
٣٤٨. **موسوعة كشاف اصْطِلاحات الفنون والعلوم**، لمحمد بن علي بن محمد التهانوي الحنفي، تحقيق: محمد دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط١: ١٩٩٦م.
٣٤٩. **الموطأ**، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت:١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، د.ط، عام النشر: ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م
٣٥٠. **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب**، للسيد أحمد الهاشمي(ت:١٣٦٢هـ)، تحقيق: علاء الدين عطية، مكتبة دار البيروتي. ط٣: ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م
٣٥١. **نتائج الفكر في النَّحو**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُّهَيلي (ت:٥٨١هـ)، حققه وعلّق عليه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٢ = ١٩٩٢م
٣٥٢. **النحو العربي والدرس الحديث**، لعبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت. د.ط، عام النشر: ١٩٧٩م
٣٥٣. **نحو القرآن**، لأحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ط١: ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.
٣٥٤. **النحو الوافي**، لعباس حسن، دار المعارف. ط١٥: د.ت
٣٥٥. **نحو عربية ميسرة**، لأنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت. د.ط، عام النشر: ١٩٥٥م
٣٥٦. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنْبَاري تحقيق: إبْرَاهِيم

السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء ط٣: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م
٣٥٧. **نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النُّحَاة**، للشيخ محمد الطنطاوي تحقيق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي. ط١: ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م
٣٥٨. **النشر في القراءات العشر**، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري(ت:٨٣٣هـ) تحقيق: علي محمد الضباع(ت:١٣٨٠هـ) المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، د.ط، د.ت،
٣٥٩. **نقد الشعر**، لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن زياد، مطبعة الجوائب، قسطسطينة ط١: ١٣٠٢هـ.
٣٦٠. **النقد اللُّغَوِيّ عند العرب حتى نِهَايَة القرن السابع الهجري**، لنعمة رحيم العزاوي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجُمْهُورية العراقية، سلسلة دراسات (١٣٤). د.ط، عام النشر: ١٩٧٨م
٣٦١. **النكت الحسان في شرح غاية الإحسان**، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق : عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة. ط١ : ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م
٣٦٢. **النكت في تفسير كتاب سِيْبَوَيْهِ**، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشنتمري، تحقيق: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د.ط، عام النشر:١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.
٣٦٣. **نِهَايَة الأرب في معرفة أنساب العرب**، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي(ت:٨١٢هـ)، تحقيق: إبْرَاهِيم الإبياري ، دار الكتاب البناني، بيروت، ط٢: ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.
٣٦٤. **نِهَايَة السول في شرح منهاج الأصول**، لعبد الرحيم بن الحسن الإسنوي،، دار الكتب العلمية، بيروت. ط١: ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م
٣٦٥. **النِهَايَة في غريب الحديث**، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير(ت:٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، عام النشر::١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م
٣٦٦. **نوادر أبي مسحل**، لأبي محمد عبد الوهاب بن حريش الأعرابي، الملقب بـ أبي مسحل(ت:٢٣٠هـ)، دمشق، ط١: ١٩٦١م د.د،
٣٦٧. **النوادر في اللُّغَة**، لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط١: ١٤٠١هـ = ١٩٨١م
٣٦٨. **هداية السالك** إلى تحقيق أوضح المسالك، لمحمد محي الدين عبد الحميد [بهامش أوضح المسالك]
٣٦٩. **هَمْع الهَوَامِعِ في شرح جمع الجوامع**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة الوقفية، مصر د.ط، د.ت.
٣٧٠. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمَان**، لشمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن إبْرَاهِيم ابن خلكان(ت:٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، د.ط، عام النشر: ١٩٠٠م.

ثالثًا: الرسائل والبحوث:

١. **أبرز خصائص لُغَات هُذَيْل** د. عبد الرحمن اسماعيل مجلة معهد اللُغَة العربية – العدد الثاني ١٤٠٤هـ
٢. **الأحكام النَّحْويّة والقراءات القُرْآنية:** جمعًا وتحقيقًا ودراسة من سورة الفاتحة إلى غاية سورة الكهف، رسالة مقدمة من الطالب: علي محمد النوري، إلى جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
٣. **آراء نحاة الكوفة في كتب القراءات السبع وعللها جمعًا ودراسة وتقويما** رسالة تقدم بها الباحث: أيمن غباشي محمود زغيب إلى قسم اللُغَوِيّات بكلية الزقازيق جامعة الأزهر، للحصول على درجة الدكتوراه.
٤. **الأصول المرفوضة في التراكيب النَّحْويّة جمعًا وتحليلًا** د. شريف عبد الكريم النجار، بحث مدرج في : المجلة الأردنية في اللُغَة العربية وآدابها، المجلد (٧) العدد (١) المحرم ١٤٣٢هـ – كانون الثاني ٢٠١١م.
٥. **الانحراف عن الأصل النحوي في الأمثلة الاستعمالية الحية في كتاب سِيْبَوَيْهِ في ضوء علم اللُغَة المعاصر** رسالة تقدم بها الطالب. عمر عبد المعطي عبد الولي السعودي إلى قسم اللُغَة العربية والدراسات العليا جامعة مؤتة للحصول على درجة الدكتوراه عام ٢٠٠٥م.
٦. **البلُغَة في أصول اللُغَة**، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن القنَّوجي، تحقيق: سهاد حمدان السامرائي، تحقيق رسالة جامعية، جامعة تكريت، بإشراف الدكتور أحمد خطاب العمر.
٧. **التعليل النحوي عند المبرد في " المقتضب"** رسالة تقدم بها الطالب. علي عباس فاضل إلى جامعة بابل للحصول على درجة الماجستير سنة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٨. **التَقْعِيْد النحوي بين السماع والقياس**، رسالة تقدم بها الباحث: محمود شرف الدين، إلى دار العلوم بالقاهرة للحصول على درجة الدكتوراه، سنة: ١٩٦٨م.
٩. **جزاف الجزاف** د. يوسف الصيداوي بحث مدرج ضمن "مجلة الدراسات اللُغَوِيّة" المجلد الثالث – العدد الثاني، ربيع الآخر/ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ / يوليو/سبتمبر ٢٠٠١م ، الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
١٠. **الحال في الجملة العربية**، رسالة تقدم بها الطالب: فاخر هاشم سعد الياسري إلى كلية الآداب / جامعة البصرة، للحصول على درجة الماجستير في اللُغَة العربية سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
١١. **الحجة النَّحْويّة عند الأعلم الشنتمري**، رسالة تقدم بها الطالب: عبدالله خلف الجبوري، إلى كلية التربية جامعة تكريت للحصول على درجة الماجستير سنة ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م
١٢. **الخلاف النحوي في شروح مفصل الزمخشري**– رسالة تقدم بها الباحث: سالم مبارك الفلق إلى كلية التربية جامعة عدن لنيل درجة الماجستير عام ٢٠١٠م.

١٣. **ذو الطائية بين الإعراب والبناء** د. عبدالله الحسيني البركاتي مجلة كلية اللُغَة العربية، جامعة أم القرى، العدد الرابع سنة ١٤٠٧هـ. السنة الرابعة.
١٤. **ردود القدامى والمحدثين النَّحْويّة على سِيْبَوَيْهِ** رسالة تقدم بها الطالب: عبد الزهرة زبون حمود إلى كلية الآداب بالجامعة المستنصرية لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٥. **السماع وأهميته في التَقْعِيْد عند سِيْبَوَيْهِ** رسالة تقدم بها الباحث: محمد علي يونس رباع، إلى جامعة اليرموك، للحصول على درجة الماجستير في اللُغَة العربية من جامعة اليرموك سنة ١٩٩٢م.
١٦. **سيكولوجية اللُغَة والمرض العقلي**، لجمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ١٤٥= يناير =١٩٩٠م.
١٧. **الشاهد الشعري النحوي عند الفَرّاء في كتابه "معاني القرآن" دراسة نحوية** رسالة تقدم بها الطالب: عبد الهادي كاظم كريم الحربي إلى كلية التربية جامعة بابل للحصول على درجة الماجستير سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٨. **شرح كافية ابن الحاجب** تقي الدين منصور ابن فلاح اليمني رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف من الطالب محمد الطيب الإبْرَاهِيم إلى كلية اللُغَة العربية، الأزهر، عام ١٩٨٨م.
١٩. **شَوَاهِد الفرزدق النَّحْويّة** رسالة تقدم بها الطالب: سعيد بن سالم بن غوث باوزير، إلى كلية التربية، جامعة عدن للحصول على درجة الماجستير.
٢٠. **الصراع بين التراكيب النَّحْويّة، دراسة في كتاب سِيْبَوَيْهِ** رسالة تقدم بها الباحث.عبدالله محمد طالب الكناعنة إلى قسم اللُغَة العربية وآدابها بجامعة اليرموك، إربد، بالأردن لنيل درجة الدكتوراه سنة ٢٠٠٤م.
٢١. **الضَرُورَة الشّعْرِيّة ومفهومها لدى النحويين دراسة على ألفية بن مالك** إبْرَاهِيم بن صالح الحندود بحث مدرج ضمن (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- الطبعة: السنة الثالثة والثلاثون، العدد الحادي عشر بعد المائة - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٢٢. **ظاهرة القبح في كتاب سِيْبَوَيْهِ دراسة وصفية تحليلية** رسالة تقدم بها الباحث. أحمد عبدالله عوض سالم، إلى قسم الدراسات العليا بجامعة عدن لنيل درجة الدكتوراه سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٢٣. **ظاهرة المنع في النحو العربي**، رسالة مقدمة من الباحث: مازن عبد الرسول الزيدي إلى مجلس كلية التربية / الجامعة المستنصرية للحصول على درجة الماجستير.
٢٤. **عاملا المكانِ والزّمانِ في الشّواهدِ الشّعريّةِ النّحْويّةِ بينَ التّنظيرِ والاستعمالِ اللُّغَوِيِّ**، بحث للدكتور: خالد صالح محمد عوض العزاني، مدرج ضمن مجلة جامعة عدن الإلكترونية، العدد٤- يناير- ٢٠١٥م.
٢٥. **الفرضيات وآثارها في أحكام النحو العربي** رسالة تقدم بها الطالب: نجاح حشيش بادع العتابي، إلى مجلس كلية الآداب - جامعة بغداد - للحصول على درجة الماجستير في اللُغَة العربية سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٢٦. **القَاعِدَة اللُغَوِيّة والقراءات القرآنية دراسة في ضوء الرفض والقبول قواعد التفكير العلمي** بحث مدرج في: مجلة العلوم الإسلامية العدد التاسع - ١٤٣٢هـ ص/٢٤٤ للدكتور: عمر رشيد السامرائي.

٢٧. **القبائل الست والتَقْعِيْد النحوي** د. خليل أحمد عمايرة بحث غير موثق مدرج على شبكة النت.
٢٨. **قراءة في مصادر التَقْعِيْد النحوي وجهة نظر أصولية** قطب مصطفى سانو ص/ ٨، بحث مدرج في مجلة (الكَلِمَة) العدد، ١٨- السنة الخامسة، شتاء ١٩٩٨م /١٤١٨هـ.
٢٩. **قرينة السياق ودورها في التَقْعِيْد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سِيْبَوَيْهِ** رسالة تقدم بها الطالب: إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، إلى قسم اللُغَة العربية كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، بجامعة عين شمس، للحصول على درجة الدكتوراه في اللُغَة العربية، عام النشر ٢٠١٦م.
٣٠. **قَضِيّة الاحتجاج للنحو واللُغَة** د. حمزة بن قبلان المزيني بحث على شبكة النت.
٣١. **اللُغَات العربية في تفسير البحر المحيط** رسالة تقدمت بها الطالبة دينا محمد بن حمود الحارثي إلى كلية اللُغَة العربية – جامعة أم القرى للحصول على درجة الماجستير في اللغة والنحو والصرف، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٣٢. **لُغَات القبائل الواردة في القرآن** أبو عبيد القاسم بن سلام كتبها: خالد أبو الجود (ضمن المكتبة الشاملة).
٣٣. **لُغَات قيس** رسالة تقدم بها الطالب محمد أحمد سعيد العمري إلى جامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
٣٤. **اللَهْجَات العربية القديمة في كتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط دراسة وصفية تحليلية** رسالة تقدم بها الباحث علي عبدالرحمن موسى العجارمة إلى جامعة الشرق الأوسط للحصول على درجة الماجستير عام ٢٠١٢/٢٠١٣ م.
٣٥. **اللَهْجَات العربية في كتاب سِيْبَوَيْهِ: دراسة نحوية تحليلية** رسالة دكتوراه للباحث : عبد الله بن عبد الرحمن سعد العياف مقدمة إلى كلية اللُغَة العربية – جامعة أم القرى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٣٦. **اللَهْجَات العربية في كتب إعراب القرآن حتى نِهَايَة القرن الخامس الهجري** رسالة تقدم بها الباحث منذر إبْرَاهِيم حسين إلى كلية الآداب بالجامعة المستنصرية لنيل درجة الدكتوراه سنة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٣٧. **اللَهْجَات العربية وعلاقتها باللُغَة العربية الفصحى: دراسة لُغَوِيّة** محمد شفيع الدين بحث مدرج ضمن (مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتا غونغ) المجلد الرابع، ديسمبر ٢٠٠٧م.
٣٨. **لَهْجَات القبائل العربية وأثرها في الدرس النحوي**، رسالة تقدمت بها الطالبة: فدوى محمد حسان، إلى كلية التربية عدن للحصول على درجة الماجستير
٣٩. **لَهْجَات القبائل العربية وأثرها في توجيه التفسير**، رسالة تقدم بها الباحث: عبد الناصر النخعي إلى مجلس كلية التربية بجامعة عدن للحصول على درجة الدكتوراه في اللُغَة العربية عام
٤٠. **المثال النحوي المصنوع في العربية دراسة تحليلية تقويمية** رسالة تقدم بها الباحث: كريم عبد الحسين الربيعي، إلى كلية التربية(ابن رشد)، جامعة بغداد للحصول على درجة الدكتوراه سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
٤١. **المسوغات النَّحْويّة بين القَاعِدَة والاستعمال** رسالة مقدمة من الباحث. نواف مسلم عودة الهوانية لنيل درجة الدكتوراه في جامعة مؤتة عام ٢٠١٠م.

٤٢. **مقولة الوجوب بين التَقْعِيْد والاستعمال**، رسالة تقدم بها الطالب: صلاح الدين يحي، إلى كلية الآداب واللُغَات، بجامعة محمد خيضر – بسكرة – لنيل درجة الماجستير في اللُغَة العربية، سنة ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
٤٣. **من لُغَات العرب – لَهْجَة هُذَيْل**، لعبد الجواد الطيب رسالة دكتوراه، منشورات جامعة الفاتح – ليبيا
٤٤. **مهد الإنسان العربي نظرية تحتاج إلى تأصيل** د/ محمود عبد الحميد أحمد مجلة العربي العدد /٤٧٢/ مارس ١٩٩٨م.
٤٥. **النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نِهَايَة القرن الخامس الهجري** رسالة تقدم بها الباحث. محمد آدم الزاكي إلى كلية اللُغَة العربية بجامعة أم القرى للحصول على درجة الدكتوراه عام ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

ملخص

هذه الأطروحة الموسومة بـ (لغات العرب وأثرها في اضطراب القاعدة النحوية)، تناقش عددًا من الشواهد، والأمثلة، التي تكلّم بها العرب، ومدى تناقضها مع القاعدة النحوية.

وقد قسِّمت هذه الأطروحة إلى خمسة فصولٍ، تتقدمها مقدمة وتمهيد، وتقفوهما خاتمة. وفي التمهيد تحدثنا عن اللغة، واللهجة، وتعريفهما، والفرق بينهما.

أما خمسة الفصول، فجاء الفصل الأول (النظري) في أربعة مباحث:

المبحث الأول: لغات العرب: تكلَّم عن اللحن في اللغة، وظهوره في العربية، ثم عالج تعدد اللغات أسبابه، وأنواعه، مع ذكر صور ونماذج من هذا الاختلاف.

المبحث الثاني: جَمْعُ اللغة: ذكر مناهج النحاة في جمعهم للغة العربية، ورحلاتهم الى الصحراء، وكذا تحديد الزمان والمكان الصالحين لهذا الجمع.

المبحث الثالث: القاعدة والتقعيد: ناقش هذا المبحث ما القاعدة النحوية؟ وما شروطها؟ ووظيفتها. كما عالج نشأتها، وتطوّرها، والخصائص التي تتصف بها.

المبحث الرابع: اضطراب قواعد النحو: تم توضيح أثر القراءات القرآنية في القاعدة النحوية. وما الانتقادات التي وُجّهتْ إلى القاعدة النحوية. وما مقصودنا بالاضطراب الذي وسمنا به عنوان هذه الأطروحة، وماهي أسباب هذا الاضطراب ؟ كما ذكرنا نماذج من تعصّب النحاة للقواعد النحوية.

وجاء الجزء الثاني (التطبيقي)؛ ليكشف الاضطراب بين القاعدة النحوية من جهة، ولغات العرب من جهة أخرى. وقد احتوى ثمانيَ وأربعين مسألة، موزعة في أربعة فصول، هي:

الفصل الأول: الاسم، وفيه ثلاثة مباحث: الإعراب والبناء (٨ مسائل)، وتغيّر علامات الإعراب (٧ مسائل)، و الجملة الاسمية ومكملاتها (٦ مسائل).

الفصل الثاني: الفعل، وفيه ثلاثة مباحث: الإعراب والبناء (٤ مسائل)، والتعدي واللزوم (مسألتان)، ومكملات الجملة الفعلية (٧ مسائل).

الفصل الثالث: الحرف والضرورة الشعرية، وفيه مبحثان: وظائف الحروف بمسألة واحدة، والضرورة الشعرية (٨ مسائل).

الفصل الرابع: التركيب، ويشمل (٥ مسائل)

وفي آخر الأطروحة خاتمة لما تمّ الوصول إليه من فوائد، ومقترحات لخصها الباحث في نهاية رحلته العلمية، ثم أعقبها بقائمة المصادر والمراجع . مع ملخصين باللغة العربية والإنكليزية .

Abstract

This thesis which is entitled (the influence of Arab dialects on the instability of grammar rules) discusses the pieces of evidence, quotations, and examples which were spoken by ancient Arabs and disaccord with the grammar rule.

This thesis is divided into five chapters . in front of their is an introduction . and preface speaks about a language and dialect . and difference between one and an other .

a first chapter is (theoretical) and contains four sections.

Section 1: Dialects of Arabs. This Section speaks about solecism and grammatical mistakes in Arabic, and it's appearance in language .

Section 2: Collection of the Arab tongue. This Section speaks about travels of grammarians to Arab Deseret. And choice a specification time and place to collect an Arabic tongue .

Section 3: Grammar and it's bases. It talks about what Grammar bases are? Conditions and construction of rules.

Section 4: the instability of the grammar rules. What I mean by an instability in grammar rules , it's causes and why grammarians take side with rules of grammar .

The other four chapters are a practical study. Its describe an instability between Arabic grammar rules and Arabic dialects . this second part studies (48) issues and they are:

Chapter 2: The nouns . Contains (21) matters in (3) sections.

Chapter 3: The Verbs . Contains (13) matters in (3) sections.

Chapter 4: the preposition . Contains (9) matters in (2) sections.

Chapter 5: The structure of the sentence. Contains (5).

Finally, an epilogue discovers and explains an important things that researcher discussed and some suggestions also . In the end there is alist of references and resources.

Faculty of Arts

Department of Arabic language and Arts

University of Aden

Ministry of High Education

The influence of Arab dialects on the instability of Grammar Rules

Adissertation submitted by: Salim Mubarak Saeed Alfalagg , to Department of Arabic language and Arts , in council of faculty of Arts , in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor in linguistic studies .

Supervised by: prof. Khalid Saleh Mohammed al azzany.

1440هـ -- 2018 م